

نموذج ترخيص

MEHMET KARL

أنا الطالب / الطالبة :

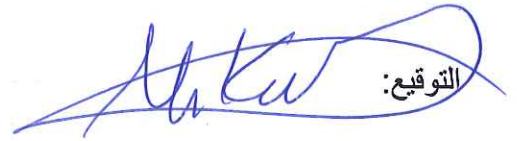
أمنح الجامعة الاردنية و/أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و/أو استعمال و/أو استغلال و/أو ترجمة و/أو تصوير و/أو إعادة انتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و/أو إلكترونية أو غير ذلك، رسالة الماجستير/ الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها :

تقديم القراءات لمجيد الإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (310391-2)
دراسة وتحقيق من الوثائق (50) من سورة يونس، إلى الوثيقة (17) من سورة
الأنعام

وذلك لغايات البحث العلمي و/أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و/أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

MEHMET KARL

اسم الطالب / الطالبة :

التوقيع: 

التاريخ: 2023/06/06

تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (ت: 1039هـ)

دراسة وتحقيق

من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء

إعداد

MEHMET KARLI

إشراف

الدكتور محمد مجلي الربابعة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: 6.6.2023

حزيران، 2023

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (ت: 1039هـ) دراسة وتحقيق من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء). وأجيزت بتاريخ 2023/05/22م.

أعضاء لجنة المناقشة:

د. محمد مجلي أحمد ربابعة، مشرفاً
الأستاذ المشارك - التفسير - أصول الدين

أ. د. عبد الله أحمد حسين الزيوت، عضواً
الأستاذ الدكتور - التفسير - أصول الدين

د. يحيى أحمد سلمان جلال، عضواً
الأستاذ المشارك - التفسير - أصول الدين

أ. د. زكريا علي محمود الخضر، عضواً خارجياً
الأستاذ الدكتور - التفسير - أصول الدين (جامعة اليرموك)

التوقيع:

.....

.....

.....

.....

تفقد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: م. م. التاريخ: 2023: 6: 6

الإهداء

الحمد لله الذي أفرحني بفضله ورحمته، ومنّ عليّ بالاشتغال بكتابه العزيز، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛

فإنّي أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح عبد الباقي التبريزي -رحمه الله ورفع منزلته-، الذي أهدانا هذا التفسير القيم، وأذاقنا فيه لذة العلم والدراسة، والنّظر، والتأمّل في تراثنا التفسيري العظيم. وإلى من حتّني دائماً على تحصيل علم كتاب الله تعالى، ودعمني في ذلك دون توقع أي مقابل، إلى والديّ الكريمين -حفظهما الله ورعاهما-، وجزاها عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة. وإلى جميع أساتذتي وشيوخي الذين أناروا لي طريق العلم بإخلاص، وتواضع، وتفانٍ في سبيل إنشاء فردٍ من أفراد الأمة الإسلامية، فإله أسأل أن يبارك فيهم ويرفع قدرهم في الدنيا والآخرة.

الشكر والتقدير

إنَّ الحمدَ والشَّكرَ لله ربَّ العالمين ابتداءً، الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصَّلاة والسلام على رسول الله.

وبعد؛

فإنِّي أتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذي ومشرفي الدكتور محمد مجليّ الربابعة، الذي لم يدخر جهداً في سبيل إتقان هذه الدراسة، وإخراجها بشكلها النهائي، والذي تحلّى بالتواضع، والصبر، والسماحة في تعامله معي؛ سواء كان ذلك في الإشراف أو في غيره في مسيرتي في طلب العلم، فجزاه الله عنّي خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذة لجنة المناقشة، لقبولهم مناقشة هذه الرسالة، ولجهودهم المباركة؛ لتقويمها، وتصويبها، وتحكيمها. وهم: فضيلة الأستاذ الدكتور زكريا الخضر، والأستاذ الدكتور عبد الله أحمد الزيوت، والدكتور يحيى أحمد جلال، حفظهم الله تعالى ورعاهم.

تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (ت: 1039هـ)

دراسة وتحقيق

من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء

إعداد

MEHMET KARLI

إشراف

د. محمد مجلي الربابعة

الملخص

تتناول هذه الدراسة تفسير الإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي بالدراسة والتحقيق، من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء، وذلك بهدف بيان الصورة النصية للجزء المقرر تحقيقه من هذا المخطوط، وإبرازها كما أراد لها المؤلف أن تكون. ويسبق ذلك مقدمات ضرورية، فيها نبذة عن المؤلف وتفسيره، وعرض لمنهجه في التفسير، وطريقته فيه، وبيان القيمة العلمية لهذا التفسير وإبراز الجديد فيه.

واتبع الباحث في هذه الدراسة مناهج بحثية عدّة؛ منها: المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي، والتحقيقي.

وانقسمت الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة. وخلصت الدراسة إلى أنّ تفسير التبريزي يمكن عدّه من التفاسير بالرأي المؤلفة في القرن الحادي عشر الميلادي، ولبراعة مؤلفه في مجالات عدّة، كقضايا اللغة والبيان، والقضايا العقديّة -بخاصة عقيدة الأشاعرة والمعتزلة-، وعلوم القرآن، والقراءات القرآنية، يمكن عدّه من التفاسير الموسوعيّة. وإنّ التبريزي لم يكتف بنقل التراث، بل أتبعه بالنقد والتحليل وفق الأصول التفسيرية وناقش أقوال من سبقه.

فهرس الموضوعات

ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الملخص
8	المقدمة
10	مشكلة الدراسة:
10	أهداف الدراسة:
10	أهمية الدراسة:
11	الدراسات السابقة:
12	منهج الدراسة:
13	إجراءات الدراسة في قسم التحقيق
15	حدود الدراسة:
15	خطّة الدراسة:
17	الفصل الأول: دراسة المؤلف والمخطوط
18	المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والمؤلف
18	المطلب الأول: اسمه، ولقبه، ومولده، وفاته.
19	المطلب الثاني: طلبه العلم ورحلاته العلمية، وشيوخه.
21	المطلب الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته
22	المطلب الرابع: اسم الكتاب، وتحقيق نسبته إلى التبريزي، والباعث في تأليفه
26	المبحث الثاني: منهج التبريزي في تفسيره
26	المطلب الأول: طريقة التبريزي في التفسير
27	المطلب الثاني: مصادر التبريزي في التفسير
45	المطلب الثالث: موقفه من قضايا علوم القرآن.
57	المطلب الرابع: منهجه في المسائل العقديّة والفقهية.

المطلب الخامس: استدراكاته على الزمخشري والبيضاوي	60
المطلب السادس: القيمة العلمية لتفسير التبريزي	66
المطلب السابع: التعريف بالنسخ الخطية لتفسير التبريزي ووصفها	67
الفصل الثاني: قسم التحقيق، وهو: التفسير من الآية 50 من سورة يونس، إلى الآية 17 من	
سورة الإسراء	74
سورة يونس (من الآية 50 إلى النهاية)	74
سورة هود	103
سورة يوسف	171
[سورة الرعد	271
[سورة إبراهيم عليه السلام	311
[سورة الحجر	352
[سورة النحل	389
[سورة بني إسرائيل	475
الخاتمة:	496
أولاً: النتائج:	496
ثانياً: التوصيات:	497
الفهارس الفنية	498
فهرس الآيات	498
فهرس الأحاديث	499
فهرس الأشعار	502
المصادر والمراجع	503

المقدمة

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى عليه، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد؛

فإن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي خاطب به الإنسانية كافة؛ ليهديهم إلى سبيل الرشاد، حيث به يتم تأسيس العدالة في الأرض، وبه تتمكّن البشريّة من النّجاة في الدّنيا والآخرة، وفيه ما هو شفاء لما في الصدور، وهديّ ورحمة للمؤمنين، كما وُصِفَ في الحديث: لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء.(1)

حقيقة لم يشبع منه العلماء؛ فبدأ المُخاطَبون الأوائل يسعون إلى كشف معاني القرآن الكريم منذ نزوله، وعلى رأسهم نبيّنا محمد، المُصطفى -صلى الله عليه وسلم-، ثم الصحابة، ثم التابعون، ومن بعدهم من علماء الإسلام إلى يومنا هذا، رضي الله عنهم جميعاً، فألفت كتب وتقاسير لا تُحصى عبر التاريخ الإسلامي في بيان معاني القرآن، وكشف أحكامه، وهداياته، وعجائبه. ووصل التراث الإسلامي مع كل هذه الجهود إلى ما هو عليه اليوم، إلا أنّ بعض الآثار المؤلّفة في التاريخ الإسلامي ما زال بحاجة إلى إحياء الباحثين له؛ عبر تحقيقه ودراسته، وإعداده وتقديمه حتّى يستفيد منه المسلمون.

(1) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب: ما جاء في فضل القرآن برقم (2906)، والإمام أحمد في مسنده بدون عبارة (ولا يشبع منه العلماء) برقم (704)، والدارمي في سننه في كتاب ومن كتاب فضائل القرآن في باب: فضل من قرأ القرآن برقم (3374)، والبزار في مسنده برقم (836)، والبيهقي في شعب الإيمان في باب: تعظيم القرآن برقم (1788).

وقال ابن كثير في فضائل القرآن: "والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه يتعمّد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح" يعني حسن صحيح معني لا ثبوتاً. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: 774هـ)، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى - 1416 هـ، (ص: 46).

كما أنّ في العمل التحقيقي للمخطوطات فوائد كثيرة؛ حيث به يتحقّق إثراء المكتبة الإسلامية، ويسهّل وصول الباحثين والطلبة إلى تراثنا الإسلامي، ويُمكن به حفظ أمانة العلماء الذين بذلوا جهودهم في نقل التراث الإسلامي إلى الأجيال القادمة.

ومن هنا حاول الباحث أن يقوم بدراسة وتحقيق تفسير من تفاسير القرن الحادي عشر الهجري، وهو: "تفسير القرآن المجيد" للإمام عبد الباقي التبريزي (ت 1039هـ). حيث سيقوم الباحث بتحقيق جزء محدّد من هذا التفسير، وهو الذي تمّت الإشارة إليه في العنوان وفي حدود الدراسة.

أما عن أسباب اختيار الباحث هذا الموضوع المتعلق بهذا التفسير بالذات، فهو أن هذا التفسير قد امتاز بميزات عدة؛ منها: كون المؤلف يقوم بالمقارنة بين الزمخشري والبيضاوي في كثير من المسائل، وبخاصة في القضايا الكلامية والفقهية، ويستدرك عليهما، ويضيف إلى علم التفسير أشياء جديدة.

ويرى الباحث أنّ القيمة العلمية لهذا التفسير تكمن في هذه النقطة آنفة الذكر؛ حيث بيّن المفسر هذا الأمر في مقدمة تفسيره، وأضاف أنّه كان في غاية الإنصاف في رجوعه إلى تفسير الزمخشري.

ثم إنّ هذا التفسير غلب عليه الجانب النظري -أعني التفسير بالدراية-، وشخصية المؤلف تظهر فيه واضحة جليّة؛ فيمكن القول بأن المؤلف لم يكتفِ بنقل القديم، بل أضاف إليه استنتاجاته، وخبرته المتعلقة بالتفسير، وهذا الجانب مهمّ جداً في تسليط الضوء على مساق التفسير في عصر المؤلف، وإضافاته في علم التفسير، والعوامل المؤثّرة في التفسير في هذا الزمان، وبالتالي يمكن تسليط الضوء على التطور في تاريخ التفسير نسبياً.

كما تكمن أهمية هذا التفسير في تقديم المؤلف توضيحات للجوانب الغامضة من تفسير الزمخشري والبيضاوي، كما بيّن ذلك في مقدمة تفسيره. ثم إنّ اعتناء المفسر بالبلاغة وعلوم اللغة في التفسير يزيد هذا التفسير قيمة كذلك، فلا بدّ من إحياء هذا التفسير، وإخراجه كي يستفيد منه المسلمون وينتفعوا به. وسيتناول الباحث في القسم الأول من هذه الدراسة: التعريف بالمؤلف وتفسيره بشكل موجز؛ كون هذه المسائل قد تمّت دراستها من قبل محققي الأجزاء السابقة لهذا التفسير، أما بالنسبة لبيان منهج المؤلف في تفسيره، فسيتمّ عرضه بالتفصيل بإذن الله تعالى.

ثم في القسم الثاني سيقوم الباحث بتحقيق تفسير التبريزي من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء، والله الموفّق والمستعان.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الصورة النصية لـ (تفسير القرآن المجيد) للتبريزي من الآية الخمسين من سورة يونس، إلى الآية السابعة عشرة من سورة الإسراء، كما أرادها التبريزي؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. من عبد الباقي التبريزي، وما أبرز خصائص تفسيره؟
2. ما أبرز معالم منهج التبريزي في تفسيره بناء على القسم المحقق؟
3. ما القيمة العلمية لتفسير التبريزي؟
4. ما الخطوات الإجرائية لخدمة هذا المخطوط، واستخراج ما فيه من العلوم والفوائد؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1. إخراج القسم المقرر من تفسير التبريزي إلى النور، وضبط نصّه، مع عزو المعلومات إلى مظانّها، ومراعاة متطلبات العمل التحقيقي الأخرى.
2. التعريف بالتبريزي وتفسيره، وبيان مكانته العلمية.
3. بيان معالم منهج التبريزي في تفسيره بناء على القسم المحقق.
4. بيان شخصية التبريزي وقيمة تفسيره العلمية.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط الآتية:

1. تسليط الضوء على نمط جديد من التفسير لكتاب الله تعالى، قائم على التحليل، والمقارنة، والنقد للتراث التفسيري وفق الأصول والقواعد.
2. إخراج تفسير التبريزي الذي لم يسبق تحقيقه من قبل، وإضافته إلى مخزوننا العلمي في المكتبة الإسلامية، مما يُثري التراث الإسلامي، ويُفيد طلبة العلم والباحثين، والمهتمين بتفسير كتاب الله تعالى.
3. إظهار الوفاء والولاء لعلمائنا الأجلاء، والحفاظ على أماناتهم، وتقدير ما بذلوه من جهود علمية مباركة، في سبيل بيان معاني كتاب الله تعالى.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث المتأنّي والاستفسار من أهل العلم والاختصاص، تبين -بحسب ما توصل إليه الباحث- أنّ هذا التفسير غير مُحَقَّق، وقد تقدّم بعض زملاء التخصص في مرحلة الدكتوراة، بتحقيق الأجزاء السابقة منه وهي: (الجزء الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس) تفصيلها كالآتي:

الجزء الأول: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، إعداد: أحمد يوسف حسين رزق، إشراف: الأستاذ الدكتور جهاد محمد النصيرات، رسالة غير منشورة، 2020-2021م.

الجزء الثاني: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من الآية 75 من سورة البقرة، إلى الآية 173 من سورة البقرة، إعداد: هائل الحشوش، إشراف: الدكتور علي علان، الرسالة غير مكتملة.

الجزء الثالث: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من الآية 174 من سورة البقرة، إلى الآية 239 من سورة البقرة، إعداد: بكر تيسير المرافي، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد الزيوت، الرسالة غير مكتملة.

الجزء الرابع: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من الآية 240 من سورة البقرة، إلى الآية 24 من سورة النساء، إعداد: Vedat Yetkin، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد الزيوت، رسالة غير منشورة، أيار 2022م.

الجزء الخامس: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من الآية 25 من سورة النساء إلى الآية 55 من سورة الأنعام، إعداد: ثقي محمد صالح رمان، إشراف: الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، رسالة غير منشورة، آب 2022م.

الجزء السادس: تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039هـ) دراسة وتحقيق (من الآية 56 من سورة الأنعام، إلى نهاية الآية 49 من سورة يونس، إعداد: حنان العبويني، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد الزيوت، رسالة غير منشورة، آب 2022م.

وسيقوم الباحث بإتمام ما بدأوا به، بتحقيق (الجزء السابع) ابتداءً من الآية رقم (50) من سورة يونس، ولغاية الآية (17) من سورة الإسراء.

إلا أن هناك دراستين في منهج عبد الباقي التبريزي في تفسيره، وألفت هاتان الدراستان باللغة التركية، وهما:

1- شكر، علاء الدين، تفسير عبد الباقي التبريزي ومنهجه فيه، رسالة الماجستير، جامعة أولوداغ، بورصة تركيا، 1996م.

Şükür, Alaaddin (1996). **Abdülbaki Tebrizi'nin tefsiri ve tefsirdeki metodu**. Yayınlanmamış yüksek lisans tezi. Uludağ Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü.

2- شكر، علاء الدين، منهج عبد الباقي التبريزي في تفسيره "تفسير القرآن المجيد"، مجلة البحوث الإسلامية، صامسون، 2018م، العدد: 6، ص: 6-46.

ŞÜKÜR, Alaaddin, “**Abdülbâkî Et-Tebrîzî'nin Tefsîru'l-Kur'ânî'l-Mecîd Adlı Eserindeki Metodu**”, İslam Bilimleri Araştırmaları Dergisi, Samsun, 2018, Sayı: 6, s. 6-46.

ولم يتمكن الباحث من الاطلاع على الدراسة الأولى؛ لأنها رسالة غير منشورة. أمّا الثانية فقد اطلع الباحث عليها، وهي مقالة موجزة حول منهج المؤلف في تفسيره؛ حيث ذكر المؤلف مثلاً أو مثالين على المناهج التي اتبعها المفسر، دون أن يأتي بتفاصيل كلّ منها.

وتتميز هذه الدراسة عن هاتين الدراستين بالقسم الثاني منها، الذي سيتم فيه تحقيق تفسير التبريزي من الآية (50) من سورة يونس، إلى الآية (17) من سورة الإسراء، كما أنها تتميز ببيان تفاصيل المناهج التي اتبعها المفسر في تفسيره بناءً على القسم المحقق.

منهج الدراسة:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة تتبع المناهج الآتية:

1- **المنهج التحقيقي:** وذلك باتّباع الخطوات الإجرائية في الأعمال التحقيقية، نحو: ضبط النص، وتوثيق المعلومات من مظانّها، وغير ذلك؛ لإخراج النص وفق معايير البحث العلمي الحديث، والحرص على إخراجه كما أراد له مؤلفه أن يكون.

2- **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء حياة المؤلف، والنسخ المخطوطة، والمصادر والمراجع المعينة على إخراج النص.

3- **المنهج التحليلي:** وذلك بدراسة المسائل العلمية الواردة في النص المحقق، وتأصيلها، والتعليق عليها.

4- **المنهج الوصفي:** وذلك لبيان منهج التبريزي وطريقته في التفسير، وأهم ميزاتهِ والمآخذ عليه، ووصف النسخ الخطية لتفسيره.

إجراءات الدراسة في قسم التحقيق

1- جمعتُ النسخ الخطية لتفسير التبريزي، وهي خمس نسخ خطية، سيأتي وصفها إن شاء الله.

2- نسختُ النص المحقق من المخطوط (من الآية 50 من سورة يونس، إلى الآية 17 من سورة الإسراء) وفقاً لقواعد الرسم الإملائي، واعتمدت في ذلك على نسخة مكتبة (داماد إبراهيم باشا)، الملحقة بالمكتبة السليمانية في إسطنبول؛ لتكون هي الأصل، ورمزت لها بالرمز (د)، ورجعتُ إلى النسخ الأربعة المتبقية للمقابلة، وهي: نسخة مكتبة (فيض الله أفندي) بإسطنبول، ورمزت لها بالرمز (ض)، ونسخة مكتبة (يوسف آغا) بمدينة قونيا، ورمزت لها بالرمز (غ)، ونسخة المكتبة الحميدية الملحقة بالمكتبة السليمانية، ورمزت لها بالرمز (م)، ونسخة مكتبة (عمّوجّه زاده حسين باشا) الملحقة بالسليمانية، ورمزت لها بالرمز (ش).

3- وأثبتتُ الفروق بين النسخ في الهامش، واعتمدت نسخة داماد إبراهيم أصلاً؛ لكونها أقرب النسخ إلى تاريخ وفاة المؤلف، ولقلة الأخطاء اللغوية والسقط منها، إلّا أنني وجدت مراراً أن الألفاظ أو العبارات وردت في غير نسخة الأصل بشكل أصحّ وأدقّ ممّا في الأصل، ولعلّ السبب في ذلك كون كلّ النسخ منسوخة من نسخ أخرى، وليست أي واحدة منها بخط المؤلف، فبعد المقابلة بين النسخ، قمتُ بإثبات اللفظ الأصحّ والأدقّ من النسخ الأخرى ولو لم تكن النسخة الأصل، ثم أشرتُ إلى ذلك في الهامش.

4- وضعتُ السقط بين المعقوفتين []، سواء كان من الأصل أو من غيرها.

5- كتبتُ الآيات وفق الرسم العثماني بين أقواس مزهرة، وعزوتها في النص بذكر اسم السورة ورقم الآية بين المعقوفتين، وأما القراءات القرآنية فكتبتها بين قوسين مع تشكيل كلماتها كاملةً.

6- خرّجْتُ القراءات القرآنية -المتواتر منها والشاذّ- من مظانّها الأصلية، مع عزوها إلى أصحابها، وبيان تواترها وشذوذها، وفي حالة عدم وجودها من كتب القراءات -نادراً-، خرّجتها من كتب علوم القرآن والتفاسير المعنية بالقراءات؛ نحو: كتب معاني القرآن، وكتب إعراب القرآن، وتفسير الزمخشري، والطبري، وأبي حيان الأندلسي.

7- خرّجْتُ الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، فإن وجدتْها في الصحيحين اكتفيت بذكرهما، وإن لم أجد فيهما فمن الكتب الستة، ثم من الكتب التسعة، ثم من المعاجم والتفاسير المسندة، وذلك بذكر رقم الحديث والمجلد والصفحة، وأتبعْتُ ذلك بحكم علماء الحديث عليه إن وُجِدَ ذلك.

8- عزوت الأشعار إلى دواوين أصحابها -إن أمكن ذلك-، وإن لم أجد أشرتُ إلى مكانها في المعاجم والقواميس القديمة، أو المصادر الأخرى ككتب اللغة والنحو، مع ضبطها وتشكيلها، وإتمام أبياتها في الهامش إن ذُكرت في المتن ناقصة، وشرح ما احتاج إلى الشرح من ألفاظها.

9- حاولت تشكيل الأحاديث، والأشعار، وأغلب الألفاظ، بخاصة المُشكِل منها.

10- أصَلْتُ للمسائل التي أشار إليها المؤلف؛ كالمسائل اللغوية، والعقدية، والفقهية، والفلسفية، وغيرها من مظانها الأصلية، مع ذكر خلاصة موجزة عن الموضوع في الهامش.

11- عرّفتُ المصطلحات التي أوردها المؤلف من مصادرها المعتمدة.

12- عرّفتُ بالأعلام غير المشهورين، وبالأماكن والبلدان الغريبة وغير المشهورة في أول ورود لها.

13- علّقت على المسائل التي تحتاج إلى تعليق.

14- وثّقت ما نقله المؤلف عن أهل العلم من الأقوال من المصادر الأصلية، وإن نقل نقلاً حرفياً وضعته بين علامتي التنصيص (" ")، مع الإحالة في الهامش، وإن نقل بالمعنى وثّقت في الهامش بعبارة (يُنظر).

15- قمتُ بخدمة النص، وذلك من خلال: علامات الترقيم، وشرح الألفاظ، والتعليق على النص بما يناسب.

16- استنبطت أبرز معالم منهج المؤلف وطريقة تفسيره، بناء على القسم المحقق في هذه الدراسة، وذكرتها في قسم دراسة المؤلف والمخطوط.

17- استخرجت أبرز ميزات تفسير التبريزي، وكذلك المآخذ عليه من خلال القسم المحقق.

18- قمتُ بعمل الفهارس العلمية والفنية.

حدود الدراسة:

هذه الدراسة مُقيّدة بالدراسة والتحقيق لـ (تفسير القرآن المجيد) للإمام عبد الباقي التبريزي، بدءاً من الآية رقم (50) من سورة يونس؛ من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 50]،

إلى نهاية الآية رقم (17) من سورة الإسراء وهي قوله جلّ وعلا: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17].

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تُقسم إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والمنهج المتبع فيها، وخطة البحث.

الفصل الأول: دراسة المؤلف والمخطوط

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والمؤلف، وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ولقبه، ومولده، وفاته

المطلب الثاني: طلبه العلم، ورحلاته العلمية، وشيوخه

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته

المطلب الرابع: اسم الكتاب، وتحقيق نسبته إلى التبريزي، والباعث في تأليفه

المبحث الثاني: منهج التبريزي في تفسيره، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: طريقة التبريزي في التفسير

المطلب الثاني: مصادر التبريزي في التفسير

أولاً: المصادر الأولية

ثانياً: المصادر الثانوية

المطلب الثالث: موقفه من قضايا علوم القرآن

أولاً: المكي والمدني

ثانياً: موقفه من أسباب النزول

ثالثاً: موقفه من الناسخ والمنسوخ

رابعاً: موقفه من القراءات القرآنية

خامساً: موقفه من الإسرائيليات

المطلب الرابع: منهجه في المسائل العقديّة والفقهية

أولاً: منهجه في المسائل العقديّة

ثانياً: منهجه في المسائل الفقهية

المطلب الخامس: استدراكاته على الزمخشري والبيضاوي

أولاً: استدراكاته على الزمخشري

ثانياً: استدراكاته على البيضاوي

المطلب السادس: القيمة العلميّة لتفسير التبريزي

أولاً: أهمّ ميزاته **ثانياً: أهمّ المآخذ عليه**

المطلب السابع: التعريف بالنسخ الخطية لتفسير التبريزي ووصفها

الفصل الثاني: قسم التحقيق، وهو: من الآية 50 من سورة يونس، إلى الآية 17 من سورة الإسراء.

سورة يونس (من الآية 50 إلى النهاية)

(11) سورة هود

(12) سورة يوسف

(13) سورة الرعد

(14) سورة إبراهيم

(15) سورة الحجر

(16) سورة النحل

(17) سورة الإسراء (إلى نهاية الآية 17)

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات.

المصادر والمراجع

الفصل الأول: دراسة المؤلف والمخطوط

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ولقبه، ومولده

المطلب الثاني: طلبه العلم، ورحلاته العلمية، وشيوخه

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته

المطلب الرابع: اسم الكتاب، وتحقيق نسبته إلى التبريزي، والباعث في تأليفه

المبحث الثاني: دراسة المخطوط، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: طريقة التبريزي في التفسير

المطلب الثاني: مصادر التبريزي في التفسير

المطلب الثالث: موقفه من قضايا علوم القرآن

المطلب الرابع: منهجه في المسائل العقديّة والفقهية

المطلب الخامس: استدراكاته على الزمخشري والبيضاوي

المطلب السادس: القيمة العلميّة لتفسير التبريزي

المطلب السابع: التعريف بالنسخ الخطية لتفسير التبريزي ووصفها

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والمؤلف

لم تقدم لنا المصادر معلومات كثيرة عن الإمام التبريزي، وذلك لأسباب، أهمها: حقيقة الأوضاع السياسية والفكرية التي كانت في زمانه - رحمه الله-، فقد تنقل التبريزي بين الدولة الصفوية، والدولة العثمانية، ولأن كثيراً ممن اعتنوا بترجمة التبريزي إنما هم من الفرس، وجل ما كتب عن حياته كان مكتوباً بالفارسية، إلا قليلاً مما تُرجم إلى العربية، مع الأخذ بالاعتبار أن المدون عنه إنما هو حبيب خزائن المخطوطات ومكتباتها.⁽¹⁾

المطلب الأول: اسمه، ولقبه، ومولده، وفاته.

هو المولى الجليل جمال السالكين، عبد الباقي التبريزي الخطاط الصوفي، المتخلص بـ(دانشمند) وأيضاً بـ(باقي). لم تذكر المصادر تاريخ ولادته واسم أبيه، كان فاضلاً عالماً محققاً. عاش في بغداد في عصر السلطان شاه عباس الماضي الصفوي - رغم أن أصله من تبريز-، كان معاصراً للسيد إبراهيم الهمداني،⁽²⁾ وكان بينهما مصادقة ومصافاة،⁽³⁾ وقد توفي سنة 1039هـ/1629م في أصفهان، بعد وفاة شاه عباس الأول بسنة.⁽⁴⁾ ومن ألقابه:

(1) يوسف، أحمد، تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، الجامعة الأردنية، 2021 (ص: 9).

(2) هو إبراهيم بن حسين الحسني الحسيني الهمداني (ت: 1026 هـ): عالم بالكلام والإلهيات. من أهل همدان. ولي القضاء فيها بعد أبيه، ولم يشتغل به. وكان له الحظوة عند الشاه عباس الأول. من كتبه (الأنموذجة الإبراهيمية) تعليقات على كتابي الشفاء والنجاة لابن سينا، و(حاشية على الكشاف). الزركلي، الأعلام، (ج1، ص: 36).

(3) الأصبهاني، الميرزا عبد الله أفندي، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، اهتمام: السيد محمود المرعشي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، (من منشورات مكتبة آية الله العظمى - إيران، 1403هـ)، (59/3).

(4) ينظر: بلوط، علي رضا قره وأحمد قره، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، (1521/2) (4231)، والتبريزي، عبد الباقي الملقب بـ(دانشمند) (المتوفى: 1039هـ)، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة (بالفارسية)، تحقيق: حبيب الله عظيمي، تهران، نشر آينه ميراث، الطبعة الأولى، 1378هـ، (ص: 20)، وتربيت، محمد علي، دانشمندان آذربيجان (بالفارسية)، (ص: 232).

1- دَانِشْمَنْد⁽¹⁾: هي كلمة مركبة من (دانش) بمعنى العلم، و(مند) إضافة تجعل الاسم صفةً،

بمعنى العالم، أو الحكيم، أو العارف. وأُطلقَ هذا اللقبُ في الدولة العثمانية على المعلمين.⁽²⁾

2- مَلّا⁽³⁾: بمعنى: سيّد، أطلق كلقب من ألقاب التفخيم والتشريف على قضاة العساكر⁽⁴⁾.

3- مِيرْ⁽⁵⁾ أو مِيرْزَا: وهو لقب كان خاصاً بأبناء ملوك إيران، أصله: (مير زاده) يعني: ابن الأمير.⁽⁶⁾

4- المولوي: المولوية جماعة صوفيّة تنسب نفسها إلى المولى جلال الدين الرومي (المتوفى:

672 هـ)، اتسعت دائرتها في العهد العثماني، حتى إنّ لفظ "مولوي" أصبح يُطلق على كلّ زاهد أو عالم كبير.⁽⁷⁾

المطلب الثاني: طلبه العلم ورحلاته العلمية، وشيوخه.

قضى التبريزي المرحلة الأولى من حياته التعليمية في تبريز، تعلّم الفلسفة والرياضيات، والعربية، والبلاغة إلى جانب العلوم الدينية، وبرع في الخط العربي والشعر، ولكن المصادر لم تذكر لنا شيوخه،

(1) ينظر: تبريزي، ميرزا محمد علي مدرس، ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية)، انتشارات خيام، 1374 هـ، (211 / 2)، وتربيت، محمد علي، دانشمندان آذربيجان (بالفارسية)، (ص: 229)، وبلوط، علي رضا قره وأحمد قره، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، (1521/2) (4231).

(2) ينظر: الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416 هـ-1996 م، (ص: 175).

(3) ينظر: نصر آبادي، ميرزا محمد طاهر أصفهاني، تذكره نصر آبادي (بالفارسية)، أرمغان للطباعة والتوزيع، طهران، 1317، (ص: 206).

(4) الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (ص: 407).

(5) ينظر: الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (123 / 9).

(6) ينظر: التتويجي، محمد، المعجم الذهبي (فارسي عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1969 م، (ص:

553)، والخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (ص: 415).

(7) الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (ص: 414).

إلا مصطفى دده⁽¹⁾ الذي انتسب إليه التبريزي في بغداد، وعلاء الدين التبريزي⁽²⁾ الذي تعلم منه فنون الخط⁽³⁾، وذكر صاحب رياض العلماء معاصرتة لإبراهيم الهمذاني.

ثم سافر إلى بغداد لتحصيل العلم، وكان مائلاً إلى التصوف، فانتسب هناك إلى (مصطفى دده)، وعاشه في "المولوي خانة"⁽⁴⁾ التابعة له⁽⁵⁾، وتعلم منه خط الثلث والنسخ، ولقب بـ(الصوفي) لانتسابه إليه وميله للتصوف، وتابع تحصيل العلوم في بغداد، وبرع في علوم شتى، لكنه اشتهر بالخط؛ لكونه علماً فيه.

ولما اشتهر التبريزي بحسن الخط دعاه شاه عباس الأول لكتابة خطوط مسجد سمّي (مسجد شاه)، والذي قام الشاه بإنشائه آنذاك في أصفهان، لكن التبريزي رفض دعوته، إلى أن استولى (شاه عباس) على بغداد عام 1033هـ، فأخذ التبريزي إلى أصفهان ليكتب خطوط المسجد فكتب، وكتابات التبريزي في هذا المسجد لا زالت موجودة حاملة عليها تواريخ كتابتها: 1035 و1036.⁽⁶⁾

(1) لم أجد عنه معلومة في المصادر، إلا أنه ليس دده مصطفى (المتوفى: 1538م) ابن الشيخ حميد الله أفندي الذي يُعد مؤسساً لمدرسة الخط العثماني، لأن مصطفى دده هذا عاش في تركيا ولم يُذكر في المصادر أنه سافر إلى غير الإسكندرية. ينظر: بيدابيش، حبيب أفندي (المتوفى: 1894م)، الخط والخطاطان، (ص: 165).

(2) هو الخطاط المشهور بـ(علا بك التبريزي)، من مشاهير الشعراء والخطاطين الإيرانيين، وله عدة لوحات وكتابات مصاحف بخطه في بعض المساجد في إيران، يعود تاريخ بعضها إلى عام 972هـ. ينظر: سامي، شمس الدين، قاموس الأعلام، إسطنبول، مطبعة مهران، 1311هـ، (4/3172).

(3) ينظر: التبريزي (المتوفى: 1039هـ)، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة (بالفارسية) (ص: 20)، والطهراني، (المتوفى: 1389هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (9/123)، وبيدابيش، حبيب أفندي (المتوفى: 1894م)، الخط والخطاطان، ترجمة: سامية محمد جلال، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 2010، (ص: 157).

(4) مولوي خانة: لفظ مركب أطلقه الناس في العهد العثماني على مكان فرقة المولوية أو مقارها. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م، (ص: 415).

(5) ينظر: نصر آبادي، ميرزا محمد طاهر أصفهاني، تذكره نصر آبادي (بالفارسية)، أرمغان للطباعة والتوزيع، طهران، 1317، (ص: 207)، والطهراني، محمد محسن بن علي رضا الشهير بـ(آغا بُزُرك) (المتوفى: 1389هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء بيروت، الطبعة الثانية، (9/123).

(6) ينظر: الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (9/123)، ورازي، أمين أحمد، تذكره هفت اقليم (بالفارسية)، تصحيح وتعليق: سيد محمد رضا طاهري، طهران: كتابخانه ملا إيران، 1378هـ (2/1412)، وتربيت، محمد علي، دانشمندان آذربيجان (بالفارسية)، اهتمام: غلام رضا طباطبائي مجد، سازمان للنشر والتوزيع، تهران، الطبعة الأولى،

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته

كان التبريزي عالماً في اللغة، والتفسير، وعلم كلام، والرياضيات، والأدب الفارسي، والفلسفة والمنطق، والخط، وكان زاهداً متصوفاً من كبار المتصوفة، كما أفاده علماء التراجم، وكما يُفهم من مؤلفاته، وأشعاره، وبعض رسائله، فالقارئ لتفسير التبريزي يرى أنه كان عالماً محققاً بارعاً في علوم اللغة؛ كالنحو والصرف والبلاغة، وفي علوم الشريعة؛ كالفقه والعقيدة - خاصة عقيدة أهل السنة والمعتزلة-، وعلوم أخرى نحو: علم المنطق.

أما مؤلفاته فهي كالآتي:

- 1- **تفسير القرآن المجيد:** وهو تفسير كامل للقرآن الكريم، الذي يتم تحقيق جزء منه في هذه الدراسة. وقد اتفق علماء التراجم على نسبته إلى التبريزي واشتهر عندهم بـ(تفسير التبريزي)⁽¹⁾، ويوجد في المكتبات الإسلامية خمس نسخ خطية له.
- 2- **منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة (بالفارسية):** وهو شرح مبسوط لكتاب نهج البلاغة المنسوب إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وقد حققه حبيب الله عظيمي، وتم نشره عام 1378هـ.
- 3- **شرح الصحيفة الكاملة السجادية (بالفارسية):** وهو كتاب مبسوط عن التصوف والعرفان.
- 4- **ديوان شعر (بالفارسية):** لم تذكر المصادر شيئاً عن نسخه، إلا أن الطهراني قال في كتابه الذريعة: ورأيت قطعة من ديوانه ضمن مجموعة في كتب الشيخ موسى الأردبيلي في النجف.⁽²⁾
- 5- **الرسالة الصوفية الفلسفية التي أرسلها إلى إبراهيم الهمداني (بالفارسية):** عرّف بنسخها أيضاً الطهراني، وقال عنها: "مكتوب عبد الباقي التبريزي صاحب 'منهاج الولاية' الآتي إلى ميرزا إبراهيم الهمداني، مكتوب فلسفي عرفاني ذكر فيه أنه..."، ثم نقل عن الرسالة مقطعاً بالفارسية.⁽³⁾

1378هـ (ص: 230)، وآلب أرسلان، علي، مادة "عبد الباقي التبريزي" موسوعة وقف الديانة التركي الإسلامية، إسطنبول، 1988م، (1/ 200)،

(1) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (4/ 280)، وبلوط، علي رضا قره وأحمد قره، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، (2/ 1521).

(2) ينظر: الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (9/ 2/ 682).

(3) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (22/ 168)،

وقد يتبادر إلى الذهن أثناء البحث في ترجمة التبريزي أنه صوفي متطرف من الشيعة، حيث لُقّب بـ(المولوي)، ووُصف تفسيره بأنه على الطريقة الصوفيّة، وأكثر ترجمته جاء في مؤلفات الإيرانيين، لكنه ليس صوفياً متطرفاً وليس شيعياً، بل كان عالماً زاهداً، واعتقاده كان اعتقاد أهل السنة والجماعة⁽¹⁾، ويتضح ذلك بوضوح من تفسيره؛ فإني لم أطلع له على رأي صوفي متطرف، أو تشيع، في القسم الذي تمّ تحقيقه في هذه الدراسة.

المطلب الرابع: اسم الكتاب، وتحقيق نسبته إلى التبريزي، والباحث في تأليفه

أولاً: اسم الكتاب:

ذكرت أغلب كتب التراجم هذا الكتاب باسم (تفسير التبريزي)، إلا القليل منها نصّ على اسم الكتاب بـ(تفسير القرآن المجيد) كما نصّ عليه صاحب رياض العلماء⁽²⁾ وأما التبريزي فلم ينصّ على اسم تفسيره بـ(تفسير القرآن المجيد)، إلا أنه قال في مقدمة تفسيره: "ثم أُخْبِرْتُ وأُشْعِرْتُ بأنّ المثنويّ الشريف⁽³⁾ محتوٍ على أسرار القرآن المجيد، ومنطبق عليه."⁽⁴⁾ ومن عاداته أن يسمّي القرآن بـ(الكلام المجيد) كما ورد في القسم المحقّق من هذه الدراسة، ولذلك كانت هذه التسمية أقرب إلى الصواب.

ثانياً: تحقيق نسبته إلى التبريزي:

أمّا نسبة هذا التفسير إلى التبريزي فهي مما اتّفق عليه كلّ من ترجم له، ولم يرد أي شبهة في نسبته إليه.

(1) هذا مما نصّ عليه محقّقو الأجزاء السابقة من تفسير التبريزي، ومما تبين في القسم المحقق من هذه الرسالة، ينظر: يوسف، أحمد، تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، (ص: 13).

(2) الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، (3/ 59).

(3) وهو كتاب مشهور لجلال الدين محمد بن محمد البلخي، ثم القنوي (المتوفى: 670هـ)، اعتنى عليه طائفة المولوية، وغيرهم. وقد ترجم إلى التركية، شرح، وطبع بها بالعربية وبالفارسية، وهو منظومة صوفية فلسفية في 25700 بيت، في ستة أجزاء. ينظر: خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (المتوفى: 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد، 1941م، (2/ 1588)، والزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، (7/ 30).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 2).

ومن جملة الأدلة التي تدعم صحة نسبة هذا التفسير إلى التبريزي: تصريحه في مقدمة تفسيره على اسمه، حيث قال: "فيقول العبدُ الضعيفُ المحتاجُ إلى ربِّه القويِّ، عبد الباقي التبريزيِّ المولوي: لما رزقني الله سبحانه في عُنفوانِ شبابي حين اشتعالِ شهابي، ملازمةً الفضلاءِ الكاملين، من العلماءِ المشتهرين...⁽¹⁾" كما صرح بنسبته إليه في خاتمة التفسير حيث قال: "قال مؤلفه الفقير عبد الباقي التبريزيِّ المولوي، أقلُّ العباد، متضرعاً إلى ربِّه...⁽²⁾"، ونسبة هذا التفسير إليه أصحاب كتب التراجم كالطهراني في كتابيه الذريعة⁽³⁾ والروضة النضرة⁽⁴⁾ والأصبهاني في كتابه رياض العلماء⁽⁵⁾. وهذه الأدلة كافية للقطع بنسبة هذا التفسير إلى التبريزي.

ثالثاً: الباحث إلى تأليفه:

تحدث التبريزي عن سبب تأليفه للتفسير موجزاً في مقدمة تفسيره، وبين أنه قضى أوقاتاً طويلة بالتفكير والتدبر في تفسير البيضاوي، ووجده في نهاية مراتب الإيجاز مستدعياً للكشف والإيضاح، وتبين له أن هذا الأمر لا يمكن إلا بالنظر إلى تفسير الزمخشري بعين الإنصاف، والمقارنة بينهما، فعكف على إنجاز هذا الأمر، فألف تفسيره، حيث قال: "فاجتهدت في توضيح ما بينهما من الموافقة بنحو من البيان، وتمييز ما بينهما من المخالفة بقدر الوُسع والإمكان، وقيدت ما استفدت بالكتابة، وألبستُ صورة العبارة، فصار قبل الإتمام مجموعاً عظيماً الحجم طويلاً الذيل...⁽⁶⁾"

وأما عن تاريخ البدء به، فلم يذكر التبريزي تاريخ البدء بكتابة هذا التفسير، ولكن يظهر من كلامه في مقدمة تفسيره أنه بدأ بكتابته قبل رحلته إلى بغداد ومكوثه فيها، حتى جاء بغداد، وبلغ الحافظ أحمد باشا خبره، فاستدعاه وطلب منه إكمال تفسيره، حيث يقول: "فتركته في بُعَةِ الخفاء والنسيان، وأخفيته في مخزنِ الأقول عن أهل الزمان"، حتى قال: "حتى انتهت نوبة المحافظة في محروسة بغداد إلى الوزير

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 1).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 493).

(3) الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، (4/ 280)، وبلوط، علي رضا قره وأحمد قره، معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، (2/ 1521).

(4) الطهراني، آغا برزك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، (8/ 312).

(5) ينظر: الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، (3/ 59).

(6) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 2).

الحافظ أحمد باشا، فأخبر عن حقيقة أحوالي، وانزواني في زاوية الخفاء، واطَّلَعَ على صيرورة تألّفي الناقص المعهود، فجعلني مخصوصاً بمزيد عنايته، وخصّصني بكمال شفقتِه، بالرغبة والاهتمام في تحضيضي وترغيبني على تكميله وإتمامِه.⁽¹⁾



(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 2)، ورزق، أحمد يوسف، تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، رسالة غير منشورة، إشراف: د. جهاد نصيرات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2020-2021م، (ص: 17).

المبحث الثاني: منهج التبريزي في تفسيره

المطلب الأول: طريقة التبريزي في التفسير

المطلب الثاني: مصادر التبريزي في التفسير

المطلب الثالث: موقفه من قضايا علوم القرآن

المطلب الرابع: منهجه في المسائل العقديّة والفقهية

المطلب الخامس: استدراكاته على الزمخشري والبيضاوي

المطلب السادس: القيمة العلميّة لتفسير التبريزي

المطلب السابع: التعريف بالنسخ الخطية لتفسير التبريزي ووصفها



المبحث الثاني: منهج التبريزي في تفسيره

المطلب الأول: طريقة التبريزي في التفسير

لم يتبع التبريزي طريقة معيّنة في تفسير الآيات كما هو حال أكثر المفسرين، إلا أن هناك بعض الملامح لطريقة التبريزي في تفسيره، تلفت نظر القارئ، منها: بدئه ببيان معاني مفردات الآية، وبدئه بتقدير ما حذف في الآية، وبدئه بذكر مناسبة الآية لما قبلها، وذكره كلام الزمخشري والبيضاوي، فالمقارنة بينهما والتحقيق في كلامهما والتعقيب عليهما، وغير ذلك. ويمكن القول بأن هذه الأمور لا تختلف كثيراً مما تبعه التبريزي في الأجزاء السابقة -التي تم تحقيقه من قبل زملاء- إلا أن هنا تم إتيان أمثلة من القسم المقرر تحقيقه في هذه الدراسة.

ومن الأمثلة على طريقة التبريزي في التفسير ما يأتي:

يلاحظ أن التبريزي يهتم بالمسائل اللغوية في تفسيره اهتماماً بالغاً، فيبدأ ببيان إعراب مفردات الآية ومعانيها في اللغة عند شروعه في تفسير الآية، ومن الأمثلة على بدئه بذكر إعراب مفردات الآية ثم ذكره التفسير بناء عليه: قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: 2]: "(أن) مصدرية في موقع العلة بتقدير اللام. ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل: قال لا تعبُدوا إلا الله." (1)

وأحياناً يذكر التفسير، ثم يبين وجوه الإعراب ومعاني المفردات، كما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ [يوسف: 44] حيث قال: "أي: هذه أضغاث أحلام؛ على تقدير المبتدأ. وأضغاث الأحلام: تخاليطها، وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس، أو وسوسة شيطان. و(الضغث) في الأصل: ما جمع من أخلاط النبات، وحزم، و(أضغاث) جمعه؛ استعيرت للرؤيا الكاذبة. وإضافتها إلى الأحلام بمعنى (من)؛ لأنها نوع من الأحلام." (2)

ومن الأمثلة على مقارنته بين تفسيري الكشاف وأنوار التنزيل والترجيح بينهما مع ذكر الأدلة، قوله في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: 77] حيث قال: "أي: هو

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 215).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 226).

أَقْرَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ تَرَخَى، كَمَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ فِي الشَّيْءِ الَّذِي تَسْتَقْرِئُونَهُ: هُوَ كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، إِذَا بَالَعْتُمْ فِي اسْتِقْرَائِهِ. "كذا في الكشف".⁽¹⁾

قال البيضاوي: "وما أَمُرُ قِيَامَ الْقِيَامَةِ فِي سُرْعَتِهِ وَسَهُولَتِهِ ﴿إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ﴾: إِلَّا كَرَجْعِ الطَّرْفِ مِنْ أَعْلَى الْحَدَقَةِ إِلَى أَسْفَلِهَا، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بِأَنْ يَكُونَ فِي زَمَانٍ نِصْفُ زَمَانِ تِلْكَ الْحَرَكَةِ، بَلْ فِي الْآنِ الَّذِي يَبْتَدِئُ فِيهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُخَيِّي الْخَلَائِقَ دَفْعَةً، وَمَا يُوجَدُ دَفْعَةً كَانَ فِي آنٍ."⁽²⁾

وفيه أَنَّ الْحَشَرَ لَيْسَ مَخْضُ الْإِحْيَاءِ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِخْرَاجِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءً، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7]، وَهُوَ لَا يُتَصَوَّرُ بِدُونِ الْحَرَكَةِ، وَالْحَرَكَةُ زَمَانِيَّةٌ. وَيَلْزَمُ أَيْضاً أَنْ يُتَكَلَّفَ فِي (أَوْ) بِجَعْلِهَا بِمَعْنَى (بَلْ)؛ لِأَنَّ التَّزْدِيدَ فِي إِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ صَحِيحٍ. وَجَوَزَ الْبَيْضَاوِيُّ كَوْنَهَا لِلتَّخْيِيرِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ التَّخْيِيرَ أَيْضاً فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا تَظْهَرُ صَحَّتُهُ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ وَتَكْلُفٍ، فَالْأَحْسَنُ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ."⁽³⁾

فهذه بعض الأمثلة التي تُظْهِرُ طَرِيقَةَ التَّبْرِيزِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ التَّبْرِيزِيَّ يَسْلُكُ فِي تَفْسِيرِهِ طَرِيقَةَ التَّحْقِيقِ وَالتَّنْقِيقِ لِلتَّرَاثِ التَّفْسِيرِيِّ، وَتَأْصِيلِ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ -اللُّغَوِيَّةِ وَالْعَقْدِيَّةِ وَالْفَقْهِيَّةِ- مِنْ مِثَالِهَا، مَعَ تَجَنُّبِ الْإِيجَازِ الْمَخْلُ وَالْإِطْنَابِ الْمَمْلِ.

المطلب الثاني: مصادر التبريزي في التفسير

يمكن تقسيم المصادر التي استفاد منها التبريزي إلى قسمين: المصادر الأولية، والمقصود بها: استفادته من القرآن، والسُّنَّةِ، وأقوال الصحابة والتابعين، واللُّغة. والمصادر الثانوية، والمقصود بها: الكتب التي رجع إليها التبريزي في بيان المسائل في التفسير.

(1) الزمخشري، الكشف، (2/ 623).

(2) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ. (3/ 235).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 247).

أولاً: المصادر الأولية:

لقد بين العلماء أحسن طرق التفسير، واعتبروها طرقاً متتابعة متتالية، كأنها مراحل عدة، وهي: تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم تفسيره بأقوال التابعين، ثم تفسيره باللغة العربية، ثم استنباط معانيه، ودلالاته، وأحكامه.⁽¹⁾

ومن الأمثلة على توظيف التبريزي لهذه المصادر في تفسيره:

1- استفادته من القرآن الكريم:

استفاد التبريزي من القرآن الكريم في التفسير، واعتمد عليه في قضايا تفسيرية عدة، منها: بيان معنى الآية، وبيان معنى مفردات الآية، وتخصيص العام، ونقد أقوال المفسرين، وإزالة المعاني المحتملة غير المرادة، والاستشهاد على تفسيره بالآيات الأخرى، وتوضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

أ- بيان المراد من الآية بآية أخرى: ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]، حيث فسر الأجل المسمى المذكور في الآية بأوائل سورة التكويد، حيث قال: "أي: كلُّ منها نجري بالحركة لغاية معينة عند الله، وهي ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وإذا النجوم انكدرت⁽²⁾ [التكويد: 1-2]، ويجوز أن يكون المراد: كلُّ منهما ومن سائر الكواكب السيارة المركوزة في السماوات المذكورة، فإنَّ لكلِّ منها أيضاً حركة خاصة..."⁽²⁾

ب- تخصيص العام: مثاله ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: 109]، حيث قال: "من المكذبين بالرسل، بقرينة قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]"⁽³⁾. فقد خصص ما ذكر عامًّا في قوله تعالى: ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: 109] بالمكذبين بالرسل، بناءً على ما ذكر في سورة آل عمران.

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429هـ، 2008م، (ص: 67).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 231).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 230).

وبالمقابل، قد يردُّ التبريزي ما خُصَّصَ من القرآن، إن كان هذا التخصيص يتعارض مع ما ذكر في آيات أخرى، ومثال ذلك: رده القول المنسوب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- في أنواع جهنم، في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 44]، فقال التبريزي:

"يَدْخُلُونَهَا مِنْهَا. وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها؛ فأغلاها للمُوحِّدين العاصين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصَّابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وعن ابن عباس: «أنَّ جهنمَ لِمَنْ ادَّعى الرُّبوبيَّةَ، وَلَطَّى لِعَبْدَةِ النَّارِ، وَالْخَطْمَةُ لِعَبْدَةِ الْأَصْنَامِ، وَالسَّقَرُ لليهود، وَالسَّعِيرُ لِلنَّصَارَى، وَالْجَحِيمُ لِلصَّابِئِينَ، وَالْهَاقِيَةُ لِلْمُوحِّدِينَ»، كذا في الكشاف،⁽¹⁾ ولا يخفى أنَّ هذا التخصيص ممَّا لا يُلائمُهُ ما في الكلام المجيد من وَعِيدِ الْكَلِّ بِكُلِّ مِنْهَا.⁽²⁾ فهنا ردُّ التبريزي الكلام الذي خُصَّصَ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، راجعاً إلى القرآن الكريم نفسه.

ت- الاستشهاد على تفسيره بالآيات الأخرى: يستشهد التبريزي على تفسيره بآيات أخرى، ومن ذلك قوله: "كما قال..."، أو "ونحوه"، فيذكر الآيات كشواهد على تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك: فسّر التبريزي ﴿الضَّالُّونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56] قائلاً: "أي: الْمُخْطِئُونَ طريق المعرفة، فَيَكْفُرُونَ"، ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].⁽³⁾

ث- مناقشة الأقوال التفسيرية بالرجوع إلى القرآن نفسه: يرجع التبريزي إلى القرآن الكريم عند مناقشة أقوال المفسرين، فيرد ما لا يوافق عليه منها من خلال ما ذكر في الآيات الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك: مناقشته كلام الزمخشري في قضية استغفار المؤمن للكافر أو المشرك، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [إبراهيم: 41]: "قيل في وجه استغفاره لأبيه وهو كافر: إنَّ الاستغفار للكافر حين حياته غير منهي عنه؛ لأنَّه في قوَّة طلب الإيمان له. قال صاحبُ الكشاف في جواب هذا الإيراد: "قلْتُ هو من مُجَوِّزَاتِ الْعَقْلِ، لا يُعلم امتناعُ جَوَازِهِ إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ، انتهى.⁽⁴⁾ يعني أنَّ حُرْمَةَ

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 579).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(3) ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 562).

الاستغفار للمشرِكِينَ إِنَّمَا تَثْبُثُ بِالنَّهْيِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْحُرْمَةُ قَبْلَ وُرُودِ النَّهْيِ، لَكِنَّ الْمُتَبَادِرَ مِمَّا ذُكِرَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: 113] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ⁽¹⁾ أَنَّ النَّبِيَّ -أَيَّ نَبِيِّ كَانَ- لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لِمَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ مطلقاً، سواءً وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهُ أَوْ لَا، فَتَدَبَّرْ. ⁽²⁾ فَيُلاحَظُ أَنَّ التَّبْرِيزِيَّ رَدَّ عَلَى كَلَامِ الزَّمَخْشَرِيِّ الْمَوْهَمِ بِأَنَّ الْعَقْلَ قَاضٍ وَحَاكِمٌ فِي تَجْزِيزِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَافِرِ أَوْ الْمَشْرِكِ، رَاجِعاً إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ.

ج- **إزالة المعاني المحتملة غير المرادة:** يعتمد التبريزي في إزالة المعاني المحتملة ويردها على القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42] قال التبريزي: "يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَصْدِيقاً لِإِبْلِيسَ فِيمَا اسْتَنْتَاهُ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْإِضَافَةُ فِي ﴿عِبَادِي﴾ لِلْعَهْدِ، يَعْنِي: إِنَّ عِبَادِي الْمَخْلَصِينَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ لِيَتَّقَرَ عَلَى إِغْوَائِهِمْ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَكْذِيباً لَهُ فِيمَا أُوْهِمَ أَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى غَيْرِ الْمَخْلَصِينَ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْإِضَافَةُ لِلْإِسْتِغْفَارِ. لَكِنَّهُ لَا يُلَاحَظُ مَا فِي سُورَةِ النَّحْلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل: 100]."⁽³⁾

2- استفادته من السنة النبوية:

إن السنة النبوية الصحيحة تُعدُّ مصدراً بعد القرآن الكريم لتفسير كلام الله تعالى، وهي شارحة للقرآن؛ سواء كانت قولية أو فعلية أو تقريرية. ويمكن تقسيم تفسير القرآن بالسنة إلى نوعين؛ الأول: يَكُرُّ التفسير النبوي للآية، والثاني: التفسير بالأحاديث النبوية،⁽⁴⁾ وكلا النوعين مما لاحظته في تفسير التبريزي، إلا أنه يمكن القول بأنَّ التبريزي قد خلط في تفسيره بين الصحيح والضعيف من الأحاديث، فلم يقتصر استشهاده بالأحاديث على الصحيح، بل استشهد بالضعيف والموضوع أحياناً، لكن أغلب المرويات الضعيفة في تفسيره كانت في مجال فضائل السور، لا في قضايا تفسيرية متعلقة بتفسير الآيات مباشرة.

(1) وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113]

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 238).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(4) ينظر للتفاصيل: الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، التحرير في أصول التفسير، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، 1438هـ-2017م، (ص: 63).

ومن خلال القسم الذي حققته وجدت التبريزي يستفيد من السنة النبوية في قضايا تفسيرية عدة، منها: نقل التفسير النبوي للآية مباشرة، والتفسير بالأحاديث الشريفة وإن لم ترد في سياق التفسير، ونقد الأقوال التفسيرية بالأحاديث الشريفة، وبيان المجل، وذكر الأحاديث استشهاداً، وتفصيل ذلك بالأمثلة الآتية:

أ- ذكره التفسير النبوي للآية مباشرة: يذكر التبريزي التفسير النبوي للآية مباشرة فيبني تفسيره عليه، مثال ذلك: تفسيره لمعنى الصبر في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18] حيث قال: "خبرٌ محذوف، أي: فأمرى صبرٌ جميلٌ. ويجوز أن يكون مبتدأً لكونه موصوفاً على حذف الخبر، تقديره: فصبرٌ جميلٌ أجملٌ. والصبرُ الجميلُ جاء في الحديث المرفوع: «أَنَّهُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ»⁽¹⁾»⁽²⁾.

ب- التفسير بالأحاديث الشريفة: وإن لم يقلها النبي -صلى الله عليه وسلم- في سياق التفسير، ومثال ذلك: قوله في تفسير كلمة الإحسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، حيث قال: "«وَالْإِحْسَانُ»: إحسان الطاعات، وهو إما بحسب الكمية كالنطوع بالنوافل، أو بحسب الكيفية"، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽³⁾»⁽⁴⁾ ففسر الإحسان ب(إحسان الطاعات) كما في الحديث.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في باب: باب في الصبر على المصائب برقم (9603)، عن الحسن بن عمرو قال: سَمِعْتُ بَشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ: «الصَّبْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ إِلَى النَّاسِ»، وأخرجه الطبري في تفسيره من حَبَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ - وَهُوَ تَابِعِي ثَقَّةٌ عَرَفَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ - قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18] قَالَ: «صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ». قَالَ: «مَنْ بَتَّ فَلَمْ يَصْبِرْ»، هذا مرسل. ونقله ابن كثير عن هشيم، ثم قال: وهذا مرسل. الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 585)، وابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 375)، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، النسبي (المتوفى: 354هـ)، الثقات، اعتناء: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ-1973 م، (4/ 181).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 223).

(3) حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 115) في كتاب تفسير القرآن باب: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] برقم (4777)، ومسلم في صحيحه (1/ 39) في كتاب الإيمان باب: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، برقم (9)، وابن ماجه (1/ 25) في باب في الإيمان برقم (64).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 248).

ت- إعمال الأحاديث الشريفة في نقد الأقوال التفسيرية: إن من منهج التبريزي في التفسير أن يُخضع الأقوال التفسيرية للنقد حسب الأصول التفسيرية، فيعرضها على القرآن والسنة النبوية، فإذا خالفت ما ثبت في القرآن السنة يردّها، ومن الأمثلة على ردّه الأقوال التفسيرية استناداً إلى الأحاديث الشريفة: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: 1]، حيث قال: "ليس معناه أنهم للدعوة العامة، بل معناه: أنهم رُسُلٌ إلى الأنبياء، أو إلى الملائكة. وقيل: لم يُرسلوا إلى الأنبياء إلا مُمَثِّلِينَ بصورة البشر. وهو مردود بما روي أنه صلى الله عليه وسلم: رأى جبريل على صورته التي هو عليها مرّتين^[1]»^[2]. فردّ التبريزي القول بأن الملائكة لم يرسلوا إلا ممثلين بصورة البشر بالحديث الذي نصّ على رؤية نبينا -صلى الله عليه وسلم- جبريل عليه السلام على صورته مرتين.

ث- بيان المجمع: يحاول التبريزي تبين ما أجمل في القرآن راجعاً إلى السنة كما فعل في تعيين "المسجد الحرام" المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَايَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1]، فقال التبريزي: "المسجد الحرام على ظاهره، كما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَجْرِ عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْطَانِ

(1) أخرج مسلم في صحيحه (1/ 159) برقم (177) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»

وأخرج البخاري في صحيحه (6/ 141) برقم (4855) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ» والترمذي في سننه (5/ 395) برقم (3278) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رَأَى جِبْرِيلَ، لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ». وأحمد بن حنبل في مسنده (40/ 275) نحوه عن عائشة رضي الله عنها.

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 245).

إِذْ أَنَا نِي جَبْرِيلُ بِالْبَرَقِ»⁽¹⁾»⁽²⁾، فحمل التبريزي معنى المسجد الحرام هنا على ظاهره، بينما كان هناك قول آخر يحمله على أنه الحرّم كلّهُ،⁽³⁾ وذلك استناداً إلى الحديث الشريف المذكور.

ج- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية: يلاحظ أن التبريزي يستشهد بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية في التفسير، مثال على ذلك: استشهاده على صدور الروح من الله تعالى بلا واسطة شيء، في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29]، حيث استشهد بحديث موضوع

(1) حديث صحيح: ثبت حديث الإسراء والمعراج بعدة روايات: مختصرة ومطولة، وفي بعض الروايات زيادات لا تصح، فرواه أنس بن مالك ومالك بن صعصعة رضي الله عنهما برواية: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجْرِ- مُضْطَجِعًا إِذْ أَنَا نِي...» أخرجه البخاري في صحيحه (52 / 5) في كتاب مناقب الأنصار باب المعراج برقم (3887)، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم (3207)، وأحمد بن حنبل في مسنده (29 / 374) برقم (17835)، ووراه مسلم في صحيحه (1 / 150) في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرضي الصلوات برقم (164)، ورواه الترمذي مختصراً في سننه (5 / 443) في باب: ومن سورة ألم نشرح، برقم (3346)، وقال: وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن حبان في صحيحه (1 / 236) برقم (48)، والبيهقي في السنن الصغير (1 / 104) برقم (253).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 251).

(3) نسبه الطبري إلى البعض حيث قال: "وأما قوله (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فإنه اختلف فيه وفي معناه، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد." الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17 / 330).

قائلاً: "كما قال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي»⁽¹⁾ وبعبارةٍ أخرى: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ»⁽²⁾ إشارةً إلى هذا الجوهر النُّوراني.⁽³⁾

3- استفادته من أقوال الصحابة والتابعين:

الصحابي: مَنْ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مسلماً ومات على ذلك،⁽⁴⁾ والمقصود بتفسير الصحابة: بيانهم معاني الآيات، وتفسيرهم في غاية الأهمية؛ لأنهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهم الذين شهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن. وأمّا التابعي: فهو من لقي الصحابي وهو مؤمن، ومات على ذلك،⁽⁵⁾ وأهمية تفسيرهم تكمن في كونهم تلاميذ الصحابة الكرام، وأنهم عاشوا في زمن الاحتجاج اللغوي.

ويظهر في تفسير التبريزي اهتمامه بأقوال الصحابة والتابعين، حيث يرجع كثيراً إلى أقوالهم، وبخاصة أقوال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم

(1) حديث موضوع: قال علي القاري بعد ذكر هذا القول وأمثاله: وفي الخلاصة قال الشَّيْخُ قَدْ صُنِفَتْ كُتُبٌ فِي الْحَدِيثِ وَجَمِيعُ مَا اخْتَوَتْ عَلَيْهِ مَوْضُوعٌ. الهروي، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى)، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص: 404).

(2) حديث موضوع: روى الحديث بأسانيده ابن الجوزي في الموضوعات (1/ 174 - 176)، ثم قال: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال ابن قدامة: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ النَّاسِ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ". فقال: هذا موضوع، ليس له أصل. وقال الصغاني: فَمِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ قَوْلُهُمْ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ"، قَالَ: أَقْبَلُ فَأَقْبَلُ... الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ. ينظر: ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي (المتوفى: 620هـ)، المنتخب من علل الخلال، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الراجعية للنشر والتوزيع، (1/ 87)، والصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد القرشي الحنفي (المتوفى: 650هـ)، الموضوعات، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الثانية، 1405 هـ، (ص: 35). ينظر أيضاً: السيوطي، (المتوفى: 911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، (1/ 120).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 240)،

(4) ينظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: 643هـ)، معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م، (ص: 396)، والطيار، التحرير في أصول التفسير، (ص: 85).

(5) ابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)، معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، (ص: 405)، والطيار، التحرير في أصول التفسير، (ص: 86).

أجمعين عن الصحابة الكرام، ومن التابعين: الحسن البصري والسدي ومجاهد، لكنه لا يكتفي بذكر الأقوال فحسب، بل يُخضع بعض مرويات الصحابة والتابعين للنقد وفق الأصول التفسيرية، وأحياناً يؤول أقوالهم على فرض صحة إسنادها إليهم، وهذا الجانب مما برزت فيه شخصية التبريزي العلمية، ونقله لأقوال الصحابة والتابعين غالباً ما يكون من الكشف.

ومن الأمثلة على استفادته من أقوال الصحابة في التفسير:

- ما جاء عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 61] حيث قال: "و(الدَّابَّةُ): مطلق الدَّابَّةِ، على ما روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: كَادَ الْجُعْلُ⁽¹⁾ أَنْ يَهْلِكَ فِي جُحْرِه بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ. وقيل: المراد دابَّةً ظالمةً"⁽²⁾. فيلاحظ أن التبريزي حمل معنى (الدَّابَّةِ) المذكورة في الآية على إطلاقه، استناداً إلى قول ابن مسعود، مع أن هناك قولاً آخر يخصص الدَّابَّةَ بالدَّابَّةِ الظالمة.
 - تفسيره لـ(المتقي) المذكور في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: 45]: حيث قال: "الْمُتَّقِي: مَنْ يَحْتَرِزُ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ. وعن ابن عباس: «اتَّقُوا الْكُفْرَ وَالْفَوَاحِشَ، وَلَهُمْ ذُنُوبٌ تَكْفُرُهَا الصَّلَاةُ وَغَيْرُهَا»."⁽³⁾ فالْمُتَّقِي على هذا: مَنْ يَجْتَنِبُ عَنِ الْكِبَائِرِ."⁽⁴⁾
- وأحياناً يفسر التبريزي الآية، ثم يذكر قول الصحابي أو التابعي عنها، ويدل ذلك على أنه فسر الآية على عمومها، فذكر قولهم لكونه يدل على معنى الآية من جانب ما، من باب التمثيل أو التقريب، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، قال التبريزي: "وما يُعْرُونَ بِخَالِقِيَّتِهِ ووجوده في حالٍ من الأحوال، إلّا في حال كونهم مشركين بعبادته غيره. وعن

(1) الْجُعْلُ: دُوَيْبَّةٌ سَوْدَاءُ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، تكون في المواضع النَّدِيَّةِ. الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، العين (1/229)، والزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (28/210).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 246).

(3) نقله عن الزمخشري ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/579).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

الحسن؛ هم أهل الكتاب؛ معهم شرك وإيمان. وعن ابن عباس: هم الذين يُشبهون الله بخلقه⁽¹⁾. فهنا لم يكتف بتفسير الصحابة والتابعين، بل فسر الآية ثم ذكر أقوالهم على سبيل التمثيل لما ذهب إليه. ومن الأمثلة على انتقاد المؤلف بعض المرويات عن الصحابة: انتقاده لما روي عن ابن عباس: «أن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبد النار، والحطمة لعبد الأصنام، والسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، والهاوية للموحدين».⁽²⁾ قال التبريزي: "ولا يخفى أن هذا التخصيص مما لا يلائمه ما في الكلام المجيد من وعيد الكل بكل منها".⁽³⁾

ومن الأمثلة على انتقاده لبعض المرويات عن التابعين: فسر التبريزي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ [يونس: 93] بأنه مصر والشام، وهو قول الضحاك،⁽⁴⁾ ثم قال: "وقيل: فما اختلفوا في أمر محمد - عليه الصلاة والسلام - إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته، فعلى هذا لا يلائم أن يُفسر ﴿مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ بمصر والشام كما لا يخفى".⁽⁵⁾

4- استفادته من اللغة:

المقصود بتفسير القرآن باللغة: بيان معاني القرآن الكريم بمدلول مفرداته وتراكيبه في لغة العرب.⁽⁶⁾ ولعل سبب اهتمامه البالغ بالجانب اللغوي يرجع إلى أنه عكف على تفسير الزمخشري والبيضاوي، هذين التفسيرين اللذين برع مؤلفاهما في مجالي اللغة والبيان، وغلب هذا الاتجاه على تفسيريهما، حتى غدا من المصادر الرئيسة والمراجع الأولى التي يرجع إليها الباحثون إذا ما أرادوا التوسع في هذا المجال، فانعكس ذلك على تفسير التبريزي، ولكون المفسر أعجياً كذلك، ولفرط حبه للغة العربية، انعكس ذلك على تفسيره، وظهر من خلال اهتمامه البارز بالإعراب والمسائل اللغوية.

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 230).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 579).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(4) ينظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1409هـ، (3/ 316)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 198).

(5) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 214).

(6) الطيار، التحرير في أصول التفسير، (ص: 177).

وكانت مصادره في تأصيل المسائل اللغوية مصادر أساسية في اللغة؛ نحو: سيويه، والمبرد، وابن الحاجب، والفراء، وغيرهم.

أما عن منهجه في استفادته من اللغة في تفسيره، فهو كما يأتي:

أ- بيان معاني المفردات: مثال على ذلك من تفسير التبريزي: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: 66]: "الْخَرْصُ: الْكَذِبُ، وَيَجِيءُ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ مُنَاسِبٌ"⁽¹⁾. وقوله في بيان معنى (النفي) في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]، حيث قال: "(النَّفِيرُ): مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ. وَقِيلَ: جَمْعُ (نَفَرٍ) كَالْعَبِيدِ.. وَهُمْ الْمُجْتَمِعُونَ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعَدُوِّ."⁽²⁾

ب- بيان معاني الحروف: يلاحظ أن التبريزي يذكر المعاني المحتملة للحروف، ثم يذكر المعنى المتولد من كل هذه المعاني المحتملة للحروف، مثال على ذلك: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ﴾ [يوسف: 32]، حيث قال: "الْلَامُ مُوْطِنَةُ الْقَسَمِ وَ(مَا) مُوْصُولَةٌ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ، عَلَى الْحَذَفِ وَالْإِصَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةً، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ لِيُوسُفَ، عَلَى تَقْدِيرٍ: لَنْ لَمْ يَفْعَلْ مُوجِبَ أَمْرِي إِيَّاهُ."⁽³⁾

ومثال آخر: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُوا ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: 48]: "(مَا) مُوْصُولَةٌ، وَ(مِنْ) لِلْبَيَانِ، وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ، أَيْ: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ مُتَقَيِّئَةٌ عَنْ أَيْمَانِهَا وَشَمَائِلِهَا"⁽⁴⁾ فكما هو واضح، فقد بين التبريزي نوع الحروف في الآيات أولاً، ثم فسر الآية وفق ذلك.

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 213).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 251).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 225).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 245).

وأحياناً يقوم بعكس ذلك، فيفسر الآية مباشرة ثم يذكر معاني الحروف فيها قائلاً: "على أن يكون..."، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3] حيث قال: "أي: بإيحاءنا إليك هذه السورة، على أن تكون (ما) مصدرية".⁽¹⁾

ت- توضيح قضايا لغوية أخرى: يوضح التبريزي في تفسيره الكثير من القضايا اللغوية، نحو: بيان عود الضمير، وبيان نوع العطف، وبيان إعراب المفردات والجمل، وتصريف الألفاظ، وغير ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- بيان نوع العطف: قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: 60]: "﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: 60] عطف بيان لـ ﴿عَادٍ﴾. وفائدة هذا البيان: الإشعار بأن ما أتى بهم إنما أتى من أجل هود، ومن مخالفته"⁽²⁾. فبيّن التبريزي نوع العطف وما أفاده من معنى.

- بيان عود الضمير: بيّن التبريزي عود الضمائر مع ذكر المعنى الحاصل منه، ومثال ذلك: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]: "﴿إِنْ﴾ هي المخففة، و(اللام) هي الفارقة. والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للإيحاء، أي: وإنَّ الشَّأنَ والحديث: كُنْتُ من قبل إِيحائنا إليك من الغافلين عنه".⁽³⁾

- بيان إعراب الألفاظ والجمل: ومما بذل فيه التبريزي قصارى جهده: بيان إعراب الألفاظ، وذلك إما ببيان إعراب الألفاظ ثم التفسير، أو التفسير أولاً ثم التعليل على ذلك بالإعراب. ومثال ذلك: قوله في إعراب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ [يوسف: 4]: حيث قال: "بدل من ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ على الاحتمال الأول، بدل الاشتمال؛ لأنَّ الوقت مشتمل على القصص، أو نصب بإضمار (اذكُر) على كلا الاحتمالين. والجملة استئناف لبيان الاقتصاد".⁽⁴⁾

وكما أشرّ إليه سابقاً، فقد أورد التبريزي كثيراً من الاستدراكات على الزمخشري والبيضاوي في قضايا اللغة، ومن الأمثلة على ذلك: قول التبريزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 222).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 218).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 222).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 222).

يُخْزِيهِ ﴿هُود: 39﴾: حيث قال: "يعني العَرَق. الظَّاهِرُ أَنَّ (مَنْ) استفهامية، والعِلْمُ مُعَلَّقٌ، يعني: تَعْلَمُونَ أَيْنَا يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ، لَكِنْ جَعَلَهَا صَاحِبُ الْكَشَافِ مَوْصُولَةً حَيْثُ قَالَ: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ في محلِّ النَّصْبِ بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾، أي: وسوف تعلمون الذي يَأْتِيهِ عَذَابٌ" (1)، وهو بظاهره غير صحيح؛ لأنَّ العِلْمَ يقتضي مفعولين فالأحسن ما ذكرناه. (2)

- بيان تصريف الكلمات: مثال ذلك قوله في قول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6]: "و(أحاديث) اسمُ جمعٍ للحديث؛ لأنَّ (فَعِيل) إذا كان اسماً لا يُجْمَعُ إِلَّا على (أَفْعَلَةٍ)، و(فُعِل) و(فُعْلَانٍ) كَأَرْغِفَةٍ وَرُغْفَانٍ، كما ذُكِرَ في علمِ الصَّرْفِ. (3)"
وأحياناً يبيِّن التبريزي الغرض من تصريف الصيغ، كما قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، حيث قال: "أي: فلَمَّا يَيْسُوا من يوسف، وإِجابته. ونَقْلُهُ إلى (الاستفعال)؛ للمبالغة، دون الطَّلَب. (4)"

ث - القضايا البلاغية: إنَّ من المسائل التي اعتنى بها التبريزي في تفسيره اعتناء كبيراً: القضايا البلاغية، نحو: علم البيان والمعاني والبدیع، وتفصيل ذلك بالأمثلة كما يأتي:
العِلْمُ الأوَّل: علم البيان: هو في اصطلاح البلاغيين: معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، (5) ويتمثل في تفسير التبريزي كالآتي:

1- الاستعارة: من الأمثلة التي ذكرها التبريزي على الاستعارة في الآيات: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41]، حيث قال: "أي: يَنْبُتُ الحسابُ، شُبَّهَ الحسابُ بِرَجُلٍ قَامَ على رِجْلَيْهِ، وَأُثْبِتَ له ما يُلَازِمُ المُشَبَّهَ به، فهي استعارة مَكْنِيَّةٌ مع التَّخْيِيلِيةِ والنَّبَعِيَّةِ. (6)"

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 394).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 217).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 223).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 229).

(5) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، مفتاح العلوم،

تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1407 هـ - 1987 م، (ص: 162).

(6) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 238).

2- **التشبيه:** مثال على ذلك: بيان التبريزي التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26]، حيث قال: "القواعد: أساطين البناء التي تُعمِّدُ، وقيل: الأساس. والمراد بـ(إتيان الله): إتيان أمره، وهو تمثيل، شَبَّهَ حالهم بحال قوم بنوا بُنياناً وعمدوه بالأساطين، فَأَتَى بُنْيَانَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْأَسَاطِينِ -بأن يَنْصَعْصَعَ- فَسَقَطَ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ، وَهَلَكُوا. نظيره: "مَنْ حَفَرَ بَنراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهِ." (1)

3- **الكناية:** ومن أمثلة بيان وجه الكناية: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 49] قال التبريزي: "العنب، والزيتون، وأمثالهما. وهو كناية عن كثرة التمار." (2)

4- **المجاز:** ومن أمثلة بيان التبريزي الحقيقة والمجاز في الألفاظ القرآنية: قوله في قول الله تعالى: ﴿مِّن وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: 16]، حيث قال: "أي: مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ جَهَنَّمُ، وهو مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنْ كَانَ الْمَرَادُ وَصَفَ حَالِهِ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ حِينَ يُبْعَثُ وَيُوقَفُ. وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ وَصَفَ حَالِهِ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا فَمَحْمُولٌ عَلَى التَّشْبِيهِ." (3)

العلم الثاني: علم المعاني: وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال، (4) وتفصيل ذلك من تفسير التبريزي كالاتي:

1- **التقديم والتأخير:** مثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: 47]، حيث قال: "قَدِّمَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِيَكُونَ إِشْعَاراً بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ أَصلاً، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31]، ثم قال: "﴿رُسُلَهُ﴾؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُمُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلَى" (5).

2- **الإظهار في مقام الإضمار:** مثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: 50]، حيث قال: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 50] أي: أيَّ

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 244).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 226).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 235).

(4) القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى:

739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة، (1/ 52).

(5) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 239).

شيء من العذاب تستعجلونه؟ وُضع (المجرمون) موضع الضمير؛ للإشعار بفتح استعجالهم؛ لأن المجرم ينبغي أن يخاف العذاب، ويُفزع من مجيئه فضلاً عن أن يستعجله.⁽¹⁾

3- أسلوب القصر: ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: 1] حيث قال: "قَصُرَ الْحَقُّ فِي ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إمّا على الحقيقة، أو على المبالغة. وعلى الأول يكون معناه: والذي أنزل إليك هو الحق لا غيره، ومن جملة ما أنزل إليه حقيقة الكتب السماوية، وتفصيل كل شيء، فيصح الحصر بلا كلفة، ويؤيده: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]⁽²⁾.

4- الالتفات: ومن أمثله ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِنَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، حيث قال: "وَالْتَفَتَ فِي قَوْلِهِ ﴿بَرَكْنَا﴾ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحِكَايَةِ تَعْظِيماً لِلْبَرَكَاتِ وَالآيَاتِ. وَفُرِئَ (لِيُرِيَهُ)⁽³⁾ عَلَى الْغَيْبَةِ، عَلَى الْإِلْتِفَاتِ أَوَّلًا مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحِكَايَةِ، ثُمَّ إِلَى الْغَيْبَةِ، ثُمَّ إِلَى الْحِكَايَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ عَائِنَاتِنَا﴾، ثُمَّ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]."⁽⁴⁾

العلم الثالث: علم البديع: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة.⁽⁵⁾

ومن الأمثلة على ذلك من تفسير التبريزي ما يأتي:

- استفادته من الشعر العربي والأمثال: اهتم التبريزي في تفسيره بالاستشهاد بالشعر العربي، وبخاصة في بيان إعراب المفردات القرآنية والمعاني المحتملة لها، مثال على ذلك: قوله في بيان محل

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 212).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 231).

(3) قراءة شاذة: لم أجد لها في كتب القراءات، وهي منسوبة إلى الحسن في الكشف، والبحر المحيط، والدر المصون. ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 648)، أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ، (7/ 10)، السمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (7/ 307).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 251).

(5) إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943 هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1/ 97).

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ من الإعراب، والمعنى المترتب على ذلك في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: 2]، حيث قال: "ويمكن أن يقال: إنه ظرفٌ مستقرٌ في موقعِ الصِّفَةِ عن (الرُّوح) المعروف بلام الجنس، الذي نَزَلَ مَنْزِلَةَ النُّكْرَةِ من قبيل: وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُئِي. (1)

كأنه قال: بالروح الذي هو من أمره كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]. (2)

ويلاحظ أن التبريزي يذكر الأمثال العربية أيضاً لبيان معاني المفردات أو استشهاداً عليها، كما ذكر في بيان معنى (وصف الألسنة الكذب) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: 116]، حيث قال: "ومعنى (وصف الألسنة الكذب): إظهارها إيّاه، كقولهم: وَجْهَهَا يَصِفُ الْجَمَالَ وَعَيْنُهَا تَصِفُ السَّخَرَ. (3)

ثانياً: المصادر الثانوية:

المقصود بها: ما رجع إليه التبريزي في تفسيره من المؤلفات؛ كالتفاسير وكتب اللغة وغيرهما، حيث إن التبريزي رجع إلى كثير من المصادر، وتارةً صرّح بأسماء المصادر، وأخرى لم يصرّح، ومن مصادره التي اعتمد عليها ما يأتي:

1- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، للعلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، جار الله الزمخشري، (المتوفى: 538هـ)، وهو من أكثر المصادر التي رجع إليها التبريزي، إلا أنه لا يعتمد على ما في الكشاف اعتماداً تاماً حتى في القضايا اللغوية، بل ينقذ من أقواله ما يحتاج إلى النقد، وعندما ينقل التبريزي نقلاً حرفياً يقول: قال صاحب الكشاف، أما حين ينقل منه بالمعنى أو ضمناً يشير إلى ذلك بقوله: كذا في الكشاف.

(1) البيت من الكامل، وهو لرجل من سلول، تمامه: وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُئِي ... فمضيْتُ ثُمْتُ قَلْتُ لَا يَغْنِينِي. ينظر: سيبويه (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، (3/ 24)، والأزهري، خالد بن عبد الله (المتوفى: 905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م، (2/ 114)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، شرح شواهد المغني، لجنة التراث العربي، 1386 هـ - 1966 م، (1/ 310).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 242).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 250).

- 2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للعلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، وهو أيضاً من المراجع التي رجع إليها التبريزي كثيراً، خاصة في المسائل العقدية، قائلاً عند النقل الحرفي عنه: قال البيضاوي، وفي النقل بالمعنى: كذا في تفسير البيضاوي، وهذا المرجع أيضاً مما سجّل عليه التبريزي استدراكاتٍ وتعقّباتٍ في قضايا شتى.
- 3- عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي)، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، وأشار التبريزي إليه قائلاً: بعض المحشّين.⁽¹⁾
- 4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلامة أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، وقلماً ينقل التبريزي عنه، وعند النقل عنه يقول: قال بعضهم.⁽²⁾
- 5- الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان (المتوفى: 180هـ)، وهو من كتب اللغة المشهورة، رجع إليه التبريزي في بيان المسائل اللغوية مع تصريحه باسم المؤلف.
- 6- المقتضب، محمد بن يزيد الأزدي، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، وهو من مصادره اللّغوية، إلا أنه لم يصرّح باسمه.
- 7- شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، للعلامة التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (المتوفى: 792هـ)، وهو من مراجعه في اللغة والبلاغة، عبّر عنه بقوله: قال التفتازاني في شرحه للتلخيص.
- 8- تجريد العقائد، لناصر الدين الطوسي (المتوفى: 672هـ)، وشرحه: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مظهر (المتوفى 726هـ)، وهما من كتب العقيدة على مذهب الشيعة، رجع إليهما التبريزي في بعض المسائل الفلسفية، ولم يعتمد عليهما في المسائل العقدية، وقال عنهما التبريزي في بيان مسألة فلسفية: كما أشار إليه المحقّق الطّوسيّ وصرّح عليه شارحُ التّجريد.

(1) ينظر: (ص: 76) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: (ص: 311) من هذه الرسالة.

- 9- كتاب: الكافية في علم النحو، وكتاب: أمالي ابن الحاجب، لابن الحاجب، عثمان بن عمر، (المتوفى: 646هـ)، وهما من مصادره في المسائل اللغوية، وقد صرح التبريزي باسم مؤلفهما أثناء نقله منهما.
- 10- شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (المتوفى: 792 هـ)، وهو من مصادره في بيان القضايا العقدية، صرح باسمه قائلاً: كما قال التفتازاني في شرحه للعقائد.
- 11- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، للدسوقي، محمد بن عرفة، وهو من كتب اللغة التي رجع إليها التبريزي.
- 12- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، أحمد بن محمد (المتوفى: 427هـ)، هذا من مراجعه في نقل المرويات.
- 13- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)، وهذا من مراجعه في نقل المرويات التفسيرية.
- 14- ديوان المتنبي، للمتنبى (المتوفى 354هـ) أبو الطيب، أحمد بن الحسين الكوفي (303 هـ - 354 هـ)، وهو من كتب الشعر التي نقل منها التبريزي مع تصريحه باسم مؤلفه.

المطلب الثالث: موقفه من قضايا علوم القرآن.

اعتنى التبريزي في تفسيره بقضايا علوم القرآن، وفي هذا المطلب يأتي تفصيل ذلك مع الأمثلة على توظيفه إياها في تفسيره، وبيان موقفه من كل مسألة إن شاء الله.

أولاً: المكي والمدني:

التعريف المشهور عند العلماء للمكي والمدني: أن المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.⁽¹⁾

اهتم التبريزي بهذا الجانب في تفسيره ونصّ في بداية كل سورة على مكيتها أو مدنيّتها، ولكنه لم يكتف بذلك، بل أعمل ذلك في أثناء بيان معاني الآيات، فاعتبرها كقاعدة تفسيرية يرجع إليها في التفسير. مثال على ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: 41]، حيث قال:

"هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم من هاجر إلى المدينة. وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معدّبين بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكلّما خرجوا تبعوهم فرّدوهم، منهم: بلال، وصهيب، وحباب، وعمار. وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله وهاجر، كذا في الكشاف.⁽²⁾ ويفهم منه أن الآية نزلت بعد الهجرة، والمشهور أن السورة مكية غير ثلاث آيات من آخرها، كما قال البيضاوي، فتأمل.⁽³⁾ يلاحظ أنه انتقد ما نقله الزمخشري نظراً إلى مكية السورة.

مثال آخر على إعماله مسألة المكي والمدني في التفسير: قال التبريزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]: "أراد بالسبع الفاتحة؛ لأنها سبع آيات.

(1) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (1/ 187).

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 607).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 240).

وقيل: أراد الطَّوَالَ؛ لَأَنَّهَا سَبْعُ سُورٍ، فعلى هذا يكون الحُكْمُ بِمَضْيِ إِيْتَانِهَا بِاعتبارِ تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ؛ لأنَّ أَكْثَرَ الطَّوَالَ مَدَنِيَّةً، وَالْآيَةُ مَكِّيَّةً.⁽¹⁾

فقد علَّلَ التبريزيَّ القول بأن المقصود من السبع المثاني المذكور في الآية: الطَّوَالَ، باعتبار تحقق وقوع الإيتاء استناداً إلى مكيَّة الآية.

ثانياً: أسباب النزول:

المراد به: ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه، مع العلم بأنه ليس كل القرآن قد نزل على أسباب، بل إن من القرآن الكريم ما نزل ابتداءً بلا سبب.⁽²⁾

ويلاحظ في تفسير التبريزيَّ أنه يهتم بأسباب النزول، وطريقته في ذكر أسباب النزول لا تختلف عن طريقة أكثر المفسرين، فأحياناً يذكر القصّة ثم يقول: فنزلت، وأحياناً يقول: نزل في...، ومن خصائص تفسير التبريزيَّ في هذا الجانب أنَّ المؤلف يُعْمَلُ أسباب النزول في التفسير في قضايا عدة: كبيان المعنى المحتمل الناشئ عن السبب، والترجيح بين المعاني في ضوء سبب النزول، أو نقد كلام بعض المفسرين استناداً إلى أسباب النزول، وغير ذلك، ومن الأمثلة على إعماله أسباب النزول في التفسير: ما ذكره من وجوه القصر في ﴿الْحَقُّ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: 1]، حيث فسّر الآية على كلّ وجه من هذه الوجوه، ثمّ جَوّزَ ألا يكون اللام لقصد القصر استناداً إلى سبب النزول المروي، حيث قال: "ويجوز ألا يكون التّعريفُ لِقَصْدِ الْقَصْرِ، نحو: رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 242).

(2) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ / 1974 م، (1/ 116)، والزرقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، (1/ 106)، وعتر، نور الدين محمد الحلبي، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح - دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م، (ص: 46).

الجميل. ويؤيده ما روي في سبب النزول: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَرَدَّ قَوْلَهُمْ، رواه مقاتل⁽¹⁾، فعلى هذا، لا وجه لِقَصْدِ الْقَصْرِ⁽²⁾.

ومن أمثلة رد المؤلف أقوال المفسرين وفق أسباب النزول: نقده كلام البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: 11]، حيث قال: "على نفسه وأهله وماله عند غضبه". قال البيضاوي: "أو يدعوه بما يحسبه خيراً، وهو شر"⁽³⁾. ولا يخفى أنه لا يلائم سبب النزول، ولا وضعه بكونه عجولاً، كما لا يخفى⁽⁴⁾. فرد المؤلف كلام البيضاوي استناداً إلى سبب النزول والسياق القرآني.

ثالثاً: القراءات القرآنية:

علم القراءات هو: العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، واختلافها معزواً إلى ناقله،⁽⁵⁾ ويمكن القول بأن أكثر اهتمام التبريزي في علوم القرآن ظهر في هذا المجال، حيث وظّف القراءات

(1) ينظر: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى - 1423 هـ، (2/ 366). وذكر الواحدي نحوه في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101] وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ [البقرة: 106] بدون نسبة إلى مقاتل، وذكره في تفسيره عن مقاتل في بداية تفسير سورة الرعد، وذكره في سورة الرعد عن مقاتل جماعة من المفسرين منهم: الثعلبي، البغوي، والقرطبي، والشربيني، ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م، (ص: 34 و 280)، والتفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من طلبة الدكتوراة، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ، (12/ 280)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ط دار التفسير)، (15/ 202)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 292)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 278)، والشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285 هـ، (2/ 144).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 231).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 249).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 252).

(5) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 1999 م، (ص: 9)، وشكري، أحمد خالد وآخرون، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م، (ص: 47).

القرآنية - المتواترة والشاذة - في تفسيره توظيفاً دقيقاً كما سيأتي بيانه، لكن قبل ذلك لا بدّ من بيان طريقته في التعامل مع القراءات، وهي تتمثل في النقاط الآتية:

1. مسألة عزو القراءات إلى أصحابها:

لا يذكر التبريزي أسماء القراء في أغلب المواضع، ويكتفي بذكر القراءة بقوله (قُرئ)، وفي مواضع يسيرة نجد أنه يقول: "قرأ ابن كثير، أو أبو عمرو، أو يعقوب..." من أصحاب القراءات المتواترة، و"قرأ الأعمش..." و"في قراءة ابن مسعود..." من القراءات الشاذة؛ ولعلّ سبب ذلك إرادته الاختصار، أو التركيز على توجيه القراءات.

2. التفريق بين القراءة المتواترة والشاذة:

يسمي التبريزي القراءات المتواترة بالقراءات المشهورة، ولا يذكر ذلك دائماً، إنما يقتصر فيه على وجود سببٍ خاصٍ يتطلب هذا البيان، كوجود قراءتين في الآية: إحداهما متواترة، والأخرى شاذة، والمتواترة منهما تمنع ما أدت إليه القراءة الشاذة من معنى، ومثال ذلك:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ [يوسف: 4]:

"ويوسفُ عِبريٌّ مُنع من الصَّرفِ للعُجْمَةِ والعَلَمِيَّةِ. وقُرئ بفتح السَّينِ وكسرها على وَزْنِ المضارعِ المبنيِّ للمفعولِ، أو الفاعلِ من "أَسَفَ"، وهو ليس بدليلٍ على أَنَّهُ عربيٌّ؛ لأنَّ القراءةَ المشهورةَ مانعةٌ عن ذلك." (1)

3. ذكر الوجوه الحاصلة من القراءات:

جاء ذكر وجوه القراءات في تفسير التبريزي على طريقتين:

الطريقة الأولى: أن يختار التبريزي وجهاً واحداً، ويبني تفسيره عليه ولا يذكر الوجوه الأخرى؛ إمّا لأنه لا يراها وجوهاً يُعبأ بها في التفسير، أو أن تقوته الوجوه الأخرى سهواً، والله - تعالى - أعلم.

والطريقة الثانية: ذكر أغلب القراءات القرآنية إن أمكن ذلك، سواء كانت: متواترة، أو شاذة، وبيان معناها، وهو الغالب في تفسيره. وقد انتقد التبريزي بعض العلماء؛ لأنهم ذكروا قراءة ولم يبينوا وجهها في التفسير، فقد انتقد البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45]، حيث علّق

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 222).

على كلامه - كما سيأتي تفصيله في المطلب الثالث - بأنه كان عليه أن يبين الوجه من القراءة التي ذكرها ولم يُبين⁽¹⁾.

4. مراعاة السياق عند توجيه القراءة:

يولي التبريزي السياق القرآني أهمية كبرى تؤثر في تناوله للقراءات القرآنية، فيلاحظ من تصرفه في التفسير أنه يراعي السياق عند توظيف القراءات في ذلك، كما في تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: 96] حيث قال: "البصارة بمعنى العلم، أو بمعنى الرؤية، وقُرئ (تَبَصَّرُوا) على الخطاب كأنه خاطب الكل وأراد الأكثر، وإلا فكيف يصح له أن يخاطب موسى بذلك، وإسناد الجهل إليه لا يلائم المقام، ولذلك رُجِّح قراءة الغيبة على قراءة الخطاب."⁽²⁾

فقد رُجِّح قراءة الغيبة التي تفيد أن عدم البصارة الذي حكى عنه السامري كان عند بني إسرائيل، لا عند موسى عليه السلام، وصرح بأن السبب في ذلك: أن إسناد الجهل إلى موسى - عليه السلام - لا يلائم المقام.

5. أثر القراءات في تفسير التبريزي:

إن الذي يقرأ في تفسير التبريزي يلاحظ أنه غني بالقراءات القرآنية عناية ظاهرة، وأنه قد أعملها في قضايا شتى، وبيان ذلك في الأمثلة التالية:

مثال على أثر القراءات في توسيع معنى الآية: قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: 87]⁽³⁾ قال التبريزي في تفسيرها: "استبعاداً لأن يكون داعٍ عقلي يأمُرُهُ بالتكليف بترك عبادة الأصنام، وخصُّوا الصلاة بالذكر؛ لأنه كان كثير الصلاة. ولذلك: جمعوها، وقُرئ بالإفراد. ومقصودهم: الاستهزاء به، والتَّهَكُّمُ بصلواته. وتقديرُ العبارة: تَأْمُرُكَ بتكليف أن نترك، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لوضوح الأمر؛ لأنَّ المَرءَ لا يُكَلَّفُ بفعلٍ غيره."⁽⁴⁾

فقد أشار إلى وجهين للقراءة هما:

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 226).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 274).

(3) اعتمد المؤلف على قراءة الجمع في تفسيره.

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 219).

- الأفراد بِحَذْفِ الْوَائِ (أَصْلَاتُكَ)، وقد قرأ بها: حَمَزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَحَفْصٌ.

- قراءة الْجَمْعِ بِإِثْبَاتِ الْوَائِ (أَصْلَوَاتُكَ)، وَقَرَأَ بِهَا الْبَاقُونَ.⁽¹⁾

أما عن توسيع المعنى: فإن قراءة الجمع تشير إلى كثرة صلوات شعيب -عليه السلام-، وقراءة الأفراد تشير إلى استهزاء قومه به، وتهكمهم بصلواته كما أفاده التبريزي. فالقراءتان تقدمان حقيقتين اثنتين عن شعيب -عليه السلام- وتعامل قومه مع دعوته، لكن هناك إشكالاً في الجزم بأن المراد بقراءة (أصلاتك) الأفراد الذي يفهم منه استهزاء القوم؛ لأن قراءة الجمع تستوجب حمل اللفظ المفرد على اللفظ الجمع بحيث تكون صلواته هي الأمرة لا صلاة واحدة، فيكون المراد من لفظ (أصلاتك): جنس الصلاة، كما صرح عليه فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103]، حيث قال: "قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: إن صلاتك، بغير واو، وفتح التاء على التوحيد، والمراد منه: الجنس. وكذلك في سورة هود."⁽²⁾

بناءً عليه تُحمل قراءة الأفراد على الجمع، ومعنى الجمع يتوافق مع المقام، فقد دعاهم شعيب -عليه السلام- إلى إيفاء المكيال والميزان بالقسط، وعدم بخس الناس أشياءهم، وعدم الفساد في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85]، وتلك الأمور جميعها من جملة ما أمرته الشريعة بها، والتي كُنِيَ عنها بعبارة (الصلوات)؛ لذلك وصف سيد قطب أحوال القوم بالتصور السقيم؛ لارتباط الشعائر بالعقيدة، حيث قال: "فهم لا يدركون - أو لا يريدون أن يدركوا- أن الصلاة هي من مقتضيات العقيدة، ومن صور العبودية والدينونة، وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله، ونبذ ما يعبدونه من دونه هم وآبائهم، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة، وفي تداول الأموال، وفي كل شأن من شؤون الحياة والتعامل، فهي لحمة واحدة، لا يفترق فيها الاعتقاد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة."⁽³⁾

(1) ابن الجزي (ت: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 290).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، (16/ 136).

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (4/ 1919).

مثال على توظيفه القراءات في بيان إعراب الآية: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ [يوسف: 64]، حيث قال: "فَأَعْتَمِدُ عَلَى حِفْظِهِ، وَأُقَوِّضُ أَمْرَهُ⁽¹⁾ إِلَيْهِ. وَ﴿حَفِظًا﴾ نَصَبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَيَحْتَمِلُ الْحَالُ. وَتَوْيْدُ الْأَوَّلِ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ (حَفِظًا)".⁽²⁾

ففي الآية القراءات المتواترة الآتية:

- **القراءة الأولى:** بفتح الحاء، وألف بعد الحاء، وكسر الفاء (حَافِظًا). وقرأ بها حفص، وحزمة، والكسائي، وخلف.

- **القراءة الثانية:** بكسر الحاء، وإسكان الفاء (حِفْظًا): وقرأ بها الباقون.⁽³⁾

وحجة من قرأ (حَافِظًا): أنه اسم الفاعل من الفعل (حفظ)، كما في قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حِكَايَةً عَنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: 12]، ولهم حجة أخرى، وهي: أن في حرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فَاللَّهُ خَيْرُ الْحَافِظِينَ) جمع حَافِظٍ.

أما من قرأ على المصدر: فاحتج بقوله تعالى: ﴿وَنَحْفُظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: 65]، فَلَمَّا أَضَافُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا): من حفظكم الَّذِي نسبتموه إِلَى أَنْفُسِكُمْ.⁽⁴⁾ وبالتالي: يكون قوله تعالى: ﴿حَفِظًا﴾ تمييزاً حسب قراءة (حِفْظًا)، ويكون حالاً حسب قراءة من قرأ (حَفِظًا)، فَرَجَّحَ التَّبْرِيزِيُّ الْقَوْلَ بِأَنَّ (حَفِظًا) نَصَبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَفَسَّرَ الْآيَةَ وَفَقَّ ذَلِكَ، وَعَلَّلَ تَرْجِيحَهُ بِأَنَّ قِرَاءَةَ (حِفْظًا) تَوْيْدُ الْقَوْلَ بِالنَّصْبِ عَلَى التَّمْيِيزِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَذَلِكَ فَسَرْتُ الْآيَةَ وَفَقَّ هَذَا الْإِعْتِبَارَ.

مثال على توظيف القراءات الشاذة في تفسير التبريزي: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45]، حيث قال: "أَي: بَعْدَ ذِكْرِ الشَّرَائِبِ يَوْسُفَ وَمَا شَهِدَ مِنْهُ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ أُمَّةً؛ لِأَنَّهَا جَمَاعَةٌ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أَجْزَاءِ الزَّمَانِ. وَفُرِئَ (إِمَّةً) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَهِيَ النِّعْمَةُ، أَي: بَعْدَ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِالنَّجَاةِ، كَذَا قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ، لَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِهَذَا التَّعْبِيرِ فَائِدَةً وَلَمْ يُبَيِّنْ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: كَأَنَّهُ

(1) يعني: أمر يوسف.

(2) التبريزي، عبد الباقي (ت: 1039هـ)، تفسير التبريزي (تفسير القرآن المجيد)، (ص 227، النسخة المصورة).

(3) ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 350)، والنيسابوري، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن مهران (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية - دمشق،

1981 م، (ص: 247)، والفاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص165).

(4) ينظر للتفاصيل: ابن زنجلة، حجة القراءات، (ص362).

أراد من النعمة لآزِمَهَا؛ الذي هو الغفلة والنسيان. فكأنه قال: بعد نسيان، ويُؤَيِّدُهُ ما قُرئ (بَعْدَ أَمَةٍ)، أي: نسيان، مِنْ أَمَةٍ يَأْمُهُ أَمَهَا إِذَا نَسِيَ. (1)

القراءة المتواترة في الآية: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، والقراءات الشاذة في الآية هي:

- (بَعْدَ إِمَّةٍ) بكسر الهمزة وتشديد الميم. (2)

- (بَعْدَ أَمَةٍ): بفتح الهمزة، وتخفيف الميم، وهاءٍ منونة. (3)

إن القراءات الثلاث المذكورة في هذه الآية، كلّ واحدة منها أشارت إلى جانب من عدم ذكر الشَّرَابي ليوسف -عليه السلام- عند المَلِكِ؛ فالقراءة المتواترة أفادت أنّ عدم ذكره أَخَذَ وقتاً طويلاً، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42]، ولعلّ سبب ذلك: كون الزمان أهم شيء في المسألة.

وأما القراءة الشاذة (بَعْدَ إِمَّةٍ)؛ بمعنى: بعد نعمة، فقد أشارت إلى أنّ ما أنساه في هذه الفترة من الزمان هو النعمة التي أصبح فيها الشَّرَابي بعد سجنه، فانتقاله من السجن والمذلة، إلى الرفاه والنعمة دفعةً واحدةً أنساه ذَكَرَ يوسف -عليه السلام-، وفيه إشارةٌ إلى: أنّ الخوض في النِّعَمِ، يجعل الإنسان ينسى الأمور المهمّة، سواءً كانت دنيويّة أو أخرويّة.

وأما قراءة (بَعْدَ أَمَةٍ) بمعنى النسيان، فقد أشارت إلى حال الشَّرَابي قبل أن يطلب المَلِكُ تأويل الرؤيا، وهو النسيان ليوسف -عليه السلام- ووصيّته؛ أي: ادّكر الشَّرَابي بعد مدّة من الزمان؛ لنسيانه. فالقراءتان الشاذتان بمثابة التفسير لِمَا أفادته القراءة المتواترة.

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 226).

(2) وهي قراءة شاذة نسبت إلى الأشهب العقيلي. ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/344).

(3) وهي قراءة شاذة نسبت إلى ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن البصري. أخرج القراءة عنهم الطبري في تفسيره، ونسبت أيضاً إلى زيد بن علي، وقتادة، وأبو رجاء، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/122)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/249)، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/443)، والسمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (6/508).

رابعاً: المناسبات القرآنية:

المقصود بها في القرآن الكريم عموماً: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات: وجه الارتباط بين كل آية بما قبلها وما بعدها،⁽¹⁾ والمناسبات القرآنية تُعدُّ كذلك من علوم القرآن التي اعتنى بها التبريزي في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

ربط المؤلف بين تفصيل آية النحل، وبين وحدانية الله تعالى، وصحة الحشر، حيث قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69]: "فَإِنَّ مَنْ تَفَكَّرَ فِي إِعَادَةِ مَا أَكَلَ النَّحْلُ عَسَلًا يَحْكُمُ بِصَحَّةِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، وبوجود الحكيم القادر، والفاعل بالاختيار بلا مُخَالَفَةٍ ضِدٍّ، ومشاركةٍ مِثْلٍ، كما لا يخفى على الْمُتَأَمِّلِ فِي الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ، ولذلك فَصَلَ الْآيَةَ بِالتَّفَكُّرِ، فَتَأَمَّلْ."⁽²⁾

ومثال آخر على اعتنائه بمناسبة الآية لما قبلها: ذِكْرُهُ وَجْهَ المناسبات في تفسير قوله الله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝﴾ [الحجر: 49-50]، حيث قال: "تأكيد لما ذكر من الوعد والوعيد"، وقال مبيناً وجه مناسبة القصة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبراهيمَ﴾ [الحجر: 51]: "ذكرت هذه القصة لِيَتَحَقَّقَ بِهَا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ."⁽³⁾ مثال على بيانه مناسبة الآية لما قبلها: بيانه وجه مطابقة الإجابة على قول الكفار المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ﴾ [الرعد: 27] حيث قال: "مَنْ أَقْبَلَ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعَ عَنِ الْعِنَادِ. وَوَجْهُ مُطَابَقَةِ هَذَا الْجَوَابِ لِمَا قَالُوا، أَنَّهُ كَلَامٌ يَجْرِي مَجْرَى التَّعْجِبِ مِنْ قَوْلِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ مَا أَعْظَمَ عِنَادَكُمْ بِإِفْتِرَاحِكُمْ آيَةً مِنَ اللَّهِ مَعَ نُزُولِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ! إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ كَانَ عَلَى صِفَتِكُمْ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى اهْتِدَائِهِمْ وَإِنْ نَزَلَتْ كُلُّ آيَةٍ مِمَّا افْتَرَحُوهُ."⁽⁴⁾

(1) مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، (ص: 58).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 246).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 233).

خامساً: توجيه المتشابه اللفظي:

المراد بالمتشابه اللفظي: إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة.⁽¹⁾ وكان التبريزي يعلق على مجيء ألفاظ القصص أو المسائل مختلفة في السور، ومن الأمثلة على ذلك: توجيهه للمتشابه اللفظي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126]، حيث قال: "ذَكَرَ إِنْغَامُهُ الْمُخْتَصَّ بِبَعْضِ عِبَادِهِ بَعْدَ ذِكْرِ إِنْغَامِهِ عَمُومًا، وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي آيَةٍ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126]، وَالتَّفَرُّقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ النِّعْمَةَ هَهُنَا جَعَلَ الْبَلَدَ ذَا أَمْنٍ، وَهَنَالِكَ جَعَلَ الْمَوْضِعَ بَلَدًا ذَا أَمْنٍ".⁽²⁾

ومثال آخر على ذلك: قوله في توجيه المتشابه اللفظي في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: 6]، حيث قال: "سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، إِلَّا أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَذَابِ هَهُنَا: غَيْرُ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ، بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْهُمَا، حَيْثُ ذَكَرَ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة: 49] بِدُونِ الْوَاوِ بِطَرِيقِ التَّفْسِيرِ، وَهَهُنَا مَعَ الْوَاوِ لِلْمُعَايَرَةِ".⁽³⁾

سادساً: اهتمامه بإعجاز القرآن الكريم:

تحدث التبريزي في بعض أنواع إعجاز القرآن الكريم في ثنايا تفسيره، وراعى هذا الجانب في بيان معاني الآيات، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: 14] حيث قال: "وَالْبَاءُ لِلالتباسِ، أَي: أُنْزِلَ مُلْتَبَسًا بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ نَظْمٍ مُعْجَزٍ، وَإِخْبَارٍ بِالْغُيُوبِ"⁽⁴⁾. ومن الأمثلة على بيانه وجوه إعجاز القرآن الكريم كالآتي:

مثال على بيانه للإعجاز الغيبي في الآيات: قال التبريزي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5]: "قال البيضاوي: "قيل: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: إِذَا أَرْخَيْنَا سُتُورَنَا،

(1) الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، (1/ 112).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 237).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 235).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 215-216).

وَاسْتَعْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وَطَوَيْنَا صُدُورَنَا عَلَى عداوةِ مُحَمَّدٍ، كَيْفَ يَعْلَمُ؟ وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ،⁽¹⁾ وَفِيهِ نَظَرٌ، إِذِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ، وَالتَّفَاقُّ حَدَّثَ بِالْمَدِينَةِ.⁽²⁾ انتهى.

وفيه: أَنَّهُ -بعد التسليم- إِبْخَارٌ عَنِ الْآتِي، وَالْإِبْخَارُ عَنِ الْآتِي فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ نَادِرٍ، بَلْ هُوَ مِمَّا يُعَدُّ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَمْثَالَهُ فِيمَا سَبَقَ فَتَذَكَّرْ.⁽³⁾

وَيُلْحِظُ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ حَمَلَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، عَلَى أَنَّهُ -بعد التسليم على صحة سبب النزول- إِبْخَارٌ عَنِ الْآتِي، وَأَفَادَ أَنَّ الْإِبْخَارَ عَنِ الْآتِي فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ.

سابعاً: موقفه من الناسخ والمنسوخ:

المقصود بالناسخ والمنسوخ: رفع الحكم الشرعي بكتاب شرعي،⁽⁴⁾ ويرى التبريزي أَنَّ النسخ حقٌّ، وهو لمراعاة مصلحة الوقت، ولتثبيت المؤمنين على الإيمان بأن كلَّ ما في القرآن حقٌّ، كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: 102]: "لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا" [النحل: 102] عِلَّةً لِنَزْلِهِ، أَي: نَزَّلَهُ مُلْتَبِساً بِالْحِكْمَةِ، يَعْنِي: أَنَّ النَّسْخَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَقِّ.⁽⁵⁾

وقال في موضع آخر: "﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا مَكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: 101] بِالنَّسْخِ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: 101] مَا يُنَزِّلُ إِلَّا مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْوَقْتِ.⁽⁶⁾

(1) أورد الواحدي في أسباب نزول القرآن: أنها نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ، وَكَانَ رَجُلًا خُلُوَ الْكَلَامَ خُلُوَ الْمُنْظَرِ، يُلْقَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا يَحِبُّ وَيَطْوِي بَقْلَهُ مَا يَكْرَهُ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ يُجَالِسُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُظْهِرُ لَهُ أَمْرًا يَسْرُهُ وَيُضْمِرُ فِي قَلْبِهِ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5] يَقُولُ: يُكْمِنُونَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. لَكِنِ الصَّحِيحُ مِنْ سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ مَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (6/ 73) فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي بَابِ: ﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ [يونس: 90] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقْرَأُ: «أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ» قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا. فَقَالَ: «أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفَضُّوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفَضُّوا إِلَى السَّمَاءِ فَتَزَلَّ ذَلِكَ فِيهِمْ». مَعْنَى (يَتَخَلَّوْا) يَقَضُّوْا حَاجَةً فِي الْخَلَاءِ وَهُمْ عَرَاةٌ. وَمَعْنَى (فَيُفَضُّوْا) فَتُظْهِرُ عَوْرَتَهُمْ فِي الْفَضَاءِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَاجِزٌ.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 214-215).

(4) مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م، (ص: 238).

(5) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 249).

(6) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 249).

ومنهجه في الناسخ والمنسوخ: أنه يذكر احتمال النسخ في الآية، مع بيان معناه في احتمال عدم نسخه، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: 67]، حيث قال: "والآية منسوخة، أو جامعة بين العتاب والمنة".⁽¹⁾

ثامناً: موقفه من الإسرائيليات:

المقصود بالإسرائيليات في التفسير: ذكر قصة أو حادثة تُروى من مصدر إسرائيلي في التفسير.⁽²⁾ ولفظ (الإسرائيليات) وإن كان يدلّ بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنّ المراد به أوسع من ذلك وأشمل؛ أي: هو يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير.⁽³⁾

أما موقف التبريزي من ذكر الإسرائيليات في التفسير، فيمكن القول بأنه من المقلّين في ذكر الإسرائيليات، ولا يعتمد عليها في التفسير بالدرجة الأولى، إلا أنه ينقل في بعض المواضع عن المفسرين مرويات إسرائيلية بصيغة التضعيف (قيل)، وذلك بعد تفسير الآية، بغضّ النظر عما إذا كان المنقول مرويات إسرائيلية أم لا، كما فعل في تفسير برهان الرب في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: 24] حيث قال: "وبرهان الرب" عبارة عن الدلائل الدالة على قُبْح الزنا، وسوء عاقبته. وقيل: رأى جبريل يقول له: يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟ وقيل: تمثّل له يعقوب عاصاً أنامله، وقيل: رأى تمثال عزيز"⁽⁴⁾، فلم يبين التبريزي أنها من الإسرائيليات.

ومثال آخر على ذلك: قال التبريزي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: 77]: "أرادوا يوسف، واختُلف فيما أضافوا إليه من السرقة؟ فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجده -أبي أمه- فكسره، وألقاه بين الجيف في الطريق. وقيل: دخل كنيسة، فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه، فدَفَنَهُ. وقيل: دخل كنيسة، فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه، فدَفَنَهُ. وقيل: كان في المنزل عناق، أو دجاجة، فأعطاهما السائل".⁽⁵⁾

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 246).

(2) الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: 1398هـ)، الإسرائيليات في التفسير والحديث، وهبة، القاهرة، (ص: 13).

(3) ينظر: الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (1/ 121).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 224).

(5) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 228).

المطلب الرابع: منهجه في المسائل العقديّة والفقهية

أولاً: منهجه في المسائل العقديّة:

من المجالات التي تخصّص وبرع فيها التبريزي: المسائل العقدية، وبخاصة عقيدة الأشاعرة والمعتزلة، حيث وقف على دقائق هذين المذهبين، وتناول المسائل مقارناً بينهما، وطريقته في تناول المسائل العقدية في الغالب: يقوم بتفسير الآية ثم يقول: هذا عند الأشاعرة، ثم يذكر تفسيراً آخر قائلاً: وهذا عند المعتزلة. ويُرجّح في المسائل العقدية ما يوافق اعتقاد الأشاعرة غالباً مع عدم التعصّب فيه، ويردّ على أقوال المعتزلة؛ لأنّه من علماء أهل السنة كما يتضح من تعامله مع المسائل العقدية.

ومن الأمثلة على تعامله مع المسائل العقدية ما يأتي:

مثال على ترجيحه قول الأشاعرة وردّه لقول المعتزلة:

قال التبريزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 107]: "استثناء من الخلود في النار. وهو بظاهره يدلّ على جواز خروج أهل جهنّم منها، كما هو رأي الأشاعرة؛ من أنّ عصاة المؤمنين يخرجون منها البتّة. وعند المعتزلة معناه: أنّهم لا يُخلّدون في عذاب النار وحده، بل يُعذبون بأنواع من العذاب كما قال صاحب الكشاف: "وذلك أنّ أهل النار لا يُخلّدون في عذاب النار وحده، بل يُعذبون بالزهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلّها. وهو سخط الله عليهم، وخسؤه لهم، وإهانته إيّاهم." (1)

مثال على استنباطاته العقدية:

يلاحظ أنّه يستنبط من الآيات استنباطات كلامية وفق مذهب أهل السُنّة، كما فعل في تفسير قول الله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107]، حيث قال: "الضمير في ﴿بِهِ﴾ للخير، وهو دليل على جواز تعلّق غفرانه بالعاصي، غير ما خصّه الدليل، كالشرك." (2)

مثال على عدم تعصّبه في اتباعه لأراء الأشعرية:

قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11]، حيث قال: "لا يخفى أنّه يدلّ على أنّ أفراد الإنسان مُنمّاة في الحقيقة

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 430)، وعبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 220).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 215).

كما هو رأي أكثر الفرق، بخلاف رأي الأشاعرة؛ لأن الأرواح أنواع مختلفة عندهم، إلا أن يُراد من البشر ما هو الظاهر منه، أي: البدن لا مجموع الروح والبدن.⁽¹⁾

وأحياناً يثبت التبريزي عدم موافقة تفسير البيضاوي لمذهب الأشعرية -مع كونه من كبار الأشاعرة- فينتقده، ومن الأمثلة على ذلك:

قال التبريزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: 88]: "اللام لام العاقبة متعلق بـ﴿ءَاتَيْتَ﴾". ثم قال: "قال البيضاوي بعد احتمال كونها للعاقبة: "ويحتمل أن تكون للعلّة؛ لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال"⁽²⁾، وهو احتمال بعيد لا يرضى به أحد من الفريقين؛ لأن الأشاعرة لا يجعلون أفعال الحق معللة بالعرض، ويحملون اللام في أمثال هذه المواضع على العاقبة دون العلّة،⁽³⁾ والمعتزلة يتحاشون عن إسناد إرادة القبح إلى الله سبحانه⁽⁴⁾. ولهذا حمل التعليل صاحب الكشاف ههنا على وجه التشبيه، مع تجويزه أن يكون فعل الحق معللاً بالعرض."⁽⁵⁾

أما موقفه من الصوفية: فالتبريزي يصرح بأنه يتبع أقوال أهل التحقيق من الصوفية، حيث قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رُضْ أَبْلَعِ مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِ﴾ [هود: 44]: "وفي الآية دلالة على أن السماء والأرض سامعان لخطابه، ومحكومان تحت أمره، كما اعتقده أهل التحقيق من الصوفية. ومن تبع حكم العقل الناظر إلى الظواهر وقنع عن العلم بالحقائق بالعلم لخواصها وآثارها كالمعتزلة، حمل الآية وأمثالها على التشبيه والتمثيل. والأشاعرة⁽⁶⁾ تحمل النصوص على الظواهر ما لم يمنع مانع عن

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 235).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 122).

(3) ينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م، (5/ 244).

(4) ينظر: الهمداني، القاضي عبد الجبار بن أحمد، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ/1996م. (ص: 301).

(5) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 213).

(6) نحو فخر الدين الرازي حيث قال: "المراد أن توجيه صيغة الأمر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة يقرر في الوهم نوع عظمتة وجلاله تقريراً كاملاً." الرازي، مفاتيح الغيب، (17/ 353). إلا أن بعضهم حمله على المجاز

ذلك، ولا مانع في الآية، لكن البيضاوي أيضاً حمل الآية على التمثيل، حيث قال: "ثودياً بما يُنادى أولو العلم، وأمرًا بما يؤمرون؛ تمثيلاً لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وانقيادهما لِمَا يَشَاءُ تَكْوِينُهُ فِيهِمَا، بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ، الَّذِي يَأْمُرُ الْمُنْقَادَ لِحُكْمِهِ الْمُبَادِرَ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ، مَهَابَةً مِنْ عَظَمَتِهِ، وَخَشْيَةً مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ." (1)

ولم أجد في القسم المحقق من هذه الدراسة أي رأي تبناه التبريزي من آراء غلاة الصوفية، وله استنباطات عرفانية صوفية ذكرها في تفسير بعض الآيات، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، حيث قال: "بَيَّنَّ أَنَّ إِرَادَتَهُ ذَلِكَ أَمْرٌ صَحِيحٌ بَعِيدٌ عَنْ مِظَانِ الْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِبْعَادِ. وَذَكَرَ فِي بَيَانِهِ ثَلَاثَ مَقْدَمَاتٍ؛ الْأُولَى: أَنَّهُ مُسْتَمِدٌّ مِنَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ. وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ، بِجَعْلِهِ وَكِيلًا فِي مَجَامِعِ أُمُورِهِ، وَقَطْعِ الْعِلَاقَةِ عَنِ الْغَيْرِ، وَإِعَانَتِهِ. وَالثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مُنِيبٌ رَاجِعٌ إِلَيْهِ بِالضَّرُورَةِ فِي الْعَاقِبَةِ. وَالْأُولَى: إِشَارَةٌ إِلَى تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، وَالثَّانِيَةُ: إِلَى تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ، وَالثَّالِثَةُ: إِلَى تَوْحِيدِ الذَّاتِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَارِفَ الْوَاصِلَ إِلَى حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ لَا يَصُدُّرُ مِنْهُ أَمْرٌ قَبِيحٌ، فَإِنَّ كُلَّ مَا يَصُدُّرُ عَنْهُ إِنَّمَا يَصُدُّرُ بِإِرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ قَبِيحًا!" (2)

ثانياً: منهجه في المسائل الفقهية:

تعرض التبريزي للمسائل الفقهية في تفسيره بشكل موجز ودون تعصب لمذهب فقهي، لكنه لا يكتفي بذكر موقف المذاهب، بل يستدرك عليها باستنباطاته، كما فعل في بيان عدد ما تحمله الأرحام في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: 8] حيث قال: "وَنَهَايَةُ مَا عُرِفَ أَرْبَعَةٌ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَقَدْ تَشْتَمِلُ عَلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ" (3) وَسَكَتَ عَمَّا فَوْقَهَا. وَخَمْسَةٌ عِنْدَ

كما فعل البيضاوي والقرطبي. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (40/ 9).

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136)، وعبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 217).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 219).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 515).

الشَّافِعِيَّة، ولذلك قال البيضاوي: "وقال الشَّافِعِي: أخبرني شيخٌ باليمن أن امرأته وَلَدَتْ بُطُونًا فِي كُلِّ بَطْنٍ حَمْسَةً"⁽¹⁾ وَلَا حَدَّ لَهُ، ويجوز أن يكون أكثر من ذلك، لكنَّ المعلوم عندهما ذلك."⁽²⁾

مثال على ذكره احتجاج الفقهاء مع عدم تعصبه:

قال التبريزي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: 67]: "والآية منسوخة، أو جامعة بين العتاب والمنّة"، ثم قال بصيغة (قيل): "وقيل: السُّكْر النَّبِيدُ، وهو عصير العنب والزبيب والتَّمَر؛ إذا طُبِحَ يَذْهَبُ ثُلَاثًا، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَشْتَدَّ. وهو حلالٌ عند أبي حنيفةً إلى حدِّ السُّكْرِ"⁽³⁾، وَيَحْتَجُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ."⁽⁴⁾

حمل الآية على الاحتمالين: كونها منسوخة، أو كونها جامعة بين العتاب والمنّة، فهذا يدلّ على أنه لا يقبل قول أبي حنيفة في هذه المسألة.

المطلب الخامس: استدراكاته على الزمخشري والبيضاوي

الاستدراك في اللغة يُطلق على إصلاح خطأ أو إكمال نقصٍ أو إزالة لبس،⁽⁵⁾ والمقصود به هنا: ما جاء به التبريزي على أقوال العلماء السابقين من إكمال نقص، أو إزالة لبس، أو تصويب خطأ. ويمكن القول بأنّ القيمة العلمية لتفسير التبريزي تكمن في استدراكاته على من سبقه من العلماء، حيث إنّ هذا الجانب من الجوانب البارزة التي تميز بها في تفسيره، واعتمد في استدراكاته على أصول

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 182).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 232).

(3) قال ابن رشد الحفيد في بداية المجتهد: وَأَمَّا الْأَنْبِيذَةُ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقَلِيلِ مِنْهَا الَّذِي لَا يُسْكِرُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمُسْكِرَ مِنْهَا حَرَامٌ، فَقَالَ جُمْهُورُ فُقَهَاءِ الْحِجَازِ وَجُمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ: قَلِيلُ الْأَنْبِيذَةِ وَكَثِيرُهَا الْمُسْكِرَةُ حَرَامٌ. وَقَالَ الْعِرَاقِيُّونَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ مِنَ التَّابِعِينَ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَشَرِيكٌ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ وَسَائِرُ فُقَهَاءِ الْكُوفِيِّينَ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ الْبَصَرِيِّينَ: إِنَّ الْمَحَرَّمَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيذَةِ الْمُسْكِرَةُ هُوَ السُّكْرُ نَفْسُهُ لَا الْعَيْنُ. ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث - القاهرة، 1425هـ - 2004 م، (3/ 23).

(4) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 246).

(5) ينظر: الزيات، أحمد وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الطبعة الرابعة، 1425هـ - 2004م، (1/ 281).

التفسير وقواعده، كما سيتضح في الأمثلة الآتية. وقبل ذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّه كان يستعمل في استدراكاته العبارات ما يأتي:

1- قوله: ولا يخفى...".

2- قوله: فتأمل، أو "فتدبّر"، أو "هو محلّ تأمل"، أو "فيه تأمل".

3- قوله: "وفيه أنه" أو "وفيه أنه مناف ل...".

4- قوله: "وأنت تعلم أنّ... أو "وقد عرفت...".

أو ما شابه ذلك من العبارات التي تدلّ على استدراكاته على من سبقه من العلماء. وتفصيل استدراكاته بالأمثلة كما يأتي:

أولاً: استدراكات التبريزي على الزمخشري:

لقد استدرك التبريزي على الزمخشري في قضايا عدة، وبخاصّة في القضايا اللغوية والعقدية، واستدراكاته عليه في اللغة تدلّ على علوّ كعب التبريزي في اللغة والبلاغة، وأما استدراكاته في القضايا العقدية، فلم تكن تعصباً من التبريزي لمذهب عقدي مخالف لمذهب الزمخشري، بل كان أغلبها من قبيل بيان دلالة الآيات وكشفها، على خلاف كلام الزمخشري.

وأمثلة استدراكاته على الزمخشري في المسائل اللغوية كثيرة، منها: تصويب خطأ الزمخشري في توجيه العطف في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [يوسف: 4]، حيث فسّر التبريزي الآية قائلاً: "عطف على ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾، ويجوز أن يكون الواو بمعنى (مع)"، ثم ذكر كلام الزمخشري في قضية العطف فقال: "قال صاحب الكشاف: 'فإن قلت لم أحرر الشمس والقمر؟ قلت: أحرهما لعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بياناً لفضلهما واستبادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما أحر جبرائيل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك.'"⁽¹⁾

ثم استدرك التبريزي على كلامه قائلاً: "وهو محلّ تأمل؛ لأنّ عطفهما على ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا﴾ ليس من قبيل عطف الخاص على العام ليدلّ على مزية الفضل، وتمثيله بعطف جبرائيل وميكائيل على

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 443).

الملائكة ليس بصحيح؛ لأنهما داخلان في الملائكة، بخلاف الشمس والقمر، فإنهما ليسا بداخلين في ﴿أَحَدَ عَشَرَ كُوكَبًا﴾⁽¹⁾. فاعتمد التبريزي هنا على قاعدة لغوية في استدراكه على الزمخشري.

ومن أنواع استدراكاته على كلام الزمخشري: شرحه عباراته، حيث شرح التبريزي ما يحتاج إلى شرح من كلام الزمخشري في تفسيره، ومثال ذلك: ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: 58] حيث قال: "من الكآبة والحياء من الناس. و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى صار. وجَوَّزَ صاحبُ الكشف أن يكون (ظَلَّ) على أصل معناه، حيث قال: "ويجوز أن يجيء ظَلَّ؛ لأن أكثر الوُضْعِ يَتَّقَى اللَّيْلَ، فَيَظَلُّ نَهَارَهُ مُزِيدًا الْوَجْهَ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَيَاءِ."⁽²⁾ والتَّرْبُدُ تَغْيُرُ لَوْنِ الْوَجْهِ بِلَوْنٍ مُكَدَّرٍ. و(اسْوَدَّ الْوَجْهَ): كناية عن الاغتمام والتشوير.⁽³⁾

مثال على استدراكه في المسائل العقدية:

ومما يلاحظ في تفسير التبريزي أن المؤلف يراعي السياق القرآني في التفسير كثيراً، ويعبر عنه غالباً بالمقام القرآني، ويعكس ذلك على استدراكاته على الزمخشري، ومن الأمثلة على استدراكاته المتعلقة بالقضايا العقدية:

ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] حيث قال: "وأما على رأي من اشترط التوبة في المغفرة⁽⁴⁾ كالمعتزلة فمعناه: وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ تَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ عِصْيَانِي إِذَا بَدَأَ لَهُ فِيهِ، وَاسْتَحْدَثَ الطَّاعَةَ لِي. وقيل معناه: وَمَنْ عَصَانِي فِيمَا دُونَ الشَّرِكِ كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁵⁾ ولا يخفى أَنَّ الْأَوَّلَ تَكْلُفٌ، وَالثَّانِي خِلَافٌ مُقْتَضَى الْمَقَامِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ التَّرْغِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّزْهِيبِ عَنِ الشَّرِكِ."⁽⁶⁾

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 222).

(2) الزمخشري، الكشف، (2/ 612).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 245-246).

(4) عند المعتزلة: إذا كانت معاصي العبد أكثر من طاعاته: فهو صاحب كبيرة وتلزمه التوبة لكي يسقط عنه ما يستحقه من العقوبة. الهمذاني، القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 789).

(5) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 558).

(6) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 237-238).

استدرك التبريزي على القولين الذين ذكرهما الزمخشري في مسألة غفران الله تعالى للعصاة المسلمين، لوجود تكلف في أحدهما، ومخالفة الآخر للمقام القرآني.

ومثال آخر على استدراكاته في القضايا العقدية: مسألة خلق الله تعالى لأفعال العباد: حيث قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 12]:

"أي: يُدْخِلُ الاستهزاء في قلوب المجرمين. وهو على هذا دليل لما اعتقده الأشاعرة من أن الله تعالى خالق لأفعال العباد، حيث نسب إدخال الاستهزاء في قلوب المجرمين إلى نفسه بالصدور عنه. وجعل صاحب الكشف الضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ للذكر على معنى: أنه يُلْقِيهِ في قلوبهم مُكْذَباً مُسْتَهْزِئاً به مستدلاً بأن قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الحجر: 13] إما حال عن هذا الضمير، أو بيان وتفسير لقوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾. وعلى التقديرين يلزم أن يكون الضمير للذكر، ويرد عليه أنه لم لا يجوز أن تكون الجملة حالاً عن ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾، أو عن المستتر فيه؟ وكون الجملة بياناً، لا يُنَافِي أن يكون الضمير في المبين لشيء آخر. نعم، تطابق الضميرين المتعاقبين في المرجوع إليه أولى لو أمكن بلا كلفة، ومعلوم أن تطابقهما ههنا محتاج إلى تكلفٍ وتقديرٍ في العبارة، ولا مانع من رجوع الضمير إلى الاستهزاء مع ورود قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: 27]، فإن إسناد الإدخال المذكور إليه تعالى ليس بأبعد من إسناد الإضلال إليه." (1)

فيلاحظ هنا أن التبريزي أثبت عدم موافقة كلام الزمخشري للآية، وكان مرجعه في ذلك اللغة.

ثانياً: استدراكاته على البيضاوي:

استدرك التبريزي على البيضاوي أيضاً في قضايا شتى؛ كاللغة، والعقيدة، وغيرهما.

ومن الأمثلة على استدراكاته على البيضاوي في المسائل اللغوية:

قال التبريزي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 43]: "الضمير للغاوين و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد. وجوز البيضاوي أن يكون حالاً، حيث قال: "أو حال، والعامل فيها الموعد،

(1) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 239).

على تقدير مُضَافٍ⁽¹⁾، وفيه تأمل؛ لأنَّ تَعْلُقَ الوَعْدَةِ بهم في الدُّنْيَا وهم مُتَقَرِّقُونَ، فلا يصحُّ أن يكونَ حالاً.⁽²⁾

ومن خلال استدراكات التبريزي على البيضاوي، كشف بذلك تناقضات البيضاوي في مسائل مختلفة، ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: 15]؛ "أي: من كان مراده الدُّنْيَا دون الآخرة؛ نُوفَ إليه جزاء أعماله فيها، من الصَّحَّةِ، والرَّئِاسَةِ،⁽³⁾ وسعة الرِّزْقِ، وأمثالها. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ [هود: 15] لا يُنْقِصُونَ شيئاً من أجورهم في الدُّنْيَا. والآية في أهل الرِّياءِ، وقيل: في المنافقين، وقيل: في الكَفَرَةِ وبرِّهم، كذا في تفسير البيضاوي.⁽⁴⁾ كأنه جَوَزَ هُهْنَا أن يكونَ في السُّورَةِ ذِكْرُ حالِ المنافقين، وقد مَنَعَهُ قبل ذلك.⁽⁵⁾

ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لمعنى (سُبْحَانَ) في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1]، حيث قال: "اضْطَرَبَ كلامُ البيضاوي فيه؛ قال في تفسير آية: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: 32] في سورة البقرة: "وسُبْحَانَ: مصدرٌ كغُفْرَانَ، ولا يكادُ يُستعملُ إلا مُضَافاً منصوباً بإضمارِ فِعْلِهِ، كَمَعَاذَ اللَّهِ. وقد أُجْرِيَ عِلْماً للتَّسْبِيحِ؛ بمعنى: التَّنْزِيهِ على الشُّدُودِ في قوله: سُبْحَانَ مَنْ عُلِّمَهُ الْفَاخِرِ."⁽⁶⁾

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 212).

(2) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 241).

(3) في جميع النسخ: والرِّياسَةِ، وأُثْبِتَ (والرَّئِاسَةِ) لأنه أصح.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 130).

(5) يقصد قول البيضاوي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5] حيث قال: "وقيل نزلت في المنافقين، وفيه نظر، إذ الآية مكيَّة والنفاق حدث بالمدينة." ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128)، وعبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 216).

(6) البيت للأعشى (ميمون بن قيس)، وتمام نصّه:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مَنْ عُلِّمَهُ الْفَاخِرِ.

وذكره ابن الشجري في أماليه وقال: إنه لما صار علماً للتسبيح، وانضمَّ إلى العلميَّة الألف والنون الزائدتان، تنزَّل منزلة (عثمان)، فوجب ترك صرفه. وقال أبو علي الفارسي: (سبحان) فتحت؛ لأن تأويله الإضافة عند الفراء وهو تنزيه وضع موضع المصدر، في الأصل: سبحت تسبيحاً وسبحاناً. وقال سيبويه: معنى قوله: (سبحان من علّقه) أي: عجباً له إذ يفخر. ينظر: أعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجاميز، (ص: 143)، وابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (المتوفى: 542هـ)، أمالي ابن الشجري،

وقال هُنا: "اسمٌ بمعنى: التَّسْبِيحُ الذي هو التَّنْزِيهُ،" (1) فَجَعَلَهُ اسْمَ مصدرٍ. قال صاحبُ الكشاف: "سُبْحَانَ عِلْمٍ لِلتَّسْبِيحِ، كـ(عثمان) للرجُل." (2) والظاهرُ أَنَّهُ لم يُجَوِّزْ كَوْنُهُ مصدرًا، حيثُ حَكَمَ بِأَنَّهُ عِلْمٌ لِلتَّسْبِيحِ، فَكَانَ البِيضَاوِيُّ بَدَأَ لَهُ فَتَبَعَ صاحبُ الكشاف. (3)

وكان التبريزي يشير إلى تفسير البضاوي المخالف لاعتقاد الأشعرية إن ورد ذلك منه؛ لكونه من كبار علماء الأشاعرة، كما فعل في حمل البضاوي النداء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا رُضُّ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي﴾ [هود: 44] على التمثيل. (4)

مثال على استدراكاته في المسائل الفقهية:

قال في حكم الاستعاذة في الصلاة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]: "الفاءُ للتَّعْقِيبِ، أي: بَعْدَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ثَنَاءَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَاسْتَعِذْ حِينَ إِرَادَةِ الْقِرَاءَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وهو دليلٌ على أَنَّ الاستعاذة من الأعمالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْجَزَاءُ الْحَسَنُ، والجمهورُ على أَنَّ الأَمْرَ بِهِ لِلِاسْتِحْبَابِ. قال البضاوي: "وفيه دليلٌ على أَنَّ الْمُصَلِّيَّ يَسْتَعِذُّ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الْمُتَرْتَّبَ عَلَى الشَّرْطِ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِهِ قِيَاسًا" (5). وفيه تأملٌ؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ إِرَادَةُ الْقِرَاءَةِ، ولا تَكَرُّرَ فِي الْإِرَادَةِ فِي الصَّلَاةِ، بل إِرَادَةُ وَاحِدَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمَجْمُوعِ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ، يَسْتَمِرُّ حُكْمُهَا إِلَى آخِرِ الصَّلَاةِ، كما يُنَادِي عَلَيْهِ اشْتِرَاطُ النَّيَّةِ. (6)

تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1991 م، (2/ 107)، ينظر أيضا: المبرد (المتوفى: 285هـ)، المقتضب، (3/ 218)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/ 474)، وأبو علي الفارسي (ت 377 هـ)، المسائل البصريّات، تحقيق: محمد الشاطر، مطبعة المدني، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 هـ، (1/ 410). والحميري، نشوان بن سعيد اليميني (المتوفى: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، (5/ 2952).

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 247).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 646).

(3) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 251).

(4) ينظر: (ص: 123) من هذه الرسالة.

(5) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 240).

(6) عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 249).

المطلب السادس: القيمة العلمية لتفسير التبريزي

بعد تحقيق القسم المخصّص لهذه الدراسة من تفسير التبريزي، يتضح أن شخصيّة التبريزي وقيمة تفسيره العلمية تبرز من خلال النقاط الآتية:

أولاً ما له من ميّزات:

1. اهتمام المؤلف بأحسن طرق التفسير؛ كتفسير القرآن بالقرآن والسنة، ورجوعه إليها في تحليل آراء المفسرين ونقدها.
2. عناية المؤلف بقضايا علوم القرآن؛ كأسباب النزول، والمكي والمدني، وتوظيفه إيّاها في القضايا التفسيرية.
3. عدم اكتفاء المؤلف بنقل أقوال القدامى في التفسير، بل أتبعها بالتحليل، والمناقشة، والنقد.
4. تعقبات التبريزي واستدراكاته على صاحب الكشف في قضايا عدة، خاصّة القضايا اللغوية والعقدية، حيث إن اللغة هي المجال الذي برع فيه الزمخشري، والذي اعتمد عليه في تأصيل آرائه الاعتزالية، ونصرة مذهبه في مقابل مذهب أهل السنة، فكان التبريزي جازاه على ذلك، وكان الجزاء من جنس عمله، ولم يترك التبريزي في ذلك الحيادية والموضوعيّة.
5. استدراكاته على البيضاوي؛ حيث شرح كلامه تارة، وأضاف إليه تارة أخرى، وأثبت الأخطاء التي وقع فيها البيضاوي مع بيان وجه الخطأ عنده.
6. تقديم التبريزي إلى تراث التفسير تفسيراً قيماً، يمثل نموذجاً يبيّن من خلاله كيفية المقارنة بين أعلام المفسرين، وتحليل كلامهم ونقده، معتمداً في ذلك على قواعد التفسير والترجيح، متمسكاً بالحيادية، متجنباً التعصب المذهبي.
7. بيان القضايا اللغوية والبلاغية، وشرحها.
8. توجيه القراءات القرآنية وتوظيفها في التفسير؛ حيث اعتنى التبريزي بتوجيه القراءات، سواء كانت متواترة أو شاذة، وأعملها في التفسير.
9. نقل المؤلف خلاصة أقوال الزمخشري والبيضاوي في المسائل، وشرّحها إيّاها عند الاقتضاء، وهذا الأمر فيه تيسير على القارئ.
10. ربط التبريزي بين المعاني ومقومات الفهم؛ كالقراءات وأسباب النزول مشيراً إلى ذلك بقوله: "ويؤيده قراءة... أو "يؤيده ما روي...".

11. استعمال التبريزي مناهج النقد العلمي؛ ك(فرض التسليم والردّ) قائلاً: "وعلى تقدير التسليم..."

في استدراكاته على أقوال من سبقه من العلماء.

12. تجنّب المؤلف الإطناب المملّ في المسائل العقدية والفقهية.

13. عدم الإكثار من نقل الإسرائيليات، وعدم الاعتماد عليها في التفسير اعتماداً تاماً.

ثانياً: ما عليه من مآخذ:

ومع كون تفسير التبريزي يستحق الوصف بالدقّة والأصالة، إلا أنه لا يخلو من بعض المآخذ عليه،

كما هو حال جميع الجهود البشرية، ومن المآخذ على تفسير التبريزي ما يأتي:

- عدم التمييز بين القراءات المتواترة والشاذّة، وهذا مما يصعب الأمر على القارئ.
- عدم الإشارة إلى صحّة المرويات، والاكتفاء بالتعبير عنها بـ: (رُوي).
- ذكر المؤلف الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولو كان أكثرها في فضائل السور.
- عدم بيان أسماء بعض مراجعه، رغم أنّه بيّن الكثير منها.
- اعتماد المؤلف على الكشاف وتفسير البيضاوي في نقل الأحاديث والمرويات الضعيفة والموضوعة.

المطلب السابع: التعريف بالنسخ الخطية لتفسير التبريزي ووصفها.

بعد البحث في فهارس المكتبات تمّ العثور على خمس نسخ خطية لتفسير التبريزي، وكلها كاملة وموجودة في خزائن المخطوطات. ووصفها كالآتي:

1. النسخة الأولى: تحتفظ بها مكتبة داماد إبراهيم الملحقة بالسليمانية في مدينة (إسطنبول)، تحت رقم:

(100)، تقع في (493) لوحة، في كل لوحة صفحتان، مسطرتها: (35) سطراً، ومتوسط عدد

الكلمات في كل سطر: (23) كلمة، كتبها درويش إبراهيم المولوي، جاء في آخرها: (قد اتفق الفراغ

من تأليفه وتحريره في شهر محرم الحرام من شهور سنة ثلاث وثلاثين وألف، بعون الله وحسن توفيقه

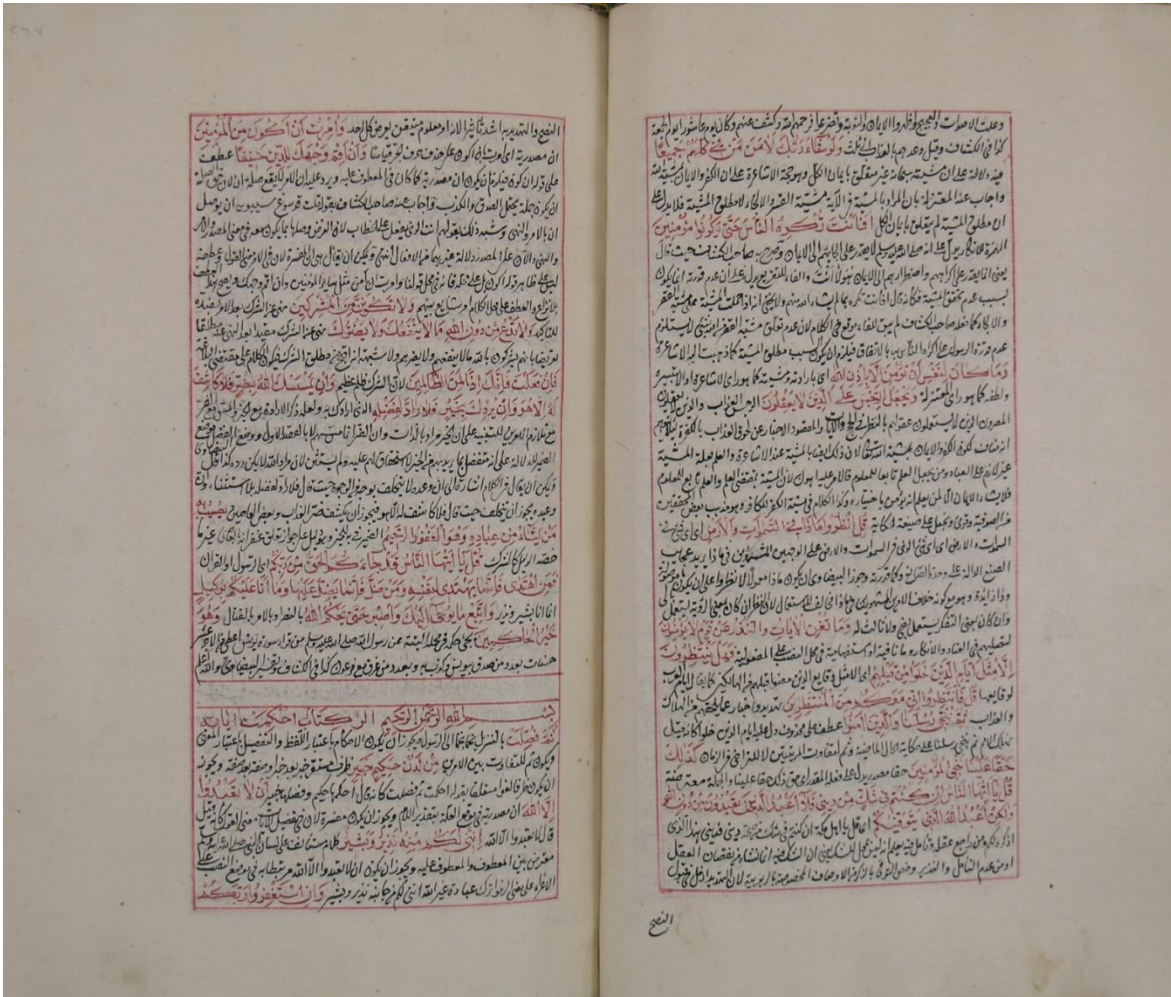
في محروسة دار السلام بغداد). كتبها: درويش إبراهيم المولوي، وهي المعتمدة أصلاً في الدراسة،

لأنّها منسوخة عن آخر ما حرره التبريزي في تفسيره، ويرمز لها بالرمز (د).



صورة من بداية تفسير الآية (50) من سورة يونس، من نسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا
الملحقة بالسليمانية.

2. النسخة الثانية: محفوظة في مكتبة فيض الله أفندي ب(إسطنبول)، تحت رقم: (75)، تقع في (682) لوحة، في كل لوحة صفحتان، مسطرتها: (31) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: (31) كلمة، جاء في آخرها: (اتق الفراغ من تأليفه في أوائل شهر رجب من شهر سنة ثمان وعشرين وألف بعون الله وتوفيقه في محروسة دار السلام بغداد). وهي ملونة بلونين، الأحمر للآيات، والأسود للتفسير، ومكتوبة بخط واضح، وليس في هذه النسخة أي بياضات أو سوادات، ولا يُعرف ناسخها، ويرمز لها بالرمز (ض).



صورة من بداية سورة هود من نسخة مكتبة فيض الله أفندي

3. النسخة الثالثة: تحتفظ بها مكتبة يوسف أغا في مدينة (قونيا) التركية، تحت رقم: (5553)، تقع في (460) لوحة، في كل لوحة صفحتان، مسطرتها: (35) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: (28) كلمة، كتبها زكريا بن بكداش في شهر رمضان سنة (1158هـ)، جاء في آخرها: (قد اتفق الفراغ من تأليفه وتحريره في أوائل شهر رجب من شهور سنة ثمان وعشرين وألف بعون الله وحسن توفيقه من محروسة دار السلام بغداد)، وكتبها: زكريا بن بكداش سنة (1158) في شهر رمضان، وهي مكتوبة بلونين: الآيات باللون الأحمر، والتفسير بالأسود، وليس في النسخة نواقص، ولا سوادات، ولا هوامش، ويرمز لها بالرمز (غ).



صورة من بداية سورة يوسف من نسخة مكتبة يوسف آغا في مدينة قونيا التركية

4. النسخة الرابعة: تحتفظ بها المكتبة الحميدية الملحقة بالسليمانية في مدينة (إسطنبول)، تحت رقم:

(59)، تقع في (637) لوحة، في كل لوحة صفحتان، مسطرتها: (31) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات

في كل سطر: (25) كلمة، كتبها قوندلججي زاده حافظ سليمان، جاء في آخرها: (قد اتفق الفراغ من

تأليفه وتحريره في شهر محرم الحرام من شهر سنة ثلاث وثلاثين وألف بعون الله وحسن توفيقه في

محروسة دار السلام بغداد) وكتبها: قوندلججي زاده حافظ اسماعيل، وهي وقف إمام المسلمين السلطان

عبد الحميد خان بن أحمد خان، وليس في هذه النسخة أي بياضات أو سوادات، وليس عليها هوامش،

أو تعليقات، أو تحقيقات، ومكتوبة باللونين، الأسود، والأحمر، ويرمز لها بالرمز (م).



صورة من بداية سورة الرعد من نسخة مكتبة الحميدية الملحقة بالسليمانية

- 5- النسخة الخامسة: تحتفظ بها مكتبة عموجه زاده حسين باشا الملحقة بالسليمانية في مدينة (إسطنبول) تحت رقم: (21)، تقع في (485) لوحة، في كل لوحة صفحتان، مسطرتها: (35) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر: (25) كلمة، وآخرها الى ختام تفسير سورة الناس، وليس في آخرها ملحق ببيان وقت الفراغ من كتابته، وتأليفه، ومن هو كاتبها، وليس فيها بياضات أو سوادات، أو هوامش، أو حواشي، أو فقها الوزير حسين باشا ابن حسن آغا، ويرمز لها بالرمز (ش).



صورة من الآية (17) من سورة الإسراء من نسخة مكتبة زاده حسين باشا الملحقة
بالسليمانية

الفصل الثاني: قسم التحقيق، وهو: التفسير من الآية 50 من سورة يونس، إلى الآية 17 من سورة الإسراء.

(10) سورة يونس (من الآية 50 إلى النهاية).

(11) سورة هود

(12) سورة يوسف

(13) سورة الرعد

(14) سورة إبراهيم

(15) سورة الحجر

(16) سورة النحل

(17) سورة الإسراء (إلى نهاية الآية 17).

الفصل الثاني: قسم التحقيق، وهو: التفسير من الآية 50 من سورة يونس، إلى الآية 17 من سورة الإسراء.

سورة يونس (من الآية 50 إلى النهاية).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: 50]

وقت الاشتغال بالنوم أو بأمر المعاش. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 50] أي: أي شيء من العذاب تستعجلونه؟ ووضع (المجرمون) موضع الضمير؛ للإشعار بفتح⁽¹⁾ استعجالهم؛ لأن المجرم ينبغي أن يخاف العذاب، ويفزع من⁽²⁾ مجيئه فضلاً عن أن يستعجله. والجملة متعلقة بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾؛ لأنه بمعنى: أخبروني، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن أتاكم عذابه تتدموا على⁽³⁾ الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه.

قال البيضاوي: "يجوز أن يكون الجواب ﴿مَاذَا﴾، كقولك⁽⁴⁾: إن أتيتك ماذا تُعطيني؟ وتكون الجملة متعلقة بـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾.⁽⁵⁾ ولا يخفى أنه منافٍ لما ذكره ابن الحاجب من لزوم الفاء في الجزاء، إذا كانت جملة اسمية أو⁽⁶⁾ استفهامية، أو أمراً، أو نهياً، أو مضارعاً منفياً بغير "لا"،⁽⁷⁾ والله أعلم.

(1) في نسخة (غ): بفتح.

(2) في جميع النسخ: (عن)، وأثبت (من) لكونها أصح.

(3) في نسخ (الأصل، ش، م): عن.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): سقط الكاف، وهو ثابت في تفسير البيضاوي.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): أفرأيتم. وفي تفسير البيضاوي "أرأيتم" وهو الصحيح. ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 115).

(6) في نسخة (غ): و.

(7) نص ابن الحاجب: "إذا قلت: إن أكرمتني أكرمتك. لا يجوز دخول الفاء لما تقرر من أن حرف الشرط إذا أفاد في الجزاء استقبالاً لم يجز دخول الفاء، وكل موضع لم يفد فيه الشرط استقبالاً إنه يجب دخول الفاء"، ابن الحاجب، عثمان بن عمر، (المتوفى: 646هـ)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر قدادة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، 1409هـ/ 1989م، (1/ 114).

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ [يونس: 51]

إنكارٌ لتأخير الإيمان بالعذاب إلى وقتٍ لا ينفع الإيمان فيه. ﴿ءَالْكَنْ﴾ [يونس: 51] على إرادة القول، تقديره: قُلْ لهم: الآن آمنتم به؟! ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: 51] إنكاراً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [يونس: 52]

عطفٌ على (قيل) المقدر: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [يونس: 52] مقول القول. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 52] استئناف؛ لبيان علة الأمر.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: 53]

الضمير للعذاب الموعود، والاستفهام للإنكار بقرينة الجواب، حيث أكد بالقسم، وب(إن)، وباللام للتأكيد. قال صاحب الكشاف: "وقرأ الأعمش: (الحق هو).⁽¹⁾ وهو أدخل في الاستهزاء، لتضمنه معنى التّعريض بأنه باطل. وذلك، أن اللام للجنس، فكأنه قيل: أهو⁽²⁾ الحق لا الباطل؟ أو: أهو الذي سميتموه الحق".⁽³⁾ انتهى.

مقصوده: أن "الحق" من حيث إنه معرفت بلام الجنس مقصود في مرجع الضمير، يعني: أن العذاب حق لا غيره؛ على قصر⁽⁴⁾ القلب، فإنكاره يدل على أن غير العذاب حق، لا العذاب. وهو معنى التّعريض ببطلانه، لكن قدم الضمير في البيان إشعاراً بأن (الحق) وإن كان مبتدأ، مسنداً⁽⁵⁾ إلى فاعله؛ لأنه وقع بعد همزة الاستفهام.

(1) قراءة شاذة: قرأ بها الأعمش. ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ-1999م، (1/ 312)، ينظر أيضاً: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ، (3/ 125).

(2) سقط من نسخة (م): همزة الاستفهام.

(3) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ، (2/ 352).

(4) في نسخة (غ): قصد.

(5) في نسخة (غ): مسنداً.

وَتَوَهَّمَ بَعْضُ الْمُحَشِّينَ⁽¹⁾ أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ قَبِيلِ قَصْرِ⁽²⁾ الْمَسْنَدِ [إِلَيْهِ عَلَى الْمَسْنَدِ]،⁽³⁾ حَيْثُ قَالَ: لَا حَاجَةَ إِلَى مَا فِي الْكُتَّافِ؛ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ قَصْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ فِي⁽⁴⁾ إِفَادَةِ الْمَرَامِ، لِيَرِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ خِلَافُ مَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَقْدِيمَ الضَّمِيرِ لَا دَخْلَ لَهُ فِي تَغْيِيرِ الْقَصْرِ؛ لِأَنَّ مَدْخُولَ⁽⁵⁾ اللَّامِ مَقْصُورٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، سِوَاءِ جُعِلَ مَسْنَدًا أَوْ مَسْنَدًا إِلَيْهِ خُصُوصًا إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْمَسْنَدُ بِالتَّأْخِيرِ. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53] بِفَائِيتَيْنِ الْعَذَابِ، وَهُوَ لَاحِقٌ بِكُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس: 54]

فَدَأَى لِلْخَلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [يونس: 54] وَأَظْهَرُوا النَّدَامَةَ بِوَاسِطَةِ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ. (لَمَّا) ظَرَفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَالْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْرَارُ بِمَعْنَى الْإِخْفَاءِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِظْهَارِ نَدَامَتِهِمْ لِقَرْطِ دَهْشَتِهِمْ. فَلَمْ يُطِيقُوا عِنْدَهُ بُكَاءً وَلَا صُرَاحًا كَمَا هُوَ شَأْنُ النَّادِمِينَ.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: 54] أَيْ: بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَتَكْذِيبِهِمْ؛⁽⁶⁾ بَأَنَّ يُؤْمَرُ⁽⁷⁾ الْأَنْبِيَاءُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالْمَكْذِبُونَ بِدُخُولِ النَّارِ. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: 54] بِزِيَادَةِ الْعِقَابِ فِي النَّارِ، وَبِنُقْصَانِ الثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ، فَلَا تَكَرَّرَ فِي الْكَلَامِ.

(1) لعل قصده شهاب الدين الخفاجي حيث هو انتقد البيضاوي في أخذه كلام الزمخشري المذكور حيث قال الخفاجي: "قوله: (ويؤيده أنه قرئ الحق هو إلخ) أي: بالتعريف مع الاستقهام، أي: هذه القراءة تؤيد أن المراد الإنكار لما فيها من التعريض لبطالانه المقتضي لإنكاره فإنه قصر للمسند على المسند إليه المشهور، والمعنى: أن الحق ما تقول أم خلافه، فلا حاجة إلى ما في الكشاف من جعله من قصر المسند إليه على المسند المخالف لما عليه علماء المعاني، وإرجاعه لكلام الكشاف كما توهمه بعضهم مما لا داعي إليه." الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، عناية القاضى وكفاية الرّاضى على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت، (5/ 37).

(2) في نسخة (غ): قصد.

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخة (ش): فيه. وفي نسخة (غ): من.

(5) في نسخة (ش): بدخول.

(6) في جميع النسخ: تكذيبهم، لعل قصده: بين الأنبياء وتكذيب الكفار، أو بين الأنبياء ومكذبيهم.

(7) في نسختي (م، ش): يوم.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 55]

إثبات لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْجَزَاءِ. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: 55] تنبيه على أَنَّ وَعْدَهُ ثَابِتٌ لَا خُلْفَ فِيهِ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 55] لَشِدَّةِ إِيْفِهِمْ بِالْمَحْسُوسَاتِ.⁽¹⁾

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: 56]

استئناف؛ لبيانِ تَحَقُّقِ الْحَشْرِ، وما فيه من الوَعْدِ والوَعِيدِ.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]

[57]

أي: قد جاءكم كتابٌ جامعٌ لهذه الفوائد. وفي تعميم⁽²⁾ مجيئه موعظةً للناسِ وتخصيصِ كونه هدىً ورحمةً للمؤمنين، إشارةً إلى أَنَّ الْكَفَارَ أَيْضاً مخاطَّبون بالفروع.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس: 58]

الباءُ متعلِّقةٌ بمقدَّرٍ دلَّ عليه ما قبله أو ما بعده. ﴿فَبَدَّلَكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58] الفاءُ الأولى فصيحةٌ، والثانيةُ هي التي تَوَسَّطَتْ بين العاملِ والمعمولِ في نحو: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: 40]. وقُرى

(1) لعل قصده: لِفَرَطِ ارتباطهم بالمحسوساتِ وعدم اعتقادهم ما وراء الطبيعة.

(2) في نسخة (م): تقخيم.

(فَلْتَقْرَحُوا)⁽¹⁾ بالتاء⁽²⁾ على الأصل؛ لأنه من تَتَمَّةِ المَقُولِ. وَمَنْ قرأه بالياءِ جَعَلَهُ من تَتَمَّةِ المَقُولِ بحسبِ⁽³⁾ المعنى دون اللَّفْظِ، أي: قُلْ لَهِمْ هذا المعنى، بأيِّ عبارةٍ شِئْتَ. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58] الضَّمِيرُ لِـ﴿ذَلِكَ﴾، استئنافٌ لبيانِ العِلَّةِ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ [يونس: 59] أي: قُلْ: أَخْبِرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَنْزَلَ اللَّهُ لِإِنْفَاعِكُمْ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَلَالًا وَحَرَامًا؟ يعني: أَنْزَلَهُ لِإِنْفَاعِكُمْ رِزْقًا حَلَالًا كُلَّهُ، فَبَعْضُثُمُوهُ، وَقُلْتُمْ: هذا حَرَامٌ وهذا حَلَالٌ. والمقصود: إنكارُ إنزالِ ما هو سببٌ لتحريمهم الرِّزْقِ.

وكلمة (مَا) على هذا استقْهَامِيَّةٌ. ويجوزُ أن تكونَ موصولةٌ مفعولاً أولاً⁽⁴⁾ لِـ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾. ﴿قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 59] تعلِيمٌ آخَرُ، فيه تأكيدٌ وتقديرٌ لِمَا هو المقصودُ من نَفْيِ إنكارِ إنزالِ ما هو سببُ التَّحْرِيمِ، هذا على الاحتمالِ الأولِ. وأمَّا على الاحتمالِ الثَّانِي؛ فهو مفعولٌ ثانٍ لِـ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ بتكريرِ ﴿قُلْ﴾ للتأكيدِ.

(1) قراءة متواترة: قرأ رويس عن يعقوب (فَلْتَقْرَحُوا) بالتاء، وقرأ الباقر بالياء. ينظر: النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 234)، وابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ)، حجة القراءات، (ص: 333)، والهذلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 568).

(2) قراءة متواترة: وهي رواية رويس عن يعقوب الحضرمي، وهي قراءة أبي، قال صاحب النشر: "وَرَوَيْنَاهُمَا مُسْنَدَةً عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ"، وقرأ الباقر بياء الغيبة. ينظر: ابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر (2/ 285)، والقاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: 149). وحجة القراءة بالياء: قرئ حملاً على الغيبة في قوله تعالى قبل: ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، محيسن، محمد (المتوفى: 1422هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية (2/ 137). حجة القراءة بالتاء: قرئ حملاً على الخطاب في قوله تعالى قبل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: 57]. محيسن، محمد (المتوفى: 1422هـ)، القراءات وأثرها في علوم العربية، (2/ 141)، ومحيسن، محمد (المتوفى: 1422هـ)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر (2/ 299). واستدل صاحب النشر على أمر المخاطب باللام والتاء بالمروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: لِنَأْخُذُوا مَصَافِكُمْ. ابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر (2/ 285) يعني به: "خُذُوا مَصَافِكُمْ". وضعفه ابن خالويه بأنَّ العرب لم تستعمل الأمر باللام للحاضر إلا فيما لم يُسمَّ فاعله كقولهم: لِنُعْنِ بِحَاجَتِي. ابن خالويه، (المتوفى: 370هـ)، الحجة في القراءات السبع (ص: 182).

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): أول، وفي نسخة (غ): أولى.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [يونس: 60]

أي: أي شيء ظنهم يوم الجزاء؟ أَيْحَسِبُونَ⁽¹⁾ أَنَّهُمْ [لن يُجازوا]⁽²⁾ على افتراءهم على الله سبحانه؟
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [يونس: 60] حيث أنعم عليهم ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام.
﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: 60] هذه النعمة.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ [يونس: 61]

(ما) نافية وضمير ﴿منه﴾ للشأن؛ لأن القرآن شأن من الشؤون. و﴿من قرآن﴾ بيان. ويجوز أن يكون ﴿من قرآن﴾ مفعول ﴿تتلوا﴾ على أن يكون (من) للتبعية، أو تكون⁽³⁾ مزيده لتأكيد النفي، وتكون (من) في ﴿منه﴾⁽⁴⁾ للتعليل، بمعنى: من أجله؛ لأن التلاوة إنما تكون لأجل شأن من الشؤون.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [يونس: 61] تعميم بعد تخصيص؛ ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: 61] رُقَبَاءَ. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61] متعلق بـ﴿شهوداً﴾، أي: تخوضون⁽⁵⁾ فيه.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: 61] ولا يبعد عنه، ولا يغيب عن علمه ما يوازن نملة صغيرة، أو هباء. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: 61] أي: في الوجود. ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61] كلام مستقل فيه تقرير لسابقه، والكتاب المبين: اللوح⁽⁶⁾ المحفوظ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]

استئناف لبيان حال المتقين؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾⁽⁷⁾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
[يونس: 63-64] يحتمل التفسير والتعليل.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: 64] استئناف لبيان وقوع المبشر به، وأنه لا يتخلف عن البشارة.
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 64] إشارة إلى كونهم مبشرين.

(1) سقط من نسختي (غ، ض): همزة الاستفهام.

(2) بين المعقوفتين في جميع النسخ: لا يُجازوا، وأثبت (لن يُجازوا) لأنه أصح.

(3) في نسخ (ش، ض، غ): يكون.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) في جميع النسخ: يخوضون، وأثبت (تخوضون) لأنه أصح.

(6) سقط من نسخة (غ).

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: 65]

تسليّة للنبي عليه الصلاة والسلام. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: 65] تعليل للنهي، وقرأ (أن) بالفتح⁽¹⁾، على تقدير اللام. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: 65] استئناف لبيان تحقيق⁽²⁾ الوعيد الذي يفهم من قوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 66]

من ذوي العقول. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [يونس: 66] أي: لا يتبع⁽³⁾ المشركون شركاء في الحقيقة؛ لأن ذوي العقول إذا لم يكونوا مستحقين للشراكة، فغيرهم بالطريق الأولى. ويجوز أن يكون ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾، ويكون مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾ محذوفاً، دلّ عليه ما بعده. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [يونس: 66] أي: إنما يتبعون ظنهم. ويجوز أن يكون (ما) استفهامية منصوبة بـ﴿يَتَّبِعُ﴾، أي: أي شيء يتبع المشركون، يعني: أن ما⁽⁴⁾ يتبعونه ليس بشيء. ويجوز أن يكون موصولة بحذف العائد معطوفة على ﴿مَنْ﴾. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: 66] الخرص: الكذب، ويجيء بمعنى التقدير،⁽⁵⁾ وكلا المعنيين مناسب.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾ [يونس: 67]

الظاهر أن ﴿جَعَلَ﴾ متعدّ إلى مفعول واحد، بمعنى: "خلق". فعلى هذا يكون ﴿مُبْصَرًا﴾ حالاً. ولم يقل "لِتُبْصِرُوا" كما يقتضيه سوق الكلام؛ لأن لا يتوهم أن فائدة خلق النهار محض الإبصار، بل له فوائد شتى خارجة عن حد الضبط. ويفهم من عبارة صاحب الكشاف أن ﴿جَعَلَ﴾⁽⁶⁾ متعدّ إلى مفعولين⁽⁷⁾

(1) قراءة شاذة: قرأ أبو حيو (أن العزة)، بالفتح، ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد (المتوفى: 370هـ) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبّي، القاهرة، (ص 62). وقال الزمخشري: قرأ أبو حيو (أن العزة)، بالفتح بمعنى: لأن العزة... على صريح التعليل. الزمخشري، الكشاف، (2/ 357).

(2) في نسختي (ض، غ): تحقق.

(3) في جميع النسخ: يتبعون وأثبت (يتبع) لأنه أصح.

(4) سقط من نسخة (م).

(5) في نسخة (غ): التقدر.

(6) سقط من نسخة (ش).

(7) في نسخة (م): مفعول.

بمعنى صَبَرَ⁽¹⁾ حيث قال: "جَعَلَ لَهُمُ اللَّيْلَ مَظْلَمًا؛ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِمَّا يُقَاسُونَ فِي نَهَارِهِمْ مِنْ تَعَبِ التَّرْدِّ فِي الْمَعَاشِ".⁽²⁾

ولا يخفى: أَنَّ الإِظْلَامَ مِنْ لَوَازِمِ اللَّيْلِ، وَلَازِمُ الْمَاهِيَةِ لَا يَقْبَلُ الْجَعْلَ.³ وكذا الكلام في جَعَلَ⁽⁴⁾ النَّهَارِ مُبْصِرًا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: 67] سماع تدبّر واعتبار، والجملة متعلّقة بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ [يونس: 57] تأكيد له. و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما جاءهم من ربّهم، يعني: القرآن، بدليل قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس: 68]

استئناف لبيان مقالهم، تجهيلاً لهم. ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عما يقولون. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ علة لتنزيهه. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إثبات لغنايه.⁽⁵⁾ ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾ تقرير لجَهْلِهِمْ بنوع آخر، حيث يقولون ما لا حُجَّةَ لهم فيه.⁽⁶⁾ يعني: أَنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِمْ، وَلَا حُجَّةَ عِنْدَهُمْ تُعَارِضُهَا. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ توبيخ وتقرير على جَهْلِهِمْ وقولهم بلا حُجَّة.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: 69]

وعيدٌ لهم بالخلود في النَّارِ. ﴿مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ تقريرٌ وتفسيرٌ للوعيد، يعني: إِنَّمَا يَفْتَرُونَ ويقولون تمتّع ورئاسة في الدُّنْيَا، وهو تمتّع قليل زائل يترتب عليه عذابٌ عظيم. فلا ينبغي أن يُعَدَّ فلاحاً⁽⁷⁾ بوجهٍ من الوجوه.

(1) في نسختي (م، ش): صبر.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 358).

³ يعني: فعل "جعل" هنا لا ينصب مفعولين، بل ينصب مفعولاً واحداً وهو: ﴿الَّيْلَ﴾، أي: خلق الليل. حيث الإِظْلَامُ مِنْ لَوَازِمِ اللَّيْلِ فلا فائدة في جعل المظلم مظلماً، والله أعلم.

(4) في نسخة (غ): فعل.

(5) في نسخ (غ): عتابه.

(6) سقط من نسخة (م).

(7) في نسخة (غ): خلافاً.

﴿وَأْتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: 71]

شروع في بعض قصص بعض الأنبياء وأقوامهم؛ لإثبات أن تمتع الدنيا تمتع⁽¹⁾ قليل غير نافع لأحد. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ [يُزِيدُ⁽²⁾ نَفْسُهُ⁽³⁾] كما يُقال: فَعَلْتُ كَذَا لِمَكَانٍ فُلَانٍ، ومنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: 46]. ويجوز أن يُراد: إقامتي ومُكثي بينكم مدةً مديدةً، أو قيامي على الدَّعوة⁽⁴⁾، ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ عطفٌ على ﴿مَقَامِي﴾. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا أخاف غيره. ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ فاعزموا عليه؛ من أجمع الأمر، إذا نوى وعزم عليه. ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾ مع شركائكم. ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿أَمْرَكُمْ﴾ بحذف المضاف، أي: وأمر شركائكم. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ الغم والغمة كالكرب والكربة، أي: ثم لم يكن حالكم وعييتكم⁽⁵⁾ بعد هلاكي غمًا وهمًا عليكم. ويجوز أن تكون الغمة بمعنى: السُّترة⁽⁶⁾ من غمة إذا ستره⁽⁷⁾ بمعنى: ثم لا يكن أمركم في قصدي مستوراً عليكم، ولكن مكشوفاً ظاهراً. والمقصود من⁽⁸⁾ هذا الكلام إظهار اعتماده على حفظ ربه، وكمال ثقته به، وبيان قُوَّة توكُّله. ﴿ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ﴾ ما تريدون بي،⁽⁹⁾ ﴿وَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ولا تُمهَلُون.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يونس: 72]

تقديره: فإن أعرضتُم عن تذكيري فالباعث من جانبيكم لا من جانبي؛ لأنِّي⁽¹⁰⁾ ما سألتكم من أجرٍ ليكون سبباً لتقربكم⁽¹¹⁾. فَوَضَعَ عَلَّةَ الْجَزَاءِ مَوْقِعَهُ لِيُظْهَرَ الْأَمْرَ⁽¹²⁾. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: 72]

(1) سقط من نسختي (ش، غ).

(2) في نسخ (ش): يزيد.

(3) في نسخة (غ): تفسير.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) في نسختي (م، ض): عيشكم، وفي نسخة (غ): عبتكم.

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) في نسخة (م): أستره.

(8) في نسخة (غ): في.

(9) في نسخة (م): ما تريدوني.

(10) في نسخ (الأصل، ش، م): لأن.

(11) في نسخة (غ): لتهمكم.

(12) في نسخ (الأصل، ش، م): إلا.

[72] تقرير للنبي. ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72] فيه إشعار بأن المسلم لا ينبغي أن يطلب بعمل الآخرة شيئاً من الدنيا.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَتَبَيَّنْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ﴾ [يونس: 73]
أي: فتموا على تكذيبهم.⁽¹⁾ وكان تكذيبهم بعد المواظ على تكذيبهم قبلها. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ﴾ يخلفون الهالكين، والمشهور أنهم كانوا ثمانين. ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: 73] لإصرارهم في التكذيب، وعدم نفع التذكير فيهم. ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس: 73] نتيجة للكلام ومقصود من القصة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ [يونس: 74]
أي: كل رسول إلى قومه، كما هو مقتضى مقابلة الجمع بالجمع.² ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [يونس: 74] بالمعجزات، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [يونس: 74] فما صح وما استقام لهم أن يؤمنوا، نفى عنهم إمكان الإيمان؛ للمبالغة في تصميمهم على الكفر. ﴿بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يونس: 74] أي قبل بعثة الرسل.

(1) قوله «فتموا على تكذيبه» أي استمروا. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ، (67 / 12)، والزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، (31 / 331)، الزيات، أحمد وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، (1 / 89).

² مقابلة الجمع بالجمع: هي في اصطلاح الأصوليين: مقابلة لفظ دال على جمع - اثنين فصاعداً - لجمع آخر، فتدل على انقسام أفراد كل منهما على أفراد آخر. قال الزركشي: مقابلة الجمع بالجمع تارة يقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا كقوله تعالى: ﴿فَأَسْبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: 238]، فإن الصلاة والزكاة في معنى الجمع فيقتضي اللفظ ضرورة أن كل واحد مأمور بجميع الصلوات وبالإستباق إلى كل خير كما يقال: لبس القوم ثيابهم وركبوا دوابهم. الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، (3 / 4)، القرني، عبد الرحمن بن محمد بن عايش، قاعدة مقابلة الجمع بالجمع: دراسة أصولية تطبيقية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج 22، ع 70، 2007م، (ص: 353).

قال صاحبُ الكشاف: "يريدُ أنهم كانوا قبلَ بعثةِ الرُّسُلِ أهلَ جاهليَّةٍ مكذِّبينَ بالحقِّ، فما⁽¹⁾ وَقَعَ فصلٌ بينَ⁽²⁾ خالَتِيهِمْ: (3) بعدَ بعثةِ الرُّسُلِ وقبلَها، كأنَّ لم يُبعثْ إليهم أحدٌ." (4) كأنَّه جَعَلَ الضَّميرَ في ﴿بِهِ﴾ راجعاً إلى (الحَقِّ) المفهومِ من السِّياقِ. وجَعَلَ (مَا) مصدريةً، أي: بسببِ تكذيبهم بالحقِّ. وقيل: (5) يجوزُ أن تكونَ (مَا) موصوفةً، أي: بشيءٍ كَذَّبُوا بِسَبَبِهِ، وهو العنادُ والتَّمَرُّدُ. ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: 74]

بِخِذْلَانِهِمْ. وقد سَبَقَ معنى إسنادِ الطَّبْعِ والخَتْمِ إلى اللهِ سبحانه في سورةِ البقرة فَتَذَكَّرْ. (6) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس: 75]

أي: من بعدِ هذا الجمعِ من الرُّسُلِ. ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: 75] بالآياتِ النَّسْعِ، وسيجيءُ ذكرُها في سورةِ بني إسرائيل. ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ [يونس: 75] عن قَبُولِهَا، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: 75] مُعْتَادِينَ كَسَبِ الآثَامِ. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [يونس: 76]

فلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ هو (7) الحقُّ، وَأَنَّهُ من عِنْدِنَا، لا من قِبَلِ موسى وهارونَ، كذا في الكشاف. (8) كأنَّه جَعَلَ اللَّامَ في ﴿أَحَقُّ﴾ لِلْجِنْسِ مَقِيدَةً (9) لِلْقَصْرِ، كما ذَكَرَ في عِلْمِ المعاني. ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: 76] وَإِنَّمَا قالوه تَمَرُّدًا وَعِنَادًا.

(1) في نسخ (الأصل، ش، م): ممّا.

(2) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(3) في نسخة (ش): حالتهم.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 361).

(5) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(6) سبق في تفسير سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 17)، رزق، أحمد يوسف، تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، رسالة غير منشورة، إشراف: د. جهاد نصيرات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2020-2021م، (ص: 131).

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/ 361).

(9) في نسخة (ش): مفيدة.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ [يونس: 77]

على حَذْفِ المفعول، ⁽¹⁾ بِقَرِينَةٍ سَابِقَةٍ، تَقْدِيرُهُ: أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ مَا تَقُولُونَ؟ وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أَتَعْيُبُونَهُ؟ ⁽²⁾ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانٌ ⁽³⁾ يَخَافُ الْقَالَةَ، ⁽⁴⁾ أَي: الْعَيْبَ، ⁽⁵⁾ بِأَنْ يَكُونَ اللَّامُ فِي ﴿لِلْحَقِّ﴾ صِلَةً لـ ﴿تَقُولُونَ﴾ لَا لَامَ الْأَجْلِ، لِيُحْتَاجَ إِلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ. ﴿أَسْحَرُ هَذَا﴾ [يونس: 77] اسْتِثْنَاءٌ لِإِنْكَارِ كَوْنِهِ سِحْرًا، بَعْدَ إِنْكَارِ قَوْلِهِمْ لِلتَّكْثِيرِ. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّجِرُونَ﴾ [يونس: 77] فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَاقِلُ بِعَمَلٍ لَا يَكُونُ لَهُ فَلَاحٌ فِيهِ؟

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً نَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 78]

تَخْصِصُ الْخَطَابِ فِي ﴿أَجِئْتَنَا﴾ لِمُوسَى بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَعْجَزَةَ إِنَّمَا ظَهَرَتْ فِي يَدِهِ، أَي: أَجِئْتَنَا لِنُضْرِفَنَّا عَنْ دِينِ آبَائِنَا؟ أَي: عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَ(الْفُتْ، وَالْفُتْلُ) مُتَقَارِبَانِ، وَمِنْهُ: الْإِلْتِقَافُ. وَالْكَبَرِيَاءُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانَةِ، مِنْ قَبِيلِ نِكْرٍ: اللَّازِمِ وَإِرَادَةِ الْمَلْزُومِ. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 78] بِمُصَدِّقِينَ لَكُمْ فِيمَا جِئْتُمَا بِهِ. وَاللَّامُ: ⁽⁶⁾ لِنَقْوِيَةِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ الْعَامِلَ اسْمٌ، وَتَقْدِيمُهُ لَيْسَ لِقَصْدِ الْقَصْرِ، بَلْ لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْآيِ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَجَرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس: 79] وَقُرِئَ (سَحَارٍ) ⁽⁷⁾ عَلَى صِيغَةِ الْمَبَالِغَةِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): الْمَعْقُولِ.

(2) فِي نَسْخِ (الْأَصْلِ، م، ش): الْغَيْبِيَّةِ.

(3) فِي نَسْخَةِ (م): قَالَ، وَفِي نَسْخَةِ (ض): وَلَأنْ يَخَافُ فَلَانِ.

(4) الْبِيضَاوِي (الْمُتَوَفَى: 685هـ)، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 120).

(5) فِي نَسْخَةِ (ش): الْغَيْبِ.

(6) فِي نَسْخَةِ (م): وَاللَّازِمِ.

(7) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي وَخَلْفَ (بِكُلِّ سَحَارٍ) فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَفِي يُونُسَ، وَالشَّعْرَاءُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَفِي يُونُسَ (سَاحِرٍ عَلِيمٍ) فَاعِلٌ، وَفِي الشَّعْرَاءِ (سَحَارٍ). يَنْظُرُ: الْأَزْهَرِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَزْهَرِيِّ الْهَرَوِيِّ، أَبُو مَنْصُورٍ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مَعَانِي الْقِرَاءَاتِ لِلْأَزْهَرِيِّ، مَرْكَزُ الْبَحْثِ فِي كَلِيَّةِ الْأَدَابِ - جَامِعَةُ الْمَلِكِ سَعُودٍ، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى، 1412 هـ - 1991 م، (1/ 416)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 212)، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ، شَمْسُ الدِّينِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ يُونُسَ (الْمُتَوَفَى: 833هـ)، شَرْحُ طَبِيبَةِ النَّشْرِ فِي الْقِرَاءَاتِ، تَحْقِيقُ أَنْسَ مَهْرَةٍ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، الطَّبْعَةُ: الثَّانِيَّةُ، 1420 هـ - 2000 م، (ص: 235).

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلْقُونَ﴾^(٨) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ

[يونس: 80-81]

أي: هو السحر لا المعجزة التي سَمَّيْتُموها سِحْرًا. والقَصْرُ، استفاد من تعريف الجنس. و(ما) موصولة في محلّ الابتداء، والسحر خبره. وقرأ (السحر) ^(١) على الاستفهام، بقطع الهمزة. فعلى هذا (ما) ^(٢) يكون استفهامية على معنى: أي شيء جئتم به؟ أهو ^(٣) السحر؟ والاستفهام فيه للتقرير. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس: 81] سَمَحَقُهُ. ويجوز أن يكون المراد بالبطلان: إظهار البطلان، والجملة تأكيد وتحقيق لسابقتها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 80-81] تعليل لسابقه. ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس: 82] أي يُثَبِّتُهُ بأوامره ^(٤) وقضاياه.

وقرأ ^(٥) (بِكَلِمَاتِهِ)، ^(٦) أي: بأمره ومشينته. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 82] أي: لا يبطل الحق لأجل كراهتهم.

(١) قراءة متواترة: قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (السحر) بالمد على الاستفهام والباقون بغير مد على الخبر. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/1984م، (ص: 123). ينظر أيضا: الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، (3/ 1186)، وابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية)، (1/ 378). النشر 2/ 285. والجامع ل 249/أ. والسبعة ص 328. والمبسوط ص 201.

(٢) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(٣) في نسخة (غ): أو.

(٤) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(٥) في نسخة (غ): وقضى.

(٦) قراءة شاذة: ذكرها ابن خالويه مع نسبتها إلى بعض، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 62).

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: 83]

أي: بعد وقوع⁽¹⁾ هذه القصة⁽²⁾ ما آمن لموسى في مبدأ⁽³⁾ أمره إلا طائفة شبان بني إسرائيل. وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون. وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف. وقيل: الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ لفرعون؛ والذرية: طائفة من شبانهم آمنوا به. قال صاحب الكشاف: "والذرية: مؤمن آل فرعون، وآسية - امرأته -، وخازن، وامرأة خازن، وما شطته".⁽⁴⁾ ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيَهُمْ﴾ [يونس: 83] الضمير للذرية، أي: آمنوا على خوف من فرعون وخوف من ملائهم، أي: من طائفتهم وأشرافهم. ويجوز أن يكون لفرعون، بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر. قال البيضاوي: "والضمير لفرعون، وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظاماء".⁽⁵⁾ وإنما يصح هذا الكلام لو صدر ممن كان في صدق وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظاماء.⁽⁵⁾ وإنما يصح هذا الكلام لو صدر ممن كان في صدق تعظيم فرعون. ومعلوم أن سياق الكلام لا يقتضي تعظيمه. ﴿أَن يَفْتَنَهُم﴾ [يونس: 83] أي: أن⁽⁶⁾ أن⁽⁷⁾ يعذبهم. الضمير المستقر: لفرعون. ولم يذكر الملاء؛ لأن التغذيب إنما يكون بأمره. وظاهره يدل على أن المراد من فرعون نفسه لا آله. ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 83] عطف على محل ﴿عَلَى خَوْفٍ﴾ بإرادة القول، أي: خائفين من فرعون وقائلين: إن⁽⁸⁾ فرعون لعالٍ في الأرض. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83] في العتو حتى ادعى الربوبية.

(1) في نسخ (الأصل، ش، م): وقوعه.

(2) في نسخة (م): الصفة.

(3) في نسخة (ش): مبتدأ.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 363).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 121).

(6) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (ض).

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) في نسخة (ض): من.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [يونس: 84]

حين⁽¹⁾ رأى تَخَوُّفَهُمْ من فرعون: ﴿يَقُومُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84] الشَّرْطُ الْأَوَّلُ شَرْطٌ لِّوَجُوبِ التَّوَكَّلِ، والشَّرْطُ⁽²⁾ الثَّانِي شَرْطٌ لِّتَحَقُّقِهِ؛ فَإِنَّ التَّوَكَّلَ لَا يَتَحَقَّقُ بَدُونِ الاستسلام لقضاء الله، وإن كان واجباً على كلِّ مؤمنٍ أَنْ يتوَكَّلَ عليه.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 85]

أي: موضع فتنة لهم بأن يُفْتَنُوا بِنَا.⁽³⁾

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 86]

أي: من كيدهم، وشؤم مشاهدتهم. فأجاب الله سبحانه دعاءهم ببركة تَوَكُّلِهِمْ، ونَجَّاهم من الكافرين.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: 87]

أي: اجْعَلَا بِمِصْرَ بُيُوتًا مِنْ بِيُوتِهِ مِبَاءَةً لِّقَوْمِكُمَا. ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: 87] أي: تلك البيوت مصلًى ذات قِبْلَةٍ. قال صاحبُ الكشاف: "أي: مساجد مُتَوَجِّهَةٌ نحوَ القبلة، وهي الكعبة. وكان موسى ومن معه يصلُّون إلى الكعبة"⁽⁴⁾ انتهى.

ولا يخفى أَنَّهُ ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي آيَةٍ:⁽⁵⁾ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: 144] أَنَّ⁽⁶⁾ الْيَهُودَ تَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَيَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مُوسَى صَلَّى⁽⁷⁾ إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَوْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحُكْمَ تَغَيَّرَ بَعْدَ مُوسَى، وَهُوَ خِلَافُ مَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى كَانُوا يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ يَنْسَخُ حُكْمَ التَّوْرَةِ. فَبَيَّنَ كَلَامُهُ

(1) في نسخة (غ): حتى.

(2) في نسخة (ض): وأن في شرط الثاني.

(3) في نسخ (الأصل، ش): يفتنوننا، وفي نسخة (م): يفتنوننا، وفي نسخة (ض): يفتنونها، وفي نسخة (غ): تفتنوننا، وأثبت (يفتتونا بنا) لأنه أصح.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 364).

(5) في نسخة (ض، غ): أنه.

(6) في نسخة (غ): وأن.

(7) في نسخة (غ): جعل.

نوع⁽¹⁾ تدافع. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [يونس: 87] أي: في تلك البيوت. قال صاحب الكشاف: "وكانوا مأمورين في أول أمرهم بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة؛ لئلا يظهروا عليهم، فيؤذوهم ويفتتوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة".⁽²⁾

ويُفهم من هذا الكلام أن نزول هذا الوحي إليهما كان قبل هلاك فرعون، وبعد الغلبة على السحرة؛ لأن إيمان الذرية لموسى كان بعد تلك الغلبة، والله أعلم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 87] إنما خصه بخطاب البشارة؛ لأنها وظيفة صاحب الشريعة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: 88]

الزينة: ما يترين⁽³⁾ به، والأموال: ما يُخْتَرَن. وعن ابن عباس: كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة؛⁽⁴⁾ جبال⁽⁵⁾ فيها معادن من ذهب، وفضة، وبرجد، وياقوت،⁽⁶⁾ كذا في الكشاف. ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: 88] اللام لام العاقبة متعلق بـ ﴿آتَيْتَ﴾. و﴿رَبَّنَا﴾ مكرّر⁽⁷⁾ لمزيد الخضوع. وقيل: هو دعاء بلفظ الأمر. وفيه أن الدعاء عليهم بإضلال⁽⁸⁾ الغير غير مناسب، إلا أن يقال: المقصود إضلال بعضهم بعضاً. قال صاحب الكشاف: "وقد حُمِلَت اللام في ﴿لِيُضِلُّوا﴾ [على التعليل]⁽⁹⁾؛ على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنهم أوتوها ليضلوا".⁽¹⁰⁾ [11]

(1) سقط من نسخ: (الأصل، م، ش).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 364).

(3) في نسخة (غ): تزين.

(4) في جميع النسخ: حبشة.

(5) في جميع النسخ: جبلاً.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 365).

(7) في نسخة (ض): تكرير، وفي نسخة (غ): تكرر له.

(8) في نسخة (ش): الضلال.

(9) بين القوسين سقط من نسخة (ش).

(10) الزمخشري، الكشاف، (2/ 366).

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

قال البيضاوي بعد احتمال كونها للعاقبة: "ويحتمل أن تكون للعلّة؛ لأنّ إيتاء النّعم على الكفّر استدراجٌ وتنبيتٌ على الضّلال".⁽¹⁾ وهو احتمالٌ بعيدٌ لا⁽²⁾ يَرْضَى⁽³⁾ به أحدٌ من الفريقين؛ لأنّ الأشاعرة لا يجعلون أفعال الحقّ معلّلةً بالغرَضِ، ويَحْمِلُونَ اللَّامَ في أمثال هذه المواضع على العاقبة دون العلّة.⁽⁴⁾ والمعتزلة يَحَاشَوْنَ⁽⁵⁾ عن إسناد إرادة القبيح إلى الله سبحانه.⁽⁶⁾ ولهذا حَمَلَ التعليل صاحبُ الكشاف ههنا على وجه التشبيه، مع تجويزه أن يكون فعلُ الحقّ مُعلّلاً بالغرَضِ. والبيضاوي لم يُجَوِّزْهُ، وجَوَّزَ كونَ التعليل على الحقيقة، بقرينة ذكره التعليل على التشبيه بعد ذكر هذا الوجه. ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أُمُورَهُمْ﴾ [يونس: 88] الطَّمْسُ: المَحْوُ. ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: 88] وَاطْمَعُ عليها. والمقصود أنهم لا⁽⁷⁾ يَسْتَأْهِلُونَ إِلَّا أن يُخَذَّلُوا. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] جوابٌ للدّعاء. وَحَذَفُ النّونِ على النّصب. ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿لِيُضِلُّوْا﴾ على اعتراض الدّعاء بين المعطوف والمعطوف عليه. ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: 89] إضافة الدّعاء إليهما إشعاراً بأنّ هارونَ كان شريكاً في الدّعاء. وقيل: موسى كان يدعو وهارونُ⁽⁸⁾ يُؤْمِنُ. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: 89] فَأَثْبَتَا على ما أنتما عليه، وَلَا تَسْتَعْجِلَا حصولَ طلبتكما، فإنّه كائنٌ لا محالة، ولكن في وقته. رُوي أنّ موسى مكثَ فيهم بعد الدّعاء أربعين سنة. وفيه دليلٌ على أنّ إجابة الدّعاء عبارةٌ عن قبول حصوله، لا عن حصوله بلا تراخٍ. ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 89] طريقَ الجهل. وفيه إشعارٌ بأنّ الاستعجالَ في حصولِ المطالب يُعدّ من الجهل.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 122).

(2) سقط من نسخة: (غ).

(3) في نسخة (غ): (رضي).

(4) ينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى (المتوفى: 840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م، (5/ 244).

(5) في نسخة (غ): يتماسون.

(6) ينظر: الهمذاني، القاضي عبد الجبار بن أحمد، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ/1996م. (ص: 301).

(7) سقط من نسخة: (غ).

(8) سقط الواو من نسخة (غ).

﴿وَجَوْرًا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ [يونس: 90] أي: فَلَاحِقَهُمْ، يُقَالُ: تَبِعَهُ حَتَّى اتَّبَعَهُ.⁽¹⁾ ﴿بَغِيًّا وَعَدُوًّا﴾ [يونس: 90] نصبٌ على الحال، أو على⁽²⁾ العِلَّة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: 90] أي: لَحِقَهُ الْغَرَقُ. ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90] أي: آمَنْتُ بِأَنَّهُ... وَفُرِيَ (إِنَّهُ) على الاستئناف للتفسير. قال صاحب الكشاف: "كَرَّرَ الْمَخْذُولُ"⁽³⁾ المعنى الواحد ثلاث مرَّاتٍ، في ثلاث عباراتٍ؛ حِرْصاً على القبول. ثم لم يُقبل منه حينَ أخطأ وَقْتَهُ، وقاله حين لم يَبْقَ له اختيارٌ قَطُّ. وكانت المرَّةُ الواحدةُ كافيةً في حال الاختيار وعند بقاء التَّكْلِيفِ"⁽⁴⁾ انتهى. لا يخفى أَنَّهُ موقوفٌ على أن⁽⁵⁾ يُبَيِّنَ⁽⁶⁾ أَنَّهُ كان حينَ الْغَرْغَرَةِ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ لَا يَسْقُطُ قَبْلَهَا كما دلَّ عليه الآثارُ.

﴿ءَالَسْنَ﴾ [يونس: 91] على قَطْعِ الهمزة؛ للاستفهام، أي: أَتُؤْمِنُ⁽⁷⁾ الْآنَ وقد آيَسْتَ من نَفْسِكَ ولم يَبْقَ لَكَ الْاِخْتِيَارُ؟⁽⁸⁾ كذا قال البيضاوي. لا دَخَلَ لِلْيَأْسِ وعدم الاختيار في عدم⁽⁹⁾ قبول الإيمان؛ لِأَنَّ تَوْبَةَ كُلِّ مُجْرِمٍ⁽¹⁰⁾ مقبولة⁽¹¹⁾ قبل الْغَرْغَرَةِ ولو كان موته⁽¹²⁾ مُتَيَقِّناً⁽¹³⁾ لَهُ. ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 91] وقد كنت قبل ذلك جامعاً بين الضلال والإضلال.

(1) في نسخة (غ): آتاه.

(2) سقط من نسخة (ض).

(3) يقصد فرعون.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 367).

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) في نسخة (ش): تبين، وفي نسخة (غ): يتعن.

(7) في نسخة (ض): أَتُؤْمِنُوا، وفي نسخة (غ): أَيْؤْمِن.

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 123).

(9) سقط من نسخة: (ض).

(10) في نسخة (ش): محرم.

(11) في جميع النسخ: مقبول، وأُثبت (مقبولة) لأنه أصح.

(12) في نسخة (غ): بتوبة.

(13) في نسخة (ش): متعيّناً، وفي نسخ (الأصل، م، ض): متعيّناً.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92]

أي: نُبْعِدُكَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ قَوْمُكَ مِنْ قَعْرِ الْبَحْرِ، فِي الْحَالِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيكَ. وَقِيلَ: نُلْقِيكَ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَقُرِئَ (نُنَجِّيكَ) بِالْحَاءِ،⁽¹⁾ أي: نُلْقِيكَ بِنَاحِيَةِ السَّاحِلِ. وَقِيلَ: الْبَدَنُ: الدَّرْعُ، وَكَانَ لَهُ دَرْعٌ مِنْ دَهَبٍ يُعْرِفُ بِهَا. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ [يونس: 92] أي: لِمَنْ يَبْقَى بِعَدِكَ مُوجُوداً، وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، إِذْ تَمَكَّنَ⁽²⁾ فِي أَوْهَامِهِمْ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَا تُهْلِكُهُ الْحَوَادِثُ، وَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الطَّوَائِفُ، حَتَّى⁽³⁾ كَذَبُوا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أَخْبَرَهُمْ بِهَلَاكِهِ، إِلَى أَنْ⁽⁴⁾ عَايَنُوهُ مَطْرُوحاً عَلَى مَمَرِهِمْ مِنْ⁽⁵⁾ [السَّاحِلِ]. وَكَانَ صَاحِبُ الْكَشَافِ جَعَلَ الظَّرْفَ ظَرْفَ مَكَانٍ، حَيْثُ قَالَ: "وَكَأَنَّ مَطْرَحُهُ كَانَ عَلَى مَمَرٍ مِنْ"⁽⁶⁾ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّى⁽⁷⁾ قِيلَ: (8) لِمَنْ خَلَقَ. (9)

(1) قراءة شاذة: (فاليوم نُنَجِّيكَ) بِالْحَاءِ، نُسَبِتْ إِلَى أَبِي بَنِ كَعْبٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ السَّمِيفِ، وَيزِيدُ الْبَرْبَرِيُّ. ابْنُ جَنِّي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 316)، ينظر أيضاً: ابْنُ الْجَزَرِيِّ، (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر (1/ 16)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 63)، والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، (6/ 172).

(2) في نسخة (غ): يمكن.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): حين.

(4) في نسخة (ش): عن.

(5) في نسخة (غ): في.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(7) في نسخة (ش): حين.

(8) سقط من نسخة: (ش).

(9) الزمخشري، الكشف، (2/ 369).

ولا يخفى أنه لا يُظهر معنى كونهم خلفه إلا بتكلف⁽¹⁾ [ولا تكلف⁽¹⁾] في جعله ظرف زمان. وقرئ (لمن خلقك)،⁽²⁾ أي: ليكون لخالقك آية⁽³⁾ كسائر آياته، فإنه من حيث إنه⁽⁴⁾ أُفرد بالإنشاء إلى الساحل لإمارة الشبهة في أمره دليل⁽⁵⁾ على قدرة الصانع وعلمه، وإرادته، فيكون⁽⁶⁾ آية⁽⁷⁾ من آياته. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَفُلُونَ﴾ [يونس: 92] ولا شيء في الوجود إلا كان معه آية، ولكن لا يتقطن بها الغافلون.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءًا صَدَقَ﴾ [يونس: 93]

منزل صداقة، لكونه صالحاً مرضياً لمن تبوأ فيه، وهو مصر والشام. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [يونس: 93] فما اختلفوا في دينهم، وما تشعبوا فيه شعباً، إلا من بعد ما قرأوا التوراة، وكسبوا العلم بدين الحق، ولزمهم⁽⁸⁾ الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه،⁽⁹⁾ كذا في الكشف.

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(2) قراءة شاذة: (لمن خلقك) بالقاف، نسبت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير الثعلبي ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002م، (5/ 148). ونسبها ابن الجوزي إلى ابن السميع، وأبي المتوكل، وأبي الجوزاء، ينظر: ابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 349)، ونسبها الرازي إلى البعض، ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ، (17/ 298).

(3) في نسخة (غ): أنه.

(4) سقط من نسخة: (غ).

(5) في نسخة (غ): وقيل.

(6) في نسخ (الأصل، م، ش): تكون.

(7) في نسخة (غ): أنه.

(8) في نسخة (غ): وأنهم.

(9) الزمخشري، الكشف، (2/ 369).

وفيه: أَنَّ ما بعد ﴿حَتَّى﴾ لا بدّ أن يكونَ داخلاً في حُكْم ما قبلها إذا كانت عاطفةً. وكذا لو كانت حرفَ جرٍّ عندَ صاحبِ الكشافِ، مع أنها ليست حرفَ جرٍّ⁽¹⁾ ههنا. ولا يصحّ أيضاً أن تكونَ ابتدائيةً؛ لأنها مشروطةٌ بسببية⁽²⁾ ما قبلها لما بعدها، وهي مفقودةٌ. وعلى تقديرِ التحقيق: (3) لا تدلّ (4) إلا على تحقّق العلمِ، والمقصودُ: تحقّق الاختلافِ بعدَ العلمِ. وبالجمله، ما ذكر ليس معنى (5) ﴿حَتَّى﴾ بوجهٍ من الوجوه.

وقيل: فما اختلفوا في أمرِ محمدٍ عليه الصّلاة والسّلامُ إلّا من بعدِ ما علّموا صدقَهُ بنُغوتِهِ⁽⁶⁾ وتظاهرِ معجزاته. فعلى هذا لا يلائمُ أن يُفسّرَ ﴿مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ بمصرَ والشّامِ كما لا يخفى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 93]

خطابٌ للنبيِّ عليه الصّلاة والسّلام، وتسليّةٌ له. كأنّه قيل: يقضي بينهم، وكذلك يقضي بين المختلفين في أمرِك. وعلى القولِ الثاني لا حاجةٌ إلى هذا التّعميم.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: 94] من أحوالِ الأولين. وهو كلامٌ على سبيلِ الفرضِ والتّقديرِ، والمقصودُ: إرشادُ الأُمّة. ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94] ليظهرَ مطابقتها ما أنزلَ إليك تعالى⁽⁷⁾ مع⁽⁸⁾ ما تحقّق إنزالُهُ من الحقِّ عندَ العلماءِ السابقين من أهلِ الكتاب. وفيه تنبيهٌ على أن مَنْ خالَجَتْهُ شبهةٌ في الدّينِ ينبغي أن يُسارعَ إلى حلّها بالرّجوعِ إلى أهلِ العلمِ. ﴿لَقَدْ جَاءَكَ أَحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94] تأكيدٌ لتحقيقِ حقيّة ما أنزلَ إليه، وعدمِ جوازِ تطرُقِ الشكِّ والشّبهة فيه.

(1) سقط من نسخة: (غ).

(2) في نسخة (م): بسببه، وفي نسخة (غ): نسبته.

(3) في نسخة (غ): التحقيق.

(4) في نسخة (ض): لا يدلّ.

(5) في نسخة (ش): معيّن.

(6) في نسخة (غ): بنبوته.

(7) سقط من نسختي: (ض، غ).

(8) سقط من نسخ: (الأصل، م، ش).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: 95] إشعار بأن التكذيب موجب للخسران، والدخول في النار، والخلود فيها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: 96] ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح، وأخبر به الملائكة، أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره.⁽¹⁾ وتلك كتابة⁽²⁾ معلوم لا كتابة⁽³⁾ مقدّر ومُراد،⁽⁴⁾ كذا في الكشف. وهو على رأي المعتزلة القائلين بأن العلم تابع للمعلوم.⁽⁵⁾ وأما على رأي الأشاعرة فهي كتابة مقدور. ولا يوجد⁽⁶⁾ شيء ولا يتحقق أمر إلا على الوجه الذي قدره الله،⁽⁷⁾ وهو أمر يتعلق بسر القدر. وليس الإيمان موقوفاً على كشف حقيقته وتحقيق معناه، بل يكفي في ذلك متابعة ظاهر قول الصادق، والله أعلم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٧﴾ [يونس: 96-97] وجه عدم إيمانهم مع إتيان كل آية إليهم؛ عدم استحقاقهم للقبول عند المعتزلة. وعند الأشاعرة: عدم تعلّق إرادة الله بإيمانهم.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: 98]

فهلّا كانت قرية من القرى التي أهلكتها، آمنت قبل معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ [يونس: 98] بأن يقبل⁽⁸⁾ الله تعالى منها، ويكشف العذاب عنها. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98] استثناء منقطع؛ لأن ظاهر التخصيص مانع من جعله

(1) سقط من نسخة: (غ).

(2) في نسخة (ض): كناية.

(3) في نسخة (ض): كناية.

(4) الزمخشري، الكشف، (2/ 371).

(5) ينظر للتفاصيل: الهمداني، القاضي عبد الجبار (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 513)، والزمخشري، الكشف، (3/ 413).

(6) في نسخ (الأصل، ش، م): يوجّه.

(7) ينظر: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، أبي موسى (المتوفى: 324هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى، 1397، (ص: 23)، والجويني، عبد الملك بن عبد الله، (ت: 478هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ/ 1950م، (208-210).

(8) في نسخة (م): تقبل، وفي نسخة (غ): يقبله.

متّصلاً، بمعنى: لكن قوم يونس لما آمنوا أول ما رأوا أمارَةَ العَذَابِ؛ كَشَفْنَا عنهم عَذَابَ الْخِزْيِ. ويجوز أن يكون متّصلاً باعتبار أن التَّخْصِيصَ في حُكْمِ النَّفْيِ، فكأنه قيل: ما آمن أهل قرية من القرى المُشْرِفِ أهلها إلى الهلاك فَنَفَعَهُمْ إيمانهم إلا قوم يونس. إلا أن نَصَبَهُ غير مختار؛ لِكَوْنِهِ في كلام غير مُوجِبٍ، والمستثنى منه مذكوراً، بل المختار فيه البَدَلُ، ولذلك قرئ بالرَّفْعِ،⁽¹⁾ والحيْنُ: حين الأجلِ.

رُوي أن يونس بُعث إلى نينوى من أرض الموصل، فكذبوه، فَذَهَبَ عنهم مُغَاضِباً، فلما فَقَدُوهُ خَافُوا نُزُولَ العَذَابِ، فَلَبِسُوا الْمُسُوحَ. وقيل: قال لهم يونس: إِنَّ أَجْلَكُمْ⁽²⁾ أربعون ليلةً، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمناً بك. فلما مَضَتْ خمس وثلاثون أَغَامَتِ السَّمَاءُ غَيْماً أَسْوَدَ هَائِلاً يَدْحَنُ⁽³⁾ دُخَاناً شديداً، ثُمَّ يَهْبِطُ حَتَّى يَغْشَى مَدِينَتَهُمْ، وَتَسْوَدُ سُطُوحُهُمْ، فَلَبِسُوا الْمُسُوحَ، وبرزوا إلى الصَّعِيدِ بأنفسهم، ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم. وفرّقوا بين النِّسَاءِ والصِّبْيَانِ، وبين الدَّوَابِّ وأولادها، فَحَنَّ بعضُها إلى بعضٍ، وَعَلَتِ⁽⁴⁾ الأصواتُ والعجيجُ، وأظهروا الإيمانَ والنُّوبَةَ وتضرّعوا، فَرَحِمَهُمُ اللهُ، وَكَشَفَ عنهم. وكان يومَ عاشوراء يومَ الجُمُعَةِ، كذا في الكشف. ⁽⁵⁾ وقيل: ⁽⁶⁾ وَعَدَهُم بِالْعَذَابِ إِلَى ثَلَاثِ⁽⁷⁾.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس: 99] فيه دلالة على أن مشيئته سبحانه غير متعلّقة⁽⁸⁾ بإيمان الكلِّ. وهو حجةُ الأشاعرة على أن الكُفْرَ والإيمانَ بمشيئة الله. وأجاب عنه المعتزلة بأن المراد بالمشيئة في الآية مشيئة القَسْرِ⁽⁹⁾ والإلجاء لا مطلق المشيئة، فلا يدل على أن مطلق المشيئة لم يتعلّق⁽¹⁰⁾ بإيمان الكلِّ. ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99] الهمزة للإنكار، يدل

(1) قراءة شاذة: نُسبت إلى الجرمي، والكسائي، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 63)، والزمخشري، الكشف، (2/ 371)، والرازي، مفاتيح الغيب، (17/ 303).

(2) في نسخة (م): الحكم.

(3) في نسخة (م): تدحق، وفي نسختي (الأصل، ش): تدخن.

(4) سقط الواو من نسخة (ش).

(5) الزمخشري، الكشف، (2/ 372).

(6) في الأصل: قبل.

(7) ينظر: البياضوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 124).

(8) في جميع النسخ: متعلق، وأثبت (متعلقة) لأنه أصح.

(9) في نسخة (ش): العسر.

(10) في نسختي (الأصل، ش): تتعلّق.

على أنه [صلى الله عليه وسلم] ⁽¹⁾ لا يَقْدِرُ ⁽²⁾ على إلجائهم إلى الإيمان. وصَرَخَ به صاحبُ الكَشَافِ حيث ⁽³⁾ قال: "يعني إنما يَقْدِرُ على إكراههم ⁽⁴⁾ واضطرارهم إلى الإيمان هو، لا أنت." ⁽⁵⁾ والفاء ⁽⁶⁾ للتفريع يدلّ على أنّ عدمَ قدرته إنما يكونُ بسببِ عدمِ تحقّقِ المشيئة. فكأنّه قال: أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ بما لم يَشَأِ اللهُ منهم؟ ولا يخفى أنّه إذا حُمِلَتِ المشيئةُ على مشيئةِ القَسْرِ ⁽⁷⁾ والإلجاءِ كما فَعَلَهُ ⁽⁸⁾ صاحبُ الكَشَافِ لم يَبْقَ للفاءِ موقعٌ في الكلام؛ لأنّ عدمَ تعلّقِ مشيئةِ القَسْرِ ⁽⁹⁾ من الله بشيءٍ لا يَسْتَلْزِمُ عدمَ قدرةِ الرّسولِ على إكراهِ النَّاسِ به ⁽¹⁰⁾ بالاتفاق. فَيَلْزَمُ أن يكونَ السَّبَبُ مطلقَ المشيئةِ كما ذَهَبَتْ إليه الأشاعرةُ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: 100]

أي: بإرادته ومشيئته، كما هو رأيُ الأشاعرة، أو إلّا بتيسيره ⁽¹¹⁾ ولُطْفِهِ، كما هو رأيُ المعتزلة. ⁽¹²⁾ ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 100] الرِّجْسُ: العذابُ. والذين لا يعقلون: المَصْرُونَ الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحُجَجِ والآياتِ، والمقصودُ: الإخبارُ ⁽¹³⁾ عن لُحُوقِ العذابِ بالكُفَرَةِ، ⁽¹⁴⁾ لئلا يُتَوَهَّمَ أنّه منافٍ لِكُوْنِ الكُفْرِ ⁽¹⁵⁾ والإيمانِ بمشيئةِ الله تعالى؛ لأنّ ذلك أيضاً بالمشيئةِ، عند الأشاعرة. والعِلْمُ بِعِلَّةِ المشيئةِ غيرُ لَازِمٍ على العبادِ. وَمَنْ يَجْعَلِ الْعِلْمَ ⁽¹⁶⁾ تابِعاً للمعلومِ، فالأمرُ

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ)، وفي نسخ (الأصل، م، ش): موصولاً.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): تقدير.

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخة (م): كراهمهم.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 372).

(6) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): والتاء.

(7) في نسخ (الأصل، م، ض، ش): القصر، وفي نسخة (غ): العصر.

(8) في نسخ: (الأصل، م، ش): نقله.

(9) في نسخ (الأصل، م، ض، ش): القصر، وفي نسخة (غ): العصر.

(10) سقط من جميع النسخ ما عدا (غ).

(11) في نسخة (م): بتيسير.

(12) في نسخة (م): الأشاعرة.

(13) في نسخ (الأصل، م، ش): إخبار.

(14) في نسخة (غ): بالكفر.

(15) سقط من نسخة (غ).

(16) سقط من نسخة (غ).

عليه أَهْوَنُ؛ لَأَنَّ المَشِيئَةَ بمقتضى العِلْمِ، والعِلْمُ تابعٌ للمعلوم، فلا يَشَاءُ الإِيْمَانُ إِلَّا لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ باختياره⁽¹⁾ وكذا الكلام في⁽²⁾ مَشِيئَتِهِ⁽³⁾ الكُفْرَ للكافر. وهو مذهب بعض المحققين من الصوفية⁽⁴⁾. وقُرئ (وَنَجْعَلُ)⁽⁵⁾ على صيغة الحكاية⁽⁶⁾.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101] أي: أيُّ شيءٍ في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أو⁽⁷⁾ أيُّ شيءٍ الذي في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ على الوجهين المشهورين في (ماذا).⁽⁸⁾ يُرِيدُ عجائب⁽⁹⁾ الصَّنْعِ الدَّالَّةَ على وَحْدَةِ الصَّانِعِ وكمال⁽¹⁰⁾ قدرته. وجَوَزَ البيضاوي⁽¹¹⁾ أن يكونَ (ماذا)⁽¹²⁾ معمولاً

(1) في نسخة (غ): اختياره.

(2) في نسخة (غ): من.

(3) في نسختي (ش، غ): مشيئة.

(4) قال القشيري: "لا يمكن حمل الإذن في هذه الآية إلا على معنى المشيئة لأنه للكافة بالإيمان، والذي هو مأمور بالشيء لا يقال إنه غير مأمون فيه. ولا يجوز حمل هذه الآية على معنى أنه لا يؤمن أحد إلا إذا ألجأ الحق إلى الإيمان واضطره؛ لأنَّ موجب ذلك ألا يكون أحد في العالم مؤمناً بالاختبار، وذلك خطأ، فدلَّ على أنه أراد به إلا أن يشاء الله أن يؤمن هو طوعاً. ولا يجوز بمقتضى هذا أنه يريد من أحد أن يؤمن طوعاً، ثم لا يؤمن؛ لأنه يبطل فائدة الآية، فصَحَّ قول أهل السَّنة بأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن." القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة الثالثة، (2/ 117).

وقال الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيَّةُ﴾ [الأنعام: 149] "أي: إن كان الأمر كما قلتم فليس لكم حجة، بل لله تعالى الحجة عليكم؛ لأنه تعالى لا يشاء إلا ما يعلمه في الأزل ولا يعلم الشيء إلا على ما هو عليه في نفسه، فلو لم تكونوا في أنفسكم مشركين سيئ الاستعداد لما شاء الله تعالى ذلك منكم، ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُم أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] لكنه لم يشأ إذ ليس في استعدادكم الأزلي ذلك." الألوسي، روح المعاني، (4/ 313).

(5) في جميع النسخ: يجعل.

(6) قراءة متواترة: قرأ أبو بكر شعبة (وَنَجْعَلُ الرَّجْسَ) بالثَّوْنِ وَقَرَأَ الثَّاقِفُونَ (يَجْعَلُ) بِالْيَاءِ. ينظر: الداني، (المتوفى: 444هـ) التيسير في القراءات السبع، (ص: 123)، والقاضي، عبد الفتاح (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 151).

(7) في نسخة (ض): أي.

(8) في نسخة (غ): ذا.

(9) في نسخة (غ): حجاب.

(10) في نسخة (ض): وكما.

(11) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 125).

(12) في نسخة (غ): ما.

لَا أَنْظُرُوا؛⁽¹⁾ على أن يكون (ما) موصولةً، و(ذا) زائدة. وهو مع⁽²⁾ كَوْنِهِ خِلافَ الْأَمْرِينِ المشهورين في (ماذا) مخالفٌ للاستعمال؛ لأنَّ النَّظَرَ إن كان بمعنى الرؤية يُستعمل بـ(إلى)، وإن كان بمعنى التفكير يُستعمل بـ(في)، ولا ثالث له. ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ وَالْتُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101] لِنَصْلِبِهِمْ في⁽³⁾ العناد والإنكار. و(ما) نافية، أو استفهامية في محلِّ النَّصْبِ على المفعولية.

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: 102]

أي: إلا⁽⁴⁾ مثل وقائع الذين مَضَوْا قَبْلَهُمْ من الهالكين. كما يُقال "أَيَّامُ الْعَرَبِ" لوقائعها. ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: 102] تهديدٌ، وإخبارٌ عما يَلْحَقُهُمْ من⁽⁵⁾ الهلاك والعذاب.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يونس: 103]

عطفٌ على محذوفٍ دلَّ عليه ﴿أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ كأنه قيل: نُهْلِكُ الْأَمَمَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا؛ على حكاية الحال الماضية. و(ثم) لتفاوت المرتبتين، لا للتراخي في الزمان. ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 103] ﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ يدلُّ على فِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ، أي: حَقَّ ذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا. والجملة⁽⁶⁾ معترضة.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّلَكُمْ﴾ [يونس: 104] أي: قُلْ: يا أهلَ مَكَّةَ، إن كنتم في شكٍّ من صحَّةِ ديني، -[فديني]⁽⁷⁾ هذا الذي أذكَّره لكم-⁽⁸⁾ كُفِّرْ. ⁽⁹⁾ ومن راجع عَقْلُهُ وتَأَمَّلْ فيه، يعلمُ أنه⁽¹⁰⁾ ليس بمحلٍّ للشكِّ. يعني: أنَّ الشكَّ فيه إنما نشأ من نقصانِ العقلِ،⁽¹¹⁾ أو من عدمِ التأملِ والتدبُّرِ. وخصَّ التَّوَفِّيَ بِالذِّكْرِ من الأوصافِ

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): انظر.

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخة (غ): من.

(4) في نسخة (غ): لا.

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): بكم.

(9) سقط من نسخة (ض)، وفي نسخة (م): كفروا.

(10) في نسخة (غ): فيه أنه.

(11) في نسختي (ش، غ): الفعل.

المخصوصة بالرَّبوبيَّة؛ لأنَّ التَّهْدِيدَ أَدْخَلَ فِي⁽¹⁾ قَبُولِ النَّصَحِ، وَالتَّهْدِيدُ بِهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مَتَيْقِنٌ بِفَرْضِ⁽²⁾ كَلِّ أَحَدٍ. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 104] (أَنْ) مصدريةٌ، أي: أُمِرْتُ بِأَنْ أَكُونَ؛ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ⁽³⁾ الْجَرِّ قِيَاسًا.

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [يونس: 105] عطفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾، فَيُلْزَمُ أَنْ تَكُونَ⁽⁴⁾ (أَنْ) مصدريةٌ كَمَا كَانَ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ. [وَيَرِدُ عَلَيْهِ]⁽⁵⁾ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَقَعُ صَلَةً (أَنْ)؛⁽⁶⁾ لِأَنَّ حَقَّ الصَّلَةِ أَنْ تَكُونَ جَمَلَةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ. وَأَجَابَ عَنْهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "قُلْتُ: قَدْ سَوَّغَ سَيِّئُونُهُ أَنْ يُوَصَلَ (أَنْ) بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَشَبَّهَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: "أَنْتَ الَّذِي تَفْعَلُ" - عَلَى الْخَطَابِ -؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ⁽⁷⁾ وَصْلُهَا بِمَا⁽⁸⁾ يَكُونُ مَعَهُ فِي⁽⁹⁾ مَعْنَى الْمَصْدَرِ. وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ دَالَّانِ عَلَى الْمَصْدَرِ دَلَالَةً غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَفْعَالِ"⁽¹⁰⁾ انْتَهَى.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: هِيَ (أَنْ) الْمَفْسُورَةُ؛ لِأَنَّ فِي الْأَمْرِ مَعْنَى الْقَوْلِ، وَعِطْفُهُ لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿أَكُونَ﴾، بَلِ⁽¹¹⁾ عَلَى مَحَلِّهِ؛ فَإِنَّهُ [يَدُلُّ]⁽¹²⁾ فِي مَحَلِّ قَوْلِنَا: "وَأُمِرْتُ أَنْ أُؤْمِنَ"⁽¹³⁾ مِثْلَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ". وَيَصِحُّ هَذَا الْعِطْفُ بِلَا نِزَاعٍ. وَالْعِطْفُ عَلَى مَحَلِّ الْكَلَامِ أَمْرٌ شَائِعٌ بَيْنَهُمْ. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: 105] نَهْيٌ عَنِ الشَّرِكِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِضِدِّهِ؛ لِلتَّأَكُّدِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): مِنْ.

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): يَعْزُضُ.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يَكُونُ.

(5) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأصل، ش، م).

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأصل، م).

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): الْوَصِي.

(8) فِي نَسْخَةِ (ش): إِنَّمَا.

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): مِنْ.

(10) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 374).

(11) فِي نَسْخَةِ (م): بَلَى.

(12) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأصل، ض، ش، غ).

(13) فِي نَسْخِ: (الأصل، م، ش): أَمِنْ، وَفِي نَسْخَةِ (ض): آمَنْ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): أَمْرٌ، وَأُثْبِتَ (أُؤْمِنُ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: 106] نَهَى عَنِ الشِّرْكِ مُقَيِّدًا بَعْدَ النَّهْيِ عَنْهُ مُطْلَقًا؛ تعريضاً بأنهم يُشْرِكُونَ بالله ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ. ولا شبهة أنه أَقْبَحُ⁽¹⁾ مِنْ مُطْلَقِ الشِّرْكِ، فيكونُ الكلامُ على مقتضى البلاغة⁽²⁾. ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 106]؛ لأنَّ الشِّرْكَ ظلمٌ عظيمٌ.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107] الذي أَرَادَكَ بِهِ. وَلَعَلَّه⁽³⁾ ذَكَرَ الإرادةَ مع الخيرِ والمُسَّ مع الضَّرِّ مع تَلَازُمِ الأمرينِ؛ للتَّبَيُّهِ عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ مرادٌ بالذاتِ، وَأَنَّ الضَّرَّ إنما مَسَّهُمْ لَا بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ، وَوَضَعَ (الْفَضْلَ)⁽⁴⁾ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ مُتَقَضِّلٌ بِمَا يُرِيدُ بِهِمْ مِنْ⁽⁵⁾ الْخَيْرِ لَا اسْتِحْقَاقَ لَهُمْ عَلَيْهِ. وَلَمْ يَسْتَتِنْ؛ لِأَنَّ مَرَادَ اللَّهِ⁽⁶⁾ لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ، كَذَا قَالَ الْبِيضَاوِيُّ⁽⁷⁾.

ويمكن أن يُقال: فِي الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ وَعْدَهُ لَا يَتَخَلَّفُ بَوَجهٍ مِنَ الْوَجُوهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ بِلا اسْتِثْنَاءٍ، وَأَنَّ وَعِيدَهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَخَلَّفَ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾. فَيَجُوزُ أَنْ يَكْشِفَ ضُرَّ الْعَذَابِ وَيَغْفِرَ⁽⁸⁾ لِلْعَاصِينَ.

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107] الضَّمِيرُ فِي ﴿بِهِ﴾ لِلْخَيْرِ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَعَلُّقِ غَفْرَانِهِ بِالْعَاصِي، غَيْرَ مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ، كَالشِّرْكِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (م): قَبِج، وَفِي نَسْخَتِي (ش، غ): اِحْتَج.

(2) قَدْ يَكُونُ الدَّعَاءُ هُنَا أَيْضًا مُقَيِّدًا بِمَعْنَى السُّؤَالِ، وَالْإِبْتِهَالِ، لَا عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ، فَلَا يَكُونُ هُنَاكَ نَهْيَانٌ؛ مُطْلَقٌ وَمُقَيِّدٌ، بَلْ نَهَى أَوَّلًا عَنِ الشِّرْكِ مُطْلَقًا، ثُمَّ نَهَى عَنِ عَمَلٍ يُوْدِي مَرْتَكِبِهِ إِلَى الشِّرْكِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: 106]، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): وَلَعَلَّة.

(4) فِي نَسْخَةِ (ش): الْفَعْل.

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (م)، وَفِي نَسْخَةِ (غ): فِي.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): مَرَادَاتِهِ.

(7) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 126).

(8) فِي نَسْخَةِ (ض): وَبَعْضُ.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: 108] أي: الرسول والقرآن. ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108] إنما أنا بشيرٌ ونذيرٌ.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ [يونس: 109] بالنَّصْرِ، أو بالأمرِ بالقتال. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109] يجيء حُكْمُهُ⁽¹⁾ في مَحَلِّهِ إِلَيْهِ.⁽²⁾

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ صَدَّقَ بِيُوسُفَ وَكَذَّبَ بِهِ وَبَعْدَ مَنْ غَرِقَ مَعَ فِرْعَوْنَ»⁽³⁾ كذا في الكشاف وتفسير البيضاوي [والله أعلم].⁽⁴⁾

(1) في نسخة (ش): بحكمه.

(2) في نسخة (ض): البتة.

(3) حديث موضوع: أخرجه ابن الجوزي (المتوفى: 597هـ) في الموضوعات، من طريق أبي بكر بن أبي داود السجستاني، عن أبي بن كعب مرفوعاً في فضائل القرآن سورة سورة. ثم قال: "وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود، كيف فرقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال؟ ولكن شره جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنقيح حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم؛ لأنه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ». وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك. وقال أيضاً: مغلد بن عبد الواحد قال ابن جبان: منكر الحديث جداً يتفرّد بمناكير لا تشبه أحاديث النقا، وقد اتفق بديع ومغلد علي رواية هذا الحديث عن علي بن زيد، وقد قال أحمد ويحيى: علي بن زيد ليس بشيء. وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع، وقد روى في فضائل السور أيضاً ميسرة بن عبد ربه.

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، الموضوعات، تحقيق محمد عبد المحسن، الطبعة الأولى، 1386 هـ - 1966 م، (1/ 240).

وقال الذهبي في الميزان: مغلد بن عبد الواحد، أبو الهذيل: وروى عنه شابة بن سوار، عن ابن جدعان، وعن عطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخبر الطويل الباطل في فضل السور، فما أدري من وضعه إن لم يكن مغلد افتراه.

وقال أيضاً: قال محمد بن عيسى الطباع: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث؟ من قرأ كذا كان له كذا. قال: وضعته أرغب الناس. الذهبي (المتوفى: 748هـ)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م، (4/ 83)، و(4/ 230).

(4) بين المعقوفتين من نسخة (غ).

سورة هود

سورة هود مكية، وهي: مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّ كِتَبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ﴾ [هود: 1] [بالضبط والحفظ في اللوح، أو بالإنزال إلى السماء الدنيا جملةً، وجعلها ثابتةً مستقرةً فيها].⁽¹⁾ ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: 1] بالتَّزِيلِ نَجْمًا نَجْمًا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. ويجوز أن يكون الإحكامُ باعتبارِ اللَّفْظِ، والتفصيلُ باعتبارِ المعنى، ويكون (ثم)⁽²⁾ للتفاوتِ بين الأمرين. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1] ظرفٌ مستقرٌ، خبرٌ بعد [خبرٍ]،⁽³⁾ أو صفةٌ بعد صفةٍ. ويجوز أن يكونَ ظرفاً لغواً، متعلقاً بقوله: ﴿أُحْكِمَتْ... ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كأنه قال: أحكَمَهَا حَكِيمٌ، وفَصَّلَهَا خَبِيرٌ.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: 2] (أَنْ) مصدريةٌ في موقعِ العِلَّةِ بنقدِيرِ اللَّامِ.⁽⁴⁾ ويجوز أن تكونَ مفسرةً؛ لأنَّ في تفصيلِ الآياتِ معنى القولِ، كأنه قيل: قال لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾ [هود: 2] كلامٌ مستأنفٌ على لسانِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، معترضٌ بين المعطوفِ والمعطوفِ⁽⁵⁾ عليه. ويجوز أن يكونَ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ مرتبطاً به⁽⁶⁾ في موضعِ النَّصْبِ على الإغراء، على معنى: الزموا تركَ عبادةٍ غيرِ الله، ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ من جانبِهِ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: 3] عطفتُ على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾. ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 3] ثم انبئوا في التَّوْبَةِ، واستقيموا عليها. ويجوز أن يكونَ المرادُ بالاستغفارِ الاستغفارُ⁽⁷⁾ من الشَّرِكِ، وتكونَ التَّوْبَةُ بمعنى الرجوعِ إليه بالعبادة؛ على أن يكونَ (ثم) لتفاوتِ ما بين الأمرين. ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: 3]

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) بين المعقوفتين من نسخة (ض).

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) سقط من نسخة (م).

[3] أي: يُحْيِكُمْ⁽¹⁾ حياةً طَيِّبَةً مَرْضِيَّةً، في عيشةٍ واسعةٍ. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: 3] إلى وقتٍ⁽²⁾ حلولِ الموتِ. وهو مَقْدَرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، ومَسْمًى عند الله. ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: 3] وَيُعْطِي كُلَّ صَاحِبِ عَمَلٍ حَسَنٍ جَزَاءَ عَمَلِهِ، أثبت للتائب خير الدارين. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: 3] يومِ القيامة.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: 4] استئنافٌ للتعليل، وإثباتٌ للشرطيّة.⁽³⁾ وهذا الاستئنافُ يَأْتِي أَنْ يَكُونَ ﴿يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يومَ الشدائد، أي: الوقت الذي ابتُلُوا فيه بِالْقَحْطِ حَتَّى أَكَلُوا الْجَيْفَ، كما قيل.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5] عن الحقِّ، أي: يَنْحَرِفُونَ⁽⁴⁾ عنه في الباطنِ دون الظاهر. ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ [هود: 5] من الله بِسِرِّهِمْ، أي: لإخفاء سِرِّهِمْ من الله. اللّامُ متعلّقةٌ بقوله: ﴿يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ باعتبار ما يُفْهِمُ ﴿مِنْهُ﴾ من عدم التّثني،⁽⁵⁾ بحسبِ⁽⁶⁾ الظاهر. وصاحبُ الكشافِ جَعَلَهُ متعلّقا بمقدّر، حيثُ قال: "يعني: وَيُرِيدُونَ؛ لَيْسَتْخَفُوا من الله، فلا يُطْلَعُ رَسُولُهُ والمؤمنين على أَرْوَازِهِمْ. [ونظيرُ إضمارِ]⁽⁷⁾ (يريدون) -لِقَوْدِ المعنى إلى إضمارِهِ- الإضمارُ في قوله تعالى: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقْ﴾ [الشعراء: 63]، معناه: فَضْرَبَ فَأَنْفَلَقَ."⁽⁸⁾

(1) في نسخة (ش): يحبكم، وفي نسخة (ض): يحييكم.

(2) في نسخة (م): مسند.

(3) في نسختي (الأصل، ش): لشرطيّة، وفي نسخة (م): الشرطيّة.

(4) في نسختي (غ، ش): يتحرفون.

(5) سقط من نسخة (م).

(6) سقط من نسخة (ش).

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/ 379).

قال البيضاوي: "قيل: إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أَرْحَيْنَا سُورَنَا، وَاسْتَعْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وَطَوَيْنَا صُدُورَنَا عَلَى عداوة محمدٍ، كيف يَعْلَمُ؟ وقيل: نزلت في المنافقين،⁽¹⁾ وفيه نظرٌ، إذ⁽²⁾ الآية مكية، والتَّفَاقُ حَدَّثَ بالمدينة." ⁽³⁾ انتهى.

وفيه: أنه -بعد التسليم- إخبارٌ عن الآتي، والإخبار عن الآتي في القرآن غير نادر، بل هو مما يُعَدُّ⁽⁴⁾ من المعجزات، وقد ذُكِرَتْ أمثاله فيما سَبَقَ فتذكر. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: 5] الظاهر: أنها جملةٌ مستقلة، كما يقتضيه حرفُ التنبيه. والظرفُ متعلقٌ بقوله ﴿يَعْلَمُ﴾. ويُفهم من كلام صاحبِ الكشف أنه متعلقٌ بقوله: ⁽⁵⁾ ﴿لَيْسَتْخَفُوا﴾ حيث قال: "ويريدون الاستخفاء حين يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ أيضاً؛ كراهةً استماعٍ كلامِ الله." ⁽⁶⁾ وهو بظاهره غير صحيح؛ لما ذكر -في محله-⁷ من اقتضاء حرفِ التنبيه صدارةَ الكلام. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5] أي: بالأسرار التي في القلوب.

(1) أورد الواحدي في أسباب نزول القرآن: أنها نزلت في الأحنس بن شريق، وكان رجلاً خلواً الكلام خلواً المنظر، يلقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما يحب ويطوي قبله ما يكره. وقال الكلبي: كان يجالس النبي -صلى الله عليه وسلم- يظهر له أمراً يسره ويضمّر في قلبه خلاف ما يظهر، فأُنزل الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5] يقول: يُكْمِنُونَ ما في صُدُورِهِمْ مِنَ العداوة لمحمد -صلى الله عليه وسلم-. لكن الصحيح من سبب نزول الآية ما أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 73) في كتاب تفسير القرآن في باب: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ [يونس: 90] عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس، أنه سمع ابن عباس، يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ﴾ قال: سألتُه عنها. فقال: «أناس كانوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ». معنى (يتخلوا) يقضوا حاجة في الخلاء وهم عراة. ومعنى (يفضوا) فتظهر عورتهم في الفضاء ليس بينها وبين السماء حاجز.

(2) في الأصل: أو. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128).

(4) في الأصل ونسخة (ش): ممانعة، وفي نسخة (م): ممانعته.

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) الزمخشري، الكشف، (2/ 379).

⁷ يعني: في علم النحو، ينظر: الشنقيطي، عبد الرحمن محمود مختار، الصدارة في النحو العربي، (رسالة جامعية) جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ، (ص: 297).

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]

كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ رِزْقَهَا حِينَ خَلَقَهَا. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: 6] الْمُسْتَقَرُّ: مكانه من الأرض، وَمُسْكَنُهُ. والمستودع: حيث كان مُودَّعاً قبل الاستقرار من صُلْبٍ، أو رَحْمٍ، أو بَيْضَةٍ، كذا في الكشف.⁽¹⁾ وقيل: المراد أماكنها في الحياة والممات. ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6] مُثَبَّتٌ فِي اللّوْحِ المحفوظ، ومكتوب فيه كيفية أحواله قبل أن يُخْلَق. وفي الآية دلالة على أنه عالم بالجزئيات كما أنه عالم بالكلّيات.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود: 7]

سَبَقَ تفسيره في سورة الأعراف.⁽²⁾ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7] أي: ما كان تَحْتَهُ خُلُقَ قبل خلق⁽³⁾ السماوات والأرض، إِلَّا الماء. وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض، كذا قيل. ولا يخفى أنه منافٍ لما ذكر في سورة السجدة؛ لأنه يدل على أن الماء مخلوق مع السماوات والأرض في مدة ستة أيام حيث قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: 4] والماء داخل فيه. وهذه الآية تدل على أن الماء كان مخلوقاً قبل تلك المدة، والله أعلم، إِلَّا أن يَنْبُت أن الأرض على متن الماء، فحينئذ يجوز أن يكون الماء المحيط مخلوقاً مع الأرض، وهذا الماء قبلها، وكان مع العرش. وقيل: كان الماء على متن الريح. ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾ أي: خَلَقَهُنَّ لِحِكْمَةٍ⁽⁴⁾ بالغة، هي: ظهور العبادة من العباد الذين توقف وجودهم، وتعيشهم، وعبادتهم على سبق خلقها. وشبه هذا الفعل بفعل المختبر الذي يمتحن الشيء؛ ليظهر عليه كيفية حاله. و(العمل) يَعْمُ عمل القلب وعمل الجوارح. فكأنه قال: أيكم⁽⁵⁾ أكمل علماً وعَمَلًا. وإنما قال: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ -وأفعال المؤمنين بعضها حسنٌ وبعضها أحسنٌ- للتحريض على أحسن الأعمال.

(1) الزمخشري، الكشف، (2/ 379).

(2) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 185).

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخة (ش): بحكمة.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): إنكم.

﴿وَلَيْنَ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: 7]
 أي: ما⁽¹⁾ هذا القول إلا باطلٌ ظاهرٌ كالسحر. ويجوز أن يكون ﴿هَذَا﴾ إشارةً إلى القرآن الناطق
 بالبغث وهم يُسمونه سحراً مُبيناً. وُقِرَّ (أنكم) بالفتح.⁽²⁾ وقيل: وجهه أن يكون (أنكم) بمعنى علكم،⁽³⁾
 أي: توفّعوا بعنكم ولا تبتئوا⁽⁴⁾ القول بإنكاره. ويجوز أن يُضَمَّنَ ﴿قُلْتَ﴾ معنى: (ذكَرْتَ)، فيصح وقوع
 "أن" المفتوحة بعده.

﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8]
 إلى جماعةٍ قليلةٍ من الأوقات، ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُسُهُ﴾ [هود: 8] ما يَمْنَعُهُ من النُّزُولِ؟ استعجالاً، على
 وجه التّكذيب. ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: 8] ليس العذاب مدفوعاً عنهم يومَ يَأْتِيهِمْ،
 كما لا يُدْفَع عنهم يومَ بَدْرٍ. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ [هود: 8] وأحاط بهم، وَضَعَهُ موضعَ المضارع؛ مبالغةً في
 تَحَقُّقِ وقوعه. ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8] أي العذاب؛ لأنّه كانوا يستعجلون به استهزاءً.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ [هود: 9]
 اللّام موطنه القسم، ﴿إِنَّهُ لَيَكُفُّوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: 9] شديد اليأس⁽⁵⁾ من أن يعود إليه مثل النعمة
 المسلوقة، عظيم الكفران لما سلفه له من النعم. والجملة جواب القسم، نائبُ منابِ جواب الشرط، ولذلك
 ذُكرت بدون الفاء اللازمَة في الجملة الاسميّة.

(1) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(2) قراءة شاذة: ذكرها ابن خالويه وابن عطية منسوبة إلى عيسى -وهو عيسى بن عمر الثقفي (المتوفى 149هـ) -،
 والألوسي منسوبة إلى الأعمش، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص:
 64)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 152)، والألوسي، روح المعاني، (6/ 214)، والزمخشري، الكشاف، (2/
 380)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128).

(3) في نسختي (م، ض): عليكم.

(4) في نسخة (ش): بئوا.

(5) في نسخة (غ): الناس.

﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ [هود: 10]

أي: المصائب التي ساءتني، يعني: يكتفي بهذا القول، واللازم عليه أن يكون شاكراً، أو خائفاً عن إعادة السيئات. ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: 10] تعليلٌ لسابقه، يعني: بواسطة الفرح بالنعماء، والفرح على الناس، يغفل عن الشكر، والخوف، والخشية اللازمة عليه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: 11]

لأنهم شاكرون دائماً على النعماء، وصابرون على الضراء، لا يشغلهم عن الله بطر وكفران.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: 12]

كان المشركون يفترحون على⁽¹⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتٍ، تعنتاً وعناداً، وتهاوناً بالقرآن كأنه ليس بآيات. وكان ذلك سبباً لأن⁽²⁾ يختلج في قلب رسول الله عليه الصلاة والسلام أن لا يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون⁽³⁾ منه، فأخبر الله سبحانه عن حاله وأمره بالإنذار، [يعني]:⁽⁴⁾ لعلك تترك تبليغ بعض ما يوحى إليك. وإنما فسّر اسم الفاعل بالمضارع؛ لأنه إنما يعمل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال. ﴿وَصَآئِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12] أي: بتلاوته عليهم. ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُزٌّ﴾ [هود: 12] مخافة أن يقولوا: لولا أنزل عليه كز ينفعه⁽⁵⁾ كالملوك. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: 12] يصدفه. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: 12] ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك. فما بالك يصيق به صدرك من قولهم وتهاونهم بالقرآن؟ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: 12] يجازيهم على أفعالهم وأقوالهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ﴾ [هود: 13]

(أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيه التقريع، والضمير لـ ﴿مَا يُوحَىٰ﴾. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13] في الفصاحة والبلاغة، والمقصود من (العشر) ليس خصوص العدد، بل مجرد التعدد؛ لظهور عجزهم. وإنما اختار العشر؛ لأنه عددٌ كامل. ثم لما ظهر عجزهم عن الإتيان بالسور قال في موضع

(1) في جميع النسخ: عن، وأثبت (على) لأنه أصح.

(2) في نسخة (ض): بأن.

(3) في نسخة (ش): يضحكونه.

(4) بين المعقوفتين من نسخة (غ).

(5) في نسخة (م): ينفعه.

آخَر: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]؛ لِيُظْهَرَ عَجْزُهُم بِالْكَلْيَةِ. ﴿مُفْتَرِيَتٍ﴾ [هود: 13] صفةٌ لـ ﴿عَشْرِ سُورٍ﴾، أي: مُخْتَلَفَاتٍ من عند أنفسكم، إن صحَّ زعمكم أنني اختلقته من عند نفسي، ولم يُوحَ إليَّ. وهو كلامٌ بطريق إرخاء العنان لا إلزامهم⁽¹⁾ بالكَلْيَةِ. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13] فيما زعمتم.

﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: 14] الضميرُ في ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ للمشرَكين. والخطابُ للنبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام والمؤمنين؛ باعتبارِ أنهم من حيثُ إنَّه يجب اتِّباعه عليهم، كانوا كأنَّهم مشتركون في التَّحدِّي معه. والباءُ للالتباسِ، أي: أنزل ملتبساً بما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ من نَظْمٍ مُعْجَزٍ، وإخبارٍ بالغيوبِ.⁽²⁾ ووجهُ تَرْتِيبِ الْعِلْمِ بالتَّوْحِيدِ على عدم استجابتهم؛ [أَنَّ عدمَ استجابتهم]⁽³⁾ وَعَجْزُهُم عن الإتيانِ، يدلُّ على إعجازِ الوحي المنزل، وهو ناطقٌ⁽⁴⁾ بالتَّوْحِيدِ.

ويجوزُ أن يكونَ باعتبارِ أَنَّ عدمَ استجابتهم يدلُّ على عَجْزِ الشُّركاءِ، ومن عَجْزِهِمْ يَثْبُتُ⁽⁵⁾ التَّوْحِيدُ. والاستفهامُ في ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ للإشعارِ بأنَّ هذا البيانَ موجبٌ للثَّباتِ على الإسلامِ، والرَّسوخِ فيه؛ بأنَّ يكونَ الإسلامُ: الثَّباتُ والرَّسوخُ.

ويحتملُ أن يكونَ الخطابُ للمشرَكين؛ ويكونَ ضميرُ ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ لـ ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، ويكونَ الإسلامُ على ظاهره، أي: فهل أنتم تُقْبَلُونَ الإسلامَ وتَدْخُلُونَ فيه؟

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: 15] أي: من كان مراده الدُّنْيَا دونَ الآخرةِ نُوفِّ إليه جزاءَ أعمالِهِ فيها، من الصَّحَّةِ، والرَّئاسةِ،⁽⁶⁾ وسعةِ الرِّزْقِ، وأمثالِها. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15] لا يُنْقَصُونَ شيئاً من أجورِهِم في الدُّنْيَا. والآيةُ في أهلِ الرِّياءِ. وقيل في

(1) في نسخ (الأصل، م، س، ض): لا لزامهم.

(2) في نسخة (غ): بالقنوت.

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(4) في نسخة (غ): باطن.

(5) في نسخة (غ): ثبت.

(6) في جميع النسخ: والرِّئاسة، وأُثبت (الرَّئاسة) لأنَّه أصحُّ.

المنافقين، وقيل في الكفرة وبرهم، كذا في تفسير البيضاوي.⁽¹⁾ كأنه جَوَزَ هُهنا أن يكون في السورة ذكر حال المنافقين، وقد منعه قبل ذلك.⁽²⁾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: 16]

استئناف لبيان حالهم في الآخرة. وإنما انحصَرَ⁽³⁾ به⁽⁴⁾ جزاؤهم في النار؛ لأنهم⁽⁵⁾ استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة، وبقي⁽⁶⁾ لهم جزاء أعمالهم السيئة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود: 16]؛ لأنهم لم يقصدوا به الآخرة. وقد وُفِّي إليهم جملة⁽⁷⁾ ما أرادوه. ﴿وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 16]؛ لأنهم لم يعملوه على وفق الأمر. والجملتان داخلتان تحت حكم الاستئناف. وُفِّي (وبطل) ⁽⁸⁾ على وفق (وَحَبِطَ). وُفِّي (باطلاً) بالنصب،⁽⁹⁾ على أن يكون الفاعل بمعنى المصدر، نحو: (ولا خارجاً من)⁽¹⁰⁾ في زور الكلام، على تقدير: وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون. ويجوز أن تكون (ما) ابهامية على معنى: وباطلاً أي ما⁽¹¹⁾ باطل ما كانوا يعملون.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 130).

(2) يقصد قول البيضاوي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: 5] حيث قال: "وقيل نزلت في المنافقين، وفيه نظر، إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة." ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 128).
(3) في نسختي (م، ض): انحصرهم.

(4) سقط من نسخة (غ، ض).

(5) سقط من نسخة (ض).

(6) في جميع النسخ: وبقيت، وأثبت (وبقي) لأنه أصح.

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه إلى يحيى بن يعمر، وأبو حيان إلى زيد بن غلي، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 64)، أبي حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/ 133).

(9) قراءة شاذة: نسبت إلى أبي وابن مسعود، ينظر: ابن جني، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 320)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 157)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/ 133).

(10) في نسخة (غ): في.

(11) سقط من نسخ (الأصل، م، ض، غ).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ [هود: 17]

الفاء للتعقيب معناه: أمّن⁽¹⁾ كان يريد الحياة الدنيا، فمن كان على بيّنة، والمقصود إنكار كونهما متعاقبين ومتقاربين في⁽²⁾ المنزلة. ولم يُذكر خبر الموصول؛ لأنّ الكلام يدلّ عليه،⁽³⁾ وتقديره: (4) أفمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدنيا؟ والبيّنة: دليل العقل، فإنّه برهان من الله على أنّ⁽⁵⁾ دين الإسلام حقّ. وضمير ﴿يَتْلُوهُ﴾ للبيّنة، باعتبار المعنى؛ لأنّه⁽⁶⁾ بمعنى: الدليل والبرهان. ويتلّو: من التلّو، والشاهد: القرآن، وضمير ﴿مِّنْهُ﴾ للرّب، يعني: ويتّبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن. ومن قبل القرآن يتّبع ذلك البرهان كتاب موسى، يعني: التّوراة؛ لأنّه أيضاً يدلّ على حقيقة دين الإسلام.

وقرئ (كِتَابُ مُوسَى) بالنصب؛⁽⁷⁾ على أن يكون البيّنة⁽⁸⁾ بمعنى: الدليل على أنّ القرآن حقّ، ويكون ﴿يَتْلُوهُ﴾ من التّلاوة، والضمير للقرآن، المفهوم ضمناً، ويكون (كِتَابُ مُوسَى) عطفاً عليه، وضمير ﴿مِّنْهُ﴾ لـ﴿مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾، يعني: أفمن كان على بيّنة وبرهان على أنّ القرآن حقّ، ويقرأ القرآن⁽⁹⁾ شاهد منه أي: أفمن⁽¹⁰⁾ كان على بيّنة، كقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: 10] ومن قبله يقرأ التّوراة. والمراد مؤمنو أهل الكتاب، كما قال صاحب الكشاف: "وأراد بهم: مَنْ آمن من

(1) في نسخة (م): من.

(2) في نسخة (غ): من.

(3) في نسخة (م): على.

(4) في نسخة (م): تقدير.

(5) سقط من نسخ (الأصل، ش، م).

(6) في نسخة (غ): لأن.

(7) قراءة شاذّة: نسبت إلى محمد بن السائب الكلبي وغيره، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع، (ص: 64)، والسمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (6/ 300)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/ 134)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 385)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 131).

(8) في نسخة (ض): البقيّة.

(9) سقط من نسخة (ش) وعُبر عنه بالضمير.

(10) في نسخ (الأصل، ش، ض، غ): فمن.

اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره.⁽¹⁾ قال البيضاوي: "وهو حكم يعم كل مؤمنٍ مُخلصٍ. وقيل: المراد به⁽²⁾ النبي⁽³⁾" انتهى. فعلى هذا يجوز أن تكون⁽⁴⁾ البيّنة عبارة عن القرآن، و﴿يَتْلُوهُ﴾ من التلاوة، والشاهد جبريل، أو لسان الرسول؛ على أن يكون ضمير ﴿مِنَهُ﴾ للرسول، ويكون قوله ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ كِتَابُ مُوسَى ﴿جَمَلَةٌ مَبْدُئَةٌ.﴾ ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: 17] حال عن⁽⁵⁾ كتاب موسى. وهو إما فاعل، أو مفعول، على القراءة تين. أي: كتاباً مؤتمماً به في الدين، ورحمة على المنزل⁽⁶⁾ إليهم. ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [هود: 17] إشارة إلى ﴿مَنْ كَانَ﴾ باعتبار المعنى، والضمير للقرآن. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْأَحْزَابِ [هود: 17] من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: 17] يردّها بالضرورة، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: 17] المرية: الشك، وضمير ﴿مِنَهُ﴾ للموعِد، أو للقرآن. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [هود: 17] علة للنهي، والقصر المفهوم من تعريف الجنس إضافي. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17] لقلّة تدبرهم، ونقصان عقولهم لزيادة الفهم بالجزئيات المحسوسة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [هود: 18]

بإسناد ما لم يكن، أو بسلب ما ثبت.⁽⁷⁾ ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: 18] يُحْبَسُونَ في الموقف، وتعرض أعمالهم. ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18] الأشهاد: مَنْ يَشْهَدُ عليهم، كالملائكة والنبيين.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود: 19]

بأن يعتدّ الجهلة إعوجاجها، أو يريدون اعوجاج أهلها، بالارتداد. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: 19] تكرير⁽⁸⁾ ﴿هُمْ﴾ لتأكيد كفرهم بالآخرة، واختصاصهم به.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 385).

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 131).

(4) في جميع النسخ: يكون، وأثبت (تكون) لأنه أصح.

(5) في نسخة (ش): من.

(6) في نسخة (ش): المنزلة.

(7) في نسخ (الأصل، م، ض، غ): يثبت.

(8) في نسخة (غ): يكرر.

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: 20]

تهديدٌ بالعذاب في الدنيا. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [هود: 20] لِيَمْنَعُوهُمْ⁽¹⁾ من عقابه إن أرادَ عقابهم. ﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [هود: 20] استئناف، لبيان حالهم في الدنيا. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: 20] تعليلٌ لسابقه.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: 21]

باختيار عبادة الآلهة دون الله. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [هود: 21] وضاع وبطل ما يُسمونه آلهة، ويعتقدون شفاعتها.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: 22]

تأكيدٌ لسابقه، يعني: حقٌّ حقاً وثبتت بالضرورة ﴿لَا جَرَمَ﴾ منه، أنهم في الآخرة مختصون بالخسران الزائد البليغ لا أحد أشد⁽²⁾ خسراناً منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: 23]

واطمأنوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع؛ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: 23] دائمون.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: 24]

شبهه كلاً من الكافر والمؤمن بأمرين، أو بأمر واحد جامع بين المفهومين؛ بأن يكون العطف لمحض تغاير المفهومين. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: 24] إنكارٌ لتسوية الفريقين في⁽³⁾ التشبيه والتمثيل، بعد تشبيههما⁽⁴⁾ بالأمرين المتقابلين؛ للتأكيد، والتقرير. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 24] تقريرٌ للإنكار.

(1) في جميع النسخ: لِيَمْنَعُوهُمْ، وأثبت (لِيَمْنَعُوهُمْ) لأنه أصح.

(2) في نسخة (ش): أسد.

(3) في نسخة (ش): من.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): تشبيههما.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: 25] أي: قائلاً: إني لكم، وقرئ (أنّي) بالفتح،⁽¹⁾ على تقدير الباء؛ لالتباس. والمُبين: من الإبانة، أي: مُظهرٌ لكم موجب العذاب، وسبب الخلاص.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: 26]

(أن) مصدرية، أو مخففة على التأولين المذكورين في كون الأمر والنهي صلة لـ (أن) المصدرية، أو تفسيراً لضمير الشأن، فتذكر.⁽²⁾ وهي على الأول⁽³⁾ متعلقة بـ ﴿نَذِيرٌ﴾، وعلى الثاني بـ ﴿مُبِينٌ﴾. ويجوز أن تكون مفسرة متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو بـ ﴿نَذِيرٌ﴾؛ لأنّ فيهما⁽⁴⁾ معنى القول. وعلى قراءة من قرأ (أن) بالفتح يحتمل البذل. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ﴾ [هود: 26] تعليل للنهي. ووصف اليوم بالآليم من الإسناد المجازي؛ لوقوع الألم فيه، كوصف العذاب به؛ لأنّ هذا⁽⁵⁾ العذاب أليم، والآليم في الحقيقة: صفة المعذب.⁽⁶⁾ ونظيرهما قولك: نهاك صائم، وجدّ جدّه.⁽⁷⁾

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود: 27]

﴿مِثْلَنَا﴾⁽⁸⁾ صفة ﴿بَشَرًا﴾؛ لأنه من الأسماء المتنوّعة في الإبهام، لا تُعرف بالإضافة. ﴿وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ [هود: 27] جمع أرذل، باعتبار غلبة الاسميّة، كأكابر وأكبر. ويحتمل أن

(1) قراءة متواترة: قرأ المكي والبصريان والكسائي وخلف، في اختياره، وأبو جعفر (أنّي) بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. ينظر: البغادي (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 332)، والقاضي، عبد الفتاح (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 153).

(2) ينظر: تفسير سورة يونس: 105.

(3) في نسخة (غ): الأولى.

(4) في نسخة (م): منهما.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): صاحب.

(6) لعل قصده: كون الآليم صفة للمعذب به، أي: للعذاب؛ لأنّ المعذب لا يكون أليماً، بل إنّما يكون مؤلماً، فالإسناد المجازي هنا ليس مبنياً على إسناد صفة المعذب إلى اليوم (الزمان)، بل إسناد صفة العذاب إلى اليوم والله أعلم. قال الألوسي في توجيهه: "ووصفه - بالآليم - أي المؤلم على الإسناد المجازي؛ لأنّ المؤلم هو الله سبحانه نزل الظرف منزلة الفاعل نفسه لكثرة وقوع الفعل فيه، فجعل كأنه وقع الفعل منه، وكذا وصف العذاب بذلك في غير موضع من القرآن العظيم ويمكن اعتباره هنا أيضاً." الألوسي، روح المعاني، (6/ 236).

(7) في نسخة (م): بعده. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 388).

(8) سقط من نسخة (ش).

يَكُونُ جَمْعُ أَزْدَلٍ جَمْعِ رَذَلٍ كَأَكَالِبٍ وَأَكْلَبٍ وَكَلْبٍ. ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ [هود: 27] نصبٌ على الظرف؛ لأنه قائم مقام المضاف المحذوف، أصله: وقت حدوث أول⁽¹⁾ رأيهم، أو وقت حدوث ظاهر رأيهم. وهو يحتمل الناقص، والمهموز بقلب الهمزة ياء؛ لانكسار ما قبلها. وقرأ بالهمزة على الأصل.⁽²⁾ وإنما استرذلوهم لفقريهم، وعدم تعمقهم في أمر⁽³⁾ المعاش وتحصيل الدنيا. ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ [هود: 27] خطاب له ولمتبعيه،⁽⁴⁾ أي: ليس -باعتقادنا- لكم زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة،⁽⁵⁾ والقرب من الله.⁽⁶⁾ ﴿يَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27] فيما تدعون.

﴿قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ﴾ [هود: 28] أخبروني، ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي﴾ [هود: 28] البينة: المعجزة،⁽⁷⁾ والرحمة: النبوة. ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: 28] فأخفيت عليكم. وقرأ (فَعُمِّيَتْ)⁽⁸⁾ من المجرد، أي: خفيت. وتوحيد الضمير من قبيل الاكتفاء؛ لأن إخفاء كل منهما مستلزم لإخفاء الآخر. ويجوز أن يكون (البينة والرحمة) شيئاً واحداً، فلا يحتاج توحيد الضمير إلى تكلف. ﴿أَنزَلْنَاهُمْ مِّمَّا هُمْ كَاذِبُونَ﴾ [هود: 28] أنكرهم على قبولها ونفسركم على الاهتداء بها؛ وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟ ومعنى الهمزة: إنكار الإكراه.

(1) في نسخة (غ): أولى.

(2) قراءة متواترة: قرأ أبو عمرو (بادي) بهمزة مفتوحة بعد الدال، وإذا وقف سكنها، ولا إبدال فيها للسوسي لعدم أصالة سكونها، والباقون بياء مفتوحة بعد الدال، وأبدل همزة الرأي مطلقاً السوسي وأبو جعفر، وفي الوقف حمزة. القاضي، عبد الفتاح (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 153). ينظر أيضاً: ابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (1/ 407).

(3) في نسختي (ض، غ): تدبير.

(4) في نسخة (غ): أو لمُتَّبِعِيهِ.

(5) في نسخة (م): فلنبوة.

(6) في نسخة (م): عن.

(7) في نسخة (ش): المعجزات.

(8) قراءة متواترة: قرأ حفص وحمزة والكسائي (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم، والباقون بفتح العين وتخفيف الميم. الداني، أبو عمرو (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، (3/ 1195)، وابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 332).

﴿وَيَقُومَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾ [هود: 29] الضمير للتبليغ المفهوم من قوله: ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: 25]. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: 29] فإنه الكريم الجواد، لا يضيع أجرَ مَنْ عَمِلَ لِأَجْلِهِ. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [هود: 29] على وفق مَأْمُولِكُمْ؛ لتحصيلِ رِضَاكُمْ. ﴿إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود: 29] علةٌ للنفي. ﴿وَلَكِنِّي أَرْبُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29] حيثُ تسمونهم أراذل،⁽¹⁾ ولا تعرفون أنهم يلاقون ربهم، ويفوزون بقربهم.

﴿وَيَقُومَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: 30] بِدَفْعِ عَذَابِهِ عَنِّي، ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30] إِنْ طَرَدَ مَنْ يَلَاقِي رَبَّهُ ويفوز بقربه خطأً عظيمًا.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ [هود: 31]

فأدعي فضلاً في الغنى، حتى⁽²⁾ تَشْكُرُوا⁽³⁾ فَضْلِي. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ [هود: 31] عطفٌ على ﴿عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ بزيادة "لا" للتأكيد، أي: ولا أقول لكم: أنا أعلم الغيب ليصحَّ انْتِسَابِي إلى الكَذِبِ. ويجوزُ أن يكونَ عطفًا على ﴿لَا أَقُولُ﴾، يعني: لا أعلم الغيب حتى أعلم أنهم اتبعوني بادئ الرأي من غير بصيرة،⁽⁴⁾ كما تدعون. ﴿وَلَا أَقُولُ إِنَّي مَلَكٌ﴾ [هود: 31] حتى تقولوا: ما أنت إلا بشرٌ مثنا. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ [هود: 31] تَحْتَقِرُهُمْ⁽⁵⁾ أعينكم: ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: 31]؛ لأنَّ الخَيْرَ ما هَيَّاهُ اللهُ للمؤمنين في الآخرة. وخير الدنيا عنده، لا شيءٌ مُحْضٌ. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: 31] استئنافٌ لبيان أنَّ⁽⁶⁾ نَفْيَ خَيْرِ الآخرةِ عن المؤمنين أمرٌ لا يَقْدِرُ عليه إلا العالمُ بِكُنْهِ الأشياءِ. ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 31] علةٌ لنفي الأقوال المذكورة عن نفسه، وجوابٌ تقديره: إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ إِنْ قُلْتُ شيئاً من ذلك.

(1) في نسخة (غ): أراذلي.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): حتى.

(3) في نسخة (م): شكروا.

(4) في نسخة (غ): نصرة.

(5) في نسخة (م): يحقرهم.

(6) سقط من نسختي (م، ض).

﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثُرْتَ جِدْلَنَا﴾ [هود: 32]

أي: شرعْتَ في مجادلَتنا ومخاصمتنا، وأطلتَها وذكرْتَ أنواعها. ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32] تكذيبٌ له فيما أوعدهم من العذاب، بعد ذكرهم أن نُصحه غير مؤثِّر⁽¹⁾ فيهم. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ [هود: 33] وليس منه في يدي شيء. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: 33] فإنه يأتيكم بالضرورة، وإن تأخَّر؛ لحكمة⁽²⁾ ومصلحة.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: 34] الشَّرْطَانِ ليسا مُتَعَلِّقَيْنِ بأمرٍ واحدٍ، بل جوابُ الأول: عدمُ نفعِ⁽³⁾ النَّصْحِ، وجوابُ الثاني: مضمونُ الشَّرْطِيَّةِ. وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن إرادته يجوزُ أن تتعلَّقَ بالإغواء. وأنَّ خلافَ مراده محالٌ أن يُوجَدَ. وكلاهما خلافُ رأيِ المعتزلة⁽⁴⁾. وقيل: ﴿أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ معناه: أن يُهْلِكَكُمْ،⁽⁵⁾ من "غَوَى الفصيلُ غَوًى"، إذا بَشِمَ⁽⁶⁾ فهُلِكَ. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: 34] استئنافٌ للتهديد، ووعيدٌ بالعقاب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي﴾ [هود: 35] فَعَلَى عَقوبَةِ إِجْرَامِي، أي: افترائي. وقُرئ (أَجْرَامِي) بلفظِ الجمع.⁽⁷⁾ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: 35] من إجرامكم في إسنادِ الافتراءِ إليَّ. والمقصودُ: إثباتُ براءته عن الافتراءِ.

(1) في الأصل: مؤثرة.

(2) في نسخة (ض): بحكمة.

(3) في نسخة (غ): يقع.

(4) ينظر: الهمداني، القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 301).

(5) في نسخ (م، ض، ش): يهلكم.

(6) في نسختي (ض، غ) هامشٌ يوضح معنى "بشم" بالفارسية، نصه: "بشم يعني تَحَمَّه شُدَّ". ومعناه في العربية: بشم يعني صار تَحَمَّةً.

(7) قراءة شاذة: ذكره الفراء والنحاس بدون نسبة إلى أحد، ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى، (2/ 13). والنحاس، (المتوفى: 338هـ)، معاني القرآن، (3/ 346).

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36]

إِقْنِاطُ كُلِّي⁽¹⁾ من إيمانهم. كأنه إجازة له في الدّعاء عليهم بالإهلاك، أو تسليّة له، ببيان تحقّق استحقات الهلاك لهم، حيث لم يبقَ توقّع إيمان منهم. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]؛ لأنّه قد قُرِبَ زمانُ هلاكهم. كأنّه تفرّيع،⁽²⁾ ونتيجة الكلام السابق.

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]

ملتبساً بحفظنا وجراستنا، ﴿وَوَحَيْنَا﴾ [هود: 37] إليك طريق صنْعها. ﴿وَلَا تُخَلِّبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: 37] باستدْفَاعِ العذاب عنهم بشفاعتك. ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [هود: 37] بِحُكْمِ⁽³⁾ الْقَضَاءِ. والجملة علّة للنهي.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ﴾ [هود: 38]

حكاية عن⁽⁴⁾ حال⁽⁵⁾ ماضية. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: 38] ومن عمّله السفينة؛ لأنّه كان⁽⁶⁾ يعمّلها في برّية، في أبعد موضعٍ من الماء. وكانوا يقولون له:⁽⁷⁾ يا نوحُ صِرْتَ نجّاراً بعد ما كنت نبياً! ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38] (ما) مصدرية، أي: نسخر منكم في الاستقبالِ سخريةً مثلَ سخريتكم السّاعة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود: 39]

يعني الغرق. الظاهر أنّ (مَنْ) استفهامية، والعلمُ مُعلّقٌ، يعني: تَعْلَمُونَ أَيُّنَا⁽⁸⁾ يأتيه عذابٌ يُخْزِيهِ، لكن جَعَلَهَا صاحبُ الكشافِ موصولةً حيث قال: "مَنْ يَأْتِيهِ" في محلِّ النصبِ بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾، أي:

(1) في نسخة (غ): كل.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): تفرّيع.

(3) في نسختي (م، ش): لحكم.

(4) سقط من جميع النسخ إلا (غ).

(5) في نسخة (ض): حاصل.

(6) في نسخة (م): كما.

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) في نسخة (غ): أننا.

وسوف تعلمون الذي يَأْتِيهِ عَذَابٌ.⁽¹⁾ وهو بظاهره غير صحيح؛ لأنَّ العِلْمَ يقتضي مفعولين فالأحسن ما ذكرناه. ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: 39] أي: عذاب النار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: 40]

(حتى) ابتدائية دخلت على الشرطية. قال البيضاوي: "غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ وما بينهما حال من الضمير فيه."⁽²⁾ وهو محل تأمل؛ لأنَّ مقتضاه أن يكون الفعل مستمراً إلى هذه الغاية، ويكون ما بعدها داخلاً في حكم ما قبلها؛ والأول⁽³⁾ غير معلوم، والثاني معلوم بطلانه. والتنور: تنور الخبز. وقيل: المراد: وجه الأرض، أو أشرف موضع فيها. واختلف في موضعه؛ والأكثر: على أنه كان في الكوفة، في موضع مسجدّها. وقيل: كان في الهند أو بـ (عين⁽⁴⁾ ورّدة⁽⁵⁾) من أرض الجزيرة. ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: 40] الزوجان: الذكر والأنثى؛ لأنَّ كل واحدٍ منهما زوج للآخر. و﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعول لـ ﴿أَحْمِلْ﴾ يعني: أحمل اثنين من كل زوجين؛ بأن يراد صنف الزوج لا شخصه. وقرئ (من كل) بالتثنية⁽⁶⁾ على أن يكون ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ مفعولاً، أي: (7) أحمل من كل نوع زوجين، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيد

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 394).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 134).

(3) في جميع النسخ ما عدا نسخة (ض): أولى.

(4) في نسخة (غ): أربعين.

(5) قال صاحب معجم البلدان: وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة، وقيل: موضع على مقربة من الكوفة، وقيل إنها بالشام، وقيل: هي عين ورّدة التي بين حران وديسر. ينظر: ياقوت، ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م، (4/ 180)، والحميري، محمد بن عبد الله (المتوفى: 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، 1980 م، (ص: 423)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 175)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 373)، والرازي، مفاتيح الغيب، (23/ 272). الهروي، علي بن أبي بكر (المتوفى: 611هـ)، الاشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423 هـ، (ص: 69).

(6) قراءة متواترة: قرأ حفص عن عاصم (من كل) بالتثنية. وقرأ الباقر (من كل) غير منون. واعتمد التبريزي هنا على قراءة الجمهور. ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، (ص: 333)، والنيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 239).

(7) في نسخة (م): التي.

له. ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: 40] استثناءً من الأهل، يُريدُ ابنه⁽¹⁾ كنعان، وأمه وأغلة،⁽²⁾ فإنهما كانا كافرين. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: 40] عطفٌ على ﴿أَهْلَكَ﴾. ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] قيل: كان المجموعُ تسعةً وسبعين؛⁽³⁾ زوجته المسلمة، وبنوه: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، وأزواجهم، واثنان وسبعون رجلاً وامرأةً، من غيرهم.⁽⁴⁾

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَجْرُهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: 41]

(مَجْرَى) بفتح الميم من جَرَى، و(مُرْسَى) بضم الميم من أَرَسَى. وكلاهما يحتمل المصدر، واسم الزمان، واسم المكان. وفُرى كلاهما بالضم وبالفتح.⁽⁵⁾ و﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾⁽⁶⁾ ظرفٌ⁽⁷⁾ مستقرٌّ في موضع الحال عن فاعلِ ﴿ارْكَبُوا﴾، أي: [أي: (8) ارْكَبُوا فيها مُسَمِّينَ الله، أو على إرادة القول، أي: قائلين: بسم الله. و﴿حَجْرُهَا﴾ نصبٌ على المفعول فيه، والعامل فيه الظرف، أو (9) القول المقدر فيه، هذا في اسم الزمان، واسم المكان ظاهرٌ. وأما في المصدر، فإنما يصح بتقدير الوقت، وكذا الكلام في ﴿مُرْسَاهَا﴾.

(1) في نسخة (غ): يدانيه.

(2) في نسخة (غ): داغله، وفي نسخ (الأصل، م، ش، ض): واغله. ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (2/ 73)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (9/ 351)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (18/ 201).

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): تسعين.

(4) هذا القول منسوب إلى مقاتل، ينظر: الثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 169)، والبيهقي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 177).

(5) قراءة متواترة: قرأ حفص وحمة والكسائي (مَجْرَاهَا) بفتح الميم مع إمالة الراء، والباقون بضمها، وأبو عمرو يميل إلا أنه يضم الميم، وورث له التقليل مع الضم. ينظر: ابن الجزري (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 41، و288)، والداني (المتوفى: 444 هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 383-384)، الدماطي، أحمد بن محمد (المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م - 1427هـ، (ص: 108).

(6) سقط الواو من نسخة (م، ش).

(7) في نسخة (غ): حرف.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(9) في نسخة (ش): و.

وجوز صاحب الكشاف كون ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا﴾ جملة من مبتدأ وخبر؛ على أنها في موقع الحال عن ضمير ﴿فِيهَا﴾، أو على أنها استئناف لإفادة خبر⁽¹⁾. وأنت تعلم أن الأول ضعيف؛ للاكتفاء في الرابطة بالضمير، والثاني بعيد؛ لأن المقام ليس مقام الاستئناف. وقرأ (مَجْرِبَهَا وَمَرْسِيَهَا)⁽²⁾ بلفظ الفاعل على الوصف لله. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41] تعليل لما يفهم من قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا﴾ من الوعد بالنجاة.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42]

مرتبط بمحذوف دل عليه الكلام، أي: فَرَكِبُوا فِيهَا، وهي تجري بهم. والمَوْجُ: جنس، وهو: ما يرتفع من الماء عند اضطرابه، والواحد منه: موجة. شُبِّهَ كُلُّ مَوْجَةٍ بِجَبَلٍ فِي الْعِظَمِ وَالْإِرْتِفَاعِ. وهو دليل على أن السفينة كانت جارية على سطح الماء، كما هو المشهور. وقيل: كانت السفينة جارية في جوف الماء، وكان الماء طَبَّقَ ما بين السماء والأرض⁽³⁾. فلو صحَّ هذا القول يُؤَوَّلُ⁽⁴⁾ الآية بأنه كان أول الأمر، قبل التَّطْبِيقِ. ﴿وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزٍ﴾ [هود: 42] في موضع عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه؛ يقال: عزله إذا أبعدته⁽⁵⁾. وهو ابنه الكافر اسمه كنعان. وقيل: كان ربيبه لا ابنه، ويؤيده قراءة من قرأ

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 395).

(2) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إِلَى مَجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْجَحْدَرِيِّ، وَنَسَبَهَا الْفَرَاءَ إِلَى مَجَاهِدٍ، وَذَكَرَهَا الْأَخْفَشُ بَدُونَ نَسَبَةٍ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 64)، والفرء (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن للفرء، (2/ 14)، الأخفش، أبو الحسن المجاشعي (المتوفى: 215هـ)، معاني القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراءة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م، (1/ 382).

(3) ذكره البغوي في تفسيره، ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق وتخریج: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، (7/ 428).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): بأول، وفي نسخة (غ): يأول.

(5) قد يكون أنه كان في معزل عن المياه، وذلك قبل أن تغطي المياه جميع المناطق، وطلب نوح عليه السلام بأن يركب إلى السفينة يؤيد ذلك، والله أعلم.

(ابْنَهَا).⁽¹⁾ وقرئ (ابْنَةُ) بحذف الألف.⁽²⁾ ﴿يَبْنِيَّ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ [هود: 42] بفتح الياء؛ على أَنْ أصله (يَا بُنْيَا) بِقَلْبِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ أَلْفًا، ثُمَّ حُذِفَ الْأَلْفُ اِكْتِفَاءً بِفَتْحَةٍ مَا قَبْلَهَا لِلتَّخْفِيفِ. وقرئ (يَا بُنْيَا)⁽³⁾ بكسر الياء⁽⁴⁾ على حذف ياء المتكلم والاكتفاء بالكسرة. ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42] في الكُفْرِ والعناد.

﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جَنَلٍ يَعِصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَال لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43] أي: إِلَّا اللَّهُ؛ على أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ ﴿رَحِمَ﴾ راجعاً إِلَى ﴿مَنْ﴾. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ راجعاً إِلَى اللَّهِ، وَيَكُونَ الْعَائِدُ محذوفاً على تقدير مضاف، أي: (5) إِلَّا مَكَانُ مَنْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وهم المؤمنون ومكانهم، السَّفِينَةُ، [يعني: ليس شيءٌ من الأسبابِ عاصماً من الطُّوفَانِ الْيَوْمَ إِلَّا السَّفِينَةُ].⁽⁶⁾ ويجوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى [ذِي عِصْمَةٍ، يعني: لا]⁽⁷⁾ ذا⁽⁸⁾ عصمةٍ الْيَوْمَ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ. وقيل: الاستثناء منقطع، بمعنى: وَلَكِنْ مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَصُومُ. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43] فصار بعضُ المغرقين.

(1) قراءة شاذة: نسبها ابن جني إلى عروة، وابن خالويه إلى علي رضي الله عنه ينظر: ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 322)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65).

(2) قراءة شاذة: (ابنة) بفتح الهاء من غير ألف، نسبها ابن خالويه إلى هشام بن عروة. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65).

(3) قراءة متواترة: قرأ عاصم (يَا بُنْيَا) بفتح الياء. وقرأ الباقر بكسر الياء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 239).

(4) في نسخة (غ): الباء.

(5) سقط من نسخ (الأصل، ش، م).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(8) في نسخ (الأصل، ش، م): ذي.

﴿وَقِيلَ يَا رُضْ أَبْلَى مَاءِكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى﴾ [هود: 44]

البُلْعُ: النَّشْفُ،⁽¹⁾ والإفْلَاحُ: الإِمْسَاكُ. وفي الآية دلالة على أَنَّ السَّمَاءَ والأَرْضَ سامعان لِخُطَابِهِ، ومحكومان تحت أمره، كما اعتقده أهل التحقيق من الصَّوْفِيَّةِ. ومن تَبَعَ حَكَمَ العقلِ النَّاطِرِ إلى الظَّواهرِ وَقَنَعَ عن العِلْمِ بالحقائقِ بالعِلْمِ لخواصِّها وآثارها كالمعتزلة؛⁽²⁾ حَمَلَ الآيةَ وأمثالها على التَّشْبِيهِ [والتَّمثِيلِ].⁽³⁾ والأشاعرة⁽⁴⁾ تحمل النصوص على الظواهر ما لم يمنع مانع عن ذلك، ولا مانع في الآية، لكنَّ البيضاوي أيضاً حَمَلَ الآيةَ على التَّمثِيلِ حيث قال: "تُودِيَا بما يُنَادَى أولو العِلْمِ، وأمرًا بما يُؤْمرون؛⁽⁵⁾ تَمَثِيلًا لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وانقياديهما لِمَا يَشَاءُ تَكْوِينُهُ فِيهِمَا، بِالْأَمْرِ المطاعِ، الذي يَأْمُرُ المنقَادَ لِحُكْمِهِ⁽⁶⁾ المبادر⁽⁷⁾ إلى امتثال أمره، مَهَابَةً من عَظَمَتِهِ، وخَشْيَةً⁽⁸⁾ من أَلِيمِ عِقَابِهِ." ⁽⁹⁾ ﴿وَعِصَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: 44] يُقَالُ: غَاضَهُ إِذَا نَقَصَهُ، و(الْأَمْرُ) ما وعد الله نوحاً من هلاك قومِهِ ونجاة المؤمنين منهم. ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: 44] وهو جبل⁽¹⁰⁾ بالموصل. ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44] دعاءٌ عليهم، يُقَالُ: بَعِدَ بُعْدًا وَبَعْدًا،⁽¹¹⁾ إِذَا أَرَادُوا الْبُعْدَ الْبَعِيدَ من حيثِ الْهَلَاكِ والمَوْتِ ونحو ذلك.⁽¹²⁾ ولذلك اختَصَّ بدعاءِ السَّوءِ.

(1) في نسخة (ش): النشت.

(2) في نسخة (ش): كان المعتزلة.

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش). ينظر: الزمخشري، (2/ 397).

(4) نحو فخر الدين الرازي حيث قال: "المراد أن توجيه صيغة الأمر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة يقرر في الوهم نوع عظمته وجلاله تقريراً كاملاً." الرازي، مفاتيح الغيب، (17/ 353). إلا أن بعضهم حمله على المجاز

كما فعل البيضاوي والقرطبي، ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 40).

(5) في تفسير البيضاوي: يؤمرون به، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136).

(6) في نسخ (الأصل، ض، م): بحكمه. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136).

(7) في نسخة (ش): المنادر، وفي نسخة (غ): المبادرة.

(8) في نسخة (ش): وخشيته.

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136).

(10) في نسخة (غ): قيل.

(11) في الأصل: أو بعداً.

(12) قال ابن منظور: البُعْدُ: خِلَافُ الْقُرْبِ. بَعْدَ الرَّجُلِ، بِالضَّمِّ، وَبَعْدُ، بِالْكَسْرِ، بُعْدًا وَبَعْدًا، فَهُوَ بَعِيدٌ وَبُعَادٌ. وَبَعْدُ بَعْدًا وَبُعْدُ: هَلَاكَ أَوْ اغْتَرَبَ، فَهُوَ بَاعَدَ. وَالنُّبْدُ: الْهَلَاكُ. ابن منظور، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب (3/ 89).

رُوي أَنَّ نوحاً رَكِبَ السَّفِينَةَ عَاشَرَ رَجَبٍ، ونزل منها⁽¹⁾ عَاشَرَ المَحَرَّمِ، فصام ذلك اليوم، وأَمَرَ مَنْ معه فصاموا؛ شُكراً لله.⁽²⁾ والآيةُ مِمَّا أَجْمَعَ علماءُ البيانِ على أَنَّهُ في غَايَةِ الفَصَاحَةِ، ووجهُهُ غيرُ خَفِيٍّ على أَهْلِهِ. قال البيضاوي: "والآيةُ في غَايَةِ الفَصَاحَةِ؛ لَفَظِهَا، وَحُسْنِ نَظْمِهَا، والدَّلَالَةُ على كُنْهِ الحالِ مع الإيجازِ الخالِيِّ عن الإخلالِ. وإيرادُ الأخبارِ على البناءِ للمفعولِ دلالةٌ على تعظيمِ الفاعلِ، وَأَنَّهُ مُتَعَيِّنٌ في نفسه، مُسْتَعْنٍ عن ذِكْرِهِ، إذ لا يذهبُ الوَهْمُ إلى غيرِهِ؛ لِلْعِلْمِ بِأَنَّ مِثْلَ هذه الأفعالِ لا يقدر عليه سوى الواحدِ القَهَّارِ."⁽³⁾

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45]

أي: أراد نداءه فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وَعَدْتَنِي أَنْ تُنْجِي أَهْلِي! ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: 45] وَإِنَّ كُلَّ وَعْدٍ تَعَدُّهُ هو الحقُّ الثَّابِتُ، الذي ينبغي أَنْ يُسَمَّى حقًّا دونَ غيره من مواعيدِ الخلقِ، كما يقتضيه تعريفُ ﴿الْحَقِّ﴾ بلامِ الجنسِ. والإضافةُ في ﴿وَعْدَكَ﴾ للاستغراقِ. ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45] أي: أعلمُ الحُكَّامِ⁽⁴⁾ وأعدلُهم؛ لَأَنَّهُ لا يُفْضَلُ حاكمٌ على غيره إِلَّا⁽⁵⁾ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ.⁽⁶⁾ ويجوزُ

(1) في جميع النسخ: عنها، وأُثبت (منها) لأنه أصح.

(2) لم أجده في كتب الحديث المعتبرة، أخرج الطبري في تاريخه وتفسيره نحوه: عن قتادة، قال: هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم، فقال لمن معه: من كان منكم اليوم صائماً فليتم صومه، ومن كان مفطراً فليصم. وضعفه البرزنجي (محقق كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري)، وهي موجودة في بعض كتب التفسير، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان (15/ 336)، و الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري، (1/ 190)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6/ 130)، والماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، (المتوفى: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (2/ 473)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (4/ 211).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 136).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش)،: الحكماء.

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) في نسخة (غ): والقول.

أَنْ تَكُونَ مِنَ (الحكمة) بمعنى النسبة،⁽¹⁾ كما قيل: دَارِعٌ، من الدَّرْعِ،⁽²⁾ يعني: وأنت أكثر حِكْمَةٍ من ذوي الحكم.

﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: 46]

دليلٌ على قُطْعِ الْوَلَايَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: 46] تعليلٌ لانتفاء كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِهِ. وفيه إشعارٌ بأنَّ السَّبَبَ فِي النِّجَاةِ لَيْسَ إِلَّا الصَّلَاحُ،⁽³⁾ حيثُ قال: ﴿غَيْرُ صَالِحٍ﴾ دُونَ فَاسِدٍ. وفي حَمَلِ الْعَمَلِ عَلَيْهِ إِشَارَةٌ أَيْضاً إِلَى ذَلِكَ، حيثُ جَعَلَ ذَاتَهُ⁽⁴⁾ ذاتَ⁽⁵⁾ الْعَمَلِ، فَكَأَنَّ أَهْلَ نَوْحٍ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَهُوَ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحَدَ الْعَمَلَيْنِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْآخَرِ. ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: 46] سَمَّى نِدَاءَهُ سَوْألاً؛ لِأَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلسَّوَالِ، حيثُ ذَكَرَ الْمَوْعِدَ بِنِجَاةِ أَهْلِهِ. وَهَذَا السَّوَالُ وَإِنْ كَانَ اسْتِفْسَاراً لَكُنْ لَمَّا كَانَ نَاشِئاً عَنِ الْغَفْلَةِ عَنِ حُكْمِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: 40] بِوَاسِطَةِ حُبِّ الْوَلَدِ؛ سَمَاهُ جَهْلًا، زَجَرًا عَلَى الْغَفْلَةِ. وَقُرِئَ (تَسْأَلْنِ)⁽⁶⁾ بِالنُّونِ النَّقِيلَةِ الْمَفْتُوحَةِ، وَقُرِئَ بِالنُّونِ الْمَكْسُورَةِ؛ عَلَى أَنَّهَا كَسْرَةٌ مَا قَبْلَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ بِحَذْفِ نُونِ الْوَقَايَةِ، وَحَذْفِ الْيَاءِ اِكْتِفَاءً بِالْكَسْرِ.⁽⁷⁾ ﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46] اسْتِنْفَافٌ؛ لِبَيَانِ عِلَّةِ النَّهْيِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: 47] اسْتِنَابَةٌ⁽⁸⁾ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ. ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: 47] بِدُخُولِي فِي سِلْكِ الْجَهْلَةِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (م): النِّسْبَةُ، وَفِي نَسْخَةِ (ش): التَّشْبِيهِ.

(2) فِي الْأَصْلِ: ذِرَاعٌ مِنَ الذَّرْعِ، وَفِي نَسْخَةِ (م): ذَارِعٌ مِنَ الذَّرْعِ، وَفِي نَسْخَةِ (ش): ذَرَعَ مَعَ الذَّرْعِ. يَنْظُرُ أَيْضاً: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 399).

(3) فِي الْأَصْلِ: لَصْلَاحٍ.

(4) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(6) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ بِرَوَايَةِ وَرْشَ وَإِسْمَاعِيلَ، (فَلَا تَسْأَلْنِ) مُشَدَّدَةُ النُّونِ مَثْبُتَةُ الْيَاءِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَقَالُوا عَنْ نَافِعٍ (فَلَا تَسْأَلْنِ) مُشَدَّدَةُ النُّونِ مَكْسُورَةٌ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (فَلَا تَسْأَلْنِ) مُشَدَّدَةُ النُّونِ مَفْتُوحَةٌ الْيَاءِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ (فَلَا تَسْأَلْنِ) خَفِيفَةُ النُّونِ مَثْبُتَةُ الْيَاءِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفُ (فَلَا تَسْأَلْنِ) خَفِيفَةُ النُّونِ مَحْذُوفَةُ الْيَاءِ. النَّيْسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 240).

(7) فِي نَسْخَةِ (ض): بِالْكَسْرِ.

(8) فِي نَسْخَةِ (الْأَصْلِ، م، ش): اسْتِنْفَافٌ بِهِ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): اسْتِنَابَةٌ.

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [هود: 48]

أي: أنزل من السفينة ملتبساً بسلامة منا، أو بتسليم وإكرام منا. ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: 48] عطف على ﴿سَلَامٍ﴾، والبركات: الخيرات النامية. ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ﴾ [هود: 48] (من) للبيان، وهم لكونهم جماعات سموها أمماً، أو لأن الأمم تنشعب منهم. ويجوز أن يكون للابتداء، يعني: على أمم ناشئة ممن معك. ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48] أي: ومنهم أمم يتمتعون في الدنيا ويُعذبون في الآخرة، والمراد بهم الكفار. و﴿أُمَمٌ﴾ مبتدأ، خبره محذوف. و﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ صفة له. وقيل: المراد قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب.⁽¹⁾ وعلى هذا، يجوز أن يكون مس العذاب في الدنيا.

﴿تِلْكَ مِنْ أَتْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: 49]

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح، ومحلها الرفع بالابتداء. والجمل بعدها أخبار، كذا في الكشف.⁽²⁾ وكل منهما⁽³⁾ يحتمل الحال، كما صرح عليه البيضاوي. ويجوز أن يكون الأخيرة استئنافاً لبيان علّة الحكم، أي: هي من أنباء الغيب بدليل أنك ما كنت تعلمها بمطالعة كتب المتقدمين، ولا بالذاكرة والمجالسة مع أرباب التواريخ على ما هو الظاهر من حالك. ولا يعلمها⁽⁴⁾ قومك أيضاً، مع كثرتهم، وتصفحهم الكتب، ومجالستهم العلماء. فكيف تيسر لك العلم بها بدون الوحي! و﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الإيحاء،⁽⁵⁾ أو⁽⁶⁾ إلى العلم بالقصة، أو إلى وقت الإيحاء. ﴿فَاصْبِرْ﴾ [هود: 49] أي: إذا تحققت ذلك وسمعت أحوال⁽⁷⁾ بعض النبيين، وظهر دليل نبوتك فاصبر على التبليغ، وأذى القوم،⁽⁸⁾ كما صبر نوح. ﴿إِنَّ الْعَقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49] علّة للأمر⁽⁹⁾ بالصبر.⁽¹⁰⁾

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) الزمخشري، الكشف، (2/ 401).

(3) في نسخ (م، ش، غ): منها.

(4) في نسخة (ش): يعلنها.

(5) في نسخة (ش): الإيجاد.

(6) في نسخة (ش): إذ.

(7) في نسخة (غ): أقوال.

(8) في نسخة (ش): القول.

(9) سقط من نسخة (م).

(10) في نسخة (م): للصبر.

﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: 50]

أي: وأرسلنا إلى عادٍ واحداً منهم. (1) عطفٌ على معمولي (2) ﴿أَرْسَلْنَا﴾ (3) [هود: 25] المذكور في صدرِ القصة السابقة، و﴿هُودًا﴾ (4) عطفٌ بيانٍ. ﴿قَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 50] جعلَ عبادته مع عبادة الشركاء كلاً عبادةً، فأمرهم بالعبادة، كأنه قال: اعبدوه وحده، وعلله بقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، و﴿غَيْرُهُ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾ باعتبارِ المحلِّ؛ لأنه وقع في محلِّ ﴿إِلَهٍ﴾، (5) وإليه أشار البيضاوي بقوله: "وقرئ بالجر (6) حملاً على المجرور وحده. (7) ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50] تقريرٌ للتعليل.

﴿يَقَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود: 51]

استئناف؛ لإثباتِ صدقه فيما أرشدهم؛ لأنَّ الكذب فيه إنما نشأ من طمعِ النفعِ منهم. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51] أنَّ مَنْ (8) لم يطمع من الخلق شيئاً، لم يقبل تعبَ إرشادهم (9) عبثاً وكذباً.

(1) في نسخة (ش): فيهم.

(2) في نسختي (م، غ): معمول.

(3) في جميع النسخ: وأرسلنا.

(4) في نسخ (الأصل، م، ض، غ): وهو ذا.

(5) في نسخة (م): له.

(6) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 65] بالخفض في جميع القرآن. وقرأ حمزة وخلف في سورة فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3] بالخفض فقط. وقرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ و﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾ بالرفع في جميع القرآن. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 284)، والنيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 210)، وابن الجزري، (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 270). (7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 137).

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) في نسخة (ض): رشادهم.

﴿وَيَقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 52]

أي: آمنوا به ثم اثبتوا في الإيمان. ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [هود: 52] جواب الأمر. ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52] رَغَّبَهُمْ⁽¹⁾ بكثرة المطر وزيادة القوة؛⁽²⁾ لأنهم كانوا أصحاب زُرُوعٍ وعماراتٍ. وقيل: حبس الله عنهم القطر، وأعظم أرحام نساءهم ثلاثين سنة، فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار، وتضاعف القوة بالتنازل. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52] ولا تعرضوا عما أدعوكم⁽³⁾ إليه، مصرين على الإجرام.

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: 53]

أنكروا ما أتاهم⁽⁴⁾ به⁽⁵⁾ من المعجزات، عناداً. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ [هود: 53] أي:⁽⁶⁾ تاركي عبادتهم، صادقين⁽⁷⁾ عن قولك، حال من الضمير في ﴿تَارِكِي﴾ كذا قال البيضاوي. كأن مراده بصدورهم عن القول؛ وصولهم إلى الترك،⁽⁸⁾ وإلا، فلا معنى لصدور ذواتهم عن القول. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 53] وما يصح منا أن نصدقك فيما تقول.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54]

أصابك بجنون؛ لِسَبِّكَ⁽⁹⁾ إيّاها. والاستثناء مفرغ، والجملة مقول القول، يعني:⁽¹⁰⁾ انحصر⁽¹¹⁾ مقولنا في هذا القول.⁽¹²⁾ ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا

(1) في نسخة (ش): رعبهم.

(2) في نسخة (ض): القوت.

(3) في نسخة (ض): أوعدكم.

(4) في نسخة (غ): أنتهم.

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) في نسخة (غ): إني.

(7) في نسخة (م): صاد.

(8) في نسختي (م، ش): الشرك.

(9) في نسخة (غ): نسبك.

(10) في نسخة (غ): معنى.

(11) في نسختي (م، ش): الحصر.

(12) في جميع النسخ: المقول، وأثبت (القول) لأنه أصح.

تُنْظَرُونَ ﴿هُود: 54-55﴾ أَشْهَدَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ مُطَابِقٌ لِلوَاقِعِ، وَأَمَرَهُم بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، وَبِالْكَيْدِ، وَعَدَمِ الْإِمْهَالِ؛ لِلتَّهْوِينِ بَدِينِهِمْ، وَإِظْهَارِ قَلَّةِ الْمَبَالَاةِ بِهِمْ.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: 56]

تعليل لما يفهم من سابقه من قلة مبالاة بهم. ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: 56] تقرير للتعليل. والأخذ بالنواصي: عبارة عن كمال قدرته، وتصرّفه في المقدورات كما يريد. وإنما خصّ الدابة بالذكر؛ لأنها هي المتحركة بالإرادة، فإذا كان صاحب الإرادة مقهوراً تحت تصرّفه، يكون غيره مقهوراً⁽¹⁾ بالطريق الأولى. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] تأكيد للتقرير، يعني أنه على طريق العدل في ملكه، لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده المعتصم به.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [هود: 57] فَإِنْ تَوَلَّوْا،⁽²⁾ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: 57] علة للجزاء، وَقَعْتُ مَوْعِدَهُ، أَصْلُهُ: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا تَفْرِيطَ مِنِّي لِأَعَاتَبَ؛ لِأَنِّي قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ. ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [هود: 57] كلام مستأنف، يعني: وَيُهْلِكُكُمْ اللَّهُ، وَيَجِيءُ بِقَوْمٍ آخَرِينَ⁽³⁾ يَخْلُفُونَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَفُرِيَ (وَيَسْتَخْلِفُ)،⁽⁴⁾ بِالْجَزْمِ عَطْفًا عَلَى مَوْضِعِ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾؛ فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ (يَعْذُرُنِي)⁽⁵⁾ فَيَنْجِزُ (يَسْتَخْلِفُ) بِالْعَطْفِ عَلَيْهِ. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [هود: 57] بَلْ إِنَّمَا تَضُرُّونَ أَنْفُسَكُمْ. وَفُرِيَ (وَلَا تَضُرُّوهُ) بِالْجَزْمِ⁽⁶⁾ عَلَى التَّأْوِيلِ الْمَذْكُورِ. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾ [هود: 57] تعليل لإثبات مضمون الشرطية.

(1) في نسخ (الأصل، م، غ): مقهور، في نسخة (ش): مقهورة.

(2) في نسخة (ش): يتولوا.

(3) في نسخة (غ): أخرى.

(4) قراءة شاذة: روى هبيرة عن حفص عن عاصم (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي) بجزم الفاء، وقرأ الباقر برفعها، والقراءة المشهورة عن عاصم بالضم كقراءة الجمهور، فيعتبر هذه القراءة شاذة. ينظر: الداني (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، (3/ 1202)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 53)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 169).

(5) في نسخة (ش): يقدر في.

(6) قراءة شاذة: نسبت إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 169).

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْيَنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: 58] الأمر: العذاب؛ لأنه أمر من الأمور،⁽¹⁾ والذين آمنوا معه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ كانوا أربعة آلاف. ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: 58] هو عذاب الآخرة. ويجوز أن يكون عذاب⁽²⁾ الدنيا؛ ويكون التكرير لإفادة: أن عذابهم كان عذاباً غليظاً، وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السَّمُومَ، فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أديبارهم، فنَقَطَتْهُمُ عُضْوًا عُضْوًا، كذا في الكشف.⁽³⁾

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ [هود: 59]

إشارة إلى قبورهم وآثارهم، باعتبار كونها محسوسة لأهل السَّيَاحَةِ،⁽⁴⁾ أو باعتبار أن إحساسها ممكن لكل أحد. ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [هود: 59] استئناف لبيان حالهم. وما قيل من أنه: لم يرسل إليهم إلا هود، لا ينافي الآية؛ لأن عصيان أحد من الرسل في حكم عصيان الكل، كما يُنادي عليه: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59]

يعني: وضعوا كلاً من⁽⁵⁾ المخالفة والاتباع، في⁽⁶⁾ غير موضعه.

﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَبِئْسَ الْقِيَمَةُ﴾ [هود: 60]

أي: جعلت اللعنة تابعة⁽⁷⁾ لهم في الدارين، غير مُنْفَكَّة عنهم. ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود: 60] أي: نعمة؛ على أن يكون الكفر بالمعنى اللغوي، أو بربهم؛ على الحذف والإيصال⁽⁸⁾ على المعنى

(1) في نسخة (ض): بالمأمور.

(2) سقط من نسخة (ش).

(3) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 405).

(4) في نسخة (ش): السياقة.

(5) في نسخة (غ): كلام.

(6) في نسخة (غ): من.

(7) في نسخة (غ): بالله.

(8) يعني بـ(الحذف والإيصال) ما يسميه علماء اللغة القدامى بـ(المنصوب بنزع الخافض)، أي: حذف حرف الجر وإيصال الفعل اللازم إلى معموله كما صرح عليه الزمخشري حيث قال في باب حذف حروف الجر من كتابه المفصل في صناعة الإعراب: وتحذف حروف الجر فيتعدى الفعل بنفسه كقوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: 155]، وهو في الاصطلاح: اسم منصوب يذكر بعد فعل حذف قبله حرف الجر سماعاً أو قياساً للتخفيف أو كثرة الاستعمال

الاصطلاحي⁽¹⁾. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادِ﴾ [هود: 60] دعاء⁽²⁾ عليهم بالهلاك، والمقصود: بيان أنهم كانوا مستحقين لذلك، تَقْظِيْعًا⁽³⁾ لحالهم⁽⁴⁾. ﴿قَوْمٌ هُودٍ﴾ [هود: 60] عطف بيان لـ﴿عَادٍ﴾. وفائدة هذا البيان: الإشعار بأن ما أتى بهم إنما أتى من أجل هود، ومن مخالفته. ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [هود: 61]

بِخَلْقِ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، والجملة تعليل لقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾، يعني: لأنه أنشأكم من التراب لا غيره. والحصر مستفاد من تقديم المسند إليه، مع جواز تأخير في التقدير كما اشترط على رأي بعضهم. ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61] وَعَمَرَكُمْ فيها، أو⁽⁵⁾ أَقْدَرَكُمْ على عمارتها. ويجوز أن تكون من (العمرى) بمعنى الإعمار، أو بمعنى الإقدار على الإعمار. و(الإعمار) أن تجعل الغير مُتَصَرِّفًا⁽⁶⁾ في مالك مدّة حياته، وتكون بعده لك، أو لأولادك. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61] سميع لكلامكم، مجيب لدعائكم. وفسر صاحب الكشاف القريب بـ(داني الرحمة وسهل المطلب)⁽⁷⁾، كأنه قصد زيادة التّغريب، وإلا، فلا مانع من اتّصافه⁽⁸⁾ بالقریب،⁽⁹⁾ بمعنى أنه غير بعيد.

مما يؤدّي إلى إيصال الفعل إلى معموله. ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، (ص: 387)، والعرجا، جهاد يوسف والعايدي، حسين راضي، المنسوب على نزاع الخافض في العربية دراسة تطبيقية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، يناير 2010، (ص: 486).

(1) يعني: ضدّ الإيمان، أي: يفهم من الآية على الحذف والإيصال: أنّ الكفر هنا على معناه الاصطلاحي وهو ضدّ الإيمان، ويفهم أيضاً أنّ الكفر على معناه اللغوي يعني كفران النعمة فحينئذ لا يكون الحذف والإيصال.

(2) في نسخة (م): دعا.

(3) في نسخة (م): تقظيحا.

(4) في نسخة (ض): لمجالهم.

(5) في نسخة (م): و.

(6) في نسخة (غ): منصرفاً.

(7) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 407).

(8) في نسخة (غ): إِبْصَار.

(9) في نسخة (م): بالقرب.

﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: 62]

وكنا راجين منك أن تكون لنا مُسْتَرْشِدًا في التدابير، ومُشَاوِرًا⁽¹⁾ في الأمور، وانقطع رجاؤنا منك بسبب هذا القول الذي لا يُتوقع منك. ﴿أَتَنْهَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 62] يعني: لِمَ تَنْهَانَا عن المعتاد المعلوم بَيْنَنَا، وَتَدْعُونَا⁽²⁾ بالتوحيد الذي لم يذهب عليه آبَاؤُنَا؟ وهو أمرٌ غير متعيّن⁽³⁾ بَيْنَنَا، وغير مألوفٍ لنا، فكيف نأخذه؟ والمُرِيب: (4) من (أَرَابَهُ) إذا أَوْقَعَهُ⁽⁵⁾ في (6) الرِّيبَةِ. (7) وهي: قَلَقُ النَّفْسِ، وانتفاء الطَّمَأْنِينَةِ باليقين. (8) ويجوز أن يكون من (أَرَابَ) في الأمر، إذا كان ذا ريبَةٍ، (9) بأن تكون جملةً على الشَّكِّ، من الإسناد المجازي.

﴿قَالَ يَقُومُ أَرَعَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: 63]

البَيِّنَةُ: الحجة والبرهان، أو المعجزة، والرحمة: النبوة. ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: 63] من عذابه؛ ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: 63] بِتَرْكِ التَّبْلِيغِ عَلَى وَفْقِ رِضَاكَم. ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: 63] غير أن تُخْسِرُونِي بإبطال أعمالي، والتَّعَرُّضِ لعذابه. ويجوز أن يكون الخُسْرُ⁽¹⁰⁾ فعل المتكلم، بمعنى التَّسْبِة، أي: غير أن أَحْسِرْكُمْ، وَأَنْسِبْكُمْ إِلَى الْخُسْرَانِ.

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): تدعوننا.

(3) في نسخة (ض): متعلق.

(4) في نسختي (الأصل، م): المرتب. ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 407).

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): وقعه.

(6) في نسخة (غ): من.

(7) في نسختي (الأصل، م): الرتبة.

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): بالتعين.

(9) في نسخة (غ): رتبة.

(10) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): التخسر.

﴿وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]

لا يتراخى⁽¹⁾ عن مَسِّهَا بالسُّوءِ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. سَبَقَ ذِكْرُ النَّافَةِ وَكَيْفِيَّةُ الْقَصَّةِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ،⁽²⁾ فَتَذَكَّرَ.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: 65]

أي: عِشُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّكُمْ تُهْلِكُونَ بَعْدَهَا. وَالدَّارُ: مَنَازِلُهُمْ، أَوْ دَارُ الدُّنْيَا. ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65] أي: غَيْرُ مَكْذُوبٍ فِيهِ. وَالْمَكْذُوبُ لَيْسَ إِلَّا مَنْ وَعَدَهُمْ، فَهُوَ إِمَّا مَجَازٌ فِي الْحَذَفِ بِحَذْفِ الْحَرْفِ، وَإِجْرَاءِ الظَّرْفِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ، أَوْ مَجَازٌ فِي الْإِسْنَادِ بِإِجْرَاءِ صِفَةِ الْمَوْعُودِ [عَلَى الْوَعْدِ. كَأَنَّ الْوَعْدَ مَوْعُودًا]⁽³⁾ بِالْوَفَاءِ بِهِ، فَصَدَقَ، وَلَمْ يَكْذِبْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مَكْذُوبٌ﴾ مُصَدَّرًا بِمَعْنَى الْكُذْبِ⁽⁴⁾ كَالْمَعْقُولِ، بِمَعْنَى: الْعَقْلِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لِأَنَّهُ أَخِي.

(2) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 73]، يَنْظُرُ: عَبْدُ الْبَاقِي التَّبْرِيزِي، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، نَسْخَةُ مَصُورَةٌ (لَوْحٌ رَقْمٌ 186)، وَالْعَبُودِي، حَنَانٌ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لِلْإِمَامِ عَبْدِ الْبَاقِي التَّبْرِيزِيِّ الْبَغْدَادِيِّ (1039هـ) دَرَسَةً وَتَحْقِيقًا مِنَ الْآيَةِ (56) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، إِلَى نِهَايَةِ الْآيَةِ (49) مِنْ سُورَةِ يُونُسَ، رِسَالَةُ الدُّكْتُورَاهِ غَيْرِ مَنَشُورَةٍ، الْجَامِعَةُ الْأُرْدُنِيَّةُ، عَمَانَ، آبَ 2022، (ص: 220).

(3) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) فِي نَسْخِ (الأصل، م، ش): مَكْذَبٌ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْيِنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: 66]

أي: من خزي يوم هلاكهم بالصيحة أو يوم القيامة. وقرئ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾⁽¹⁾ بفتح الميم⁽²⁾ على اكتسائه المضاف البناء من المضاف إليه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: 66] ولا غالب على أمره غيره، ولا قادر⁽³⁾ على ما يشاء سواه، تعليل لتنجية⁽⁴⁾ صالح والمؤمنين معه.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: 67] سبق تفسيره في سورة الأعراف.⁽⁵⁾

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود: 68] لم⁽⁶⁾ يُقيموا فيها. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [هود: 68] (ثمود): غير منصرفٍ للتعريف والتأنيث بمعنى: القبيلة، ومن قرأها بالتثوين⁽⁷⁾ جعلها منصرفاً، ذهاباً إلى الحي، أو الأب الأكبر.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [هود: 69]

الرسول: الملائكة، والبشرى: البشارة بالولد. وقيل: بهلاك قوم لوط. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ [هود: 69] نصب على المصدر، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: 69] رفع على الخبر، على تقدير: أمركم، أو جوابي: سلام. ويجوز أن يكون مبتدأ، بتقدير الخبر مقدماً، أي: وعليكم سلام. اختار الرفع ليكون أحسن من تحيتهم؛ لإفادته

(1) قراءة متواترة: قرأ نافع والكسائي، وأبو جعفر (ومن خزي يَوْمِئِذٍ) بفتح الميم، والْباقُونَ بكسرها. الداني (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 125)، ابن الجزري (المتوفى: 833 هـ)، والنشر في القراءات العشر، (2/ 289).

(2) في نسخة (ض): اللام.

(3) في نسخة (م): قارب.

(4) في نسخة (م): لنتيجة، وفي نسخة (ش): لنفحة.

(5) في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 78]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 186-187).

(6) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(7) قراءة متواترة: قرأ الكسائي: (أَلَا بُعْدًا لِثَمُودٍ) بخفض الدال مع التثوين، والْباقُونَ بفتح الدال من غير تثوين. وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا﴾ قرأ حفص وحَمْزَةُ هُنَا وفي الْفُرْقَانِ وَالْعَنْكَبُوتِ بفتح الدال من غير تثوين ووقفا بغير ألف، والْباقُونَ بِالتَّثْوِينِ ووقفوا بالألف عوضاً منه. ينظر: الداني (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع (ص: 125)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، (ص: 407)، ومحيسن محمد، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (2/ 314).

الدَّوَامَ والثَّباتَ. وقُرئ (سَلَمٌ)،⁽¹⁾ وهو لغةٌ في سَلَامٍ. ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: 69] (أَنْ) مصدريةٌ في موضعِ المفعولِ⁽²⁾ فيه، أي: فما أَبْطَأَ في المَجِيءِ⁽³⁾ به. ويجوزُ أن يكونَ في موضعِ الفاعلِ، أي: فما أَبْطَأَ مجيئُهُ به. والحَنِيدُ: المشَوِيُّ بالرَّضْفِ.⁽⁴⁾ وقيل: الحَنِيدُ الذي يَقْطُرُ دَسْمُهُ؛ من حَنَدْتُ الفَرَسَ إذا أَبْقَيْتُ⁽⁵⁾ عليها الجُلَّ⁽⁶⁾ حتَّى يَقْطُرَ عَرْقُهُ. ويؤيِّده قولُهُ: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26].

﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ [هود: 70]

لِقَصْدِ الْأَكْلِ، ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: 70] استنكرهم في ذلك، وأنكرَ منهم ذلك، وأَضْمَرَ منهم خَوْفًا، أي: خَافَ أَنْ يُرِيدُوا بِهِ مَكْرَهُهَا. قيل:⁽⁷⁾ وذلك أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِمْ، ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِشَرٍّ. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [هود: 70] لَمَّا رَأَوْا أَثَرَ

(1) قراءة متواترة: قرأ حمزة والكسائي (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَمٌ) بكسر السين، وسكون اللام -وفي الذاريات (آية 25) مثله. وقرأ الباقر (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) بالالف وفتح السين في السورتين. النيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 241)، ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 337).

(2) في نسخة (غ): المنقول.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): بالمجيء.

(4) في نسخة (ض) هامشٌ باللغة الفارسية يوضح معنى الرضف نصّه: الرضف: بريان كردن بسنگ گرم. معناه: الرصف: الشوي بالحصي الساخن. الرَضْفُ: الحجارَةُ المحمأة يُوغُرُ بها اللبن، واحدتها رَضْفَةٌ. وفي المثل: "خُذْ مِنَ الرَضْفَةِ مَا عَلَيْهَا". الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، (4/ 1365).

(5) في نسخة (ض، غ): أَلْقَيْتَ.

(6) في نسخة (م): الجبل، وفي نسخة (ش): الحل.

والجُلُّ بِالضَّمِّ وبِالْفَتْحِ: مَا تُلْبَسُهُ الدَّابَّةُ لِتُصَانَ بِهِ، وَقَدْ جَلَّلْتُهَا تَجَلُّلاً وَجَلَّلْتُهَا بِالتَّخْفِيفِ: أَلْبَسْتُهَا إِيَّاهُ، يُقَالُ: فَرَسٌ مُجَلَّلٌ وَمَجْلُولٌ، وَ(الْجُلُّ) وَاحِدُ (جَلَالٍ) الدَّوَابِّ وَجَمْعُ الْجَلَالِ (أَجَلَّةٌ). ومن المَجَازِ: (سَيَّرَ الْجُلَّ عَنِ الْفَرَسِ): نَزَعَهُ، وَأَلْقَاهُ عَنْهُ. الرازي، أبو بكر زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ-1999م، (ص: 59). الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (28/ 219)، و(12/ 121).

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): قبل.

الخوف في وجهه، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 70] تعليل للنهي، وإبراز لعلّة عدم الأكل. قال صاحبُ الكشف: "والظاهر أنّه أحسن⁽¹⁾ بأنهم ملائكة، ونكرهم؛ لأنّه تخوّف أن يكون نزلهم لأمرٍ أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه. ألا ترى إلى قولهم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾. وإنّما يُقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم⁽²⁾ أرسلوا." (3)

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [هود: 71]

مقدمة، ذكرت تمهيداً لذكر ما بعدها. وضحكها نشأ⁽⁴⁾ عن السرور بزوال الخوف، أو بهلاك⁽⁵⁾ أهل الفساد. (6) ويحتمل أن يكون ضحكها ضحك إنكار، وتعجب عن غفلتهم، وقرب العذاب منهم. وقيل: كانت تقول لإبراهيم: "إضمم لوطاً ابن أخيك إليك، وإني أعلم أنّه ينزل⁽⁷⁾ بهؤلاء القوم عذاب". فضحكت سروراً لما أتى (8) الأمر على ما توهمت،⁹ كذا في الكشف. (10)

وقيل: فضحكت: فحاصت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاصت. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] ﴿يَعْقُوبَ﴾⁽¹¹⁾ نصب بفعل يفهم من السياق، تقديره:

(1) في نسخ (م، ش، غ): أحسن.

(2) في نسخة (م): فهم.

(3) الزمخشري، الكشف، (2/ 410).

(4) في جميع النسخ: نشأت، وأثبت (نشأ) لأنه أصح.

(5) في نسختي (م، ش): الهلاك.

(6) في نسخة (م): النار.

(7) في جميع النسخ: نزل، وأثبت (ينزل) لأنه أصح، كذا في الكشف، ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 411).

(8) سقط من نسخة (غ).

⁹ اقتصر الزجاج على هذا القول، وهو منسوب أيضاً إلى ابن الأنباري في بعض التفاسير، ينظر: الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 61)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 387)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 181)، والألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني، (6/ 294).

(10) الزمخشري، الكشف، (2/ 411).

(11) سقط من نسخ: (الأصل، م، ش).

وَوَهَبْنَاهَا مِنْ بَعْدِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. وَقُرِئَ (يَعْقُوبُ) بِالرَّفْعِ⁽¹⁾ عَلَى أَنَّهُ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ مَوْلُودٌ. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "عَلَى أَنَّهُ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ الظَّرْفُ، أَي: وَيَعْقُوبُ مَوْلُودٌ مِنْ بَعْدِهِ."⁽²⁾ وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ⁽³⁾ إِنَّمَا يَصَحُّ إِذَا كَانَ الظَّرْفُ مُسْتَقَرًّا، وَتَقْدِيرُ (مَوْلُودٌ) مُنَافٍ؛ لِكَوْنِ الظَّرْفِ مُسْتَقَرًّا، فَلَا بَدَّ أَنْ يُجْعَلَ الْمَحذُوفُ خَبَرًا، وَالظَّرْفُ مُتَعَلِّقًا بِهِ.

﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَّ ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: 72]

استعجابٌ من حيثُ العادة؛ لأنها كانت بنتٌ تسعين. [وقيل: تسع وتسعين].⁽⁴⁾ ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72] ابْنُ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ. وَ﴿شَيْخًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى اسْمِ الْإِشَارَةِ. وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ،⁽⁵⁾ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مَحذُوفٌ، أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ هُوَ الْخَبَرُ، وَ﴿بَعْلِي﴾ بَدَلٌ. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: 72] تَقْرِيرٌ وَتَأَكِيدٌ لِمَا يُفْهَمُ مِنْ سَابِقِهِ مِنَ الْاِسْتِعْجَابِ.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: 73]

الهمزة لِلْإِنْكَارِ، أَنْكَرُوا عَلَيْهَا تَعْجَبَهَا؛ لِأَنَّ مِنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْآيَاتِ وَمَهَبَطِ الْمَعْجَزَاتِ؛ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعْجَبَ مِنْ⁽⁶⁾ أَمْثَالِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ. ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: 73] اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ عِلَّةِ إِنْكَارِ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِيَّاكَ وَالتَّعَجُّبَ، فَإِنْ أَمْثَالُ هَذِهِ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ مُتَكَثِرَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. وَ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَدْحِ، أَوْ عَلَى النَّدَاءِ. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ [هود: 73] فَاعِلٌ مَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ مِنْ عِبَادِهِ، كَثِيرُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ.

(1) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَحَمَزَةٌ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ، (وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ) بِالنَّصْبِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (يَعْقُوبُ) بِالرَّفْعِ. النِّسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 241)، وَالدَّانِي (الْمُتَوَفَى: 444هـ)، التَّيْسِيرُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ، (ص: 125).

(2) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 141).

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(4) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(5) قِرَاءَةُ شَاذَّةٌ: نَسَبَهَا ابْنُ جَنِّي إِلَى الْأَعْمَشِ، وَابْنُ خَالُوَيْهِ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، وَفَخَرُ الدِّينِ الرَّازِي إِلَى الْبَعْضِ، ابْنُ جَنِّي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 324)، وَابْنُ خَالُوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 65)، الرَّازِي، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ، (18/ 375)، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ (الْمُتَوَفَى: 756هـ)، الدَّرُ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، (6/ 357).

(6) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: عَنْ، وَاتَّبَعَ (مَنْ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ [هود: 74]

بدل الرّوع والخوف، ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 74] أي: يُجَادِلُ رَسَلَنَا فِي شَأْنِهِمْ. ومجادلته إيّاهم أنهم قالوا: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فقال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَتُهْلِكُونَهَا؟ قالوا: لا، قال: فَأَرْبِعُونَ؟ قالوا: لا، قال: فَثَلَاثُونَ؟ قالوا: لا، حَتَّى بَلَغَ الْعَشْرَةَ قالوا: لا، قال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ مُسْلِمٌ أَتُهْلِكُونَهَا؟ قالوا: لا، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّ⁽¹⁾ فِيهَا لَوْطًا. قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ [العنكبوت: 32]،⁽²⁾ كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽³⁾ وَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى جَوَابِ (لَمَّا)، وَتَقْدِيرُهُ: اجْتَرَأَ⁽⁴⁾ عَلَى خَطَابِنَا، أَوْ أَرَادَ الْمَجَادَلَةَ، وَنَحْوَهُمَا. ثُمَّ اسْتَأْنَفَ بَبَيَانِ حَالِهِ فَقَالَ: ﴿يُجَادِلُنَا﴾.⁽⁵⁾ [وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ ﴿يُجَادِلُنَا﴾]⁽⁶⁾ جَوَابًا عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَّةِ. وَقِيلَ: إِنَّ "لَمَّا" يَرُدُّ الْمَضَارِعَ مَاضِيًّا كَمَا يَرُدُّ "أَنْ" الْمَاضِي إِلَى مَعْنَى الْاسْتِقْبَالِ.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75]

تعليلٌ لاجترائه على المجادلة، يعني: يجادلنا لأنّه رقيق القلب، كثير التأسف على الناس، متوسلٌ إلى رحمة الله في رفع المصيبة عنهم، رجاء أن يُمهّلوا، لعلهم يُحْدِثُونَ التَّوْبَةَ.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: 76]

حكاية عن قول الملائكة، على إرادة القول. وأمر الرب: تقديره وحكمه الذي لا يتخلف. ﴿وَأَنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: 76] بوجه من الوجوه؛ لِثَبَّتِهِ فِي اللَّوْحِ الْكَلِيِّ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ.

(1) في نسخة (ض): إنها.

(2) رواه الطبري عن ابن عباس، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (31/20)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (18/376).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/412).

(4) في نسخة (غ): أخبر.

(5) في نسخة (م): يجادل.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ﴾ [هود: 77]

لِحَقِّهِ مَسَاءَةٌ بِسَبَبِ مَجِيئِهِمْ؛ لَأَنَّهُ ⁽¹⁾ حَسِبَ أَنَّهُمْ إِنْسٌ، فَخَافَ ⁽²⁾ عَلَيْهِمْ ⁽³⁾ خُبْتُ قَوْمِهِ؛ لَأَنَّهُمْ جَاءُوا فِي صُورَةِ غِلْمَانٍ. ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ [هود: 77] لعدم اقتدارِهِ عَلَى الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَدَافِعَةِ، وَالذَّرْعُ: الْقَلْبُ. ⁽⁴⁾ ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: 77] يَوْمٌ شَدِيدٌ. وَرُوي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ نَحْوَ قَرْيَةِ لُوطٍ، فَأَتَوْا لُوطًا نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَرْضٍ لَهُ يَعْمَلُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: لَا تُهْلِكُوهُمْ ⁽⁵⁾ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ ⁽⁶⁾ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ. فَاسْتِضَافُوهُ، فَاَنْطَلَقَ بِهِمْ فَلَمَّا مَضَى سَاعَةٌ قَالَ لَهُمْ: مَا بَلَغَكُمْ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالُوا: وَمَا أَمْرُهُمْ؟ قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهَا لَشَرُّ قَرْيَةٍ فِي الْأَرْضِ عَمَلًا، يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ مَنْزِلَهُ، ⁽⁷⁾ وَلَمْ يَغْلَمْ بِذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِ لُوطٍ، فَخَرَجَتْ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ بِهِمْ قَوْمَهَا، وَقَالَتْ: إِنَّ فِي بَيْتِ لُوطٍ رَجَالًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَ وُجُوهِهِمْ قَطُّ. ⁽⁸⁾

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لَا.

(2) فِي نَسْخِ (الْأَصْل، م، ش، غ): مَخَافَتٍ. يَنْظُرُ أَيْضًا: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 413)، الرَّازِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ، (18/ 377).

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (م).

(4) وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ حَيْثُ قَالَ: "﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ قُلُوبًا"، الثَّعْلَبِيُّ، الْكَشَفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 180). وَلَعَلَّ قَصْدَهُمَا مِنْ تَفْسِيرِ الذَّرْعِ بِالْقَلْبِ عَلَى الْمَجَازِ وَإِلَّا، لَمْ أَجِدْ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْمَعَاجِمِ الْمَعْتَبَرَةِ. وَفِي الصَّحَاحِ: وَيُقَالُ ضِغْتُ بِالْأَمْرِ ذُرْعًا، إِذَا لَمْ تُطْفِئْهُ وَلَمْ تَقْوِ عَلَيْهِ. وَأَصْلُ الذَّرْعِ إِنَّمَا هُوَ بَسْطُ الْيَدِ، فَكَأَنَّكَ تَرِيدُ: مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ فَلَمْ تَنْلُهُ. الْجَوْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 393هـ)، الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (3/ 1210).

(5) فِي نَسْخَةِ (م): تَهْلِكُوهُمْ.

(6) فِي نَسْخِ (الْأَصْل، م، ش): لُوطًا.

(7) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَقَالَ الْبِرْزَنْجِيُّ (مَحَقَّقُ كِتَابِ "صَحِيحِ وَضْعِيفِ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ") عَنْهُ: ضَعِيفٌ. يَنْظُرُ: الطَّبْرِيُّ (الْمُتَوَفَى 310 هـ)، أَبُو جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرٍ، صَحِيحٌ وَضْعِيفٌ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْبِرْزَنْجِيِّ، إِشْرَافُ: مُحَمَّدٌ صَبْحِي حَسَنُ حَلَّاقٍ، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، دِمَشْقُ - بَيْرُوتُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1428 هـ - 2007 م، (6/ 214).

(8) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَقَالَ الْبِرْزَنْجِيُّ (مَحَقَّقُ كِتَابِ "صَحِيحِ وَضْعِيفِ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ"): هَذَا إِسْنَادٌ لَمْ يَصَحِّحْهُ الطَّبْرِيُّ نَفْسَهُ وَلَا يَصَحُّ وَلَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (2/ 613 بِرَقْم: 4059)، مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ طَلْحَةَ، ثَنَا أَشْبَاطُ، عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَعَنْ مَرْثَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أَنَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْفُوعًا قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ نَحْوَ قَرْيَةِ لُوطٍ وَأَتَوْهَا نِصْفَ النَّهَارِ، فَلَمَّا بَلَغُوا نَهْرَ سَدُومَ لَقُوا ابْنَةَ لُوطٍ تَسْتَقِي مِنَ الْمَاءِ لِأَهْلِهَا وَكَانَ لَهُ ابْنَتَانِ... الْحَدِيثُ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَقَالَ الْبِرْزَنْجِيُّ (مَحَقَّقُ كِتَابِ "صَحِيحِ وَضْعِيفِ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ"): "وَتَصَحِّحُهُ فِيهِ نَظَرُ فَاسْنَادُهُ مُرَكَّبٌ جَمْعُهُ

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرِّغُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود: 78]

يُسْرِغُونَ كَأَنَّمَا يُدْفَعُونَ دَفْعًا. ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 78] ولذلك جاؤوا إليه مُهَرِّغِينَ غير مُسْتَفْجِحِينَ لهذا العمل. ﴿قَالَ يَقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [هود: 78] أشار إلى بناته؛ عَرَضَ عليهم بناته بالتزويج ليقِي⁽¹⁾ بهن أضيافه، وذلك تمام الكرم. وكانوا يطلبونهن قبل⁽²⁾ فلا يجيبهن؛ لخبثهم، وعدم كفاءتهم. وكان تزويج المسلمين من الكفار غير منهّي عنه في هذا الوقت. وقيل: أشار إلى النساء، وقال بناتي؛ لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية. ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78] مما⁽³⁾ تريدون. والزيادة في ﴿أَطْهَرُ﴾ زيادة مطلقة لا يلزم منه تحقق أصل الفعل في المفضل عليه. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ﴾ [هود: 78] فإنه مخالفة لأمره، وموجب لفصيحتي. ﴿فِي ضَيْفِي﴾ [هود: 78] في حق ضيفي؛ فإن خزي ضيف الرجل خزيه في الحقيقة. ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78] رجل واحد يهتدي إلى فعل⁽⁴⁾ الجميل⁽⁵⁾ والكف عن الشؤء؟

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: 79]

من حاجة؛ لأننا راغبين عن النساء ومُتَقَرِّرينَ عنهن. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: 79] عنوا: إتيان الذكور، وكانوا جَاهِرِينَ بهذا العمل، ومعلومين به بين الناس⁽⁶⁾. ولذلك قالوا: ﴿إِنَّكَ لَتَعْلَمُ﴾ مع التأكيد. ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 80] تَمَنَّى في ذلك الوقت -لشدة الأمر عليه- أَحَدَ⁽⁷⁾ الأمرين: إما القوة، والافتدَار على دفعهم، وإما التوسل إلى قويٍّ شبيه بركن الجبل في شدته

السدي من طرق ثلاث (ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي). النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، (2/ 613)، الطبري (المتوفى 310 هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6/ 214).

(1) في نسخة (م): لنهي.

(2) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(3) في نسخة (غ): من.

(4) في نسخة (ش): الفعل.

(5) في نسخة (غ): الجهل.

(6) في نسخة (م): النساء.

(7) في نسخة (ش): إحدى.

لِيُدْفَعَهُمْ عَنْهُ. قال البيضاوي: "وجوابُ (لَوْ) محذوفٌ تقديرُهُ: لَدَفَعْتُكُمْ".⁽¹⁾ وإنما احتُجَّ إلى هذا الحذف والإضمارِ لو لم يُجَوِّزْ أن يكونَ "لو" بمعنى "ليت". وقد جَوَّزه في سورة البقرة⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96]، ولا مانعَ ههنا عن هذا الجوازِ. بَقِيَ في الكلامِ أن "لو" بِكَلَا مَعْنِيهِ يدلُّ على عدمِ تَوَسُّلِهِ إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ. والرُّكْنُ الشَّدِيدُ [إن كان رَبَّهُ الحَقُّ القَوِيُّ]⁽³⁾ كما يُفهم من قولِ نبيِّنا عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «رَجِمَ اللَّهُ أَخِي لُوطًا، كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»⁽⁴⁾؛⁽⁵⁾ لم يُسْتَحْسَنَ هذا الكلامُ منه؛ لأنَّ كُلَّ نَبِيٍّ ينبغي أن يتوسَّلَ إلى رَبِّهِ القَوِيِّ. وأيضاً كيف يقولُ نبيُّنا في حَقِّهِ "يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" وهو يقول: ﴿أَوْءَاوَى﴾ وبينهما تدافعٌ. قال صاحبُ الكشاف: وقرئ (أو آوى)⁽⁶⁾ بالنصبِ بإضمارِ "أن" كأنَّه قيل: لو أنَّ لي بكم قوَّةً أو أُويًّا.⁽⁷⁾⁽⁸⁾ ولا يخفى أنَّه منافعٌ للقاعدة المذكورة في النَّحو، من أنَّ المضارعَ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 143).

(2) في نسخ (الأصل، ش، ض، غ): التوبة، وفي نسخة (م): البقرة التوبة.

(3) في نسخة (غ): القول.

(4) حديث صحيح: أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا﴾ [الحجر: 51-52]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا﴾ [الحجر: 51-52]، رقم: (3372)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، وفي كتاب الفضائل باب: من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، رقم: (151). البخاري، صحيح البخاري، (4/ 147)، والنيسابوري، (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، (1/ 133).

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة: (ض).

و(4/ 1839).

(6) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه وابن جني إلى شعبة وأبي جعفر، ينظر: خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65)، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 326)، والرازي، مفاتيح الغيب، (18/ 380)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 78)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 188).

(7) قوله: (أُويًّا): تقول العرب: أوى الإنسان إلى منزله يأوي أُويًّا وإِواء -والأُويُّ: أحسن- وأويئُهُ إِيواءً. والتأوي: التَّجَمُّع، وتأوَّبَ الطَّيْرُ، إذا انضمَّ بعضها إلى بعض، فَهِنَّ أُويٌّ، ومُتَأَوِّيات. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (8/ 437).

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/ 415).

يُنْتَصَبُ بِتَقْدِيرِ "أَنْ" بَعْدَ "أَوْ" بِشَرْطِ كَوْنِهَا بِمَعْنَى "إِلَى أَنْ"، [أَوْ "إِلَّا أَنْ"]⁽¹⁾، وكلاهما غيرُ مناسبٍ ههنا فَنَدَبَرُ.

﴿قَالُوا يَلُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ﴾ [هود: 81]

رُوي أَنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ حِينَ جَاؤُوا، وَجَعَلَ يُرَادُّهُمْ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُجَادِلُهُمْ،⁽²⁾ فَتَسَوَّرُوا⁽³⁾ الْجِدَارَ. فَلَمَّا رَأَتْ الْمَلَائِكَةُ مَا لَقِيَ لُوطٌ مِنَ الْكَرْبِ قَالُوا: (يَا لُوطُ! إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) لَنْ يَصِلُوْا إِلَى إِضْرَارِكَ، فَإِنَّ رُكْنَكَ شَدِيدٌ، فَافْتَحِ الْبَابَ وَدَعْنَا⁽⁴⁾ وَإِيَّاهُمْ. فَفَتَحَ الْبَابَ وَدَخَلُوا فَضَرَبَ جَبْرِيْلُ بَجَنَاحِهِ وَجُوهَهُمْ وَأَعْمَاهُمْ. فَخَرَجُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: النَّجَاءُ النَّجَاءُ! فَإِنَّ فِي بَيْتِ لُوطٍ قَوْمًا سَحَرَةً. ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 81] بِطَائِفَةٍ مِنْهُ، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود: 81] بِالتَّخَلُّفِ، أَوْ بِالنَّظَرِ إِلَى وَرَائِهِ. ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَكَ﴾ [هود: 81] نَصَبُ الِاسْتِنَاءِ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ﴾، وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ﴾.⁽⁵⁾ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رُوي أَنَّهُ أَمَرَ بِأَنْ يُخَلِّفَهَا مَعَ قَوْمِهَا، فَإِنَّ هَوَاهَا⁽⁶⁾ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْرِ بِهَا.⁽⁷⁾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ بِنَاءً عَلَى مَا رُوي أَنَّهُ أَخْرَجَهَا مَعَهُمْ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا هِيَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ صَوْتَ الْعَذَابِ انْتَفَتَتْ، وَقَالَتْ: يَا قَوْمَاهُ! فَأَذْرَكَهَا حَجَرَ فَقَتَلَهَا. إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٍ؛ لِأَنَّ رَفْعَهُ مَخْتَارٌ حِينَئِذٍ عَلَى الْبَدَلِ. وَلِذَلِكَ قُرِئَ بِالرَّفْعِ⁽⁸⁾ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿أَحَدٌ﴾ مِنْ قَبِيلٍ؛ ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 66]. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "وَاخْتِلَافُ

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(2) في نسخة (غ): يجاولهم.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): فتسورا.

(4) في نسخة (م): أو دعنا.

(5) قراءة شاذة: لم أجده في كتب القراءات، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (432 / 15)، ينظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، (416 / 2)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (196 / 3)، والسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (368 / 6).

(6) في نسخ (الأصل، م، ش): هونها.

(7) لم أجده في كتب الحديث المعتبرة، نقله عن كتب التفسير، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (416 / 2)، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (76 / 2)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (190 / 6).

(8) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إِلَّا أَمْرَأَتَكَ) بالرفع. وقرأ الباقر (إِلَّا أَمْرَأَتَكَ) بالنصب. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 338)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص: 241).

القراءتين لاختلاف الروايتين. ⁽¹⁾ لكن البيضاوي مَنَعَهُ حيث قال: "ولا يجوزُ حَمْلُ القراءتين على الروايتين؛ لأنَّ القَوَاطِعَ لا يَصِحُّ حَمْلُهَا على المعاني الْمُتَنَاقِضَةِ." وهو محلّ تأمّلٍ. ثم قال: "والأوّلَى ⁽²⁾ جعل الاستثناء في القراءتين عن قوله: ﴿لَا يَلْتَفِتْ﴾ مثْلُ قَوْلِهِ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 66] ولا يَبْعُدُ ⁽³⁾ أن يكون أكثرُ القُرَّاءِ على غَيْرِ الْأَفْصَحِ. ⁽⁴⁾ ولا يخفى أَنَّهُ أَبْعَدُ احتمالاً من الاحتمال الذي جَعَلَهُ مَرْجُوحاً. وغيرُ الفصيح كيف يكونُ أولى من الفَصِيح؟ خصوصاً في الكلام الذي يُعَدُّ معجزاً في البلاغة. وعدمُ فصاحته ممَّا صَرَّحَ عليه صاحبُ الكشَّافِ حيث ⁽⁵⁾ قال: "وإن كان الفصيحُ هو البَئِلُ" ⁽⁶⁾ فَتَأَمَّلْ. ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81] تعليلٌ للاستثناء. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود: 81] استئنافٌ لبيان ما ⁽⁷⁾ يُفْهِمُ من سابقه من الموعد. ⁽⁸⁾ ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81] جوابٌ لاستعجالِ لوطٍ، على ما رُوي أَنَّهُ قال لهم: متى موعدُ هلاكهم؟ قالوا: الصُّبْحُ، فقال: أريدُ أسرعَ ⁽⁹⁾ من ذلك، فقالوا: أليس الصُّبْحُ بقريب؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: 82]

رُوي أَنَّ جبريلَ جَعَلَ جناحَه في أسفلِها، ثم رَفَعَهَا إلى السَّمَاءِ حتَّى سَمِعَ ⁽¹⁰⁾ أهلُ السَّمَاءِ نُبَاحَ الكَلْبِ وصياحَ الدِّيكِ، ثم قَلَبَهَا عليهم. ⁽¹¹⁾ وَأَسْنَدَ هذا الفعلَ إلى نفسِه سبحانه اهتماماً بشأنِ الأمرِ.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 416).

(2) في نسخة (ض): الأول.

(3) في جميع النسخ: بُعد. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 143).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 143).

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) يعني قراءة الرفع.

(7) سقط من نسخة (ش).

(8) في نسخة (ض): الوعد.

(9) في نسخة (ض): أن أسرع.

(10) في نسخة (ض): سماع.

(11) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره مطوَّلاً عن محمد بن كعب القرظي (محدث ومفسر من التابعين) وقال المحقق وليد بن حسن العاني: إسناده حسن، وضعفه البرزنجي (محقق كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري). وأخرجه الطبري في تفسيره وتاريخه من طريق: سلمة، عن ابن إسحاق، به نحوه. وذكره ابن كثير والسيوطي عن محمد بن كعب. ينظر: ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، (9/ 226)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري، (1/ 306)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 442)، والطبري

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: 82]

أي: على من خرَجَ منها لِعَرَضٍ ومصلحةٍ. والسَّجِيلُ مُعَرَّبٌ، أصله: "سِنَكُ كُلٌّ".⁽¹⁾ وقيل: عربيٌّ من أَسَجَلَهُ إذا أرسله، يعني: حجارةً مثلَ الشيءِ المُرْسَلِ، أو من السَّجَلِ⁽²⁾ يعني: حجارةً ممَّا كَتَبَ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِ. وقيل: أصله سَجِينٌ، أي: من جهنم، فأبدلت لَامُهُ. ﴿مَنْضُودٍ﴾ [هود: 82] نُضِدَ في السَّمَاءِ نُضْدًا؛ مُعَدًّا للعذاب، أو نُضِدَ في الإرسالِ مُتَتَابِعًا.

﴿مُسَوَّمَةً﴾ [هود: 83] معلَّمةٌ للعذاب، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [هود: 83] في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 83] أي: ليس الحجارةُ ببعيدةٍ⁽³⁾ من كُلِّ ظالمٍ. وتذكيرُ البعيدِ على تأويلِ الحَجَرِ. وقيل: الضَّمِيرُ للفرى، أي: قريبةٌ من ظالِمِي مَكَّةَ، يمرُّون في أسفارهم إلى الشَّامِ. وتذكيرُ البعيدِ على تأويلِ المكانِ. والأوَّلُ مرجَّحٌ بِذِكْرِ المرجعِ صريحاً، وبِقُرْبِهِ.⁽⁴⁾ وَوَجَّهَ صاحبُ الكَشَافِ تذكيرُ البعيدِ بتقديرِ موصوفٍ مذكَّرٍ، حيثُ قال: "بشيءٍ"⁽⁵⁾ بعيدٍ، ويجوزُ أَنْ يُرَادَ: وما هي بمكانٍ بعيدٍ؛ لأنَّها وإن كانت في السَّمَاءِ -وهو مكانٌ بعيدٌ- إلَّا أنَّها هَوَتْ منها فهي أسرعُ شيءٍ لحوقاً بالمَرْمِي، فكأنَّها بمكانٍ قريبٍ منه"⁽⁶⁾ انتهى. وأنت تعلم أنَّ التقديرَ في العبارةِ خلافُ الأصلِ فالأوَّلَى ما ذكرناه.

(المتوفى: 310هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6/ 219)، ابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 341)، والسيوطي (المتوفى: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (4/ 462).

(1) يعني بالفارسيَّة: سنگ گل، أي: الطين المتحجّر.

(2) في نسخة (ش): السجيل. قال الزبيدي (المتوفى: 1205هـ): "أو قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، أي ممَّا كُتِبَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِهَا، قال الأزهري: وَهَذَا الْقَوْلُ إِذَا فُسِّرَ فَهُوَ أَبْيَنُهَا؛ لِأَنَّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ دَلِيلًا عَلَيْهِ، قال الله تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ وَمَا أَذْرُكَ مَا سِجِّينٌ ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿ [المطففين: 7-10]. الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، (29/ 180).

(3) في جميع النسخ: ببعيد، وأثبت (ببعيدة) لأنه أصح.

(4) في نسخة (ش): بقريبه.

(5) في جميع النسخ: لشيء.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 416).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: 84] أي: (1) إلى أهل مدين. وهم أولاد مدين ابن إبراهيم عليه الصلاة والسلام. سُمِّيَ البلدُ (2) مَدْيَنًا تسميةً باسم مَنْ بَنَاهُ. ﴿قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنفُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: 84] تفسيره معلوم مما ذكر في سورة الأعراف. (3) ﴿إِنِّي أَرْسَلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود: 84] تعليل للنهي، والخير: السَّعةُ والنَّعمةُ. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ﴾ [هود: 84] أي: عذاب يوم القيامة. وإحاطته: عبارة عن كونه مُجمِعاً بجميع المكلفين. ويجوز أن يكون عبارة عما فيه من إهلاك الكافرين، من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: 42]، وأصله من إحاطة العدو. ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: 85]

أمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده؛ للتأكيد، مع أن فيه مزية (4) ليس في النهي؛ لأن الإيفاء لا يتحقق [لا بتحقيق] (5) زيادة ما. والحاصل: أن النهي يتحقق بعد تعمد التطفيف، والأمر إنما يتحقق باليقين (6) بعدم (7) التطفيف. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ [هود: 85] من غير إفراط ونقريط، وما لا يتحقق الإيفاء بدونه من الزيادة فهو داخل في حكم القسط، وليس بإفراط. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: 85] تعميم بعد تخصيص، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85] وهو أيضاً تعميم بعد تخصيص؛ لأن العتو: (8) مطلق الفساد، والبخس: نوع منه. وفيه إشعار بأن العتو (9) في الأرض قد يكون للإصلاح.

(1) سقط من نسخة (م).

(2) في نسخة (غ): البلدية.

(3) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ قَالَ يَقُومُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ [الأعراف: 85]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (الوح رقم 187).

(4) في نسخة (ش): مزيد.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(6) في نسخة (ش): بالتعين.

(7) في نسخة (غ): بعد.

(8) في نسخة (غ): العتو.

(9) في نسخة (غ): العتو.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود: 86]

أي: الحلال⁽¹⁾ خير من الحرام؛ لأن ما أبقاه الله لهم بالتنزيه عما حرم عليهم حلال، وما يجمعون بالتطفيف حرام. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 86] شرط الإيمان مع (بقية الله خير) للكافر أيضاً، من حيث إنه يسلم معها عن تبعه البخس؛ لأنه لا يظهر فائدتها له؛ لأنه منعم⁽²⁾ في غمرات الكفر في الآخرة، مضطرباً فيها، فلا يفيده شيء أصلاً بالنجاة عن العذاب الخزي؛ ليعلم أنه خير له. ويجوز أن يكون معناه: إن كنتم مصدقين لي في قولي تعلمون ذلك. وقيل: البقية الطاعة، كقوله: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاةُ﴾ [هود: 86] وما بُعثت لأحفظ أعمالكم، وألجئكم بالخير، إنما بُعثت مبلّغاً وناصحاً، وقد أعزّت حين بلغت. ويجوز أن يكون وعيداً بزوال⁽³⁾ النعم من أيديهم، بمعنى: ولست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم.

﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْثُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: 87]

استبعاداً لأن يكون داع عقلي⁽⁴⁾ يأمره بالتكليف بترك⁽⁵⁾ عبادة الأصنام. وخصوا الصلاة بالذكر؛ لأنه كان كثير الصلاة. ولذلك جمعوها، وقرئ بالإنفراد.⁽⁶⁾ ومقصودهم: الاستهزاء به، والتهاكم بصلواته. وتقدير العبارة: تأمرك بتكليف أن نترك، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه؛ لوضوح الأمر؛ لأن المرء لا يكلف بفعل غيره. ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: 87] عطف على ﴿مَا﴾. وقرئ بالتاء فيهما؛⁽⁷⁾ على العطف على ﴿أَنْ تَتْرُكَ﴾. وهو أمره بإيهاهم بترك التطفيف والبخس. وقيل: كان ينهاهم عن

(1) في نسخة (م): الحال.

(2) في نسخة (غ): منعم.

(3) في نسخة (الأصل، م، ش): وعيد إنزال، وفي نسخة (غ): وعيداً بزه إلى.

(4) في نسخة (غ): غفل.

(5) في نسخة (غ): تترك.

(6) قراءة متواترة: قَرَأَ حَمْرَةً وَالْكَسَائِي وَخَلَفَ وَحَفْصُ (أَصْلَاتُكَ) بِحَذْفِ الْوَاوِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (أَصْلَوْثُكَ) بِإِثْبَاتِهَا عَلَى الْجَمْعِ. ابن الجزري، (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 290)، وتحرير التيسير في القراءات العشر، (ص: 393)، النيسابوري، (المتوفى: 381 هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 228-229). واعتمد المؤلف على قراءة الجمع في تفسيره.

(7) قراءة شاذة: نسب ابن خالويه (تشاء) بالتاء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه والضحاك (وهو: الضحاك بن قيس الفهري المتوفى 64 هـ)، والثعلبي إلى البعض، والرازي إلى ابن أبي عبله، والقرطبي إلى السلميّ والضحاك بن قيس،

تقطيع الدرهم والدنانير، فأرادوا به ذلك. ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87] تعليلٌ للإنكار، يعني: يُستبعد ذلك منك؛ لأنك الحليم الرشيد، وهذا الفعل إنما يصدر من السفاهة والجهل.

قال صاحب الكشاف: "أرادوا نسبته إلى غاية السفاهة والغي، فعكسوا؛ لينتهكوا به، كما يُتهكم بالشحيح الذي لا يبض⁽¹⁾ حجره فيقال له: لو أبصرَكَ حاتمٌ لسجدَ لك".⁽²⁾

﴿قَالَ يَقُومُ أَرَعَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: 88]

البينة: النبوة، والرزق الحسن: العلم. وقيل: الرزق الحسن: المال الذي كان حلالاً بغير بخس ولا تطفيف، لكن الظاهر من التقييد بقوله: ﴿مِنْهُ﴾ هو الأول. وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه، يعني: أخبروني إن كنت على حجة واضحة، وكنت نبياً؛ هل تُكفرون عليّ أن أنهاكم عن عبادة الأوثان والكف عن المعاصي؟ والأنبياء لا يُبعثون إلا لذلك. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88] أي: لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي. وما استحق الإنكار إلا من⁽³⁾ خالف الرجل إلى ما نهاه⁽⁴⁾ عنه ليستبد به. يُقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولٍ عنه، على عكس، وخالفني عنه، فإنه مولٍ عنهن وأنت قاصده. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88] (ما) مصدرية في موضع الظرف، أي: مدة استطاعتي للإصلاح. ويجوز أن تكون موصولة، على البذل من الإصلاح؛ إما بتقدير موصوف، أي: المقدار الذي استطعت⁽⁵⁾ منه، أو بحذف مضاف، أي: إصلاح ما استطعته⁽⁶⁾. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] بيّن أن إرادته ذلك

ينظر: وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65)، والثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 186)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 396)، الرازي، مفاتيح الغيب، (18/ 387)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 87).
(1) البض: أدنى ما يكون من السيلان يضرب للبخل الذي لا خير فيه. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (المتوفى: 518هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (2/ 229).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 420).

(3) في نسخة (ض): ما.

(4) في جميع النسخ: أنهاه، وأثبت (نهاه) لأنه أصح.

(5) في نسختي (ض، غ): استطعته.

(6) في نسخة (م): استطعت.

أمرٌ صحيحٌ بعيدٌ عن مظانِّ الإنكارِ والاستبعادِ. وذكرَ في بيانه ثلاثَ مقدماتٍ؛ الأولى: أنه مستمدٌّ من الله في جميعِ أمورِهِ لا من غيره. والثانية: أنه متوكِّلٌ عليه، بجَعْلِهِ وكيلاً في مجامعِ أمورِهِ، وقَطْعِ العلاقةِ عن الغيرِ، وإعانتِهِ. والثالثة: أنه منيبٌ راجعٌ إليه بالضرورةِ في العاقبةِ. والأولى إشارةٌ إلى توحيدِ الأفعالِ، والثانية إلى توحيدِ الصفاتِ، والثالثة إلى توحيدِ الذاتِ. ومعلومٌ أنَّ العارفَ الواصلَ إلى حقيقةِ التَّوْحِيدِ لا يَصْدُرُ منه أمرٌ قبيحٌ، فإنَّ كلَّ ما يَصْدُرُ عنه⁽¹⁾ إنّما يَصْدُرُ بإرادتِهِ سبحانه، فكيف يكونُ قبيحاً!

﴿وَيَقُومُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ [هود: 89]

مصدرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ [هود: 89] ثاني مفعولِ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، أي: لا يكسبنكم مُعاداتي إصَابَةَ العذابِ. و﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ﴾ فاعلٌ ﴿يُصِيبُكُمْ﴾. وقرئ بالفتح⁽²⁾ لاكتسابِهِ البناءِ من المضافِ إليه. وقرئ (لَا يُجْرِمَنَّكُمْ) من (الإفعالِ)،⁽³⁾ والمعنى واحدٌ. لأنَّه مفعولٌ⁽⁴⁾ من (جَرَمَ) المتعدّي إلى واحدٍ. [فإنَّه كما يتعدّى إلى مفعولين يتعدّى إلى واحدٍ]⁽⁵⁾ أيضاً. ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ [هود: 89] قد سبق ذكرُ ما أصابهم. ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89] يعني: أنهم أهلكوا في عهدٍ قريبٍ من عهدكم. فهم أقربُ الهالكين منكم، كذا في الكشف.⁽⁶⁾ ويحتملُ أن

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه إلى مجاهد، وابن أبي إسحاق، وابن كثير في رواية، ونُسبت أيضاً إلى أبي حنيفة، وابن أبي عبيدة، وأبو قرّة عن نافع، وابن بحر عن المُسَيَّبِيِّ، والقورسي عن أبي جعفر، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65)، والهُدَلِي، يوسف بن علي أبو القاسم الهُدَلِي الشكري المغربي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، (ص: 573).

(3) قراءة شاذة: نسبه النحاس إلى يحيى بن وثاب، والفراء وابن جني إلى يحيى والأعمش، ينظر: الفراء (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، (1/ 299)، والنَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ، (2/ 181)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 327).

(4) في نسخة (ض): منقول.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(6) الزمخشري، الكشف، (2/ 422)،

يكونَ عدمُ البُعدِ بمعنى: القُربُ مكاناً. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالقربِ: القربُ في المرتبة، وما يستحقُّ الهلاكَ.

ووجهُ إفرادِ البعيدِ بتقديرِ مضافٍ⁽¹⁾ في الظرفِ⁽²⁾ الأول، أو بتقديرِ موصوفٍ في الظرفِ⁽³⁾ الثاني. قال صاحبُ الكشفِ: "يجوزُ أن يُسَوَّى في بعيدٍ وقريبٍ، وقليلٍ وكثيرٍ، بينَ المذكرِ والمؤنثِ لورودِها على زنةِ المصادرِ التي هي: (الصَّهْلُ) و(النَّهْيُ) ونحوُهما."⁽⁴⁾

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90] عظيمُ الرحمة، بليغُ المودة للمنقطع إليه من غيره.

﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 91]

كأنهم قصدوا به إهانته، يعني: إن كلامك غيرُ معقولٍ، ولذلك لا نفهمه. ويجوزُ أن يكونَ بياناً للواقع من حالهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: 25/ الإسراء: 46] ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا﴾ [هود: 91] لا قوة لك ولا عزٍّ فيما نبيننا، والنبيُّ إنما يكونُ صاحبَ مهابةٍ ووقارٍ. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ﴾ [هود: 91] إنما قالوا ذلك؛ لأنَّ قومَه مع قلتهم كانوا محترمين عندهم؛ لاتفاقهم معهم في الملة. والزَّهْطُ: من الثلاثة إلى العشرة. وقيل: إلى السبعة، كذا في الكشف. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ [هود: 91] يعني: أنت المخصوصُ بعدمِ العزةِ دونَ قومك، فإنهم هم الأعزُّ علينا. وفيه: كنايةٌ بعدمِ اتباعِ قومِه إياه، يعني: إن قومك لا يتبعونك وأنت تطمَعُ فينا؟

﴿قَالَ يَقُومُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ [هود: 92] كالمُنسِي المنبوذِ وراءَ الظَّهْرِ. الظَّهْرِيُّ منسوبٌ إلى الظَّهْرِ، والكسرُ من تغييراتِ النَّسَبِ. وإنما قال: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ والكلامُ كان فيه؛ لأنَّ التَّهَؤُنَ به تهَؤُنٌ بالله في الحقيقة. ونحوه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]. وفيه: إشعارٌ بأنَّ الحقَّ سبحانه معه بالنصرةِ والمعاونةِ، وجوابٌ عما قصدوه كنايةً، كأنه قال: لا

(1) في نسخة (م): المضاف.

(2) في نسخة (غ): الطرف.

(3) في نسخة (غ): الطرف.

(4) الزمخشري، الكشف، (2/ 422).

يَضُرُّنِي عَدَمُ اتِّبَاعِ⁽¹⁾ قَوْمِي⁽²⁾ إِيَّاي، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَعِيَ⁽³⁾ بِالْحِفْظِ وَالْحِمَايَةِ. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: 92] عِلَّةٌ لِمَا يُفْهَمُ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ مِنْ إِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَعَزَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَيَقُومُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود: 93]

ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 135] بِالْفَاءِ لِقَصْدِ السَّبَبِيَّةِ، وَهَهُنَا بَدُونَ الْفَاءِ لِقَصْدِ الِاسْتِنْفَافِ الْمَبْنِيِّ عَلَى السُّؤَالِ. كَأَنَّهُمْ قَالُوا: فَمَاذَا يَكُونُ إِذَا عَمَلْنَا نَحْنُ عَلَى مَكَانَتِنَا وَعَمَلْتَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: سَوْفَ⁽⁴⁾ تَعْلَمُونَ؛ ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ [هود: 93] الظَّاهِرُ أَنَّهُ قَسِيمٌ لِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾، وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ صَادِقٌ؛ حَتَّى يُنْصَرَفَ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ إِلَى الْجَادِحِينَ، وَ"مَنْ هُوَ صَادِقٌ" إِلَى النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا يَدْعُونَهُ كَاذِبًا قَالَ: ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾، يَعْنِي: فِي زَعْمِكُمْ وَدَعْوَاكُمْ، تَجْهِيلًا لَهُمْ."⁽⁶⁾

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "عُطِفَ عَلَى ﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾؛ لَا لِأَنَّهُ قَسِيمٌ لَهُ، كَقَوْلِكَ: سَيَعْلَمُ الْكَاذِبُ وَالصَّادِقُ، بَلْ لِأَنَّهُمْ لَمَّا أَوْعَدُوهُ وَكَذَّبُوهُ قَالَ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ الْمَعْدَبُ وَالْكَاذِبُ، مَنِّي وَمِنْكُمْ."⁽⁷⁾ ﴿وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93] أَي: مُنْتَظَرٌ.⁽⁸⁾

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبَاءٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [هود: 94]

مَعْلُومٌ تَفْسِيرُهُ مِمَّا سَبَقَ. ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: 94] أَتَاهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَأُهْلِكُوا. وَقِيلَ: صَاحَ بِهِمْ جَبْرِيلُ. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [هود: 94] مَيِّتِينَ؛ الْجَاثِمُ: اللَّازِمُ لِمَكَانِهِ.

(1) فِي نَسْخِ (الْأَصْل، م، ش): اتِّبَاعِي.

(2) فِي نَسْخَةِ (ش): لَوْمِي.

(3) فِي نَسْخَةِ (ش): نَفْي، وَفِي نَسْخَةِ (غ): بَقِي.

(4) فِي نَسْخَةِ (م): فَسَوْفَ.

(5) فِي نَسْخِ (الْأَصْل، م، ش): حَال.

(6) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 425).

(7) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 146).

(8) فِي نَسْخَةِ (غ): مُنْظَر.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾ [هود: 95]

فإنهم أيضاً هلكوا بالصيحة، إلا أن⁽¹⁾ صيحتهم كانت من تحتهم، لا من السماء. وقرئ (بعدت) بالضم،⁽²⁾ والمعنى واحد، لكن الضم هو الأصل، وغُيِّرَ إلى الكسر؛ تفرقةً بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمَرَ فِرْعَوْنَ﴾ [هود: 96-97]

أي: أمره بالكفر بموسى. ويجوز أن يكون المراد: فبقوا على اتباعهم لأمر فرعون مع ظهور المانع القوي، وهو: إرسال موسى إليهم بالمعجزات. والآيات: المعجزات، والسلطان المبين: ما فيها من الدلالة على صدق موسى في دعوى النبوة. ولا يخفى أن التوراة إنما أنزل بعد هلاك فرعون وملائته، فكيف يكون موسى مرسلًا إليهم بالتوراة؟ فتدبر.⁽³⁾ ﴿وَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: 97] أي: ذي رشد، يعني: اتبعوا أمر فرعون مع ظهور بطلانه.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [هود: 98]

استئناف؛ لبيان العلة. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: 98] أي: قيروهم النار. وإنما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه. ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98] الورد المورود: المورد⁽⁴⁾ الذي وردوه، يعني: بئس المورد الذي وردوه.

(1) في نسخ (الأصل، ش، م): لأن.

(2) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه وابن جني إلى أبي عبد الرحمن السلمي، (هو أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب، مفرئ الكوفة، الإمام، العلم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-)، وقال ابن جني في الفرق بين القراءتين: "أما بعد فيكون مع الخير والشر، تقول: بعد عن الشر، وبعد عن الخير، ومصدرها البعد، وأما بعد ففي الشر خاصة، يقال: بعد يبعد بعداً، ومنه قولهم: أبعد الله، فهو منقول من بعد؛ لأنه دعاء عليه، فهو من بعد الموضوع للشر. ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 327)، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، (4/ 267).

(3) أراد المؤلف هنا أن يرد على كلام البيضاوي حيث قال البيضاوي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بالتوراة، أو المعجزات. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 147).

(4) سقط من الأصل، وفي نسخة (ش): المرو، وفي نسخة (ض): والمورود.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [هود: 99]

أي: يلعنون في الدارين. ﴿يُبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: 99] الرِّفْدُ: العَوْنُ، والمَرْفُودُ: المُعَانُ. وقيل: الرِّفْدُ: العَطَاءُ، والمَرْفُودُ: المُعْطَى. والمخصوص⁽¹⁾ بالذم محذوف، أي: ببس الرِّفْدُ المرفود رِفْدَهُمْ.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى﴾ [هود: 100]

مبتدأ وخبر، و(ذلك) إشارة إلى النبأ المذكور. ﴿نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: 100] خبرٌ بعد خبرٍ. ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: 100] الضمير للفرى، أي: بعضها باقٍ كالزَّرْعِ القائم، وبعضها غير باقٍ كالزَّرْعِ المحصود. والجملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب. ولا يجوز أن يكون حالاً عن ضمير ﴿نَقْصُهُ﴾؛ لعدم اشتمالها على الرابطة.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: 101]

بكسب أسباب الهلاك. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: 101] من بأسِ الله. و﴿يَدْعُونَ﴾ حكاية حالٍ ماضية. ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: 101] حين جاء عذابه ونقمته. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: 101] غير تخسير، يقال: (تَبَّ) إذا خَسِرَ وَتَبَّهَ غيره؛ أَوْقَعَهُ في⁽²⁾ الخُسْرَانِ، كذا في الكشف⁽³⁾.

(1) في نسخة (ض): والمحذوف.

(2) في نسخة (غ): أوجعه من.

(3) الزمخشري، الكشف، (2/ 427).

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ [هود: 102]

الكاف في محلِّ الرِّفْعِ على الابتداء، وفي محلِّ النَّصْبِ في قراءة مَنْ قرأ (أَخَذَ)⁽¹⁾ بلفظِ الفِعْلِ. وقرئ (إِذْ)⁽²⁾ على قَصْدِ⁽³⁾ الْمُضِيِّ⁽⁴⁾. ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ [هود: 102] حال⁽⁵⁾ من القرى؛ لأنها واقعةٌ موقعَ المضافِ المحذوفِ،⁽⁶⁾ تقديره: إذا⁽⁷⁾ أَخَذَ أَهْلُ الْقُرَى. ﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102] تعليلٌ للتَّمثِيلِ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: 103]

(ذلك) إشارة إلى ما ذكر من قَصَصِ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ. والآية: العبرة والعظة. وإنما قال: ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾؛ لأنَّ مَنْ لا يخافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ - كَالْمُنْكَرِينَ لِلْحَشْرِ - فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا أَمْثَالَ تِلْكَ الْوَقَائِعِ مُنْتَسِبَةً إِلَى سَبَابِ فَلَكَيَّةٍ، فلا عبرة له في ذلك. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ [هود: 103] (ذَلِكَ) إشارة إلى يوم القيامة؛ لأنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ يدلُّ عليه، أي: يومٌ يُجْمَعُ لِلْحِسَابِ الْوَقَعِ فِيهِ النَّاسُ. واختير اسمُ المفعولِ لقَصْدِ الثَّبَاتِ، والإشعارِ بَأَنَّهُ أَمْرٌ لَازِمٌ لا مَفَرَّ عَنْهُ. ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: 103] أي: مشهودٌ فيه؛⁽⁸⁾ على إِجْرَاءِ الظَّرْفِ مجرى المفعولِ به، اتِّسَاعاً، يعني: يَشْهَدُ فِيهِ الْخَلَائِقُ الْمَوْقِفَ لا يَغِيبُ عَنْهُ أَحَدٌ. والمرادُ بِالْمَشْهُودِ: الَّذِي كَثُرَ شَاهِدُوهُ. ومنه قولهم: لفلانٍ⁽⁹⁾ مجلسٌ مشهودٌ، وطعامٌ

(1) قراءة شاذة: ("أخذ" الأولى في الآية): نسبها ابن خالويه إلى الجحدري، وإسماعيل عن نافع. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 65-66).

(2) في نسخة (غ): أدخل. قراءة شاذة: قرأ جميع القراء العشرة ﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ بألف بعد الذال على ما رسم في كل المصاحف، إلا بعض الرواة كالبرمكي عن أبي عمر وإسماعيل عن نافع، وخارجة عن أبي عمرو (إِذْ أَخَذَ الْقُرَى) بغير ألف، وتعتبر هذه القراءة شاذة لمخالفتها قراءة الجماعة. ينظر: الداني (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، (3/ 1208).

(3) في نسخة (ض): أخذ.

(4) في نسخة (ض): المعنى.

(5) في نسخة (غ): قال.

(6) في نسخة (ش): محذوف.

(7) في نسخ (الأصل، ش، ض): إذ.

(8) في نسخة (ش): منه.

(9) سقط من نسخة (م).

محضور، كذا في الكشاف⁽¹⁾. ولم يجعل اليوم مشهوداً في نفسه ههنا وإن جاز في موضع آخر⁽²⁾؛ لأن الغرض تعظيم اليوم، لا تعظيمه⁽³⁾ في⁽⁴⁾ كونه مشهوداً في⁽⁵⁾ نفسه؛ لأن الأيَّام كلها كذلك.

﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعْدُودٍ﴾ [هود: 104]

الضمير لليوم المذكور. والأجل يُطلق إلى مدّة التأجيل كلها، وعلى منتهائها. وإنما يوصف بالمعدود معنى الأول دون الثاني. فلا بدّ من ارتكاب حذف تقديره: إلا لانتهاء مدّة معدودة.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: 105]

الظاهر أنّ فاعل ﴿يَأْتِ﴾ ضمير اليوم، وهو من قبيل تحديد الشيء بنفسه؛ لأنّ اليوم جعل وقتاً لإتيان اليوم. قال صاحب الكشاف في توجيهه: "والمراد إتيان هؤله وشدائده".⁽⁶⁾ قال البيضاوي: "على أنّ ﴿يَوْمَ﴾ بمعنى حين".⁽⁷⁾ ومقصوده إثبات المغايرة بين اليّومين. ويجوز أن يكون الفاعل ضمير (الله) كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 210] ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158]، أو ضمير (الجزاء) المفهوم من السياق، وحذف من باب الاكتفاء بالكسرة نحو: لا أدري. وقرأ بالياء⁽⁸⁾ على الأصل.⁽⁹⁾ ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105] أصله: لا تتكلّم. قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: كيف يوفّق بين هذا وبين قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: 111] وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35-36]؟ قلت: ذلك يوم طويل له مواقف

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 428).

(2) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(3) في جميع النسخ: تعظيم، وأثبت (تعظيمه) لأنه أصح.

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في نسخة (غ): من.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 429).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 148).

(8) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب (يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ) بإثبات الياء. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وخلف (يَوْمَ يَأْتِ) بحذف الياء. وأثبتها ابن كثير في الخالين، ونافع وأبو عمرو والكسائي في الوصل، ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 338)، والنيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 241-242)، والداني (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 127).

(9) سقط من نسخة (غ).

ومواطنٌ. ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم، وفي بعضها يَكْفُون عن الكلام فلا يُؤذن لهم، [وفي بعضها يُؤذَن لهم]⁽¹⁾ فيتكلّمون، وفي بعضها: يُخَنَّم على أفواههم وتتكلّم⁽²⁾ أيديهم وتَشْهَدُ أرجلهم.⁽³⁾ قال البيضاوي: "أو المأذونُ فيه: الجواباتُ الحقّة، والممنوعُ عنه: الأعذارُ⁽⁴⁾ الباطلة".⁽⁵⁾ وأنت تعلم أنّه غير حاسمٍ لمادة الشبهة؛ لأنّ قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: 111] يدلّ على أنّ كلّ نفسٍ تتكلّم، ومعلومٌ أنّ بعضَ الأنفسِ الكافرة ليس له جوابٌ حقٌّ؛⁽⁶⁾ ليجادل به، فلا يفيد توجيّهه. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105] الشقيّ: الذي وَجِبَتْ له النارُ لإساءته، والسعيدُ: الذي وَجِبَتْ له الجنةُ لإحسانه؛ هذا على رأي المعتزلة.⁽⁷⁾ وعند الأشاعرة؛ الشقيّ: من وَجِبَتْ له النارُ بمقتضى الوعيد، والسعيدُ: من وَجِبَتْ له الجنةُ بموجبِ الوعد.⁽⁸⁾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106] الزفيرُ: إخراجُ النَّفْسِ، والشَّهيقُ: رُدهُ. والمقصودُ من إثباتهما لهم: إثباتُ الاضطرابِ، ونفيُ الراحةِ عنهم بالكلية. وقرئ (شَقُّوا) بالضمّ⁽⁹⁾ على وَفْقِ ﴿سُعِدُوا﴾.⁽¹⁰⁾

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش). ينظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، (2/ 429).

(2) في جميع النسخ: تكلم، وأثبت (تتكلم) لأنه أصح، وكذا في الكشاف، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 429).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 429).

(4) في نسخة (م): الأعداء.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 149).

(6) في نسخة (ض): حقي.

(7) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 429)، والمعتق، عواد بن عبد الله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ - 1995م، (198).

(8) ينظر: الأشعري، أبو موسى (المتوفى: 324هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، (ص: 225-233)، وصدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى - 1418 هـ، (ص: 224).

(9) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه، والزمخشري، وأبو حيان إلى الحسن، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 66)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 213)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 430).

(10) في نسختي (الأصل، م): تبعدوا.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: 107]

أُثْبِتَ التَّائِيدَ بَعْدَ نِكْرِ الْخُلُودِ [لِلتَّكْيِيدِ؛ لئلا يُتَوَهَّم أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الْخُلُودِ⁽¹⁾ الْمُكْتُ الطَّوِيلُ. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ عبارة شائعة في التَّائِيدِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَأْيِيدُهُمَا لِيَكُونَ مُنَافِيًا لِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48]. وَجَوَّزَ صَاحِبُ الْكَشَافِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ سَمَاوَاتِ الْآخِرَةِ وَأَرْضِهَا، وَهِيَ دَائِمَةٌ مَخْلُوقَةٌ لِلْأَبَدِ.⁽²⁾ قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ بِمَا لَا يَعْرِفُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَجُودَهُ وَدَوَامَهُ. وَمَنْ عَرَفَهُ فَإِنَّمَا [يَعْرِفُهُ بِمَا]⁽³⁾ يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَلَا يُجْدِي لَهُ التَّشْبِيهُ."⁽⁴⁾ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 107] اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ. وَهُوَ بَظَاهِرِهِ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ خُرُوجِ أَهْلِ جَهَنَّمَ مِنْهَا، كَمَا هُوَ رَأْيُ الْأَشَاعِرَةِ؛ مِنْ أَنَّ عَصَاةَ⁽⁵⁾ الْمُؤْمِنِينَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا الْبَتَّةَ. وَعِنْدَ الْمَعْتَزِلَةِ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَا يُخْلَدُونَ فِي عَذَابِ النَّارِ وَحْدَهُ، بَلْ يُعَذَّبُونَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ⁽⁶⁾ لَا يُخْلَدُونَ فِي⁽⁷⁾ عَذَابِ النَّارِ وَحْدَهُ، بَلْ يُعَذَّبُونَ بِالزَّمْهِيرِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ سِوَى عَذَابِ النَّارِ وَبِمَا⁽⁸⁾ هُوَ أَغْلَظُ مِنْهَا كُلِّهَا. وَهُوَ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَخَسْؤُهُ لَهُمْ، وَإِهَانَتُهُ إِيَّاهُمْ."⁽⁹⁾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] تَعْلِيلٌ لِسَابِقِهِ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ

مَجْدُودٍ﴾ [هود: 108]

غَيْرِ مَقْطُوعٍ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ خُرُوجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهَا. فَالِاسْتِثْنَاءُ هَهُنَا لَيْسَ عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي الْأَوَّلِ، عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ،⁽¹⁰⁾ بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ بِمَا هُوَ أَعْلَى مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ؛ كَالِاتِّصَالِ

(1) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(2) يَنْظُرُ: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 430).

(3) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 149).

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): حِصَاة.

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): مِنْ.

(8) فِي نَسْخِ (الْأَصْلِ، م، ش): بِمَا. يَنْظُرُ أَيْضًا: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 430).

(9) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 430).

(10) يَنْظُرُ: الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، (9/ 99).

بجنابِ القُدس، والفوزِ برضوانِ الله تعالى ولقائه. ولا يَلَزُمُ من ذلك الخروجُ من الجَنَّةِ كما يَلَزُمُ من الاستثناءِ الأولِ الخروجُ من النارِ، على ما هو الظاهرُ منها. ولَمَّا كان الظاهرُ المتبادرُ أن يُفسَّرَ أحدُ الاستثناءينِ على وَفْقِ الآخرِ؛ قال في عصاةِ المؤمنين -فهم المرادُ بالاستثناءِ الثاني- فإنَّهم مفارقون عن الجَنَّةِ أيامَ عذابهم، فإن التَّأْيِيدَ من مَبْدَأٍ مَعْيِنٍ يَنْتَقِصُ باعتبارِ الابتداءِ، كما يَنْتَقِصُ باعتبارِ الانتهاءِ. ولا يخفى أن هذا التَّوجِيهَ غيرُ (1) محتاجٍ إليه؛ لأنَّ (2) ضَمَّ قولِهِ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ إلى الاستثناءِ الثاني، وضَمَّ قولِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] إلى الاستثناءِ الأولِ، قرينةٌ واضحةٌ للمقصودِ. وتفسيرُ أحدِ الاستثناءينِ على نَهْجِ الآخرِ إِنَّمَا يَلَزُمُ لو لم يَكُنِ المقصودُ واضحاً، مع أن تفسيرَ (3) الاستثناءِ الأولِ على نَهْجِ الاستثناءِ الثاني غيرُ ممتنعٍ عندَ الأشاعرةِ أيضاً، فَتَدَبَّرْ. وَفُرِئ (سَعْدُوا) (4) بالفتحِ على وَفْقِ ﴿شَقُّوا﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ [هود: 109]

إشارةٌ إلى المشركين. و(ما) مصدريةٌ، ويحتملُ الموصولُ، بحذفِ العائدِ. ﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [هود: 109] استئنافٌ؛ لبيانِ علَّةِ النَّهْيِ عن المِرْيَةِ. و(كَمَا) في موضعِ المصدرِ إن كان (ما) مصدريةً. وفي موضعِ المفعولِ بهِ إن كانت موصولةً. والمقصودُ تسليَةُ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ووَعْدٌ له بالانتقامِ منهم، ووَعِيدٌ لهم بِمِثْلِ ما لَحِقَ (5) آبَاءَهُمْ. ﴿وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود: 109] نصيبُهُمْ ما قُدِّرَ من العذابِ لهم. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ: نصيبُهُمْ من الرِّزْقِ، ويكونَ المقصودُ: بيانُ عُدْرِ تَأَخُّرِ العذابِ عنهم. و﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حالٌ من ﴿نَصِيبُهُمْ﴾. وإنَّما يجوزُ التَّقْيِيدُ بهِ؛ لأنَّ التَّوْفِيقَةَ قد يتعلَّقُ ببعضِ البعضِ، كما يُقال: وَفِيقُهُ (6) ثَلُثُ حَقِّهِ أو بعضُ حَقِّهِ، ونحوهما.

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في نسخة (غ): لا.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): يفسر.

(4) قراءة متواترة: قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ﴾ [هود: 108] بضم السين. وقرأ الباقون (سَعِدُوا) بفتح السين. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 339)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 242).

(5) في نسخة (م): ألحق.

(6) في نسخ (الأصل، م، ش): وفيت.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود: 110]

إخبار عن اختلاف قوم موسى في التّوراة؛ تسليّة للرّسول عليه الصّلاة والسّلام في اختلاف قومه في القرآن. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [هود: 110] الكلمة: كلمة إنظارهم إلى يوم القيامة، وعدم التعجيل في عقوبتهم. وضمير ﴿بَيْنَهُمْ﴾ للمختلّفين،⁽¹⁾ المفهوم [من الكلام].⁽²⁾ ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: 110] يجوز أن يكون ضمير ﴿أَنَّهُمْ﴾ أيضاً للمختلّفين،⁽³⁾ ويكون ضمير ﴿مِنْهُ﴾ لما اختلف⁽⁴⁾ فيه من مطلق الكتاب. لكنّ البيضاوي خصّصهما حيث قال: "وإنّ كفار قومك لفي شك من القرآن."⁽⁵⁾ و﴿مُرِيبٍ﴾ صفة لـ﴿شَكٍّ﴾، والمقصود: المبالغة في وقوع الشك.

﴿وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤْفِقِينَ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: 111]

﴿كُلًّا﴾ نصب على اسم (إن)، والتّوئين فيه عوّض عن المضاف إليه، والضمير في ﴿لَيُؤْفِقِينَ﴾ راجع إليه باعتبار المعنى. و(الكل) بمعنى الجميع، كما أشار إليه صاحب الكشاف، حيث قال: "وإنّ جميع المختلّفين فيه ليؤفّقهم."⁽⁶⁾ ويجوز أن يكون إفرادياً كما قال البيضاوي: "وإنّ كلّ المؤمنين منهم والكافرين."⁽⁷⁾ وقرأ (إن) بالتخفيف مع الإعمال. واللام في ﴿لَمَّا﴾ توطئة القسم. و(ما) موصولة، على أنّه في الأصل: لمنّ ما، فقلبت النون ميماً للإدغام، فأجتمعت ثلاث ميّات فحذفت أولاهنّ.

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): للمتخلفين.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(3) في نسختي (م، ش): للمتخلفين.

(4) في نسختي (الأصل، م): اختلفت.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 150).

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 432).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 150).

(8) قراءة متواترة: قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بإسكان النون مخففة، وقرأ الباقون بتشديد ها. ابن الجزري، (المتوفى: 833

هـ)، النشر في القراءات العشر، (290/2-291)، وتحرير التيسير في القراءات العشر، (ص: 408)، والقاضي (المتوفى:

1403هـ)، البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 159).

والمعنى: لِمَنِ الَّذِينَ يُؤْفِقُهُمْ⁽¹⁾ رَبُّكَ جزاء أعمالهم. واللَّامُ الثَّانِيَةُ مزيدٌ للتأكيد. وُقِرَّ (لَمَّا)⁽²⁾ بالتخفيف على أَنَّ (ما) مزيدةٌ بين اللَّامَيْنِ لِلْفَصْلِ. ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: 111] تعليلٌ لسابقه؛ فيه وعدٌ ووعيدٌ للفريقَيْنِ.

﴿فَاسْتَقَمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112]

أي: استقامةٌ مثَلُ الاستقامةِ التي أُمِرَتْ بها. والاستقامةُ: التَّوسُّطُ بين الإفراطِ والتفريطِ في كلِّ شيءٍ، وهي في غايةِ العُسْرِ. لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «شَيْبَتْنِي سُوْرَةُ هُوْدٍ».⁽³⁾ وَسِرُّهُ: أَنَّ الأَمْرَ قد

(1) في نسخة (غ): توفتهم.

(2) قراءة متواترة: قَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَتِي أَبِي بَكْرٍ وَخُفْصٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَحَمْرَةَ، وَابْنُ غَامِرٍ (لَمَّا) مُشَدَّدةً، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، أَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ وَيَعْقُوبٌ (لَمَّا) مَخْفَفةً. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 340)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 242)، وابن الجزري، (المتوفى: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، (ص: 408).

(3) روي هذا الحديث من طرق مختلفة، وبزيادات تختلف من رواية إلى أخرى، فقد رواه الطبراني في الكبير (17/ 286) بلفظ «شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا» عن عقبة بن عامر وعن أَبِي جُحَيْفَةَ، وقال السيوطي وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. ورواه الطبراني أيضا في الكبير المعجم (6/ 148) عن سهل بن سعد بلفظ (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا: الْوَاقِعَةُ، وَالْحَاقَّةُ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، ورواه الترمذي في سننه (5/ 402) في باب (ومن سورة الواقعة)، برقم (3297)، وقال عنه: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، نَحْوَ هَذَا، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مُيَسَّرَةَ، شَيْءٌ مِنْ هَذَا مُرْسَلًا"، والحاكم في المستدرک (2/ 374) في تفسير سورة هود، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ. ورواه ابن مردويه عن عامر بن سَعْدٍ بلفظ (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، وقال عنه السيوطي: وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي التَّبَعِثِ وَالنَّشُورِ مِنْ طَرِيقٍ عَكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ورواه ابن مردويه عن أبي بكر رضي الله عنه بلفظ (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا قَبْلَ الْمَشِيبِ). ووصفه الدارقطني بالاضطراب حيث قال: هَذَا مُضْطَرَبٌ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَوْ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِيهِ عَلَى نَحْوِ عَشْرَةِ أَجْزَاءٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ مُرْسَلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ مُؤَصَّوْلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ مُسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ مُسْنَدِ سَعْدٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ مُسْنَدِ عَائِشَةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَرَوَاتُهُ ثَقَاتٌ لَا يُمَكِّنُ تَرْجِيحُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالْجَمْعُ مُتَعَدِّرٌ. وقال البوصيري (المتوفى: 840هـ) عن رواية (شَيْبَتْنِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ...) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَائِلِ، رَوَاتُهُ ثَقَاتٌ. وروى ابن حجر في المطالب العالية عن عَكْرَمَةَ، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا شَيْبَتَكَ؟ فَقَالَ: شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وقال: هَذَا مُرْسَلٌ صَحِيحٌ إِلَّا أَنَّهُ مُؤَصَّوْفٌ بِالِاضْطِرَابِ. وعلى ما تقدّم، هذا حديث مرسل صحيح؛ إلا أنه موصوف بالاضطراب، كما صرح عليه ابن حجر والله تعالى أعلم. ينظر: الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المعجم الكبير (17/ 286)، والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (458)

يتخلف عن المراد - كما هو رأي أهل الحق والتحقيق - ومعلوم أن الاستقامة في نحو هذا الأمر مُتَعَذَّرٌ، والعبدُ مأمورٌ بها في جميع الأمور. فَأَخْبَرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عن صعوبة هذا الأمر بقوله: «شَيْبَتْنِي سُرَةُ هُودٍ». ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: 112] عطفٌ على المرفوع المُسْتَكَنِّ في ﴿اسْتَقِمَّ﴾ [ولم يُؤَكِّدْ لمكان الفاصل، معناه: استقم⁽¹⁾] أنتَ وَلَيْسَتْ قِمَمٌ مَنْ آمَنَ مَعَكَ. وَضَعُ ﴿مَنْ تَابَ﴾ موضعَ "مَنْ آمَنَ"؛ لَأَنَّ الإِيْمَانَ لَا يَتَحَقَّقُ بِدُونِ التَّوْبَةِ عَنِ الشَّرِكِ. ﴿وَلَا تَطْعَوُا﴾ [هود: 112] الطُّغْيَانُ: الخُرُوجُ عَنِ الْحُدُودِ، وَهُوَ ضِدُّ⁽²⁾ الاستقامة. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112] تعليلٌ لسابقه.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: 113]

الرَّكَونُ: هو الميلُ اليسيرُ، نحو: التَّزَيُّي⁽³⁾ بِرِيْهِمْ، وَذِكْرُهُمْ⁽⁴⁾ تعظيماً. ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113] نصبٌ بتقدير (أن) بعد الفاء، وتدلُّ على سببية الركون إلى من وُجد منه ظلمٌ لِمَسِّ النَّارِ، أَعَادَنَا اللهُ مِنَ الْمَيْلِ النَّامِ⁽⁵⁾ إلى الراسخين في الظلم. وفي الكشف: "وقال سفيان: ⁽⁶⁾ في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الرَّاثِرُونَ للملوك. وعن الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزورُ عاملاً. وعن محمد بن

هـ)، البعث والنشور، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1436 هـ، (ص: 251)، والنيسابوري (المتوفى: 405 هـ)، المستدرك على الصحيحين (2/ 374)، وابن مردويه، أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني (المتوفى: 498 هـ)، جزء فيه أحاديث ابن حبان، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1414، (ص: 151)، والبوصيري، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر (المتوفى: 840 هـ)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، (6/ 220)، والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852 هـ)، المطالب العالِيَةُ بِزَوَائِدِ الْمَسَانِيدِ الثَّمَانِيَةِ، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (14/ 723)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911 هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، (1/ 312)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، (4/ 397).

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(2) في نسختي (ش، غ): صد.

(3) في نسخة (غ): التزين.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): ذكر.

(5) في نسخة (م): الشام.

(6) في نسخة (غ): سنين.

مَسْلَمَةَ: "الدُّبَابُ عَلَى (1) الْعِزَّةِ، أَحْسَنُ مِنْ قَارِيٍّ عَلَى بَابِ هَوْلَاءِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى (2) اللَّهُ فِي أَرْضِهِ» (3). وَلَقَدْ سَأَلَ سَفِيَّانٌ عَنْ (4) ظَالِمٍ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ فِي بَرِّيَّةٍ؛ هَلْ يُسْقَى شَرْبَةً مَاءٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقِيلَ لَهُ: يَمُوتُ؟ فَقَالَ: دَعَا يَمُوتُ، (5) انْتَهَى. قَالَ الْبَيْضاوي: "وَلَعَلَّ الْآيَةَ أُنْبِغُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي النَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ، وَالتَّهْدِيدِ عَلَيْهِ. (6) «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ» [هود: 113] الْوَلَوُ لِلْحَالِ، وَ(ثُمَّ) لِلْإِسْتِغَادِ، يَعْنِي: أَنَّ النُّصْرَةَ مِنَ اللَّهِ مُسْتَبْعَدَةٌ مَعَ اسْتِجَابِهِمْ (7) الْعَذَابِ، وَاقْتِضَاءِ حُكْمِهِ (8) لَهُ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [هود: 114]

النَّهَارُ: زَمَانٌ مَعْلُومٌ بِحَسَبِ اللَّغَةِ وَالْعُرْفِ. ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ؛ عَلَى إِعْطَاءِ الْمُضَافِ حُكْمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. وَالْمَرَادُ مِنْ [طَرَفِي النَّهَارِ: الْغُدُوَّةُ وَالْعِشْيَةُ]، (9) وَصَلَاةُ الْغَدَاةِ: صَلَاةُ الصُّبْحِ؛ لِأَنَّهَا

(1) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(2) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): يعص، وفي نسخة (ض): يعص.

(3) قال الزيلعي (المتوفى: 762هـ) في تخریج أحاديث الكشاف: "غَرِيبٌ مَرْفُوعٌ وَذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ كَذَلِكَ مَرْفُوعًا فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ، وَلَمْ نَجِدْهُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ فِي الْبَابِ السَّادِسِ وَالْمِثْنَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الرُّقِيِّ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ سَمِعَتْ الْحَسَنَ يَقُولُ: مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". الْبَيْهَقِيُّ (المتوفى: 458هـ)، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى الْخُسْرُوْجَرْدِيِّ الْخِرَاسَانِيِّ، أَبُو بَكْرٍ، شُعَبُ الْإِيمَانِ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الْعَلِيِّ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَامِدٍ، مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ بِالرِّيَاضِ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى، 1423 هـ - 2003 م، (42/12).

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ مِنْ قَوْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، أَبُو نَعِيمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ مَهْرَانَ الْأَصْبَهَانِيِّ (المتوفى: 430هـ)، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الْأَصْفِيَاءِ، دَارُ السَّعَادَةِ - بَجَوَارِ مَحَافِظَةِ مِصْرَ، 1394 هـ - 1974 م، (7/46)، وَذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، الْغَزَالِيُّ، أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ (المتوفى: 505هـ)، إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - بَيْرُوتَ، (2/87، 144 و 160/3).

(4) في جميع النسخ: من، وأثبت (عن) لأنه أصح.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/434).

(6) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/151).

(7) في نسخة (م): استجابهم.

(8) في نسخة (م): حكمة.

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

أَقْرَبُ الصَّلَواتِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، كَذَا قَالَ الْبَيْضاوي. ⁽¹⁾ فعلى هذا يجوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ [صَلَاةِ الْعِشْيَةِ] ⁽²⁾ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهَا بِهَا. ⁽³⁾ وَصَلَاةُ الْعِشْيَةِ الْعَصْرُ كَمَا قَالَ الْبَيْضاوي. ⁽⁴⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَصَلَاةُ الْعِشْيَةِ: الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ عِشْيٌ". ⁽⁵⁾ وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ ⁽⁶⁾ مِنَ التَّعْمِيمِ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ (الْعِشْيَةِ) بِحَسَبِ الِاسْتِعْمَالِ التَّعْمِيمِ فِي لَفْظِ طَرَفِ النَّهَارِ، إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ تَرَادُفُهُمَا، وَهُوَ مَمْنُوعٌ؛ ⁽⁷⁾ لِأَنَّ (الْعِشْيَةَ) يُطْلَقُ عَلَى وَقْتِ ⁽⁸⁾ الْعِشَاءِ، ⁽⁹⁾ وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ طَرَفُ النَّهَارِ. ﴿وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114] (مِنْ) لِلتَّبْعِيضِ، وَ﴿زُلْفَا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْوَصْفِ لِلطَّرَفِ، وَمَعْنَاهُ: وَسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَرِيبَةً ⁽¹⁰⁾ مِنَ النَّهَارِ؛ مِنْ أَرْزَلَهُ إِذَا قَرَّبَهُ، وَهُوَ جَمْعُ زُلْفَةٍ، كَظُلْمٍ وَظُلْمَةٍ. وَقُرِئَ

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 151).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(3) أخرجه الطبري من طريق: المثني، عن أبي صالح، به بنحوه (بلفظ: صلاة الغداة وصلاة المغرب) وهو المختار عند الطبري، وابن أبي حاتم في تفسيره بنحوه، وذكره الثعلبي، والبغوي، والسيوطي عن ابن عباس بلفظه. ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 502-503)، والرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، (9/ 284)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 193)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 204)، والسيوطي (المتوفى: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (4/ 481).

(4) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 151).

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 434).

(6) في نسخة (م): يلائم.

(7) في نسخة (ش): ممكن، وفي نسخة (غ): مم.

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): لفظ.

(9) سقط من نسخة (غ).

(10) في نسخة (غ): قرينة.

(وَزُلْفًا)⁽¹⁾ [بِضْمَتَيْنِ، (وَزُلْفًا)⁽²⁾ بالسَّكُونِ نَحْوُ: (بُسْرٍ) و(بُسْرٍ) فِي بُسْرَةٍ. وَقُرِئَ (وَزُلْفَى)⁽³⁾]⁽⁴⁾ بِمَعْنَى زُلْفَةٍ، كَقُرِئَ بِمَعْنَى قَرِيَةٍ. وَ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْوَصْفِ لـ﴿زُلْفًا﴾.

وَفِي الْكَشَافِ: "وَقِيلَ: وَزُلْفًا⁽⁵⁾ مِنَ اللَّيْلِ؛ [وَقُرْبًا⁽⁶⁾ مِنَ اللَّيْلِ]،⁽⁷⁾ وَحَقُّهَا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ أَنْ تُعْطَفَ عَلَى الصَّلَاةِ، أَيْ: أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَأَقِمِ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ عَلَى مَعْنَى: وَأَقِمِ صَلَوَاتٍ تَتَقَرَّبُ⁽⁸⁾ بِهَا⁽⁹⁾ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ"⁽¹⁰⁾ انْتَهَى. وَحِينَئِذٍ⁽¹¹⁾ يَكُونُ ﴿زُلْفًا﴾ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ بِهِ، وَ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِ، مِثْلَ انْتِصَابِ ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: بَعْضُ اللَّيْلِ. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ﴾ [هُود: 114] أَيْ: يُكَفِّرُنَهَا،⁽¹²⁾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

(1) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَحْدَهُ (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) بِضَمِّ اللَّامِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَزُلْفًا) بِفَتْحِ اللَّامِ. وَهِيَ قِرَاءَةُ طَلْحَةَ وَشَيْبَةَ وَعِيسَى بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَرَوَايَةُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ وَمَخْبُوبِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي عُمَرَ. ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاذِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 66)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381 هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 242)، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ، (الْمُتَوَفَى: 833 هـ)، النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (2/ 291-292)، وَتَحْبِيرُ التَّيْسِيرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 409).

(2) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ: (وَزُلْفًا) بِضَمِّ الزَّايِ سَاكِنَةِ اللَّامِ، نَسَبَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ إِلَى الْحَسَنِ وَابْنُ مُحِيسِنٍ وَالْيَمَانِيُّ، وَابْنُ جَنِّيٍّ إِلَى ابْنِ مُحِيسِنٍ وَمَجَاهِدٍ. ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاذِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 66)، وَابْنُ جَنِّيٍّ (الْمُتَوَفَى: 392 هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَاذِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 330).

(3) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ: (زُلْفَى) بِالْإِمَالَةِ نَسَبَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ) وَالثَّعْلَبِيُّ (الْمُتَوَفَى: 427 هـ) إِلَى مَجَاهِدٍ. ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاذِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 66)، الثَّعْلَبِيُّ (الْمُتَوَفَى: 427 هـ)، الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 193)، وَمَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَمَّوْشُ بْنُ مُحَمَّدٍ (الْمُتَوَفَى: 437 هـ)، الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ، تَحْقِيقٌ: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ بِإِشْرَافِ الشَّاهِدِ الْبُوشَيْخِيِّ، مَجْمُوعَةٌ بِحُوثِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - كَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدراسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - جَامِعَةُ الشَّارِقَةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1429 هـ - 2008 م، (5/ 3480).

(4) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): وَزُلْفَى.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): وَقُرْبَى.

(7) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (م).

(8) فِي الْأَصْلِ: تَقَرَّبَ، وَفِي نَسْخَةِ (ش): يَتَقَرَّبُ. يَنْظُرُ أَيْضًا: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 435).

(9) فِي نَسْخَةِ (ض): مِنْهَا.

(10) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 435).

(11) وَرَدَ فِي نَسْخَةِ (غ) فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ "حِينَئِذٍ" بِرَمْزِ (ح) (وَفَوْقَهَا خَطٌّ).

(12) فِي نَسْخَةِ (م): يَكْفِّرُ بِهَا، وَفِي نَسْخَةِ (ش): يَكْفُرُونَهَا.

تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت: 45] ويؤيد الأول ما قيل في سبب النزول: إنها نزلت في أنصاري كان يبيع التمر، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ، فقال لها: إِنَّ فِي الْبَيْتِ أَجُودَ مِنْ هَذَا التَّمْرِ، فذهب بها إِلَى بَيْتِهِ فَصَمَّمَهَا إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَهَا، فقالت له: إِنَّتِ اللَّهَ، فَتَرَكَهَا وَنَدِمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأخبره بما فعل، فقال: «إِنْتَظِرْ أَمْرَ رَبِّي»، فَلَمَّا صَلَّى صَلَاةَ الْعَصْرِ نَزَلَتْ، فقال: «إِذْهَبْ فَإِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا عَمِلْتَ»،⁽¹⁾ كذا في الكشف.⁽²⁾ وفي الحديث: «إِنَّ الصَّلَاةَ إِلَى الصَّلَاةِ كَفَّارَةٌ مَا بَيْنَهُمَا مَا اجْتَنِبْتَ

(1) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي في كتاب التفسير في باب: ومن سورة هود (الرقم: 3115) والنسائي في السنن الكبرى، والطبراني في المعجم الكبير، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، والطبري في جامع البيان. ينظر: الترمذي، (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، (5/ 292)، والنسائي (المتوفى: 303هـ) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، (10/ 131)، والطبراني (المتوفى: 360هـ) المعجم الكبير (19/ 165)، والمروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: 294هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1406، (1/ 145-156)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 523-524).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. والذي في تحفة الأشراف للمزي: حسن غريب، المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (المتوفى: 742هـ)، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م، (8/ 307). وقد جاءت أحاديث بمعنى هذا الحديث منها:

1- ما أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله أقم الصلاة طرفي النهار، البخاري، صحيح البخاري، (6/ 75). ومسلم في كتاب التوبة من حديث ابن مسعود بمعناه، صحيح مسلم، (4/ 2115).

2- وما أخرجه أحمد في "مسنده" من حديث ابن عباس (الرقم: 2206)، تعليق المحقق عليه: صحيح لغيره. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م، (4/ 83).

(2) الزمخشري، الكشف، (2/ 435).

الْكَبَائِرُ»⁽¹⁾ كذا في تفسير البيضاوي⁽²⁾ والكشاف⁽³⁾. ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود: 114] عِظَةً للمتَّعِظِينَ، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر قَبْلَهُ من العِظَةِ. وقيل: إلى القرآن.

﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115] فيه دليل على أَنَّ الصَّبْرَ على الطَّاعَاتِ وعن المعاصي⁽⁴⁾ إحسانٌ، وأجرُهُ ثابتٌ عندَ الله.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: 116]

فَهَلَّا كَانَ مِنَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ أُولُو بَقِيَّةٍ. البَقِيَّةُ: الفضلُ والخيرُ. وَسُمِّيَ الفضلُ والجودُ بَقِيَّةً؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسْتَبْقِي مِمَّا يُخْرِجُهُ أَجودَهُ وأفضلَهُ، فَصارَ مثلاً في الجودَةِ والفضلِ. ويُقال: فلانٌ من بَقِيَّةِ الْقَوْمِ، أي: من خِيَارِهِمْ،⁽⁵⁾ كذا في الكشاف. وقُرئ (بَقِيَّةً)⁽⁶⁾ بِوَزْنِ لُقْيَةٍ؛ من بَقَاهُ يُبْقِيهِ إِذَا رَاقَبَهُ وَانْتَضَرَّهُ، يعني: فَهَلَّا كانَ منهم أُولُو مَراقَبَةٍ وخَشْيَةٍ من انتقامِ الله. ويجوزُ أن تكونَ البَقِيَّةُ مصدرًا بمعنى البَقْوَى،⁽⁷⁾ [كالتَقِيَّةِ

(1) حديث صحيح: قال الزيلعي (المتوفى: 762هـ): هُوَ فِي مُسْلِمٍ [صحيح مسلم، (1/ 209)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ» انْتَهَى، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَوَّلَ الصَّلَاةِ وَفِي الْجَمْعِ لَعَبْدِ الْحَقِّ لَمْ يُخْرِجْهُ الْبُخَارِيُّ، وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، قَالَ صَحِيحٌ لَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً. الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى: 762هـ)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ، (2/ 151)، والإشبيلي، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن (المتوفى: 582هـ)، الجمع بين الصحيحين، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999 م، (1/ 197).

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه (الرقم: 8715)، وقال المحقق: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (14/ 333).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 151).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 435).

(4) في نسخة (م): العاصي.

(5) في نسخة (غ): ضارهم.

(6) قراءة شاذة: (بَقِيَّةً) بِضَمِّ الْبَاءِ وَسكونِ الْقَافِ، وتخفيف الياء على وَزْنِ (فُعْلَةٍ): نسبت إلى الهاشمي عن أبي جعفر، وابن أبي أويس عن نافع، وابن حماد عن شيبه. الهذلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 574)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 224).

(7) في نسخ (م، ش، غ): التقوى.

بمعنى التقوى،⁽¹⁾ [2] أي: فهلاً كان منهم ذؤو إبقاء⁽³⁾ على أنفسهم، وصيانة لها من سخط الله وعقابه. ويؤيده قراءة (تقية).⁽⁴⁾ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: 116] خبر (كَانَ)، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: 116] استثناء منقطع بمعنى: ولكن قليلاً ممن أنجينا⁽⁵⁾ من القرون نهُوا عن الفساد. و(من) في ﴿مِمَّنْ﴾ للتبيين. ويجوز جعل الاستثناء متصلاً باعتبار النفي اللازم للتخصيص، إلا أنه مما يختار فيه البدل، ونصبه غير مختار. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ﴾ [هود: 116] الإتراف: الإنعام، و(ما) عبارة عن الشهوات، أي: اتبع الذين تركوا النهي عن المنكرات، ولم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين؛ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا همهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التمتع⁽⁶⁾ من حب الرئاسة، والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك، كذا في الكشف.⁽⁷⁾ وهو من تنمة الاستثناء عطف على مضمير يفهم منه؛ لأن المعنى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: نهُوا⁽⁸⁾ عن الفساد، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، وهو رأي صاحب الكشف؛ لأنه هو الظاهر من العبارة. والبيضاوي جعله معطوفاً على ما قبل الاستثناء، حيث قال: "عطف"⁽⁹⁾ على مضمير دل عليه الكلام، إذ المعنى: فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا.⁽¹⁰⁾

ولا يخفى أنه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالأجنبيين بلا احتياج، مع أن مقتضاه بحسب الظاهر أن يقال: واتبعوا بإضمار الفاعل لسبق ذكره. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 116] يحتمل العطف

(1) في نسخة (ش): التقى.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): اتقاء.

(4) لم أجد هذه القراءة (تقية) من كتب القراءات والتفسير، لعله قصد قراءة (أولو بُقِيَّة) -التي سبق ذكرها آنفاً- بوزن لُفِيَّة؛ من بقاه يُبَقِّيهِ إذا رَاقَبَهُ.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): ألحقنا.

(6) في نسخة (م): النعم.

(7) الزمخشري، الكشف، (2/ 437).

(8) في نسخة (م): فنهوا.

(9) في تفسير البيضاوي: معطوف.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 152).

والاعتراض. وقُرئ (وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا)⁽¹⁾ [على البناء للمفعول من (الإفعال) على تقدير؛ وَأَتَّبِعُوا جزاء ما أَتَرَفُوا فيه. قال صاحبُ الكشاف: "قالوا للحوال، كأنه قيل: أَنْجَيْنَا القليلَ وقد اتَّبَعَ الذين ظَلَمُوا"]⁽²⁾ جزاءهم"⁽³⁾ انتهى. وكان منشأ عدم تجويزه العطف فوات المناسبة بين المتقابلين؛ لأنَّ الذين ظَلَمُوا - على رأيه - وَقَعَ⁽⁴⁾ في مقابل القليل الذين⁽⁵⁾ أَنْجَاهُمُ اللهُ. فالمناسبُ أن يُذكرَ في مقابلِ فِعْلِ النَّاجِينَ فعلُ الظَّالِمِينَ. وَجَعَلَهُمْ مُتَّبَعِينَ للجزاء ليس فِعْلُهُمْ. والبيضاوي أيضاً جَعَلَ الواو للحال مع أنَّ العطف - على رأيه - غيرُ ممتنع؛ إذ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم الذين لم يَنْهَوْا عن المنكر، ولا تَقَابَلَ بينهما حينئذٍ⁽⁶⁾ لِيَلْزَمَ رعايته التَّقَابُلَ في الفِعْلِ.⁽⁷⁾

(1) قراءة شاذة: (وَأَتَّبَعَ) بضم الهمزة، وإسكان التاء، وكسر الباء. وهي قراءة جعفر بن محمد والعلاء بن سَيَابَةَ، ورواه حسين الجعفي عن أبي عمرو. ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 331). **حسين الجعفي**: هو الحسين بن علي بن فتح الإمام الحبر أبو عبد الله، ويقال: أبو علي، الجعفي مولاهم الكوفي الزاهد، أحد الأعلام. قرأ على حمزة، وروى القراءة عن أبي بكر بن عياش وأبي عمرو بن العلاء. وقرأ عليه أيوب بن المتوكل، وروى عنه القراءة خلاد بن خالد وغيره، تُوفي في ذي القعدة سنة 203 عن أربع وثمانين سنة. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، (1/ 247).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 437).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): دفع.

(5) في نسخ (الأصل، م، ض، غ): الذي.

(6) في نسخة (غ): ح. أشير إلى هذه الكلمة في نسخة (غ) في جميع مواضعها برمز (ح).

(7) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 152).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ⁽¹⁾ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]

الباء للتلبس، والظرف في موقع الحال عن الفاعل، أي: ما صح له أن يهلك القرى ملتبساً بفعل يُسمى⁽²⁾ ظلماً لو صدر من العباد.⁽³⁾ ويجوز أن تكون⁽⁴⁾ الباء للسبب على معنى: بسبب شرك أهلها. والواو للحال، وإصلاحهم: رعاية الحقوق بينهم. ومنه قيل: الملك يبقَى مع الكُفر، ولا يبقَى مع الظلم.⁽⁵⁾

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: 118]

هي ملّة الإسلام، وهو بظاهره حُجّة على المعتزلة، حيث يدل على تخلف الأمر عن الإرادة؛ لأن⁽⁶⁾ أمر الناس كلهم بالإسلام ولم يتعلّق إرادته بإسلام الكل. ولذلك اضطرّ المعتزلة إلى⁽⁷⁾ تفسير المشيئة بمشيئة القسّر⁽⁸⁾ والاضطرار، كما أشار إليه صاحب الكشاف بقوله: "يعني: لا اضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة، [أي: ملّة واحدة]⁽⁹⁾ وهي ملّة الإسلام." ⁽¹⁰⁾ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [١١٨] إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118-119] الموصول في محلّ النصب على الاستثناء وجوباً،⁽¹¹⁾ كما أشار إليه صاحب الكشاف في تفسيره بقوله: "إلا ناساً هذاهم الله ولطف بهم، فأنفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه"⁽¹²⁾ انتهى. وذلك لأنه⁽¹³⁾ جعل الكلام موجباً نظراً على المعنى؛ إذ لو كان غير موجب نظراً إلى جانب اللفظ لكان النصب غير مختار، بل المختار الرفع على البدل حينئذ. ﴿وَلَدَلِكْ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 119] الضمير للناس، و(ذلك) إشارة إلى الاختلاف. واللام لام العاقبة، كما هو رأي الأشاعرة. وعند من يجعل

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): مُهْلِك.

(2) في نسخة (غ): يستبين.

(3) في نسخة (غ): العبادة.

(4) في جميع النسخ: يكون، وأثبت (تكون) لأنه أصح.

(5) في نسخة (م): العلم.

(6) في نسخة (غ): لا.

(7) في نسخة (ض): على.

(8) في نسخة (غ): العسر.

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(10) الزمخشري، الكشاف، (2/ 438).

(11) في نسخة (م): وجواباً.

(12) الزمخشري، الكشاف، (2/ 438).

(13) في نسخة (غ): أنه.

اللَّامَ لَامَ الْعَرَضِ - كالمعتزلة - تكونُ الإشارةُ إلى ما فهم من الكلام ضمناً كما قال صاحبُ الكشف: "(ذلك) إشارة إلى ما دلَّ عليه الكلام⁽¹⁾ وتضمنه، يعنى: ولذلك من التمكن والاختيار الذي كان عند الاختلاف، خلقهم، ليثبت مختار الحق بحسن اختياره، ويُعاقب مختار الباطل بسوء اختياره".⁽²⁾ ويجوز أن يكون (ذلك) إشارة إلى مجموع الاختلاف والرحمة. [ويحتمل أن يكون إشارة إلى الرحمة]؛⁽³⁾ على أن يكون الضمير لـ ﴿مَنْ﴾، لكن الأول أتم وأشمل. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [هود: 119] وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119]. كذا في الكشف. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] بيان للكلمة، و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لمجموع الصنفين،⁽⁴⁾ فلا يلزم دخول كل فرد فيها.⁽⁵⁾ ويجوز أن يكون التقدير: من عصاة الجنة والناس، فيكون التأكيد على ظاهره.

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [هود: 120]

التنوين في ﴿كَلَّا﴾ للعوض، بمعنى: كلُّ نبأ، [و﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾⁽⁶⁾ الرُّسُلِ] بيان لـ ﴿كَلَّا﴾. ﴿مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120] بدل من البيان، والمقصود منه بيان فائدة الاقتصاص. ويجوز أن يكون مفعول ﴿نَقُصُّ﴾ على أن يكون ﴿كَلَّا﴾ نضباً على المصدر، بمعنى: كلُّ اقتصاص، أي: كلُّ نوعٍ من أنواع الاقتصاص نُقص عليك، يعني: على الأساليب المختلفة. وفائدته زيادة الثبات في تبليغ الرسالة، واطمئنان القلب فيه. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ [هود: 120] (هذه) إشارة إلى السورة، أو إلى الأنباء المقتصة عليه مطلقاً، كما قال البيضاوي،⁽⁷⁾ والتي⁽⁸⁾ في السورة، كما قال صاحبُ الكشف.⁽⁹⁾ وقيل: إشارة إلى الدنيا واللام في ﴿الْحَقُّ﴾ للجنس. وتعريف الجنس قد لا يكون للقصر، مع أن قصد القصر أيضاً ممكن،

(1) في الكشف: الكلام الأول.

(2) الزمخشري، الكشف، (2/ 438).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخة (م): الصفتين.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): عنها.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش)، وسقط الواو من نسختي (الأصل، م).

(7) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 152).

(8) في نسختي (ض، غ): أو التي.

(9) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 439).

مبالغة في كمال حقيقته. ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120] أي: جاءك في هذه أمر جامع بين كونه حقاً وموعظةً وتذكيراً نافعاً للمؤمنين.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ [هود: 121]

أي: على حالتكم التي أنتم عليها. ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [هود: 121] استئناف مبني على السؤال، كأنهم سألوا عن حالهم، فقيل: إِنَّا عاملون، أي: إِنَّا عاملون على حالنا.⁽¹⁾

﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: 122] وعيدٌ لهم بمثل ما نزل على⁽²⁾ أمثالهم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [هود: 123]

خاصةً، لا يخفى عليه شيء مما فيها، فلا يخفى عليه أعمالكم. وفيه وعدٌ ووعدٌ. وَخَصَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالذِّكْرِ؛ لأنَّ العالم ليس غيرهما بحسب الظاهر، أو لأنَّ اختصاص غيب ما ورأيهما مما لا خفاء فيه، فلا حاجة إلى ذكره. ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123] فيرجع إليه⁽³⁾ أمرُهم وأمرهم فينتقم لك منهم. ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123] فيه إشارة إلى أنَّ التَّوَكَّلَ إِنَّمَا يُفِيدُ بَعْدَ الْعِبَادَةِ. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123] ذَكَرَ صِيغَةَ الْجَمْعِ⁽⁴⁾ على تغليب المخاطب. وَفُرِئَ (يَعْمَلُونَ) بالياء.⁽⁵⁾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ هُودٍ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ صَدَّقَ بِنُوحٍ وَمَنْ كَذَّبَ بِهِ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَشُعَيْبٍ، وَلُوطٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى. وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ السُّعْدَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»،⁽⁶⁾ كذا في الكشاف،⁽⁷⁾ وتفسير البيضاوي،⁽⁸⁾ [والله ورسوله أعلم.

(1) في نسخة (غ): مالنا.

(2) سقط من نسخة (ض).

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): إليك.

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) قراءة متواترة: قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب (تَعْمَلُونَ) بقاء الخطاب، وقرأ الباقر بقاء الغيبة. الداني (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، (3/ 1210)، والقاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: 159).

(6) حديث موضوع: أخرجه ابن الجوزي (المتوفى: 597هـ) في الموضوعات، (1/ 240). سبق تخريجه في الصفحة: (102).

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 439).

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 153).

سورة يوسف

سورة يوسف مكية وإنها مائة وإحدى عشرة آية. [1] (2)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1]

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السّورة، [والكتاب: السّورة] (3) أي: تلك الآيات آيات السّورة الموصوفة بالإبانة؛ على أن يكون مدار إفادة الحكم على الوصف. وإبانتها: ظهور أمرها في الإعجاز، أو وضوح (4) معانيها للعرب [وتبينها] (5) لمن يدبرها أنها من عند الله، (6) أو تبينها (7) لليهود ما سألوا؛ إذ روي أن علماءهم قالوا لكبراء (8) المشركين: سلوا محمداً: لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف؟ [فنزلت. و (الإبانة) تجيء لازماً متعدياً.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2]

قال صاحب الكشاف في تفسيره: "أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف" (9) في حال كونه قرآناً عربياً، ويسمى بعض القرآن قرآناً؛ لأن القرآن اسم جنس يقع على كليه وبعضه (10) انتهى. ولا يخفى أن حالية القرآن إنما يصح باعتبار كونه اسم جنس، وإطلاق اسم الجنس [على القليل والكثير ليس بطريق التسمية،] (11) إلا أن يُراد من التسمية [مجرد الإطلاق، لكن يُشكل على البيضاوي حيث قال: "سُمي

(1) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (ش).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): وضع.

(5) في نسخة (م): تبينها، وفي نسخة (ش): بتعيينها.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(7) في نسختي (م، ش): تبينها.

(8) في نسختي (ش، ض): الكبراء.

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(10) الزمخشري، الكشاف، (2/ 440).

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

البعض قُرْآنًا؛ لأنه في الأصل اسمُ الجنس⁽¹⁾ يقع على الكلِّ والبعضِ وصارَ علماً⁽²⁾ بالعلبة⁽³⁾ انتهى. فإنه تصريحٌ بأنه قصَدَ التسميةَ وجعلَ القرآنَ علماً للسورة، وهو غيرُ لازمٍ. ولا يصحَّ حاليتهُ على هذا التقدير، فتدبر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2] "علةٌ لإنزاله بهذه الصفة، أي: أنزلناه مجموعاً أو مقروءاً⁽⁴⁾ بلغتكم؛ كي تفهموه،⁽⁵⁾ وتحيطوا⁽⁶⁾ بمعانيه، وتستعملوا فيه عقولكم، فتعلموا أن اقتصاصه⁽⁷⁾ كذلك ممن⁽⁸⁾ لم يتعلم القصصَ مُعْجَزٌ، لا يُتصور إلا بالإيحاء، كذا قال البيضاوي.⁽⁹⁾ وهو تصريحٌ بأن القرآنَ ههناَ محمولٌ على المعنى الجنسي،⁽¹⁰⁾ كما تقتضيه حاليتهُ.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]

الْقَصَصُ: ⁽¹¹⁾ (فَعَلٌ) بمعنى (مَفْعُولٍ)، و﴿أَحْسَنَ﴾ نصبٌ على مفعولٍ ﴿نَقُصُّ﴾،⁽¹²⁾ أي: نَقُصُّ ⁽¹³⁾ عليك من الأحاديثِ أحسنَ ما يُقَصُّ. وإنما كان أحسنه⁽¹⁴⁾ لما يتَّصَمَّنُ من العِبَرِ والنُّكْتِ والعجائبِ التي ليست في⁽¹⁵⁾ غيرها. ويجوزُ أن يكونَ (القصصُ): مصدراً بمعنى: (الاقتصاص)، ويكونَ ﴿أَحْسَنَ﴾ نَصْباً على المصدرِ؛ لإضافتهِ إليه، ويكونَ المقصودُ محذوفاً؛ لدلالةِ قوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3] عليه.

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) في تفسير البيضاوي: والبعض وصار علماً للكل بالعلبة.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 154).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): مفرداً، ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 154).

(5) في نسخة (ض): تفهموا.

(6) في نسخة (غ): أو تحيطوا.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): اختصاصه، ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 154).

(8) في نسختي (م، ش): فمن.

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 154).

(10) في نسخة (غ): الجنس.

(11) في نسخ (الأصل، م، ش): قصص.

(12) في نسخة (ش): بعض.

(13) في نسخة (ش): بعض.

(14) في نسخة (ش): حسنه.

(15) في نسخ (الأصل، م، ش): من.

وهذا الاستئناف مما يفيد القصر - على رأي صاحب الكشاف⁽¹⁾ - بمعنى: إنَّ هذا الاقتصاص ليس إلاّ منا. ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3] أي: بإيحاءنا إليك هذه السورة، على أن تكون (ما) مصدرية. و(القرآن) عبارة عن السورة. ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: 3] (إن)⁽²⁾ هي المخففة، و(اللام) هي الفارقة. والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للإيحاء، أي: وإنَّ الشَّأنَ والحديث: كُنْتُ من قبل إيحاءنا إليك من الغافلين عنه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ [يوسف: 4]

بدل من ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ على الاحتمال الأول بدل الاشتمال؛ لأنَّ الوقت مشتمل على القصص، أو نصب بإضمار (أذكر) على كلا الاحتمالين. والجملة استئناف لبيان الاقتصاص.⁽³⁾ و(يوسف) عبريٌّ منع من الصرف؛ للعجمة والعلمية. وقرأ بفتح السين⁽⁴⁾ وكسرها⁽⁵⁾ على وزن المضارع المبني للمفعول، أو الفاعل من⁽⁶⁾ (أسف). وهو ليس بدليل على أنه عربيٌّ؛⁽⁷⁾ لأنَّ القراءة المشهورة مانعة عن ذلك. وأبوهِ⁽⁸⁾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قِيلَ: مَنْ الْكَرِيمُ؟ فَقُولُوا:

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 440).

(2) في نسخة (غ): أي.

(3) في نسخة (ض): الاختصاص.

(4) قراءة شاذة: (يوسف) بفتح السين، قال ابن خالويه: حكى الفراء (يوسف) بالفتح. ونُسب إلى أبي زيد. ينظر: النَّحَّاس (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، (2/ 190)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 66). وذكرها صاحب الكشاف والرازي بدون نسبة. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 441)، والرازي، مفاتيح الغيب، (18/ 418). أبو زيد: هو أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس بن ثابت، روى القراءة عن عاصم، وأبي عمرو، وأبي السمال (ت 215 هـ)، ترجمته في غاية النهاية، ينظر: ابن الجزي (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (1/ 305).

(5) قراءة شاذة: وقرأ طلحة بن مصرف (يوسف) بالهمزة وكسر السين. النحاس (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، (2/ 190)، ومكي بن أبي طالب (المتوفى: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية (5/ 3498). وذكرها صاحب الكشاف والرازي بدون نسبة. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 441)، والرازي، مفاتيح الغيب، (18/ 418).

(6) في نسخة (ض): على من.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): عري، وفي نسخة (ض): عزل، وفي نسخة (غ): عزل، وأثبت (عربي) لأنه أصح.

(8) في نسخة (غ): أبو.

الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ [ابن الكريم]⁽¹⁾ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ⁽²⁾ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. «⁽³⁾ يَأْتِي ابْنُ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا [يوسف: 4] التَّاءُ فِي «أَبَتْ» تَاءٌ تَأْنِيثٌ عَوَضَ عَنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا تَاءٌ تَأْنِيثٌ: قَبْلَهَا⁽⁴⁾ هَاءٌ فِي الْوَقْفِ،⁽⁵⁾ وَالْمُصَحَّحُ بِجَعْلِهَا⁽⁶⁾ عَوَضًا عَنِ التَّاءِ تَنَاسُبُهُمَا فِي الزِّيَادَةِ، وَكَوْنُ كُلِّ مِمَّا مَضْمُومَةٌ⁽⁷⁾ إِلَى الْأَسْمِ فِي آخِرِهِ. وَإِنَّمَا كُسِرَتْ لِأَنَّ الْكُسْرَةَ⁽⁸⁾ مَنَاسِبَةٌ لِمَا عُوِضَتْ هِيَ عَنْهُ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "هِيَ الْكُسْرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الْيَاءِ⁽⁹⁾ فِي قَوْلِكَ: يَا أَبِي، قَدْ رُحِّلْتُ⁽¹⁰⁾ إِلَى التَّاءِ لِقِتْضَاءِ تَاءِ التَّأْنِيثِ⁽¹¹⁾ أَنْ يَكُونَ مَا قَبْلَهَا مَفْتُوحًا." ⁽¹²⁾ وَقُرِئَ (يَا أَبَتْ)⁽¹³⁾ بِالْفَتْحِ، عَلَى أَنْ

(1) بين المعقوفين سقط من نسخة (م).

(2) في نسخ (الأصل، م، ض): إسحاق بن يعقوب.

(3) حديث صحيح: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَاب: قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ» [البقرة: 133]، وَفِي بَاب: قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ» [يوسف: 7] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي التَّفْسِيرِ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَوَيْتُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَتْهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ» [يوسف: 6] أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ».

والترمذي في كتاب التفسير، في باب: من سورة يوسف، حديث رقم: 3116، الترمذي (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، (5/ 293)، والنسائي في كتاب التفسير، النسائي، السنن الكبرى، (10/ 134)، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک علی الصحيحین، (2/ 377).

(4) في نسخة (غ): فلها.

(5) في نسخة (ش): الوقت.

(6) في (الأصل): يجعلها، وفي نسخ (م، ض، غ): لجعلها.

(7) في نسخة (غ): مضموم.

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): الكسرت.

(9) في نسختي (ش، غ): التاء.

(10) في نسخة (م): قدر خلفه.

(11) سقط من نسخة (غ).

(12) الزمخشري، الكشاف، (2/ 442).

(13) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر وابن عامر (يَا أَبَتْ) بفتح التاء في جميع القرآن، وقرأ الباقون (يَا أَبَتْ) بكسر التاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 344)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 244).

أصلها (يَا أَبَتَا)، فحذف الألف وبقي⁽¹⁾ الفتحة، [أو على أن الفتحة]⁽²⁾ هي التي كانت في أصلها، ولم يُعتبر ذلك في السكون؛ لأنّ التاء حرف صحيح، نحو: كاف الخطاب، وحققها التحريك كما هو شأن الأسماء؛ لأصالتها في الإعراب. وأما تسكين التاء،⁽³⁾ فإنّما هو للتخفيف⁽⁴⁾. وقرئ بالضم⁽⁵⁾ إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء⁽⁶⁾ نحو: يا ثب. (7)

و﴿رَأَيْتُ﴾ من (الرؤيا) لا من (الرؤية)، وهما وإن كانا من باب واحد، لكن فُرق بينهما باختصاص ما في المنام بالحق ألف التانيث،⁽⁸⁾ [وما في اليقظة⁽⁹⁾ بالحق تاء التانيث].⁽¹⁰⁾ والدليل على أنّه من (الرؤيا) قوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ [يوسف: 5].

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [يوسف: 4] عطف على ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾. ويجوز أن يكون الواو بمعنى (مع). قال صاحب الكشف: "فإن قلت لم أحرر الشمس والقمر؟ قلت: أحرهما لعظفهما"⁽¹¹⁾ على الكواكب على طريق

(1) في نسخة (م): نفي، وفي نسختي (الأصل، ض): نفي.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(3) في نسختي (م، ض): الياء.

(4) في نسخة (م): التخفيف.

(5) قراءة شاذة: (يا أبت) بضم التاء، من قرأها بالضم جعلها اسماً قائماً برأسه، فضمه في النداء، قال الزجاج: وأجاز بعض أهل العربية (يا أبة إنّي). الزجاج (المتوفى: 311هـ)، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م، (3/ 88)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 121)، والعكبري، أبو البقاء (المتوفى 616هـ)، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م، (681/1).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) في الأصل: يا ثبته، وفي نسخة (ش): ما ثبت، وفي نسخة (م): يا ثبت، وفي نسختي (ض، غ): يا ثبة. لعل قصد المؤلف: نحو: يا ثب، في ثبة - إذا كانت اسماً - نحو: يا طلح ويا فاطم في طلحة وفاطمة، والله أعلم. ينظر: سيبويه (المتوفى: 180هـ) الكتاب، (2/ 213).

(8) في نسخة (م): التأخير.

(9) في نسخة (ض): يقضة.

(10) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش)، وفي نسخة (م): تانيث التاء.

(11) في نسخ (الأصل، م، ش): لعظفهما، ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشف، (2/ 443).

الاختصاص؛ بياناً لفضلهما واستبادهما بالمزية على غيرهما من الطّوالع. كما أخر⁽¹⁾ جبرائيل وميكائيل عن⁽²⁾ الملائكة، ثم عطفهما عليها⁽³⁾ لذلك.⁽⁴⁾ وهو محل تأمل؛ لأن عطفهما على ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ليس من قبيل عطف الخاص على العام ليدل على مزية الفضل. وتمثله بعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة ليس بصحيح؛ لأنهما داخلان في الملائكة، بخلاف الشمس والقمر، فإنهما ليسا بداخلين⁽⁵⁾ في ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] استئناف مبني على السؤال، كأنه قيل: كيف رأيتهما؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين، فلا تكرر. وإنما أجرى الكواكب مجرى العقلاء؛ لأنه وصفها بالسجود الذي هو من صفات العقلاء، فأجرى عليها حكم ذوي العقول على هذه المناسبة.

﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: 5]

(بُنَى) تصغير (ابن)؛ للشفقة. وروي أنه كان في⁽⁶⁾ هذا الوقت ابن تثنى عشرة سنة،⁽⁷⁾ فيجوز أن يكون التصغير لصغر سنه، لكن الأنسب بالمقام هو الأول. ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5] نصب⁽⁸⁾ بتقدير "أن" بعد الفاء. وإنما عُدّي (كاد) باللام، مع أنه متعدي بنفسه نحو: ⁽⁹⁾ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: 55]؛ لأنه ضمّن معنى (الاحتيال)، فكأنه قيل: فَيَحْتَالُوا لِإِهْلَاكِكَ حِيلَةً. قال البيضاوي: "فَهُمْ يَعْقُوبُ مِنْ رُؤْيَاهُ أَنَّ اللَّهَ يَصْطَفِيهِ لِرِسَالَتِهِ، وَيُقَوِّقُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَخَافَ عَلَيْهِ حَسَدَهُمْ وَبَغْيَهُمْ"⁽¹⁰⁾

(1) في نسختي (م، ض): أخبر.

(2) في نسخة (ض): على.

(3) في نسخة (ش): عليهما.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 443).

(5) في نسخة (ش): مداخلين.

(6) في نسخة (غ): من.

(7) ذكره الثعلبي، والواحدى، والبغوي، والقرطبي، في تفاسيرهم، وابن الأثير في الكامل، ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 198)، الواحدى، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (2/ 600)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 213)، وابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م، (1/ 124)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 126).

(8) في نسخة (غ): أنصب.

(9) في نسخة (ض): كما في.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 155).

انتهى. وفيه: أَنَّ فَهْمَ يَعْقُوبَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الرَّؤْيَا [لا يصحّ أن يكون سبباً لحسدِهِم⁽¹⁾ على يوسف، بل السَّبَبُ إِنَّمَا فَهْمُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الرَّؤْيَا؛ فكان المناسب أن يقول: عَلِمَ يَعْقُوبُ أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الرَّؤْيَا]،⁽²⁾ فخاف عليه حسدَهُمْ فقال: لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ. والظاهر: أَنَّ سَمَاعَ سَجْدَةِ الْكَوَاكِبِ لَهُ يَكْفِي لِسَبَبِيَّةِ حَسَدِهِمْ⁽³⁾ عليه.⁽⁴⁾ كما قيل: لَمَّا بَلَغَتِ الرَّؤْيَا إِخْوَةَ⁽⁵⁾ يوسف حَسَدُوهُ، وقالوا: مَا رَضِيَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ إِخْوَتُهُ حَتَّى سَجَدَ لَهُ أَبَوَاهُ. وفي هذا الكلام دلالة على أَنَّهُمْ كَانُوا عَالَمِينَ بِتَعْبِيرِ الرَّؤْيَا [في الجملة. ولذلك قال يعقوب: لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ، فلا بدّ أن يُكْتَفَى فِي السَّبَبِيَّةِ بِمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الرَّؤْيَا، أَوْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِ كَوْنُهُمْ عَالَمِينَ بِتَعْبِيرِ الرَّؤْيَا]؛⁽⁶⁾ لِيَتِمَّ السَّبَبِيَّةُ.

والرؤيا: ما يراه الشخص في المنام. قال البيضاوي: "وهي انطباعُ الصّورةِ المُحدرةِ"⁽⁷⁾ من أفق⁽⁸⁾ المُتَخَيِّلَةِ إِلَى الْحِسِّ الْمَشْتَرِكِ. وَالصَّادِقَةُ مِنْهَا: إِنَّمَا تَكُونُ بِاتِّصَالِ النَّفْسِ بِالْمَلَكُوتِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَاسُبِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْبَدَنِ أَدْنَى فَرَاغٍ، فَتَتَصَوَّرُ بِمَا فِيهَا مِمَّا يَلِيقُ⁽⁹⁾ مِنَ الْمَعَانِي الْحَاصِلَةِ هُنَاكَ. ثُمَّ إِنَّ الْمُتَخَيِّلَةَ تُحَاكِيهُ⁽¹⁰⁾ بِصُورَةٍ⁽¹¹⁾ تناسبه، فَتُرْسَلُهَا إِلَى الْحِسِّ الْمَشْتَرِكِ، فَتَصِيرُ مُشَاهِدَةً، ثُمَّ إِنَّ⁽¹²⁾ كَانَتْ شَدِيدَةً الْمُنَاسَبَةِ لَذَلِكَ الْمَعْنَى -بِحَيْثُ لَا يَكُونُ التَّفَاوُتُ إِلَّا بِالْكَلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ- اسْتَعْنَتْ الرَّؤْيَا عَنِ التَّعْبِيرِ، وَإِلَّا اخْتَلَجَتْ إِلَيْهِ،"⁽¹³⁾ انتهى.

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): بحسدهم.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(3) سقط من نسخة (ض).

(4) في نسخة (ض): عليهم.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): إخوت.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(7) في نسخة (ش): المتحدرة.

(8) في نسخة (م): أوفق.

(9) في تفسير البيضاوي: يليق بها. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 155).

(10) في نسخة (ش): بحالته.

(11) في نسخة (ش): تصوّره.

(12) سقط من نسخة (م).

(13) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 155).

ولا يخفى أنَّ الحواسَّ الباطنة ممَّا هي ثابتةٌ عندَ الحكماءِ، دون المتكلمين. والمتخيلةُ -على ما هو⁽¹⁾ رأيهم- ليست بمُدرِكةٍ، بل هي مُعيَّنةٌ على الإدراك. وشأنها تركيبُ الصُّورِ المحسوسةِ والمعاني الجزئيةِ المتعلقةِ بها، وتفصيلُها. والحِسُّ المشتركُ: مُدرِكٌ للمحسوساتِ، وحاكِمٌ بينها، ولا حُكْمٌ له في المعاني الجزئيةِ المتعلقةِ بالمحسوساتِ. كما أشار إليه المحقِّق الطُّوسيَّ وصرَّح عليه شارحُ التَّجريدِ.⁽²⁾ فالمتخيلةُ [لا تتصرَّفُ]⁽³⁾ إلَّا في مُدرِكاتِ الحِسِّ المُشترِكِ، أي: المحسوساتِ، وفي مدرِكاتِ الوُهمِ، أي:⁽⁴⁾ المعاني الجزئيةِ المتعلقةِ بالمحسوساتِ، وليست في المتخيلةِ⁽⁵⁾ صورةٌ لِيُنَحْدَرَ⁽⁶⁾ منها إلى الحِسِّ المُشترِكِ، بل هي منصرفةٌ⁽⁷⁾ في الصُّورِ الكائنةِ [في الحِسِّ المُشترِكِ والمعاني الجزئيةِ الكائنةِ]⁽⁸⁾ في الوُهمِ، كما ذَكَرْنَاهُ. ومعلومٌ أنَّ الرُّؤيا كما تَتَعَلَّقُ بالأُمُورِ المحسوسةِ تَتَعَلَّقُ بالمعاني الجزئيةِ المتعلقةِ بها؛ فلا وجهَ لِجَعْلِهَا مخصوصةً بما في الحِسِّ المُشترِكِ كما لا يخفى.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5] تعليلٌ لسابقه؛ من إسنادِ الكيدِ والحسدِ إليهم، كأنَّه قيل: لا تَأْمَنُ كيدَهُمْ؛ لأنَّ الشَّيْطَانَ ظاهرُ العداوةِ لبني آدَمَ، فَيَحْمِلُهُمْ على الكيدِ والمكرِ وسائرِ الشرورِ.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: 6]

وَمِثْلُ ذَلِكَ الاجْتِبَاءُ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ، أي: كما اجتَبَاكَ لِمِثْلِ هذه الرُّؤيا العظيمةِ يَجْتَبِيكَ لأُمُورٍ عَظَامٍ. والاجْتِبَاءُ: الاصطفاءُ، من جَبَّيْتُ⁽⁹⁾ الشَّيْءَ إِذَا جَعَلْتَهُ⁽¹⁰⁾ لِنَفْسِكَ. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6] جملةٌ مستأنفةٌ غيرُ داخلةٍ في حُكْمِ التَّشْبِيهِ، كأنَّه قيل: وهو يُعَلِّمُكَ من تعبيرِ الرُّؤيا. وإنَّما

(1) سقط من نسخة (الأصل، م، ش).

(2) ينظر: الحلِّي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مُطَهَّر (المتوفى 726 هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق وتعليق: حسن حسن زاده الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1407 هـ، (198-199).

(3) في نسخة (ض): يتصرَّف، وفي نسخة (غ): تتصرَّف.

(4) في نسخة (ش): إلى.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(6) في نسختي (ش، غ): ليتحدر.

(7) في نسخة (غ): متصرفة.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(9) في الأصل: جبيت، وفي نسخة (م): حبيت.

(10) في نسخة (ض): حصَّلتَه.

سَمِيَتْ "أَحَادِيثُ" لِأَنَّهَا مِمَّا تُحَدِّثُ بِهِ النَّفْسُ. قال البيضاوي: "لأنَّها أحاديثُ المَلَكِ إن كانت صادقةً، وأحاديثُ النَّفْسِ أو الشَّيْطَانِ إن كانت كاذبةً." (1) وفيه: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِمَحْضِ الْإِتِّصَالِ بِالْمَلَكُوتِ، كما أشار إليه قبل ذلك، فلا يَلَزَمُ أَنْ تَكُونَ من مقولةِ الحَدِيثِ. ويجوزُ أَنْ يُرَادَ بِتَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ: معاني كُتِبَ اللَّهُ وَسُنِّنِ الْأَنْبِيَاءِ، وما غَمَضَ واشْتَبَهَ على النَّاسِ من أغراضِها ومقاصدِها، كذا في الكَشَافِ. و(أَحَادِيثُ) اسمٌ (2) جمعٌ للحديث؛ لأنَّ "فَعِيلٌ" إذا كان اسماً لا يُجْمَعُ إِلَّا على (أَفْعَلَةٍ)، و(فُعُلٍ) و(فُعْلَانٍ) كَأَرْغَفَةٍ (3) وَرَغْفٍ وَرُغْفَانٍ، كما ذُكِرَ في علمِ الصَّرْفِ. ولذلك قال صاحبُ الكَشَافِ: "وهو اسمٌ جمعٌ للحديث، وليس بجمعِ أُخْدُوْتَةٍ." (4) يعني: أَنَّ (أُخْدُوْتَةٍ) تُجمع على (أَحَادِيثٍ)، لكنَّه ليس بمرادٍ في المقامِ. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 6] إِمَامُ النِّعْمَةِ (5) عَلَيْهِمُ: أَنَّهُ وَصَلَ لَهُمُ نِعْمَةً الدُّنْيَا بنِعْمَةِ الْآخِرَةِ؛ بَأَنَّ جَعَلَهُمْ (6) أَنْبِيَاءَ فِي الدُّنْيَا وَمُلُوكًا، كذا في الكَشَافِ. (7) وليس بِمُسْتَبْعَدٍ أَنْ يُخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْأَحْوَالِ الَّتِي لَمْ تَوْجَدْ بَعْدُ. قال البيضاوي: "يُرِيدُ بِهِ سَائِرَ بَنِيهِ،" (8) -وَلَعَلَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ بِضَوْءِ (9) الْكَوْكَبِ- [أَوْ نَسَلَهُ." (10) وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي أَخْبَارِهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ، فلا حَاجَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْخَبَرِ إِلَى الاسْتِدْلَالِ بِضَوْءِ (11) الْكَوْكَبِ. (12) ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: 6] بِالرَّسَالَةِ، وَقِيلَ: أَتَمَّهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ، وَالْإِنْجَاءِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ ذَبَحَ الْوَلَدَ. وَعَلَى إِسْحَاقَ بِإِنْجَائِهِ مِنَ الذَّبْحِ، وَفِدَائِهِ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَبِإِخْرَاجِ يَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ مِنْ صُلْبِهِ، كذا في الكَشَافِ. (13)

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 155).

(2) في نسخة (م): باسم.

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 445).

(5) في نسخة (ش): النعم.

(6) في نسخة (ش): يجعلهم.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 445).

(8) في نسخ (ش، ض، غ): نبيّه.

(9) في نسخة (غ): تصوير.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 155).

(11) في نسخة (ش): بصور، وفي نسخة (غ): لضوء.

(12) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(13) الزمخشري، الكشاف، (2/ 445).

المشهور أن فداء الذَّبْحِ⁽¹⁾ إنما كان لإسماعيل. ويدل عليه قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ⁽²⁾». (3) وسيجيئ تحقيقه في تفسير سورة ﴿وَالصَّفَّتِ﴾ إن شاء الله تعالى. ﴿إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ﴾ [يوسف: 6] عطف بيان لـ ﴿أَبَوَيْكَ﴾. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6] يعلم مَنْ يستحقُّ الاجتناء وَمَنْ لَا يستحقُّ، وَيَعْمَلُ بِمَقْتَضَى عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: 7]

اللَّامُ مُوْطِئَةُ الْقَسَمِ، وَ(قَدْ) لِلتَّحْقِيقِ، وَ(كَانَ) لِلدَّوَامِ، نحو: كان الله عالماً، أي: ثابتٌ ومتحقِّقٌ في قِصَّتِهِمْ دلائلٌ على قدرة الله وحكمته لمن يسأل عنها، أو علاماتٌ وشواهدٌ على نبوتك يا محمد للذين سألوك عنها. فَأَخْبَرْتَهُمْ⁽⁴⁾ بالصَّحَّةِ من غير سماعٍ ولا قراءة. والمراد بإخوته مَنْ حَسَدُوهُ من أبناء يعقوب. وهم أحد عشر رجلاً من غير أمِّه على ما في الكشف، حيث قال: "وقيل: أساميههم يَهُودًا، وَرُوبِلُ، وَشَمْعُونُ، وَلَاوِي، وَرِيَالُونُ، وَيَشْجُرُ، وَدَيْنَةُ، وَدَانُ، وَنَقْتَالِي،⁽⁵⁾ وَجَادُ، وَآشُرُ. السَّبْعَةُ الْأَوَّلُونَ كانوا من أبناء بنت خالة يعقوب، والأربعة الآخرون من سُرِّيَّاتَيْنِ؛ زُلْفَةُ وَبُلْهَةُ. فلَمَّا تَوَقَّفتْ لِيَا تَرْوِجَ أختها راحيل،

(1) في نسخة (م): بالذبح.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): الذبيحتين.

(3) **حديث ضعيف:** لم أعر على هذا الحديث في مصدر صحيح، وأخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سعيد الصَّنَابِجِيِّ ما خلاصته: أن الناس لما اختلفوا في مجلسٍ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ في كون الذبيح إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام، أخبرهم معاوية بأن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ)، وروى نحوه الطبري في تفسيره مرفوعاً. وقال ابن كثير: "وهذا حديث غريب جداً. وقد رواه الأموي في مغازيه." وذكره الزيلعي (المتوفى: 762هـ) في تخريج أحاديث الكشف، وقال عنه: غريب. وقال الذهبي: إسناده واه. ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الأملِي (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (85 / 21)، النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين (2 / 604)، وابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999 م، (7 / 35)، والزيلعي (المتوفى: 762هـ)، تخريج أحاديث الكشف، (3 / 177)، وابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، مختصرُ استدرک الحافظِ الذهبي على مُستدرک أبي عبد الله الحاكم، تحقيق عبد الله بن حمد اللحيدان وآخرون، دارُ العاصِمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1411 هـ، (2 / 1009).

(4) في نسخة (م): فأخبر بهم.

(5) في الأصل: ويفثالي، وفي نسخة (ش): يعثالي، وفي نسخة (ض): يفثال.

فَوَلَدَتْ لَهُ: بنيامين ويوسف،⁽¹⁾ انتهى. فالمجموع: ثلاثة عَشَرَ. قال البيضاوي: "والمراد بإخوته عُلَّاتُهُ⁽²⁾ العشرة."⁽³⁾ وهو مخالف للكشاف؛ لأنَّ العُلَّاتِ على ما في الكشاف: إنما تكونُ أحدَ عشر، كأنَّ وجهَهُ اختلافُ الروايَتَيْنِ.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [يوسف: 8]

أي: بنيامين، لأَنَّهُ أَخُوهُ مِنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ. ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ أَيُّنَا مَيِّمًا﴾ [يوسف: 8] أي: هما⁽⁴⁾ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيُّنَا مَيِّمًا. وَوَجْهُهُ إِفْرَادُ الْخَبَرِ؛ أَنَّ (أَفْعُلُ) يَسْتَوِي⁽⁵⁾ فِيهِ الْإِفْرَادُ وَالتَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، وَالتَّذَكُّيرُ وَالتَّأْنِيثُ، كَمَا قُرِّرَ فِي عِلْمِ النَحْوِ. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: 8] جملةٌ حَالِيَّةٌ. وَالْعُصْبَةُ وَالْعِصَابَةُ: الْعِشْرَةُ⁽⁶⁾ فصاعدًا، أي: وَالْحَالُ أَنَا⁽⁷⁾ جماعةٌ أَقْوِيَاءُ نَقْدِرُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرَانِ⁽⁸⁾ هُمَا عَلَيْهِ. لِأَنَّهُمَا صَغِيرَانِ لَا كِفَايَةَ فِيهِمَا وَلَا مَنَفْعَةَ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِزِيَادَةِ الْمَحَبَّةِ. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8] حَيْثُ لَمْ يَسْلُكْ مَسْلَكَ الصَّوَابِ بِتَفْضِيلِ الْمَفْضُولِ، أَوْ بِتَرْكِهِ التَّعْدِيلَ فِي الْمَحَبَّةِ.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9]

مِنْ تَتَمَّةٍ مَقُولِهِمْ. وَقِيلَ: الْقَائِلُ⁽⁹⁾ شَمْعُونُ أَوْ دَانُ، وَأُسْنَدَ قَوْلُهُ إِلَى الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رَاضِينَ بِهِ. وَ﴿أَرْضًا﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ فِيهِ. وَإِنَّمَا جَازَ فِيهِ تَقْدِيرُ (فِي)؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِهَا أَرْضٌ مَجْهُولَةٌ⁽¹⁰⁾ بَعِيدَةٌ مِنَ الْعُمْرَانِ، غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ لِلنَّاسِ، فَصَارَ فِي حُكْمِ الْمَكَانِ الْمُبْهَمِ الْمَفْسَّرِ بِالْجِهَاتِ السَّتِّ، فَيُقْبَلُ تَقْدِيرُ (فِي) مِثْلَهَا. ﴿يَجْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 9] جَزَمَ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: يُقْبَلُ عَلَيْكُمْ بِالْكَلِّيَّةِ، وَلَا يَلْتَفِتْ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ. ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9] ﴿تَكُونُوا﴾ يَحْتَمِلُ الْجَزَمَ

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 445-446).

(2) في تفسير البيضاوي: بنو عُلَّاتِهِ الْعِشْرَةُ، ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 156).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 156).

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) في جميع النسخ: مَنْ يَسْتَوِي، وَحُذِفَ (مِنْ)؛ لِأَنَّ (أَفْعُلُ) يَشْمَلُ الْعَاقِلَ وَغَيْرَ الْعَاقِلِ.

(6) في نسخة (ش): الْعِسِيرَةُ.

(7) في نسختي (الأصل، ش): فَأَنَا.

(8) في الأصل: يَقْدِرُ، وَفِي نَسْخَةِ (م): يَقْدَرُ.

(9) في نسخة (ش): الْعَامِلُ.

(10) في نسخة (غ): مَحْمُولَةٌ.

بالعطف على جواب الأمر، والنصب بتقدير (أن) بعد الواو. وضمير ﴿بَعْدَهُ﴾ ليوسف، بمعنى: بعد الفراغ من أمره. ويجوز أن يكون راجعاً⁽¹⁾ إلى مصدر ﴿اقتُلُوا﴾ أو مصدر ﴿اُطْرَحُوهُ﴾ والمآل واحد، أي: وتكونوا من بعده صالحين: تَصْلُحُ⁽²⁾ دنياكم تَنْتَظِمُ أموركم بعده بِخُلُوٍ⁽³⁾ وجه أبيكم. ويجوز أن يكون المراد: يَصْلُحُ ما بينكم وبين أبيكم [حين⁽⁴⁾ يَخْلُو لكم وجه أبيكم].⁽⁵⁾ وَفَسَّرَ صاحبُ الكشافِ الصَّلاحَ بالنَّوْبَةِ حيث قال: "قَوْمًا صَالِحِينَ: تائبين إلى الله مِمَّا جَنَيْنُمْ"⁽⁶⁾ عليه.⁽⁷⁾ وهو محل تأمل؛ لأنَّ القتل أو طرحه⁽⁸⁾ في غيابة الجب لا يَصْلُحُ أن يكون سبباً للصَّلاح بهذا المعنى. ومعلوم أن جزم ﴿تَكُونُوا﴾ يقتضي هذه السببية، وكذا نصبه؛ لأنَّ الواو حينئذٍ⁽⁹⁾ للجمع، والمجموع جوابٌ للأمر، فتأمل.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف: 10]

القائل:⁽¹⁰⁾ يَهُودًا، مَنَعَهُمْ عن قتله؛⁽¹¹⁾ لأنَّ القتل أمرٌ عظيمٌ لا ينبغي أن يَصْدُرَ عن عاقلٍ.⁽¹²⁾ وقيل: القائل⁽¹³⁾ كان رُوبِيلُ. ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 10] أي: في قَعْرِه. سُمِّيَ القَعْرُ غيابةً لِّغَيْبُوبَتِهِ⁽¹⁴⁾ عن النَّظَرِ. ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: 10] جزم على جواب الأمر، أي: يَأْخُذُهُ

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): رجعا.

(2) في نسخة (ش): بصلح.

(3) في نسختي (الأصل، ش): يخلو، وفي نسخة (م): يخلوا.

(4) في نسخة (م): من، وفي نسخة (غ): حتى.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(6) في نسخة (م): جننتم.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 447).

(8) في نسخة (م): طرحه، وفي نسخة (ش): اطرحه.

(9) في نسخة (غ): ح.

(10) في نسخة (ش): العامل.

(11) في نسخة (ش): قبله.

(12) في نسخة (ش): عامل، وفي نسخة (ض): قائل.

(13) في نسخة (ش): العامل.

(14) في نسخة (ش): لغيوبية.

بعض الأقوام الذين يسيرون في الأرض. وُقِرَى (تَلْتَقِطُهُ) بالتاء⁽¹⁾ على أَنَّ بعضَ السَّيَّارةِ جماعةٌ سَيَّارَةٌ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ [يوسف: 10] إِنْ كُنْتُمْ عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا⁽²⁾ مَا يُحْصَلُ بِهِ غَرْضُكُمْ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: 11]

لَمَّا⁽³⁾ عَزَمُوا⁽⁴⁾ عَلَى كَيْدِ يَوْسُفَ، وَكَانَ أَبُوهُمْ لَا يَأْمَنُهُمْ عَلَيْهِ، وَيَحْفَظُهُ⁽⁵⁾ عَنْهُمْ، قَالُوا ذَلِكَ. يَعْنِي: يَا أَبَانَا لِمَ تَخَافُنَا⁽⁶⁾ عَلَيْهِ؟ ﴿وَأَنَا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ [يوسف: 11] وَالْحَالُ أَنَّا نُرِيدُ لَهُ الْخَيْرَ، وَنُحِبُّهُ.

﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ﴾ [يوسف: 12]⁽⁷⁾

نَتَسَعُ⁽⁸⁾ فِي أَكْلِ الْفَوَاكِهِ وَنَحْوِهَا؛⁽⁹⁾ مِنْ (الرَّتْعَةِ) وَهِيَ: الْخِصْبُ وَالسَّعَةُ. وَقُرِى (نَرْتَعُ)⁽¹⁰⁾ مِنْ (الْإِرْتِعَاءِ). ﴿وَيَلْعَبُ﴾ [يوسف: 12] بِاللَّعِبِ الْمُرَحَّصِ، نَحْوُ: الْإِسْتَبَاقِ⁽¹¹⁾ وَالْإِنْتِصَالِ. وَخَصُّوا إِسْنَادَهُ

(1) قِرَاءَةُ شَاذَةٍ: (تَلْتَقِطُهُ) بِالتَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ أَبِي عِبْلَةَ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ كَيْسَةَ، وَسَلِيمِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ حَمَزَةَ، وَزَائِدَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ، وَالسَّمَانَ عَنْ طَلْحَةَ. وَيَعْتَبِرُ رَوَايَةَ سَلِيمِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ حَمَزَةَ انْفِرَادًا شَاذَةً لِمَخَالَفَتِهَا قِرَاءَةَ الْعَامَةِ. يَنْظُرُ: ابْنُ جَنِيٍّ (الْمَتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسِبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 237)، وَالْهَذَلِيُّ (الْمَتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 575).

(2) يَعْنِي: إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا؛ لِتَحْصِيلِ غَرْضِكُمْ.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(4) فِي نَسْخَةِ (ش): أَعَزَمُوا.

(5) فِي نَسْخِ (الْأَصْلِ، ش، م): يَحْفَظُ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): تَخَافُ.

(7) الْمُؤَلَّفُ اعْتَمَدَ عَلَى قِرَاءَةِ (نَرْتَعُ) بِالنُّونِ مَعَ سَكُونِ الْعَيْنِ.

(8) فِي نَسْخَةِ (ش): نَتَسَعُ.

(9) فِي نَسْخَتِي (م، ش): نَحْوُهُمَا.

(10) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (نَرْتَعُ) بِالنُّونِ مَعَ كَسْرِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ. وَمَا ذَكَرَهُ الشَّاطِبِيُّ مِنْ إِثْبَاتِ الْيَاءِ لِقَبْلِ بَخْلَفٍ عَنْهُ خُرُوجٍ عَنْ طَرِيقِهِ وَطَرِيقِ أَصْلِهِ. وَطَرِيقُهُ حَذْفُ الْيَاءِ فِي الْحَالِيِّنِ لِقَبْلِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ (نَرْتَعُ) بِالنُّونِ مَعَ سَكُونِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَيَعْقُوبُ (يَرْتَعُ) بِالْيَاءِ مَعَ سَكُونِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ (يَرْتَعُ) بِالْيَاءِ وَكَسَرَ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ. الْقَاضِي (الْمَتَوَفَى: 1403هـ)، الْبَدُورُ الزَّاهِرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الْمُتَوَاتِرَةِ، (ص: 161).

(11) فِي نَسْخَةِ (م): الْإِسْتِيفَانُ.

لإظهار الشفقة عليه، كأنهم قالوا: ليس مقصودنا إلا انشراح صدره وفرحه باللعب. وقرأ (تَلْعَبُ) بالنون⁽¹⁾ على طَبَقِ (نَزَعَ). ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: 12] تأكيداً ومبالغة في حفظه.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف: 13]

اعتذر بأن مفارقتهم مما يحزنه. ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: 13] عُدْرٌ آخَرُ، وإنما قال ذلك؛ لأن الأرض كانت مَذَابَّةً. وقيل: رأى في المنام أن الذئب قد شَدَّ⁽²⁾ على يوسف، فكان يحذرُه، فمن ثم قال ذلك، كذا في الكشاف. ⁽³⁾ ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: 13] في حال غفلةكم عنه.

﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [يوسف: 14]

اللام موطئة القسم وجملة ﴿إِنَّا إِذَا﴾ جواب القسم المحذوف. والواو في ﴿وَنَحْنُ﴾ للحال، أي: ⁽⁴⁾ لو وَقَعَ هذا الأمر وأخذ الذئب أخانا من بيننا ونحن جماعة لكنا ضائعين مستحقين للهلاك. وقيل: إن لم نَقْدِرْ على حفظ بعضنا بعضاً فقد هَلَكْتُ مَوَاشِينَا إِذَا وَخَسِرْنَاهَا. ولما غاضهم العُدْرُ الثاني اهتموا بجوابه⁽⁵⁾ ولم يَلْتَفِتُوا إلى جواب العُدْرِ الأول⁽⁶⁾ كأنهم لم يسمِعُوهُ، من شدة غيظهم واضطرابهم عند سماع العُدْرِ الثاني.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 15]

الفاء مُفَصِّحةٌ عن محذوف، كأنه قيل: فرخصهم وذهبوا، فلما ذهبوا به، وجواب (لَمَّا) محذوف دل عليه المقام، تقديره: ففعلوا⁽⁷⁾ به ما فعلوا.

(1) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (تَلْعَبُ) بالنون، وقرأ الكوفيون (عاصم، وحمة، والكسائي وخلف) والمدنيان (نافع وأبو جعفر) ويعقوب (تَلْعَبُ) بالياء. القاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 161).

(2) في نسخ (م، ض): تشد.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 448).

(4) في نسخة (ش): أو.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): لجوابه.

(6) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(7) في نسخ (الأصل، م، ض): فعلوا، وفي نسخة (ش): يفعلوا.

رُوي أَنَّهُمْ لَمَّا بَرَزُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ أَظْهَرُوا لَهُ الْعِدَاوَةَ، وَأَخَذُوا يُهَيِّئُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ،⁽¹⁾ وَكَلَّمَا اسْتَعَاثَ بَوَاحِدٍ مِنْهُمْ لَمْ يُعْنَهُ إِلَّا بِالْإِهَانَةِ وَالضَّرْبِ، حَتَّى كَادُوا يَقْتُلُونَهُ. فَجَعَلَ يَصِيحُ: يَا أَبَتَاهُ! لَوْ تَعَلَّمُ مَا يَصْنَعُ بَابْنِكَ أَوْلَادُ الْإِمَاءِ، فَقَالَ يَهُودَا: أَمَّا⁽²⁾ أُعْطِيتُمُونِي مَوْتًا أَنْ لَا تَقْتُلُونَهُ؟ فَلَمَّا أَرَادُوا الْإِقَاءَةَ فِي الْجُبِّ تَعَلَّقَ بِشِيَابِهِمْ، فَنَزَعُوا مِنْ يَدَيْهِ فَتَعَلَّقَ بِحَائِطِ الْبَيْتِ، فَزَبَطُوا يَدَيْهِ وَنَزَعُوا قَمِيصَهُ فَقَالَ: ⁽³⁾ يَا إِخْوَتَاهُ! رَدُّوا عَلَيَّ قَمِيصِي أَتَوَارَى بِهِ. وَإِنَّمَا نَزَعُوهُ لِيَلْطَخُوهُ⁽⁴⁾ بِالْدَّمِ، فَيَحْتَالُوا بِهِ عَلَى أَبِيهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: أَدْعُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا تُؤْنِسُكَ. ⁽⁵⁾ وَدَلَّوْهُ⁽⁶⁾ فِي الْبَيْتِ، فَلَمَّا بَلَغَ نِصْفَهَا أَلْقَوْهُ لِيَمُوتَ. وَكَانَ فِي الْبَيْتِ مَاءٌ⁽⁷⁾ فَسَقَطَ فِيهِ. ثُمَّ آوَى إِلَى صَخْرَةٍ⁽⁸⁾ فَقَامَ عَلَيْهَا وَهُوَ يَبْكِي، فَنَادَاهُ فَظَنَّ أَنَّهَا رَحْمَةٌ أَدْرَكَتْهُمْ⁽⁹⁾ فَأَجَابَهُمْ. فَأَرَادُوا أَنْ يَرْضَخُوهُ⁽¹⁰⁾ لِيَقْتُلُوهُ فَمَنَعَهُمْ يَهُودَا، وَكَانَ يَهُودَا يَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽¹¹⁾

﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ متعلقٌ بـ﴿أَجْمَعُوا﴾ على تقديرِ حرفِ الجرِّ قياساً. أي: أجمعوا على أَنْ يَجْعَلُوهُ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولٌ ﴿أَجْمَعُوا﴾ نحو: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: 71] كما قال صاحبُ الكشاف.⁽¹²⁾ فاختلَفَ

(1) في نسخة (م): يضربوه.

(2) في نسخة (ش): أمّا.

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) في نسخة (ض): فيلطحوه.

(5) في جميع النسخ: يؤنسك، وأثبت (تؤنسك) لأنه أصح.

(6) في نسخة (غ): وولّوه.

(7) سقط من نسخة (ش).

(8) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): الصخرة.

(9) في نسخة (غ): أدركته.

(10) في نسخة (م): يرضحوه.

(11) رواه الطبري في تفسيره وتاريخه وقال عنه البرزنجي (محقق كتاب "صحيح وضعيف تاريخ الطبري"): ضعيف. وقال أبو حيان: "وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَتَضَمَّنُ كَيْفِيَّةَ إِلْقَائِهِ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَمَحَاوَرَتِهِ لَهُمْ بِمَا يُلِينُ الصَّخْرَ، وَهُمْ لَا يَزْدَادُونَ إِلَّا قَسَاوَةً. وَلَمْ يَتَعَرَّضِ الْقُرْآنُ وَلَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ لِشَيْءٍ مِنْهَا، فَيُوقَفُ عَلَيْهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ." ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان، (15/ 574)، والطبري (المتوفى: 310 هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6/ 241)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 449-450)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 247).

(12) سقط من نسختي (الأصل، م). ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 449).

في الجُبِّ؛ قال بعضهم: هو بئر بيت المقدس، وقال بعضهم: إنه بئر بأرض الأردن، وبعضهم: إنه بئر⁽¹⁾ بين مصر ومدين، وبعضهم على أنه على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.²

وروي أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين أُلقي في النار جرد من⁽³⁾ ثيابه، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى⁽⁴⁾ إسحاق وإسحاق إلى⁽⁵⁾ يعقوب، فجعله يعقوب في تميم⁽⁶⁾ علّقها في⁽⁷⁾ عنق يوسف، فجاء جبريل فأخرجه فألبسه⁽⁸⁾ إياه.⁽⁹⁾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ [يوسف: 15]

قال: أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى عيسى ويحيى. وقيل: كان له سبع عشرة⁽¹⁰⁾ سنة.⁽¹¹⁾ و﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ جملة مؤكدة بلام الابتداء وقعت موقع مفعول ﴿أَوْحَيْنَا﴾؛ لأن فيه معنى القول، أي: وقلنا له بلسان جبريل: لَتَحْدِثَنَّهُمْ بما فعلوا بك. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15] في حالة لا يعلمون أنك يوسف؛ لعل شأنك وكبرياء سلطانك، ولطول العهد المُبدّل للهيئات والأشكال. قال صاحب الكشاف:

(1) في نسخة (ش): ثبر.

² قاله مقاتل، ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، (2/ 321)، والواحي (المتوفى: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (2/ 602)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 221)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 449).

(3) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(4) في نسخة (ض): آل.

(5) في نسخة (ض): آل.

(6) في نسخة (ش): تمتة.

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) في نسخة (ض): وألبسه.

(9) ذكر نحوه في تفسير الثعلبي والرازي، وذكره البغوي منسوباً إلى مجاهد، ينظر: الثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 202)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 275)، الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (18/ 427).

(10) في نسخ (الأصل، م، ش): عشر.

(11) نسبه الزمخشري إلى الحسن، وابن الجوزي إلى ابن السائب الكلبي. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 450)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 419).

"وذلك أنهم لما دخلوا عليه مُمتارين⁽¹⁾ فَعَرَفَهُمْ وهم له منكرون، ودعا بصُواعٍ فَوَضَعَهُ على يَدَيْهِ، ثم نَقَرَهُ فَظَنَّ⁽²⁾ فقال: إِنَّهُ لِيُخْبِرُنِي⁽³⁾ هذا الجَامُ⁽⁴⁾ أَنَّهُ كَانَ لَكُمْ أَخٌ مِنْ أَبِيكُمْ يُقَالُ⁽⁵⁾ له يوسفُ، وكان يُدْنِيهِ دُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ انْطَلَقْتُمْ بِهِ وَأَلْقَيْتُمُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ، وَقُلْتُمْ لِأَبِيكُمْ: أَكَلَهُ الذِّئْبُ، وَبِعْتُمُوهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ⁽⁶⁾ انتهى. فالجملَةُ من تَتَمَّةِ قوله: ﴿لَشَبَّيْنَاهُمْ﴾. ويجوزُ أَنْ تَكُونَ⁽⁷⁾ مرتبطة⁽⁸⁾ بـ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ على معنى: وأوحينا إليه، وَأَرْزَلْنَا⁽⁹⁾ عن قَلْبِهِ الْوَحْشَةَ، بِالْوَحْيِ وهم لا يشعرون ذلك.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ [يوسف: 16]

آخِرَ النَّهَارِ، وقيل: جاءوا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ⁽¹⁰⁾ ليكونوا أَجْرًا⁽¹¹⁾ على الاعتذار بالكذب. ﴿يَبْكُونَ﴾ [يوسف: 16] حالٌ عن الضمير في ﴿جَاءُوا﴾. رُوي أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بكَاءَهُمْ فَرَجَّ، وقال: ما بالكُم؟ وأين يوسف؟

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17]

أي: نَسْتَابِقُ فِي الْعُدْوِ،⁽¹²⁾ أو فِي الرَّمْيِ، على ما هو معنى الاستباق. ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17] ولو كُنَّا عِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ؛ لَشِدَّةِ مَحَبَّتِكَ لِيُوسُفَ، فكيف وَأَنْتَ تُسِيءُ الظَّنَّ بِنَا؟

(1) سقط من نسخة (غ)، وفي النسخ الباقية (ممتازين)، وفي تفسير الكشاف: ممتازين، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/450).

(2) في نسخة (م): فظن.

(3) في نسخ (ض، م، ش): ليخبر.

(4) في نسخة (م): ليخبر في هذا الكلام، وفي نسخة (ش): ليخبر في هذا الجَام.

(5) في نسخة (ض): فقال.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/450).

(7) في جميع النسخ: يكون، وأثبت (تكون) لأنه أصح.

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): مرتبط.

(9) في نسخة (ض): وأنزلنا.

(10) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): اللَّيَالِي.

(11) في نسخة (ش): أجر.

(12) في نسخة (م): العداوة.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: 18]

أي: ذي كَذِبٍ، أو وَصَفٌ بالمصدر، مُبَالِغَةٌ. وَفُرِئ (كَذِبًا)⁽¹⁾ على الحال بمعنى: جاءوا به كاذبين. و﴿عَلَى قَمِيصِهِ﴾ في محلِّ النَّصْبِ على الظَّرْفِ [كَأَنَّهُ قِيلَ: وجاءوا فوق قَمِيصِهِ بِدَمٍ]،⁽²⁾ كذا في الكشاف.⁽³⁾ وَتَحْقِيقُهُ: أَنَّ ﴿عَلَى﴾ هُنَا اسْمِيَّةٌ بِمَعْنَى: الْفَوْقِ، وَمَجِيءُ ﴿عَلَى﴾ اسْمِيَّةٌ مِمَّا صَرَّحَ بِهِ⁽⁴⁾ ابْنُ الْحَاجِبِ.⁽⁵⁾ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مُتَقَدِّمَةً؛ لِأَنَّ الْحَالَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى ذِي الْحَالِ الْمَجْرُورِ عَلَى الْأَصَحِّ. وَرُوي أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا سَمِعَ بِخَبَرِ يَوْسُفَ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ الْقَمِيصُ؟ فَأَخَذَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ وَبَكَى حَتَّى خَضَبَ وَجْهَهُ بِدَمِ الْقَمِيصِ، وَقَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذَنْبًا⁽⁶⁾ أَخْلَمَ⁽⁷⁾ مِنْ هَذَا؛ أَكَلَّ ابْنِي وَلَمْ يُمَزِّقْ عَلَيْهِ قَمِيصَهُ،⁽⁸⁾ [كذا في الكشاف].⁽⁹⁾

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: 18] التَّسْوِيلُ: التَّسْهِيلُ؛ مِنْ (السَّوَّلِ)، وَهُوَ الْاسْتِرْخَاءُ. وَالتَّنْوِينُ فِي ﴿أَمْرًا﴾ لِلتَّفَاقُمِ، أَي: سَهَّلَ⁽¹⁰⁾ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا عَظِيمًا وَهَوَّنَتْهُ فِي أَعْيُنِكُمْ. ﴿فَصَبَّرَ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18] خَبِرُ مُحذُوفٍ، أَي: فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً لِكَوْنِهِ مَوْصُوفًا

(1) قراءة شاذة: (كَذِبًا) بالذال والألف، قرأ بها ابن أبي عتبة، وفي البحر المحيط نسبت إلى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَوَّزَهَا الْفَرَاءُ حَيْثُ قَالَ: وَيَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَقُولَ: جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبًا كَمَا تَقُولُ: جَاءُوا بِأَمْرٍ بَاطِلٍ وَبَاطِلًا، وَحَقٌّ وَحَقًّا. يَنْظُرُ: الْفَرَاءُ (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، (2/ 38)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 451)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 420)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير (6/ 250)، وابن عقيل، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 575).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 451).

(4) سقط من نسخة (غ)، وفي نسخ (الأصل، م، ش): عليه.

(5) ينظر: ابن الحاجب (المتوفى: 646هـ)، أمالي ابن الحاجب، (1/ 310-311).

(6) في نسخة (غ): ذنبًا.

(7) في نسخة (غ): أحكم.

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/ 451)، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن السدي، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 578)، والرازي، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ، (7/ 2111).

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(10) في نسخة (م): أمهل.

على حذف الخبر، تقديره: فصبر جميل أجمل. والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع: «أنه الذي لا شكوى فيه»،⁽¹⁾ [ومعناه: لا شكوى فيه]⁽²⁾ إلى الخلق. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 86] كذا في الكشف. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18] أي: أَسْتَعِينُهُ على احتمال ما تَصِفُونَهُ⁽³⁾ من هلاك يوسف.

قال البيضاوي: "وهذه الجريمة⁽⁴⁾ كانت قبل استنبائهم إن صح"⁽⁵⁾ انتهى. وهو صحيح على مذهب الأشاعرة؛ لأنهم يُجَوِّزون الكذب على الأنبياء قبل⁽⁶⁾ البعثة فيما لا يتعلق بأمر الله وتبليغ الأحكام،⁽⁷⁾

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في باب: باب في الصبر على المصائب برقم (9603)، عن الحسن بن عمرو قال: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ: "الصَّبْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ إِلَى النَّاسِ"، وأخرجه الطبري في تفسيره من حَبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ - وَهُوَ تَابِعِي ثِقَّةٌ عَرَفَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ - قَالَ: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 18] قَالَ: «صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ». قَالَ: «مَنْ بَثَّ فَلَمْ يَصْبِرْ»، هذا مرسل. ونقله ابن كثير عن هشيم، ثم قال: وهذا مرسل. الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (15/ 585)، وابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 375)، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، النُسَبي (المتوفى: 354هـ)، الثقات، اعتناء: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ-1973م، (4/ 181).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(3) في نسخة (ش): تصنعونه.

(4) في نسخ (م، ش، غ): الجرعة.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 158).

(6) في نسخة (ش): على.

(7) عصمة الأنبياء عند الأشاعرة: يتفق الأشاعرة مع الماتريدية - وغيرهم من سائر الفرق - على أن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقاً، قبل البعثة وبعدها. وفيما يخص الصغائر، فهي عندهم نوعان: أحدهما: صغائر قبل النبوة.

ثانيهما: صغائر بعد النبوة.

ويذهب الأشاعرة إلى أن الأنبياء تصدر عنهم هذه الصغائر قبل النبوة إذا لم تكن خسيصة وليس هناك دليل على منع ذلك، سواء أكان ذلك عمداً أم سهواً، أما بعد النبوة فإن الأنبياء معصومون عن تعمد كل ما يخل بصدقهم حتى إذا كان من الصغائر. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (1/ 178).

ولكن يُشكّل على المعتزلة القائلين⁽¹⁾ بامتناع صدور الكبيرة عن⁽²⁾ الأنبياء مطلقاً قبل البعثة وبعدها - اللهم إلا إن يَمْنَعُونَ استنباءهم-، لكن صاحب الكشف جَوَز استنباءهم حيث قال: "عَلِمَ يَعْقُوبُ أَنَّ يَوْسُفَ يَكُونُ نَبِيًّا وَإِخْوَتُهُ أَنْبِيَاءٌ اسْتَدْلَالاً"⁽³⁾ بضوء⁽⁴⁾ الكواكب، فلذلك قال: ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 6]⁽⁵⁾ انتهى. وكان عليه أن يوجّه الكلام بحيث يندفع عنه ما يردُّ عليه، كأنّه غَفَلَ عنه والله أعلم.⁽⁶⁾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: 19]

صفة موصوفٍ محذوفٍ، من نحو: رُفْقَةٌ وجماعةٍ، أي: جاءت رُفْقَةٌ تَسِيرُ⁽⁷⁾ من قِبَلِ مَدِينِ إِلَى مَصْرَ، وذلك بعد ثلاثة أيامٍ من إلقاء يوسف في الجُبِّ، فَأَخْطَطُوا الطَّرِيقَ فنزلوا قريباً منه. وكان الجُبُّ في قَفْرَةٍ بعيدةٍ من العُمرانِ، لم يكن إلا للزَّعَاةِ، كذا في الكشف. ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ [يوسف: 19] (الواردُ): من يَرِدُ الماءَ ليستقي للقوم. فجاء الواردُ فوق الجُبِّ، ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾: أرسلها فيه فتدلى بها⁽⁸⁾ يوسفُ، فلما رآه؛ ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَمٌ﴾ [يوسف: 19] نادى البُشْرَى، كأنّه قال: تَعَالِي فَهَذَا أَوْلَاكَ.

(1) في نسخة (غ): العالمين.

(2) في نسخة (ض): على.

(3) في نسخة (غ): واستدللاً.

(4) في نسخة (غ): تصوير.

(5) الزمخشري، الكشف، (2/ 445).

(6) تناول هذا الموضوع قاضي عياض (المتوفى: 544هـ) في كتابه الشفا، وقال بعد أن ردَّ على المجوزين للصغار على الأنبياء: "وَأَمَّا قِصَّةُ يَوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ فَلَيْسَ عَلَى يَوْسُفَ مِنْهَا تَعَقُّبٌ، وَأَمَّا إِخْوَتُهُ فَلَمْ تَنْبُتْ نُبُوَّتُهُمْ، فَيُلْزَمُ الْكَلَامُ عَلَى أَفْعَالِهِمْ، وَذِكْرُ الْأَسْبَاطِ وَعَدُّهُمْ فِي الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ صَرِيحاً فِي كَوْنِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ الْمَفْسُورُونَ: يَرِيدُ مِنْ نُبِيِّ مَنْ أَبْنَاءِ الْأَسْبَاطِ. الْقَاضِي عِيَاضٌ، أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ الْيَحْصَبِيِّ (المتوفى: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، (2/ 389).

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) قوله: (فتدلى بها يوسف): لعل قصده: نزول يوسف عليه السلام من منتصفِ البيرِ إلى الماءِ بالتدلي، ثم خروجه منها بسحبهم الحبل.

وقرى (بُشْرَايَ) ⁽¹⁾ على الإضافة إلى نفسه، ⁽²⁾ وقرى (بُشْرَيَّ) ⁽³⁾ نحو: يا مَوْلَيَّ، وهي لغة. ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ [يوسف: 19] وَأَخْفُوهُ من ⁽⁴⁾ الرُّفْقَةِ؛ الضمير للوارد وأصحابه. وقيل: أخفوا أمره وقالوا: دَفَعَهُ إِلَيْنَا أَهْلُ الْمَاءِ لِنَبِيعَهُ لَهُمْ بِمِصْرَ. وعن ابن عباس: أَنَّ الضَّمِيرَ لِأَخَوَةِ يَوْسُفَ، وَأَنْتَهُمْ قَالُوا لِرُفْقَةٍ ⁽⁵⁾ يَوْسُفَ: ⁽⁶⁾ هذا غلامٌ لَنَا قَدْ أَبَقَ، فَاشْتَرَوْهُ مِنَّا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه، كذا في الكشاف. ⁽⁷⁾

رُوي أن يَهُودًا كان يَأْتِيهِ كُلَّ يَوْمٍ بِالطَّعَامِ، فَأَتَاهُ يَوْمَئِذٍ فَلَمْ يَجِدْهُ فِيهَا، فَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَأَتَوْا الرُّفْقَةَ وقالوا: هذا غلامٌ لَنَا أَبَقَ مِنَّا فَاشْتَرَوْهُ. ﴿بِضْعَةٍ﴾ [يوسف: 19] نصبٌ على الحال، واشتقاقه من (البَضْع) بمعنى: القَطْع؛ فَإِنَّهُ مَا بُضِعَ مِنَ الْمَالِ لِلتَّجَارَةِ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 19] وعيدٌ لَهُمْ، حيث استبضعوا ما ليس لَهُمْ، أو لِأَخَوَةِ يَوْسُفَ، حيث عَمِلُوا ما عَمِلُوا.

(1) قراءة متواترة: قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ، وخلف (يَا بُشْرَيَّ) بِأَلْفٍ بَغِيرَ يَاءٍ، وقرأ الباقر (يَا بُشْرَايَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَإِثْبَاتِ الْأَلْفِ وَصَلًا، وساكنة وقفًا، وأمال فَتْحَةَ الرَّاءِ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلَفَ. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 347)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، (ص: 413)، القاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 161).

(2) كرر في نسخة (م) عبارة: "وقرى "بشري" على الإضافة إلى نفسه" مع إفراد كلمة (بشري).

(3) قراءة شاذة: (بُشْرَيَّ) نسبها ابن خالويه إلى ابن أبي إسحاق، وقال ابن جني: هي قراءة أبي الطفيل* والجحدري، وابن أبي إسحاق ورُويت عن الحسن. وقال الزمخشري: وفي قراءة الحسن وغيره: يَا بُشْرَيَّ، بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولِّي. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 67)، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 336)، الزمخشري، الكشاف، (2/ 452).

*أبو الطفيل: هو عامر بن وائلة بن عمرو أبو الطفيل الليثي. روى عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وعن أبي بكر وعمر وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم الزهري وقتادة. مات سنة 100، وقيل: بعدها، وهو آخر مَنْ مات من الصحابة. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ، (5/ 82).

(4) في نسخة (غ): في.

(5) في نسختي (ض، غ): للرُّفْقَةِ.

(6) سقط من نسختي (ض، غ).

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 452).

﴿وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20]

أي: باعوه، أي: الواردُ وأصحابه، أو إخوته، بثمانٍ ناقصٍ في العيارِ أو عن القيمة⁽¹⁾. والبَحْسُ: النقصانُ. و﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ بدلٌ من الثَمَنِ، أي: بدراهم قليلة. وإنما قيل: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾؛ لأنَّ القليلَ يُعدُّ والكثيرَ يُوزنُ. قال صاحبُ الكشاف: "لأنَّهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية، وهي الأربعون، ويعُدُّون ما دونها."⁽²⁾ ويجوزُ أن يكونَ معناه: واشترَّوه من⁽³⁾ إخوته بثمانٍ بحسٍ. واختلف في⁽⁴⁾ عددِ ثمنه؛ وعن ابنِ عباسٍ: أنه كانت عشرين درهماً، وعن السَّدي: اثني⁽⁵⁾ وعشرين. ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: 20] الضَّميرُ في ﴿كَانُوا﴾ إنَّ كان للواردِ وأصحابه؛ فهُمُ⁽⁶⁾ إمَّا بائعون أو مبتاعون.⁽⁷⁾ وعلى الأول معناه: وكانوا في يوسف من الراغبين عنه؛⁽⁸⁾ لأنَّهم انقطعوا للشَّيءِ متهاونين به، مستعجلين في بيعه. وعلى الثاني معناه: وكانوا من الراغبين عنه؛ لأنَّهم اعتقدوا أنه أبق، والابقُ ممَّا يُتَّهون به. وإن كان الضَّميرُ لإخوته فرغبتهم عنه أمرٌ ظاهرٌ لا سُرَّةَ فيه. و﴿فِيهِ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿الزَّاهِدِينَ﴾ إن كان اللام فيه للتعريف، وبمقدَّر تفسيره ﴿الزَّاهِدِينَ﴾ إن كان اللام اسمَ موصولٍ؛ لأنَّ الصَّلَةَ وما في خبرها ممَّا⁽⁹⁾ لا يَنَقَدُّ على الموصول.

(1) في نسخة (م): غنيمه.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 453).

(3) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): اثني، وفي نسخة (ض): اثنتي عشرين.

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) في جميع النسخ: متبايعون، وأثبت (مبتاعون) لأنه أصح.

(8) سقط من نسخة (ش).

(9) سقط من نسخ (الأصل، م، ش، غ).

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [يوسف: 21]

وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه: قِطْفِيرُ أو إِطْفِيرُ. واختلف فيما اشتراه به؟ مَنْ جَعَلَ شِرَاءَهُ غَيْرَ الْأَوَّلِ،⁽¹⁾ فقيل: اشتراه بعشرين ديناراً وَرُوجِي نَعْلٍ وَثَوْبَيْنِ⁽²⁾ أَبْيَضَيْنِ. وقيل: كانوا أَدْخَلُوهُ السُّوقَ يعرضونه فترافعوا⁽³⁾ ثمنه، حَتَّى بَلَغَ وَزْنُهُ مِسْكَاً وَحَرِيراً، وقيل: ذَهَباً، وقيل: فِصَّةً، وقيل: كان وَزْنُهُ أَرْبَعِمِائَةَ رَطْلٍ.

قيل: اشتراه العزيز وهو ابنُ سبعِ عشرةِ سَنَةٍ، وأقام في منزله ثلاثَ عشرةِ سنةً. وَاسْتَوَزَّرَهُ الْمَلِكُ وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً. وآتاه اللهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً. وَتُوفِّيَ وهو ابنُ مائةٍ وعشرينَ سنةً. وَالْمَلِكُ يَوْمئِذٍ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ -رجلٌ من الْعَمَالِيقِ-، وقد آمن بيوسف ومات في حياته، فَمَلَكَ بَعْدَهُ قَابُوسُ بْنُ مُصْعَبٍ، فدعاه يوسفُ إلى الإسلام فأبى.⁽⁴⁾ وقيل: كان الْمَلِكُ في أَيَّامِهِ فرعونُ موسى؛ عاش أَرْبَعِمِائَةَ سنةٍ بدليلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: 34] وقيل: فرعونُ موسى من أولادِ فرعون، وهو المشهور. وأجاب عن الاستدلالِ بِالآيَةِ بِأَنَّهُ من قبيلِ خطابِ الأولادِ بأحوالِ الآباءِ، وهو في الكلامِ المجيدِ غيرُ قليلٍ.⁽⁵⁾ ﴿لَا مَرَأَتَهُ أَكْرَمَى مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: 21] اللَّامُ متعلِّقةٌ بِ﴿قَالَ﴾ لا بِ﴿اشْتَرَاهُ﴾، أي: قال لامرأته راعيلَ⁽⁶⁾ أو زليخا -والمشهور هو الثاني-: ﴿أَكْرَمَى مَثْوَاهُ﴾ أي: اجعلي مقامه عندنا كريماً حسناً، يعني: أَحْسِنِي تَعَهُدَهُ. ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [يوسف: 21] بِالْمَعَاوَنَةِ وَالتَّدْبِيرِ مِنْ⁽⁷⁾ مَصَالِحِنَا. ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21] وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَقِيماً وَتَقَرَّسَ فِيهِ الرُّشْدُ. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 21] الْكَافُ فِي محلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ.

(1) يعني: لم يشتَرِ العزيزُ يوسفَ من الواردِ وأصحابه، أو من إخوة يوسف مباشرةً، حيث هم كانوا باعوه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودةً، بل هو اشتراه من السوقِ بثمنٍ مختلفٍ قد يكون باهظاً، والله تعالى أعلم.

(2) في نسخة (م): ثوابين.

(3) في نسختي (ض، غ): فيرافعوا.

(4) في نسخة (غ): قال.

(5) نقله عن تفاسير الأقدمين، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 453)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (18/ 435)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 159)، والنسفي (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2/ 102).

(6) في نسخة (ش): راغيل.

(7) في نسخة (غ): في.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما فهم من سابقه من تَمَكِينِهِ⁽¹⁾ في منزل العزيز، أو إنجائه وجعل العزيز عطوفاً عليه. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 21] عطف على علة محذوفة، تقديره: لِنَتَصَرَّفَ فيها ولنُعَلِّمَهُ، أو علة لفعل⁽²⁾ محذوف تقديره: وكان ذلك الإنجاء والتَمَكِينُ⁽³⁾ لِنُعَلِّمَهُ⁽⁴⁾. و﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: بيان معاني كتب الله، أو تعبير المنامات. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: 21] الضمير لله سبحانه، ويجوز أن يكون ليوسف، والأول أشمل وأنفع. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21] ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: 22]

قيل: في "الأشد": ثمانِي عشرة⁽⁵⁾ سنة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون. وقيل: أقصاه ثنتان وستون، كذا في الكشف.⁽⁶⁾ و(الحُكْمُ): يحتمل الحكمة، والحُكْمَ بين الناس. والعلم علم معاني كتب الله وأحكامها. وجوز البيضاوي أن يكون المراد علم تعبير المنامات،⁽⁷⁾ ولا يخفى أنه لا يلزم قوله: "وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين": لأنه كان قبل ذلك عالماً بتعبير المنامات، حيث عبّر رؤيا الملك في السجن. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22] تنبيه على أنه كان من المحسنين، وأن الإحسان جزاؤه⁽⁸⁾ العلم والعمل⁽⁹⁾ والحُكْمُ. وعن الحسن: مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ فِي شَبَابَتِهِ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي اكْتِهَالِهِ.

(1) في نسخ (الأصل، ش، ض): تَمَكَّنِهِ.

(2) في نسختي (م، ش): الفعل.

(3) في جميع النسخ: التمكن.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): ليعلمه.

(5) في نسختي (الأصل، م): ثمانية عشر سنة، وفي نسخة (ش): ثمانية عشرة سنة.

(6) الزمخشري، الكشف، (2/ 454).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 159).

(8) في نسخة (غ): مراده.

(9) العبارة من نسخة (غ).

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 23]

المرادة: مفاعلة، من (رَادَ) ⁽¹⁾ يَرُودُ، ⁽²⁾ إذا جَاءَ وَذَهَبَ لَطْلَبَ شَيْءٍ يُتَعَسَّرُ ⁽³⁾ أَخْذُهُ، أي: طَلَبَتْ ⁽⁴⁾ منه أن يوافقها، ⁽⁵⁾ طَلَبًا عَلَى طَرِيقِ الْخُدْعَةِ. ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: 23] قيل: كانت سبعة، والتشديد للمبالغة في أصل الفعل، أو لتكثير ⁽⁶⁾ الأفراد المفهومة من ﴿الْأَبْوَابَ﴾. ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23] أي: بَادِرْ وَأَقْبِلْ. و﴿هَيْتَ﴾ اسمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَاللَّامُ لِلْبَيَانِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَكَ أَقُولُ هَذَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، أي: تَهَيَّأْتُ لَكَ. وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (هَيْتَ)؛ ⁽⁷⁾ مِنْ (هَاءَ يَهْيِي)، إِذَا تَهَيَّأَ، عَلَى أَنْ تَكُونَ اللَّامُ صِلَةً لِلْفِعْلِ. وَقُرِئَ بِكسْرِ التَّاءِ ⁽⁸⁾ ك(جَيْرِ) وَبِضْمِهَا ك(حَيْثُ). ⁽⁹⁾ ﴿قَالَ مَعَاذَ

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): راود.

(2) في نسخة (م): ير.

(3) في نسخة (م): يتعير، وفي نسخة (غ): بتعبير.

(4) في جميع النسخ: طلب، وأثبت (طلبت) لأنه أصح.

(5) في نسخة (غ): يواقعها.

(6) في نسخة (ض): لتكثير.

(7) في نسختي (م، ش): هنت، وفي نسختي (ض، غ): هيت.

قراءة متواترة: (هَيْتَ) مِنْ (تَهَيَّأْتُ لَكَ) بِكسْرِ الْهَاءِ وَهَمْزِ الْيَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ، وَرَوَاهَا هِشَامُ بْنُ عَمَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ وَنُسِبَتْ أَيْضًا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَغَيْرِهِمَا. ابْنُ مَجَاهِدٍ (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 347)، ابْنُ جَنِيٍّ (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 337)، الداني (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 128)، القاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 161).

(8) قراءة شاذة: (هَيْتَ) إِلَى بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكسْرِ التَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَسَبَتْ ابْنَ عَبَّاسٍ بِخِلَافِ ابْنِ مُحِیْصَنٍ وَابْنِ إِسْحَاقَ وَأَبُو الْأَسْوَدِ وَعِيسَى الثَّقَفِيُّ. ابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 67)، ابْنُ جَنِيٍّ (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 337).

(9) قراءة متواترة: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ (هَيْتَ لَكَ) بِفَتْحِ الْهَاءِ وَتَسْكِينِ الْيَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ فِي رِوَايَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ (هَيْتَ لَكَ) بِكسْرِ الْهَاءِ وَتَسْكِينِ الْيَاءِ وَنَصْبِ التَّاءِ، وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عَمَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ (هَيْتَ لَكَ) مِنْ: (تَهَيَّأْتُ لَكَ) بِكسْرِ الْهَاءِ وَهَمْزِ الْيَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (هَيْتَ لَكَ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْهَاءِ مَعَ يَاءٍ سَاكِنَةٍ. يَنْظُرُ: ابْنُ مَجَاهِدٍ (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 347)، والقاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 161).

ووجه الضم: فلأنها في معنى الغايات، كأنها قالت: دعائي لك. فلما حذفت الإضافة، وتضمنت (هيت) معناها بُنِيتَ عَلَى الضم، كما بُنِيتَ (حيثُ)، و(منذُ). الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن أمين الدين الطبرسي (المتوفى 548هـ)،

﴿يُوسُفَ: 23﴾ مصدرٌ حُذِفَ فعلُهُ، نحو: سَبَحَانَ اللهُ، أي: أَعُوذُ بِاللَّهِ مَعَاذًا. ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ ﴿يُوسُفَ: 23﴾ الضَّمِيرُ لِلشَّانِ، وما بعده جملةٌ مفسِّرةٌ، في موقعِ الخبرِ، يعني: أَنَّ الشَّانَ رَبِّي وَمَالِكِي أَحْسَنَ مَثْوَايَ حينَ قالَ لَكَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ، فلا ينبغي أَنْ أَخُونَهُ فِي أَهْلِهِ فِي مَقَابِلِ إِحْسَانِهِ. وقيل: الضَّمِيرُ لِلَّهِ لِسَبْقِ (1) ذِكْرِهِ، و﴿رَبِّي﴾ خبرُهُ، وجملةٌ ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو استئنافٌ، أي: إِنَّهُ تَعَالَى خَالِقِي، وَأَحْسَنَ مَقَامِي، بَأَنْ عَطَفَ عَلَيَّ قَلْبَ مَالِكِي، فلا أَعْصِيهِ. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿يُوسُفَ: 23﴾ تعليلٌ لِسَابِقِهِ، والظُّلْمُ: (2) مُجَاوِزَةُ الْحَسَنِ بِالسَّيِّئِ، أو الزَّنا، أو الخيانةُ.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ﴿يُوسُفَ: 24﴾

الهُمُّ بِالشَّيْءِ: قَضْدُهُ وَالْعَزْمُ عَلَيْهِ، أي: قَصَدَتْ مَخَالَطَتَهُ. (3) ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ﴿يُوسُفَ: 24﴾ هُمُّهُ بِالمَخَالَطَةِ عبارةٌ (4) عن مِيلِ النَّفْسِ، وَمُنَازَعَةِ الشَّهْوَةِ الَّتِي بَتَحَقُّقِهَا (5) يَتَحَقَّقُ الْفَضْلُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِالمَجَاهِدَةِ مَعَ النَّفْسِ فِي تَرْكِ (6) هَوَاهَا، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهَا. وجوابُ ﴿لَوْلَا﴾ محذوفٌ بقرينةٍ ما قَبْلَهَا، أي: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَخَالَطَهَا. (7) ولا يجوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ جَوَابًا؛ لِأَنَّ جَوَابَ (لَوْلَا) لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا، كما لَا يَتَقَدَّمُ جَوَابُ الشَّرْطِ عَلَيْهِ. و"برهانُ الرَّبِّ" عبارةٌ عن الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى قُبْحِ الزَّنا، وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ. وقيل: رَأَى جَبْرِيلَ يَقُولُ لَهُ: يَا يُوسُفُ أَنْتَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَتَعْمَلُ عَمَلَ السُّفْهَاءِ؟ وقيل: تَمَثَّلَ لَهُ يَعْقُوبُ عَاصًا أَنْامِلَهُ، وقيل: رَأَى تِمْنَالَ عَزِيزٍ. ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿يُوسُفَ: 24﴾ الْكَافُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى

مجمع البيان في تفسير القرآن، تعليق وتخريج: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م، (295/5)

(1) في نسخة (غ): سبق.

(2) سقط الواو من نسخة (ش).

(3) في نسخة (م): مخالطة.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) سقط من نسخة (م).

(6) في نسخ (الأصل، م، ش): بترك.

(7) في نسخة (م): فخالطها، وفي نسخة (ض): يخالطها.

المصدر،⁽¹⁾ لمحذوفٍ تقديرُهُ: مِثْلَ ذَلِكَ التَّثْبِيتِ⁽²⁾ تَبْنَاهُ، أو في محلِّ الرَّفْعِ على الخبرِ تقديرُهُ: والأمرُ كذلك. ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: 24] أي: الخيانة والزنا. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24] من الذين أَخْلَصَهُمُ اللهُ. وَفُرِيَ بِكسرِ اللَّامِ،⁽³⁾ أي: من الذين أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لَهِ. وَ﴿مِنْ﴾ للتَّبَعِيضِ ويحتملُ الابتداءَ، بمعنى: أَنَّهُ نَاشِئٌ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف: 25]

أي: إلى⁽⁴⁾ الباب؛ على الحذف والإيصال. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ على تضمينِ (الاستباق)⁽⁵⁾ معنى (الابتدأ).⁽⁶⁾ وذلك أَنَّ يوسُفَ نَفَرَ مِنْهَا، وَقَصَدَ الْخُرُوجَ مِنْ⁽⁷⁾ البابِ الْبَرَّانِي -الذي هو الْمَخْرَجُ مِنَ الدَّارِ- مَسْرِعاً، فَأَسْرَعَتْ هِيَ وَرَاءَهُ لِيَتَمَنَعَهُ الْخُرُوجَ. وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا هَرَبَ يوسُفُ جُعِلَ فَرَّاشُ الْقُلِّ⁽⁸⁾ يَتَنَاقَرُ وَيَسْقُطُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْأَبْوَابِ.⁽⁹⁾ ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ [يوسف: 25] اجْتَدَبَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ⁽¹⁰⁾ فَانْقَدَّتْ قَمِيصُهُ. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: 25] وَصَادَفَا الْعَزِيزَ زَوْجَهَا. وَلَمْ يَقُلْ: "سَيِّدَهُمَا" كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ؛ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ مَلَكِيَّةَ يوسُفَ لَهُ مَا كَانَتْ صَحِيحَةً فِي الْحَقِيقَةِ. وَقِيلَ: أَلْفَيَاهُ مُقْبِلًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ، وَقِيلَ: جَالِسًا مَعَ ابْنِ عَمِّ لِلْمَرْأَةِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ

(1) في نسخة (ش): مصدر.

(2) في نسخة (م): التثبیت الذي.

(3) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (المُخْلَصِينَ) بكسر اللام في جميع القرآن، وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وحمة والكسائي وخلف (المُخْلَصِينَ) بفتح اللام في جميع القرآن، إلا أن يكون بعده (الذين) أو (ديني)، فإنه لا خلاف فيه أنه بكسر اللام. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 246).

(4) سقط من نسخة (م).

(5) في نسخة (ض): الاستئناف.

(6) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): الابتداء.

(7) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(8) قوله: فرأش القل: ما يُشَبُّ فيه. يقال: أقفل فأفرش، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1015).

(9) يعني: معجزة من الله تعالى.

(10) في نسخة (م): وراء.

يُسَجَّنْ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [يوسف: 25] قَالَتْ ذَلِكَ تَبْرِئَةٌ⁽¹⁾ لِنَفْسِهَا، وَقَصْدًا⁽²⁾ لِلانْتِقَامِ مِنْ يَوْسُفَ، حَيْثُ⁽³⁾ خَالَفَ أَمْرَهَا.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: 26] وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا عَرَّضَتْهُ لِلسَّجْنِ وَالْعَذَابِ، فَوَجِبَ عَلَيْهِ الدَّفْعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَتَمَ عَلَيْهَا. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: 26] قِيلَ: كَانَ ابْنُ عَمِّهَا، وَإِنَّمَا أَلْفَى اللَّهَ الشَّهَادَةَ عَلَى لِسَانِ مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهَا لِيَكُونَ أَوْثَقَ لِبَرَاءَةِ يَوْسُفَ⁽⁴⁾ وَأَنْفَى⁽⁵⁾ لِلتَّهْمَةِ عَنْهُ.⁽⁶⁾ وَقِيلَ: ابْنُ خَالِهَا صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ. وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارًا»⁽⁷⁾ ابْنُ مَاشِطَةَ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يَوْسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ.⁽⁸⁾

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): تنزيه.

(2) في نسخة (ض): قصد.

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) في نسخة (ش): والنفي، وفي نسختي (ض، غ): أنقى.

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 459)، والنسفي (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2/ 105).

(7) في نسختي (ض، غ): صغاراً.

(8) ورواه الحاكم في المستدرک في کتاب (تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ) فِي بَابِ (تَكْرُرِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرُوحِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا) (2/ 650)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَفْظُهُ فِيهِ: (تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: هَذَا، وَشَاهِدُ يَوْسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ)، وَذَكَرَ فِيهِمْ شَاهِدُ يَوْسُفَ.

قَالَ الزَّيْلَعِيُّ (المتوفى: 762هـ) فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْكَشَافِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ فِي الْمَهْدِ وَهُمْ صِغَارٌ ابْنُ مَاشِطَةَ بِنْتُ فِرْعَوْنَ وَشَاهِدُ يَوْسُفَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ). قُلْتُ: اسْتَشْهَدَ لَهُ الطَّبْرِيُّ بِحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً (لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَصَبِي كَانَ يَرْضِعُ أُمَّهُ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ دَابَّةً حَسَنَ الْهَيْئَةِ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَانْتَفَتِ الصَّبِيُّ وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ... إِلَى آخِرِهِ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ (4/ 165) فِي كِتَابِ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: 16] وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْبُرِّ وَالصَّلَةِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ حَدِيثُ الْكِتَابِ، وَحَدِيثُ الْكِتَابِ رُويَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: فَحَدَّثَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ (7/ 165)، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (2/ 538)، وَأَحْمَدُ (5/ 31)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (6/ 339)، وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ، وَأَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ (4/ 395)، فِي مَسَانِيدِهِمْ، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ (11/ 450)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (3/ 178) فِي الْبَابِ السَّادِسِ عَشَرَ كُلِّهِمْ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 26-27]

الجملة الشرطية وَقَعَتْ محكيّة عن فعل⁽¹⁾ الشهادة، باعتبار: أَنَّ في الشهادة معنى القول، وأنَّ الشرطية تدلُّ على صدق يوسف وكذبها، فكأنَّها شهادة، وإن⁽²⁾ لم تكن عبارة شهادة. ودلالة "قُدَّ القميص من دُبُرٍ" على كذبها ظاهر. وأمَّا دلالة "قُدَّه من قُبُلٍ" على صدقها: باعتبار أَنَّ قُدَّه حينئذٍ⁽³⁾ إمَّا بأن يكون حين مُدَافَعَتِهَا إِيَّاه، أو حين هَرَبِهَا عنه ومسارعتِهِ خَلْفَهَا، ووقوع قميصه تحت رجله، وكلاهما دليل صدقها.

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَّتْ بِي رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟» فَقَالُوا: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا كَانَتْ تَمْشِطُهَا فَوْقَ الْمَشْطِ مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ. فَقَالَتْ ابْنَتُهُ: أَبِي؟ فَقَالَتْ: لَا، بَلْ رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ. فَقَالَتْ: أَخْبِرْ بِذَلِكَ أَبِي، قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهَا وَبَوْلَدِهَا فَقَالَتْ لَهُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَتْ: تَجْمَعُ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فَتَدْفِنُنَا جَمِيعًا. قَالَ: ذَلِكَ لَكَ، فَاتِي بِأَوْلَادِهَا فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ وَلَدِهَا وَكَانَ مُرْضِعًا، قَالَ لَهَا: يَا أُمَاهُ اضْبِرِّي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، ثُمَّ أُلْقِيَتْ مَعَ وَلَدِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: هَذَا، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» انْتَهَى. قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فِي فَصَائِلِ عِيسَى مِنْ حَدِيثِ مُسْلِمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ مَاشِطَةِ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ» انْتَهَى، وَقَالَ: حَدِيثُ صَحِيحٍ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. يَنْظُرُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ خُوَاسْتِي الْعَبْسِيِّ (المتوفى: 235هـ)، الْكِتَابُ الْمَصْنَفُ فِي الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ، تَحْقِيقُ: كَمَالُ يُوسُفَ الْحَوْتِ، مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ - الرِّيَاضِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1409، (6/ 339)، وَالطَّبْرِيُّ (المتوفى: 310هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (16/ 54)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ (المتوفى: 405هـ)، الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، (2/ 538 و 650). الزَّيْلَعِيُّ (المتوفى: 762هـ)، تَخْرِيجُ أَحَادِيثِ الْكَشَافِ، (2/ 163)، ابْنُ كَثِيرٍ (المتوفى: 774هـ)، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، (4/ 384).

(1) في نسخة (ش): قبل.

(2) في نسخة (غ): فإن.

(3) في نسخة (غ): ح.

وَقُرِئَ (مِنْ قُبُلٍ) وَ(مِنْ دُبُرٍ) بِالضَمِّ؛⁽¹⁾ عَلَى أَتَمِّهِمَا قُطْعًا مِنَ الْإِضَافَةِ، بِدُونِ أَنْ يُجْعَلَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ نَسِيًّا مَنْسِيًّا. وَقُرِئَ (مِنْ قُبُلٍ) وَ(مِنْ دُبُرٍ) بِالْفَتْحِ،⁽²⁾ عَلَى مَنَعِ الصَّرْفِ لِلتَّأْنِيثِ وَالْعَلَمِيَّةِ؛ بِجَعْلِهِمَا عَلَمَيْنِ لِلجِهَتَيْنِ. وَدَخُولِ (إِنْ) وَهِيَ لِلْإِسْتِقْبَالِ عَلَى (كَانَ) وَهِيَ لِلْمُضِيِّ؛ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى تَأْوِيلٍ، نَحْوُ: إِنْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ. وَنَظِيرُهُ: إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلُ؛ عَلَى تَأْوِيلٍ: إِنْ تَمَتَّنَ⁽³⁾ عَلَيَّ بِإِحْسَانِكَ أَمَتَّنُ⁽⁴⁾ عَلَيْكَ بِإِحْسَانِي⁽⁵⁾ السَّابِقِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ⁽⁶⁾ وَتَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ⁽⁷⁾، إِلَّا أَنَّ التَّفْتَازَانِيَّ فِي⁽⁸⁾ شَرْحِهِ

-
- (1) **قراءة شاذة:** (مِنْ قُبُلٍ)، وَ(مِنْ دُبُرٍ) بثلاث ضمات من غير تنوين: وهي قراءة ابن يعمر والجارود بن أبي سبرة* بخلاف وابن أبي إسحاق ونوح القارئ* وزُويْت عن أبي رجاء***، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (1/ 338)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 236).
- * **الجارود بن أبي سبرة:** الهذلي سالم بن سلمة، أبو نوفل البصري، ويقال الجارود بن سبرة، تابعي ومحدث من الثقات. روى عن أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله وهيرهم من الصحابة، قال أبو حاتم صالح الحديث، وقال الدارقطني: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة عشرين ومائة. العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تهذيب التهذيب، (2/ 53).
- ** **نوح القارئ:** ذكره الحافظ أبو عمرو وقال: قال محمد بن الحسن النقاش: ثم كان بعد أبي عمرو بن العلاء -يعني من رواة الحروف المتصدرين- نوح القارئ، وذكر جماعة. غاية النهاية في طبقات القراء (2/ 343).
- *** **أبو رجاء:** هو عمران بن تيم أبو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة، وكان مخضرمًا، أسلم في حياة النبي ولم يره، عرض القرآن على ابن عباس وتقلنه من أبي موسى، وحدث عن عمر وغيره من الصحابة -رضي الله عنهم- مات سنة 105. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (1/ 604).
- (2) **قراءة شاذة:** نسبت إلى ابن أبي إسحاق*، ينظر: الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 103)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 461).
- * **ابن أبي إسحاق:** هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي أحد العشرة، أخذ القراءة عرضًا عن يحيى بن يعمر وهارون بن موسى الأعور، مات سنة 117. ابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (1/ 410).
- (3) في نسخ (الأصل، م، ش): تمنن.
- (4) في نسخ (الأصل، م، ش): أمنن.
- (5) في نسخة (غ): بإحسان.
- (6) سقط من نسخة (م). الزمخشري، الكشاف، (2/ 461).
- (7) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 161).
- (8) في نسخة (غ): من.

للتلخيص قال: وقد يُستعمل (إن) في غير الاستقبال قياساً مُطَرِّداً مع (كان)،⁽¹⁾ فعلى⁽²⁾ هذا لم يبق حاجة إلى التأويل.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28]
الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ لقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: 25]، أو لِمَا⁽³⁾ يفهم من قوله، من إسناد السوء إليه، وإرادة الانتقام منه. وإنما استعظم كيد النساء؛ لأن كيدهن أشد تأثيراً في⁽⁴⁾ النفس؛ لزيادة ألفتهم⁽⁵⁾ بالأمور الشَّهوانية وكمال تعلقهن بالرتب⁽⁶⁾ والزينة الجسمانية. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: 29]
أي: يا يوسف اكتمه ولا تذكره.⁽⁷⁾ وإنما قاله مخافة أن يطلع عليه غيره. ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29] خاطبها بعد خطاب يوسف ونصحها ولم يُبالغ في زجرها، مخافة الفضيحة. قال صاحب الكشاف: "ما كان العزيز إلا رجلاً حليماً. وروي أنه كان قليل الغيرة." ⁽⁸⁾ يُقال: خطأ فلان، إذا أذنب عمداً، وإنما ذكر الجمع للتغليب، أي: من القوم الخاطئين.

(1) التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (المتوفى: 792 هـ)، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، تحقيق وتعليق عبد المتعال الصعيدي، قم-إيران، دار النشر: انتشارات كُتُبي نجفي. (1/144)، والدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: 792 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (2/77).

(2) في نسخة (غ): عقل.

(3) في نسخة (ش): ما.

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في جميع النسخ: ألفتهم، وأثبت (ألفتهم) لأنه أصح.

(6) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): بالزيب.

(7) في نسخة (م): تدكن، وفي نسخة (ش): تدكن.

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/461).

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: 30]

النِّسْوَةُ اسمٌ مفردٌ لَجَمْعِ (1) المرأة، وتَأْنِيثُهُ غيرٌ حَقِيقِيٌّ؛ إذ ليس في مقابلِهِ ذَكَرٌ من الحيوان. ولا تَقَابِلُ (2) بينه وبين (رَجَالٍ)؛ (3) لأنه مفردٌ، و(رَجَالٌ) جمعٌ. و﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ ظرفٌ متعلِّقٌ ب﴿قَالَ﴾. (4) ويجوز أن يكونَ مستقرًّا في موضع الصِّفَةِ (5) ل﴿نِسْوَةٍ﴾. وكُنَّ خمساً؛ امرأةً الحاجبِ، وامرأةً صاحبِ الدَّوَابِّ، (6) وامرأةً السَّاقِي، وامرأةً الخَبَّازِ، وامرأةً صاحبِ السَّجَنِ. ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 30] مقولٌ قال، والعَزِيزُ: المَلِكُ، بلسانِ العربِ، يُرَدَّنُ (7) به: قَطْمِيرٌ. ﴿فَتَاهَا﴾: أي: غَلَامُهَا، يُقال: فتاي وفتاتي، أي: غلامي وجاريتي، كذا في الكشاف. (8) ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: 30] استئنافٌ، لبيان حالِهما أو حالِ أحدهما؛ لاشتِمَالِهِ على صَمِيرِيهِمَا (9) أو تعليلٌ لمرادِيتها، أي: شقَّ فتاهَا شَغَافَ قلبِها حتَّى وصل إلى فؤادِها. و﴿حُبًّا﴾ نصبٌ على التَّمْيِيزِ، نحو: طَابَ زيدٌ أباً. ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ ضميراً (10) مُبْهِمًا يُمَيِّزُهُ (11) ﴿حُبًّا﴾، على معنى: قد شَغَفَهَا الحُبُّ. وقُرى (قَدْ شَغَفَهَا) بالعينِ، (12) من

(1) في نسخة (م): لجميع.

(2) في نسخة (غ): يُقَابِلُ.

(3) في الأصل: رجلاً، وفي نسختي (م، ش): رجلاً.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): يُقال.

(5) في نسخة (ض): صفة.

(6) في جميع نسخ: الدوات، ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 462)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 161).

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): يرون.

(8) الزمخشري، الكشاف، (2/ 462).

(9) في نسخ (الأصل، م، ش): ضمير بهما.

(10) في نسخة (ش): ضمير بهما.

(11) في نسختي (الأصل، م): وتميِّزه، وفي نسخة (ش): ويميِّزه.

(12) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إلى عليٍّ -عليه السلام- والحسن بخلاف، وأبي رجاء، ويحيى بن يعمر، وقتادة، وغيرهم. ينظر:

ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 339)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 66)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 216).

(شَعَفَ) ⁽¹⁾ البعير إذا (هَنَأَهُ)، ⁽²⁾ فَأَحْرَقَهُ بِالْقَطِرَانِ. ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30] في خطأ ظاهر.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [يوسف: 31]

أي: باغتيابهن، ⁽³⁾ وقولهن: امرأة العزيز عَشَقَتْ عَبْدَهَا الكنعاني وَمَقَّتَهَا. ⁽⁴⁾ وَإِنَّمَا سُمِّيَ الاغتياب ⁽⁵⁾ مَكْرًا؛ لأنه كان في خُفْيَةٍ وحال غيبية، كالمكر. ﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: 31] جواب (لَمَّا)، أي: دعتهن. قيل: دعت أربعين امرأة فيهن الخمس. ⁽⁶⁾ ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا وَعَائْتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [يوسف: 31] الإِعْتَادُ: ⁽⁷⁾ تَهْيَأُ ⁽⁸⁾ الأسباب، والمتكأ ما يُتَكأ عليه من الوسادة. قال صاحب الكشاف: "قَصَدَتْ بتلك الهيئة -وهي قُعودهن متكنات والسكاكين في أيديهن-: أَنْ يَدْهَشَنَّ ⁽⁹⁾ وَيُبْهَتَنَّ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ، وَيَشْعَلْنَ عَن نَفْسِهِنَّ [فَتَقَعَ أَيْدِيَهُنَّ] ⁽¹⁰⁾ عَلَى أَيْدِيَهُنَّ فَيَقْطَعْنَهَا؛ لِأَنَّ الْمُتَكَا إِذَا بُهَتَ لشيءٍ ⁽¹¹⁾ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى يَدِهِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَقْصِدَ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَكْرِ بِهِ وَبِهِنَّ، فَتَضَعِ الْخَنَاجِرَ فِي أَيْدِيَهُنَّ لِيَقْطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، فَتُبْكِتَهُنَّ

(1) شَعَفَ البعير بِالْقَطِرَانِ: كَمَنَعَ: طَلَاهُ، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، (ص: 825).

(2) قوله (هَنَأَهُ): هَنَأْتُ البعير أَهْنَوَهُ هُنَأً، إِذَا طَلَيْتَهُ بِالْهِنَاءِ، وَهُوَ الْقَطِرَانُ. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، (2/ 1106).

(3) في نسخة (م): اعتيابهن، وفي نسخة (ض): باعتهن.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): وفتاها. قوله: (وَمَقَّتَهَا) يعني: مَقَّتْ يوسف امرأة العزيز، أي: أَبْغَضَهَا، وفي الصحاح: (مَقَّتَهُ): أَبْغَضَهُ. الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، (ص: 296).

(5) في نسخة (م): الاعتيا، وفي نسخة (ش): الاعتبا.

(6) أي: امرأة الحاجب، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب السجن، كما سبق ذِكْرُهُمْ آنفًا. (7) في نسخ (الأصل، م، ش): الإعتاد.

(8) في جميع النسخ: تهيأت.

(9) قوله: يدهشن أي: يتحيرن، أفاده الصحاح. ينظر: الجوهري (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (3/ 1006).

(10) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(11) في نسخ (الأصل، م، ش): بشيء، ينظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، (2/ 463).

بالحجة، ولتَهَوَّلَ يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر، وتوهمه⁽¹⁾ أنهن يثبن⁽²⁾ عليه⁽³⁾ انتهى. وجعل البيضاوي كل واحد منهما سبباً لقصد تلك الهيئة، حيث قال بعد ذكر الوجه الأول: "أو يهاب يوسف مكرها إذا خرج⁽⁴⁾ وحده على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر." ⁽⁵⁾ ولا يخفى أنه بانفراده لا يصلح للسببية⁽⁶⁾ ولا يفيد فائدة دخيلة في القصة، فتدبر. وقيل: المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكى عليه بالسكين. ﴿وَقَالَتِ آخُوجُ عَلَيْكَ فَأَكْبَرَنَّهُ﴾ [يوسف: 31] عظمته⁽⁷⁾ لرؤيتهن⁽⁸⁾ فيه ما لا يرين في أحد من الحسَن والجمال⁽⁹⁾. قيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تَلَأُلُو وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس - من الماء - عليها. وقيل: (أكبرن) بمعنى: حصن، والهاء للسكت، يقال: (أكبرت المرأة) إذا حاصت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها في الحيض تخرج من حد⁽¹⁰⁾ الصغر إلى الكبر. وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله:

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ إِذَا الْجَمَالَ⁽¹¹⁾ بِبُرْقَعٍ ... فَإِنْ لُحِتَ⁽¹²⁾ حَاصَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ⁽¹³⁾.

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): توهم، وفي نسخة (غ): بوهم.

(2) في الأصل: يثبن.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 463).

(4) في نسخة (م): أخرج.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 162).

(6) في نسخة (غ): لسببية.

(7) في نسخ (الأصل، م، غ): عظمت، وفي نسخة (ش): عظيمته.

(8) في نسخة (ض): لرؤيته.

(9) في نسخة (غ): الكمال.

(10) في نسخة (ش): أحد.

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(12) في نسخة (م): الحب.

(13) في نسخة (م): العواتق. الخدور: الستور، والعواتق: الشابات من النساء، يعني: استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك فإنك إن ظهرت دابت الشواب في خدورهن شوقاً إليك وعشفاً لك. المتنبى، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (المتوفى 354هـ) ديوان المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ-1983م، (ص: 78)، والواحي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: 468هـ)، شرح الواحي لديوان المتنبى، تحقيق وتعليق: د. ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م، (1/ 417-418).

كذا في الكشاف،⁽¹⁾ وجوز البيضاوي أن تكون الهاء ضميراً للمصدر، على أن يكون في موضع النصب على المصدر، أو ليوسف، على حذف اللام،⁽²⁾ وكلاهما تكلف بعيد. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 31] جَرَحَتْهَا من فَرَطِ الْحَيْرَةِ وَالْدَّهْشَةِ. ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: 31] (حاشاً)⁽³⁾ حرف جر يفيد معنى التنزيه، فوضعت موضع التنزيه. واللام للبيان، نحو: سُقِيَا لَكَ،⁽⁴⁾ حُذِفَ أَلْفُهُ لِلتَّخْفِيفِ. وقُرى على الأصل،⁽⁵⁾ وقُرى (حاشاً لله)⁽⁶⁾ بمعنى براءة الله، ولصحة تنزيله منزلة المصدر. قُرى (حاشاً) بالتثوين.⁽⁷⁾ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31]؛ لَأَنَّ جَمَالَهُ لَيْسَ مِمَّا هُوَ الْمَعْهُودُ لِلْبَشَرِ. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]؛ لَأَنَّ الْفَائِقَ عَلَى الْبَشَرِ فِي الْجَمَالِ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 465).

(2) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 162).

(3) في نسخة (ش): حاش.

(4) في نسخة (غ): سعيًا لك. وعبارة (سُقِيَا لَكَ): يقال أيضاً: سُقِيَا لَكَ وَرَعِيَا: بمعنى: الدعاء له بالسقيا والمرعى الخصيب. مختار، أحمد عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م، (2/ 910).

(5) قراءة متواترة: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو (حَاشَا لِلَّهِ) - فِي الْمَوْضِعَيْنِ - بِأَلْفٍ بَعْدَ الشَّيْنِ لَفْظًا فِي حَالَةِ الْوَصْلِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِحَذْفِهَا، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْحَذْفِ وَقَفًا اتِّبَاعًا لِلْمُضْحَفِ. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 348)، وابن الجزري (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 295).

(6) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 341).

(7) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إِلَى أَبِي السَّمَالِ، * وَابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68).

* أَبُو السَّمَالِ: هُوَ قَعْنَبُ بْنُ أَبِي قَعْنَبٍ أَبُو السَّمَالِ -بِفَتْحِ السَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَبِالْلامِ- الْعُدَوِيُّ الْبَصْرِيُّ، لَهُ اخْتِيَارٌ فِي الْقِرَاءَةِ شَاذٌ عَنِ الْعَامَةِ رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ. ابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، (2/ 27).

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ [يوسف: 32]

(ذلك) إشارة إلى المعنى بقولهن: عَشَقْتُ عَبْدَهَا الكنعاني، والفاء فصيحة، أي: قالت: إذا تَحَقَّقْتُن الأمر⁽¹⁾ من حُسْنِهِ وجمالِهِ، وَتَحَيَّرْتُن فِيهِ؛ فهو ذلك العبدُ الكنعانيُّ الذي لُمْتُنَنِي فِيهِ قبل أن تَتَصَوَّرْتُهُ⁽²⁾ حقَّ تصوُّره. ويجوزُ أن يكونَ: إشارةً إلى المُشَاهِدِ الحَاضِرِ، على معنى: فهذا هو الذي لُمْتُنَنِي فِيهِ، بتنزِيلِ القريبِ منزلةَ البعيدِ، رَفْعاً لدرجة حُسْنِهِ، واستبعاداً لمنزلةِ جمالِهِ عن تصوُّرِ أَحَدٍ. ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمَ﴾ [يوسف: 32] فامتنع؛⁽³⁾ لكمالِ عِصْمَتِهِ. والاستعصامُ: -كما قال صاحبُ الكشاف- بناءٌ مبالغَةٍ يدلُّ على الامتناعِ البالغِ⁽⁴⁾ والتَّحَقُّظِ الشَّدِيدِ.⁽⁵⁾ قال البيضاوي: "أَقْرَبَتْ لَهُنَّ حِينَ عَرَفْتِ أَنَّهُنَّ يَغْذِرْنَهَا كَيْ يُعَاوَنَهَا عَلَى الْإِنَانَةِ عَرِيكَتِهِ."⁽⁶⁾ العَرِيكَةُ: النَّفْسُ والطَّبِيعَةُ. ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾ [يوسف: 32] اللَّامُ موطئةُ القَسَمِ و(مَا) موصولةٌ، والضَّمِيرُ عائِدٌ إلى ما أُمِرَ بِهِ، على الحَذَفِ والإِصَالِ. ويجوزُ أن تكونَ مصدرِيَّةً، ويكونَ الضَّمِيرُ ليوسفَ، على تقدير: لئن⁽⁷⁾ لم يفعلْ موجبُ أمرٍ إِيَّاه. ﴿لَيْسَجَنَّ وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 32] جوابُ القَسَمِ، والصَّغَارُ: الذُّلُّ. وَقُرِئَ (لَيْكُونَنَّ)⁽⁸⁾ [بالتَّخْفِيفِ، إِلَّا أَنْ] ⁽⁹⁾ التَّخْفِيفُ لم تُكْتَبْ بِالْأَلْفِ، وَالْأَلْفُ ثَابِتٌ فِي خَطِّ الْمَصْحَفِ.¹⁰

(1) في نسخة (ش): من الأمر.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): يتصور به.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): جاء منيع.

(4) في نسخة (غ): التبليغ.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 467).

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 162).

(7) في نسخة (غ): إن.

(8) قراءة شاذة: ذكرها الزجاج ونُسبت في كتب التفسير إلى مجموعة، ينظر: الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 108)، والسمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 375هـ)، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م، (2/ 160)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 241)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 184).

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

¹⁰ ينظر: الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (المتوفى: 444هـ)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ص: 50).

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]

أُسْنَدُ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِنَّ جَمِيعاً؛ لِأَنَّهُنَّ (1) خَوَّفْنَهُ (2) مِنْ (3) مَخَالَفَتِهَا، وَزَيَّنَ لَهُ مَطَاوَعَتَهَا. وَقُرِئَ (السِّجْنُ) بِالْفَتْحِ (4) عَلَى الْمَصْدَرِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا ابْتُلِيَ بِالسِّجْنِ لِقَوْلِهِ هَذَا، وَإِنَّمَا كَانَ الْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ. (5) وَلِذَلِكَ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ كَانَ يَسْأَلُ (6) الصَّبْرَ، (7) كَذَا قَالَ الْبَيْضاوي. (8) ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: 33] وَإِنْ لَمْ تَصْرِفْ عَنِّي، بِتَثْبِيتِي (9) عَلَى الْعِصْمَةِ؛ أَمِلْ إِلَى جَانِبَهُنَّ وَإِلَى مَا يَدْعُونَنِي (10) إِلَيْهِ بِمَقْتَضَى طَبْعِي وَشَهْوَتِي. وَالصَّبْوَةُ: الْمَيْلُ. (11) وَقُرِئَ (أَصْبُ) (12) مِنْ (الصَّبَابَةِ)، وَهِيَ الشَّقْوُ. ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33] مِنَ السَّفَهَاءِ، أَوْ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَالْجَهَّالُ سَوَاءٌ.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: 34]

وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَطْلُبْ صَرَفَ كَيْدَهُنَّ صَرِيحاً إِلَّا أَنْ كَلَامَهُ كَانَ مُتَضَمِّناً لِذَلِكَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 34] تَعْلِيلٌ لِلِاسْتِجَابَةِ.

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) في نسخة (م): حرقه.

(3) في جميع النسخ: عن وأثبت (من) لأنه أصح.

(4) قراءة متواترة: قرأ يعقوب (السِّجْنُ) بفتح السين، وقرأ الباقر (السِّجْنُ) بكسر السين. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 246).

(5) في نسختي (الأصل، م): العاقبة.

(6) في نسخة (غ): سأل.

(7) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَابِ بَرَقْم (3527)، وأحمد بن حنبل في مسنده برقم (22017) واللفظ له، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ. فَقَالَ: «قَدْ سَأَلْتَ الْبَلَاءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ». وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. الترمذي (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، (5/ 541)، أحمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (36/ 347).

(8) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 163).

(9) في نسخ (الأصل، م، ش): تثبتي.

(10) في نسخة (م): يدعوني.

(11) في نسخة (م): الليل.

(12) قراءة شاذة: (أَصْبُ) بتشديد الباء وفتح الصاد، نسبت إلى محمد بن السميع. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68).

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: 35]

فاعل ﴿بَدَأَ﴾ مضمَرٌ يُفَسِّرُهُ⁽¹⁾ ﴿لَيْسَجُنَّهُمْ﴾، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للعزير وأهله. والآيات: الشواهد على براءته، أي: ثم ظهر للعزير وأهله من بعد رؤيتهم الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي، وقَدِّ القميص، وقَطْعِ النساءِ أَيْدِيَهُنَّ، واستعصامه⁽²⁾ عنهن. وما كان ذلك إلا لأنها⁽³⁾ خدعت زوجها، وكان مطواعاً لها، فَحَمَلَتْهُ⁽⁴⁾ على سجنه زماناً، حَتَّى تَبْصُرَ⁽⁵⁾ ما يكون منه، أو يحسب الناس أنه مجرم. وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يوسف: 36]

عَبْدَانِ لِلْمَلِكِ؛ خَبَّارُهُ وَشَرَّابِيُّهُ؛ لِلاتِّهَامِ بَأَنَّهُمَا يَرِيدَانِ أَنْ يَسْمَاهُ. ⁽⁶⁾ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ [يوسف: 36] أي: الشَّرَّابِيُّ: ﴿إِنِّي أَرْنِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 36] أي: في المنام، و﴿أَرَانِي﴾ حكاية حال ماضية، والخمر: العنب باعتبار ما يؤول إليه. وقرئ (عنباً). ⁽⁷⁾ ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ [يوسف: 36] أي: الخبَّارُ: ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36] أي: من الذين يُحْسِنُونَ تعبير⁽⁸⁾ الرؤيا، أو من العلماء. وإنما قالوا ذلك؛ لأنهما سمعاه يُذَكِّرُ النَّاسَ بما لا يُقَدِّرُ على تذكره غير العلماء، أو يعبر⁽⁹⁾ رؤياهم بوجه يفهم منه أنه ممن يُحْسِنُ التعبير. ويجوز أن يكون المراد من ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: إلى أهل السجن. روي أنه كان إذا⁽¹⁰⁾ مَرِضَ رجلٌ منهم قام عليه، وإذا ضاق أوسع عليه. وقيل: كان في السجن ناسٌ قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول: أَبْشِرُوا، اصْبِرُوا

(1) في نسخ (الأصل، م، ش): تفسيره، وفي نسخة (غ): يعتبره.

(2) في نسخة (ش): استعصائه.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): أنها.

(4) في نسخة (غ): فحملته.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): يبصر.

(6) وفي نسخة (ش): يسمانه. وقوله: أن يسماه: أي: أن يجعله في شرابه أو طعامه سماً. ينظر: الخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت، (5/ 176).

(7) قراءة شاذة: (إني أرنى أَعْصِرُ عِنْبًا) نُسِبَتْ إِلَى ابن مسعود، ابن جني، (المتوفى: 392هـ) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 343).

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) سقط من نسخة (ض)، وفي نسخة (ش): بغير.

(10) في نسخ (الأصل، م، ش): إذا كان.

تُجَرُّوا، إِنَّ فِي هَذَا لَأَجْرًا، فقالوا: بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا أَحْسَنَ وَجْهَكَ وَمَا أَحْسَنَ خُلُقَكَ! لَقَدْ بُورِكَ لَنَا فِي جَوَارِكَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُ قَالَا: أَحْسِنُ إِلَيْنَا بِتَأْوِيلِ مَا رَأَيْنَا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُهُ.¹

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: 37]

أي: بتأويل ما قصصتُما عليّ، والصّميْرُ في إفراذه يَجْري مَجْرى اسم الإشارة؛ كأنّه قيل: نبأتكما بتأويل ذلك. ويجوزُ أن يكون الصّميْرُ للطعام؛ وذلك أنّه كان يُنبئُهما⁽²⁾ بما يُحمَلُ إليهما من الطّعام في السّجن قبل أن يأتِيهما، ويصفُهما لهما، ويقول: اليوم يأتِيكما طعامٌ من صفاتِهِ⁽³⁾ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فَيَجِدَانِهِ⁽⁴⁾ كما أَخْبَرَهُما. كأنّه أراد أن يَدْعُوهُمَا إِلَى التَّوْحِيدِ قبل أن يُسْعِفَ⁽⁵⁾ إِلَى مَا سَأَلَ عَنْهُ،⁽⁶⁾ كما هو طريقة الأنبياء والعلماء المرشدين. فقَدِمَ -ما يكون مؤيِّداً لصدق ما يقول- من الأخبار بالغيب. ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ﴾ [يوسف: 37] أي: ذلك التّأويل [وهو مبتدأ]. ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37] بالإلهام والوحي، وهو خبر. ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37] تعليلٌ لِمَا قَبْلَهُ⁽⁷⁾ من دَعْوَى تعليم الرّبِّ إيّاه.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 38]

من تَمَتَّةِ التّعليل. قال صاحبُ الكشاف: "وفيه: أَنَّ الْعَالَمَ إِذَا جُهِلَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي⁽⁸⁾ الْعِلْمِ، فَوَصَفَ⁽⁹⁾ نَفْسَهُ بِمَا هُوَ فِي صَدَدِهِ -وَعَرَضَهُ أَنْ يُقْتَبَسَ⁽¹⁰⁾ مِنْهُ وَيُنْتَفَعَ بِهِ فِي الدِّينِ - لم يكن من بابِ التّركية".⁽¹¹⁾

¹ نقله عن الكشاف ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 469).

(2) في نسخة (ش): بينهما، وفي نسخة (ض): نبيهما.

(3) في جميع النسخ: من صفته.

(4) في نسخة (ش): فيجد أنه.

(5) قوله: أن يسعف: بمعنى ساعدهما في قضاء حاجتهما بتعبير الرؤيا، قال ابن دريد: وأسعفت الرجل بحاجته إسعافاً،

إذا قضيتها له وأسعفته أيضاً، إذا أعنته على أمره. ابن دريد (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، (2/ 839).

(6) في جميع النسخ: منه، وأثبت (عنه) لأنه أصح.

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(8) في نسخة (غ): من.

(9) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): فوصفت. ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 470).

(10) في نسخة (غ): تقيس.

(11) الزمخشري، الكشاف، (2/ 470).

﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 38] أَي شَيْءٍ كَانَ؛ مِنْ مَلَكٍ، أَوْ جِنٍّ، ⁽¹⁾ أَوْ إِنْسٍ، ⁽²⁾ فضلاً أَنْ نُشْرِكَ بِهِ صَنَمًا. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: 38] أَي: التَّوْحِيدُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْوَحْيِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِبَعْثِ ⁽³⁾ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِمْ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38] هذه ⁽⁴⁾ النِّعْمَةُ ⁽⁵⁾ فَيُعْرِضُونَ عَنْهَا. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ نَصَبَ ⁽⁶⁾ لَنَا الْأَدْلَةَ الَّتِي نَنْظُرُ فِيهَا وَنَسْتَدَلُّ بِهَا. وَقَدْ نَصَبَ مِثْلَ ذَلِكَ لِسَائِرِ ⁽⁷⁾ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَسْتَدَلُّونَ، اتَّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، فَيَبْقُونَ ⁽⁸⁾ كَافِرِينَ غَيْرَ شَاكِرِينَ.

﴿يَصْلَحِي السِّجْنَ﴾ [يوسف: 39]

أَي: يَا صَاحِبِي فِي السِّجْنِ؛ مِنْ قَبِيلِ إِضَافَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ إِلَى الظَّرْفِ عَلَى الْإِتْسَاعِ، كَقَوْلِهِ: يَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (الصَّاحِبُ) بِمَعْنَى: السَّاكِنِ وَالْمُلَازِمِ، نَحْوُ: أَصْحَابِ النَّارِ، وَأَصْحَابِ الْجَنَّةِ. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: 39] أَي: أَصْنَامٌ مُتَعَدِّدَةٌ ⁽⁹⁾ أُخِذَ كُلُّ مِنْهَا رَبًّا ⁽¹⁰⁾ لِفِرْقَةٍ ⁽¹¹⁾ مِنْكُمْ؟ وَإِنَّمَا جَمَعَ الْوَصْفَ جَمْعَ الْعُقُلَاءِ ⁽¹²⁾ -مَعَ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَيْسَتْ مِنْهَا- بِاعْتِبَارِ أَنََّّهُمْ يُطْلَقُونَ اسْمَ الرَّبِّ عَلَيْهَا، فَكَأَنَّهُمْ يُعْدُونَهَا مِنَ الْعُقُلَاءِ. ﴿خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] الَّذِي لَا يُعَادِلُهُ نَظِيرٌ، وَلَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ.

(1) في نسخة (غ): جني.

(2) في نسخة (غ): إنسي.

(3) في نسخة (غ): بَعَثَ.

(4) في نسخة (ش): هذا.

(5) في نسخة (غ): النعم.

(6) في نسخة (ش): نصيب.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): كسائر.

(8) في نسخة (ض): فبقون.

(9) في نسخة (م): متعددة.

(10) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(11) في نسخ (الأصل، م، ش): وبالفرة، وفي نسخة (ض): بالفرة.

(12) في نسختي (م، ش): الفعلاء.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ [يوسف: 40]

خطاب لهما⁽¹⁾ ولمن على دينهما، يعني: إِنَّكُمْ سَمَّيْتُمْ ما لم يستحق الإلهية آلهة، ثم اختَرْتُمْ عبادتها، فَكَأَنَّكُمْ لا تعبدون إِلَّا أسماء لا مسميات تحتها. ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: بها؛ يقال: سَمَّيْتُ بِزَيْدٍ وَسَمَّيْتُ زَيْدًا. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: 40] تعليلٌ لسابقه، أي: ما أنزل الله بتسميتها حجة عقلية ولا نقلية. ومعنى "إنزال الحجة العقلية من الله": أن إلهامها نازل منه. ويجوز أن يكون باعتبار نزول جوهر العقل. ﴿إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40] فكل حكم لم يُنزل به حجة من الله غير صحيح. ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: 40] استئناف؛ لبيان أمره، وإثبات لقوله: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: أَمَرَ على لسان أنبيائه أن لا تعبدوا إِلَّا إِيَّاه. (أن) مفسرة لما في الأمر معنى القول، كأنه قيل: قال لا تعبدوا. ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْمُ﴾ [يوسف: 40] تقريرٌ لسابقه، أي: اختصاصه بالعبادة هو الدين الثابت الذي دللت عليه البراهين، دون ما أخذتموه⁽²⁾ من الشرك. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40] لا يتأملون في الأمور ليَعْلَمُوا حقيقتها.

﴿يَصْصَحِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يوسف: 41]

يعني الشَّرَّابِي؛ ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ وَخَمْرًا﴾ [يوسف: 41] كما كان يَسْقِيهِ قَبْلُ. ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ [يوسف: 41] يَعْنِي بِهِ الْخَبَّازُ؛ ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يوسف: 41].
قيل: جَحْدًا وَقَالَ: ⁽³⁾ ما رأينا شيئًا فقال: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41] إنما وَحَدَ الأمر -وما يستفتيان: أمران مختلفان- باعتبار ⁽⁴⁾ ما نزل ⁽⁵⁾ بهما وهو هلاك أحدهما ونجاة الآخر، فكأنهما يستفتيان فيه، فقال: فُضِيَ ذلك، أي: قُطِعَ وَتَمَّ، لا يَتَخَلَّفُ.

(1) في نسخة (ض): لهم أو.

(2) في نسختي (ض، غ): اخترتموه.

(3) في نسخة (ض): جحد أو قال.

(4) سقط من نسختي (م، ش).

(5) في نسخة (م): ترك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: 42]

الظَّانُّ هو الشَّرَّابِيُّ، أو يوسفُ، إن كان الظَّنُّ بمعنى اليَقِينِ. قال البيضاوي: "الظَّانُّ يوسفُ، إن دَكَرَ ذلك عن اجتِهَادٍ"،⁽¹⁾ ولا يخفى أَنَّهُ لا يُلَائِمُ قَوْلُهُ: ﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41]، فتدبَّر. ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: 42] لَعَلَّهُ يُخَلِّصُنِي مِنَ السَّجْنِ. ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: 42] الضَّمِيرُ لِلشَّرَّابِيِّ، وإِضافةُ الذِّكْرِ إِلَى رَبِّهِ لِلْمَلَابَسَةِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لا يُضَافُ إِلَّا إِلَى الْفَاعِلِ أو الْمَفْعُولِ، فمعناه: ذَكَرَ يوسفَ لِرَبِّهِ. ويجوز أن يكون على تقديرِ مضافٍ، أي: ذَكَرَ إِيَّاهُ رَبُّهُ. ويحتمل أن يكون الضَّمِيرُ ليوسفَ ومعناه:⁽²⁾ أَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ إِيَّاهُ، إذ⁽³⁾ وسوسَ إِلَيْهِ فَأَشْغَلَهُ⁽⁴⁾ عن ذِكْرِ الرَّبِّ. قال البيضاوي: "ويؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ لَمَّا لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ سَبْعًا بَعْدَ الْخُمْسِ»»⁽⁵⁾ انتهى. وهو محلُّ تَأَمُّلٍ؛ لِأَنَّ سَبَبَ اللَّبْثِ فِي السَّجْنِ إِذَا كَانَ قَوْلُهُ ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لم يَبْقَ للحديثِ زيادةٌ خصوصيةً⁽⁶⁾ بالتَّوَجُّهِ الثَّانِي لِيَكُونَ مُؤَيِّدًا لَهُ، فتدبَّر. ﴿فَلَبِثْتُ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42] البَضْعُ: ما بين الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ. والفَاءُ تَدَلُّ عَلَى السَّبَبِيَّةِ كما يُشْعِرُهُ الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ. قال صاحبُ الكَشَافِ: "لَمْ أَنْكَرْ عَلَى يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [الاستعانةَ بغيرِ اللَّهِ فِي كَشْفِ مَا كَانَ فِيهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾] [المائدة: 2] وقال حكايةً عن

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 165).

(2) في نسختي (الأصل، ش): معنا، وفي نسخة (ض): معنى.

(3) في نسختي (ض، غ): إنه.

(4) في نسختي (ض، غ): ما يشغله.

(5) أخرجه الطبري في تفسيره عن عكرمة وعن الحسن مرسلًا، وأخرجه مرة عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لم يقل يوسف -يعني الكلمة التي قال- ما لبث في السجن طول ما لبث. وقال عنه المحقق محمود محمد شاكر: "هذا خبر ضعيف الإسناد جدًا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 7: 39، مطولاً، قال: "رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي، وهو متروك". ورواه الطبري في تاريخه 1: 177. أما سائر الأخبار قبله وبعده، فهي مرسله لا حجة في شيء منها. الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 112)، والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الأملِي (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - 1387 هـ، (1/ 344).

(6) في نسخة (غ): خصوصه.

عيسى عليه السلام⁽¹⁾ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52، الصف: 14]؟⁽²⁾ وذكر أمثالهما ثم قال: "وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية⁽³⁾ والتقوي بالشرية والأطعمة؟ وإن كان ذلك لأن الملك كان كافراً، فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم، والغرق، والحرق، ونحو ذلك من المصائر؟"⁽⁴⁾ وأجاب عنه بقوله: "كما اصطفى الله الأنبياء على خليقته، فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولها، والأحسن والأولى بالنبي⁽⁵⁾ أن لا يكِل أمره⁽⁶⁾ إذا ابتلي⁽⁷⁾ ببلاء إلا إلى ربه، ولا يعتصِد إلا به، خصوصاً إذا كان المعتصِد به كافراً؛ لئلا يثمت به الكفار⁽⁸⁾ ويقولوا: لو كان هذا على الحق، وكان له رب يُغيثه لما استعانت بنا."⁽⁹⁾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَ يَابَسَاتٍ﴾ [يوسف: 43]

لَمَّا دَنَا فَرَجُ يَوْسُفَ، رَأَى مَلِكُ مِصْرَ -رِيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ- رُؤْيَا عَجِيبَةً، هَالَتْهُ؛ رَأَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ خَرَجْنَ مِنْ نَهْرٍ يَابِسٍ، وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السِّمَانَ. وَرَأَى سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ، قَدْ انْعَقَدَ⁽¹⁰⁾ حُبُّهَا، وَسَبْعاً أُخْرَ⁽¹¹⁾ يَابَسَاتٍ، قَدْ اسْتُخْصِدَتْ وَأُدرِكَتْ، فَالْتَوَتْ⁽¹²⁾ الْيَابَسَاتُ عَلَى الْخُضِرِ حَتَّى غَلَبْنَ عَلَيْهَا، فَاسْتَعْبَرَهَا.⁽¹³⁾ وَإِنَّمَا جُعِلَ ﴿عِجَافٌ﴾ وَصفاً لـ ﴿سَبْعٌ﴾ مع احتياجه إلى المميّز؛ لأنه لا

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 472).

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): ما لا دونه.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 472).

(5) في نسخة (ض): بالشيء.

(6) في نسخة (ش): أمر.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): ابتلا.

(8) في نسخ (الأصل، م، غ): الكافر.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 473).

(10) في نسخة (م): انقعد.

(11) في نسخة (ض): آخر.

(12) في نسخة (ض): فالفوت.

(13) في نسخ (الأصل، م، ش): فاستعبرها.

يصح أن يقع تمييزاً؛ [لأن التمييز⁽¹⁾ لبيان الجنس، والعجاف وصف، لا يقع بياناً. وإنما جمع (عجفاء) هذا الجمع⁽²⁾ - (فعلاء، أفعّل) إذا كان وصفاً، لا يجمع إلا على (فعل) -⁽³⁾؛ للحمل على السمان، لمناسبة التقابل. ولم يفصل حال⁽⁴⁾ السنبلات لظهور المقصود. ﴿يَأْيُهَا أَلَمَّا أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43] أي: إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا. واللام في ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ لتقوية العمل؛ لأن عمل العامل فيما قبله ليس كعمله فيما بعده فتجوز تقويته باللام. وعبارة الرؤيا: هي الانتقال من الصورة الخيالية إلى الأمور الواقعة في نفس الأمر، والظاهرة عليهم بعد الرؤيا. ولذلك قال صاحب الكشف: "وحقيقة⁽⁵⁾ (عبرت الرؤيا): ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر،⁽⁶⁾ إذا قطعتة حتى نقطع⁽⁷⁾ آخر عرضه." ⁽⁸⁾ قال البيضاوي: "وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها." ⁽⁹⁾ ⁽¹⁰⁾ ولا يخفى أنه خلاف التحقيق الذي ذكره صاحب الكشف ومخالف للعرف أيضاً؛ لأن المستعبر لا يطلب⁽¹¹⁾ معرفة المعاني النفسانية، بل إنما يطلب العلم بعاقبتها وما يترتب عليها في الخارج، فتأمل. والعبارة والتعبير واحد، لكن الأول⁽¹²⁾ أوفق بكلام الفصحاء، ولذلك قال البيضاوي: "وعبرت الرؤيا عبارة أثبت⁽¹³⁾ من: ⁽¹⁴⁾ عبرتها تعبيراً." ⁽¹⁵⁾

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(2) يعني العجاف.

(3) في نسخة (غ): فعلى.

(4) في نسخة (غ): قال.

(5) في نسخ (ش، ض، غ): حقيقة.

(6) في نسخة (غ): عبرت النهر أو أقطعتة.

(7) في الكشف: تبلغ.

(8) الزمخشري، الكشف، (2/ 474).

(9) في نسخة (م): مثلها.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 165).

(11) في نسخة (ش): طلب.

(12) في نسخة (غ): الأولى.

(13) في نسختي (الأصل، ش): وأثبت، وفي نسخة (م): فأثبت. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،

(3/ 165).

(14) في نسخ (الأصل، م، ش): في.

(15) في نسخة (م): تعبير، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 165).

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ [يوسف: 44]

أي: هذه أضغاث أحلام؛ على تقدير المبتدأ. وأضغاث الأحلام: تَخَالِيظُهَا، وَأَبَاطِيلُهَا، وما يكون منها من حَدِيثِ نَفْسٍ، أو وَسْوَسةِ شَيْطَانٍ. و(الضَّغْثُ) في الأصل: ما جُمِعَ من أَخْلَاطِ النَّبَاتِ، وَحَزْمٍ، و(أَضْغَاثُ) جَمْعُهُ؛ اسْتُعِيرَتْ للرُّؤْيَا الكاذبة. ⁽¹⁾ وإضافتها إلى الأحلام بمعنى (من)؛ ⁽²⁾ لأنها نوعٌ من الأَحْلَامِ. وإنما قيل "أحلام" وما هو إلا حُلْمٌ واحدٌ؛ للمبالغة في وَصْفِ الحُلْمِ بالبُطْلَانِ، ⁽³⁾ كقولهم: فَلَانٌ يَرْكَبُ الحَيْلَ، وليس له إلا فَرَسٌ واحدٌ، أو لِيَتَضَمَّنِهِ أَشْيَاءٌ مختلفةٌ، فكأنَّ كُلَّ واحدٍ منها حُلْمٌ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلِيمِينَ﴾ [يوسف: 44] أي: بتأويلِ هذا الجِنْسِ من الأحلام؛ لأنه لا تعبيرَ للرُّؤْيَا الكاذبة، أو بتأويلِ: مطلقِ الأحلام، على أن يكون اعترافاً بِقُصُورِ عِلْمِهِمْ.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ [يوسف: 45]

وهو الشَّرَابِيُّ، ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45] أي: بعد ⁽⁴⁾ ذِكْرِ ⁽⁵⁾ الشَّرَابِيِّ يوسفَ، وما شاهد منه بعد ⁽⁶⁾ مدَّةٍ طويلةٍ. وإنما سُمِّيَتْ أُمَّةً؛ لأنها جماعةٌ مُجْتَمِعَةٌ من أجزاء ⁽⁷⁾ الزَّمانِ. وقُرئ (إِمَّةً) بكسر الهمزة ⁽⁸⁾ وهي النِّعْمَةُ، أي: بعد ما أنعمَ عليه بالنِّجاةِ، كذا قال البيضاوي، ⁽⁹⁾ لكن لا بدَّ أن يُبيِّنَ ⁽¹⁰⁾ لهذا التعبيرِ ⁽¹¹⁾ فائدةً ولم يُبيِّنْ. ⁽¹²⁾ ويمكن أن يُقال: كأنَّه أراد من النِّعْمَةِ لَازِمَهَا؛ ⁽¹³⁾ الذي هو الغفلةُ والنِّسيانُ.

(1) في نسخة (غ): المكاذبة.

(2) يعني: أضغاثٌ من الأحلام.

(3) في نسخة (ض): لبطلان.

(4) سقط من نسخ (الأصل، م، ض، غ).

(5) في نسختي (الأصل، م): يذكر، وفي نسختي (ض، غ): تذكر.

(6) في نسخة (غ): تعد.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): آخر، وفي نسخة (غ): أخوار.

(8) قراءة شاذة: (بَعْدَ إِمَّةٍ) بكسر الهمزة وتشديد الميم، نُسبت إلى الأشهب العقيلي. ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (344/1).

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (165/3).

(10) في نسخة (ش): يتبين.

(11) في نسخة (ض): التقييد.

(12) في نسخة (ش): يتبين.

(13) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): لازمة، وفي نسخة (ض): لازمه.

فَكَانَتْهُ قَالَ: بَعْدَ نَسْيَانٍ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا قُرِئَ (بَعْدَ أَمَةٍ⁽¹⁾)، (2) أي: نسيانٍ من (أَمَةٍ يَأْمَهُ أَمَهَا) إِذَا نَسِيَ، والجملة معترضة. ﴿أَنَا أُتْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: 45] أي: بتأويل ما تَسْتَفْتُونَ فِيهِ، أي: الرُّؤْيَا. ﴿فَأَرْسَلُونِ﴾ [يوسف: 45] إِلَى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُهُ، يَعْنِي بِهِ: يَوْسُفَ، فَأَرْسَلُوهُ، فَأَتَاهُ وَقَالَ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُتُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: 46] (الصِّدِّيقُ): صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ، وَإِنَّمَا بَالَعَ فِي صِدْقِهِ؛ لِأَنَّهُ (3) كَانَ مِمَّنْ (4) جَرَّبَ (5) أَحْوَالَهُ فِي السِّجْنِ، وَعَرِفَ كِمَالَ صِدْقِهِ فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي: فِي رُؤْيَا ذَلِكَ. ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: 46] أي: إِلَى الْمَلِكِ وَمَنْ عِنْدَهُ، أَوْ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ، عَلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّ السِّجْنَ كَانَ خَارِجَ الْبَلَدِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 46] فَضْلَكَ وَعِلْمَكَ (6) فَيَطْلُبُوكَ وَيُخْلِصُوكَ مِنَ السِّجْنِ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ ﴿لَعَلِّي﴾ فِي (7) الْمَوْضِعَيْنِ مِرَاعَاةً (8) لِلْأَدَبِ، بِتَرْكِ دَعْوَى الْعِلْمِ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْآتِي بِطَرِيقِ الْيَقِينِ فِي حُضُورِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا، فَذَكَرَ كَلَامَهُ بِطَرِيقِ التَّوَقُّعِ؛ لِيَكُونَ خَالِصاً عَنْ شُوبِ الدَّعْوَى، وَبَعِيداً عَنْ اِحْتِمَالِ لُحُوقِ الْكُذْبِ.

(1) فِي نَسَخِ (الْأَصْل، م، ش، غ): أَمَةٍ.

(2) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (بَعْدَ أَمَةٍ): بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ، وَهَاءٍ مَنْوُنَةٍ: نُسَبِتَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَأَبُو رَجَاءٍ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصِرٌ فِي شَوَاطِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 68)، وَالْقُرْطُبِيُّ (الْمُتَوَفَى: 671هـ)، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، (9/ 202)، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرُ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، (6/ 508)، وَالكَرْمَانِيُّ، رَضِيَ الدِّينُ شَمْسُ الْقُرْآنِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ (الْمُتَوَفَى 535هـ)، شَوَاطِدُ الْقِرَاءَاتِ، تَحْقِيقُ: شَمْرَانَ الْعَجَلِيِّ، مُؤَسَّسَةُ الْبَلَاغِ، بَيْرُوت-لُبْنَانِ، (ص: 248).

(3) فِي نَسَخَةِ (ش): لِأَنَّ.

(4) فِي نَسَخَةِ (م): مَمَّا، وَفِي نَسَخَةِ (ض): مِنْ.

(5) فِي نَسَخَةِ (غ): خَرَبَ.

(6) فِي نَسَخَةِ (ش): عَمَلِكِ.

(7) فِي نَسَخِ (الْأَصْل، م، ش): مِنْ.

(8) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْل، م): مِرَاعَاتٍ.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ [يوسف: 47] أي: على عادتكم المُستمرّة؛ مِنْ (دَأْبٍ فِي الْعَمَلِ دَأْبًا وَدَأْبًا)، ⁽¹⁾ بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا. ⁽²⁾ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، بِمَعْنَى: دَائِبِينَ، ⁽³⁾ أَوْ عَلَى الْمَصْدَرِ، بِتَقْدِيرِ الْفِعْلِ، أَي: تَدَأْبُونَ دَأْبًا؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ حَالًا، وَهِيَ ⁽⁴⁾ أَوَّلُ مَقْدَمَةٍ مِنَ الْعِبَارَةِ؛ أَوَّلُ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ وَالسَّنْبِلَاتِ الْخَضَرِ بِالسِّنِينَ الْمُخْصِبَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [يوسف: 47] نَصِيحَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعِبَارَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "﴿تَزْرَعُونَ﴾ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الصف: 11]. ثُمَّ قَالَ: "وَالدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِهِ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ قَوْلُهُ: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [يوسف: 47]."⁽⁵⁾ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَجْمُوعُ نَصِيحَةً وَتَمْهِيدًا لِلْعِبَارَةِ. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ لِيَكُونَ أَمِينًا عَنْ مَضَرَّةِ السُّوسِ. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47] أَي: إِلَّا مَا تَأْكُلُونَ فِي تِلْكَ السِّنِينَ؛ ﴿مِنْ﴾ لِلْبَيَانِ، وَعَائِدٌ ﴿مَا﴾ مَحْذُوفٌ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [يوسف: 48] تَأْوِيلٌ لِلْبَقَرَاتِ الْعَجَافِ وَأَكْلِهِنَّ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ. وَإِسْنَادُ الْأَكْلِ إِلَى السِّنِينَ السَّبْعِ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِي؛ مِنْ قَبِيلِ إِسْنَادِ الشَّيْءِ إِلَى مَا يُلَاحِظُ الْمُشْنَدُ إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ⁽⁶⁾ ذَلِكَ لِيَكُونَ عَلَى طَبَقِ الْمُعْبَرِ. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [يوسف: 48] مِمَّا تُحْرِزُونَ وَتُحْبِثُونَ لِزُرُورِ الزَّرَاعَةِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (م): دَوَابًا.

(2) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ (سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا) بِفَتْحِ الْهَمْزِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (دَأْبًا) سَاكِنَةً الْهَمْزِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 349)، وَالنِّسَابُورِيُّ (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 246)، وَابْنُ زَنْجَلَةَ (الْمُتَوَفَى: حَوَالِي 403هـ)، حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ، (ص: 359)، وَالدَّانِيُّ (الْمُتَوَفَى: 444هـ)، التَّيْسِيرُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ، (ص: 129)، وَالْقَاضِي (الْمُتَوَفَى: 1403هـ)، الْبُحُورُ الزَّاهِرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الْمُتَوَاتِرَةِ، (ص: 164).

(3) فِي نَسْخِ (الأَصْلُ، م، ش): دَائِبِي.

(4) فِي نَسْخَةِ (ض): هُوَ.

(5) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 476).

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): قِيلَ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: 49]

أي: يُمَطَّرُونَ؛ إن⁽¹⁾ كان من (الغَيْثِ)، أو يُغَاثُونَ من القَحْطِ إن كان من (الغَوْثِ). ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 49] العِنَبَ،⁽²⁾ والزَّيْتُونَ، وأمثالهما. وهو كناية عن كثرة الثَّمَارِ. وقيل: يَعْصِرُونَ الضُّرُوعَ، وهو أيضاً يدل على كثرة الثَّمَارِ؛ لأنه يكون عند كثرة النَّبَاتِ، ومن جُمَلَتِهَا: الثَّمَارُ. وقُرئ على البناء للمفعول⁽³⁾ مِنْ⁽⁴⁾ أَعْصَرَ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ،⁽⁵⁾ على الحذف والإيصال.⁽⁶⁾ ووضع المرفوع المتصل موضع المجرور، أو مِنْ (عَصْرَةٍ) إذا⁽⁷⁾ أَنْجَاهُ. وهذه الجملة بَشَارَةٌ لهم بأنَّ العامَ الثَّامِنَ يَجِيءُ مُبَارَكاً، كثير الخير، غير داخل في العبارة. وإنما عَلِمَ ذلك بالوحي، أو بأنَّ انتهاء السَّنِينَ الْمُجْدِبَةِ⁽⁸⁾ لا يَتَصَوَّرُ إِلَّا بِالْخَصْبِ.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟﴾ [يوسف: 50]

أي: بعد عَوْدِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، وإخباره⁽⁹⁾ بما سَمِعَهُ من العبارة قال: ﴿اُتُّونِي بِهِ؟﴾. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ [يوسف: 50] لِيُخْرِجَهُ،⁽¹⁰⁾ ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النَّسِوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 50] وإنما قال ذلك لِيُظْهِرَ على الْمَلِكِ أَنَّهُ سُجِّنَ ظُلْماً، وَيَكُونُ تَخْلِيصُهُ بسبب ظهورِ عدمِ الْجُرْمِ، لَا من

(1) في نسخة (ض): أي.

(2) في نسخة (م): الغيث.

(3) قراءة شاذة: (يَعْصِرُونَ) بياء مضمومة وصاد مفتوحة، وهي قراءة عيسى والأعرج وجعفر بن محمد. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68)، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 344).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): على من.

(5) منه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبا: 14].

(6) في نسخة (غ): الاتصال.

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) في نسخ (الأصل، م، ش): المُخْدِبَةُ، وفي نسخة (غ): مجذبة.

(9) في نسخة (م): وأجاب.

(10) في نسخة (م): قال ليخرجه.

قبيل⁽¹⁾ العَفْو عن⁽²⁾ السَّيِّئَةِ. قال البيضاوي: "وفيه دليلٌ على أنه ينبغي أن⁽³⁾ يُجْتَهَدَ في⁽⁴⁾ نَفْيِ التُّهْمِ، وَيُنْفَى مَوَاضِعُهَا⁽⁵⁾".⁽⁶⁾ وفي الكشاف قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَفْقَنُ⁽⁷⁾ مَوَاقِفَ التُّهْمِ». ⁽⁸⁾ وإنما قال: ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾، وأبرزه في صورة المسألة؛ لأنَّ السَّوَالِ عن المسألة ممَّا يُهَيِّجُ الإنسانَ وَيُحَرِّكُهُ للبحثِ عَمَّا سُئِلَ عنه، بخلافِ ما لو قيل: فاسأله أن يُفَتِّشَ عن حالهنَّ، فإنَّه ليس فيه هذا النَّهْيُجُ⁽⁹⁾ والتَّحْرِيكُ. ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50] حينَ⁽¹⁰⁾ رَغَبْتَنِي على إطاعتِها. قال البيضاوي: "وفيه تعظيمُ كَيْدِهِنَّ، والاستشهادُ بعلمِ الله تعالى عليه، وعلى أنه بريءٌ ممَّا قُذِفَ بِهِ، والوعيدُ لهنَّ على كَيْدِهِنَّ".⁽¹¹⁾ وفيه: أَنَّ مَنْ يُشْهَدُ اللهُ على أمرِه⁽¹²⁾ واستشْهَدَ بعلمِه اللهُ عليه لا يَلْزَمُ لصَحَّةِ كلامِه أن يكونَ هذا الأمرُ عَظِيماً، فلا دلالة في هذا الكلامِ على تعظيمِ كَيْدِهِنَّ كما قاله. قال⁽¹³⁾ صاحبُ الكشاف: "أراد أنه⁽¹⁴⁾ كَيْدٌ عَظِيمٌ لا يعلمه إلا اللهُ، لِبُعْدِ غَوْرِهِ، أو استشهد بعلمِ الله على أَنَّهُنَّ كِدْنَهُ".⁽¹⁵⁾ ولا يخفى أنَّ هذا الكلامَ [لا دلالة]⁽¹⁶⁾ له على الحَضَرِ، اللهم إلا أن يُقال: إنَّ الحَضَرَ مستفادٌ من السَّيَاقِ؛ لأنَّ هذا الكلامَ المعلومَ لِكُلِّ أَحَدٍ لو لم يكن لقصدِ الحَضَرِ لَكَانَ خَالِئاً عن

(1) في نسخة (غ): قبل.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): من.

(3) في نسخة (ش): أنه.

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في تفسير البيضاوي: مواقعها.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 166).

(7) في نسخة (م): يقض.

(8) لم أجده في كتب الحديث المعتبرة، وقال عنه الزيلعي (المتوفى: 762هـ) في تخريج أحاديث الكشاف: غريب. الزيلعي

(المتوفى: 762هـ)، تخريج أحاديث الكشاف، (3/ 136).

(9) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): النَّهْيُجُ.

(10) في نسخة (م): خفي، وفي نسخة (ش): من.

(11) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 166).

(12) في نسختي (ض، غ): أمر.

(13) سقط من نسختي (ض، غ).

(14) في نسخ (الأصل، م، ش): أرادته.

(15) الزمخشري، الكشاف، (2/ 478).

(16) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

الفائدة، وأنت تعلم أن هذا التوجيه إنما يتم إذا لم يُقصد من الكلام فائدة أخرى. ولذلك قال: (1) "أو (2) استشهد مع (أو) (3) التزديد، لكن البيضاوي جمعه مع الوجه الأول، وهو لا يجمع معه على هذا التوجيه، كما عرفت.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 51]

ما شأنك حين راودتني يوسف، هل (4) وجدت منه (5) شيئاً من السوء الباعث على سجنه؟ ﴿قُلْ خَشِيَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: 51] كلمة تنزيه، ذكرت للتعجب من (6) عفة (7) يوسف وتنزيهه عما نسب إليه، وقد سبق تحقيق هذه الكلمة قبل ذلك. (8) ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: 51] تقرير وتوضيح لما يفهم من الكلمة. ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنَنَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: 51] أي (9): ثبت واستقر. وقرأ على البناء للمفعول؛ (10) على أنه متعد. وهو من حصص البعير إذا (11) ألقى ثناته (12) للإناخة. قال البيضاوي

(1) في نسخة (ش): إذ.

(2) في نسخة (ش): إذ، وفي نسخة (م): و.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): إذ.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): بل.

(5) في جميع النسخ: عن، وأثبت من لأنه أصح.

(6) في جميع النسخ: عن، وأثبت من لأنه أصح.

(7) في نسخة (غ): عنه.

(8) ينظر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ خَشِيَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: 31]، (ص 143).

(9) في نسخة (ش): من حص شعره أي.

(10) قراءة شاذة: (خُصِّصَ) بضم الحاء الأولى وكسر الثانية مبنياً للمفعول، نسبت إلى محمد بن معدان والحسن، والزهرى. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68)، والكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 248)، والدمياطى (المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 333).

(11) في نسخة (غ): أو.

(12) التَّفَنُّةُ: من التعبير والناقة: الرُّكْبَةُ وما مَسَّ الْأَرْضَ من كِرْكِرَتِهِ وسَعْدَانَتِهِ وَأُصُولِ أَفْخَاذِهِ. وقيل هُوَ كُلُّ مَا وَلِيَ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ ذِي أَرْبَعٍ إِذَا بَرَكَ أَوْ رَبَضَ، وَالْجَمْعُ ثَقْنٌ وَثِقَنَاتٌ. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م، (10/ 164).

في معناه: "أو ظَهَرَ، مِنْ (حَصَّ شَعْرُهُ) إِذَا اسْتَأْصَلَهُ بِحَيْثُ ظَهَرَتْ⁽¹⁾ بَشَرَةُ رَأْسِهِ." ⁽²⁾ وهو وإن كان أَوْفَقَ بالمقصود إلا أنه لا مناسبة بين الاستئصال وبين الظهور. نعم، لو كان الشَّعْرُ داخلاً في مفهوم (حَصَّ) يَظْهَرُ نوعُ مناسبتِهِ، لكنَّه جَعَلَ الشَّعْرَ خارجاً عنه حيث قال: (مِنْ حَصَّ شَعْرُهُ)، فتأمل. ﴿أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: 51] استئناف؛ لبيان الحق. ﴿وَأَنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51] في قوله: ﴿هِيَ رَاوِدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: 26].

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف: 52]

من كلام يوسف حين عَوَدَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، وإخبارِهِ بِكَلَامِهِنَّ، أي: ذلك التَّثْبِيثُ⁽³⁾ والتَّشْمِيرُ⁽⁴⁾ لظهور الحق؛ لِيَعْلَمَ الْعَزِيزُ؛ ﴿أَيُّ لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: 52] الباءُ لِلتَّلْبِيسِ،⁽⁵⁾ والظَّرْفُ مستقرٌّ في موقع الحال عن الفاعل، أو عن المفعول، أي: لم أَخُنْهُ وأنا غائبٌ [عنه، أو وهو⁽⁶⁾ غائبٌ]⁽⁷⁾ عَنِّي. ويجوز أن يكونَ للظَّرْفِيَّةِ، وَيَكُونُ متعلِّقاً بـ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾، أي: لم أَخُنْهُ في مكانِ الغيب،⁽⁸⁾ وهو: الخفاءُ والاستتارُ وراءَ الأبوابِ الْمُغْلَقَةِ. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 52] وَلِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُنْفِذُ⁽⁹⁾ كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَلَا يُسَدِّدُهُ. قال صاحبُ الكشاف: "وكأنَّه تعريضٌ بامرأته، في خيانتِها أمانةَ زوجها، وبِهِ، في خيانتِهِ أمانةَ اللَّهِ حينَ سَاعَدَهَا بعد ظهورِ الآياتِ على حَبْسِهِ." ⁽¹⁰⁾

(1) في جميع النسخ: ظهر. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 167).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 167).

(3) في نسخة (غ): التثبت.

(4) في نسخة (ض): التثمين.

(5) في نسخة (م): للتلبيس.

(6) في جميع النسخ: هو، وأثبت (وهو) لأنه أصح.

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(8) في نسخة (م): الغيب، وفي نسخة (ض): العيب.

(9) في نسخ (الأصل، م، ش): ينفذ.

(10) الزمخشري، الكشاف، (2/ 479).

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53]

دَفَعَ⁽¹⁾ لِمَا يُتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ مِنْ أَنَّهُ يُرَكِّي⁽²⁾ نَفْسَهُ وَيُعْجِبُ⁽³⁾ بِحَالِهِ، وَهُمَا مُسْتَقْبَحَانِ جَدًّا، يَعْنِي: مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي وَلَا أُعْجِبُ بِعِصْمَتِي؛ لِأَنَّ النَّفْسَ بِالضَّرُورَةِ أَمَّارَةٌ بِالْمَعَاصِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَفِظَنِي مِنْ شَرِّهَا وَعَصَمَنِي مِنَ الْمَعَاصِي. وَنَحْوُهُ قَوْلُ⁽⁴⁾ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ». ⁽⁵⁾ قَالَ الْبَيْضاوي: "وعن ابن عباسٍ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ [يوسف: 52] قَالَ لَهُ⁽⁶⁾ جَبْرِيلُ: وَلَا حِينَ هَمَمْتَ؟ فَقَالَ ذَلِكَ"⁽⁸⁾ انتهى. وقد سبق معنى هَمَّهِ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: 24] فَتَذَكَّرَ. ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53] اسْتِثْنَاءٌ مُفَرَّغٌ، أَي: إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ إِلَّا وَقْتُ رَحْمَةِ رَبِّي؛ عَلَى⁽¹⁰⁾ أَنْ تَكُونَ [مَا] مُصَدِّرِيَّةً، وَالْوَقْتُ مُقَدَّرًا،

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): وَقَعَ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): تَرَكَ.

(3) فِي نَسْخَتِي (ض، غ): تَعْجَبُ.

(4) فِي نَسْخَةِ (ش): قَالَ.

(5) حَدِيثٌ حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2546)، وَأَبِي سَعِيدٍ (رَقْمُ الْحَدِيثِ: 10987)، مَعَ إِضَافَةِ طَوِيلَةٍ. وَتَعْلِيقُ الْمُحَقِّقِ (شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ وَآخَرُونَ) لِهَذَا الْمُقْطَعِ مِنَ الْحَدِيثِ: حَسَنٌ لَغَيْرِهِ، وَإِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ ضَعِيفٌ لَضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ - وَهُوَ ابْنُ جَدْعَانَ - أَبُو نَضْرَةَ: هُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ قُطْعَةَ.

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ (رَقْمُ: 3615) بِإِضَافَةٍ: «وَيَبْدِي لَوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فُخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمُئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فُخْرَ» ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَالبُغْوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ» وَقَالَ البُغْوِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. يَنْظُرُ: التِّرْمِذِيُّ (الْمُتَوَفَى: 279هـ)، سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ، (5/ 587)، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، (4/ 330). البُغْوِيُّ، مُحْيِي السَّنَةِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الْبُغْوِيُّ الشَّافِعِيُّ (الْمُتَوَفَى: 516هـ)، شَرْحُ السَّنَةِ، تَحْقِيقُ: شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ - مُحَمَّدُ زَهِيرُ الشَّوَيْشِ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ - دِمَشْقُ، بَيْرُوتُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، 1403هـ - 1983م، (13/ 204).

(6) فِي نَسْخِ (الأَصْلُ، م، ش): قَالَهُ.

(7) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأَصْلُ، م، ش).

(8) الْبَيْضاوي، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 167).

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): رَحِمَ.

(10) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأَصْلُ، م، ش).

ويجوزُ أن يكونَ⁽¹⁾ استثناءً من (النَّفْسِ) وتكونَ (مَا) موصولةً، على تقدير: إلّا ما⁽²⁾ رَحِمَ⁽³⁾ رَبِّي من النَّفْسِ. قال صاحبُ الكشاف: "يجوز أن يكونَ استثناءً منقطعاً، أي: ولكنَّ رحمةَ رَبِّي هي التي تُصرفُ الإساءةَ."⁽⁴⁾ فعلى هذا، لا حاجةً إلى تقديرِ الوقتِ وحذفِ العائدِ، لكنَّ لا بُدَّ من تقديرِ الخبرِ. ﴿إِنَّ رَبِّيَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53] يَغْفِرُ ذُنُوبَ المستغفرينَ، وَيَرْحَمُهُمُ بالمغفرةِ. وقيل: قوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من كلامِ امرأةِ العزيزِ، أي: ذلك الذي قُلْتُ؛ لِيَعْلَمَ يوسفُ أَنِّي⁽⁵⁾ لَمْ أَخُنْهُ، ولم أَكْذِبْ في حالِ غَيْبَتِهِ، وجئتُ بالصَّحيحِ والصدِّقِ فيما سُلِّتُ عنه، وما أَبْرَأُ نَفْسِي مع ذلكِ الخِيَانَةِ، فَإِنِّي قد خُنْتُه [حَتَّى قَدَفْتُهُ]،⁽⁶⁾ وقُلْتُ: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ [يوسف: 25]، إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي؛ إِلَّا نَفْسًا رَحِمَهَا اللَّهُ، كَنَفْسِ يوسفَ، ﴿إِنَّ رَبِّيَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ استغفرتُ رَبَّهَا، واسترحمته ممَّا اِزْتَكَبْتُهُ.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: 54]

أَجْعَلُهُ خَالِصًا لِنَفْسِي، كما يُقال: اسْتَخَصَّهُ إِذَا جَعَلَهُ خَاصًّا بِهِ. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ [يوسف: 54] أي: فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ، وكَلَّمَهُ، وشَاهَدَ مِنْهُ مَا لَمْ يَحْتَسِبْ؛ ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54] دُو مكانةً، ومُؤْتَمَنٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. قال صاحبُ الكشاف: "رُوي أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَهُ فَقَالَ: أَجِبِ⁽⁷⁾ الْمَلِكُ، فخرج من السَّجَنِ، ودَعَا لِأَهْلِهِ، وكتب على بابِ السَّجَنِ: هذه منازلُ البُلُوى، وقبورُ الأحياءِ، وشَمَائِلُ الأعداءِ، وَتَجَرِبَةُ الأصدقاءِ. ثُمَّ اغْتَسَلَ وَتَنَظَّفَ من دَرَنِ السَّجَنِ، ولبس ثياباً جُوداً. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِخَيْرِكَ مِنْ خَيْرِهِ، وَأَعُوذُ بِعِزَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ مِنْ شَرِّهِ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللِّسَانُ؟ قال: لِسَانُ آبَائِي، وَكَانَ الْمَلِكُ يَتَكَلَّمُ بِسَبْعِينَ لِسَاناً، فَكَلَّمَهُ بِهَا، فَأَجَابَهُ بِجَمِيعِهَا،

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(2) سقط من نسخة (ض).

(3) في نسختي (ض، غ): رحمه.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 480).

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(7) في نسخة (م): أحب.

فَتَعَجَّبَ مِنْهُ⁽¹⁾ وقال: أَيُّهَا الصَّدِيقُ! إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ رُؤْيَايَ مِنْكَ. قال: رَأَيْتُ بَقَرَاتٍ فَوْصَفَ⁽²⁾ لَوْنَهُنَّ، وَأَحْوَالَهُنَّ، وَمَكَانَ خُرُوجَهُنَّ، وَوَصَفَ السَّنَابِلَ وَمَا كَانَ مِنْهَا، عَلَى الْهَيْئَةِ⁽³⁾ الَّتِي رَأَاهَا الْمَلِكُ، لَا يَخْرُمُ مِنْهَا حَرْفًا، وقال له: مِنْ حَقِّكَ⁽⁴⁾ أَنْ تَجْمَعَ الطَّعَامَ فِي الْأَهْرَاءِ،⁽⁵⁾ فَيَأْتِيكَ الْخَلْقُ مِنَ التَّوَّاحِي يَمْتَارُونَ⁽⁶⁾ مِنْكَ، وَيَجْتَمِعُ لَكَ مِنَ الْكُنُوزِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ.⁽⁷⁾ قال البيضاوي: "فَأَجْلَسَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَقَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ. وقيل: تُوفِّيَ قُطْفِيرُ⁽⁸⁾ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي فَنَصَبَ مَنْصِبَهُ وَزَوَّجَ مِنْهُ رَاعِيْلَ⁽⁹⁾ فَوَجَدَهَا عَذْرَاءً وَوَلَدَ لَهُ مِنْهَا⁽¹⁰⁾ إِفْرَائِيمَ وَمِيشَا⁽¹¹⁾".⁽¹²⁾ قال صاحبُ الْكَشَافِ: "وَعَنْ⁽¹³⁾ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ لَأَسْتَعْمِلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَخَّرَ ذَلِكَ سَنَةً»".⁽¹⁴⁾ وبينهما نوعٌ تدافع.

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) في نسختي (الأصل، غ): فوصفت، وفي نسخة (م): وضعت.

(3) في نسخة (ض): هيئة.

(4) في نسخة (ش): من خلقك.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): أبراء. الهُزِّي: بيت ضخم لطعام السلطان، وجمعه: أهراء. الفراهيدي (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، (4/ 84).

(6) في نسخة (غ): يمتازون.

(7) في نسختي (م، ش): من قبلك.

(8) في نسخة (غ): قطعه.

(9) في نسخ (الأصل، م، ض): راغيل.

(10) سقط من نسختي (الأصل، م، ش، غ)، وفي نسخة (ض): منه.

(11) في نسختي (الأصل، م): ميثا.

(12) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 167).

(13) في نسخة (غ): من.

(14) الزمخشري، الكشاف، (2/ 482). والحديث أخرجه الثعلبي في تفسيره، (5/ 231) عن ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر: إسناذه ساقط. وأخرجه البغوي في تفسيره (4/ 251)، وقال المحقق (محمد عبد الله النمر وآخرون): حديث موضوع. قال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف": "أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشر، عن جويبر، عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط". العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، (ص: 90).

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 55]

أي: وَلْنِي أَمْرَهَا، و(الأرض) أرض مصر. ﴿إِنِّي خَفِيفٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55] تعليلٌ لسابقه، وصف⁽¹⁾ نفسه بالحِفْظِ والعِلْمِ بِوُجُوهِ النَّصْرِفِ. قال صاحبُ الكَشَافِ: "وإنما قال ذلك لِيَتَوَصَّلَ إِلَى إِمْضَاءِ⁽²⁾ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وإِقَامَةِ الْحَقِّ، وبَسْطِ⁽³⁾ الْعَدْلِ،⁽⁴⁾ وَالتَّمَكُّنِ مِمَّا لِأَجْلِهِ تُبْعَثُ الْأَنْبِيَاءُ إِلَى الْعِبَادِ، وَلِعَلِّمَهُ أَنَّ أَحَدًا غَيْرَهُ لَا يَقُومُ مَقَامَهُ فِي ذَلِكَ، فَطَلَبَ⁽⁵⁾ التَّوَلِيَّةَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، لَا لِحُبِّ⁽⁶⁾ الْمُلْكِ وَالْدُّنْيَا." ⁽⁷⁾ قال البيضاوي: "وفيه دليلٌ على: ⁽⁸⁾ جَوَازِ طَلَبِ التَّوَلِيَّةِ وإِظْهَارِ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لَهَا. وَالتَّوَلَّى مِنْ يَدِ الْكَافِرِ؛ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ⁽⁹⁾ وَسِيَاسَةِ الْخَلْقِ إِلَّا بِالْإِسْتِظْهَارِ بِهِ." ⁽¹⁰⁾ قال صاحبُ الكَشَافِ: "رَوَى مُجَاهِدٌ⁽¹¹⁾ أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ." ⁽¹²⁾

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف: 56]

ينزل⁽¹³⁾ بلادها حيث يُرِيدُ. ⁽¹⁴⁾ رُوي أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ فَرْسَخًا فِي أَرْبَعِينَ. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56] بَلْ نُؤَفِّي أَجُورَهُمْ عَاجِلًا وَآجِلًا. روي أَنَّ الْمَلِكَ تَوَجَّهَ، ⁽¹⁵⁾ وَخَتَمَهُ

(1) في نسخة (ض): ووصف.

(2) في نسخة (ض): إِمْضَاءُهُ.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): قَسَطَ.

(4) في نسخة (ش): الْعَدُو.

(5) في نسخة (غ): وَطَلَبَ.

(6) في نسخة (غ): بِحُبِّ.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 482).

(8) في نسخة (غ): عَلَى أَنْ.

(9) في نسخة (غ): الْجُودَ.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 168).

(11) في نسخة (م): مُجَاهِدًا.

(12) ينظر: المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر (المتوفى: 104هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م، (ص: 394)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 482).

(13) في نسخ (الأصل، م، ش): يَنْزِلُ.

(14) في نسخ (الأصل، م، ش): نَرِيدُ.

(15) في البحر المحيط: تَوَجَّهَ بِتَاجِهِ، ينظر: البحر المحيط في التفسير (6/ 291).

بِخَاتَمِهِ⁽¹⁾ وَرَدَّاهُ بَسِيفِهِ. وَوَضَعَ لَهُ سَرِيرًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلًا بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ. رُوي أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَمَّا السَّرِيرُ فَأَشَدُّ بِهِ مُلْكَكَ. وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَأَدْبَرُ⁽²⁾ بِهِ أَمْرَكَ، وَأَمَّا التَّاجُ فَلَيْسَ مِنْ لِبَاسِي وَلَا لِبَاسِ آبَائِي. فَقَالَ: فَقَدْ وَضَعْتُهُ إِجْلَالًا لَكَ وَإِقْرَارًا⁽³⁾ بِفَضْلِكَ. فَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ وَدَانَتْ لَهُ الْمُلُوكُ، وَفَوَّضَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، وَعَزَلَ (قُطْفِيرَ)، ثُمَّ مَاتَ بَعْدُ، فَزَوَّجَهُ الْمَلِكُ امْرَأَتَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِمَّا طَلَبْتِ؟ فَوَجَدَهَا عَذْرَاءَ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَيْنِ: إِفْرَائِيمَ وَمِيشَا، وَأَقَامَ الْعَدْلَ بِمِصْرَ، وَأَحْبَبَهُ⁽⁴⁾ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ الْمَلِكُ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁵⁾

﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 57]

السَّرِّكُ والفَوَاحِشُ. قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْمُؤْمِنُ يُثَابُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْفَاجِرُ يُعَجَّلُ لَهُ الْخَيْرُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. كَذَا فِي الْكَشَافِ.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 58]

رُوي: أَنَّهُ لَمَّا اسْتَوَزَّرَهُ الْمَلِكُ أَقَامَ الْعَدْلَ، وَاجْتَهَدَ فِي تَكْثِيرِ الزَّرْعَاتِ، وَضَبَطَ الْغَلَاتِ، حَتَّى دَخَلَتْ السِّنُونُ الْمُجْدِبَةُ⁽⁶⁾، وَعَمَّ الْقَحْطُ مِصْرَ، وَالشَّامَ وَنَوَاحِيهَا، وَتَوَجَّهَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَاعَهَا أَوَّلًا بِالْدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا، ثُمَّ بِالْحُلِيِّ وَالْجَوَاهِرِ، ثُمَّ بِالضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ، ثُمَّ بِرِقَابِهِمْ، حَتَّى اسْتَرْقَهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: الرَّأْيُ رَأْيُكَ، فَأَعْتَقَهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ كَنَعَانُ مَا أَصَابَ سَائِرَ الْبِلَادِ، فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ - غَيْرَ بَنِيَامِينَ - إِلَيْهِ لِلْمِيرَةِ. كَذَا فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ.⁷

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) في نسخة (غ): فأدير.

(3) في نسخة (غ): وإقرار.

(4) في نسخة (غ): أحبته.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 483). هذه المرويات مصادرها كتب الأقدمين، لا حجة في شيء منها، والله أعلم. ينظر:

الزمخشري، الكشاف، (2/ 483)، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2/ 119)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم

إلى مزايا الكتاب الكريم، (4/ 287).

(6) في نسختي (الأصل، غ): المجذبة.

⁷ البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 168).

قال ابن كثير في تفسيره: "وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال، وفي الثانية بالمتاع، وفي الثالثة بكذا، وفي الرابعة بكذا، حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعدما تملك عليهم جميع ما يملكون، ثم أعتقهم ورد

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58] أي: لم يَعْرِفُوهُ. وإنّما لم يعرفوه؛ لِمُقَارَقَتِهِمْ إِيَّاهُ في سَنِّ الْحَدَاثَةِ، ولا اعتقادهم أنّه مَلِكٌ، ولذَهابِهِ عن أَوْهَامِهِمْ [لِقَلَّةِ⁽¹⁾ فِكْرِهِمْ]⁽²⁾ فِيهِ واهتمامهم بشأْنِهِ، وَلِبُعْدِ⁽³⁾ حَالِهِ⁽⁴⁾ الَّتِي بَلَّغَهَا⁽⁵⁾ مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ عَنْ حَالِهِ⁽⁶⁾ الَّتِي فَارَقُوهُ عَلَيْهَا طَرِيحاً فِي الْبُئْرِ، مَشْرِئاً بِدِرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ، يَعْنِي: ⁽⁷⁾ حَتَّى لَوْ تَخَيَّلَ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ، لَكَذَّبُوا أَنْفُسَهُمْ وَظَنُّوْنَهُمْ، وَلَأَنَّ الْمُلْكَ مِمَّا يُبْدِلُ⁽⁸⁾ الرِّيَّ وَيُلَيِّسُ صَاحِبَهُ مِنَ التَّهْيِيبِ وَالِاسْتِعْظَامِ مَا يُنْكَرُ لَهُ الْمَعْرُوفُ. وَقِيلَ: مَا رَأَوْهُ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ؛⁽⁹⁾ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ. وَإِنَّمَا عَرَفَهُمْ؛ لِأَنَّ زَيْهَمَ⁽¹⁰⁾ كَانَ قَرِيباً مِنْ زَيْهَمِ⁽¹¹⁾ الَّذِي فَارَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَلَأَنَّ هِمَّتَهُ كَانَتْ مَعْقُودَةً بِهِمْ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ، فَكَانَ يَتَأَمَّلُ فِي كُلِّ مَنْ يَدْخُلُ⁽¹²⁾ عَلَيْهِ، فَعَرَفَهُمْ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ [يوسف: 59]

أي: أَصْلَحَهُمْ بِعُدَّتِهِمْ، وَهِيَ عُدَّةٌ⁽¹³⁾ السَّفَرِ مِنَ الزَّادِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَسَافِرُ.⁽¹⁴⁾ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "الْجَهَّازُ: مَا يُعَدُّ مِنَ الْأَمْتَعَةِ لِلنَّقْلَةِ، كَعُدَدِ السَّفَرِ، وَمَا يُحْمَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى أُخْرَى، وَمَا تُزَفُّ بِهِ الْمَرْأَةُ إِلَى⁽¹⁵⁾

عليهم أموالهم كلها، الله أعلم بصحة ذلك، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب." ابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 397).

(1) في نسخة (غ): لعله.

(2) سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(3) في نسخة (م): واجد.

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): حالة.

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): تلقها.

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): حالة.

(7) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (غ).

(8) في نسخة (م): يدل.

(9) في نسخة (م): بعد.

(10) في نسختي (م، غ): ربههم.

(11) في نسختي (م، غ): ربههم.

(12) في نسخة (غ): يرد.

(13) في نسخة (م): مدة.

(14) في نسخة (م): المسافرة.

(15) في نسخة (م): قال.

زوجها. وُقِرَ (بِجَهَازِهِمْ)⁽¹⁾ بالكسر. ⁽²⁾ ﴿قَالَ أَتُتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 59] رُوي أَنَّهُ لَمَّا⁽³⁾ رَأَاهُمْ، وَكَلَّمُوهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، قَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي مَنْ أَنْتُمْ وَمَا شَأْنُكُمْ؟ فَإِنِّي أَنْكَرُكُمْ. قَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، رُعَاةٌ، أَصَابَنَا الْجَهْدُ، فَجِئْنَا نَمْتَارُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ جِئْتُمْ عُيُونًا تَنْظُرُونَ عَوْرَةَ بِلَادِي؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ، نَحْنُ إِخْوَةٌ؛ بَنُو⁽⁴⁾ أَبِي وَاحِدٍ، وَهُوَ شَيْخٌ صِدِّيقٌ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، اسْمُهُ يَعْقُوبُ. قَالَ: كَمْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا⁽⁵⁾ اثْنَيْ عَشَرَ، فَهَلْكَ مِنَّا وَاحِدٌ. قَالَ: فَكَمْ⁽⁶⁾ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ قَالُوا: ⁽⁷⁾ عَشْرَةٌ. قَالَ: فَأَيْنَ الْأَخُ الْحَادِي عَشَرَ؟ قَالُوا: هُوَ عِنْدَ أَبِيهِ يَتَسَلَّى بِهِ مِنَ الْهَالِكِ. قَالَ: فَمَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ أَنْكُمْ لَسْتُمْ بِعُيُونٍ، وَأَنَّ الَّذِي تَقُولُونَ حَقٌّ؟ قَالُوا: إِنَّا بِبِلَادٍ لَا يَعْرِفُنَا فِيهَا أَحَدٌ فَيَشْهَدَ لَنَا. قَالَ: فَدَعُوا⁽⁸⁾ بَعْضُكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً⁽⁹⁾، وَأَتُتُونِي بِأَخِيكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ وَهُوَ يَحْمِلُ رِسَالَةً مِنْ أَبِيكُمْ حَتَّى أَصِدِّقْكُمْ، فَأَقْتَرَعُوا بَيْنَهُمْ، فَأَصَابَتِ الْقُرْعَةُ شَمْعُونَ -وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ رَأْيًا⁽¹⁰⁾ فِي يَوْسُفَ- فَخَلَّفُوهُ عِنْدَهُ، وَكَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِنْزَالَهُمْ وَضِيافَتَهُمْ. كَذَا قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ.⁽¹¹⁾

وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَا ذَكَرَ هُنَا مُتَّافٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ تَعْدَادِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ؛ حَيْثُ ذَكَرَ أَحَدَ عَشَرَ اسْمًا، ثُمَّ ذَكَرَ يَوْسُفَ وَبَنِيَامِينَ، وَالْمَجْمُوعُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ. وَمَا ذَكَرَ هُنَا يَدْلُ⁽¹²⁾ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(1) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (بِجَهَازِهِمْ) بِكسر الجيم نسبت إلى أَبِي السَّمَالِ، وَالْجَحْدَرِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالُوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاطِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 68)، الْهَذَلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 576).

(2) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 168).

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(5) سَقَطَ مِنْ جَمِيعِ النُّسخِ، يَنْظُرُ أَيْضًا: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 484).

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): حَكَمَ.

(7) فِي نَسْخَةِ (ض): قَالَ.

(8) فِي نَسْخَةِ (غ): فَادَعُوا.

(9) فِي نَسْخِ (الأَصْلِ، م، ش): رَهْبَةٌ.

(10) فِي نَسْخَةِ (م): سَرَايَا.

(11) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 484).

(12) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأَصْلِ، م، ش).

وقيل: كان يوسف يُعطي لكل نقرٍ حملاً، فسألوا حملاً زائداً لأخ لهم من أبيهم، فأعطاهم، وشرط عليهم أن يأتوه به، ليَعْلَمَ صِدْقَهُمْ، كذا في تفسير البيضاوي.⁽¹⁾ ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 59] ترغيبٌ لهم إلى الرجوع. وإنما قال ذلك؛ لأنه كان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ [يوسف: 60]

أي: ولا تقربوني⁽²⁾ ولا تدخلوا ديارِي. وهو جزمٌ بالعطفِ على محلِّ الجزاء، كأنه قيل: فإن لم تأتوني⁽³⁾ به تحرموا، ولا تقربوا. و﴿لَا﴾ نافيةٌ. ويحتمل أن تكون [ناهيّةً ويكون]⁽⁴⁾ ﴿تَقْرُبُونِ﴾ مجزوماً بها.

﴿قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ [يوسف: 61]

سَنَجْتَهُدُ⁽⁵⁾ في طلبه من أبيه،⁽⁶⁾ ونَحْتَالُ⁽⁷⁾ على انتزاعه من يده. ﴿وَأَنَا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: 61] أي: إنا لقادرون على ذلك، أو إنا لنفعل ذلك ولا نُفَرِّطُ فيه.

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: 62]

وقال⁽⁸⁾ لِعِلْمَانِهِ الْكَيَالَيْنِ: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ التي شَرَوْا بها الطَّعَامَ ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، وكانت نِعَالاً وأدماً.⁽⁹⁾ وقرئ (لِفَتْيَانِهِ).⁽¹⁰⁾ وهما⁽¹¹⁾ جَمْعَانِ لـ(فَتَى) كـ(إخوة وإخوان)، و(فِعْلَةٌ) جمعُ قِلَّةٍ و(فِعْلَانِ) للكثرَةِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ [يوسف: 62] أي: يعرفون حقَّ رَدِّهَا. ﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ [يوسف: 62]

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 168).

(2) في نسخة (غ): تعرفوني.

(3) في نسخ (الأصل، م، ش): تؤتوني.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخ (الأصل، م، ش).

(5) في نسخ (الأصل، م، ش): سنتجهد.

(6) في نسخ (الأصل، م، ش): الله.

(7) في نسخة (ش): يختال.

(8) في نسخة (غ): وقالوا.

(9) الْأَدَمُ: بِفَتْحَتَيْنِ جَمْعُ (أَدِيمٍ) وَقَدْ جُمِعَ عَلَى (أَدِمَةٍ) كَرَغِيفٍ وَأَرْغَفَةٍ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ وَجْهُ الْأَرْضِ (أَدِيمًا) وَ(الْأَدَمَةُ) بَاطِنُ الْجِلْدِ الَّذِي يَلِي اللَّحْمَ، وَالْبَشْرَةُ ظَاهِرُهَا. الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، (ص: 15).

(10) في نسخ (الأصل، م): فتيانهم، وفي نسخة (ش): لفتيانهم. قراءة متواترة: قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف (وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ) بِالْأَلْفِ وَالنُّونِ. وقرأ الباقر (لِفَتْيَانِهِ) بِالتَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة

في القراءات، (ص: 349)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 247).

(11) في نسخة (ض): هما، وفي نسخة (غ): هي.

إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ وَفَرَّغُوا ظُرُوفَهُمْ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: 62] لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا. وقيل: تخوف أن لا يكون عند أبيهم [من المتاع]⁽¹⁾ ما يرجعون به. وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنًا. وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة، لا يستحلون إمساكها، كذا في الكشاف.⁽²⁾

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ [يوسف: 63]

أَرَادُوا بِهِ قَوْلَ يَوْسُفَ: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ [يوسف: 60]. ﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ﴾ [يوسف: 63] نَزَعَ⁽³⁾ المانع من الكيل ونكّلت⁽⁴⁾ ما نحتاج إليه. وقرأ (يَكْتَلُ)⁽⁵⁾ بإسناد الفعل إلى أخيه، أي: يَكْتَلُ لِنَفْسِهِ، وَيَنْضَمُ⁽⁶⁾ اكتياله إلى⁽⁷⁾ اكتيالنا، أو يَكُنْ سببًا للاكتيال، فَإِنَّ امْتِنَاعَهُ كَانَ بِسَبَبِهِ. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 63] من إصابة المكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: 64]

أي: لا أَعْتَمِدُ على قولكم وحفظكم، وقد قُلْتُمْ في يوسف ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 12] ثُمَّ وَقَعَ مَا وَقَعَ. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: 64] فَأَعْتَمِدُ على حفظه، وَأَفْوِضُ أمره إليه. و﴿حَافِظًا﴾ نصب⁽⁸⁾

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 485).

(3) في جميع النسخ: برفع، وأثبت (يرفع) لأنه أصح.

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): نكيل.

(5) قراءة متواترة: قرأ حمزة والكسائي وخلف (فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا يَكْتَلُ) بالياء وقرأ الباقون (نَكْتَلُ) بالتون. وهذه القراءة تؤيد قول من قال: كان يوسف يُعْطِي لكلٍ نَقَرٍ حِمْلًا، والله تعالى أعلم. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 350)، النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 247).

(6) في نسخة (م): أو ينضم.

(7) في نسختي (الأصل، م): في.

(8) في نسخة (م): نصبًا.

على التَّمْيِيزِ، ويحتمل الحال. وتُوَيِّدُ الْأَوَّلَ قراءةً من قرأ (حَفْظًا).⁽¹⁾ ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: 64] فَيَرْحَمُ على من يتوكَّلُ عليه وَيَعْتَمِدُ على حِفْظِهِ، بالضرورة.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَلْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: 65]

وَقُرئ (رِدَّتْ)⁽²⁾ بِنَقْلِ كَسْرَةٍ⁽³⁾ الدَّالِ إلى الرَّاءِ، كما في⁽⁴⁾ (قِيلَ وَيَبِيعُ). ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ [يوسف: 65] أي: مَا نَبْغِي فِي الْقَوْلِ وَلَا نَزِيدُ⁽⁵⁾ فيما⁽⁶⁾ وَصَفْنَا⁽⁷⁾ لك من إِحْسَانِ الْمَلِكِ وَإِكْرَامِهِ، وكانوا قالوا له:⁽⁸⁾ إِنَّا قَدِمْنَا عَلَى خَيْرِ رَجُلٍ؛ أَنْزَلْنَا وَأَكْرَمْنَا كَرَامَةً لَوْ كَانَ رَجُلًا مِنْ آلِ يَعْقُوبَ مَا أَكْرَمْنَا كَرَامَتَهُ، عَلَى أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ نَافِيَةً. ويجوز أن تكون (استفهامية)، بمعنى: أَيُّ شَيْءٍ نَبْتَغِي وَنَطْلُبُ وراءَ هذا؟ وَقُرئ (تَبْغِي)⁽⁹⁾ عَلَى الْخَطَابِ، أَي: أَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي وراءَ هذا؟ مِنَ الْإِحْسَانِ، أَوْ مِنَ الشَّاهِدِ عَلَى صِدْقِنَا؟ ﴿هَذِهِ بِضَلْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: 65] استئنافٌ مُوَضِّحٌ لِمَا قَبْلَهُ. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف: 65]

(1) قراءة متواترة: قرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف (حافظاً) بفتح الحاء وألف بعد الحاء وكسر الفاء، وقرأ الباقر (حفظاً) بكسر الحاء وإسكان الفاء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 247)، والقاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 165).

(2) قراءة شاذة: نسبت إلى علقمة بن قيس، والأعمش، وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 345)، والكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 239)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 296).

(3) في نسخة (ض): الكسرة.

(4) سقط من نسخة (ض).

(5) أي: لا نبالغ فيما وصفنا لك، وفي الكشف: ما نتزید فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه، الزمخشري، الكشف، (2/ 486).

(6) في نسخة (ش): فيها.

(7) في نسخة (م): وضعنا.

(8) سقط من نسختي (الأصل، م).

(9) قراءة شاذة: نسبت عبد الله ابن مسعود، وأبي حيو، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، والهذلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 576)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 296).

بن عقيل (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 576).

(10) سقط من نسخة (م).

عطف على مقدرٍ يتفرع على سابقه، كأنه قيل: رُدْتُ إلينا فنستظهر بها، ونمير أهلكنا. [ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿مَا نَبْغِي﴾ على الاحتمال الأول، أي: ونمير أهلكنا⁽¹⁾ في رجوعنا إلى الملك. ﴿وَحَفَظَ أَخَانًا﴾ [يوسف: 65] عن المخاوف في ذهابنا. ﴿وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 65] بسبب رفاقة أخينا. ⁽²⁾ ﴿ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ [يوسف: 65] إشارة إلى ما يكال لهم، فأرادوا ازدياده [بكَيْلٍ آخَرَ]، ⁽³⁾ أو إشارة إلى ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، أي: هو ⁽⁴⁾ شيء قليل، مُيسر حصوله برفاقة أخينا ⁽⁵⁾ بلا تعب. وقيل: إنه من كلام يعقوب، يعني: إن حملَ بَعِيرٍ شيء قليل، لا يخاطر لمثله الولد.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [يوسف: 66]

حَتَّى تُعْطُونِي مَا أُوثِقَ ⁽⁶⁾ به من عند الله. أراد أن يخلفوا ⁽⁷⁾ له بالله. [وإنما قال: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾]؛ ⁽⁸⁾ لأنَّ الحلف ⁽⁹⁾ به مما ثبت مشروعيته بإذنه. ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ [يوسف: 66] جوابٌ للقسم المفهوم من الموثق، فكأنه قال: حَتَّى تَخْلِفُوا ⁽¹⁰⁾ بالله ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾. ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: 66] إِلَّا أَنْ تُغْلِبُوا فَلَا تُطِيعُوا ⁽¹¹⁾ الإتيان ⁽¹²⁾ به، أو ⁽¹³⁾ إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا. والاستثناء مفرغ من أعم العِلل، والكلام - وإن كان مُثَبِّتاً -

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(2) في نسختي (الأصل، م): أخانا.

(3) بين المعقوفتين كرر في نسخة (ض).

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) في نسخة (م): اختياراً.

(6) لعل قصده: حتى تعطوني ما أوثق به من عند الله أي عهداً مؤكداً بذكر الله، كذا في الكشاف وتفسير البيضاوي.

الزمخشري، الكشاف، (2/ 487)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 170).

(7) في نسخة (م): يخلفوا.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(9) في نسخة (م): الخلف.

(10) في نسخة (م): تخلصوا.

(11) في نسخة (ش): تطيعوا.

(12) في نسخة (م): إلا أن يتان.

(13) سقط من نسختي (الأصل، م).

إِلَّا أَنَّهُ فِي تَأْوِيلِ الْمَنْفِيِّ،⁽¹⁾ معناه: لَا تَمْتَنِعُونَ⁽²⁾ من الإتيانِ بِهِ لِعِلَّةٍ من الْعِلَلِ إِلَّا لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وهي أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ. ويجوز أَنْ يَكُونَ مَنْقُطِعاً، على تقدير: لَكِنْ وَقْتُ⁽³⁾ الإِحَاطَةِ بِكُمْ لَا⁽⁴⁾ اقْتِدَارَ⁽⁵⁾ لَكُمْ عَلَى إِتْيَانِهِ، فَأَنْتُمْ مَعْدُورُونَ فِيهِ. وهو أَمْرٌ وَاضِحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ.

إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الْكَشَافِ اسْتَشْكَلَ فِي هَذَا⁽⁶⁾ الِاسْتِثْنَاءِ، حَيْثُ قَالَ: "فَإِنْ قُلْتَ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ فِيهِ إِشْكَالٌ؟"⁽⁷⁾ ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ⁽⁸⁾ مِنْ أَعْمِ الْعِلَلِ، عَلَى تَأْوِيلِ الْمُثَبَّتِ بِالْمَنْفِيِّ، حَيْثُ قَالَ: "فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ أَعْمِ الْعَامِّ فِي⁽⁹⁾ الْمَفْعُولِ لَهُ. وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنْ أَعْمِ الْعَامِّ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النَّفْيِ وَحْدَهُ، فَلَا بَدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ بِالنَّفْيِ. وَلَيْتَ⁽¹⁰⁾ شِعْرِي، مَا الْمَانِعُ مِنْ جَعْلِهِ مَنْقُطِعاً؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا سَبَقَ قُبَيْلَ⁽¹¹⁾ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53]؟ وَقَدْ جَعَلَهُ مَنْقُطِعاً كَمَا نَقَلْنَاهُ⁽¹²⁾ عَنْهُ،⁽¹³⁾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال البيضاوي: "وهو استثناء مُفَرَّغٌ مِنْ أَعْمِ الْأَحْوَالِ، وَالنَّقْدِيرُ: لَنَأْتِنِّي بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَّا حَالِ الإِحَاطَةِ بِكُمْ."⁽¹⁴⁾ فَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ⁽¹⁵⁾ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الْكَلَامِ الْمُوجِبِ بَعْدَ اسْتِقَامَةِ الْمَعْنَى جَائِزٌ، فَمَا⁽¹⁶⁾

(1) في نسخة (م): النفي.

(2) في نسخة (م): تمتعون.

(3) في نسخة (م): لوقت.

(4) سقط من نسختي (الأصل، م).

(5) في نسختي (الأصل، م): الاقتدار.

(6) في نسختي (الأصل، م): هذه.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 487).

(8) في نسخة (م): استثناء.

(9) في نسخة (غ): من.

(10) في نسخة (ض): ليت.

(11) في نسخة (م): قبل.

(12) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): نقلنا.

(13) ينظر: (ص 163).

(14) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 170).

(15) سقط من نسخة (ش).

(16) في نسختي (الأصل، غ): لما.

قال صاحبُ الكشف: "إِنَّ الاستثناءَ من أعمِّ العامِ لا يكون إلَّا في النَّفْيِ وحدهُ"⁽¹⁾؛ إنَّما يكون عند عدم⁽²⁾ استقامةِ المعنى، فلا مُناقاةَ بينهما. لكن، بقيَ الكلامُ في دعوى استقامةِ المعنى، وهو ممنوعٌ؛⁽³⁾ لأنَّ الإتيانَ به في كلِّ حالٍ مُحالٌ؛⁽⁴⁾ لأنَّ بعضَ⁽⁵⁾ الأحوالِ لا يُمكنُ أن تُجمَعَ مع الإتيانِ، فكيف يصحُّ الإتيانُ به في جميعِ الأحوالِ إلَّا حالُ الإحاطةِ بهِ؟⁽⁶⁾ ولو أُريدَ من الأحوالِ الأحوالُ⁽⁷⁾ التي لا يُمتنعُ مُجامعتُها⁽⁸⁾ مع الإتيانِ بهِ؛ لَزِمَ⁽⁹⁾ أن يكونَ الاستثناءُ لغوًّا في الكلامِ، مع أنَّ الاستثناءَ المُفَرَّغَ لا بدَّ من أن يكونَ من أعمِّ العامِّ، والتَّخصيصُ يُنافِيهِ، وكأنَّ صاحبَ الكشفِ لم يذكُرْ هذا⁽¹⁰⁾ الاحتمالَ لِأجلِ ذلك. كيف ولو كان صحيحاً عنده لم يجعلِ الاستثناءَ محلَّ إشكالٍ، فتدبَّرْ. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ﴾ [يوسف: 66] وَحَلَفُوا بِاللَّهِ،⁽¹¹⁾ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: 66] من طَلَبِي⁽¹²⁾ منكم الموثق،⁽¹³⁾ وإتيانكم الموثقَ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ. ﴿وَكَيْلٌ﴾ [يوسف: 66] رقيبٌ مَطْلَعٌ.

﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: 67]

إنَّما قال ذلك خوفاً عليهم من إصابةِ العينِ حيث سمع منهم أنَّهم صاروا مشهورين بين النَّاسِ بِالْغُرْبَةِ⁽¹⁴⁾ والكرامةِ عند المَلِكِ، فخاف أن يُشارَ إليهم⁽¹⁵⁾ بالأصابع، ويُقال: هؤلاء أضيافُ المَلِكِ، انظُرُوا

(1) الزمخشري، الكشف، (2/ 487).

(2) في نسخة (ش): أعدم.

(3) في نسخة (غ): مم.

(4) في نسخة (م): مجال.

(5) في نسخة (غ): نقص.

(6) سقط من نسخة (ش).

(7) سقط من نسخة (م).

(8) في الأصل: مجامعتهما.

(9) في جميع النسخ: يَلْزَمُ، وأثبت (لَزِمَ) لأنه أصح.

(10) في نسخة (ش): هذه.

(11) في نسخة (غ): به.

(12) في نسخة (م): طلبني.

(13) في نسخة (ش، ض): منكم من طلبني الموثق.

(14) في نسخة (غ): بالغربة.

(15) في نسختي (الأصل، م): عليهم.

إليهم ما أَحَسَّنَهُمْ من فتیان، وما أَحَقَّهُمْ بالإكرام! ولذلك لَمْ يُوصِهِمْ في الكَرَّةِ الأولى؛ لأنَّهم كانوا مجهولين، غير مُلْتَقَتٍ إليهم.

والإصابة بالعين أمر مشهور لا يُنكره أحد. قال البيضاوي: "وللنفس آثار منها العين، والذي يدل⁽¹⁾ عليه قوله عليه الصلاة والسلام في دعوتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ⁽²⁾ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ وَهَامَّةٍ⁽³⁾ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»." (4) ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 67] يعني: إنَّ أراد الله بكم سوءاً لم يَنْفَعَكُمْ ولم يَنْفَعْ عَنْكُمْ ما أَشْرْتُ به إليكم من التَّفَرُّقِ. (5) ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 67] تعليلٌ لسابقه. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67] تقديم (عليه) في الموضعين يُفِيدُ الاختصاص. والجملة الأولى تفسير، أو تأكيد لما يُفهم من قوله: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، والجملة

(1) في نسخة (غ): بذل.

(2) في نسخ (ش، ض، غ): التامة.

(3) في نسختي (الأصل، م): هابة. هامة: بتشديد الميم: كل ذات سم يقتل، وجمعه هوام، ولامة: بتشديد الميم، أي: ذات لمم، واللمم: كل داء يلزم من خبل أو جنون أو نحوهما، أي: من كل عين تصيب السوء. السندي (المتوفى 1138هـ)، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وتعليق: طارق عوض الله، الرياض-السعودية، 1431هـ، دار المأثور للنشر والتوزيع، (417/1).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 170). حديث صحيح: رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء في باب (الرقم: 3371)، وأبو داود في السنة (الرقم: 4737)، والترمذي في باب من أبواب الطب (الرقم: 2060)، وابن ماجه في الطب في باب (ما يُعوذُ بِهِ مِنَ الْحُمَى) (الرقم: 3525)، والنسائي في كتاب البُعُوث باب (كَلِمَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) (الرقم: 7679)، وأحمد بن حنبل (الرقم: 2112) من حديث المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ».

وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقال محقق مسند الإمام أحمد بن حنبل: إسناده صحيح على شرط البخاري، المنهال - وهو ابن عمرو الأسدي - من رجال البخاري، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. يعلى: هو ابن عبيد الطنافسي. ينظر: البخاري، صحيح البخاري (4/ 147)، أحمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (4/ 20)، وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (2/ 1164)، والنسائي (المتوفى: 303هـ)، السنن الكبرى (7/ 151).

(5) في نسختي (الأصل، م): التعرّف.

الثَّانِيَةُ عَطَفَ عَلَيْهَا، مِنْ قَبِيلِ عَطَفِ التَّأَكُّدِ عَلَى التَّأَكُّدِ، وَالْفَاءُ لِإِفَادَةِ السَّبَبِ؛⁽¹⁾ لِأَنَّ فِعْلَ الْأَنْبِيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لَتَحَقُّقِهِ فِي الْأُمَمِ. وَيَصَحُّ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ⁽²⁾ لِمَكَانِ⁽³⁾ الْفَاصِلِ.⁽⁴⁾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ [يوسف: 68]

أَي: مُتَقَرِّقِينَ، ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 68] مَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ تَدْبِيرُ يَعْقُوبَ وَاتِّبَاعُهُمْ لَهُ قَطُّ؛ حَيْثُ أَصَابَهُمْ مَا سَاءَ لَهُمْ، مِنْ إِضَافَةِ السَّرِقَةِ إِلَيْهِمْ، وَافْتِضَاحِهِمْ⁽⁵⁾ بِذَلِكَ، وَأَخَذَ أَخِيهِمْ بِوَجْذَانِ الصُّوَاعِ فِي رَحْلِهِ، وَتَضَاعَفَ الْمُصِيبَةُ عَلَى أَبِيهِمْ. ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يوسف: 68] اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، عَلَى مَعْنَى: وَلَكِنْ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا. وَهِيَ شَفَقَتُهُ عَلَيْهِمْ، وَإِظْهَارُهَا بِمَا قَالَهُ لَهُمْ،⁽⁶⁾ وَوَصَّاهُمْ بِهِ. وَالْمُسْتَتَرُّ فِي ﴿قَضَاهَا﴾ لِأَبِيهِمْ،⁽⁷⁾ وَالْبَارِزُ: لِلْحَاجَةِ. ﴿وَأَنَّهُ لَدُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: 68] بِالْوَحْيِ، وَنَضَبِ الْحُجَجِ. وَعِلْمُهُ⁽⁸⁾ مَا⁽⁹⁾ يُفْهَمُ⁽¹⁰⁾ مِنْ قَوْلِهِ:⁽¹¹⁾ ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 67]. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68] ذَلِكَ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [يوسف: 69]

ضَمَّ إِلَيْهِ بَنِيَامِينَ. وَرُوي: أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: هَذَا أَخُونَا قَدْ جِئْنَاكَ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَحْسَنْتُمْ وَأَصْبَحْتُمْ، وَسَتَجِدُونِ ذَلِكَ عِنْدِي، فَأَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، ثُمَّ أَصَافَهُمْ وَأَجْلَسَ كُلَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى مَائِدَةٍ، فَبَقِيَ بَنِيَامِينَ وَحْدَهُ فَبَكَى، وَقَالَ: لَوْ كَانَ أَخِي يُوسُفَ حَيًّا لَأَجْلَسَنِي مَعَهُ، فَقَالَ يُوسُفُ: بَقِيَ أَخُوكُمْ وَحِيدًا، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ،

(1) في نسخة (الأصل، م، ش): النَّسَبِ.

(2) يعني الواو والفاء، ينظر: الخفاجي (المتوفى: 1069هـ)، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البضاوي، (5/192).

(3) في نسخة (غ): لكان.

(4) في نسختي (الأصل، م): الوصل.

(5) في نسختي (الأصل، م): واختصاصهم.

(6) في نسخة (م): له.

(7) في جميع النسخ: لأبوه.

(8) في نسخة (غ): علم.

(9) في نسختي (الأصل، م): لما، وفي نسخة (غ): بما.

(10) في نسختي (الأصل، م): معهم.

(11) في نسخة (غ): حوله.

وَجَعَلَ يُؤَاكِلُهُ، وقال: أنتم عشرة، فَلْيُنْزِلْ كُلُّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ بَيْتاً، وهذا لا ثانِي له فيكونُ معي، فَبَاتَ يَوْسُفُ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ، وَيَشُمُّ رَائِحَتَهُ، حَتَّى أَصْبَحَ. وَسَأَلَهُ عَنْ وَلَدِهِ فَقَالَ: لِي عَشْرَةٌ⁽¹⁾ بَنِينَ، اسْتَقْتُ⁽²⁾ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ اسْمِ أَخِي لِي هَٰلِكَ، فَقَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ بَدَلَ أَخِيكَ هَٰلِكَ؟ قَالَ: مَنْ يَجِدُ أَخاً مِثْلَكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ⁽³⁾ يَعْقُوبُ، وَلَا رَاحِيلُ،⁽⁴⁾ فَبَكَى⁽⁵⁾ يَوْسُفُ [وَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي⁽⁶⁾ أَنَا أَخُوكَ يَوْسُفُ]،⁽⁷⁾ كَذَا⁽⁸⁾ فِي الْكُشَافِ. ⁽⁹⁾ ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يُوسُفُ: 69] فَلَا تَحْزَنْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيمَا مَضَى، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَجَمَعَنَا عَلَى خَيْرٍ، وَلَا تُعْلِمُهُمْ بِمَا أَعْلَمْتُكَ.⁽¹⁰⁾ وَقِيلَ: مَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ، بَلْ قَالَ لَهُ: أَنَا أَخُوكَ بَدَلَ أَخِيكَ الْمَفْقُودِ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كُنْتَ تَلْقَى مِنْهُمْ مِنَ الْحَسَدِ، وَالْمَشْهُورُ هُوَ الْأَوَّلُ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يُوسُفُ: 70]

رُوي أَنَّهُ قَالَ لَهُ⁽¹¹⁾: فَأَنَا لَا أَفَارِقُكَ.⁽¹²⁾ قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ اغْتِمَامَ وَالِدِي بِي، فَإِذَا حَبَسْتُكَ أَزْدَادَ غَمِّهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ أُنْسِبَكَ إِلَى مَا لَا يَجْمَلُ. قَالَ: لَا أَبَالِي فَاذْعَلْ مَا بَدَا لَكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَدُسُّ

(1) في نسختي (ض، غ): عشر.

(2) في نسخة (ض): اشتقت.

(3) في نسخة (م): ينكر.

(4) في نسختي (الأصل، م): راعيل. وفي الكشاف: راحيل، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 489).

(5) في نسخة (غ): منك.

(6) سقط من نسخة (ض).

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م):

(8) في نسخة (غ): قال.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 489).

(10) في نسخة (ض): أعلمك.

(11) سقط من نسختي (الأصل، م).

(12) في نسخة (م): فارقت.

صاعِي فِي رَحْلِكَ،⁽¹⁾ ثُمَّ أُنَادِي عَلَيْكَ بِأَنَّكَ⁽²⁾ قَدْ سَرَقْتَهُ، لِيَنْتَهِيَ لِي⁽³⁾ رَدُّكَ بَعْدَ تَسْرِيحِكَ مَعَهُمْ. قَالَ: أَفْعَلْ، كَذَا فِي الْكُشَافِ.⁽⁴⁾

و(السَّقَايَةُ) مَشْرَبَةٌ جُعِلَتْ صَاعاً يُكَالُ بِهِ. وَقِيلَ كَانَتْ الدَّوَابُّ تُسْقَى بِهَا، وَيُكَالُ فِيهَا. قِيلَ: كَانَتْ مِنْ فِضَّةٍ مُمَوَّهَةٍ⁽⁵⁾ بِالذَّهَبِ. [وَقِيلَ: كَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ]،⁽⁶⁾ وَقِيلَ: كَانَتْ مُرَصَّعَةً بِالْجَوَاهِرِ. وَجَعَلَهَا يَوْسُفُ مَكِّيَالاً لِئَلَّا يُكَالَ بِغَيْرِهَا. وَفُرِئَ (وَجَعَلَ السَّقَايَةَ)⁽⁷⁾ عَلَى حَذْفِ الْجَوَابِ، تَقْدِيرُهُ: أَمْهَلَهُمْ حَتَّى انْطَلَقُوا. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يُوسُفَ: 70] نَادَى مُنَادٍ: ﴿أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يُوسُفَ: 70] كَأَنَّهُ قَصَدَ بِذَلِكَ مَا فَعَلُوا بِأَبِيهِمْ⁽⁸⁾ مِنْ سَرَقَةِ يَوْسُفَ مِنْهُ، فَلَا يَكُونُ افْتِرَاءً عَلَيْهِمْ، بَلْ هُوَ مِنْ مَقُولَةِ التَّوْرَةِ فِي الْكَلَامِ. وَالْعِيرُ الْقَافِلَةُ، قَالَ صَاحِبُ الْكُشَافِ: "وَالْعِيرُ: الْإِبِلُ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ؛ لِأَنَّهَا تَعِيرُ، أَيُ: تَذْهَبُ وَتَجِيءُ. وَقِيلَ: هِيَ قَافِلَةُ الْحَمِيرِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ قَافِلَةٍ: عِيرٌ، كَأَنَّهَا جَمْعُ عَيْرٍ، وَأَصْلُهَا (فُعِلَ) كَسَقَفَ

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): حَلَك.

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): بِأَنَّهُ.

(3) فِي نَسْخَةِ (م): إِلَى.

(4) عَزَاهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِيهِمَا لِكَعْبٍ -لَعَلَّهُ كَعْبُ الْأَخْبَارِ الَّذِي عَامَّةُ رَوَايَاتِهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ-، وَالوَاحِدِي فِي الْوَسِيطِ إِلَى أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ. يَنْظُرُ: الثَّعْلَبِيُّ، الْكُشْفُ وَالبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 239)، وَالوَاحِدِي، (الْمَتَوَفَى: 468هـ)، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ، (2/ 623)، الْبَغَوِيُّ (الْمَتَوَفَى: 510هـ)، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (4/ 260)، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ، (2/ 489).

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): مَمْدَبَةٌ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَتِي (ش، غ):

(7) قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ: (وَجَعَلَ السَّقَايَةَ) بِالْوَاوِ، رُوِيَ عَنْ نَافِعٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ. الْكِرْمَانِيُّ (الْمَتَوَفَى 535هـ)، شَوَادُّ الْقِرَاءَاتِ، (ص: 249).

(8) فِي الْأَصْلِ: يَأْتُهُمْ، وَفِي نَسْخَةِ (م): يَأْتِيهِمْ.

وَسُقِّفَ،⁽¹⁾ فُعلَ به ما فُعلَ بِنَبِيضٍ وَغِيْدٍ.⁽²⁾ والمراد: أصحاب العير، كقوله عليه الصلاة والسلام: «يَا خَيْلَ اللَّهِ اركبي». ⁽³⁾ (4).

(1) في نسخة (غ): كَشَقَّتْ وَشَقَّتْ.

(2) في نسختي (الأصل، م): عيد، وفي نسخة (ش): غيب. و(الغيد) -بِفَتْحَتَيْنِ-: النُّعْمَةُ وامْرَأَةٌ (غِيْدَاءٌ) وَ(غَادَةٌ) أَي: نَاعِمَةٌ. و(الأغيد): الْوَسْطَانُ الْمَائِلُ الْعُنُقِ. الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، (ص: 232).

(3) في نسخة (م): خيلي، وفي نسخة (غ): ما فعل.

(4) أخرجه الْحَازِمِيُّ فِي كِتَابِهِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ فِي بَابِ الْمُثَلَّةِ وَنَسَخَهَا عَنْ طَرِيقِ حَمَزَةٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ: وَسُئِلَ عَنْ أَبْوَالِ الْإِبِلِ فَقَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ الْمُحَارِبِيِّ، فَقَالَ: كَانَ نَاسٌ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: نُبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. فَبَايَعُوهُ وَهُمْ كَذَبَةٌ، وَذَكَرَ قِصَّةَ فِيهَا: «فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَنُودِيَ فِي النَّاسِ: يَا خَيْلَ اللَّهِ اركبي، فَرَكِبُوا لَا يَنْتَظِرُ فَارِسٌ فَارِسًا»، الْحَازِمِيُّ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَثْمَانَ الْهَمْدَانِي، زَيْنُ الدِّينِ (المتوفى: 584هـ)، الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الثانية، 1359 هـ، (ص: 198).

والبيهقي في دلائل النبوة (4/ 186-187)، والحاكم في مستدركه وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، الْبَيْهَقِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخِرَاسَانِيُّ، أَبُو بَكْرٍ (المتوفى: 458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1405 هـ، (4/ 186-187)، والنيسابوري، المستدرک على الصحيحين، (2/ 397).

وعنون أبو داود في سننه في كتاب الجهاد باباً ب(باب في النداء عند النفير: يا خيل الله، اركبي) وساق فيه حديثاً عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَى خَيْلَنَا خَيْلَ اللَّهِ إِذَا فَرَعْنَا»، الحديث رقم: 2560، السِّجِسْتَانِيُّ، أَبُو دَاوُدَ سَلِيمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ شَدَادَ بْنِ عَمْرٍو الْأَزْدِي (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوط - مُحَمَّدٌ كَامِلٌ قَرَهُ بَلَلِي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، (3/ 26)،

وقال ابن الأثير: "وفي الحديث «يا خيل الله اركبي» هذا على حذف المضاف، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي. وهذا من أحسن المجازات وألطفها." ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزي (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م، (2/ 94). ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 490). الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/ 279).

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: 71]

أي: أي شيء تَفْقِدُونَهُ؟ قال البيضاوي: "والفَقْدُ: غَيْبَةُ الشَّيْءِ عَنْ الْحِسِّ بِحَيْثُ لَا يُعْرَفُ مَكَانُهُ."⁽¹⁾ ولا يخفى أنه معنى اللّازم،⁽²⁾ لا يصحُّ أن يُفسَّرَ به المتعدي. ولا شبهة أن ﴿تَفْقِدُونَ﴾ متعديٌ بدليل: ﴿نَفَقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾، وقرأ (تَفْقِدُونَ)⁽³⁾ من⁽⁴⁾ (أَفْقَدْتُهُ)، إذا وَجَدْتَهُ فُقِيدًا.

﴿قَالُوا نَفَقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 72]

وقرأ (صَاعَ الْمَلِكِ)،⁽⁵⁾ وكلاهما يَجِيئَانِ بمعنى المَشْرَبَةِ، وبمعنى الكَيْلِ. ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 72] من الطَّعَامِ جُعْلًا لَهُ. ﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾ [يوسف: 72] أي: أنا⁽⁶⁾ بِحِمْلِ الْبَعِيرِ كَفِيلٌ، أُودِيَهُ لِمَنْ جَاءَ بِهِ.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: 73]

قَسَمَ فِيهِ معنى التَّعَجُّبِ مِمَّا أُضِيفَ إِلَيْهِمْ. وإِنَّمَا⁽⁷⁾ استشهدوا بِعِلْمِهِمْ⁽⁸⁾ على صِلَاحِهِمْ؛ لأنَّهم كانوا مشهورين بالأمانة والدِّيانَةِ بينهم؛ لِمَا رَأَوْا⁽⁹⁾ منهم في كَرَّتِي⁽¹⁰⁾ مَجِيئِهِمْ⁽¹¹⁾ ومُدَاخَلَتِهِمْ لِلْمَلِكِ. رُوي أنَّهم

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 171).

(2) في نسختي (الأصل، م): لازم.

(3) قراءة شاذة: (تَفْقِدُونَ) بضم التاء، نسبت إلى أبي عبد الرحمن السلمي، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 490)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (18/ 487).

(4) في نسخة (ض): بأن.

(5) قراءة شاذة: نسبة ابن خالويه إلى أبي هريرة وجماعة، وابن جني إليه وإلى مجاهد بخلاف. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 346).

(6) في نسخة (م): أتاه.

(7) في نسخة (ش): أما.

(8) في نسخة (غ): بعملهم.

(9) في نسخة (غ): أرادوا.

(10) في نسخة (غ): كزل.

(11) في نسخة (غ): محبتهم.

دخلوا وأَفَوَاهُ دَوَابُّهُمْ مَكْهُومَةٌ؛⁽¹⁾ لئَلَّا تَتَنَاولَ زَرْعاً أَوْ طَعَاماً لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السُّوقِ. وكفى دليلاً على أمانيتهم برَدِّهم البِضَاعَةَ التي وَجَدُوهَا فِي رِحَالِهِمْ.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ [يوسف: 74]

الضَّمِيرُ لِلصُّوَاعِ عَلَى مَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْعِبَارَةِ، أَي: فَمَا جَزَاءُ سَرِقَتِهِ؟ وَجَوَزَ الْبِضَاوِي أَنْ يَكُونَ لِلسَّارِقِ وَلِلسَّرِقِ، الْمَفْهُومَيْنِ مِنَ السِّيَاقِ.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: 75]

أَي: جَزَاءُ سَرِقَتِهِ أَخَذَ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ، وَاسْتَرْقَاهُ.⁽²⁾ قِيلَ: هَكَذَا كَانَ شَرْعُ يَعْقُوبَ، فَلِذَلِكَ اسْتَفْتُوا⁽³⁾ فِي جَزَائِهِ. وَقَوْلُهُمْ:⁽⁴⁾ ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ تَقْدِيرٌ⁽⁵⁾ لِلْحُكْمِ، أَي: فَأَخَذَ السَّارِقُ نَفْسَهُ هُوَ جَزَاؤُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ خَبَرًا عَنْ ﴿جَزَاؤُهُ﴾ عَلَى إِقَامَةِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِّ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ هُوَ،⁽⁶⁾ عَلَى أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الْأَوَّلِ لـ ﴿مَنْ﴾ وَالثَّانِي لِلْجَزَاءِ. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: 75] مِنْ تَتَمَّةٍ كَلَامِهِمْ. وَالْمَرَادُ بِالظَّالِمِينَ: السَّارِقُونَ؛⁽⁷⁾ لِأَنَّ السَّرِقَةَ نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76]

أَي: فَبَدَأَ يَوْسُفُ؛ لِأَنَّهُمْ رُدُّوا إِلَى مِصْرَ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: فَبَدَأَ بِتَفْتِيشِ أَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ بَنِيَامِينَ؛ لِئَلَّا يَكُونَ التُّهْمَةُ، حَتَّى بَلَغَ وِعَاءَهُ، فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذَا أَخَذَ شَيْئاً، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَنْزُكُهُ حَتَّى تَنْظُرَ⁽⁸⁾ فِي رَحْلِهِ، فَإِنَّهُ أَطِيبُ لِنَفْسِكَ وَأَنْفُسِنَا. ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ [يوسف: 76] أَي: السِّقَايَةَ، أَوْ الصُّوَاعَ؛ لِأَنَّهُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَلَعَلَّ يَوْسُفَ كَانَ يُسَمِّيهِ سَقَايَةً، وَغَيْرَهُ: صَوَاعاً، فَقَدْ وَقَعَ فِيهَا يَتَّصِلُ بِهِ"⁽⁹⁾ مِنْ

(1) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): مَكْهُومَةٌ، وَفِي نَسَخَتِي (ش، ض) هَامِشٌ بِالْفَارْسِيَّةِ يَوْضَحُ مَعْنَى كَلِمَةِ (مَكْهُومَةٌ) نَصَهُ: كَعَم: دَهْنٌ شَتْرٌ بَسْتَنَ، أَي: إِغْلَاقُ فَمِ الْجَمَلِ.

(2) فِي نَسَخَةِ (غ): اسْتَرْقَاهُ.

(3) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): اسْتَفْتُوا.

(4) فِي نَسَخَةِ (ض): قَوْلُهُ.

(5) فِي نَسَخَةِ (ض): وَتَقْدِيرُ.

(6) سَقَطَ مِنْ نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م).

(7) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: السَّارِقِينَ.

(8) فِي نَسَخِ (الْأَصْلُ، م، ض، غ): نَنْظُرُ.

(9) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (ض).

الكلام سقاية، وفيما يتصل بهم منه⁽¹⁾ صواعاً. ⁽²⁾ ﴿مِنْ وَعَاءٍ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76] وُقِرَّ بضمِّ الواو⁽³⁾ وبقلبها همزة. ⁽⁴⁾ ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: 76] مثلُ ذلك الكيد كدنا ليوسف، يعني: علمناه إيَّاه، وأوحيناه⁽⁵⁾ إليه. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 76] تفسيرٌ للكيد؛⁽⁶⁾ لأنه كان في دينِ ملك⁽⁷⁾ مصر، وما كان في دينه أن يُؤخذ⁽⁸⁾ السارقُ ويُستعبد، بل كان أن يُغرَّم السارقُ بمثل ما أخذ. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: 76] استثناءٌ مفرغٌ عن أعمِّ الأحوال، أي: إلَّا حال تعلق مشيئته بجعل ذلك حكم الملك. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لكن بمشيئة الله وإذنيه أخذه. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: 76] كما رَفَعْنَا درجةَ يوسف في العلم. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] يَعْلَمُ⁽⁹⁾ مَنْ يستحقُّ لرفعِ الدرجةِ [فَرَفَعَ⁽¹⁰⁾ درجته⁽¹¹⁾] بِقَدْرِ استحقاقه.

(1) في نسخة (غ): يتصل منه.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 491).

(3) قراءة شاذة: (وُعاء) بضمِّ الواو، نُسبت إلى الحسن، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 348).

(4) قراءة شاذة: (أُعاء) بقلب الواو همزة، نسبت إلى سعيد بن جبیر وعيسى، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 348).

(5) في نسخ (الأصل، م، غ): أوحينا.

(6) في نسخة (غ): ولكنه.

(7) في نسخة (م): الملك.

(8) في نسختي (ض، غ): يوجد.

(9) في نسختي (الأصل، م): نعلم.

(10) في نسخة (ض): ورفع.

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: 77]

أرادوا يوسف، واختُلف فيما أضافوا إليه من السرقة؟ فقيل: كان أَخَذَ في (1) صِبَاهُ صَنَمًا لِجَدِّهِ (2) -أبي أمّه- فكسره، وألقاه بين الجيف في الطريق. 3 وقيل: دَخَلَ كنيسةً، (4) فأخذَ تِمْنًا لاً صغيراً من ذَهَبٍ كانوا يعبدونه، فَدَفَنَهُ. (5) وقيل: كان في المنزلِ عَنَاقٌ، (6) أو دجاجةً، فأعطاهَا (7) السَّائِلَ. وقيل: كانت لإبراهيمَ مِنْطَقَةً يَتَوَارَثُهَا [أكابرُ وَلَدِهِ، فَوَرَثَهَا] (8) إسحاقُ، ثُمَّ وَقَعَتْ إلى ابنتِهِ، وكانت أكبرَ أولادِهِ، فَحَضَنْتْ (9) يوسفَ -وهي عَمَّتُهُ- بعدَ وفاةِ أمِّهِ، وكانت لا تَصْبِرُ (10) عنه، فلَمَّا شَبَّ (11) أرادَ يعقوبُ أن يَنْتَزِعَهُ منها، فَعَمَدَتْ إلى الْمِنْطَقَةِ فَحَرَمَتْهَا على يوسفَ تحت ثِيَابِهِ، وقالت: فقدتُ مِنْطَقَةَ إسحاقَ، فانظُرُوا من أَخَذَهَا؟ فوجدوها محزومةً على يوسفَ، فقالت: (12) إِنَّهُ لي سَلَمٌ، أَفَعَلُ به ما شِئْتُ، فَخَلَّاهُ يعقوبُ عندها حتى

(1) في نسخة (غ): من.

(2) في نسخة (ش): لجدّة.

(3) ذكره مقاتل بن سليمان، ورواه الصنعاني عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وقال المحقق: إسناده ضعيف لضعف الفَيْضِ بْنِ الْفَضْلِ. ينظر: مقاتل بن سليمان (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (2/ 346)، والصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري، تفسير القرآن للصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1989م، (1/ 326)، الرازي، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1439هـ، (9/ 513).

(4) في نسخة (ش): كنيته.

(5) رواه ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيريهما عن هشام عن سعد عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وحسنَ محققُ تفسير ابن أبي حاتم إسناده، ينظر: الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، (9/ 513)، الثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 243).

(6) في نسختي (ش، ض) هامش يوضح معنى كلمة (عَنَاق) باللغة الفارسية نصّه: عناق: بزغاله، مده، أي: عَنَزَةٌ (أُنْثَى المَاعِزِ).

(7) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): فأعطاه.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(9) في نسخة (ض): فحضت.

(10) في نسخة (ش): يصير.

(11) في نسخة (غ): شبت.

(12) في نسخة (غ): فقالت أمّه.

مَآثُ،⁽¹⁾ كذا في الكشف.⁽²⁾ ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: 77] الضمير لما يفهم من سياق الكلام، أي: فأسر يوسف حقيقة القصة، وقبّاحة فعلهم، ولم يُظهرها لهم. ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ [يوسف: 77] بدل من ﴿أَسْرَهَا﴾ [وقرينة على تعيين المرجع، يعني: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً، أي: منزلة في السرقة؛ لسرقتكم أخاكم.⁽³⁾ قال البيضاوي: "والضمير في ﴿أَسْرَهَا﴾"⁽⁴⁾ للإجابة، أو المقالة، أو نسبة السرقة إليه.⁽⁵⁾ ولا يخفى أن الإجابة، والمقالة، ونسبة السرقة إلى يوسف أمور صادرة منهم، غير مخفية عليهم، فكيف يصح أن يتعلّق الإخفاء وعدم الإظهار به؟ فالأولى ما ذكرناه، فتدبر.⁽⁶⁾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77] يعلم أن ما نسبتم إلي من السرقة⁽⁷⁾ ليس بصحيح.⁽⁸⁾

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: 78]

في السنن، أو في القدر. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَةً﴾ [يوسف: 78] لأن⁽⁹⁾ أباه تُكَلِّفُ على أخيه الهالك، ومُستأنس به. ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78] إلينا، فأنتم إحسانك، أو من عادتكم الإحسان، فأجر على عادتكم.

(1) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره وصحّ المحقق إسناده، وأخرج نحوه الطبري في تفسيره وتاريخه بالإسناد نفسه عن سلمة عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيع، عن مجاهد، وضعفه البرزنجي (محقق كتاب "صحيح وضعيف تاريخ الطبري"). ينظر: الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، (9/ 513)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 196)، الطبري (المتوفى 310 هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6/ 240).

(2) الزمخشري، الكشف، (2/ 493).

(3) سقط من نسخة (م).

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 172).

(6) في نسخة (غ): مقدر.

(7) في نسخة (غ): السر.

(8) منع المؤلف رجوع الضمير في ﴿أَسْرَهَا﴾ إلى "نسبة السرقة" أنفاً حين انتقد كلام البيضاوي، ثم أرجع الضمير إلى "نسبة السرقة" وهنا، وقول يوسف ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77] يؤيد رجوع الضمير إلى نسبة السرقة إلى يوسف، والله تعالى أعلم.

(9) في نسخة (ض): لأنه.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79]

فَإِنْ أَخَذَ غَيْرِهِ ظَلَمَ عَلَى فِتْوَاكُمْ. ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ [يوسف: 79] (إِذَا⁽¹⁾) جوابٌ وجزءٌ، يعني: إن أخذنا بَدْلَهُ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا كما تعرفون حُكْمَ مذهبكم، فلا تَطْلُبُوا مِنِّي ما يُخالفه -وهو بحسبِ ظاهرِ المقام- ومراده: إِنَّ أَخْذَهُ إِنَّمَا كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ إِلَيَّ، فَلَوْ خَالَفْتُ أَمْرَهُ كُنْتُ ظَالِمًا.

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُّوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]

أي: فلَمَّا يَسْتَيْسُّوْا⁽²⁾ من يوسف، وإجابته. ونَقْلُهُ إلى (الاستفعال)؛ للمبالغة، دون الطَّلَب، ومعنى ﴿خَلَصُوا﴾: اعتزلوا عن النَّاسِ خَالِصِينَ، لا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ. و﴿نَجِيًّا﴾ حالٌ عن فاعلِ ﴿خَلَصُوا﴾، على تقدير: ذَوِي نَجْوَى -إن كان مصدرًا-، أو قَوْجًا نَجِيًّا، أي: مُنَاجِيًّا؛ لمناجاة بعضهم بعضاً -إن كان (فِعِيلًا) للمبالغة-. وإفراذه على تقديرِ الموصوفِ المفرد، كما أشرنا إليه. وجوز البيضاوي أن يكون إفراذه باعتبار كونه على زنة المصدر، كما قيل: هُمْ صَدِيقٌ. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ [يوسف: 80] تفسيرٌ وبيانٌ لِمَتَنَاجِيهِمْ. و﴿كَبِيرُهُمْ﴾ رُوبِيلٌ؛ لأنه كان أكبرَ منهم في السنِّ. وقيل: شمعون؛ لأنه كان رئيسهم في الرأْي. وقيل: يَهُودَا؛ لأنه كان أَعْقَلَهُمْ، فكان كبيراً في العقل. ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: 80] أي: ومن قَبْلُ هذا⁽³⁾ قَصَرْتُمْ في شَأْنِ يوسُفَ، على أن تكون ﴿مَا﴾ زائدة⁽⁴⁾. ويَحْتَمِلُ أَنْ تكونَ مصدريةً أو موصولةً. وَوُجُوهُ التَّرْكِيبِ معلومةٌ، بَيَّنَّهَا البيضاوي على التَّفْصِيلِ.⁽⁵⁾ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ [يوسف: 80] فَلَنْ أَفَارِقَ أَرْضَ مِصْرَ، ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي﴾ [يوسف: 80] في الانصرافِ إليه. ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف: 80] بالخروجِ منها، أو بالانتصافِ مِمَّنْ⁽⁶⁾ أَخَذَ أَخِي، أو بخلاصِهِ من يَدِهِ بسببِ من الأسبابِ.

(1) في نسخة (غ): أَوْ.

(2) في جميع النسخ: يَأْسُوا.

(3) في نسخة (ض): من هذا.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 173).

(6) في نسخة (م): من، وفي نسخة (غ): فمن.

رُوي أَنَّهُمْ كَلَّمُوا الْعَزِيزَ فِي إِطْلَاقِهِ، فَقَالَ رُوبِيلُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! وَاللَّهِ لَتَتْرُكُنَا⁽¹⁾ أَوْ لَأَصِيحَنَ⁽²⁾ صَيَحَةً تَضَعُ مِنْهَا الْحَوَامِلُ، وَوَقَّعْتُ⁽³⁾ شَعُورَ جَسَدِهِ فَخَرَجْتُ مِنْ ثِيَابِهِ،⁽⁴⁾ فَقَالَ يَوْسُفُ لِإِبْنِهِ: قُمْ إِلَى جَنْبِهِ فَمَسَّهُ، وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ إِذَا غَضِبَ أَحَدُهُمْ فَمَسَّهُ الْآخَرُ ذَهَبَ غَضَبُهُ. فَقَالَ رُوبِيلُ: مَنْ هَذَا؟ إِنَّ فِي هَذَا الْبَلَدِ لَبَزْرًا مِنْ بَزْرِ⁽⁵⁾ يَعْقُوبَ.⁽⁶⁾ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمِينَ﴾ [يوسف: 80] لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ.

(1) في نسخ (الأصل، ش، ض، غ): لتتركها، وفي نسخة (م): لتتركها.

(2) في نسخة (م): أسيحن.

(3) في نسخة (ش): وقعت.

(4) في تفسير الطبري: وَقَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ جَسَدِ رُوبِيلَ فَخَرَجَتْ مِنْ ثِيَابِهِ. ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16 / 201).

(5) في نسخ (م، ض، غ): بزور. والبزُر (بفتح فسكون): الولد، يقال: ما أكثر بزُرهُ، أي: ولَدُهُ.

(6) أخرجه الطبري في تاريخه مطولاً وفي تفسيره من طريق ابن وكيع، ثنا عمرو، عن أسباط، به نحوه، وقال المحقق البرزنجي عنه: "ضعيف الإسناد إلا أن المعنى صحيح"، وهو تفسير للآية سوى أن روبيل وشمعون مأخوذان من الإسرائيليات. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق ابن وكيع، ثنا عامر، ثنا أسباط عن السدي، به نحوه، وذكر الثعلبي في تفسيره عن السدي نحوه، وذكره البغوي في معالم التنزيل وعزاه لأهل القصص. ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16 / 200-201)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري، (1 / 355-356)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، (6 / 258)، والرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، (9 / 515).

﴿أَرْجِعُونَا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: 81]

أي: على ظاهر الحال، بقرينة ما بعده. وفُرى (سُرِقَ) ⁽¹⁾ من التَّسْرِيقِ، ⁽²⁾ أي: ⁽³⁾ النسبة ⁽⁴⁾ إلى السَّرِقَةِ. ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ [يوسف: 81] عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: 81] حيث رأينا أن ⁽⁵⁾ الصَّاعَ خَرَجَ من وعائه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81] فلا نذري باطن الحال.

﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: 82]

القرية: مصر، أو قرية لَحِقَهُمُ الْمُنَادِي فيها، والمعنى: أُرْسِلَ إلى أهلها، واسألهم القِصَّةَ. ﴿وَالْغَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: 82] وكانوا قوماً من ⁽⁶⁾ كنعان من جيران يعقوب. وقيل: من أهل صنعاء. ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: 82] تأكيد في محلِّ القسم، كذا قال البيضاوي. ⁽⁷⁾

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: 83]

يعني: فرجعوا إلى أبيهم، فقالوا له ما قال لهم أخوهم، فقال: بل سَوَّلَتْ لكم. ⁽⁸⁾ إضراب عما يفهم من كلامهم، من ادِّعَاءِ بَرَاءَتِهِمْ مِنَ الذَّنْبِ فِي اخْتِذِ بَنِيَامِينَ، أي: زَيَّنْتَ لكم أنفسكم، وسَهَّلْتَ أمراً عظيماً أَرَدْتُمُوهُ، ⁽⁹⁾ وإلا، فما أَدْرَى ذلك الرَّجُلَ أَنَّ السَّارِقَ يُؤْخَذُ بِسَرِقَتِهِ؟ ﴿فَصَبَّرَ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: 83] خبر، أو مبتدأ بحذف أحدِ جُزْئِي الكلام، كما سبق. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: 83] فإن الصَّبر

(1) قراءة شاذة: (سُرِقَ) بتشديد الراء على ما لم يُسمَّ فاعله، نسب ابن خالويه قراءة (سُرِقَ) بالتخفيف إلى الكسائي في رواية أبي زر وابن عباس، وذكر قراءة (سُرِقَ) الزجاج بدون نسبة، ونسب القرطبي قراءة (سُرِقَ) بِضَمِّ الْمَيْنِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَكْسُورَةً عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَالْكَسَائِيِّ. ينظر: الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 125)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 68)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 244).

(2) في نسخة (ض): بالتسريق.

(3) في نسخة (ض): إلى.

(4) في نسختي (الأصل، م): التَّشْبِيهِ.

(5) سقط من نسختي (الأصل، م).

(6) سقط من نسخة (م).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 173).

(8) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (م).

(9) في نسخة (م): بما أردتموه.

مفتاح الفرج. و(ضمير الجمع) ليوسف وبنيامين ومن توقف في مصر من إخوانهما. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83] يَعلَمُ حالي،⁽¹⁾ وَيُدَبِّرُ أُمْرِي على وفق حِكْمَتِهِ.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ﴾ [يوسف: 84]

وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، وخاطب أَسْفَهُ تأسفاً على يوسف، كأنه قال: يا أَسْفَى! تَعَالَ⁽²⁾ فَهُوَ أَوَانُكَ. وَالْأَسْفُ: أَشَدُّ الْحُزْنِ⁽³⁾ وَالْحَسْرَةِ⁽⁴⁾ وَالْأَلْفُ⁽⁵⁾ بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ. وَإِنَّمَا تَأْسَفُ عَلَيْهِ -وَالْحَادِثُ مُصِيبَةُ بَنِيَامِينَ- لِأَنَّ الرُّزْءَ⁽⁶⁾ فِي يَوْسُفَ كَانَ قَاعِدَةً مُصِيبَاتِهِ الَّتِي تَرْتَبَتْ⁽⁷⁾ عَلَيْهَا الرِّزَايَا فِي وَلَدِهِ، فَكَانَ الْأَسْفُ عَلَيْهِ أَسْفًا عَلَى مَنْ لَحِقَ بِهِ. وَفِيهِ: إِشْعَارٌ بِأَنَّ مُصِيبَةَ يَوْسُفَ مُصِيبَةُ الْاِثْنَيْنِ⁽⁸⁾ عِنْدَ لُحُوقِ مُصِيبَاتٍ أُخَرَ،⁽⁹⁾ بَلْ تَصِيرُ أَشَدَّ تَأْثِيرًا، كَمَا أَنَّ الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ.⁽¹⁰⁾ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَلَأَنَّهُ كَانَ وَاثِقًا بِحَيَاتِهِمَا دُونَ حَيَاتِهِ،

(1) في نسخة (م): حال.

(2) في نسختي (ش، ض): فقال، وفي نسخة (غ): تعالى.

(3) في نسخة (م): الحرف.

(4) الْأَسْفُ: الْحُزْنُ وَالْغَضَبُ مَعًا، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَحَقِيقَتُهُ: تَوَرُّانُ دَمِ الْقَلْبِ شَهْوَةً الْإِنْتِقَامِ، فَمَتَى كَانَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ دُونَهُ انْتَشَرَ فَصَارَ غَضَبًا، وَمَتَى كَانَ عَلَى مَنْ فَوْقَهُ انْقَبَضَ فَصَارَ حُزْنًا. الْأَصْفَهَانِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالرَّاعِبِ (المتوفى: 502هـ)، الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ، تَحْقِيقٌ: صَفْوَانُ عَدْنَانَ الدَّوْدِيِّ، دَارُ الْقَلَمِ، الدَّارُ الشَّامِيَّةُ - دِمَشْقُ بَيْرُوتِ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى - 1412 هـ، (ص: 75)، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، أَبُو الْعَبَّاسِ، شَهَابُ الدِّينِ، أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ (المتوفى: 756 هـ)، عَمَدَةُ الْحِفَافِ فِي تَفْسِيرِ أَشْرَفِ الْأَلْفَاظِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ بَاسِلُ عَيُونِ السُّودِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1417 هـ - 1996 م، (1/ 90).

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) الرُّزْءُ: الْمُصِيبَةُ، وَالْجَمْعُ: الْأَزْزَاءُ، وَالْمُرْزُوءَةُ: الْمُصِيبَةُ، وَكَذَلِكَ: الرِّزْيَةُ، وَالْجَمْعُ: الرِّزَايَا. يُقَالُ: أَصَابَهُ رُزْءٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمَصَائِبِ، الْفَرَاهِيدِيُّ (المتوفى: 170هـ)، كِتَابُ الْعَيْنِ، (7/ 383)، وَالْجَوْهَرِيُّ (المتوفى: 393هـ)، الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (1/ 53).

(7) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: تَرْتَبُ.

(8) فِي نَسْخِ (ش، ض، غ): لَا تَتَسَّى.

(9) فِي نَسْخَةِ (ض): آخِرُ.

(10) فِي الْأَصْلِ: أَنَّ الْفَرْحَ أَوْجَعُ، وَفِي نَسْخَةِ (م): أَنَّ الْفَرْحَ أَوْجَعُ. وَهُوَ مَثَلُ تَمَامِهِ: نَكْءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْقَرْحَ إِذَا جَلَبَ (جَلَبَ: قَشَرَتْ جِلْدَتُهُ) ثُمَّ نُكِيَ كَانَ أَشَدَّ إِيْجَاعًا؛ لِأَنَّهُ يَقْرَحُ ثَانِيًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: نَكْءُ الْقَرْحِ مَعَ الْقَرْحِ -أَي: مَعَ مَا بَقِيَ مِنْهُ- أَوْجَعُ. النِّيسَابُورِيُّ، أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمِيدَانِيِّ (المتوفى: 518هـ)، مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - بَيْرُوتُ، لُبْنَانُ، (2/ 342).

وفيه: أنه منافٍ لما سيقول بُعِيدَ ذلك في تفسير قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96] أنه كان عالماً بحياة يوسف، فكيف لا يكون واثقاً بحياته؟

وعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يُعْطَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ⁽¹⁾ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾» [البقرة: 156] عند المصيبة إلا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، أَلَا تَرَى إِلَى يَعْقُوبَ حِينَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَسْتَرْجِعْ،⁽²⁾ وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿يَا أَسْفَى﴾،⁽³⁾ كذا في الكشف.⁽⁴⁾ ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [يوسف: 84] أي: من البكاء الحاصل من الحُزْنِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْبَكَاءِ مَحَقَّتْ⁽⁵⁾ سَوَادَ الْعَيْنِ وَقَلَّبَتْهُ إِلَى بِيَاضٍ كَدِرٍ.⁽⁶⁾ وقيل: ضَعُفَ بَصَرُهُ، وقيل: عَمِيَ. قال البيضاوي: "وفيه دليلٌ على جواز التَّأْسُفِ والبُكَاءِ عند التَّقْجُعِ."⁽⁷⁾ ولعلَّ أمثال ذلك لا تدخل تحت التَّكْلِيفِ؛ فَإِنَّهُ قُلَّ⁽⁸⁾ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عند الشَّدَائِدِ. ولقد بَكَى⁽⁹⁾ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على

(1) في نسخة (م): الأنعم.

(2) يعني: لم يقل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(3) أخرجه الطبري في تفسيره (217/16) رقم (19658)، والبيهقي في شعب الإيمان (178/12) رقم (9242)، والطبراني بنحوه في المعجم الكبير (40/12) رقم (12411)، والثعلبي (المتوفى: 427 هـ) في تفسيره (247/5)، والديلمي (المتوفى: 509 هـ) في الفردوس بمأثور الخطاب رقم (5398).

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشف: أخرجه الثعلبي من حيث محمد بن سعيد الهادي عن إسحاق بن الربيع بن سفيان بن زياد العُصْفُري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا مرفوعاً. وأخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر عن سفيان بن زياد. ورواه عبد الرزاق من طريق الطبري عن الثوري عن سفيان بن زياد العُصْفُري عن سعيد بن جبير، أقول: وكذا رواه البيهقي في الشعب من رواية أبي عامر عن الثوري قال: وَرَفَعَهُ بَعْضُ الصَّعْفَاءِ، وليس بشيء. البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، شعب الإيمان، (12/179)، والطبري (المتوفى: 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/217)، الديلمي، شيوخه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني (المتوفى: 509 هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، (3/453)، والعسقلاني (المتوفى: 852 هـ)، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشف، (ص: 90).

(4) الزمخشري، الكشف، (2/497).

(5) في نسختي (الأصل، م): مخفف.

(6) سقط من نسخة (غ):

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/174).

(8) في نسخة (ش): قيل.

(9) في نسخ (الأصل، ش، ض، غ): بكاء، وفي نسخة (م): بكاء.

ولده إبراهيم وقال: «الْقَلْبُ يَجْزَعُ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ»⁽¹⁾ الرَّبِّ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ».⁽²⁾ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84] أي: مملوء من الغَيْظِ على أولاده، مُمْسِكٌ له في قلبه؛ من (كَظَمَ السَّقَاءَ)، إذا شَدَّه على ملئه؛⁽³⁾ على أن يكونَ (فَعِيلًا) بمعنى (مفعولٍ)، كقوله: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48]. ويجوزُ أن يكونَ بمعنى الفاعلِ من (كَظَمَ الْغَيْظَ)، إذا اجْتَرَعَهُ، كقوله: ﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظُ﴾ [آل عمران: 134].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُونُسَ﴾ [يوسف: 85]

أي: لا تَرَالُ تَذْكُرُ⁽⁴⁾ يوسفَ تَعَجُّعًا⁽⁵⁾ عليه، على أَنَّ⁽⁶⁾ أصله (لَا تَقْتَأُ) فَحُذِفَتْ (لا)، كما حُذِفَتْ في قوله: فَقُلْتُ: يَمِينٌ⁽⁷⁾ الله أَبْرَحَ قَاعِدًا؛ لَأَنَّهُ لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتاً لم يَكُنْ بَدْ⁽⁸⁾ من اللام والنون. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: 85] مريضاً مُشْفِئاً⁽⁹⁾ على الهلاك، وقيل: الْحَرَضُ: الذي أَذَابَهُ⁽¹⁰⁾

(1) في نسختي (الأصل، م): ولا يقول بالسخط.

(2) أخرج نحوه أحمد بن حنبل في مسنده رقم (13014)، والبيهقي في "الشعب" (10162)، وأبو داود في سننه رقم (3126)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (9683) من طريق قريش بن حيان، عن ثابت، عن أنس. وقال شعيب الأرناؤوط -محقق مسند أحمد بن حنبل-: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن المغيرة، فمن رجال مسلم. وأخرجه بنحو البخاري في كتاب الجنائز في باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» (رقم: 1303)، ومسلم في كتاب الفضائل في باب رَحْمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضَعِهِ وَقَضَلِ ذَلِكَ (رقم: 2315). أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، (20/316)، والبخاري، صحيح البخاري، (2/83)، النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم (4/1807)، والبيهقي (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، (3/193).

(3) في نسخة (ش): مثله.

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) في نسخة (م): تعجفاً.

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): أنه.

(7) في نسختي (الأصل، م): تمنى، وفي نسخة (غ): بمنى.

(8) في نسخة (م): بدل.

(9) في نسختي (الأصل، م): مشقياً.

(10) في جميع النسخ: أدى به، وهو سقط من نسخة (غ)، وأُثْبِتَ (أذابه) لأنه أصح.

هَمْ وَمَرَضٌ، وهو في الأصل مصدرٌ؛ لأنه لا يُؤْتَتْ ولا يُجْمَعُ. والصفةُ: (حَرَضٌ)، بكسر الراءِ، نحو: دَنَفٌ وَدَنَفٌ، وقد فُرى بهما،⁽¹⁾ وبضمّتين.⁽²⁾ ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: 85] من الميتين.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 86]

البِتُّ: ³ أصعبُ الهمّ الذي لا يصبرُ⁽⁴⁾ عليه صاحبه،⁽⁵⁾ فَيَبُتُّهُ إِلَى النَّاسِ؛ من (البِتُّ)، بمعنى: النَّشْرُ، أي: ما أشكو إلا إلى ربّي، داعياً له، ومُلْتَجِئاً إليه، فَخُلُونِي وَشَكَائِي. وقيل: دخل على يعقوب [جارٌ له فقال: يا يعقوب]⁽⁶⁾ قد تَهَشَّمْتُ، وَفَنَيْتُ وَمَا بَلَغْتَ مِنَ السِّنِّ مَا بَلَغَ أَبُوكَ، فقال: هَشَمْنِي وَأَفْنَانِي مَا ابْتَلَانِي اللَّهُ بِهِ مِنْ هَمْ يَوْسَفَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يا يعقوبُ، أشكوني إلى خلقي؟ قال: يا رَبِّ خَطِيئَةٌ أَخْطَأْتُهَا فَاغْفِرْ لِي، فَعَفَرَهَا⁽⁷⁾ له،⁽⁸⁾ فكان بعد ذلك إِذَا سُئِلَ قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾،⁽⁹⁾

(1) قراءة متواترة: (حَرَضاً) بفتح الحاء والراء، وهي قراءة الجمهور. قراءة شاذة: (حَرِضاً) بفتح الحاء وكسر الراء وهي قراءة شاذة ذكرها صاحب الكشف، الزمخشري، الكشف، (2/ 499).

(2) في نسخة (ش): بضمّتين. قراءة شاذة: (حُرَضاً) نُسبت إلى الحسن، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، الدميّطي، (المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، (ص: 334).

³ أصل البِتُّ: التفرّق وإثارة الشيء، كبث الريح التراب، وبثّ النفس ما انطوت عليه من الغمّ والسّرّ، يقال: بَنَيْتُهُ فَأَبْنَيْتُ، ومنه قوله عزّ وجل: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّثْبَثًا﴾ [الواقعة: 6]، وقوله عزّ وجل: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: 164] إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه. وقوله عزّ وجل: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4] أي: المهيج بعد ركونه وخفائه. وقوله عزّ وجل: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 86] أي: غمي الذي أبثّه عن كتمان، فهو مصدر في تقدير مفعول، أو بمعنى: غمي الذي بثّ فكري، نحو: تورّعتني الفكر، فيكون في معنى الفاعل. الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، (ص: 108).

(4) في نسختي (م، ش): يصير.

(5) في نسخة (ش): صاحب.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(7) في نسخة (م): فغفرهما.

(8) سقط من نسختي (الأصل، م).

(9) أخرج نحوه الطبري في تفسيره وتاريخه عن طلحة بن مصرف موقوفاً عليه، وذكر نحوه الثعلبي ونسبه إلى المفسرين، وضعفه البرزنجي (محقّق كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري). ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 227)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري، (1/ 358)، والثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 249).

كذا في الكشف⁽¹⁾. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86] أي: وأعلم من صنعه ورحمته أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، أو أعلم من الله بنوع من الإلهام حياة يوسف. وروى أنه رأى ملك الموت في منامه، فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا، والله هو⁽²⁾ حي، فاطلبه. وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخبر له إخوته سجداً.

﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87]

أي: فتعرفوا منهما، وتطلبوا خبرهما؛ (تفعل⁽³⁾) من الإحساس، وهو: المعرفة، وقرأ بالميم⁽⁴⁾. ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87] من فرجه وتنفيسه، وقرأ (من روح الله) بالضم⁽⁵⁾، أي: من رحمة الله التي يحيي بها العباد. ﴿إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ [يوسف: 87] تعليل للنهي، وفيه إشعار بأن اليأس من رحمة الله كفر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [يوسف: 88]

أي: الهزال من الشدة والجوع. ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَنَةٍ﴾ [يوسف: 88] مدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها، من (أزجئته)⁽⁶⁾، إذا دفعت وطردته، ومنه: ترحي الرياح السحاب. قيل: كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً. وقيل: الصنوبر وحب⁽⁷⁾ الخضراء. وقيل: سويق المقل والأقط، كذا في الكشف⁽⁸⁾. وقيل:

(1) الزمخشري، الكشف، (2/ 499).

(2) في نسخة (م): هي.

(3) في نسختي (الأصل، م): بفعل.

(4) قراءة شاذة: (فتجسسوا) نسبها ابن خالويه إلى النخعي، وغير منسوبة في الكشف، والبحر المحيط. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 69)، الزمخشري، الكشف، (2/ 500)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/ 315).

(5) قراءة شاذة: (من روح الله) بضم الراء، نسبها ابن جني إلى الحسن، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، وصاحب الكشف والهذلي إلى الحسن وقتادة. ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 348)، الهذلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 577)، والزمخشري، الكشف، (2/ 500).

(6) في نسخة (م): أزجئته.

(7) في نسختي (الأصل، م): قبة.

(8) الزمخشري، الكشف، (2/ 500).

دراهم زيوفاً، لا⁽¹⁾ تُؤخذ إلا بوضيعة، وقيل: كان أدمأ ونعلاً، كما سبق ذكره.⁽²⁾ ﴿فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 88] أي: الكيل الذي هو حقنا، ونفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو برّد أخينا، أو بزيادة حقنا. وجوز بعضهم أن يكون المراد: طلب الصدقة بناءً على ما روي أن الصدقة كانت تحل [لغير نبيينا عليه الصلاة والسلام]،⁽³⁾ وفيه خلاف. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88] أي: جزاء حسناً، قال صاحب الكشاف: "والصدقة: العطية التي تُبتغى [بها]⁽⁴⁾ المثوبة⁽⁵⁾ من الله: ومنه قول الحسن - لمن سمعه يقول: اللهم تصدّق عليّ -: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَصَدَّقُ، وإنما⁽⁶⁾ يَتَصَدَّقُ الذي يَبْتَغِي الثَّوَابَ، قُل: اللَّهُمَّ أَعْطِنِي، أو تَفَضَّلْ عَلَيَّ، أو ارْحَمْنِي."⁽⁷⁾ قال البيضاوي: "والتَّصَدَّقُ: التَّفَضُّلُ مُطْلَقاً، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر: (8) «هَذِهِ صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ».⁽⁹⁾ لكنه خُصَّ عُرْفاً بما يُبتغى به ثوابٌ من الله."⁽¹⁰⁾ والله أعلم.

(1) في نسخة (ض): لو.

(2) ينظر: (ص: 170).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(4) سقط من جميع النسخ، ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 500).

(5) في نسخة (ش): الثوابة.

(6) في نسخة (ش): وإنّا.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 500).

(8) في نسختي (ش، ض): العصر. والقصر: هو قصر الصلاة في السفر.

(9) حديث صحيح: رواه مسلم في صحيحه (1/ 478) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها في باب: صلاة المسافرين وقصرها، برقم: (686)، والترمذي في سننه (5/ 243)، في باب: ومن سورة النساء، برقم: (3034)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود في سننه (2/ 3) برقم (1199)، وابن ماجه في سننه (2/ 174)، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 175).

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 89]

أي: فُبِّحَ مَا فَعَلْتُمْ بِهِمَا. ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: 89] ظرفٌ متعلقٌ بـ﴿فَعَلْتُمْ﴾. وإنما عدَّهم من الجُهَلَاءِ؛ لأنَّهم فعلوا فعلاً لا يَرْتَكِبُهُ إِلَّا الجَاهِلُ. قال البيضاوي: "أو لأنَّهم⁽¹⁾ كانوا حينئذٍ صَبِيَاناً طَيَّاشِينَ".⁽²⁾ وفيه:⁽³⁾ أَنَّهُ مُنَافٍ لِمَا ذَكَرَ سَابِقاً مِنْ أَنَّهُ اشْتَرَاهُ الْعَزِيزُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ⁽⁴⁾ سَنَةً؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ إِخْوَانِهِ كَانُوا مُتَوَلِّدِينَ⁽⁵⁾ مِنْ أُمِّ مَتَقَدِّمَةٍ عَلَى أُمِّ يُوسُفَ. فإذا كان يوسُفُ ابْنَ سَبْعِ عَشْرَةَ⁽⁶⁾ سَنَةً، كَيْفَ يَكُونُ إِخْوَانُهُ الْمُتَقَدِّمُونَ عَلَيْهِ صَبِيَاناً؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفَعَّلَهُمْ بِأَخِيهِ: إِفْرَادَهُ عَنْ أَخِيهِ الْمُشْفَقِ عَلَيْهِ، وَإِذْلَالَهُ حَتَّى كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ⁽⁷⁾ أَنْ يَكَلِّمَهُمْ إِلَّا كَلَامَ الدَّلِيلِ لِلْعَزِيزِ.⁽⁸⁾ وَالْمَقْصُودُ⁽⁹⁾ مِنْ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ: تَحْرِيسُهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ عَمَّا صَدَرَ عَنْهُمْ؛ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَنَصِيحَةً لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَلْ تُبْتَئِمُّ عَمَّا صَدَرَ مِنْكُمْ؟ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِقُبْحِ الشَّيْءِ⁽¹⁰⁾ مُوجِبٌ لِلتَّوْبَةِ عَنْهُ.

(1) في نسخة (غ): كَانَتْهُمْ.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 175).

(3) في نسخة (غ): وهو.

(4) في نسخة (غ): عشر.

(5) في نسخة (ش): متولين.

(6) في نسختي (الأصل، م، غ): عشر.

(7) في نسخة (م): ينقطع.

(8) في نسخة (ض): العزيز.

(9) في نسخة (غ): المقصود.

(10) في نسخة (م): الشين.

﴿قَالُوا أَيْنَ نَتَّك لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: 90]

استفهاماً للتقرير، ولذلك أكد بـ(إِنَّ) واللام. وقرأ (إِنَّكَ) ⁽¹⁾ بلا استفهام. قيل: عرفوه بردائه ⁽²⁾ وشمايله حين ⁽³⁾ كلمهم بذلك. وقيل: تبسم عند ذلك، فعرفوه ⁽⁴⁾ بثناياه، وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها، تشبه الشامة ⁽⁵⁾ البيضاء، كذا في الكشف. ⁽⁶⁾ ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ [يوسف: 90] أي: من أبي وأمي. وإنما ذكر أخاه؛ بياناً لما سألوه عنه، وتمهيداً لقوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 90] بالسلامة، والكرامة، والابتهاج بالمواصلة بعد المفارقة. ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: 90] مَن يَجْمَعُ بَيْنَ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90] خبر لـ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾، والعائد: وضع المظهر مقام المضمَر؛ لأنَّ مَن جمع بين التقوى والصبر داخل في المحسنين، فكأنه ذكر موضع ضميره. ⁽⁷⁾ وإلى ما ذكرنا أشار صاحب الكشف بقوله: "قَوَّضَ" ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين ⁽⁸⁾. "قال البيضاوي: للتنبيه ⁽⁹⁾ على أَنَّ (المحسن) مَن جَمَعَ بَيْنَ التَّقْوَى وَالصَّبْرِ." ⁽¹⁰⁾ وفيه تأمل؛ لأنَّ الجمع بين الصبر والتقوى نوع من الإحسان، كما أشار إليه صاحب الكشف، لا أنَّ الإحسان مُنَحَصَرٌ فيه.

(1) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر وابن كثير (قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) [يوسف: 90] بكسر الألف على لفظ الخبر. وقرأ نافع ويعقوب بفتح الألف غير ممدودة. وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب (أَنَّكَ) بمد الألف. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف (أَنَّكَ) بهزتين. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 247-248).

(2) في نسخة (غ): برواية.

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): حتى.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) الشامة: علامة في البدن يخالف لونها لونه سائره ويقال كأنهم شامة في الناس أي هم ظاهرون. الزيات، أحمد وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، (1/ 504).

(6) الزمخشري، الكشف، (2/ 502).

(7) في نسختي (الأصل، م): موضع المضمَر ضميره.

(8) لاشتماله على المتقين والصابرين. الزمخشري، الكشف، (2/ 502).

(9) في نسخة (غ): ليبنة.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 175).

﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91]

بالتقوى⁽¹⁾ والصبر وسيرة المحسنين. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [يوسف: 91] الواو للحال، و﴿إِنْ﴾ هي المخففة، أي: والحال أَنَّ الشَّأْنَ إِنَّا كُنَّا مُتَعَمِّدِينَ لِلْإِثْمِ بما فعلنا معك، فلا جَرَمَ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالْمُلْكِ، وَأَذَلَّنَا بِالنَّمْسِكُنْ بين يديك.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92]

أي: لا تَأْنِيْبٌ⁽²⁾ ولا عَثْبٌ عليكم اليوم؛ لإظهاركم الندامة على ما فعلتم، فَنَقَى عَنْكُمْ جُنْسَ التَّثْرِيْبِ. وَخَصَّصَ صَاحِبُ الْكَشَافِ التَّثْرِيْبَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِ يَوْسُفَ، حَيْثُ قَالَ: "والمعنى: لا أُثْرِبُكُمُ الْيَوْمَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي هُوَ مَظِنَّةُ التَّثْرِيْبِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بغيرِهِ؟"⁽³⁾ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُنَاسِبَ بِ(لا) الَّتِي لِنَقْيِ الْجَنَسِ مَا ذَكَرْنَاهُ، لَا مَا ذَكَرَهُ. ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: 92] دَعَاءٌ لَهُمْ بِصِغَةِ الْمَضَارِعِ؛ يُقَالُ: (4) غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَيَغْفِرُ اللَّهُ، كَمَا يُقَالُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِأَلْسِنَتِكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْيَوْمَ﴾ مُتَعَلِّقًا بِهِ، مُقَدِّمًا عَلَيْهِ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءً لِبَيَانِ عِلَّةِ نَقْيِ⁽⁵⁾ التَّثْرِيْبِ، أَوْ تَوْضِيحًا لَهُ. وَهُوَ⁽⁶⁾ بِشَارَةِ لَهُمْ بِعَاجِلِ غُفْرَانِ⁽⁷⁾ اللَّهِ، لِمَا تَجَدَّدَ يَوْمُئِذٍ مِنْ تَوْبَتِهِمْ وَنَدَمِهِمْ عَلَى خَطِيئَتِهِمْ. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: 92] رَجَمَ عَلَى التَّائِبِ وَيَغْفِرُ ذَنْبَهُ. رُوي أَنَّ إِخْوَتَهُ لَمَّا عَرَفُوهُ وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: إِنَّكَ تَدْعُونَا إِلَى طَعَامِكَ بُكَرَةً وَعَشِيًّا، وَنَحْنُ نَسْتَحْيِي مِنْكَ لِمَا فَرَطَ مِنَّا فَيْكَ؟ فَقَالَ يَوْسُفُ: إِنَّ أَهْلَ مِصْرَ وَإِنْ مَلَكَتُ⁽⁸⁾ فِيهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا

(1) في نسخة (م): التقوى.

(2) في نسخة (م): تأنيث.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 503).

(4) في نسخة (غ): فقال.

(5) سقط من نسختي (الأصل، م).

(6) في نسخ (ش، ض، غ): وهي.

(7) في نسخة (ش): غفر.

(8) في نسخة (ض): سلكت.

يَنْظُرُونَ إِلَيَّ⁽¹⁾ بِالْعَيْنِ الْأُولَى⁽²⁾، ويقولون: سُبْحَانَ مَنْ بَلَغَ عَبْدًا⁽³⁾ بَيْعَ بَعشرينَ درهماً مَا بَلَغَ! ولقد شَرَفْتُ
الآنَ بكم، وَعَظُمْتُ فِي الْعُيُونِ، حَيْثُ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّكُمْ إِخْوَتِي، وَأَنِّي مِنْ حَقْدَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 93]

القَمِيصُ هو: القَمِيصُ الْمُنَوَّارُ الْمَذْكُورُ سَابِقًا؛ فَإِنَّ فِيهِ رِيحَ الْجَنَّةِ، لَا يَقَعُ عَلَى مَبْتَلَى⁽⁴⁾ وَلَا سَقِيمٍ
إِلَّا عُوفِيَ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "القَمِيصُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ."⁽⁵⁾ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ
الْحُكْمُ بَارِتْدَادِ بَصَرِهِ مِنْ جِهَةِ الْإِهَامِ، أَوْ نَحْوِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَمَالِ خَدْسِهِ بِأَنَّ الْقُوَّةَ تَنْتَعِشُ⁽⁶⁾
بِالشَّعْفِ⁽⁷⁾ وَلَا شَعَفَ فَوْقَ ذَلِكَ. وَمَعْنَى ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: يَصِيرُ بَصِيرًا، كَمَا يُقَالُ: جَاءَ الْبِنَاءُ⁽⁸⁾ مُحْكَمًا،
بِمَعْنَى: صَارَ مُحْكَمًا، وَيَشْهَدُ لَهُ: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، أَوْ يَأْتِ إِلَيَّ وَهُوَ بَصِيرٌ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَتُونِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93] أَي: يَأْتِي أَبِي وَيَأْتِي آلَهُ جَمِيعًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَأْتِ هُوَ مَعَكُمْ⁽⁹⁾ جَمْعًا،
بِنِسَائِكُمْ وَذَرَائِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ.

(1) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): عَلَيَّ.

(2) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): بَعِينِ الْأَوَّلِ، وَفِي نَسَخَةِ (ش): بِالْعَيْنِ الْأَوَّلِ.

(3) فِي الْأَصْلِ: عَبْدٌ، وَفِي نَسَخَةِ (م): عِنْدَ.

(4) فِي نَسَخَتِي (ش، ض): مَبْتَلٌ.

(5) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 176).

(6) فِي نَسَخَةِ (م): تَبْنِيهِ، وَفِي نَسَخَةِ (ض): يَنْتَقِشُ، وَفِي نَسَخَةِ (غ): وَلَا يَنْتَعِشُ.

(7) الشَّعْفُ: مِثْلُ رَعُوسِ الْكَمَاءِ، وَرَعُوسِ الْأَثَافِي الْمُسْتَدِيرَةِ فِي أَعَالِيهَا، وَشَعْفُ الْجِبَالِ وَالْأَبْنِيَةِ: رُؤُوسُهَا، وَشَعْفَتُ الْبَعِيرِ
بِالْقَطِرَانِ، إِذَا طَلَبْتَهُ بِهِ، شَعَفَنِي حَبَهُ، وَشَعَفْتُ بِهِ وَجْهَهُ، أَي: غَشِيَ الْحَبُّ الْقَلْبَ مِنْ فَوْقَ، وَأَحْرَقَ قَلْبَهُ، الْفَرَاهِيدِي
(الْمُتَوَفَى: 170 هـ)، كِتَابُ الْعَيْنِ، (1/ 260)، الْجَوْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 393 هـ)، الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (4/ 1382).

(8) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): إِلَيْنَا.

(9) فِي نَسَخَةِ (غ): مِنْكُمْ.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: 94]

خرجت من مصرَ وجاوزت حِيطَانَهُ. وَفُرِئَ (فَلَمَّا انْفَصَلَتْ)،⁽¹⁾ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ [يوسف: 94] لَوْلَدِ أَوْلَادِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ قَوْمِهِ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 94] وكان بينه وبينهم مَسِيرَةٌ⁽²⁾ ثمانينَ فرسخاً. وذلكَ غيرُ مُمْتَنِعٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى. ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: 94] التَّفْنِيدُ: ⁽³⁾ نسبةٌ إِلَى (الفَنَدِ)، وهو: نُقْصَانُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَرَمِ. وجوابُ ﴿لَوْلَا﴾ محذوفٌ، أي: لولا أَنْ تُنْصِبُونِي إِلَى نُقْصَانِ الْعَقْلِ الْحَاصِلِ مِنَ الْهَرَمِ لَصَدَّقْتُمُونِي، أَوْ لَقُلْتُ: إِنَّهُ قَرِيبٌ.

﴿قَالُوا تَأَلَّهْ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]

في إفراطِكَ في مَحَبَّةِ يوسُفَ، وإِكْثَارِ ذِكْرِهِ وَالتَّوَقُّعِ لِلِقَائِهِ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ: أَنَّهُ قَدْ مَاتَ.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [يوسف: 96]

وَالْبَشِيرُ: يَهُودَا لِمَا ⁽⁴⁾ رُوي أَنَّهُ قَالَ: كَمَا أَحْزَنَتْهُ بِحَمْلِ ⁽⁵⁾ الْقَمِيصِ مَلْطُوحاً بِالدَّمِ إِلَيْهِ، فَأَفْرَحُهُ بِحَمْلِ هَذَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ أَلْقَى الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبَ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "أَوْ أَلْقَاهُ يَعْقُوبُ" ⁽⁶⁾ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُنَاسِبَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾ [يوسف: 93] هُوَ الْأَوَّلُ. ⁽⁷⁾ ﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾ [يوسف: 96] عَادَ بِصِيرًا كَمَا قَالَ يوسُفُ. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "لَمَّا انْتَعَشَ" ⁽⁸⁾ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ. ⁽⁹⁾ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ الْعِلَّةَ غَيْرَ مُنْحَصِرَةٍ فِيهِ. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96] مِنْ حَيَاةِ

(1) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ابْنِ خَالُوهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 70)، والكرماني (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 252).

(2) سقط من نسخة (ض).

(3) في جميع النسخ: التَّفْنِيدُ.

(4) في نسختي (الأصل، م): بما.

(5) في نسخة (م): بجعل.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 504).

(7) في نسخة (غ): الأولى.

(8) في نسخة (ض): انتقش.

(9) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 176).

يوسفَ وإنزالِ الفَرْحِ؟⁽¹⁾ كذا قال البيضاوي.⁽²⁾ قال صاحبُ الكشاف: "يعني قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 94]، أو قوله: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87]. وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ كلامٌ مبتدأ لم يَقَعْ عليه القولُ، [ولك أن توقعه عليه]⁽³⁾ وتريد قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]."⁽⁴⁾ ولا يخفى أن قولَ البيضاوي مرجحٌ بعدم⁽⁵⁾ التقديرِ في نظمِ الكلامِ، وكان وجهُ قولِ صاحبِ الكشافِ أن ظاهرَ ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96] لا يصحُّ أن يَقَعْ عليه ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾؛ لأنه ما سبق منه هذه العبارة بِعَيْنِهَا ليصحَّ له أن يقول: (أَلَمْ أَقُلْ هَذَا)، بل إنّما⁽⁶⁾ قال: ﴿وَأَعْلَمُ﴾ وهذا.⁽⁷⁾ وبينها تفاوتٌ، فلا بدَّ أن يُجْعَلَ مقولاً باعتبارِ [حاصلِ المعنى لا باعتبارِ]⁽⁸⁾ اللَّفْظِ، وهو تكلفٌ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97]

اعترفوا بذنوبهم، والتَّمسَّسُوا منه أن يستغفرَ لهم.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: 98]

سَوْفَ الاستغفارَ لهم إشعاراً بأنَّ خَطِيئَتَهُمْ لَمَّا كَانَتْ عَظِيمَةً فلا بدَّ أن يكونَ الاستغفارُ عنها في وقتٍ تكون الإجابةُ أسرعَ، فأخَرَهُ إلى وقتِ السَّحَرِ، أو إلى وقتِ صلاةِ اللَّيْلِ. أو أَخَرَهُ لِيَسْتَحِلَّ لهم من يوسف؛ لأنَّ عَفْوَ المَظْلُومِ⁽⁹⁾ شرطٌ في المغفرة. قال صاحبُ الكشاف: "وروي أنهم قالوا له -وقد غَلَبَتْهُمْ⁽¹⁰⁾ الكآبة-

(1) في نسخة (غ): الفَرْح.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 176).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 504).

(5) في نسخة (م): بعد.

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (غ). يعني قول يعقوب عليه السلام هذا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96].

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) في نسخة (م): الظلوم.

(10) في جميع النسخ: غلبهم، وفي الكشاف: غَلَبَتْهُمْ، ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 504).

: ما يُغْنِي عَنَّا عَفْوَكَما إِنَّ لَمْ يَعْفُ⁽¹⁾ عَنَّا رَبُّنَا، فَإِنْ لَمْ يُوحَ إِلَيْكَ⁽²⁾ فَلَا قَرَّتْ⁽³⁾ لَنَا عَيْنٌ أَبَدًا، فَاسْتَقْبَلَ الشَّيْخُ لِلْقَبْلَةِ قَائِمًا يَدْعُو، وَقَامَ يُوسُفُ خَلْفَهُ يُؤَمِّنُ، وَقَامُوا خَلْفَهُمَا أَدْلَةً خَاشِعِينَ عَشْرِينَ سَنَةً، حَتَّى بَلَغَ جَهْدَهُمْ، وَظَنُّوا أَنَّهَا الْهَلَكَةُ؛ نَزَلَ جَبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَابَ دَعْوَتَكَ فِي وَلَدِكَ، وَعَقَدَ مَوَاقِفَهُمْ بِعَدِكَ عَلَى النَّبُوءَةِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْتِنْبَائِهِمْ. "وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ لَيْسَتْ بِمُوَافَقَةٍ⁽⁴⁾ لِمَذْهَبِ الْمَعْتَزَلَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُجَوِّزُوا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صُدُورَ الْكِبَائِرِ وَلَوْ قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَالرَّوَايَةُ تَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: "قَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْتِنْبَائِهِمْ"⁽⁵⁾، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الرَّوَايَةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ عِنْدَنَا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: 99]

قيل: وَجَّهَ يوسُفُ إِلَى أَبِيهِ جَهَازًا وَمِائَتِي⁽⁶⁾ رَاحِلَةً لِيَتَجَهَّزَ إِلَيْهِ بِمَنْ مَعَهُ⁽⁷⁾. وَخَرَجَ يوسُفُ وَالْمَلِكُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعُظَمَاءِ، وَأَهْلُ مِصْرَ بِأَجْمَعِهِمْ، فَتَلَقَّوْا يَعْقُوبَ وَهُوَ يَمْشِي يَتَوَكَّأُ عَلَى يَهُودَا، فَنَظَرَ إِلَى الْخَيْلِ وَالنَّاسِ فَقَالَ: يَا يَهُودَا، أَهَذَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ؟ قَالَ: لَا، هَذَا وَلَدُكَ، فَلَمَّا لَقِيَهِ قَالَ يَعْقُوبُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذْهَبَ الْأَحْزَانِ.

وقيل: إِنَّ يوسُفَ قَالَ لَهُ لَمَّا التَّقَيَا: يَا أَبَتِ، بَكَيْتَ عَلَيَّ حَتَّى ذَهَبَ بَصْرُكَ، وَلَمْ⁽⁸⁾ تَعْلَمْ أَنَّ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا؟ فَقَالَ⁽⁹⁾: بَلَى،⁽¹⁰⁾ وَلَكِنْ خَشِيتُ أَنْ يُسَلَبَ⁽¹¹⁾ دِينُكَ⁽¹²⁾ فَيَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، كَذَا فِي الْكُشَافِ.⁽¹³⁾ وَهُوَ أَيْضًا مُخَالِفٌ لِمَا ذَكَرَهُ، فَتَذَكَّرْ. وَقِيلَ: إِنَّ يَعْقُوبَ وَوَلَدَهُ دَخَلُوا مِصْرَ وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَةً.

(1) في نسخة (غ): يقف.

(2) في الكشاف: فَإِنْ لَمْ يُوحَ إِلَيْكَ بِالْعَفْوِ، يَنْظُرُ: الزمخشري، الكشاف، (504 / 2).

(3) في جميع النسخ: أقرت، يَنْظُرُ أَيْضًا: الزمخشري، الكشاف، (504 / 2).

(4) في نسختي (الأصل، م): موافقة.

(5) الزمخشري، الكشاف، (504 / 2).

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): مائتين.

(7) في نسختي (ش، ض): متعة.

(8) في الكشاف: ألم، يَنْظُرُ: الزمخشري، الكشاف، (505 / 2).

(9) سقط من نسخة (غ).

(10) في نسخة (غ): هل.

(11) في نسخة (غ): تسلب.

(12) في نسخة (غ): ذنبك.

(13) الزمخشري، الكشاف، (505 / 2).

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [يوسف: 99] صَمَّهُمَا⁽¹⁾ إِلَيْهِ، وَاعْتَنَقَهُمَا. قَالَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: كَانَتْ أُمُّهُ⁽²⁾ تَحْيَا،⁽³⁾ وَقِيلَ: هُمَا أَبُوهُ وَخَالَتُهُ، مَاتَتْ أُمُّهُ، فَتَزَوَّجَهَا فَجَعَلَهَا⁽⁴⁾ إِحْدَى الْأَبْوِينَ؛ لِأَنَّ الرَّابَّةَ تُدْعَى أُمًّا؛ لِقِيَامِهَا مَقَامَ الْأُمِّ، أَوْ لِأَنَّ الْخَالَتَةَ أُمٌّ، كَمَا أَنَّ الْعَمَّ أَبٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَابَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: 133] كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁵⁾ ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ﴾ [يوسف: 99] يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ: أَنَّ الدُّخُولَ الْأَوَّلَ كَانَ خَارِجَ الْمِصْرِ حِينَ الْمَلَاقَةِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: كَأَنَّهُ حِينَ اسْتَقْبَلَهُمْ نَزَلَ لَهُمْ فِي مِصْرٍ أَوْ بَيْتٍ ثَمَّةً، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، وَصَمَّ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ [يوسف: 99]. وَقَوْلُهُ: ﴿عَامِنِينَ﴾ حَالٌّ عَنِ الْمُسْتَتَرِّ فِي ﴿أَدْخُلُوا﴾، وَالشَّرْطِيَّةُ اعْتِرَاضٌ⁽⁶⁾ بَيْنَ الْحَالِ وَذِي الْحَالِ؛ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ: أَدْخُلُوا مِصْرَ آمِنِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ دَخَلْتُمْ آمِنِينَ، فَحُذِفَ الْجَزَاءُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. وَقُدِّمَ الشَّرْطُ لِلْإِعْتِرَاضِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (م): ضَمَّهُمَا.

(2) فِي نَسْخَةِ (ش): أُمَّة.

(3) فِي نَسْخِ (الأصل، م، غ): تَجِيءُ. أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ رَقْمَ (19882)، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [يوسف: 99]، قَالَ: أَبَاهُ وَأُمُّهُ.

ثُمَّ عَلَّقَ عَلَيْهِ قَائِلًا: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ، وَالْمُتَعَارَفِ بَيْنَهُمْ فِي (أَبْوِينَ)، إِلَّا أَنْ يَصَحَّ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ أُمَّ يُوسُفَ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَيَسْلَمُ حِينَئِذٍ لَهَا. الطَّبْرِيُّ (المتوفى: 310هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (16/ 267). يَنْظُرُ أَيْضًا: الثَّلَبِيُّ، (المتوفى: 427هـ)، الْكَشَفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 258)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ (المتوفى: 542هـ)، الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ، (3/ 281).

(4) فِي نَسْخَةِ (م): فَجَعَلَهُمَا.

(5) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 505).

(6) فِي نَسْخَةِ (ض): احْتِرَازٌ.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: 100]

تَحِيَّةً وَتَكْرِيماً، وكان الخُرُورُ ⁽¹⁾ مُقَدِّماً على الرَّفْعِ -والواو وإن لم يكن ⁽²⁾ يدل ⁽³⁾ على التَّرتيبِ، لكن لا بد من تقديم الرَّفْعِ بحسب اللَّفْظِ من نُكْتَةٍ - وكان النُّكْتَةُ اِهْتِمَامَهُ ⁽⁴⁾ بِتَعْظِيمِهِ لهما. وما رُوي من حُرْمَةِ السُّجُودِ ⁽⁵⁾ [لغير الله إنما هو السُّجُودُ] ⁽⁶⁾ بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ. وقيل: الضَّمِيرُ لله، ومعناه: خَرُّوا لِأَجْلِ يَوْسُفَ سُجْدًا لله شُكْرًا. وهو -مع كونه خِلافَ الظَّاهِرِ- لا يُلَائِمُ قَوْلَهُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: 100]؛ لأنَّ رُؤْيَاهُ كان سُجُودَ الْكَوَاكِبِ لَهُ، فَتَدَبَّرْ. ﴿وَقَالَ يَأْتُوبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي

(1) في نسخ (ش، ض، غ): والخور كان.

(2) سقط من نسخ (ش، ض، غ):

(3) في نسخة (ض): يدخل.

(4) في نسختي (ش، ض): فيه اهتمامه.

(5) في تحريم السجود لغير الله عدة روايات منها: ما أخرجه الترمذي في سننه (3/ 457)، في باب ما جاء في حقِّ الرُّوحِ عَلَى الْمَرْأَةِ، برقم: (1159): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»، وأخرج نحوه أبو داود في سننه (2/ 244)، في باب: باب في حقِّ الرُّوحِ عَلَى الْمَرْأَةِ، برقم: (2140)، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحَيْرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتُ بِقَبْرِي أَكُنْتُ تَسْجُدُ لَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ»، وأخرج ابن ماجه في سننه (3/ 59)، في باب حقِّ الرُّوحِ عَلَى الْمَرْأَةِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا». وقال المحقق: صحيح لغيره.

وقال ابن العربي (المتوفى: 543هـ): «اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ لِأَدَمَ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ عِبَادَةٍ». وقال ابن تيمية: «وَأَمَّا السُّجُودُ: فَشَرِيعَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ، إِذْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى: أَنْ نَسْجُدَ لَهُ، وَلَوْ أَمَرَنَا أَنْ نَسْجُدَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرِهِ: لَسَجَدْنَا لِذَلِكَ الْغَيْرِ؛ طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ أَحَبُّ أَنْ نُعْظِمَ مَنْ سَجَدْنَا لَهُ وَلَوْ لَمْ يَفْرِضْ عَلَيْنَا السُّجُودَ لَمْ يَجِبْ أَلْبَنَةُ فِعْلُهُ، فَسُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِأَدَمَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ، وَطَاعَةٌ لَهُ، وَفُرْجَةٌ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ لِأَدَمَ: تَشْرِيفٌ، وَتَكْرِيمٌ، وَتَعْظِيمٌ. وَسُجُودُ إِخْوَةِ يَوْسُفَ لَهُ: تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ يَوْسُفَ لَوْ سَجَدَ لِأَبَوَيْهِ تَحِيَّةً لَمْ يُكْرَهُ لَهُ». ابن العربي، أبو بكر، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، (1/ 27)، وابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، 1416هـ/1995م، (4/ 360).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

حَقًّا [يوسف: 100] صِدْقًا. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ﴾ [يوسف: 100] يُقَالُ: أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَبِهِ، وَكَذَلِكَ أَسَاءَ⁽¹⁾ إِلَيْهِ، وَبِهِ. ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: 100] تَرَكَ تَكْرَرُ الْجُبِّ؛ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ تَثْرِيبًا⁽²⁾ عَلَيْهِمْ. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100] مِنَ الْبَادِيَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمَوَاشِي، وَيَنْتَقِلُونَ فِي الْبَادِيَةِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ. ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ تَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: 100] أَي: أَفْسَدَ بَيْنَنَا، وَحَرَّشَ.⁽³⁾ ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: 100] لَطِيفٌ⁽⁴⁾ التَّدْبِيرُ لِمَا يَشَاءُ. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100] يَعْلَمُ مَا فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، وَيَفْعَلُ عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ.

وَرُوي أَنَّ يَوْسُفَ أَخَذَ بِيَدَ يَعْقُوبَ فَطَافَ بِهِ فِي خَرَائِنِهِ، فَلَمَّا أَدْخَلَهُ خَزَانَةَ الْقَرَاطِيسِ، [قال: يا بُنَيَّ، مَا أَغْفَلَكَ⁽⁵⁾؛ عِنْدَكَ هَذِهِ الْقَرَاطِيسُ]⁽⁶⁾ وَمَا كُنْتُ إِلَى⁽⁷⁾ عَلَى نَمَانٍ⁽⁸⁾ مَرَّاحٍ؟! قال: أَمَرَنِي جَبْرِيلُ. قال: أَوْ مَا تَسْأَلُهُ؟ قال: أَنْتَ أَبْسَطُ مَنِّي إِلَيْهِ،⁽⁹⁾ فَاسْأَلُهُ. قال جَبْرِيلُ: اللَّهُ أَمَرَنِي بِذَلِكَ؛ لِقَوْلِكَ: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّثْبُ﴾ [يوسف: 13] قال: فَهَلَّا خِفْتَنِي!⁽¹⁰⁾

(1) في نسخة (غ): أشار.

(2) في نسخة (م): تثريب.

(3) في نسخ (الأصل، م)،: خرش، وفي نسخة (ش): أو حرش.

(4) في نسخة (ش): لطف.

(5) في الكشف: ما أعفك، ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 506).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(7) سقط من نسخة (م):

(8) في نسخة (م): أن.

(9) في نسختي (ش، ض): إليه مَنِّي.

(10) في نسخة (م): خففتي. هذه المرويات منقولة عن كتب الأقدمين وأغلبها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، والله تعالى أعلم. ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 506)، النسفي (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2/ 136)، والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ، (4/ 126)، وأبو السعود (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (4/ 307).

﴿رَبِّ قَدْ عَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101]

﴿مِنْ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلتَّبَعِيضِ. ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: 101] مُبْدِعَهُمَا؛ صِفَةً لِلْمُنَادَى، أَوْ مُنَادَى مُسْتَقِلٍّ. ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: 101] لَا مُلْجَأَ لِي سِوَاكَ فِي الدَّارَيْنِ. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101] بِأَبَائِي الْكَرَامِ، أَوْ بِعَامَّةِ الصَّالِحِينَ.

وَرُوي أَنَّ يَعْقُوبَ أَقَامَ مَعَهُ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَاتَ. وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ بِالشَّامِ⁽¹⁾ إِلَى جَنْبِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ، فَمَضَى بِنَفْسِهِ وَدَفَنَهُ ثَمَّةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ. ² وَعَاشَ بَعْدَ أَبِيهِ ثَلَاثًا وَعَشْرِينَ سَنَةً. فَلَمَّا تَمَّ أَمْرُهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَدُومُ لَهُ؛ طَلَبَتْ نَفْسُهُ الْمُلْكَ الدَّائِمَ الْخَالِدَ، فَتَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ. وَقِيلَ: مَا تَمَنَّاؤُ نَبِيٍّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَتَوَقَّاهُ اللَّهُ طَيِّبًا طَاهِرًا، فَتَخَاصَمَ أَهْلُ مِصْرَ، وَتَشَاحُوا⁽³⁾ فِي دَفْنِهِ: كُلٌّ يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِي مَحَلَّتِهِمْ، حَتَّى هَمُّوا بِالْقِتَالِ، فَرَأَوْا مِنَ الرَّأْيِ أَنْ عَمَلُوا⁽⁴⁾ لَهُ صُنْدُوقًا مِنْ مَرْمَرٍ، وَجَعَلُوهُ فِيهِ، وَدَفَنُوهُ فِي النَّيْلِ بِمَكَانٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ. ثُمَّ يَصِلُ إِلَى مِصْرَ لِيَكُونُوا كُلُّهُمْ فِيهِ شَرَعًا وَاحِدًا. وَوُلِدَ لَهُ: أَفْرَائِيمُ⁽⁵⁾ وَمِيشَا، وَوُلِدَ لِأَفْرَائِيمَ: ⁽⁶⁾ نُؤُنْ، وَلِئُونٌ: يُوشَعُ قَتَّى مُوسَى، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁷⁾

(1) سقط من نسختي (ش، ض).

² أخرج نحوه الطبري في تفسيره وتاريخه عن السدي عزاه الثعلبي والبيهقي لأهل التاريخ. وضعفه البرزنجي (محقق كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري) ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 282)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري (1/ 364)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري (6/ 264)، والثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 260)، والبيهقي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 281).

(3) في نسختي (الأصل، م): وَتَشَاحُوا.

(4) في نسخة (ض): أَعْمَلُوا.

(5) في نسخة (ش): إِفْرَاهِيمَ، وفي نسخة (ض): إِفْرَائِيمَ.

(6) في نسخة (ش): لِأَفْرَائِيمَ.

(7) هذه المرويات مرجعها كتب الاقدمين، الله أعلم بصحتها. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 506)، والنسفي (المتوفى: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (2/ 136)، وأبو السعود (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (4/ 308).

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: 102]

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سيق من نبي يوسف، وما بعده جُمْلَتَانِ خَبَرَانِ عنه. وجَوَزَ صاحبُ الكشاف أن يكونَ (ذلك) اسماً موصولاً بمعنى (الذي)، و﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ صَلَتُهُ، وَجُمْلَةُ ﴿نُوحِيهِ﴾ خَبَرُهُ. ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: 102] يعني: أن هذا النبأ غيب لم يحصل إلا بالوحي؛ لأنك لم تحضر بني⁽¹⁾ يعقوب حين أجمعوا أمرهم. وهو إلقاء يوسف في البئر، بدليل قوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 15] والمقصود: وما كنت لَدَيْهِمْ، وما تَعَلَّمْتُهُ⁽²⁾ من أحد، بقرينة قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: 49]

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]

أي: وما هم بمؤمنين ولو حرصت على إيمانهم؛ لعنادهم وجهلهم.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يوسف: 104]

أي: على ما تحدثتهم. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: 104] إِلَّا عِظَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: 105]

وَكَمْ مِنْ آيَةٍ دَالَّةٍ عَلَى تَوْحِيدِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ. ﴿يَمْرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: 105] وَيُشَاهِدُونَهَا، وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [يوسف: 105] لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا. وَفَرَى (الْأَرْضُ) بِالرَّفْعِ وَبِالنَّصْبِ؛⁽³⁾ فعلى هذا يكون الضمير في ﴿يَمْرُونَ عَلَيْهَا﴾ لِلْأَرْضِ، وَالْمُرُورُ⁽⁴⁾ عَلَى حَقِيقَتِهِ.

(1) في نسخة (غ): بين.

(2) في نسختي (الأصل، م): نعلمه.

(3) قراءة شاذة: قرأ عكرمة وعمرو بن فائد: (وَالْأَرْضُ يَمْرُونَ عَلَيْهَا) بالرفع، وقرأ السدي: (الْأَرْضُ) نصباً، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 70)، وابن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 349).

(4) سقط من نسختي (الأصل، م).

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]

وما يُقَرُّونَ بِخَالِقِيَّتِهِ ووجودِهِ في حالٍ من الأحوالِ إِلَّا في حالِ كَوْنِهِم مُشْرِكِينَ بعبادَتِهِ غَيْرَهُ. وعن الحَسَنِ؛ هم أهلُ الكتابِ؛ معهم شِرْكٌ وإيمانٌ. وعن ابنِ عَبَّاسٍ: هم الذين يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، كذا في الكشَّاف.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يوسف: 107]

أي: أَفَأَمِنُوا⁽¹⁾ أَنْ تَأْتِيَهُمْ عُقُوبَةٌ تَغْشَاهُمْ وَتَشْمُلُهُمْ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ مَوْتُ فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ عَلَامَةٍ. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 107] بِإِتْيَانِهَا.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: 108]

يعني: الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ سَبِيلِي.⁽²⁾ وَالسَّبِيلُ وَالطَّرِيقُ يُذَكِّرَانِ وَيُؤَنِّتَانِ، كذا في الكشَّاف.⁽³⁾ ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108] ﴿أَنَا﴾ تَأْكِيدٌ لِلْمُسْتَتِرِ لِيَصِحَّ عَطْفُ ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عَلَيْهِ. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] وَأَنْزَلَهُ تَنْزِيهَاً عَنْ⁽⁴⁾ الشُّرَكَاءِ، مُوَحِّدًا لَهُ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: 109]

لَا مَلَائِكَةً، وَهُوَ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: 14]. وقيل: معناه نَفْيُ اسْتِنْبَاءِ النِّسَاءِ. ﴿نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: 109]؛ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ وَأَخْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ اسْتِنْبَاءِ أَهْلِ الْبَدْوِ، وَإِخْوَةُ يَوْسُفَ كَانُوا أَهْلَ بَدْوٍ؛⁽⁵⁾ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: 100]، وَفَسَّرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ بِأَنَّهُمْ⁽⁶⁾ كَانُوا أَصْحَابَ الْمَوَاشِي، وَأَهْلَ الْبَدْوِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ

(1) في نسخة (غ): فآمنوا.

(2) في نسخة (غ): سبيل.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 508).

(4) في جميع النسخ: من، وأثبت (عن) لأنه أصح.

(5) في نسخة (ض): البدو.

(6) في نسخة (م): أنهم.

استْتَبَاؤُهُمْ؟⁽¹⁾ وُقِرَى (يُوحَى إِلَيْهِمْ).⁽²⁾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: 109] من المُكذِّبِينَ بالرُّسُلِ، بقرينة قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [يوسف: 109] ﴿الْآخِرَةِ﴾ صفةٌ موصوفٍ مُقدَّرٍ، نحو: الحال، أو الساعة، أو الحياة. فكأنه قيل: دارُ الحال الآخرة، أو الساعة الآخرة، أو الحياة الآخرة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109] أي: قلْ لهم: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟) كما قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾. وُقِرَى (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) على الغَيْبَةِ،⁽³⁾ كما هو مُقتَضَى الظَّاهِرِ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: 110]

مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، كأنه قيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ فترأخى نصرهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ عن النَّصْرِ. ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ [يوسف: 110] أي: قَدْ⁽⁴⁾ كَذَّبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ حِينَ حَدَّثَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ، أو رَجَاءُهم كقولهم: رَجَاءٌ صَادِقٌ وَرَجَاءٌ كَاذِبٌ، كذا في الكشف. قال البيضاوي: "أو كَذَّبَتْهُمْ الْقَوْمُ بِوَعْدِ الْإِيمَانِ. وقيل: الضَّمِيرُ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ."⁽⁵⁾ يعني: وَظَنُوا⁽⁶⁾ أَنَّهُمْ كُذِّبُوا مِنْ جِهَةٍ

(1) اعتراض المؤلف ليس في محله، حيث لو يَتِمُّ نَفْيُ استتباء إخوة يوسف من أجل كونهم أهل بدو لیتَمَّ أيضاً نفْيُ استتباء يعقوب عليه السلام؛ لأنه كان من أهل البدو يعيش مع أولاده حتى يجلبه يوسف عليه السلام إلى مصر، والآية التي استدل بها المؤلف قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَنُو﴾ [يوسف: 100] وهذا القول موجَّهٌ إلى يعقوب عليه السلام من قِبَلِ يوسف عليه السلام، فيحتوي ﴿بِكُمْ﴾ على يعقوب عليه السلام كما احتوى على إخوة يوسف عليه السلام، ولا خلاف في نُبوَّةِ يعقوب عليه السلام، والله تعالى أعلم.

(2) قراءة متواترة: قرأ عاصم في رواية حفص (توحي) بالنون وكسر الحاء في جميع القرآن إلا قوله في عسق ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [الشورى: 3] فإنه قرأه بالياء وكسر الحاء، وقرأ الباقر وعاصم في رواية أبي بكر (يُوحَى) بالياء وفتح الحاء ههنا وفي كل القرآن. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 351)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 248).

(3) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [يوسف: 109] بالتاء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمة والكسائي وخلف، وعاصم في رواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر بالياء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 193).

(4) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (غ).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 179).

(6) في نسختي (الأصل، م): ويظنوا.

الرُّسُلِ، أَي: كَذَّبَتْهُمْ الرُّسُلُ فِي أَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ. وقيل: الأول⁽¹⁾ للمُرْسَلِ إليهم، والثاني للرُّسُلِ، أَي: وَظَنُوا أَنَّ الرُّسُلَ كَذَّبُوا وَأُخْلِفُوا فِيهَا وَعَدَ لَهُمْ. وُقِرَّ: (قَدْ كُذِّبُوا) بالتشديد،⁽²⁾ أَي: وَظَنَّ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبَتْهُمْ قَوْمُهُمْ فِيهَا وَعَدُوهُمْ. وُقِرَّ (كَذَّبُوا) بالتخفيفِ على البناءِ للفاعل،⁽³⁾ أَي: وَظَنَّ الرُّسُلُ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا فِيهَا حَدَّثُوا بِهِ قَوْمَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ لَمَّا تَرَخَى عَنْهُمْ. قال صاحبُ الكشاف: "وعن ابن عباس: وَظَنُوا حِينَ ضَعُفُوا وَغَلِبُوا؛ أَنَّهُمْ (4) قَدْ أُخْلِفُوا مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ، وَقَدْ كَانُوا بَشَرًا. وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 214] فَإِنْ صَحَّ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ فَقَدْ أَرَادَ بِالظَّنِّ: مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ وَيَهْجِسُ (5) فِي الْقَلْبِ مِنْ شِبْهِ الْوَسْوَسةِ، وَحَدِيثُ (6) النَّفْسِ، عَلَى مَا عَلَيْهِ الْبَشَرِيَّةُ. وَأَمَّا الظَّنُّ (7) الَّذِي هُوَ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْجَائِزَيْنِ عَلَى الْآخَرِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَمَا بَالُ رُسُلِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْرَفُ (8) النَّاسِ بِرَبِّهِمْ، وَأَنَّهُ مُتَعَالٍ عَنِ خُلْفِ الْمِيعَادِ، مُنْزَعٌ عَنِ كُلِّ قَبِيحٍ." (9) ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: 110] جوابٌ للشرط. ﴿فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: 110] على الماضي للمجهول، من

(1) في نسخة (غ): الأولى.

(2) قراءة متواترة: قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب (قَدْ كُذِّبُوا) مشددة الذال. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 248).

(3) قراءة شاذة: ذكرها الزجاج بدون نسبة، ونسبها ابنُ خالويه والنحاس إلى مجاهد، وابنُ جني نسبها إلى ابن عباس ومجاهد والضحاك، بخلاف عنهم، ينظر: الزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 132)، والنحاس (المتوفى: 338هـ)، معاني القرآن، (3/ 464)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 70)، وابن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 350).

(4) في نسختي (الأصل، م): لربهم.

(5) في نسخة (م): ويهجن.

(6) في نسخة (ش): والحديث.

(7) في نسختي (الأصل، م): لِظَنِّ.

(8) في نسخة (ش): عرف.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 510).

(التَّعْلِيلِ).⁽¹⁾ وَقُرِئَ (فَتُنَجِّي) ⁽²⁾ على الحكاية من (الإفعال والتفعيل).⁽³⁾ وَقُرِئَ (فَتَنَجِّي) ⁽⁴⁾ على البناء للفاعل، من الْمُجَرَّدِ. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: 110] إذا نَزَلَ بهم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ [يوسف: 111]

أي: قِصَّةُ الأنبياءِ وأَمَمِهِمْ، أو قصة ⁽⁵⁾ يوسف وإخوته. وَقُرِئَ (قَصَصِهِمْ) على لَفْظِ الْجَمْعِ. ⁽⁶⁾ [عِبْرَةُ لِأُولَى الْأَلْبَابِ] [يوسف: 111] لِذَوِي الْعُقُولِ. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: 111] الضَّمِيرُ فِي ﴿كَانَ﴾ لِلْقَصَصِ. وَأَمَّا على قراءةٍ من قَرَأَ ⁽⁷⁾ بلفظِ الجمعِ ⁽⁸⁾ فالضَّمِيرُ الْقُرْآنَ. ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: 111] أي: ولكن ⁽⁹⁾ كان تصديقاً للکُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ عليه من الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ. ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 111] يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ الْقَانُونُ الَّذِي يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ. ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]؛ لِأَنَّهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِهِ بِسَبَبِ التَّصْدِيقِ.

(1) في نسختي (الأصل، م): التفصيل.

(2) قراءة متواترة: قرأ عاصم، ويعقوب، وابن عامر (فُنَجِّي) بنون واحدة مضمومة، وبعدها جيم مشددة، وبعد الجيم ياء مفتوحة، وقرأ الباقر (فَتُنَجِّي) بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، وبعد الثانية جيم مخففة، وبعد الجيم ياء مدية ساكنة. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 352)، النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر (ص: 248)، محيسن، محمد (المتوفى: 1422هـ)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، (2/333).

(3) أي: (فَتُنَجِّي) بنونين؛ بضم الأولى، وفتح الثانية، وتشديد الجيم مكسوراً.

(4) قراءة شاذة: (نَجَا مَنْ نَشَاء) وهي منسوبة إلى ابن محيصن ونصر بن عاصم في مختصر ابن خالويه، وفي البحر المحيط زيد عليهما: الْحَسَنُ، وَأَبُو حَيَوَةَ، وَأَبْنُ السَّمِيعِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِيسَى. ونسبها الكرمانى إلى بعضهم وإلى اليماني، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 70)، والكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 253)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/337).

(5) في نسخة (غ): قصد.

(6) قراءة شاذة: ذكرها ابن خالويه في الحجة، والعكبري بدون نسبة، وفي البحر المحيط نسبت إلى أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ الْأَنْطَاكِيِّ عَنِ الْكِسَائِيِّ، وَالْقَصْبِيِّ عَنِ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، ينظر: العُكْبَرِيُّ (المتوفى 616هـ)، إعراب القراءات الشواذ، (1/720)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/337).

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(9) في نسخة (ض): ولو.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلِّمُوا أَرْقَاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ، فَإِنَّهُ أَيْمًا مُسْلِمٌ تَلَاهَا، وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ؛ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلَّا يَحْسُدَ مُسْلِمًا». (1) كذا في الكشف (2) وتفسير البيضاوي (3) والله أعلم.

(1) حديث موضوع: أخرجه أبو نعيم في "تاريخ أصبهان" (2 / 328)، والواحي في "الوسيط" (2 / 599) عن هارون بن كثير، وورد في "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (4 / 365) من طريق القاسم بن الحكم العرنى عن هارون به. قال ابن كثير: روى الثعلبي وغيره، من طريق سلام بن سليم -ويقال: سليم -المدائني، وهو متروك، عن هارون بن كثير -وقد نص على جهالته أبو حاتم- عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب وذكر الحديث. فمدار الحديث على هارون بن كثير وهو مجهول.

وأخرجه ابن عدي في "الكامل" (8 / 440) ونص على جهالة هارون بن كثير، وابن الجوزي في "الموضوعات" (1 / 239) من طرق أخرى عن أبي، ولكن لا يصح منها شيء.

وقال ابن الجوزي: موضوع بلا شك، وقال الذهبي: باطل، وقال ابن كثير: منكر من سائر طرقه، وقال السيوطي: موضوع. ينظر: ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، (8 / 440)، والثعلبي أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 427 هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م، (14 / 480)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، الموضوعات، (1 / 239)، والذهبي (المتوفى: 748هـ)، ميزان الاعتدال (4 / 83)، ابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4 / 365)، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996م، (1 / 208).

(2) الزمخشري، الكشف، (2 / 511).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3 / 179).

[سورة الرعد]

مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: 43] الآية، ⁽¹⁾ وهي ⁽²⁾ خَمْسٌ

وَأَرْبَعُونَ آيَةً. ⁽³⁾ [4]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 1]

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آياتِ السُّورَةِ، والمراد بالكتاب: السُّورَةُ. وهو بظاهره غير مُفِيدٍ؛ إذ لا فائدة في قولنا: آياتُ السُّورَةِ [آياتُ السُّورَةِ]. ⁽⁵⁾ وتحقيقُهُ أَنَّ لَامَ الْجِنْسِ فِي ﴿الْكِتَابِ﴾ يُفِيدُ اتِّصَافَهُ بِالْكَمَالِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: تِلْكَ الْآيَاتُ آيَاتُ السُّورَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِجِنْسِ الْكِتَابِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي كَمَالِهَا. وإلى هذا المعنى أشار صاحبُ الكشافِ بقوله: "أي: تِلْكَ الْآيَاتُ آيَاتُ السُّورَةِ الْكَامِلَةِ الْعَجَبِيَّةِ" ⁽⁶⁾ فِي بَابِهَا. ⁽⁷⁾ فَيُفِيدُ الْحُكْمَ بِالضَّرُورَةِ. ويجوز أن يكونَ اللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ، بمعنى: أَنَّ تِلْكَ الْآيَاتِ آيَاتُ السُّورَةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ كِتَابًا مَعْهُودًا مَوْصُوفًا بِالنُّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ. وَجَوَزَ الْبِيضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ بِمَعْنَى: الْقُرْآنِ. وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مَنْسُوبٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: 1] قَصْرُ الْحَقِّ فِي ⁽⁸⁾ ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إِمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَوْ عَلَى الْمُبَالَغَةِ. وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ مَعْنَاهُ: وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ هُوَ الْحَقُّ لَا غَيْرُهُ، وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ حَقِيقَةُ الْكُتُبِ السَّمَاءِيَّةِ، وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، فَيَصْحُ الْحَصْرُ بِلا كُفْلَةٍ، وَيُؤَيِّدُهُ: ﴿وَلَا رَحْبَ وَلَا يَابِسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الْبِيضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ: "وَتَعْرِيفُ الْخَبَرِ وَإِنْ" ⁽⁹⁾ دَلَّ عَلَى

(1) سقط من جميع النسخ إلا نسخة (غ).

(2) في نسخ (الأصل، م، غ): وإنها.

(3) سقط من نسختي (الأصل، م، غ).

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض، غ).

(6) في نسختي (الأصل، م): والعجبية.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 511).

(8) في نسخة (غ): من.

(9) في جميع النسخ: إن، ينظر أيضا: البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 180).

اختصاصِ المُنَزَّلِ بِكَوْنِهِ حَقًّا، فهو أعمُّ من المُنَزَّلِ، صريحاً أو ضمناً، كالمُثَبَّتِ بِالْقِيَاسِ وغيره، ممَّا نَطَقَ⁽¹⁾ المُنَزَّلُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ⁽²⁾ وعلى الثاني يكون معناه: والذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ هو الحَقُّ الذي ينبغي أن يُسَمَّى حَقًّا لِمَالِهِ فِيهِ⁽³⁾ وإلى [هذا المعنى أشار]⁽⁴⁾ صاحبُ الكَشَافِ بقوله: "ثُمَّ قَالَ⁽⁵⁾ ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن كُلِّهِ هو الحَقُّ الذي لا مَزِيدَ⁽⁶⁾ عليه، لا هذه السُّورَةُ وَحْدَهَا⁽⁷⁾ ويجوز ألا يكون التَّعْرِيفُ لِقَصْدِ القَصْرِ، نحو: (8) رَأَيْتُ⁽⁹⁾ بُكَاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلَا. ويؤيِّدُهُ ما رُوي في سَبَبِ النُّزُولِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، فَرَدَّ قَوْلَهُمْ، رواه مُقَاتِلٌ،⁽¹⁰⁾ فعلى هذا، لا وجه لِقَصْدِ القَصْرِ. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: 1] لِعَدَمِ تَأْمُلِهِمْ فِي الحَقَائِقِ.

(1) في نسخة (ض): يظن.

(2) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 180).

(3) أي: لِمَالِهِ فِي الحَقِّيَّةِ.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) في نسختي (ش، ض): مَزِيدٌ.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 511).

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) في جميع النسخ: ورأيت.

(10) ينظر: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى - 1423 هـ، (2/ 366). وذكر الواحدي نحوه في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101] وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ [البقرة: 106] بدون نسبة إلى مقاتل، وذكره في تفسيره عن مقاتل في بداية تفسير سورة الرعد، وذكره في سورة الرعد عن مقاتل جماعة من المفسرين منهم: الثعلبي، البغوي، والقرطبي، والشربيني، ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م، (ص: 34 و 280)، والتفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من طلبة الدكتوراة، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ، (12/ 280)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ط دار التفسير)، (15/ 202)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 292)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 278)، والشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285 هـ، (2/ 144).

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [الرعد: 2]

جَمْعُ (عِمَادٍ) و(عَمُودٍ). وُقُرئ (عُمْدٍ)،⁽¹⁾ كُرْسِلَ. ﴿تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: 2] استئنافٌ للتَّوْضِيحِ، كأنَّه قيل: وذلك أمرٌ واضحٌ، كما تَرَوْنَهَا. ويجوز أن تكون صفةً لـ ﴿عَمْدٍ﴾. قال صاحبُ الكَشَافِ: "وَيَعُضُّدُهُ"⁽²⁾ قراءةُ أَبِي: (تَرَوْنَهُ).⁽³⁾ ووجهُ الاستشهاد: أَنَّ الضميرَ حينئذٍ يَتَعَيَّنُ⁽⁴⁾ أن يكونَ لـ ﴿عَيْرِ عَمْدٍ﴾. وأمَّا على القراءةِ الأولى فالضميرُ على تقديرِ الوُصْفِيَّةِ؛ إمَّا لـ ﴿عَيْرِ عَمْدٍ﴾، بأن يكونَ تَأْنِيثُهَا باعتبارِ المضافِ إليه، أو لـ ﴿عَمْدٍ﴾ بأن يكونَ معناه: بغيرِ عَمْدٍ موصوفةٍ بِرُؤْيَيْكُمْ.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: 2]

الظَّاهِرُ أنَّ الاستواءَ على العَرْشِ إنما يكونُ للتَّنْذِيرِ في الكائناتِ، وهو مُقَدَّمٌ على خَلْقِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّمِ على خَلْقِ السَّمَاءِ، كما هو الثَّابِتُ عندهم، فلا يُتَصَوَّرُ أن يكونَ الاستواءُ مُؤَخَّرًا عن رَفْعِ السَّمَاءِ الْمُؤَخَّرِ عن الأرضِ. فلا بدَّ أن يُقالَ: إِنَّ ﴿ثُمَّ﴾ هُنا ليسَ للتَّرَاخِي في الزَّمانِ، بل إنما يكونُ لِتَقَاوُتِ ما بين الخَلْقَيْنِ، كما قيل في قولِهِ في سورةِ البقرة: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 29]، فَتَذَكَّرَ. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الرعد: 2] ذَلَّلَهُمَا بِحَرَكَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ، في مَدَارٍ خَاصٍّ، وزمانٍ مُعَيَّنٍ،⁽⁵⁾ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُتِمُّ⁽⁶⁾ الدَّوْرَةَ في مَدَّةِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةِ وَسِتِّينَ يَوْمًا وَرُبْعَ يَوْمٍ. والقمرُ يُتِمُّ الدَّوْرَةَ في سَبْعَةِ⁽⁷⁾ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ⁽⁸⁾ سَاعَةً وَثَمَانِي عَشْرَةَ⁽⁹⁾ دَقِيقَةً. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]

(1) قراءة شاذة: (بغيرِ عُمْدٍ) بضمنتين نُسبت إلى أبي حيوة، وفي البحر المحيط إلى أبي حيوة، وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ، وفي الكشاف غير منسوبة، الهذلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 577)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 512)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 344).

(2) في نسخة (غ): ويقصده.

(3) قراءة شاذة: وفي مصحف أبي: (تَرَوْنَهُ) بتذكير الضمير، الزمخشري، الكشاف، (2/ 512)، ابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، (3/ 291)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 344).

(4) في نسخة (ش): متعين.

(5) في نسخة (غ): معنى.

(6) في جميع النسخ: يتم.

(7) في جميع النسخ ما عدا نسخة (غ): سبع.

(8) في جميع النسخ: عشر.

(9) في جميع النسخ: عشر.

[2] أي: كل⁽¹⁾ مِنْهَا تَجْرِي بِالْحَرَكَةِ لِغَايَةِ مُعَيَّنَةٍ عِنْدَ، اللَّهِ وَهِيَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 1-2]. ويجوز أن يكون المراد: ⁽²⁾ كلُّ منهما ومن سائر الكواكب السَّيَّارَةِ ⁽³⁾ المَرْكُوزَةِ ⁽⁴⁾ فِي السَّمَاوَاتِ الْمَذْكُورَةِ. فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهَا أَيْضاً حَرَكَةً خَاصَّةً؛ فَإِنَّ (زُحْلًا) يُنَمُّ الدَّوْرَةَ فِي تِسْعٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَ(المُشْتَرِي) فِي إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ. وَ(المَرِيخُ) فِي سَنَةٍ وَعَشْرَةِ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْماً. وَ(الزُّهْرَةُ) فِي سَنَةٍ تَقْرِيباً وَكَذَا (عُطَارِدُ).

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ [الرعد: 2] مِنَ الْإِجَادِ، وَالْإِعْدَامِ، وَالْإِحْيَاءِ، وَالْإِمَاتَةِ. ⁽⁵⁾ ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الرعد: 2] أَي: آيَاتِهِ فِي كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ، أَوِ الدَّلَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ عَلَى التَّعَاقُبِ. ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2] أَي: بِيَوْمِ الْجَزَاءِ، فَإِنَّ مَنْ قَدِرَ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، قَدِرَ عَلَى الْإِعَادَةِ أَيْضاً لِلْجَزَاءِ.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: 3] مَدَّ الْأَرْضَ: بَسَطُهَا. وَالرَّوَاسِيَ: ⁽⁶⁾ الْجِبَالُ، وَالْأَنْهَارُ: مَا يَتَوَلَّدُ ⁽⁷⁾ مِنَ الْجِبَالِ غَالِباً، ⁽⁸⁾ وَكُلُّ ذَلِكَ دَخِيلٌ ⁽⁹⁾ فِي تَعْيُشِ الْإِنْسَانِ. وَإِنَّمَا سَمَّى الْجِبَالَ ⁽¹⁰⁾ رَاسِيَةً؛ لِثَبَاتِهَا وَقَرَارِهَا، مِنْ (رَسَا) ⁽¹¹⁾ إِذَا ثَبَتَ.

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخة (ض): لسيارة.

(4) في نسخة (غ): المذكورة.

(5) في نسخة (غ): والإنابة.

(6) في نسخة (م): رواسي.

(7) في نسخة (غ): هو له.

(8) في نسختي (الأصل، م): غَالِيًا، وفي نسخة (غ): عَالِيًا.

(9) في نسخة (غ): وقبل.

(10) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): الجبل.

(11) في نسخ (الأصل، م، ض، غ): رسي، وفي نسخة (ش): راسي، وأثبت (رَسَا) لأنه أصح. ينظر أيضا: البيضاوي،

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 181).

﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحِينَ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: 3]

أي: صنفين مُتَقَابِلَيْنِ، كَالْحُلُوِّ وَالْحَامِضِ، وَالْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَأَمْثَالِهَا. وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الشَّجَرِ رَوْحَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، لَا يَبْعُدُ أَنْ يَجْعَلَ فِي مُقَابَلَةِ الْمَبْدَأِ مَعَاداً، كَمَا تَعَلَّقْتُ⁽¹⁾ عَادَتُهُ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِ الرُّوحَيْنِ، عَلَى مَا يَشَاهُدُ. ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ [الرعد: 3] يَجْعَلُ الْجَوَّ مُظْلِمًا بَعْدَ كَوْنِهِ مُضِيئًا، فَصَارَا رَوْحَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3] فَإِنَّ مَنْ تَفَكَّرَ فِي تَسْخِيرِ الشَّمْسِ، مَثَلًا -بَحِثْ يَصِيرُ مَدَارُهُ مُتَقَاوِمًا بِالْقُرْبِ وَالْبُعْدِ، مِنْ سَمَتِ⁽²⁾ الرَّأْسِ، لِتَحَقُّقِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ الدَّخِيلَةِ⁽³⁾ فِي تَعْيِشِ الْإِنْسَانِ - عَلِمَ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُخَصِّصُهَا بِوَضْعٍ خَاصٍّ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْمَنَافِعُ الْكَثِيرَةُ، وَكَذَا فِي حَالِ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَلَوِرَاتٌ﴾ [الرعد: 4]

سَبْخَةٌ فِي جَوَارِ طَبِيبَةٍ، وَصُلْبَةٌ فِي جَوَارِ رِخْوَةٍ؛ بَعْضُهَا يَصْلُحُ لِلزَّرْعِ دُونَ⁽⁴⁾ الشَّجَرِ، وَبَعْضُهَا بِالْعَكْسِ، مَعَ أَنَّ لِلْأَرْضِ⁽⁵⁾ طَبِيبَةً وَاحِدَةً لَا تَخْتَلِفُ⁽⁶⁾ أَجْزَاؤُهَا إِلَّا⁽⁷⁾ بِتَدْبِيرِ مُوجِدٍ مُخْتَارٍ، يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ مَا يَشَاءُ. ﴿وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ [الرعد: 4] أي: وَفِيهَا جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ، أي: بَسَاتِينُ مِنَ الْكُرُومِ، وَزَرْعٌ، وَنَخِيلٌ. وَلَمْ يُجْمَعْ الزَّرْعُ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ. وَقُرِئَ (وَزَرْعٌ) وَنَخِيلٌ بِالْجَرِّ،⁽⁹⁾ عَطْفًا عَلَى ﴿أَعْنَابٍ﴾. وَفِي إِطْلَاقِ الْجَنَّةِ عَلَى⁽¹⁰⁾ (الْمَرْعَةِ): مُسَاهَلَةٌ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ:⁽¹¹⁾ إِنَّ الزَّرْعَ بَعْضُهَا، كَالْحِنْطَةِ

(1) في جميع النسخ: تعلق.

(2) في نسخة (غ): تحت.

(3) في نسخة (ض): الداخلة.

(4) سقط من نسخة (ض)، وفي نسخة (ش): ومن.

(5) في نسختي (ش، ض): الأرض.

(6) في جميع النسخ: يختلف.

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) سقط من نسخة (ش).

(9) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ [الرعد: 4]

رفعاً، وقرأ الباقرن كله بالخفض. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 356)، والنيسابوري، (المتوفى:

381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 251).

(10) في نسخة (ش): في.

(11) في نسخة (غ): إلا أي أن يقال.

وَالشَّعِيرِ لَهُ شَجَرٌ، وَهُوَ مَا يُحْصَلُ مِنْهُ. فَتَكُونُ الْمَرْزَعَةُ فِيهِ بِهَذَا⁽¹⁾ الْإِعْتِبَارِ. ﴿صُنَوَانٌ وَغَيْرُ صُنَوَانٍ﴾ [الرعد: 4] (الصَّنَوَانُ) جَمْعُ (صِنَوٍ)، وَهِيَ النَّخْلَةُ لَهَا رَأْسَانِ وَأَصْلُهُمَا وَاحِدٌ، وَالْمَقْصُودُ التَّعْمِيمُ فِي النَّخِيلِ. وَقُرِئَ (صُنَوَانٍ) بِضَمِّ الصَّادِ،⁽²⁾ وَهُوَ لُغَةٌ بَنِي تَمِيمٍ، وَالْكَسْرُ لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد: 4] الضَّمِيرُ فِي ﴿يُسْقَى﴾ لـ⁽³⁾ ﴿صُنَوَانٌ وَغَيْرُ صُنَوَانٍ﴾، وَتَذَكِيرُهُ بِتَأْوِيلِ مَا ذُكِرَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُسْقَى مَا ذُكِرَ بِمَاءٍ وَاحِدٍ. وَقُرِئَ (تُسْقَى) بِالتَّاءِ.⁽⁴⁾ ﴿وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: 4] أَي: فِي الثَّمَرِ، وَقُرِئَ (يُفْضِلُ)⁽⁵⁾ عَلَى وَفْقِ ﴿يُدِيرُ﴾. وَقُرِئَ (فِي الْأَكْلِ) بِسُكُونِ الْكَافِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَفْضِيلَ الْأَثْمَارِ⁽⁶⁾ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ أَيْضاً دَلِيلُ الْقُدْرَةِ وَالْإِخْتِيَارِ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4] لِمَنْ يَسْتَعْمَلُ عَقْلَهُ بِالتَّفَكُّيرِ فِيهَا.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لِهَذَا.

(2) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: قَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ: (صُنَوَانٌ) بِضَمِّ الصَّادِ، وَقَالَ ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ): وَكُلُّهُمْ كَسَرُ الصَّادِ فِي (صُنَوَانٍ) إِلَّا أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ الْعَبَّاسِ حَدَّثَنِي عَنِ الْحُلَوَانِيِّ عَنِ الْقَوَاسِ عَنِ حَفْصِ بْنِ غَاصِمٍ (صُنَوَانٍ) بِضَمِّ الصَّادِ وَالتَّنْوِينِ، وَلَمْ يَقُلْهُ غَيْرُهُ عَنِ حَفْصِ بْنِ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 356)، وَابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاطِئِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَيْدِيِّ، (ص: 68)، وَابْنُ جَنِّي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَاطِئِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 351).

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): ب.

(4) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: قَرَأَ عَاصِمُ بْنُ عَامِرٍ، وَرُوَيْسُ بْنُ وَزِيدٍ عَنْ يَعْقُوبَ، (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (تُسْقَى) بِالتَّاءِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ (ص: 356-357)، وَالنِّسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 251)، وَالْقَاضِي (الْمُتَوَفَى: 1403هـ)، الْبُحُورُ الزَّاهِرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الْمُتَوَاتِرَةِ، (ص: 168).
(5) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفُ، وَرُوحٌ عَنْ يَعْقُوبَ، (وَيُفْضِلُ بَعْضَهَا) بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَيُفْضِلُ) بِالنُّونِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ (ص: 356)، وَالنِّسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 251-252).

(6) الثَّمَرَةُ: وَاحِدَةُ الثَّمَرِ وَالثَّمَرَاتِ. وَجَمْعُ الثَّمَرِ ثِمَارٌ مِثْلُ جَبَلٍ وَجِبَالٍ، وَجَمْعُ الثَّمَرِ أَثْمَارٌ، مِثْلُ عُنُقٍ وَأَعْنَاقٍ. الْجَوْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 393هـ)، الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (2/ 605).

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: 5]

أي: وإن تعجب يا محمد في إنكارهم البعث! فعجب قولهم، وتحقيق بأن يتعجب منه؛ لأن من قدر على الإبداء معلوم أنه يقدر على الإعادة على أسهل وجه. ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: 5] الجملة في محلّ الرّفْع على البَدَل من ﴿قَوْلُهُمْ﴾، أو النّصْب على المفعول. و﴿إِذَا﴾ نصّب بما دلّ عليه قوله: ﴿أَءِذَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وليس متعلّقاً به؛ لأنّ ما بعد الاستفهام لم يعمل فيما قبله. ﴿أَوَّلِيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 5] لأنّ إنكار المعاد مُستلزم لنفي القدرة عن الواجب، أو لإنكار⁽¹⁾ ما ثبت بالضرورة أنّه نازل منه. ﴿وَأَوَّلِيكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد: 5] أي: يتقيّدون بالضلال لا يرجي خلاصهم، ويحتمل أن يكون وعيداً لهم. ﴿وَأَوَّلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: 5] وفي هذا القصر دلالة على أنّ أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلّدون في النار، خلافاً للمعتزلة.⁽²⁾

(1) في نسختي (الأصل، م): الإنكار.

(2) أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلّدون إذا ماتوا وهم موحدون - وإن لم يكونوا تائبين - بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته. أما عند المعتزلة فهم قالوا إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وهذا هو المنزل بين المنزلتين، بناء على أن الأعمال عندهم جزء من حقيقة الإيمان. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد المصري (المتوفى: 321 هـ)، متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1416 هـ-1995 م، (ص: 22-23)، والهمداني، القاضي عبد الجبار (ت: 415 هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 712)، والتفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (المتوفى: 792 هـ)، شرح العقائد النسفية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة مورافتي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1407 هـ-1987 م، (ص: 71).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: 6]

بالنِّعْمَةِ⁽¹⁾ قَبْلَ الْعَاقِبَةِ⁽²⁾، والإحسان إليهم بالإمهال. وذلك أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ بِإِنْذَارِهِ⁽³⁾، كَذَا فِي الْكَشَافِ⁽⁴⁾. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ﴾ [الرعد: 6] أَي: عُقُوبَاتُ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ. وَالْمُثَلَّةُ: الْعُقُوبَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِهَا؛ لِمَا بَيْنَ الْعُقُوبَةِ وَالْمُعَاقِبَةِ عَلَيْهِ مُمَاتَلَّةٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: 40] يُقَالُ أَمْثَلْتُ الرَّجُلَ مِنْ صَاحِبِهِ، بِمَعْنَى: أَقْصَصْتُهُ مِنْهُ. وَقُرِئَ (الْمُثَلَّثُ)⁽⁵⁾ بِضَمَّتَيْنِ؛ لِلِاتِّبَاعِ، وَبِسُكُونِ الثَّاءِ⁽⁶⁾ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ لِلتَّخْفِيفِ. وَالْمُثَلَّثُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الثَّاءِ، جَمْعُ مُثَلَّةٍ كَرُكْبَةٍ وَرُكْبَاتٍ⁽⁷⁾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 6] قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "أَي: مَعَ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالذُّنُوبِ. وَمَحَلُّهُ الْحَالُ، بِمَعْنَى⁽⁸⁾ ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ.

(1) فِي نَسْخَةِ (ش): بِالنِّعْمَةِ.

(2) فِي نَسْخَةِ (م): الْعَاقِبَةِ.

(3) وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ فِي اسْتَعْجَالِ الْعَذَابِ الْمَذْكُورِ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (6/ 62)، فِي بَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32]، بِرَقْم: (4648)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَنُسِبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَيْضاً، يَنْظُرُ: الطَّبْرِيُّ (المتوفى: 310هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (16/ 351).

(4) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 513).

(5) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ (الْمُثَلَّثُ) بِضَمَّتَيْنِ، مَنْسُوبَةٌ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ إِلَى عَيْسَى بْنِ عَمْرٍ، وَفِي الْكَامِلِ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْحَسَنِ، وَابْنِ أَبِي عُبَيْلَةَ، وَخُمَيْدٍ، وَأَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو. ابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مَخْتَصَرٌ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 70)، الْهُذَلِيُّ (المتوفى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةَ عَلَيْهَا، (ص: 578).

(6) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ (الْمُثَلَّثُ) بِسُكُونِ الثَّاءِ، مَنْسُوبَةٌ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ إِلَى يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، وَزَادَ عَلَيْهِ ابْنُ جَنِّي عَيْسَى النَّقْفِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ سَلِيمَانَ، وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَعْمَشِ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مَخْتَصَرٌ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 70)، وَابْنُ جَنِّي (المتوفى: 392هـ)، الْمَحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَاحِدِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 353)، وَالْقُرْطُبِيُّ (المتوفى: 671هـ)، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، (9/ 285).

(7) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 514).

(8) فِي نَسْخَتِي (ض، غ): يَعْنِي.

وفيه أوجه: أن يُريدَ السَّيِّئَاتِ الْمُكَفَّرَةَ لِمُجْتَنِبِ الْكَبَائِرِ، أو⁽¹⁾ الْكَبَائِرَ بِشَرْطِ التَّوْبَةِ، أو يُريدَ بالمَغْفِرَةِ: السَّتْرَ والإِمْهَالَ.⁽²⁾ انتهى.

وفيه: أن إطلاق (الظَّالِمِ) على التَّائِبِ⁽³⁾ مُنَافٍ لِمَا قِيلَ فِي عَدَمِ اشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ، مِنْ: أَنَّ (الظَّالِمِ) لَا يُطْلَقُ عَلَى التَّائِبِ، كَمَا قَالَ التَّقَنَّاظَانِي فِي شَرْحِهِ لِلْعَقَائِدِ: "وَاحْتَجَّ الْمُخَالِفُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، وَغَيْرُ⁽⁴⁾ الْمَعْصُومِ⁽⁵⁾ ظَالِمٌ، فَلَا يَنَالُ عَهْدَ الْإِمَامَةِ. وَالْجَوَابُ: الْمَنْعُ؛ فَإِنَّ (الظَّالِمِ) مَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً⁽⁶⁾ مُسْقِطَةً⁽⁷⁾ لِلْعَدَالَةِ، مَعَ عَدَمِ التَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ، فَغَيْرُ الْمَعْصُومِ لَا يَلَزُمُ أَنْ يَكُونَ (ظَالِمًا)⁽⁸⁾ انتهى. وَلِذَلِكَ التَّحْقِيقُ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "والتَّحْقِيقُ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْعَفْوِ"⁽⁹⁾ قَبْلَ التَّوْبَةِ، فَإِنَّ التَّائِبَ لَيْسَ عَلَى ظُلْمِهِ.⁽¹⁰⁾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6] لِلْكُفَّارِ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَغْفِرُ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُطْلَقًا عَلَى مَا رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدٌ الْغَيْشِ، وَلَوْلَا وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لَا تَكَلَّ كُلُّ أَحَدٍ».⁽¹¹⁾

(1) فِي الْأَصْلِ: إِذْ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): أَنْ.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 514).

(3) فِي نَسْخَةِ (ض): التَّائِبُ.

(4) فِي نَسْخَةِ (ض): وَغَيْرِهِمْ.

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): مَعْصِيَتُهُ.

(7) فِي نَسْخَةِ (أَصْل، م، غ): مَسْقُطٌ.

(8) التَّقَنَّاظَانِي (الْمُتَوَفَّى: 792 هـ)، شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ، (ص: 99).

(9) فِي نَسْخَتِي (أَصْل، م): الْعُقُوبَةُ.

(10) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 182).

(11) لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمَعْتَبَرَةِ، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ بِرَقْمِ (12145)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ. وَالنَّحَّاسُ

(الْمُتَوَفَّى: 338 هـ) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، يَنْظُرُ: الرَّازِيُّ، ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، (الْمُتَوَفَّى: 327 هـ)، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، (7/

2224)، وَالنَّحَّاسُ (الْمُتَوَفَّى: 338 هـ)، مَعَانِي الْقُرْآنِ، (3/ 473)، وَالْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 182).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: 7]

﴿لَوْلَا﴾ حرفٌ تَخْصِيصٍ،⁽¹⁾ معناها التَّوْبِيخُ على تَرْكِ الْفِعْلِ؛ لدخولها على الماضي. وإنما قالوا ذلك؛ عِنَادًا،⁽²⁾ أو⁽³⁾ لِعَدَمِ اعْتِدَارِهِمْ⁽⁴⁾ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ، أو لِافْتِرَاحِهِمْ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى وَعِيسَى؛ مِنْ انْقِلَابِ الْعَصَا⁽⁵⁾ حَيَّةً، وإحياء الموتى. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ [الرعد: 7] مُخَوِّفٌ لَهُمْ مِنْ⁽⁶⁾ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَنَاصِحٌ لَهُمْ، كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا⁽⁷⁾ الْإِثْنَانُ بِمَا يَنْبُتُ بِهِ نُبُوتُكَ، مِنْ إِظْهَارِ الْمُعْجَزَةِ [أَيِّ مُعْجَزَةٍ]⁽⁸⁾ كَانَتْ. وَالْكُلُّ سَوَاءٌ فِي تِلْكَ الدَّلَالَةِ لَوْلَا الْعِنَادُ، وَبَعْدَ الْعِنَادِ لَا يُفِيدُهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَصْلًا. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7] وَلِكُلِّ أُمَّةٍ نَبِيٌّ يَهْدِيهِمْ بِوَجْهِهِ مِنْ⁽⁹⁾ الْهَدَايَةِ، مَخْصُوصٌ بِمُعْجَزَاتٍ مِنْ جَنْسِ مَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ الْكُلُّ مَخْصُوصًا بِنَوْعٍ وَاحِدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: [إِنَّمَا أَنْتَ]⁽¹⁰⁾ مُنْذِرٌ وَلَسْتَ⁽¹¹⁾ بِقَادِرٍ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَإِثْبَاتِ الْإِيمَانِ فِي صُدُورِهِمْ، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَادِرٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ إِنْ شَاءَ يَهْدِيهِمْ، وَهُوَ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: 8]

تَقْرِيرٌ وَتَوْضِيحٌ لِسَابِقِهِ، يَعْنِي: هُوَ يَعْلَمُ حَمْلَ كُلِّ أُنْثَى؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ مَصْدَرِيَّةً، أَوْ مَا تَحْمِلُهُ كُلُّ أُنْثَى؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، أَيِ: يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُتَرَقِّبَةِ. وَفِيهِ:

(1) فِي الْأَصْلِ: تَخْصِيصٌ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): وَعِنَادًا.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م).

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): اعْتَدَادُهُمْ.

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): الْقَضَاءُ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): فِي.

(7) سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م).

(8) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(9) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): مِنَ الْوُجُوهِ.

(10) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): أَفَأَنْتَ.

(11) فِي نَسْخَةِ (ش): لَسْتُ.

تنبيه على أنه يعلم حالهم، وأن من يؤمن منهم⁽¹⁾ بالمعجزة ومن لا يؤمن⁽²⁾، وأنه قادر على إنزال ما أفتروا، وإنما لم ينزله ليعلمه بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد. ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَادُ﴾ [الرعد: 8] عطف على ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ داخل تحت التقرير والتوضيح. و﴿مَا﴾ محتمل للأمرين، كما عرفت، أي: ويعلم ما تغيضه الأرحام، أي: تنقصه، ﴿وَمَا تَزِدَادُ﴾، أي: تأخذه⁽³⁾ زائداً. وكلاهما⁽⁴⁾ يجبيان لازمين ومتعديين. يقال: غاض الماء وغضته، ومنه: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: 44]، ويقال: زدته فزاد بنفسه⁽⁶⁾ وزاداً. فإن كانا (متعديين) تكون ﴿مَا﴾ فيهما موصولة. وإن كانا (لازمين) تكون مصدرية. وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز؛ لأنهما إن⁽⁷⁾ كانا (متعديين)⁽⁸⁾ كانا لله تعالى على الحقيقة، وإن كانا (لازمين) كانا لما في الأرحام. ومما ينقصه الرحم ويزداده: عدد الولد؛ فإنه يكون واحداً ومتعددًا. ونهاية ما عرف أربعة عند الحنفية. ولذلك قال صاحب الكشاف: "وقد تشتمل⁽⁹⁾ على اثنين⁽¹⁰⁾ وثلاثة وأربعة".⁽¹¹⁾ وسكت عما فوقها. وخمسة عند الشافعية، ولذلك قال البيضاوي: "وقال الشافعي: أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطناً في كل بطن خمسة".⁽¹²⁾ ولا حد له. ويجوز أن يكون أكثر من ذلك، لكن المعلوم عندهما ذلك. ومن جملة ما ينقصه الرحم ويزداده: مدة ولادته؛ فإنها تكون أقل من تسعة أشهر، وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة.⁽¹³⁾ وإلى أربع عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك. وقيل: إن الضحك ولد

(1) في نسخة (ض): بهم.

(2) في نسخة (م): ولا من يؤمن.

(3) في نسخة (غ): ما عده.

(4) في نسخة (ش): أو كلاهما.

(5) في نسخة (ش): وقال.

(6) في نسختي (الأصل، م): نفسه.

(7) سقط من نسختي (الأصل، م).

(8) في نسخة (غ): متقدمين.

(9) في نسخة (ض): يشمل.

(10) في نسختي (الأصل، م): اثني.

(11) الزمخشري، الكشاف، (2/ 515).

(12) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 182).

(13) سقط من نسخة (ض).

لَسَنَتَيْنِ،⁽¹⁾ وَهَرَمَ بَنُ حَيَّانَ⁽²⁾ بَقِيَّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعَ سِنِينَ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ هَرَمًا كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽³⁾ وَمِنْهَا: جَسَدُ الْوَلَدِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَمِنْهَا: الدَّمُ فَإِنَّهُ يَقِلُّ⁽⁴⁾ وَيَكْثُرُ. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8] أَي: وَيَعْلَمُ كُلُّ شَيْءٍ كَائِنٍ عِنْدَهُ بِقَدَرٍ وَحَدٍّ،⁽⁵⁾ لَا يُجَاوِزُهُ وَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ. وَنَحْوَهُ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]

خَبَرَ بَعْدَ خَبَرٍ لِّلَّهِ، أَوْ اسْتِنَافٌ لِلتَّعْلِيلِ، أَوْ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْضِيحِ؛ عَلَى تَقْدِيرِ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ. وَ(الْكَبِيرُ): هُوَ⁽⁶⁾ الْعَظِيمُ الشَّأْنُ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ صَغِيرٌ عِنْدَ عَظَمَتِهِ. وَ(الْمُتَعَالُ): هُوَ الرَّفِيعُ الشَّأْنُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ مَقْهُورٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ.

(1) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): تَسْعِينَ.

وهو الضحاك بن مزاحم البلخي، الهلالي، الخراساني أبو القاسم. مفسر، محدث حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وغيرهم، وكان يؤدب الأطفال. له كتاب في التفسير. والقول المذكور أعلاه منسوب إلى نفسه فيما أخرجه الطبري في تفسيره: عن عبيد بن سليمان أنه قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وما تغيض الأرحام وما تزداد)، (الغيض): النقصان من الأجل، و(الزيادة): ما زاد على الأجل. وذلك أن النساء لا يلدن لعدّة واحدة، يولد المولود لسته أشهر فيعيش، ويولد لسنتين فيعيش، وفيما بين ذلك. قال: وسمعت الضحاك يقول: ولدت لسنتين، وقد نبئت ثناياي. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (5/ 27)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 365).

(2) فِي نَسَخَتِي (الأصل، غ): حَبَان.

وهو هرم بن حَيَّان الْأَزْدِيُّ الْعَبْدِيُّ الْبَصْرِيُّ الزَّاهِد، أَدْرَكَ خَلَافَةَ عُمَرَ وَسَمِعَ أَوْيسَ الْقُرْنِي، وَكَانَ أَكْبَرَ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، رَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ الْوَلَايَاتِ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَاتَ فِي غُرُوةٍ لَهُ لَمْ يَعْلَمْ وَقْتَهُ. ابْنُ حَبَّانَ، (المتوفى: 354هـ)، الثقات، (5/ 513).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 515).

(4) فِي نَسَخَتِي (م، غ): قِيلَ.

(5) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

(6) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: 10]

تقرير لكونه عالم الغيب والشهادة. ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: 10] أي: سواءٌ عنده من طلب الخفاء في مخْتَبِئاً بالليل، في ظلمته،⁽¹⁾ ومن يبرز⁽²⁾ ويتحرك في الطُّرُق ظاهراً بالنهار، في ضوءه؛ من (سَرَبَ سُروباً)، إذا ذهب. وقوله ﴿سَارِبٌ﴾ عطف على ﴿مَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ﴾؛ لأن الاستواء إنما يكون بين الإثنين. ويجوز أن يُعطف على ﴿مُسْتَخَفٌّ﴾ باعتبار أن في ﴿مَنْ﴾ يُلحظ معنى الإثنين، كقوله:

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ؟⁽³⁾

كانه قيل: سواءٌ منكم اثنان: مُسْتَخَفٌّ بالليل وسارِبٌ بالنهار.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ [الرعد: 11]

الضَّمِيرُ في ﴿لَهُ﴾ له ﴿مَنْ﴾، كأنه قيل: لمن أسَرَ ومن جَهَرَ ومن استخفى ومن سَرَبَ مُعَقِّبَاتٌ، أي: جماعات من الملائكة تَعَقِّبُ⁽⁴⁾ في حِفْظِهِ. والأصل: مُعَقِّبَاتٌ،⁽⁵⁾ فأدغمت التاء في القاف كقوله: ﴿رَجَاءَ الْمَعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: 90] [بمعنى الْمُعَذِّرُونَ].⁽⁶⁾ ويجوز أن يكون من (النَّقِيلِ)؛ من (عَقْبُهُ)، إذا جاء على عَقْبِهِ؛ لأن بعضهم يُعَقِّبُ بعضاً، أو لأنهم يُعَقِّبُونَ ما يَتَكَلَّمُونَ⁽⁷⁾ به فيكُتَبُونَهُ. ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

(1) في الأصل: ظلمة.

(2) في نسختي (الأصل، م): برز.

(3) الشعر للفرزدق من الطويل:

(تَعَشَّ فَإِنْ وَاقْتَنِي لَا تَخَوَّنِي * نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ)

الفرزدق (المتوفى 110هـ)، أبي فراس همّام بن غالب بن صعصعة ابن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م، (ص: 628)، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، (2/ 416)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 516).

(4) في نسخة (ض): يعقب، وفي باقي النسخ: يعقب، وأثبت (تعقب) لأنه أصح.

(5) في نسخة (ش): معقبات.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسختي (ض، غ).

(7) في نسخ (ش، ض، غ): يتكلم.

وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿[الرعد: 11] أَي: من جوانبه، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11] أَي: من بَاسِهِ وَنِقْمَتِهِ إِذَا أذْنَبَ، باستغفارهم له؛ رجاء أن يتوب، أو يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَجْلِ أَمْرِ اللَّهِ، أَي: من أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِحِفْظِهِ. وَفَرَى (يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ).⁽¹⁾ ويجوز أن يكون ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ صفةً ثانيةً لـ ﴿مُعَقَّبَاتٌ﴾ دُونَ صَلَٰةٍ لـ ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ [الرعد: 11]

من العافية والنِّعْمَةِ؛ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11] من الأحوال الجميلة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: 11] فلا رَدَّ له. ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ﴾ [الرعد: 11] مِمَّنْ يَلِي ⁽²⁾ أَمْرَهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ. وفيه دليلٌ على: أَنَّ خِلافَ مرادِ اللَّهِ مُحَالٌ، خِلَافًا للمعتزلة.⁽³⁾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوًّا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: 12]

وهو أَنَّ وَقوعَ الصَّوَاعِقِ ⁽⁴⁾ مُحْتَمَلٌ عِنْدَ الْبَرْقِ فَيُخَافُ مِنْهُ، وَيُطْمَعُ أَيْضًا فِي الْغَيْثِ عِنْدَهُ. قال أبو الطَّيِّبِ:

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى * يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا ⁽⁵⁾ وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ. ⁽⁶⁾

(1) قراءة شاذة: (يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ) نُسبت إلى علي بن أبي طالب، وابن عباس -رضي الله عنهما-، وعكرمة، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد. ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/355).

(2) في نسخة (غ): بل.

(3) عند أهل السنة: الله خلق الكفر والمعاصي، وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك، فقد وجب أنه مريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريده، وأنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله تعالى من اكتساب العباد ما لا يريده. فمن قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَشَأْ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي، فَإِنَّ ذَلِكَ مَقْتَضَاهُ أَنَّ اللَّهَ عَاجِزٌ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وعند المعتزلة حتى الطاعات لم تقع بمشيئته سبحانه؛ لأنَّ أفعال العباد -عندهم- طاعتهم ومعصيتهم كُلُّها واقعةٌ بِمَحْضِ مَشِيئَتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ دُونَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ. ينظر: الأشعري (المتوفى: 324هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، (ص: 170)، والكلوذاني، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن الحنبلي (510 هـ)، شرح القصيدة الدالية، شرح: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، عناية: ياسر بن سعد بن بدر العسكر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م، (ص: 95)، والهمذاني، القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 301-302، 332).

(4) في نسخة (غ): أَيْضَ أَحَقَّ.

(5) في نسختي (الأصل، م): منه.

(6) الشعر للمتنبّي قاله مدحاً للحسين بن إسحاق التتوخي من الطويل:

وقيل: يَخَافُ⁽¹⁾ الْمَطَرُ مَنْ لَهُ فِيهِ ضَرَرٌ، وَيَطْمَعُ⁽²⁾ مَنْ لَهُ فِيهِ نَفْعٌ. وانتصابُهُما على المفعولِ له،⁽³⁾ بتقدير (الإرادة)؛ ليكونَ فِعْلاً لفاعلِ الفِعْلِ الْمُعْلَلِ، فيصحُّ نَصْبُهُ بتقدير (اللام)، أو بجعلِهِما بمعنى الإِخَافَةِ⁽⁴⁾ والإِطْمَاعِ. ويجوز أن يكونَا خَالَيْنِ عن ﴿الْبَرْقِ﴾، أو من ضميرِ المخاطَبَيْنِ، بتقدير (ذو) أو (ذوي) في الاحتمالين، أو بجعلِهِما بمعنى المفعولِ، أو الفاعِلِ. ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12] السَّحَابُ: اسمُ جنسٍ، فيه معنى الجَمْعِ، ولذلك وُصِفَ بـ(الثِّقَالِ)، وهي: جمعُ ثَقِيلَةٍ، وإنما وُصِفَ بـ(الثِّقَالِ)؛ لكونِهَا ثَقِيلَةً بالماءِ.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: 13]

أي: سَامِعُوهُ من العِبَادِ الرَّاجِينَ⁽⁵⁾ لِلْمَطَرِ، حَامِدِينَ لَهُ، أي: يَصْجُونَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، كذا في الكَشَافِ. ⁽⁶⁾ قال البيضاوي: "أَوْ يَدُلُّ الرَّعْدُ بِنَفْسِهِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، مُلْتَبِسًا بِالذَّلَالَةِ عَلَى فَضْلِهِ وَنُزُولِ رَحْمَتِهِ. وعن ابن عباس رضي الله عنه: سُئِلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الرَّعْدِ، فَقَالَ: «مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا⁽⁷⁾ السَّحَابَ». ⁽⁸⁾ ﴿وَالْمَلِكُ مِنَ خِيفَتِهِ﴾

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * * يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق.

المتنبي (المتوفى 354هـ) ديوان المتنبي، (ص: 77).

الزمخشري، الكشاف، (2/ 518).

(1) في نسختي (الأصل، م): خاف.

(2) في نسختي (الأصل، م): نطمع.

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) في نسختي (ش، ض): الإضافة.

(5) في نسخة (غ): الراضي.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 518).

(7) في نسختي (الأصل، م): به.

(8) أخرج نحوه الترمذي في سننه (294/ 5)، برقم (3117) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده (4/ 285)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وذكر القصة فيه: قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ - أَوْ فِي يَدِهِ - مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ». وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط وآخرون): حديث حسن دون قصة الرعد، فقد تفرد بها بكير بن شهاب، وهو لم يرو عنه سوى اثنين. والنسائي في السنن الكبرى (8/ 218)، في باب (كَيْفَ تُؤْنِتُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ يُذَكِّرُ الرَّجُلُ) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا أَبَا

[الرعد: 13] وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَبَيْتِهِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلرَّعْدِ. ﴿وَيُرْسَلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾
 [الرعد: 13] فَتَهْلِكُهَا⁽¹⁾ ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الرعد: 13] الْجَدَلُ: التَّشَدُّدُ فِي الْخُصُومَةِ، وَالْوَاوُ
 لِلْعَطْفِ، مِنْ قَبِيلِ عَطَفِ الْجُمْلَةِ [على الْجُمْلَةِ]⁽²⁾، أَي: وَهُمْ يُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا
 يَصِفُهُ بِهِ مِنْ: كَمَالِ الْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالتَّقَرُّدِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَإِعَادَةِ النَّاسِ، وَمَجَازَاتِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاوُ
 الْحَالِ، أَي: ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فِي⁽³⁾ حَالِ جِدَالِهِمْ. وَذَلِكَ أَنْ أُرْبَدَ⁽⁴⁾ -أخا لبيد بن ربيعة⁽⁵⁾

الْقَاسِمِ «سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَأَمَّا بِكَ» وَمِنْ جُمْلَةٍ أَسْأَلْتَهُمْ: فَأَخْبَرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟
 قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»، كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ
 اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ بَكِيرِ بْنِ شَهَابٍ بِهِ.
 (1) فِي نَسَخِ (ش، ض، غ): يَهْلِكُهُ.
 (2) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).
 (3) فِي نَسَخَةِ (غ): مِنْ.
 (4) فِي الْأَصْلِ: أُرِيدَ.

وَهُوَ أُرْبَدُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَزْءِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَخُو لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ لِأُمِّهِ،
 وَهُوَ الَّذِي صَارَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ لِيَقْتُلَاهُ، فَهَلَكَ عَامِرُ فِي رَجُوعِهِ بِالْغَدَةِ وَأَصَابَتْ أُرْبَدَ
 صَاعِقَةٌ فَهَلَكَ. الْأَمْدِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشَرَ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ فِي أَسْمَاءِ الشُّعْرَاءِ، تَحْقِيقُ:
 ف. كَرْنَكُو، دَارُ الْحَيْلِ، بَيْرُوتَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1411 هـ - 1991 م، (ص: 29).
 (5) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): زَمْعَةٌ.

العامري⁽¹⁾ - قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حِينَ وَقَدَ عَلَيْهِ مَعَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ⁽²⁾ قَاصِدَيْنِ⁽³⁾ لِقَتْلِهِ، فَأَخَذَهُ عَامِرٌ بِالْمِجَالِدَةِ، وَدَارَ أَرْبَدُ مِنْ خَلْفِهِ لِيَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ، فَتَنَبَّهَ لَهُ الرَّسُولُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا⁽⁴⁾ بِمَا شِئْتَ»، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فَقَتَلَتْهُ،⁽⁵⁾ وَرَمَى عَامِرًا⁽⁶⁾ بِغُدَّةٍ،⁽⁷⁾ فَمَاتَ فِي بَيْتِ

(1) وهو لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو عَقِيلٍ الْعَامِرِيُّ، كَانَ شَاعِرًا مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ، وَفَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ وَفَدَ قَوْمَهُ بَنُو جَعْفَرٍ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ. ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م، (4/ 482)، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م، (7/ 248).

(2) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري (المتوفى 11هـ)، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر مناديا في (عكاظ) ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟ وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجزؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فردده، فعاد حنقا، وسمعه أحدهم يقول: لأملأها خيلاً جرذاً ورجالاً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وهو ابن عم لبيد الشاعر. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م، (3/ 252).

(3) في نسخة (غ): قاصدي.

(4) في نسخة (م): اكْفِنِيهَا.

(5) في نسخ (م، ش، غ): فقتله.

(6) في الأصل: عامر.

(7) في نسخ (الأصل، م، ض): بقدة.

سَلُولِيَّةٍ⁽¹⁾ فكان يقول - غُدَّة كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وموت في بيت سَلُولِيَّةٍ⁽²⁾ فَنَزَلَتْ⁽³⁾ كذا في تفسير البيضاوي.
⁽⁴⁾ ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: 13] يُقال: مَحَلٌ بِفُلَانٍ، إذا كَادَهُ وَسَعَى به إلى السُّلْطَانِ، ومنه الحديث: «وَلَا تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاحِلًا»⁽⁵⁾ مُصَدِّقًا⁽⁶⁾، يعني أَنَّهُ شَدِيدُ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ لِأَعْدَائِهِ، يَأْتِيهِمْ بِالْهَلَكَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ. وَفُرى بفتح الميم⁽⁷⁾ على أَنَّهُ (مَفْعَلٌ) من: (حَالَ يَحُولُ مَحَالًا)، إذا احْتَالَ. ومنه: أَحُولُ

⁽¹⁾ قبيلة سلول: قبيلة من هوازن، من العدنانية، وهم: بنو مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن، انتسبوا إلى أهم سلول، وهي أُنْبَة ذُهل بن شَيْبَان ابن ثعلبة. كانوا يسكنون إفريقية الشمالية. أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: 328هـ)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ، (3/306)، وكحالة، عمر بن رضا الدمشقي (المتوفى: 1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1414 هـ - 1994 م، (2/539-540).

⁽²⁾ وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فلجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها. ابن عبد ربه (المتوفى: 328هـ)، العقد الفريد، (3/68).

⁽³⁾ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/276)، والواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م، (ص: 272).

⁽⁴⁾ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/183).

⁽⁵⁾ في نسخة (ش): محالاً.

⁽⁶⁾ قال الزيلعي (المتوفى: 762هـ) في تخريج أحاديث الكشاف: قلت: غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَالَّذِي وَجَدْتُهُ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدِّقٌ»، رُويَ من حديث جَابِرِ وَأَنَسٍ وَعَنَ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَحَدِيثُ جَابِرٍ رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ قَادَهُ إِلَى النَّارِ». ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مغبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ترتيب: ابن بلبان (المتوفى: 739 هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م، (1/332)، والزيلعي (المتوفى: 762هـ)، تخريج أحاديث الكشاف، (2/187).

الزمخشري، الكشاف، (2/519).

⁽⁷⁾ قراءة شاذة: (وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ) بفتح الميم، نسبها ابن خالويه وابن جَنِّي إلى الأعمش. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 71)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجهه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/356).

مِنْ ذَنْبٍ، أَي: أَشَدَّ حِيلَةً. ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقر، ويكون مثلاً في القوة والقُدرة، كما جاء: «فَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ، وَمُؤَاسَاةُ (1) أَحَدُ». (2)

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: 14]

الحَقُّ: إمَّا (3) نَقِيضُ الْبَاطِلِ، أَوْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ. وعلى الأول معنى: له دَعْوَةٌ مُلَابِسَةٌ لِلْحَقِّ، أَي: الدُّعَاءُ الَّذِي يَحِقُّ أَنْ يُسْتَجَابَ، أَوْ الَّذِي يَحِقُّ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْعَى بِهِ. وعلى الثاني معنى: له دعوة المدعو الحَقُّ يَسْمَعُ فَيُجِيبُ. وعن الحسن: "الحَقُّ هو الله"، وكلُّ دُعَاءٍ (4) إِلَيْهِ ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، كذا في الكشف. (5) وفي الكلام وعيدٌ للمُجَادِلِينَ فِي اللَّهِ بِالْهَلَاكِ، وَوَعْدٌ لِلرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِمْ. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ﴾ [الرعد: 14] (الموصول) عبارة عن الأصنام وما تعبده الكفرة، وعائده

(1) في نسخ (الأصل، م، ض، غ): مؤاساة.

(2) روى الإمام أحمد في مسنده (25/ 223) برقم (15888): عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْأَخْوَصِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا قَشِيفُ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مَالٌ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَذَكَرَ قِصَّةَ فِيهَا قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ، وَمُؤَاسَى اللَّهِ أَحَدُ» وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط وآخرون): إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأخرجه الطبري في تفسيره (11/ 122) برقم (12826) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد. وأخرج نحوه مطولاً ومختصراً الطيالسي (2/ 637) برقم (1399)، وابن حبان في صحيحه (12/ 432) في بابِ الْمُثَلَّةِ برقم (5615)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 277)، برقم (608)، والحاكم في المستدرک (4/ 201) في كتاب اللباس باب: وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برقم (7364)، و(1/ 76) برقم (65)، والبيهقي في الأسماء (2/ 175) من طرق عن شعبة، به. وصححه الحاكم. ينظر: الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (المتوفى: 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999 م، (2/ 637)، والنيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، (4/ 201)، البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1993 م، (2/ 176).

وأخرج الترمذي بعض القصة (دون عبارة: وَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ، وَمُؤَاسَى اللَّهِ أَحَدُ) في سننه (4/ 364) في باب: مَا جَاءَ فِي الْإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ برقم (2006)، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأبو داود (4/ 51) برقم (4063)، والنسائي في السنن الكبرى (8/ 388) في كتاب الزينة برقم (9484)، كلهم من طريق أبي إسحاق به.

(3) في نسخة (غ): ما.

(4) في نسخة (غ): دعاه.

(5) الزمخشري، الكشف، (2/ 521).

محذوف، أي: الآلهة الذين تدعوهم الكفرة من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم. ويجوز أن يكون⁽¹⁾ عبارة عن المشركين، ويكون الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ عائداً والمفعول محذوفاً بقرينة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾، أي: المشركون الذين يدعون الأصنام لا يستجيبون لهم. ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ﴾ [الرعد: 14] استثناء مفرغ، في موضع المصدر، أي: إلا استجابة كاستجابة من بسط كفي، ﴿إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ [الرعد: 14]؛ لأنه جماد لا يقدر على إجابته، وكذلك الأصنام، لا يقدرُونَ على الإجابة. وقيل: شَبَّهُوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه، فبسطها ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً، ولم يبلغ طلبته من شربه. ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: 14] إلا في ضياع وخسار؛ لأنهم إن دعوا الله [لم يجبههم]،⁽²⁾ وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم، كذا في الكشف.⁽³⁾ وهو مُنافٍ لما قيل: إنه سبحانه يجيب دعوة الكفار أسرع من دعوة المؤمنين كراهة سماع دعاءهم،⁽⁴⁾ فالوجه: أن يقال: إنهم لا يدعون إلا ما لا⁽⁵⁾ ينفعهم في الآخرة، بل كان مطمح نظرهم الأمور الدنيئة الفانية، فيكون دعاؤهم في ضلال وخسار في الحقيقة.

(1) في نسختي (الأصل، م): تكون.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش، ض).

(3) الزمخشري، الكشف، (2/ 521).

(4) حديث ضعيف: أخرج الحارث بن أبي أسامة في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (2/ 966) برقم (1068)، عن أبي الزبير، عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن جبريل موكَّل بِحَاجَاتِ الْعِبَادِ، فَإِذَا دَعَاهُ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ: يَا جَبْرِيلُ احْبِسْ حَاجَةَ عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أُحِبُّهُ، وَأُحِبُّ صَوْتَهُ، وَإِذَا دَعَاهُ الْكَافِرُ قَالَ: يَا جَبْرِيلُ اقْضِ حَاجَةَ عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْغِضُهُ وَأَبْغِضُ صَوْتَهُ. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (12/ 370) برقم (9562)، وقال المحقق: إسناده ضعيف، الحسن بن قتيبة هو المدائني الخياط ضعيف الحديث ولم يوثقه أحد. ولم أقف على من خرجه بهذا الوجه. ينظر: الحارث، ابن أبي أسامة، أبو محمد بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب (المتوفى: 282هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 - 1992، (2/ 966)، والبيهقي (المتوفى: 458هـ)، شعب الإيمان، (12/ 370).

(5) سقط من نسخة (م).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: 15]

أي: يَنْقَادُونَ لِأَحْذَابِ مَا أَرَادَهُ⁽¹⁾ فيهم من أفعاليه؛ شَاءُوا أو أَبَوْا، لا يقدرُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا عليه.⁽²⁾ قال البيضاوي: "يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ السُّجُودُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ ﴿طَوْعًا﴾، حَالَتِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْكَفَرَةُ ﴿كَرْهًا﴾، حالة⁽³⁾ الشَّدَّةِ وَالضَّرُورَةِ،"⁽⁴⁾ انتهى. فعلى هذا يكون⁽⁵⁾ الْحُكْمُ عَلَى الْمَجْمُوعِ، لا على كُلِّ فَرْدٍ، بخلافِ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنَّهُ حُكْمٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ، كما هو مُفْتَضَى الظَّاهِرِ مِنَ الْكَلَامِ. ﴿وَزَلَّلْنَاهُمْ﴾ [الرعد: 15] أي: يَنْقَادُ لَهُ ظِلَالُهُمْ أَيْضًا، وهو قَبُولُهُمْ⁽⁶⁾ الْإِمْتِدَادَ وَالتَّقْلِيصَ عَلَى وَفْقِ مَشِيئَتِهِ بِمَقْتَضَى اخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَتَقَاوُتِ الْأَقَالِيمِ. وَلَوْ جُعِلَ السُّجُودُ عَلَى حَقِيقَتِهِ⁽⁷⁾ يَكُونُ سَجُودُ الظَّلَالِ⁽⁸⁾ بِالتَّبَعِيَّةِ وَالْعَرَضِ. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: 15] مُتَعَلِّقٌ بـ﴿يَسْجُدُ﴾، أو ظَرْفٌ مُسَنَّقَرٌ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ عَنْ⁽⁹⁾ ﴿ظِلَالُهُمْ﴾، فِي مُقَابَلَةِ ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، والمرادُ بهما⁽¹⁰⁾ الدَّوَامُ، لَا خُصُوصُ الْوَقْتِ.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: 16]

أَمَرَهُ بِالْجَوَابِ بَعْدَ أَمْرِهِ بِالسُّؤَالِ؛ إِشْعَارًا⁽¹¹⁾ بِأَنَّهُ الْمُتَعَيَّنُ فِي الْجَوَابِ، وَلَا جَوَابَ لَهُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، أو المراد: تَلْقِينُ الْجَوَابِ لِلتَّعْلِيمِ. ﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الرعد: 16] الهمزةُ لِلإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالْفَاءُ لِلْعُطْفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَبَعَدَ ذَلِكَ الْعِلْمِ اتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ؟ ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد:

(1) في نسخة (ش): أراد.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 521).

(3) في نسختي (ش، ض): حالتني.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 184).

(5) في نسخة (م): يكون هذا.

(6) في نسخة (غ): قولهم.

(7) في نسخة (غ): صيغته.

(8) في نسختي (الأصل، م): الظلالي.

(9) سقط من نسختي (الأصل، م).

(10) في نسخ (الأصل، م، غ): بها.

(11) في نسخة (ش): إشعار.

[16] صفة لـ ﴿أُولِيَاءَ﴾، وفيها إشعار⁽¹⁾ بعلّة الإنكار. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: 16] أي: المُشْرِكُ والمُوحِدُ. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16] تزييد بين الإنكارين، مع الإضراب. و(الظُّلُمَاتُ): الشِّرْكُ بأنواعه، و(النُّورُ): التَّوْحِيدُ. وقرئ (يَسْتَوِي) بالياء؛⁽²⁾ لأنّ تأنيث (الظُّلُمَاتِ) غير حقيقي. ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ [الرعد: 16] ﴿أَمْ﴾ في المَوْضِعَيْنِ مُنْقَطِعَةٌ،⁽³⁾ ومعنى الهمزة فيها: الإنكار،⁽⁴⁾ وجملة ﴿خَلَقُوا﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَاءَ﴾. ﴿فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: 16] بِسَبَبِ أَنَّ الشُّرَكَاءَ أَيْضاً لَهَا خَلْقٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا خَلْقٌ، وَلَمْ⁽⁵⁾ يَتَشَابَهْ عَلَيْهِمُ الْخَلْقُ، فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ سُبْحَانَهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ خَلْقٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى خَلْقِ بَعْضَةٍ؟ ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16] وَمِنْ جُمْلَتِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَاخْتَجَبَتِ الْأَشَاعِرَةُ⁽⁶⁾ بِهِ⁽⁷⁾ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُ الْخَلْقِ إِلَى الْعَبْدِ؛ لِأَنَّ شَيْئاً وَاحِداً لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقاً لِخَالِقَيْنِ.⁽⁸⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "أَي: لَا خَالِقَ غَيْرَ اللَّهِ."⁽⁹⁾ وَهُوَ خِلَافُ مَا اعْتَقَدَهُ الْمُعْتَزَلَةُ مِنْ أَنَّ الْعَبْدَ خَالِقٌ لِأَعْمَالِهِ،⁽¹⁰⁾ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَقْصُودَهُ

(1) في نسخة (ض): إشكار.

(2) في نسخة (ش): (تستوي) بالتاء. قراءة متواترة: قرأ، عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي وخلف (أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ) بالياء. وقرأ الباقر (تَسْتَوِي) بالتاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 358). والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 255).

(3) في نسخة (غ): منعطفة.

(4) في نسختي (الأصل، م): للإنكار.

(5) في نسختي (الأصل، م): لم.

(6) قال الجويني: "الربُّ سُبْحَانَهُ متفردٌ بخلق المخلوقات، فلا خالق سواه، ولا مبدع غيره، وكل حادث فالله تعالى محدثه. وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: المحدثون أفعالهم بقدرهم ويخلقونها، والربُّ سُبْحَانَهُ وتعالى غير موصوف بالاعتقاد على أفعال العباد. والدليل على تفرد الرب تعالى بالخلق قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17]، وَجِهَ الْإِسْتِدْلَالُ بِالْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَمْدَحُ بِالْخَلْقِ وَأُثْنَى عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، وَلَوْ شَارَكَهُ فِيهِ غَيْرُهُ لِبَطَلَتِ فَائِدَةُ التَّمْدَحِ وَكَذَلِكَ يَسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: 102] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: 16]. الجويني، (المتوفى: 478هـ)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، (ص: 121).

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) في نسختي (الأصل، م): بخالقين.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 522).

(10) ينظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي (المتوفى: 415هـ)، الأصول الخمسة، تحقيق: فيصل بدير عون، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، الطبعة الأولى، 1998م، (ص: 77).

أَنَّ (1) الخَلْقَ لَا يُسْنَدُ إِلَى غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ خَالِقًا لِفَعْلِهِ، كَمَا هُوَ رَأْيُ الْأَوَائِلِ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ عَلَى مَا قَالَ النِّقَاتَزَانِي فِي شَرْحِهِ لِلْعَقَائِدِ: (2) "وَكَانَتِ الْأَوَائِلُ مِنْهُمْ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظِ (الْخَالِقِ) عَلَى الْعَبْدِ، وَيَكْتَفُونَ بِلَفْظِ (الْمُوجِدِ) وَ(الْمُخْتَرِعِ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ،" (3) انتهى. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُفِيدٍ (4) فِي مَقَامِ الاستِدْلَالِ، وَالْمَقَامِ مَقَامِ الاستِدْلَالِ عَلَى عَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِلْعِبَادَةِ (5) بِعَدَمِ تَحَقُّقِ الْخَالِقِيَّةِ (6) فِيهِمْ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي الْخَلْقِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكَ فِي الْعِبَادَةِ." (7) ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: 16] كَمَا يُفْهَمُ مِنْ سَابِقِهِ.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الرعد: 17]

قَدْ سَبَقَ مَعْنَاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. (8) ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17] أَي: فَسَالَتْ (9) أَنْهَارٌ بِمَقْدَارِهَا، بَلَا إِفْرَاطٍ وَتَقْرِيطٍ. وَ(الْأَوْدِيَةُ) فِي الْأَصْلِ: جَمْعُ (وَادٍ)، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَسِيلُ الْمَاءُ فِيهِ بكَثْرَةٍ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْمَاءِ الْجَارِي فِيهِ اتِّسَاعًا. ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [الرعد: 17] فَرَفَعَ السَّيْلُ فَوْقَهُ زَبَدًا عَالِيًا مِنْ بَاطِنِهِ. ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ نَارٍ﴾ [الرعد: 17] ﴿مِنْ﴾ لِلْإِبْتِدَاءِ، وَيَحْتَمِلُ التَّبْعِيضَ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يُوقِدُونَ﴾ لِلنَّاسِ الْمَعْلُومِ مِنَ السِّيَاقِ. وَفُرِيَ (تُوقِدُونَ) عَلَى الْخَطَابِ. (10) وَ﴿مَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ يَغُمُّ أَنْوَاعَ الْفُلْزِ (11) مِنَ الْفِضَّةِ، وَالذَّهَبِ، وَالنُّحَاسِ، وَغَيْرِهَا.

(1) فِي نَسْخَةِ (ش): لِأَنَّ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): لِلْعَنَاءِ.

(3) النِّقَاتَزَانِي (الْمُتَوَفَّى: 792 هـ)، شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ، (ص: 54-55).

(4) فِي نَسْخِ (ش، ض، غ): مَقِيدٌ.

(5) فِي نَسْخَتِي (ش، غ): لِلْعِبَادِ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): الْخَالِقِ.

(7) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 522).

(8) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: 22]، يَنْظُرُ: عَبْدُ الْبَاقِي التَّبْرِيزِيُّ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، نَسْخَةٌ مَصْرُورَةٌ (لَوْحٌ رَقْمٌ 27).

(9) فِي نَسْخَةِ (ش): فَسَارَتْ.

(10) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ عَاصِمٌ فِي رَوَايَةِ حَفْصٍ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلَفَ (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ) بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (تُوقِدُونَ) بِالتَّاءِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَّى: 324 هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 358-359)، وَالنِّيسَابُورِيُّ (الْمُتَوَفَّى:

381 هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 255).

(11) فِي جَمِيعِ النُّسَخِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا: الْفُلْزُ.

و﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ مفعولٌ له لـ﴿يُوقَدُونَ﴾؛ فَإِنَّ الإِيقَادَ عَلَيْهَا فِي النَّارِ إِنَّمَا يَكُونُ طَلَبًا لِلْحُلِيِّ،⁽¹⁾ أَوْ لِلأَمْتِعةِ، كالأواني، وآلاتِ الحَرْبِ والحَرْبِ. والمقصودُ: أَنَّ⁽²⁾ الماءَ والفِلْزَ⁽³⁾ مع نفعيهما يَشْتَمِلَانِ عَلَى رَبِّدٍ لَا نَفْعَ فِيهِ، وكذا حُكْمُ الْإِنْسَانِ، فِيهِ: نَافِعٌ وَغَيْرُ نَافِعٍ. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: 17] فَمَثَلُ الْحَقِّ وَأَهْلُهُ بِالماءِ الَّذِي يَنْزِلُ⁽⁴⁾ مِنَ السَّمَاءِ فِي نَفْعِهِ، وَبِالفِلْزِ⁽⁵⁾ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ،⁽⁶⁾ وَمَثَلُ الْبَاطِلِ بِالرَّبِّدِ الَّذِي لَا نَفْعَ فِيهِ. وفيه: (7) إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْحَقَّ مُخْتَلَطٌ بِالْبَاطِلِ، لَا يَتَمَيَّزُ عَنْهَا إِلَّا بِتَدْبِيرِ الشَّارِعِ، كَمَا أَنَّ صَوْغَ الْحُلِيِّ⁽⁸⁾ وَاتِّخَاذَ الْأَوَانِي مِنَ الْفِلْزِ⁽⁹⁾ إِنَّمَا يَكُونُ بِفِعْلِ الصَّائِغِ.⁽¹⁰⁾ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: 17] يَجْفَأُ⁽¹¹⁾ السَّيْلُ، نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَفُرَى (جُفَالًا)،⁽¹²⁾ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. يُقَالُ: أَجْفَأَ السَّيْلُ وَأَجْفَلَ بِمَعْنَى. وَالْمَعْنَى: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَرْمِي بِهِ السَّيْلُ فَيَصِيرُ ضَائِعًا. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17] كالماءِ وَخُلَاصَةِ الْفِلْزِ فَلَا يَصِيرُ ضَائِعًا كَالزَّبَدِ. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾⁽¹³⁾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ⁽¹⁴⁾ [الرعد: 17-18]

أي: هما مَثَلَانِ لِلْفَرِيقَيْنِ، أي: الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ. و﴿الْحُسْنَى﴾ فِي مَوْضِعِ النَّضْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ، أي: اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْإِسْتِجَابَةَ الْحُسْنَى، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ ﴿لِلَّذِينَ﴾ مُتَعَلِّقًا بِ﴿يَضْرِبُ﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ عَنْ ﴿الْحُسْنَى﴾ عَلَى تَقْدِيرٍ: لَهُمُ الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لِلْحَلِ.

(2) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(3) فِي نَسْخِ (الأَصْل، م، ش، ض): وَالْفِلْزُ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): الْعِلَّةُ.

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): نَزَلَ.

(5) فِي نَسْخَةِ (ض): بِالْفِلْزِ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): وَبِالْعِلَّةِ.

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(7) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(8) فِي نَسْخَةِ (غ): الْحَلِ.

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): الْغَلَقَةُ.

(10) فِي نَسْخِ (الأَصْل، م، ش): الصَّائِغِ.

(11) فِي نَسْخَةِ (ش): يَجْفَأُ.

(12) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (جُفَالًا) بِاللَّامِ، نَسَبَتْ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ وَبَعْضِ التَّفَاسِيرِ إِلَى رُؤْيَا بَنِ الْعِجَاجِ. يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمَتَوَفَى: 370هـ)، مَخْتَصَرٌ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 71)، وَالزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 523)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ (الْمَتَوَفَى: 542هـ)، الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ، (3/ 308)، وَالرَّازِيُّ (الْمَتَوَفَى: 606هـ)، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ، (19/ 31).

يَسْتَجِيبُوا ﴿مبتدأ وخبره جملة: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتَدُوا بِهِ﴾ [الرعد: 18] قد سبق تفسيره، وهو على الاحتمال الأول كلام مبتدأ، استئناف لبيان ما لغير المستجيبين. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 18] وهو أن يحاسب الرجل بذنبه لا يُغفر منه شيء. ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الرعد: 18] وبئس المستقر جهنم، على حذف المخصوص بالذم.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: 19]

الهمزة للإنكار، والفاء للترتيب والتعقيب، والمقصود: ⁽¹⁾ إنكار التشابه بين من يعلم ويستبصر ذلك، وبين من لم يستبصره بعد ما ضرب من المثل. والمراد بـ(الأعمى): عمى القلب. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ﴾ [الرعد: 19] تقرير وتوضيح لسابقه.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 20]

أي عهد كان، ومن جملة ما ذكر في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172]. ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: 20] الذي بينهم وبين العباد. ويجوز أن يراد: مطلق الميثاق، على التعميم بعد التخصيص.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: 21]

من الأرحام، والقربات، وبالجملة مراعاة حقوق الناس. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21] تخصيص بعد تعميم؛ لأن خشية الرب عبارة عن خشية وعيده، ومن جملة سوء الحساب. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الرعد: 22] عن الشهوات، وعلى المكاري، ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22] طلباً لرضاه بلا مخالطة سمعة ورياء. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الرعد: 22] خصص البيضاوي الصلاة بالمفروضة، والإنفاق بالإنفاق الواجب. قال صاحب الكشاف: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحلال؛ لأن

(1) في نسخة (ش): مقصود.

الحَرَامُ لَا يَكُونُ رِزْقًا وَلَا يُسْنَدُ إِلَى اللَّهِ،⁽¹⁾ انتهي.⁽²⁾ وعند الأشاعرة وإن كان الرِّزْقُ أَعْمٌ مِنَ الْحَلَالِ⁽³⁾ لَكِنْ لَا بَدَّ فِي الْإِنْفَاقِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَلَالِ؛ لِأَنَّ الْحَرَامَ لَا يُبْرَى الدِّمَّةَ. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: 22] قَيِّدٌ لِلْإِنْفَاقِ عِنْدَ الْبِيضَاوِيِّ، حَيْثُ قَالَ: "﴿سِرًّا﴾ لِمَنْ لَمْ⁽⁵⁾ يُعْرِفْ بِالْمَالِ، ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لِمَنْ عُرِفَ بِهِ."⁽⁶⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "يَتَنَوَّلُ النَّوَافِلَ؛ لِأَنَّهَا فِي السِّرِّ أَفْضَلُ، وَالْفَرَائِضَ لِرُجُوبِ الْمُجَاهِرَةِ بِهَا نَفْيًا لِلتُّهْمَةِ."⁽⁷⁾ وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ جَعَلَهُمَا قَيِّدَيْنِ لِلْإِنْفَاقِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ مَعًا. ﴿وَيَذَرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22] يَذْفَعُونَ بِهَا السَّيِّئَةَ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22] أَي: عُقْبَى دَارِ الدُّنْيَا، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَالْجُمْلَةُ⁽⁸⁾ خَيْرُ الْمُوصُولَاتِ. وَإِنْ جُعِلَتِ الْمُوصُولَاتُ صِفَاتٍ لـ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ.

﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: 23]

بَدَلٌ مِنْ ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾، وَالْعَدْنُ: الْإِقَامَةُ، وَقِيلَ: هُوَ بُطْنَانُ⁽⁹⁾ الْجَنَّةِ.⁽¹⁰⁾ ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الرعد: 23] عَطَفَ عَلَى الْمَرْفُوعِ الْمُسْتَتَرِّ فِي ﴿يَدْخُلُونَ﴾، وَيَجُوزُ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْفَاصِلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (الْوَأُ) بِمَعْنَى (مَعَ). قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَلْحَقُ بِهِمْ مَنْ صَلَحَ مِنْ أَهْلِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ فَضْلِهِمْ، تَبَعًا لَهُمْ، وَتَعْظِيمًا لِشَأْنِهِمْ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدَّرَجَةَ تَعْلُو بِالشَّفَاعَةِ،

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): أُبِيَهُ.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 526).

(3) عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ: الْحَرَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رِزْقًا، يَنْظُرُ: الْهَمْذَانِيُّ، الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ، (ت: 415هـ)، شَرْحُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ، (ص: 787).

(4) عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ: الْأَرْزَاقُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، يَرْزُقُهَا عِبَادَهُ حَلَالًا وَحَرَامًا، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوسِسُ الْإِنْسَانَ، وَيَشْكَكُهُ وَيُخْبِطُهُ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ. الْأَشْعَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، الْإِبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ، (ص: 32، و206).

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(6) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 186).

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 526).

(8) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(9) الْبُطْنَانُ: جَمْعُ الْبُطْنِ، وَهُوَ الْغَامِضُ مِنَ الْأَرْضِ، وَبُطْنَانُ الْجَنَّةِ: وَسْطُهَا. الْجَوْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 393هـ)، الصَّاحِحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (5/ 2079).

(10) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 186).

أو⁽¹⁾ أَنَّ الْمُؤْصُوفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ يُقَرَّنُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِمَا بَيْنَهُمْ⁽²⁾ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْوُضْلَةِ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ زِيَادَةً فِي أُنْسِهِمْ. وَالتَّقْيِيدُ بِ(الصَّلَاحِ) دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ الْأَنْسَابِ لَا يَنْفَعُ.⁽³⁾ فِيهِ أَنَّهُ لَا نِزَاعَ لِأَحَدٍ فِي الشَّفَاعَةِ⁽⁴⁾ بِهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَتْ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ. وَإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي الشَّفَاعَةِ بِمَعْنَى طَلَبِ الْعَفْوِ عَنِ الْجَنَائَةِ. ثُمَّ لَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى الشَّفَاعَةِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ دُخُولَ الْمَذْكُورِينَ⁽⁵⁾ فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَحْضِ التَّقْضِيلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا بِطَلَبِهِمْ لِيَكُونَ بِطَرِيقِ الشَّفَاعَةِ، فَتَدَبَّرْ. ﴿وَالْمَلِكُ يُدْخِلُونَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 23] مِنْ أَبْوَابِ الْمَنَازِلِ، أَوْ مِنْ أَبْوَابِ الْفُتُوحِ.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: 24]

فِي مَوْقِعِ الْحَالِ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَي: قَائِلِينَ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ"، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: 24] الْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ، أَوْ لِلْمُقَابَلَةِ، مُتَعَلِّقٌ بِ﴿عَلَيْكُمْ﴾. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا مُسْتَعَرًّا فِي مَوْقِعِ الْخَبَرِ عَنْ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: هَذَا بِمَا صَبَرْتُمْ. وَلَمْ يُجَوِّزِ الْبَيْضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِ﴿سَلَامٌ﴾؛⁽⁶⁾ لِأَنَّ الْخَبَرَ فَاصِلٌ.⁽⁷⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ﴿سَلَامٌ﴾، أَي: نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ وَنُكْرِمُكُمْ"⁽⁸⁾ بِصَبْرِكُمْ.⁽⁹⁾ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الْخَبَرَ فَاصِلًا؛ لِأَنَّهُ بِحَسَبِ الْأَصْلِ مِنَ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ؛ الَّذِي وَقَعَ الْمَصْدَرُ مَقَامَهُ. فَالْبَيْضَاوِيُّ نَظَرَ إِلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَصَاحِبُ الْكَشَافِ إِلَى أَصْلِ الْمَعْنَى. ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24] وَقُرِئَ (فَنَعْمَ) بِفَتْحِ النُّونِ.⁽¹⁰⁾

(1) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: وَ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): بَعْضُهُمْ.

(3) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 186).

(4) فِي نَسْخَةِ (ض): فِي أَحَدٍ لِلشَّفَاعَةِ.

(5) فِي نَسْخَةِ (ش): لِلْمَذْكُورِينَ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(7) يَنْظُرُ: الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 186).

(8) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ وَنُكْرِمُكُمْ (عَلَى الْغَيْبَةِ).

(9) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 527).

(10) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: نُسِبَتْ إِلَى يَحْيَى بْنِ وَثَابٍ، ابْنِ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَادِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ،

(ص: 71)، وَابْنُ جَنِيٍّ (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَادِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 356).

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾
 [الرعد: 25] بِالظُّلْمِ وَتَهْيِيجِ⁽¹⁾ الْفِتَنِ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: 25] خَبَرٌ لِلْمَوْصُولِ،
 وهو تَأْيِيدٌ⁽²⁾ لِكُونِ الْمُؤَصُّلَاتِ الْأُولِ⁽³⁾ فِي مَوْجِعِ الْإِبْتِدَاءِ دُونَ الصِّفَاتِ. و﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ تَقْدِيرُهُ: سُوءٌ⁽⁴⁾
 عَاقِبَةُ الدَّارِ؛ إِنْ كَانَتْ (الدَّارُ) دَارَ الدُّنْيَا عَلَى طَبَقِ مَا سَبَقَ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِ(الدَّارِ) جَهَنَّمَ، وَيُسَوِّئُهَا:
 عَذَابُهَا.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26]

اسْتِنَافٌ مُفِيدٌ⁽⁵⁾ لِلْحَصْرِ، أَي: اللَّهُ وَخَذَهُ هُوَ⁽⁶⁾ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، دُونَ غَيْرِهِ. ﴿وَفَرِحُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: 26] وَفَرِحَ أَهْلُ مَكَّةَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ بِسَبَبِ تَوَسُّعِ رِزْقِهِمْ، وَاعْتَرَفُوا⁽⁷⁾ بِهَا، وَلَمْ يَطْلُبُوا
 نَعِيمَ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَّةِ. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: 26] وَلَيْسَ نَعِيمُ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ نَعِيمِ
 الْآخِرَةِ إِلَّا نَزْرًا،⁽⁸⁾ يَتَمَتَّعُ بِهَا تَمَتُّعًا قَلِيلًا لَا يُعْتَدُّ⁽⁹⁾ بِهِ.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾

[الرعد: 27]

مَنْ أَقْبَلَ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعَ عَنِ الْعِنَادِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "أَقْبَلَ إِلَى الْحَقِّ، وَحَقَّقْتُهُ دَخَلَ فِي نَوْبَةِ
 الْخَيْرِ." ⁽¹⁰⁾ وَوَجْهُهُ مُطَابَقَةُ هَذَا الْجَوَابِ لِمَا قَالُوا، أَنَّهُ كَلَامٌ يَجْرِي مَجْرَى التَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ

(1) فِي نَسَخِ (الْأَصْل، م، غ): وَتَهْيِجَ.

(2) فِي نَسَخَةِ (غ): يَأْتِيهِ.

(3) فِي نَسَخَةِ (ش): أَوَّلُ. قَوْلُهُ: (الْمَوْصُولَاتِ الْأُولِ) يَعْنِي: الْمَوْصُولَاتِ الْمَذْكُورَةَ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ قُبَيْلَ هَذِهِ الْآيَةِ، إِبْتِدَاءً

مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ أَلْمِثْقَ﴾ [الرعد: 20]

(4) فِي نَسَخَةِ (غ): وَسُوءَ.

(5) فِي نَسَخَتِي (ش، غ): مُقِيدَ.

(6) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْل، م): وَهُوَ.

(7) فِي نَسَخَةِ (ش): وَاعْتَرَفُوا.

(8) فِي نَسَخِ (الْأَصْل، م، ش، ض): نَزَرَ.

(9) فِي نَسَخَةِ (غ): يَقِيدَ.

(10) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (528 / 2).

مَا أَعْظَمَ عِنَادَكُمْ بِإِفْتِرَاحِكُمْ آيَةً مِنْ اللَّهِ مَعَ نُزُولِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ الْمُتَكَثِّرَةِ! إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ (1) كَانَ عَلَى صِفَتِكُمْ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى اهْتِدَائِهِمْ وَإِنْ نَزَلَتْ كُلُّ آيَةٍ مِمَّا افْتَرَحُوهُ. ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ بما جُنْتُ بِهِ، بَلْ بَبْعُضٍ مِنْهُ. (2)

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 28]

بَدَلٌ مِنْ ﴿أَنَابَ﴾. وَصِيغَةُ الْمُضَارِعِ الدَّالَّةُ عَلَى النَّجْدِ الْاسْتِمْرَارِيِّ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ رُبَّمَا يَغْرِضُهُ الْقَلْقُ وَالْاضْطِرَابُ، وَيَطْمَئِنُّ بِذِكْرِ اللَّهِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ بَعْدَهُ. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] تَنْبِيْةٌ عَلَى حُصُولِ (3) الْاطْمَئِنَانِ بِذِكْرِ اللَّهِ.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ﴾ [الرعد: 29]

﴿طُوبَى﴾: مَصْدَرُ (طَابَ) (4) كـ (بُشِّرَى) وَ (زُلْفَى)، وَمَحَلُّهَا النَّصْبُ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَوْ الرَّفْعُ عَلَى الْخَبَرِ عَنْ الْمَوْصُولِ، نَحْوُ: طَيِّباً لَكَ [وَطِيبٌ لَكَ] (5). وَفُرِي: (حُسْنٌ مَا ب) بِالنَّصْبِ (6) أَيْضاً. وَالْوَاوُ فِي ﴿طُوبَى﴾ مَنْقُولَةٌ مِنَ الْيَاءِ (7) لِيُضَمَّ مَا قَبْلَهَا.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الرعد: 30]

مِثْلَ ذَلِكَ الْإِرْسَالِ أَرْسَلْنَاكَ، أَي: إِزْسَالاً لَهُ شَأْنٌ وَقُضِلَ عَلَى سَائِرِ الْإِرْسَالَاتِ. ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: 30] أَي: فِي أُمَّةٍ مُتَأَخِّرَةٍ عَنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ. ﴿لَتَلْتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الرعد: 30] أَي: لَتَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: 30] بِالْبَلِيغِ الرَّحْمَةِ الَّذِي أَحَاطَتْ بِهِمْ نِعْمَتُهُ، وَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ. فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكْفُرُوا بِنِعْمَةِ إِنْزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ أَيْضاً؛ لِأَنَّ دَيْدَنَهُمْ

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): فَمَنْ.

(2) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): خُصُوص.

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): مِنْ طَابَ.

(5) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(6) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: نُسِبَتْ فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ إِلَى ابْنِ مَحِيصَنٍ، وَفِي الْكَامِلِ إِلَى ابْنِ أَبِي عُبَلَةَ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَادِّ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 71)، وَالْهُذْلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 579).

(7) فِي نَسْخَتِي (الأَصْلُ، غ): الْبَاءُ.

كُفْرَانِ النِّعْمَةِ. وقيل: نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ قالوا: فَمَا الرَّحْمَنُ؟⁽¹⁾ ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد: 30] قُلْ: أَنَا لَا أَكْفُرُ بِنِعْمِهِ وَأُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا⁽²⁾ يَضُرُّنِي كُفْرُكُمْ بِهِ. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: 30] لَيْسَ تَوَكَّلِي فِي مَجَامِعِ أُمُورِي إِلَّا عَلَيْهِ، فَيَنْصُرُنِي⁽³⁾ عَلَيْكُمْ بِالضَّرُورَةِ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعِي فَيُثَبِّتُنِي⁽⁴⁾ عَلَى مُصَابِرَتِكُمْ وَمُجَاهَدَتِكُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: 31] عَنْ⁽⁵⁾ مَقَارِهَا وَزُعْزَعَتْ⁽⁶⁾ عَنْ مَضَاجِعِهَا، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ [الرعد: 31] مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، أَوْ شَقَّقَتْ بَانْفِجَارِ الْعُيُونِ مِنْهَا. ﴿أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرعد: 31] فَتَسْمَعُ وَتُجِيبُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ حَيَاتِهِمْ.⁽⁷⁾ وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، أَوْ لَمَّا آمَنُوا بِهِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَعَنِ الْفَرَّاءِ:⁽⁸⁾ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنِ السَّدَادِ."⁽⁹⁾ وَقِيلَ: إِنَّ قُرَيْشًا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ يَسْرُكَ⁽¹⁰⁾ أَنْ نَتَّبِعَكَ فَسَيَّرَ بِقُرْآنِكَ الْجِبَالَ عَنْ مَكَّةَ، حَتَّى تَتَّبِعَ لَنَا فَتَنَخِّذَ فِيهَا بَسَاتِينِ⁽¹¹⁾

(1) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رَوَايَةِ الضَّحَّاكِ: نَزَلَتْ فِي كُفْرَارِ قُرَيْشٍ حِينَ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: 60] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. الْوَاحِدِي (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، (ص: 273). فِيهِ أَنَّ الضَّحَّاكَ لَمْ يَسْمَعْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي السَّنَدِ الَّذِي رَوَى بِهِ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ جَوْبِرَ وَهُوَ ضَعِيفٌ. يَنْظُرُ: الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، (المتوفى: 233هـ)، سَوَالَتِ ابْنِ الْجَنِيدِ، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ مُحَمَّدُ نَوْرٌ سَيْفٌ، مَكْتَبَةُ الدَّارِ - الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، 1408هـ، 1988م، (ص: 334)، وَالثَّعْلَبِيُّ، الْكَشَفُ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 292)، وَابْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ، أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ الشَّيْبَانِيُّ، (المتوفى: 507هـ)، ذَخِيرَةُ الْحِفَافِ (مَنْ الْكَامِلُ لَا بِنَ عَدِي)، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغُرَيَوَائِي، دَارُ السَّلَفِ - الرِّيَاضِ، الطَّبَعَةُ: الْأُولَى، 1416 هـ - 1996م، (2/ 606).

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): لَا.

(3) فِي نَسْخَةِ (ش): فَيَصْرُنِي.

(4) فِي نَسْخَةِ (ش): فَيُثَبِّتُنِي.

(5) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): مِنْ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): تَزْعَزَعَتْ.

(7) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): صَوْتِهِمْ.

(8) فِي نَسْخَتِي (الأصل، ش): الْقِرَاءَ.

(9) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 530).

(10) فِي نَسْخِ (الأصل، ش، ض، غ): تَسْرُكُ.

(11) فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: بِسَاطِينِ.

وَقَطَّائِعَ، أَوْ سَخَّرَ لَنَا الرِّيحَ لِنَرْكَبَهَا وَنَتَّجِرَ إِلَى الشَّامِ، أَوْ ابْعَثْ لَنَا بِهِ قُصَيَّ ابْنَ كِلَابٍ وَغَيْرَهُ مِنْ آبَائِنَا يُكَلِّمُونَا⁽¹⁾ فِيكَ، فَزَلَّتْ. ⁽²⁾ وعلى هذا فَتَقَطَّيْعُ الْأَرْضِ: قَطْعُهَا⁽³⁾ بِالسَّيْرِ، كَذَا فِي تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ. ⁽⁴⁾ وَتَذَكِيرُ ﴿كَلِمَ﴾ بِاعْتِبَارِ مَا فِي ⁽⁵⁾ الْمَوْثَى مِنَ الْمَذْكُورِينَ الْحَقِيقِيِّينَ. ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31] إِضْرَابٌ عَنِ الْامْتِنَاعِ الْمَفْهُومِ مِنْ كَلِمَةِ ﴿لَوْ﴾، يَعْنِي: لَيْسَ ذَلِكَ بِمُمْتَنِعٍ ⁽⁶⁾ عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَتَعَلَّقْ ⁽⁷⁾ إِرَادَتُهُ بِهِ؛ ⁽⁸⁾ لِإِلْعَامِهِ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا افْتَرَحُوهُ عِنَادًا، لَا طَلَبًا لِلْهَدَايَةِ وَظُهُورِ الْحَقِّ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: بَلْ لِلَّهِ ⁽⁹⁾ أَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، إِلَّا أَنَّهُ بَنَى ⁽¹⁰⁾ أَمَرَ التَّكْلِيفِ عَلَى الْاِخْتِيَارِ. ﴿أَفَلَمْ يَأْيُسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31] أَي: أَفَلَمْ يَيَّاسِ الْمُؤْمِنُونَ عَنْ إِيْمَانِهِمْ عِلْمًا مِنْهُمْ أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ، وَ﴿أَنْ﴾ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَمَعْنَى ﴿أَفَلَمْ يَيَّاسِ﴾ أَفَلَمْ يَعْلَمْ. ⁽¹¹⁾ قِيلَ: هِيَ لُغَةٌ قَوْمٍ مِنَ النَّحْعِ. ⁽¹²⁾

(1) فِي نَسْخِ (ش، ض، غ): تَكَلَّمُونَا.

(2) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَابْنِ زَيْدٍ، الطَّبْرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 310 هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (16/ 449)، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَبُو يَعْلَى فِي مَسْنَدِهِ بِرَقْمِ (679) وَالْوَاحِدِيُّ مَطْوَلًا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بِهِ، وَضَعَفَهُ الْهَيْثَمِيُّ. يَنْظُرُ: الْوَاحِدِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 468 هـ)، أَسْبَابُ النُّزُولِ، (ص: 274)، وَالْهَيْثَمِيُّ (الْمُتَوَفَى: 807 هـ)، أَبُو الْحَسَنِ نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ، تَحْقِيقُ: حَسِينِ سَلِيمِ أَسَدِ الدَّارَانِيِّ، دَارُ الْمَأْمُونِ لِلتَّرَاثِ، (7/ 85).

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) يَنْظُرُ: الْبِيضَاوِيُّ، أُنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 188).

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): بَاقِي.

(6) فِي نَسْخَةِ (ض): مَمْتَنِع.

(7) فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: لَمْ يَتَعَلَّقْ.

(8) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(9) فِي نَسْخَةِ (ض): اللَّهُ.

(10) فِي نَسْخَةِ (غ): بَيْنَ.

(11) فِي نَسْخَةِ (غ): أَعْلَمَ بَعْلَمَ.

(12) فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: النَّحْعُ. يَنْظُرُ أَيْضًا: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 530). وَالنَّحْعِيُّ يَفْتَحُ النَّوْنَ وَالْخَاءَ وَبَعْدَهَا عَيْنَ مُهْمَلَةٍ هَذِهِ التَّسْبِئَةِ إِلَى النَّحْعِ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ مَذْحَجٍ، وَاسْمُ النَّحْعِ جَسْرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَلَّةَ بْنِ جَلَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدٍ. ابْنُ الْأَثِيرِ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْكُرَمِ الشَّيْبَانِيُّ الْجَزْرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 630 هـ)، اللَّبَابُ فِي تَهْذِيبِ الْأَنْسَابِ، دَارُ صَادِرِ - بَيْرُوتَ، (3/ 304).

وقيل: إنما استعمل (اليأس) بمعنى (العلم) لتضمنه معناه؛ لأن اليأس عن الشيء علم بأنه لا يكون.⁽¹⁾ وقرأ (أَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا)،⁽²⁾ وهو تأييد لما⁽³⁾ ذكره صاحب الكشاف.⁽⁴⁾ ويجوز أن يتعلق ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ بـ﴿آمَنُوا﴾ بمعنى: أولم⁽⁵⁾ يقنط⁽⁶⁾ من إيمان⁽⁷⁾ هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً﴾ [الرعد: 31] أي: تُصِيبُهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ دَاهِيَةً نَقَرُغُهُمْ. وفيه: إشعار بأن المؤمنين - وإن أصابهم شيء⁽⁸⁾ من البلاء - كانوا صابرين مُسْتَرْجِعِينَ إلى الله بلا قلق واضطراب. ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31] بحيث يتعدى شُرورها إليهم. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الرعد: 31] وهو موته، أو القيامة. وقيل: الآية في كفار مكة؛ [أي لا يزال كفار مكة]⁽⁹⁾ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من العداوة والتكذيب - قَارِعَةً؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف بهم، [فتصيب من مواشيهم]⁽¹⁰⁾، فعلى هذا يجوز أن يكون ﴿تَحُلْ﴾ خطاباً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: أو تحل أنت يا محمد! قريباً من دارهم بجيشك، كما حل بالحديبية. و﴿وَعْدُ اللَّهِ﴾ حينئذ فتح مكة؛ لأنه قد وعده.⁽¹¹⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31] علة لسابقه.

﴿وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: 32]

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 530).

(2) قراءة شاذة: نُسبت إلى علي بن أبي طالب وجعفر بن محمد، وابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهم - وغيرهم، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 71)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 357).

(3) في نسختي (الأصل، م): كما.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 530).

(5) في نسخة (غ): إذ لم.

(6) في نسخة (غ): يثبط.

(7) في جميع النسخ: الإيمان. ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 531).

(8) سقط من نسخة (ش).

(9) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(10) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(11) الزمخشري، الكشاف، (2/ 531).

وَعِيدٌ لِلْكَفَرَةِ، وَتَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ، وَالْإِمْلَاءُ: الْإِمْهَالُ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: 33]

الهمزة للإنكار، والفاء للتعقيب، وخبر الموصول محذوف،⁽¹⁾ أي: أ بعد⁽²⁾ تحقق الجزاء والعقاب الشديد يكون القائم على كل نفس، والرقيب عليها، ويجمع أعمالها؛ مثل من⁽³⁾ ليس كذلك⁽⁴⁾ في استحقاق المعبودية؟ وجملة ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مبتدأ،⁽⁵⁾ أي: وهم جعلوا لله شركاء مع أنه لا يماثلُه غيره. ويجوز أن يُقدَّر الخبر على وجه يكون ﴿وَجَعَلُوا﴾ عطفاً عليه على تقدير: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحِّدوه وجعلوا له شركاء؛ على الإظهار موضع⁽⁶⁾ الإضمار؛ للتنبية على أنه المستحق للعبادة. ﴿قُلْ سَمُوهُمْ﴾ [الرعد: 33] أي: جعلتم له شركاء فسموهم من هم؟ وما⁽⁷⁾ شأنهم؟ هل يستحقون للعبادة؟ وفيه: تنبيه على أنهم لا يستحقون للعبادة. ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 33] بل أنتنبئونهُ بشركاء لا يعلمهم في الأرض؟ وهو العالم بما في السماوات والأرض؟ ومعنى الهمزة فيه: الإنكار.⁽⁸⁾ ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الرعد: 33] بل أئسموئهم شركاء بظاهر من القول، من غير أن تكون له⁽⁹⁾ حقيقة؟ كقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: 30]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف: 40].

(1) في نسختي (الأصل، م): محذوفاً.

(2) سقط من نسخة (ش).

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) في نسخة (ش): كذا.

(5) في جميع النسخ: مبتدأ.

(6) في نسخة (غ): يوضع.

(7) في جميع النسخ: ومن.

(8) في نسختي (الأصل، م): للإنكار.

(9) في نسخة (ش): لم.

﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ [الرعد: 33]

أي: كَيْدُهُمْ للإسلام بِتَجْوِيزٍ⁽¹⁾ الشَّرِكِ. ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد: 33] وقُرئ⁽²⁾ (وَصُدُّوا) على البناء للفاعل،⁽³⁾ أي: صَدُّوا النَّاسَ عن⁽⁴⁾ الإيمان. ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: 33] وَمَنْ يَحْذُلْهُ -لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي، أَوْ لِمَصْلَحَةِ يَعْلَمُهَا- لم يُوقِفْ للهداية.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: 34]

بالْقَتْلِ أَوْ⁽⁵⁾ الْأَسْرِ، وسائرِ المِحَنِ، سِوَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ. وما يَلْحَقُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ المِحَنِ ليس من قَبِيلِ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، بل من قَبِيلِ الامْتِحَانِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد: 34] كَيْفًا وَكَمًّا. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: 34] لم يَحْفَظْهُ أَحَدٌ من عَذَابِ اللَّهِ، أَوْ لم يَحْفَظْهُ من جَانِبِهِ شَيْءٌ من رَحْمَتِهِ.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: 35]

مُبْتَدَأٌ، خبرُهُ محذوفٌ عِنْدَ سِبْيَوِيهِ، أي: فِيمَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ صِفَةَ الْجَنَّةِ. وَإِنَّمَا سَمَّاهَا مَثَلًا؛ لِأَنَّهَا فِي الْقَرَابَةِ ثُمَائِلُ⁽⁶⁾ الْمَثَلِ. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: 35] استتِنافٌ لبيانِ المَثَلِ. ويجوز أن يكونَ حَالًا عن⁽⁷⁾ الْعَائِدِ⁽⁸⁾ المحذوفِ من الصِّلَةِ. وقيل: هي الخبرُ، كما تقول: صِفَةُ زَيْدٍ أَسْمَرٌ، أَوْ على حَذْفِ موصوفٍ، أي: مَثَلُ الْجَنَّةِ جَنَّةٌ تَجْرِي، تمثيلًا لِمَا غَابَ بِمَا يُشَاهَدُ،⁽⁹⁾ وهو قولُ الرَّجَّاحِ.⁽¹⁰⁾ وجوزَ

(1) في نسخة (ض): بتجوز.

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) بفتح الصاد. وقرأ عاصم وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف (وَصُدُّوا) بضم الصاد. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 359)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 255).

(4) في جميع النسخ: من، وأثبت (عن) لأنه أصح.

(5) في نسختي (الأصل، م): و.

(6) في نسختي (الأصل، م): مماثل، وفي نسخ (ض، ش، غ): يماثل.

(7) في نسختي (الأصل، م): من.

(8) في نسخة (غ): الغاية.

(9) في جميع النسخ: شاهد، وأثبت (يشاهد) لأنه أصح.

(10) في جميع النسخ: زجاج، وأثبت (الزجاج) لأنه أصح.

البيضاوي أن يكون (المثل) زائداً في الكلام. ⁽¹⁾ ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: 35] أي: ثمرها دائم، و(ظُلُّها) كذلك، أي: لا تَنْسَخُ بِالشَّمْسِ كما نُسَخَ في الدُّنْيَا. ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35] أي: الْجَنَّةُ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا الشِّرْكَ؛ حيثُ وَقَعَ في مُقَابِلِ الْكَافِرِينَ. وفيه إشعار بأنَّ غيرَ الْكَافِرِ لَا يُخَلَّدُ في النَّارِ، بل مُنْتَهَى أَمْرِهِ لَيْسَ إِلَّا الْجَنَّةُ.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: 36]

يعني مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَفْرَحُونَ بِالْقُرْآنِ، حيثُ كَانَ مُصَدِّقاً لِكِتَابِهِمْ [وَمُوافِقاً لَهُ في] ⁽²⁾ [الأصول، ومعظم الفروع. ﴿وَمِنْ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: 36] من الذين تَحَزَّبُوا على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَدَاوَةِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ، أي: الذي ⁽³⁾ كَانَ مُوَافِقاً لِمَا حَرَّفُوهُ، والذي كَانَ مُخَالَفاً لِشَرَائِعِهِمْ مِنْ الْأَحْكَامِ الْجُزْئِيَّةِ بِحَسَبِ اقْتِضَاءِ ⁽⁴⁾ الْوَقْتِ. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ [الرعد: 36] جوابٌ لِلْمُنْكَرِينَ، أي: الْعُمْدَةُ في دينِ الإسلامِ هو هذا المعنى، وهو غيرُ قَابِلٍ لِلإِنْكَارِ. وَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْجُزْئِيَّةُ الَّتِي ⁽⁵⁾ تَخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ وَالْأُمَمِ ⁽⁶⁾ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَقْبَلُ الْإِنْكَارَ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُهُ لَوْ لَمْ يَكُن مُوَافِقاً لِمَقْتَضَى الْوَقْتِ، وَمُنَاسِباً لِاسْتِعْدَادِ الْأُمَّةِ. فَإِنْكَارُهَا بِمَخْضِ الْمُخَالَفَةِ -مع قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ اقْتِضَاءِ الْوَقْتِ وَاسْتِعْدَادِ الْأُمَّةِ- أَمْرٌ ⁽⁷⁾ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْضَى بِهِ عَاقِلٌ.

﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: 37]

وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ -الْمُسْتَمِلِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّرْغِيبِ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَالتَّرْهيبِ عَنِ الْمُخَالَفَةِ- أُنْزِلْنَا ⁽⁸⁾ حِكْمَهُ، ⁽⁹⁾ مُتَرْجِمَةً بِلِسَانِ الْعَرَبِ؛ لِیُسَهِّلَ لَهُ فَهْمُهُ وَحِفْظُهُ. وَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ. ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ

(1) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 189).

(2) بين المعقوفتين في نسخة (غ): وهو انتقاله من.

(3) في نسختي (ض، غ): الذين.

(4) في نسخة (غ): اقتصار.

(5) في نسخة (غ): الذي.

(6) في نسخة (ش): الاسم.

(7) سقط من نسخة (م).

(8) في نسخة (غ): أمرنا.

(9) في نسختي (ش، ض): حكمة، وفي نسخة (غ): حكم.

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴿[الرعد: 37] كانوا يَدْعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمُورٍ يُؤَافِقُهُمْ⁽¹⁾ عليها، منها: أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى قِبَلَتِهِمْ بَعْدَ مَا حَوَّلَهُ اللَّهُ عَنْهَا. فَقِيلَ لَهُ: لَئِنْ⁽²⁾ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ ثُبُوتِ الْعِلْمِ عِنْدَكَ؛ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: 37] أَي: مَنْ يَنْصُرُكَ وَيَمْنَعُ الْعِقَابَ عَنْكَ؟ وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ⁽³⁾ وَالْبَعْثُ لِلْسَامِعِينَ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الدِّينِ، وَالتَّصَلُّبِ فِيهِ، وَأَنْ لَا يَزِلَّ⁽⁴⁾ أَحَدٌ عِنْدَ الشُّبْهَةِ بَعْدَ اسْتِمْسَاكِهِ بِالْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَرَسُولُ اللَّهِ لَا يُتَوَهَّمُ فِي حَقِّهِ تَجْوِيزُ هَذَا الْإِحْتِمَالِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[الرعد: 38]

كَانُوا يَعْيُونُهُ⁽⁵⁾ بِالزَّوْاجِ وَالْوِلَادِ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: 7] وَكَانُوا يَقْتَرَحُونَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ وَيَنْكُرُونَ النَّسْخَ فَنَزَلَ ذَلِكَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ⁽⁶⁾ [الرعد: 38-39] وَلِكُلِّ وَقْتٍ حُكْمٌ يُكْتَبُ عَلَى الْعِبَادِ، عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ اسْتِصْلَاحُهُمْ. وَجُمْلَةُ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ أَنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا،⁽⁶⁾ أَي: يَنْسَخُ⁽⁷⁾ مَا يَسْتَصِيبُ نَسْخَهُ، وَيُثَبِّتُ بَدَلَهُ مَا يَرَى الْمَصْلَحَةَ فِي إِثْبَاتِهِ، أَوْ يَتْرُكُهُ غَيْرَ مَنْسُوخٍ. وَقِيلَ: يَمْحُو⁽⁸⁾ اللَّهُ مِنْ دِيْوَانِ الْحَفَظَةِ مَا لَيْسَ بِحَسَنَةٍ وَلَا سَيِّئَةٍ، وَيُثَبِّتُ غَيْرَهُ. وَقِيلَ: يَمْحُو⁽⁹⁾ كُفْرَ التَّائِبِينَ وَمَعَاصِيَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيُثَبِّتُ إِيْمَانَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ.

(1) في نسختي (الأصل، م): توافقهم.

(2) في نسخة (غ): إن.

(3) في نسختي (م، ش): التهيج، وفي نسخة (غ): النهج.

(4) في نسخ (الأصل، م، ض): يزال.

(5) في نسخة (ض): يعينونه.

(6) في جميع النسخ: كتاب.

(7) في نسختي (ش، ض): ننسخ.

(8) في نسختي (الأصل، م، غ): يمحو.

(9) في نسخة (غ): يمحو.

وَقُرِئَ (يُنْتَبِثُ)⁽¹⁾ من التَّعْجِيلِ. ⁽²⁾ ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 38-39] وهو اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَائِنٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ، فَيَكُونُ أَصْلُ كُلِّ كِتَابٍ.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ﴾ [الرعد: 40]

قبل أن نريك إياه. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: 40] جوابُ الشَّرْطِ، أي: فما⁽³⁾ يَجِبُ عليك إِلَّا التَّبْلِيغُ فَحَسْبُ، ﴿وَعَلَيْنَا﴾ لَا عَلَيْكَ حِسَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ جَعَلَ الْقَصَرَ فِي الْأَوَّلِ مِنْ قَبِيلِ قَصْرِ الْمُسْنَدِ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَفِي الثَّانِي بِالْعَكْسِ. فَكَانَ وَجْهُهُ: أَنَّ كُلًّا مِنَ التَّقْدِيمِ وَلَامِ الْجِنْسِ يُفِيدُ الْقَصَرَ، فَاخْتَارَ⁽⁴⁾ فِي الْأَوَّلِ⁽⁵⁾ مَا يُفِيدُهُ اللَّامُ، وَفِي الثَّانِي مَا يُفِيدُهُ التَّقْدِيمُ بِاقتِصَاءِ مَنَاسِبَةِ الْمَقَامِ، فَتَدَبَّرْ. وَالْمَقْصُودُ: نَهْيُهُ عَنِ الْإِعْتِمَادِ بِإِعْرَاضِهِمْ وَالِاسْتِعْجَالِ بِعَذَابِهِمْ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُ بِذِكْرِ الْوَعِيدِ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَلَا تَغْتَمَّ بِإِعْرَاضِهِمْ وَلَا تَسْتَعْجَلْ بِعَذَابِهِمْ فَإِنَّمَا نَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: 41]

أي: أَرْضَ الْكُفْرِ، نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا بِمَا يُفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ النُّصْرَةِ وَالْغَلَبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41] أي: لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ. وَحَقِيقَتُهُ: الَّذِي⁽⁶⁾

(1) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِثُ) بفتح الثاء وتشديد الباء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب (وَيُنْبِثُ) ساكنة الثاء خفيفة الباء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 359)، والنيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 255).

(2) في نسخة (ش): التفصيل.

(3) في نسختي (الأصل، م): ممّا، وفي نسخة (غ): لا.

(4) في نسخة (ض): واختار.

(5) في نسخة (غ): الأولى.

(6) في نسخة (غ): الذي أي.

يَعْقُبُ الشَّيْءَ، أَي: يُقَيِّهِ⁽¹⁾ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ. ومنه قيل لِصَاحِبِ الْحَقِّ: مُعَقَّبٌ؛ لِأَنَّهُ يُقَيِّ (2) غَرِيمَهُ بِالِاقْتِضَاءِ وَالطَّلَبِ. (3) وَجُمْلَةُ ﴿لَا مُعَقَّبَ﴾ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ عَنْ فَاعِلٍ ﴿يَحْكُمُ﴾، أَي: يَحْكُمُ نَافِذًا حُكْمَهُ. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] سَيُحَاسِبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ عَذَابِ الدُّنْيَا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الرعد: 42] بِأَنْبِيَائِهِمْ وَبِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 42] وَلَيْسَ فِي جَنْبِ (4) مَكْرِهِ مَكْرٌ لِأَحَدٍ. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: 42] تَفْسِيرٌ لِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ ﴿الْمَكْرِ جَمِيعًا﴾. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: 42] عَطْفٌ عَلَى سَابِقِهِ، دَاخِلٌ تَحْتَ حُكْمِ التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ، وَيُعَذِّبُ لَهَا جَزَاءَهَا، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِمَّا يُرَادُ بِهِمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي [خَسَارٍ - حِينَ] (5) لَا يَنْفَعُهُمُ الْعِلْمُ وَالنَّدَامَةُ - وَهُوَ مَكْرٌ [بِهِمْ لَا مَكْرَ] (6) فَوْقَهُ. وَ﴿عُقِيَ الدَّارِ﴾ الْجَنَّةُ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَنِعَمَ عُقِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: 24]. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْجَنَّةُ (عُقِيَ الدَّارِ)، دُونَ النَّارِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ مِنَ الدُّنْيَا دُونَ النَّارِ، وَإِنْ جُعِلَتِ النَّارُ بَعْدَهَا مَصِيرًا لِلْكَفَّارِ وَمَأْوَاهُمْ. وَقُرِئَ (سَيَعْلَمُ الْكَافِرُ) (7) عَلَى إِرَادَةِ الْجِنْسِ، وَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَ﴿الْكُفْرُ﴾، أَي: أَهْلُهُ، وَقُرِئَ (سَيَعْلَمُ الْكَافِرُ) (8) مِنْ أَعْلَمَهُ، أَي: سَيُخْبِرُ.

(1) فِي نَسْخِ (الأصل، م، ش، ض): يَعْقُبُهُ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): بَعْضُهُ. وَفِي فِي الْكُشَافِ: يَقْيِيهِ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ. يَنْظُرُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ، (2/ 535)، وَالطَّبِيبِيُّ شَرَفَ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (الْمُتَوَفَى: 743 هـ)، فَتُوحِ الْغَيْبِ فِي الْكُشَفِ عَنْ قَنَاقِ الرِّيبِ، تَحْقِيقٌ: د. جَمِيلُ بَنِي عَطَا وَآخَرُونَ، جَائِزَةُ دَبْيِ الدُّوَلِيَّةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1434 هـ - 2013 م، (8/ 536).

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): يَعْقُبُ. يَعْقُبُ.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ، (2/ 535).

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): حَيْثُ.

(5) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَةِ (غ): خَارِجِينَ.

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(7) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ) بِالْأَلْفِ قَبْلَ الْفَاءِ عَلَى وَاحِدَةٍ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ) بِالْأَلْفِ بَعْدَ الْفَاءِ عَلَى الْجَمْعِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324 هـ) السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 359)، وَالنِّيسَابُورِيُّ (الْمُتَوَفَى: 381 هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 255).

(8) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (سَيَعْلَمُ) بِضَمِّ الْبَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ جَنَاحِ بْنِ حُبَيْشٍ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاطِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 72)، وَالرَّازِيُّ، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ، (19/ 54)، وَأَبُو حَيَّانٍ (الْمُتَوَفَى: 745 هـ)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، (6/ 402).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: 43]

قيل: هم رؤساء اليهود. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: 43] شهادته: (1) ما (2) أظهره من الأدلة على رسالته. ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43] (الكتاب) يَحْتَمِلُ التَّوْرَةَ، وَالْقُرْآنَ، وَاللَّوْحَ المحفوظ. والمراد بـ(من عنده علم التَّوْرَةِ): الذين أسلموا من اليهود، كابن السَّلام (3) وأَصْرَابِهِ، فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ بِنَعْتِهِ فِي كُتُبِهِمْ. و(مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْقُرْآنِ): الذين يتَأَمَّلُونَ فِي الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ، وَيَعْرِضُونَ بِأَنَّهُ مُعْجَزٌ (4) قَائِلٌ لِقَوَى الْبَشَرِ. و(مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اللَّوْحِ): وهو الله سبحانه. وَيَصِحَّ عَطْفُهُ عَلَى اللَّهِ بِاعْتِبَارِ تَنْزِيلِ تَغَايِيرِ الْوَصْفِ مَنْزِلَةَ تَغَايِيرِ الدَّاتِ. يعني: كَفَى بِاللَّهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وبِالَّذِي لَا يَعْلَمُ مَا فِي اللَّوْحِ إِلَّا هُوَ، شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. (5) وَتُوَيْدُهُ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) (6) عَلَى (مِنْ) الْجَارَةِ، وَ(عِلْمِ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَي: وَمِنْ فَضْلِهِ وَلَطْفِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ. و﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فاعِلٌ لِلظَّرْفِ، إِنْ كَانَ الظَّرْفُ صِلَةً؛ لِاعْتِمَادِهِ عَلَى الْمَوْصُولِ، وَمَبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ الظَّرْفُ إِنْ كَانَ (7) ﴿مِنْ﴾ حَرْفًا، عَلَى اخْتِلَافِ الْقِرَاءَتَيْنِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى أَيْضاً مَبْتَدَأً.

(1) في نسختي (الأصل، م): شهادة.

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخة (م): عبد السلام.

(4) في نسخة (ض): معجزة.

(5) ينظر: البحر المحيط في التفسير (6/ 402)

(6) قراءة شاذة: منسوبة إلى علي رضي الله عنه، وابن السميع، والحسن. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر

في شواذ القرآن من كتاب البدیع، (ص: 72)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

والإيضاح عنها، (1/ 358).

(7) سقط من نسخة (ض).

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّغْدِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِوَزْنِ كُلِّ سَحَابٍ مَضَى، وَكُلِّ سَحَابٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُبْعَثُ»⁽¹⁾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُؤَقِّينَ⁽²⁾ بَعْدَ اللَّهِ»،⁽³⁾ كذا في الكشف وتفسير البيضاوي والله أعلم بالصواب.⁽⁴⁾



(1) في نسخ (ش، ض، غ): بعث.

(2) في نسختي (الأصل، م): الموقنين، وفي نسخة (غ): المؤمنين.

(3) **حديث موضوع:** رواه الثعلبي في تفسيره (5/ 267)، والواحي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (3/ 3)، عن أبي، سبق تخريجه في الصفحة: (102).

(4) العبارة من نسخة (غ).

[سورة إبراهيم عليه السلام]

مَكِّيَّةٌ، وهي إِحْدَى وَخَمْسُونَ آيَةً⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِخُرْجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: 1]

أي: من أنواع الضلال إلى الهدى. وقُرئ (لِيُخْرِجَ النَّاسَ)⁽²⁾ من الثلاثي المُجَرَّد، وَرَفَعَ (النَّاسَ). ﴿يَا ذِينَ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: 1] بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْهِيلِهِ. قال صاحبُ الكشاف: "مُسْتَعَارٌ من (الْإِذْنِ) الذي هو تَسْهِيلُ الْحَبَابِ، وذلك ما يَمْنَحُهُم من اللُّطْفِ وَالتَّوْفِيقِ،⁽³⁾ انتهى. ومنه يُقال لِلْحَاجِبِ: الْإِذْنُ. ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1] بَدَلٌ من قَوْلِهِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ بتكريرِ الْعَامِلِ، أو استئنافٌ، مَبْنِيٌّ على السُّؤَالِ، أَضَافَ ﴿صِرَاطِ﴾ إِلَى ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ باعتبارِ أَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهِ.⁽⁴⁾

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 2]

عَطْفُ بَيَانٍ لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾؛ لَأَنَّهُ إِمَّا عَلَّمَ، كما قال بعضهم، أو جَارٍ مَجْزَى الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ؛ لِغَلَبَتِهِ واختصاصِهِ بِالْمَعْبُودِ على الْحَقِّ،⁽⁵⁾ على ما ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ الْمَفْسَّرِينَ. وقُرئ بِالرَّفْعِ⁽⁶⁾ على تقدير: هو الله. ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 2] الْوَيْلُ: نَقِيزُ الْوَالِ، وهو النَّجَاءُ؛ إِنْ سُمِّ مَعْنَى

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) قراءة شاذة: نُسِبَتْ إِلَى ابْنِ عَامِرٍ فِي رِوَايَةٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالُوهِ (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 72).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 537).

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) ينظر: العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (30/ 5).

(6) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، لفظة ﴿اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع، وقرأ الباقر ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾ بالخفض. قرأ رويس - إذا وصل - ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ [إبراهيم: 1-2] خفض. وإذا وقف على ﴿الْحَمِيدِ﴾ وابتدأ ﴿اللَّهُ﴾ رفع. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 362)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 256)، القاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: 171).

كَالهَلَاكِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُشْتَقُّ مِنْهُ فِعْلٌ. إِنَّمَا يُقَالُ: وَيَلَّا لَهُ فَيُنْصَبُ نَصَبَ الْمَصَادِرِ، ثُمَّ يُرْفَعُ رُفْعَهَا؛ لِإِفَادَةِ
مَعْنَى النَّبَاتِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽¹⁾

وَلَا يَخْفَى أَنَّ نَصْبَهُ يَقْتَضِي عَامِلًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَدَّرَ لَهُ عَامِلٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ؛ لِيَصِحَّ نَصْبُهُ⁽²⁾ عَلَى
الْمَصْدَرِ. ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، نَحْوُ: سَلَامٌ عَلَيْكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ظَرْفٌ مُسْتَقَرٌّ
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ عَنْ فَاعِلِ الظَّرْفِ، وَهُوَ ضَمِيرُ ﴿وَيْلٌ﴾. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِ﴿وَيْلٌ﴾؛ لِلزُّرْمِ
الْفَضْلِ بِالْأَجْنَبِيِّ.

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "إِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ إِصْصَالِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بِالْوَيْلِ؟ قُلْتَ: لِأَنَّ الْمَعْنَى
أَنَّهُمْ يُؤَلِّفُونَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَيَضْجُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: يَا وَيْلَاهُ."⁽³⁾ كَأَنَّ قَصْدَهُ بَيَانُ حَاصِلِ الْمَعْنَى،
لَا تَوْجِيهَ الْعِبَارَةِ وَبَيَانُ تَرْكِيبِهَا، كَمَا لَا يَخْفَى.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 3]

أَي: يَخْتَارُونَهَا عَلَى الْآخِرَةِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "هُوَ (اسْتِغْعَالٌ)⁽⁴⁾ مِنَ الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤَثِّرَ لِلشَّيْءِ
عَلَى غَيْرِهِ كَأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهَا وَأَفْضَلَ عِنْدَهَا مِنَ الْآخِرِ."⁽⁵⁾ وَالْمَوْصُولُ مَبْتَدَأٌ،
خَبَرُهُ: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 3]. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا، صِفَةً
لِلْكَافِرِينَ، وَمَنْصُوبًا عَلَى الذَّمِّ، أَوْ مَرْفُوعًا عَلَى: (أَعْنِي الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ) أَوْ (هُمُ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ)."⁽⁶⁾ وَهُوَ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ لَيْسَ⁽⁷⁾ مُتَعَلِّقًا بِ﴿وَيْلٌ﴾ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ عِبَارَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُتَعَلِّقًا
بِهِ يَكُونُ أَجْنَبِيًّا فَاصِلًا بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 3] أَي: يَصُدُّونَ
النَّاسَ؛ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ، أَوْ عَلَى تَرْكِهِ؛ لِتَنْزِيلِ الْمُتَعَدِّي مُنْزِلَةَ اللَّازِمِ. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 3]

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 537).

(2) سقط من نسخة (ش).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 537).

(4) في نسخة (غ): استغفار.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 537-538).

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 537).

(7) سقط من نسخة (ش).

أي: وَيَبْعُونَ لِّلسَّبِيلِ اعْوِجَاجاً وَزَيْفًا؛⁽¹⁾ على الحذف والإيصال. و(السَّبِيلُ) يَجِيءُ مُؤَنَّثاً كما يَجِيءُ مُذَكَّرًا. ﴿أَوَّلِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: 3] وَصَفُ الضَّلَالِ بِ(البُعْدِ) من قبيلِ الإسنادِ المجازي، والبُعْدُ في الحقيقة للضلال، أو لما هو السَّبَبُ في الضلال.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]

ما أَمَرُوا بِهِ، فَيَفْهَمُوهُ عَنْهُ بَيِّنٌ وَسُرْعَةٌ. وهو ظاهرٌ في نَبِيِّ بُعِثَ إِلَى قَوْمٍ مَخْصُوصٍ، وَأَمَّا النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ إِلَى النَّاسِ جَمِيعاً كَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بَدِيلٍ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: 158]- فهو غيرُ مُرْسَلٍ بِلِسَانِ الْجَمِيعِ، بل بِلِسَانِ الْعَرَبِ فَقَط. وقيل في تَوْجِيهِهِ: لَا يَخْلُو⁽²⁾ إِمَّا أَنْ يَنْزَلَ بِجَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ، أَوْ بِوَاحِدٍ مِنْهَا. وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ التَّرْجَمَةَ تَتَوَبُّ عَنْ ذَلِكَ. فَبَقِيَ أَنْ يَنْزَلَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، فَاخْتِيرَ لِسَانُ الْقَوْمِ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ مِنْهُمْ؛⁽³⁾ لَأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ. وَلِذَلِكَ يَتَعَلَّقُ الْإِنْدَارُ أَوَّلًا بِهِمْ، ثُمَّ بَوَسَاطَتِهِمْ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ اتِّفَاقِ الْجُمْلَةِ عَلَى كِتَابٍ وَاحِدٍ. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَلَوْ نَزَلَ عَلَى مَنْ بُعِثَ إِلَى أُمَّةٍ⁽⁴⁾ مُخْتَلَفَةً كُتِبَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ؛ اسْتَقَلَّ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْإِعْجَازِ، وَلَكِنْ أَدَّى إِلَى اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ، وَإِضَاعَةِ فَضْلِ الْجَاهِدِ فِي تَعَلُّمِ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا، [وَالْعُلُومِ الْمُتَشَعَّبَةِ]⁽⁵⁾ مِنْهَا، وَمَا فِي إِنْغَابِ الْقَرَائِحِ وَكَدِّ النَفُوسِ⁽⁶⁾ مِنَ الْقُرْبِ الْمُفْتَضِيَةِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ".⁽⁷⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَلَأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ بِأَلْسِنَةِ الثَّقَلَيْنِ كُلِّهَا مَعَ اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا، وَكَانَ مُسْتَقَلًّا بِصِفَةِ الْإِعْجَازِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَكَلَّمَ الرَّسُولُ الْعَرَبِيَّ فِي⁽⁸⁾ كُلِّ أُمَّةٍ⁽⁹⁾ بِلِسَانِهَا كَمَا كَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّتِي هُوَ مِنْهَا يَتَلَوُّهُ عَلَيْهِمْ مُعْجَزًا؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَمْرًا قَرِيبًا مِنَ الْإِلْجَاءِ"،⁽¹⁰⁾ انْتَهَى.

(1) في نسختي (ش، غ): زَيْغًا.

(2) في نسختي (ش، ض): لَائِحَ بِهِ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): لَانَح.

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) في نسختي (الأصل، م): الأُمَم.

(5) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): وَالْأُمُورِ الْمُتَشَعَّبَةِ، وَفِي نَسْخَةِ (ض): عُلُومِ الْمُنْشَعَبَةِ.

(6) في جميع نسخ: وَكَذَا الْأَنْفُس.

(7) البِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 193).

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) في نسخة (غ): أَنَّهُ.

(10) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 539).

كأن البيضاوي لم يجعل هذا الأمر قريباً من الإلجاء، ولذلك⁽¹⁾ جَوَّزَهُ وَأَبْطَلَ لَازِمَهُ الذي هو: اختلاف الكلمة وإضاعة فضل الاجتهاد. ثم يلزم على كلامه أن لا يكون للعرب⁽²⁾ فضل اجتهاد في تعلم القرآن والعلوم المنشعبة⁽³⁾ منها، وهو محل تأمل؛ لأنَّ العرب والعجم في ذلك متساويان.

وَقُرئ (بِلِسْنِ قَوْمِهِ)،⁽⁴⁾ وَاللِّسْنُ وَاللِّسَانُ، كَالرِّيشِ وَالرِّيَاشِ، بِمَعْنَى اللَّغَةِ. وَقُرئ: (بِلِسْنِ قَوْمِهِ)⁽⁵⁾ بِضَمِّ اللَّامِ، وَضَمِّ السَّيْنِ وَسُكُونِهَا، كَ(عُمْدٍ) وَ(عُمْدٍ) فِي (عِمَادٍ). قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿قَوْمِهِ﴾ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَوْهُ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَأَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا نَزَلَتْ بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ أَدَّاهَا كُلُّ نَبِيٍّ بِلُغَةٍ"⁽⁶⁾ قَوْمِهِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ضَمِيرَ الْقَوْمِ وَهُمْ الْعَرَبُ، فَيُؤَدِّي إِلَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْعَرَبِيَّةِ لِيُبَيِّنَ لِلْعَرَبِ، وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٌ."⁽⁷⁾ ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 4] سَبَقَ مَعْنَى الضَّلَالِ وَالْهُدَايَةِ، لَكِنْ بَقِيَ الْكَلَامُ هَهُنَا فِي أَنَّ الْإِضْلَالَ كَيْفَ يَتَرْتَّبُ عَلَى إِسْأَالِ الرُّسُلِ بِلِسَانِ قَوْمِهِمْ؟ [وَوَجَّهُهُ: أَنَّ إِسْأَالَ الرُّسُلِ بِلِسَانِ قَوْمِهِمْ]⁽⁸⁾ سَبَبٌ لِكُفْرِ بَعْضٍ؛ حَسِداً وَعِنَاداً، وَإِيمَانِ بَعْضٍ؛ سَمْعاً⁽⁹⁾ وَطَاعَةً، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْكُفْرُ لَازِماً لِلْخِذْلَانِ وَالْإِضْلَالِ، وَالْإِيمَانُ لَازِماً لِلتَّوْفِيقِ لِلْهُدَايَةِ؛ ذَكَرَ الْإِضْلَالَ وَالْهُدَايَةَ مَقَامَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ؛ كِنَايَةً. وَإِلَى مَا ذَكَرْنَا⁽¹⁰⁾ أَشَارَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "وَالْمَرَادُ بِالْإِضْلَالِ: التَّخْلِيَةُ وَمَنْعُ الْأَطَافِ، وَبِالْهُدَايَةِ: التَّوْفِيقُ وَاللُّطْفُ، وَكَانَ ذَلِكَ كِنَايَةً

(1) في نسخة (غ): وكذلك.

(2) في نسخ (الأصل، م، غ): للقرب.

(3) في نسخ (الأصل، م، ض): المنشعبة.

(4) قراءة شاذة: (بِلِسْنِ) منسوبة إلى أبي السَّمَالِ، والأعمش، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 72)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 359)، والهُذَلِي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 580).

(5) قراءة شاذة: (بِلِسْنِ) بضم اللام والسين مضمومة، وهي قراءة منسوبة إلى جناح بن حبيش، قال ابن خالويه: "أراد جمع (لسان) مثل (ثمار) و(ثُمر)". ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 72).

(6) في نسخة (ض): بلسان.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 539).

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(9) في نسخة (غ): سمعاء.

(10) في نسخة (ض): ذكر.

عن الكُفْرِ والإيمان. ⁽¹⁾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4] تَذْيِيلٌ لِتَأْكِيدِ سَابِقِهِ؛ فَإِنَّ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ يُضِلُّ ⁽²⁾ مَنْ تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ إِضْلَالَهُ، وَيَهْدِي مَنْ تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ هِدَايَتَهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: 5]

مِثْلَ الْيَدِ وَالْعَصَا ⁽³⁾ وسائرِ مُعْجَزَاتِهِ، ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: 5] ﴿أَنْ﴾ مُفَسِّرَةٌ؛ لِأَنَّ فِي الْإِرْسَالِ مَعْنَى الْقَوْلِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدِّقَةً، بِتَقْدِيرِ حَرْفِ الْجَرِّ، قَدْ سَبَقَ جَوَازُ دُخُولِهَا عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعَ كَوْنِهِمَا ⁽⁴⁾ مِنْ أَقْسَامِ الْإِنْشَاءِ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "وَإِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَلَ بِفِعْلِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ وَضْلُهَا بِمَا يَكُونُ مَعَهُ فِي تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، وَهُوَ: (الْفِعْلُ) وَ(الْأَمْرُ)، وَغَيْرُهُ سِوَاءٌ فِي ⁽⁵⁾ الْفِعْلِيَّةِ". ⁽⁶⁾ ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5] أَي: بِوَقَائِعِهِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى الْأُمَمِ. وَقِيلَ: بِنِعْمَائِهِ وَبَلَائِهِ، وَنُسِبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5] إِنَّ فِي ذَلِكَ التَّنْذِيرَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ؛ فَإِنَّهُ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ لَا يَخْلُو ⁽⁷⁾ عَنْ حُدُوثِ الْوَقَائِعِ، فَيَصْبِرُ ⁽⁸⁾ عَلَيْهَا بِالضَّرُورَةِ إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ وَاقِعَةً، وَيَعْلَمُ أَنَّ الشُّكْرَ لَازِمٌ عَلَيْهِ فِي مُقَابَلَةِ النِّعَمَاءِ الْوَاصِلَةِ عَلَيْهِ يَوْمًا فَيَوْمًا، مَعَ احْتِمَالِ نَزُولِ تِلْكَ الْوَقَائِعِ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ: لِكُلِّ ⁽⁹⁾ مُؤْمِنٍ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ؛ إِشْعَارًا ⁽¹⁰⁾ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صَبَّارًا شَكُورًا.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 539).

(2) في نسخة (ش): يصلي.

(3) في نسخة (غ): القضا.

(4) في نسختي (الأصل، م): كونها.

(5) في نسختي (ش، غ): من.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 540).

(7) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): يخلوا، وفي نسخة (ض): لا يخ.

(8) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): فيصير.

(9) في نسخة (ش): بكل.

(10) في الأصل: إشعار.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [إبراهيم: 6]

(النِّعْمَةُ) إن كانت بمعنى (الإنعام)، يَتَعَلَّقُ به ﴿عَلَيْكُمْ﴾، ويجوز أن يَتَعَلَّقَ ﴿إِذْ﴾ به [حينئذٍ⁽¹⁾]. وإن كَانَتْ بمعنى (العَطِيَّة)، يَكُونُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا. وحينئذٍ يجوز أن يَتَعَلَّقَ ﴿إِذْ﴾ به⁽²⁾ بخلاف الاحتمال الأول. ويجوز أن يكون بَدَلًا من ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، على أن يكون المراد: اذْكُرُوا وَقْتُ انِّجَائِكُمْ. ﴿يُسْـَٔمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَيِّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: 6] سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَّا أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَذَابِ هَهُنَا: غَيْرُ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ، بخلاف ما في سورة البقرة؛ فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْهُمَا، حَيْثُ ذَكَرَ ﴿يُذَيِّبُونَ﴾ [البقرة: 49] بِدُونِ الْوَاوِ بِطَرِيقِ التَّقْسِيرِ، وَهَهُنَا مَعَ الْوَاوِ لِلْمُعَايَرَةِ.⁽³⁾ ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: 6] وَفِي فِعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ امْتِحَانٌ عَظِيمٌ لَكُمْ. ويجوز أن يكون ذلك إشارةً إِلَى الْإِنْجَاءِ، وَالَامْتِحَانُ كَمَا يَكُونُ بِالْمِحْنَةِ يَكُونُ بِالْمِنْحَةِ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]

عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾، دَاخِلٌ تَحْتَ قَوْلِ مُوسَى، أَي: وَاذْكُرُوا حِينَ⁽⁴⁾ آذَنَ رَبُّكُمْ إِذِذَا بَلِيغًا؛ لِأَنَّ فِي⁽⁵⁾ (تَفَعَّلَ) زِيَادَةً مَعْنَى لَيْسَ فِي (أَفْعَلَ). ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] [أَي: وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾]؛⁽⁶⁾ لِأَنَّ فِي ﴿تَأَذَّنَ﴾ مَعْنَى الْقَوْلِ. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ

(1) فِي نَسَخَتِي (ش، ض): ح.

(2) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

(3) فِي نَسَخَةِ (غ): لِلْمُفَارَظَةِ. وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ (الْمُتَوَفَى: نَحْوَ 505هـ) فِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ: "قَوْلُهُ ﴿يُذَيِّبُونَ﴾ بِغَيْرِ وَآوِ هُنَا عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿يُسْـَٔمُونَكُمْ﴾، وَفِي الْأَعْرَافِ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف: 141]، وَفِي إِبْرَاهِيمَ ﴿وَيُذَيِّبُونَ﴾ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَالْأَعْرَافِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَرِدْ تَعْدَادُ الْمَحَنِّ عَلَيْهِمْ، وَالَّذِي فِي إِبْرَاهِيمَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى فَعَدَّدَ الْمَحَنِّ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مَأْمُورًا بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]. الْكِرْمَانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرٍ، تَاجُ الْقُرَاءَةِ (الْمُتَوَفَى: نَحْوَ 505هـ)، أَسْرَارُ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ الْمُسَمَّى الْبَرْهَانِ فِي تَوْجِيهِهِ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدُ عَطَا، دَارُ الْفَضِيلَةِ، (ص: 72).

(4) فِي نَسَخَةِ (غ): حَتَّى.

(5) فِي نَسَخَةِ (غ): مِنْ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

مسعود (وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ).⁽¹⁾ ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] جزاء الشرط محذوف و﴿إِنَّ عَذَابِي﴾ علة للجزاء المحذوف، وقرينة عليه. وليس بجزاء؛ لأن الجملة الاسمية لا يصح أن تقع جزاء بدون الفاء. وإلى هذا المعنى أشار البيضاوي بقوله: "وَمِنْ عَادَةِ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ أَنْ يُصَرِّحَ بِالْوَعْدِ وَيُعْرِضَ بِالْوَعِيدِ."⁽²⁾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 8] من الثقلين، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِي حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: 8] غير محتاج إلى شكركم، بل هو محمود تحمده الملائكة، بل ذرأت الكائنات؛ حيث يظهرون آثار إنعامه، فما ضررتم بكفركم إلا أنفسكم، حيث عرضتموها⁽³⁾ للعذاب وحرمتموها الخير الذي ينفعكم في الدارين.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [إبراهيم: 9]

جملة ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ استئناف؛ لبيان النبأ المذكور، وجملة ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اعتراض. ويجوز أن يكون ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطفًا على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، وتكون جملة ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾ اعتراضاً، ومعناها: لا يعلم عددهم إلا الله، وهو كناية عن كثرتهم. ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: 9] فعصوها⁽⁴⁾ غيظاً وضجراً، أو ضحكاً واستهزاءً، أو⁽⁵⁾ أشاروا إلى ما نطق به ألسنتهم من قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾، يعني: ليس عندنا غير هذا الجواب. أو وضعوا أيديهم إلى أفواههم يقولون للأنبياء: لا تفتحوا أفواهكم واسكتوا، أو ردوها في أفواه الأنبياء يُشيرون لهم إلى السكوت. وقيل: (الأيدي) جمع (يد)، وهي النعمة، أي: ردوا

(1) قراءة شاذة: ذكرها الطبري، والثعلبي (المتوفى: 427هـ)، والزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان في تفاسيرهم، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 526)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 306)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 541)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 343)، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير، (6/ 411).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 193).

(3) في نسختي (الأصل، م): عرضتموها.

(4) في نسخة (ض): فغظوها.

(5) في نسخة (ض): و، وفي نسخة (غ): إذ.

نِعَمَ الْأَنْبِيَاءِ -التي هي نَصَائِحُهُمْ⁽¹⁾ وَمَوَاعِظُهُمْ- فِي أَفْوَاهِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا كَذَّبُوهَا فَكَأَنَّهُمْ رَدُّوَهَا إِلَى حَيْثُ جَاءَتْ مِنْهُ. ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ [إبراهيم: 9] عَلَى رَعْمِكُمْ وَدَعْوَاكُمْ⁽²⁾، ﴿وَأَنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [إبراهيم: 9] مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ، أَوْ ذِي رَيْبَةٍ؛ فَإِنَّ (أَرَابَ) يَجِيءُ لَازِمًا وَمُنْعَدِيًا، كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: 10]

الهمزة للإنكارِ دَخَلَتْ عَلَى الظَّرْفِ؛ لَأَنَّ كَلَامَهُمْ كَانَ فِي الْمَشْكُوكِ فِيهِ. ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10] صِفَةً، أَوْ بَدَلٌ مُشْعِرٌ بِعِلَّةِ الْإِنْكَارِ. ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [إبراهيم: 10] (الَلَامُ) لَامُ الْعِلَّةِ، وَصِلَةٌ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ لِيَغْفِرَ لَكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (الَلَامُ) لَامُ الْأَجْلِ، وَيَكُونَ ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ فِي مَوْقِعِ الْمَفْعُولِ، أَي: يَدْعُوكُمْ لِأَجْلِ الْمَغْفِرَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَدْعُوكُمْ إِلَى الْمَغْفِرَةِ. ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: 10] مِنَ اللَّتَبْعِيضِ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ⁽³⁾ لِقَوْلِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "بَعْضُ ذُنُوبِكُمْ، وَهُوَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُهُ،⁽⁴⁾ دُونَ الْمَظَالِمِ."⁽⁵⁾ وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ -وإنْ كَانَ صَحِيحاً فِي خُصُوصِ الْمَقَامِ، لَكِنْ- لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ وَجْهُ مَجِيئِهِ هَكَذَا فِي خُطَابِ الْكَافِرِينَ، وَبُدُونِ (مِنْ) فِي خُطَابِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ فِي وَجْهِهِ: "وَكَانَ ذَلِكَ لِلتَّفَرِيقَةِ بَيْنَ الْخُطَابَيْنِ، وَلِئَلَّا يُسَوَّى⁽⁶⁾ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْمِيعَادِ."⁽⁷⁾ وَكَأَنَّ مَقْصُودَهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْكُفَّارِ: تَرْكُ الْكُفْرِ، وَالتَّوْبَةُ عَنْهُ، وَهُوَ بَعْضُ الذُّنُوبِ. وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: تَرْكُ جَمِيعِ الْمَعَاصِي، وَالتَّوْبَةُ عَنْهَا. وَهُوَ عَلَى وَفْقِ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ؛⁽⁸⁾ لَأَنَّ التَّوْبَةَ عَنْهُمْ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْبَعْضِ،⁽⁹⁾ بِخِلَافِ الْأَشَاعِرَةِ؛

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): مَصَالِحُهُمْ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): دَعْوَتَكُمْ.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (ض، غ).

(4) فِي الْأَصْلِ: يَحِبُّهُ.

(5) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 194).

(6) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): يَسْتَوِي.

(7) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 543).

(8) يَنْظُرُ لِلتَّفَاصِيلِ: الْهَمْدَانِيُّ، الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ (ت: 415هـ)، شَرْحُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ، (ص: 789).

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): بِالْبَعْضِ.

فَإِنَّ التَّوْبَةَ عَنْ ذَنْبٍ دُونَ ذَنْبٍ صَحِيحٌ عِنْدَهُمْ.⁽¹⁾ ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: 10] إِلَى وَفْتٍ قَدْ سَمَّاهُ، وَعَيْنُهُ. ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: 10] إِنكَارٌ لِّكَوْنِ الْبَشَرِ رَسُولًا. ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [إبراهيم: 10] بِإِدْعَاءِ النَّبُوَّةِ، ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10] بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ دَالَّةٍ عَلَى دَعْوَاكُمْ.⁽²⁾ وَإِنَّمَا⁽³⁾ قَالُوا ذَلِكَ⁽⁴⁾ تَعَنُّتًا وَعِنَادًا؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حُجَجٌ وَبَيِّنَاتٌ عَلَى صَحَّةِ دَعْوَاهُ.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11] لَا يَخْفَى أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَفْرَادَ الْإِنْسَانِ مُتَمَاثِلَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَا هُوَ رَأْيُ أَكْثَرِ الْفِرَقِ، بِخِلَافِ رَأْيِ الْأَشَاعِرَةِ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ عِنْدَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُرَادَ مِنَ الْبَشَرِ مَا⁽⁵⁾ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْهُ، أَيْ: الْبَدَنُ لَا مَجْمُوعُ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وفيه دليلٌ على أَنَّ النَّبُوَّةَ عَطَائِيَّةٌ، وَأَنَّ تَرْجِيحَ بَعْضِ الْجَائِزَاتِ عَلَى بَعْضٍ بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَى."⁽⁷⁾ وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَتِمُّ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِبَعْضِ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ فَضْلٍ وَمَزِيَّةٌ اخْتِصَاصٍ عَلَى بَعْضٍ فِي اسْتِحْقَاقِ النَّبُوَّةِ وَقَبُولِ الْفَيْضِ⁽⁸⁾ مِنْهُ تَعَالَى.⁽⁹⁾ وَهُوَ مَمْنُوعٌ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ بِحَسَبِ الرُّوحِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً، كَمَا هُوَ رَأْيُ الْأَشَاعِرَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الْجَائِزَاتِ عَلَى بَعْضٍ بِالْمَشِيئَةِ، كَمَا قَالَ الْبِيضَاوِيُّ. نَعَمْ، تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنْةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكُلَّ مُتَسَاوِيَةٌ الْأَقْدَامِ فِي⁽¹⁰⁾ قَبُولِ هَذِهِ الْمِنَّةِ. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(1) ينظر للتفاصيل: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي - لبنان، (ص: 137).

(2) في نسختي (الأصل، م): وَعِيدُكُمْ، وفي نسخة (غ): دعوتكم.

(3) في نسخة (غ): دائماً.

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) في جميع النسخ: مَنْ، وأثبت (ما) لأنه أصح.

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 195).

(8) في نسختي (ض، غ): القبض.

(9) سقط من نسخة (غ).

(10) في نسخة (غ): من.

[إبراهيم: 11] وَقَدْ سَبَقَ مِثْلُهُ. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: 11] أَمْرٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّوَكُّلِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: وَمِنْ حَقِّنا وَحَقِّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مُعَانَدَتِكُمْ.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 12]

فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنْ تَقْدِيمَ الظَّرْفِ عَلَى التَّوَكُّلِ فِي الْأَوَّلِ⁽¹⁾ لَيْسَ لِقَصْدِ الْقَصْرِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ لَيْسَ مَقَامَ الْقَصْرِ. ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: 12] وَقَدْ هَدَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا سَبِيلَهُ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى التَّوْحِيدِ، وَتَقْوِيضِ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ. ﴿وَلَتَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنُمُونَا﴾ [إبراهيم: 12] جُمْلَةٌ قَسَمِيَّةٌ، ذُكِرَتْ تَأْكِيداً لِكُونِهِمْ مُتَوَكِّلِينَ. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12] أَمْرٌ بِالثَّبَاتِ عَلَى التَّوَكُّلِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِإِحْدَاثِهِ، فَلَا تَكَرَّارَ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: 13]

رَدُّوا التَّخْوِيفَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ مُؤَكِّدًا بِالْقَسَمِ. وَ(عَادَ) هَهُنَا بِمَعْنَى (صَارَ)؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ مَعْصُومُونَ عَنِ الْكُفْرِ، لَا مَعْنَى لِعَوْدِهِمْ إِلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِسْنَادُ الْعَوْدِ إِلَيْهِمْ بِاعْتِبَارِ جَمَاعَتِهِمْ. ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: 13] إِنَّمَا جَازَ وَقُوعُ الْإِيحَاءِ عَلَى ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾ - وَهُوَ جُمْلَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ -؛ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، أَي: قَائِلًا: لَنُهْلِكَنَّ.

﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: 14]

﴿الْأَرْضُ﴾ أَرْضُ الظَّالِمِينَ وَدِيَارُهُمْ. وَفُرِئَ (لَنُهْلِكَنَّ) وَ(لَنُسَكِّنَنَّكُمْ) عَلَى الْغَيْبَةِ،⁽²⁾ اعْتِبَارًا بِلَفْظِ (أَوْحَى) فَإِنَّهُ لَفْظُ غَيْبَةٍ. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14] ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الْمُوحَى بِهِ، وَ(الْمَقَامُ): مَوْقِفُ الْحِسَابِ. وَأُضِيفَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ مَوْقِفُهُ⁽³⁾ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "مَصْدَرًا مِيمِيًّا"، أَي: لِمَنْ خَافَ قِيَامِي عَلَيْهِ وَحَفَظِي لِأَعْمَالِهِ. وَقِيلَ: هُوَ مُقَحَّمٌ فِي الْكَلَامِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): الْأُولَى.

(2) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: تُسَبِّتُ إِلَى ابْنِ أَبِي عِبْلَةَ، وَأَبِي حَيَّةٍ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصِرٌ فِي شَوَادِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 72)، الْهُذَلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 580).

(3) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): مَوْقِفُهُ.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ [إبراهيم: 15]

أي: اسْتَنْصَرُوا على أَعْدَائِهِمْ، نحو: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: 19]. ويجوز أن يكونَ من الفَتْاحَةِ، أي: اسْتَحْكُمُوهُ، وَطَلَبُوا الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، نحو: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 89]. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15] أي: اسْتَنْصَرُوا وَنُصِرُوا، وَخَابَ أَعْدَاؤُهُمْ. وقيل: اسْتَفْتَحَ الْكُفَّارُ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْهُمْ وَلَمْ يَفْلَحْ. ويجوز أن يكونَ من قبيلِ الإِظْهَارِ مَوْضِعِ الإِضْمَارِ؛ لِلإِشْعَارِ بِوَجْهِ الْخَيْبَةِ.

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ﴾ [إبراهيم: 16]

أي: مِنْ [بَيْنِ يَدَيْهِ]⁽¹⁾ جَهَنَّمَ، وهو مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنْ كَانَ الْمُرَادُ وَصْفَ حَالِهِ وهو في الآخِرَةِ حِينَ يُبْعَثُ وَيُوقَفُ. وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ وَصْفَ حَالِهِ وهو في الدُّنْيَا فَمَحْمُولٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، كما قال صاحبُ الْكَشَافِ: "لأنَّه مُرْصَدٌ بِجَهَنَّمَ، فكأنَّها بَيْنَ يَدَيْهِ وهو على شَفِيرِهَا."⁽²⁾ قال البيضاوي: "فإنَّه مُرْصَدٌ بِهَا وَاقِفٌ عَلَى شَفِيرِهَا فِي الدُّنْيَا مَبْعُوثٌ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ."⁽³⁾ وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ لَمْ يُفَرَّقْ بَيْنَ الْإِحْتِمَالَيْنِ: بَيْنَ⁽⁴⁾ وَصْفِ حَالِهِ وهو⁽⁵⁾ فِي الدُّنْيَا، وَبَيْنَ وَصْفِ حَالِهِ وهو⁽⁶⁾ فِي الْآخِرَةِ حِينَ يُبْعَثُ. ثُمَّ قَالَ: "وَحَقِيقَتُهُ مَا تَوَارَى عَنْكَ."⁽⁷⁾ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ إِطْلَاقَ (مِنْ وَرَائِهِ) عَلَى (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) لَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ ذَكَرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: أَنَّ⁽⁸⁾ (وَرَاءَ) فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ جُعِلَ ظَرْفًا، وَيُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ، فَيُرَادُ بِهِ: مَا يَتَوَارَى بِهِ، وَهُوَ خَلْفٌ، وَإِلَى الْمَفْعُولِ فَيُرَادُ بِهِ [مَا يُوَارِيهِ]⁽⁹⁾ وَهُوَ قُدَامُهُ،⁽¹⁰⁾ فَبَيْنَهُمَا نَوْعٌ تَدَافُعٍ، فَتَدَبَّرَ. ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16] عَطِفَ عَلَى مَحذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ﴾ [إبراهيم: 16] كما

(1) بين المعقوفتين في نسخ (ش، ض، غ): قدام.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 546).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 195).

(4) في جميع النسخ: وبين.

(5) سقط من نسختي (الأصل، م).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 195).

(8) سقط من نسخة (غ).

(9) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(10) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (1/ 94).

قال صاحب الكشاف: "تقديره: مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ يَلْقَى فِيهَا مَا يَلْقَى ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾".⁽¹⁾ والصَّدِيدُ: ما يَسِيلُ من جُلُودٍ⁽²⁾ أَهْلِ النَّارِ، وهو عَطْفُ بَيَانٍ لـ ﴿مَاءٍ﴾.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ [إبراهيم: 17]

يَتَكَلَّفُ جَرَّعَهُ، وَلَا تَتَيَسَّرُ⁽³⁾ لَهُ إِسَاغَتُهُ. نَفْيُ قُرْبِ الْإِسَاغَةِ، مُبَالَغَةٌ فِي نَفْيِ الْإِسَاغَةِ. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: 17] أَي: تُحِيطُ بِهِ أَسْبَابُ الْمَوْتِ [من جميع الجوانب]. وفيه: تَنْبِيْهُ عَلَى تَحَقُّقِ الْعَذَابِ الْجِسْمَانِيِّ؛ لِأَنَّ أَسْبَابَ الْمَوْتِ⁽⁴⁾ إِنَّمَا تَأْتِي مِنَ الْأَمَكِنَةِ إِذَا كَانَتْ شَذَائِدَ جِسْمَانِيَّةً. وَقِيلَ: مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَسَدِهِ. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17] فَلَا يَسْتَرِيحُ أَبَدًا. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: 17] فَكُلُّ عَذَابٍ يَأْتِيهِ يَكُونُ أَشَدَّ مِمَّا قَبْلَهُ. وَقِيلَ: هُوَ خُلُودُ النَّارِ. وَقِيلَ: هُوَ حَبْسُ الْأَنْفَاسِ. وَقِيلَ: الْآيَةُ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، مُنْقَطِعٌ⁽⁵⁾ عَنْ حَدِيثِ الرَّسْلِ نَازِلٍ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، قَدْ اسْتَفْتَحُوا، أَي: اسْتَمَطَرُوا فِي سِنِينَ الْقَحْطِ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُسْقَوْا فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ خَيَّبَ رَجَاءَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَأَنَّهُ يُسْقِيهِمْ فِي جَهَنَّمَ -بَدَلِ سُقْيَاهُمْ- صَدِيدَ أَهْلِ النَّارِ. وَالْإِسْتِفْتَاخُ عَلَى هَذَا مَأْخُودٌ مِنَ (الْفَتْحِ) الَّذِي بِمَعْنَى الْمَطَرِ.⁽⁶⁾

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 546).

(2) سقط من نسخة (ش). خلود.

(3) في جميع النسخ: يتيسر.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) في نسختي (الأصل، م): ينقطع.

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 546)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير (6/ 418).

وأخرج البخاري في صحيحه (2/ 26) في كتاب أبواب الاستسقاء باب دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ» برقم (1006)، ومسلم في صحيحه (1/ 466) في كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ باب اسْتِخْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ بِرَقْم (675)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ» وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «غَفَارُ غَفَرِ اللَّهِ لَهَا وَأَسْلَمَ سَأَلَهَا اللَّهُ»، وزاد مسلم في روايته: ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: 18]

(المَثَلُ) مُسْتَعَارٌ لِلصِّفَةِ الَّتِي فِيهَا غَرَابَةٌ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وَجُمْلَةُ ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ. ⁽¹⁾ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْخَبَرُ كَقَوْلِكَ: صِفَةُ زَيْدٍ عَرَضُهُ مَضُونٌ وَمَالُهُ مَبْدُولٌ. وَيَجُوزُ ⁽²⁾ أَنْ يَكُونَ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ بَدَلًا مِنَ الْمَثَلِ، وَيَكُونُ ﴿كَرَمَادٍ﴾ خَبْرًا. جُعِلَ الْعَصْفُ لِلْيَوْمِ وَهُوَ لِمَا فِيهِ؛ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِمْ: نَهَارُهُ صَائِمٌ. وَ(أَعْمَالُ الْكَفَرَةِ): مَا كَانَتْ لَهُمْ مِنَ الْمَكَارِمِ؛ مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِتْقِ الرِّقَابِ، وَفِدَاءِ ⁽³⁾ الْأَسَارَى، وَعَقْرِ الْإِبِلِ لِلأَضْيَافِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. شَبَّهَهَا فِي حُبُوطِهَا وَذَهَابِهَا هَبَاءً مَنُثُورًا ⁽⁴⁾ بِرَمَادٍ طَيَّرَتْهُ الرِّيحُ ⁽⁵⁾ الْعَاصِفَةُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَبْنُوْهَا عَلَى أَسَاسٍ هُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِيمَانُ بِهِ، فَلَا ⁽⁶⁾ يَنْفَعُهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا بِالضَّرُورَةِ. ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 18] فَذَلِكَ التَّمَثِيلُ؛ فَإِنَّ الرَّمَادَ الْمُطَيَّرَ بِالرِّيحِ ⁽⁷⁾ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ حَالُ أَفْعَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18] عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، أَوْ عَنِ النَّوَابِ. وَ﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى ضَلَالِهِمْ الَّذِي ⁽⁸⁾ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ فِيهِ.

(1) تَقْدِيرُهُ: مَا هُوَ مِثْلُهُمْ؟ وَالْجَوَابُ: أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ...

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): وَنَحْوِ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): مَدَارِ.

(4) فِي نَسْخَةِ (م): مَنُشُورًا.

(5) فِي نَسْخِ (ش، ض، غ): الرِّيحِ.

(6) فِي نَسْخَةِ (ش): وَلَا.

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): فِي الرِّيحِ.

(8) فِي نَسْخَةِ (ض): الَّذِينَ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 19]

خِطَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والمرادُ به أُمَّتُهُ، كذا قال البيضاوي.⁽¹⁾ ويجوز أن يكون خطاباً لِكُلِّ⁽²⁾ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ. وَفُرِئَ (خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ)،⁽³⁾ أي: بِالْحِكْمَةِ، وَالْوَجْهَ الَّذِي يَحِقُّ أَنْ يُخْلَقَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثاً بَلَا نَفْعٍ. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19] أي: قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعْذِمَ النَّاسَ، وَيَخْلُقَ مَكَانَهُمْ خَلْقاً آخَرَ،⁽⁴⁾ والجمله خبرٌ بعدَ خبرٍ، كأنه قال: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَادِرٌ عَلَى إِعْدَامِ الْمَوْجُودِينَ، وَإِيجَادِ⁽⁵⁾ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْعَدَمِ، وَالْمَجْمُوعُ بَيَانٌ لِإِبْعَادِهِمْ فِي⁽⁶⁾ الضَّلَالِ. قال البيضاوي: "رَتَّبَ ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهِ خَالِقاً لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ اسْتِدْلَالاً بِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ خَلَقَ⁽⁷⁾ أَصُولَهُمْ وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَخْلِيْقُهُمْ، ثُمَّ كَوَّنَهُمْ بِتَبْدِيلِ الصُّوَرِ وَتَغْيِيرِ الطَّبَائِعِ؛ قَدَرٌ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ بِخَلْقٍ آخَرَ." ⁽⁸⁾ "كَأَنَّهُ جَعَلَ⁽⁹⁾ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعَمَّ مِنْ خَلْقِهِمَا وَخَلَقَ مَا فِيهِمَا، وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ اسْتِدْلَالُهُ. وَالْأَمْرُ فِيهِ سَهْلٌ لَكِنْ لَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ: "رَتَّبَ ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهِ خَالِقاً"،⁽¹⁰⁾ إِذْ⁽¹¹⁾ لَيْسَ فِي الْعِبَارَةِ شَيْءٌ يَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَالنَّتِيجَةُ لَا تَتَرَتَّبُ عَلَى الدَّلِيلِ بَدُونِ الْفَاءِ، فَالْأَوَّلَى مَا ذَكَرْنَاهُ.

(1) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 196).

(2) في نسخة (ش): بكل.

(3) قراءة متواترة: قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ) [إبراهيم: 19] بالألف والرفع، و(السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [إبراهيم: 19] بالخفض. وقرأ الباقر (خَلَقَ) بالنصب من غير ألف (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالنصب. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 362)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 256).

(4) في نسختي (م، غ): أخرى.

(5) في نسخة (غ): اتخاذ.

(6) في نسخة (غ): من.

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 196).

(9) في نسخة (م): تعالى.

(10) سقط من نسخة (غ).

(11) في نسخة (غ): أو.

﴿وَمَا ذَلِك عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 20]

بِمُتَعَذِّرٍ،⁽¹⁾ بل هو هَيِّنٌ عليه؛ لأنه قادرٌ بالذاتِ، لا خُصُوصِيَّةَ له بِمَقْدُورٍ دُونَ مَقْدُورٍ،⁽²⁾ والجملةُ تَذْيِيلٌ.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21] أي: يَبْرُزُونَ لِلَّهِ⁽³⁾ يومَ القيامةِ جميعاً. وإنما جِيءَ بِلَفْظِ المَاضِي؛ لِتَحْقُوقِ وَقوعِهِ، نحو ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 44]. والظَّاهِرُ أَنَّ اللَّامَ صِلَةٌ لِلْبُرُوزِ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ: أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَتَوَارَى عَنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يَصِحَّ بُرُوزُهُ لَهُ، وَأُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّ المَرَادَ أَنَّهُمْ يَبْرُزُونَ لِلَّهِ⁽⁴⁾ بِاعْتِقَادِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا يَسْتَتِرُونَ مِنَ الْعُيُونِ⁽⁵⁾ عِنْدَ ازْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، فَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ خَافٍ عَلَى اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ بُرُوزُهُمْ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ المَرَادُ: وَيَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَبْرُزُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَحِسَابِهِ. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [إبراهيم: 21] أي: فَقَالَ الَّتَابِعُ الصَّعَافُ الرَّأْيَ لِكُبْرَائِهِمُ الَّذِينَ اسْتَتَبَعُوهُمْ وَصَدُّوهُمْ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: 21] مَقُولُ الْقَوْلِ، وَ(التَّبَعُ): جَمْعُ تَابِعٍ، كَخَدَمٍ وَخَادِمٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا، كَمَا يُقَالُ: تَبِعَهُ تَبَعًا، عَلَى تَقْدِيرِ ذَوِي تَبَعٍ، أَوْ عَلَى الْمَبَالِغَةِ، نَحْوُ: زَيْدٌ عَدْلٌ. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْغُنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 21] ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى: (6) لِلْبَيَانِ، فِي مَوْقِعِ (7) الْحَالِ عَنْ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾. وَالثَّانِيَةُ: لِلتَّبْعِيضِ، فِي مَوْقِعِ الْمَفْعُولِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْأُولَى (8) أَيْضًا لِلتَّبْعِيضِ؛ إِمَّا عَلَى الْحَالِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَفْعُولُ، وَ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فِي مَوْقِعِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَهَلْ أَنْتُمْ دَافِعُونَ (9) عَنَّا بَعْضَ عَذَابِ اللَّهِ بَعْضَ إِغْنَاءٍ (10) مِنْ شَيْءٍ. ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾ [إبراهيم: 21] قَالَ الْكُبْرَاءُ -جَوَابًا عَنْ عِتَابِ الَّتَابِعِ اعْتِدَارًا

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لِمُتَعَذِّرٍ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): مَقْدَارٍ.

(3) فِي نَسْخَةِ (ض): لِلَّهِ.

(4) فِي نَسْخَةِ (ض): لِلَّهِ.

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): الصُّونِ.

(6) فِي نَسْخِ (الأَصْلِ، م، ش، ض): الْأَوَّلِ.

(7) فِي نَسْخَةِ (م): مَوْضِعٍ.

(8) فِي نَسْخِ (الأَصْلِ، م، ش، ض): الْأَوَّلِ.

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): وَاقِعُونَ.

(10) فِي نَسْخَةِ (ش): غِنَاءٍ.

عَمَّا فَعَلُوا بِهِمْ -: لَوْ وَفَّقَنَا اللَّهُ لِلْإِيمَانِ لَهَدَيْنَاكُمْ، وَلَكِنْ لَمْ يُوفِّقْنَا، فَوَقَّعْنَا فِي الضَّلَالِ، فَأَضَلَّلْنَاكُمْ، ونحوه: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ [الأنعام: 148]. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: 21] أي: لا فائدة في الكلام والعتاب بعد ذلك، كما لا فائدة في⁽¹⁾ الصبر. وهو الاعتراف بكمال الخسران، والإقرار بنهاية العجز. وقد سبق: وَجْهٌ وَفُوعِ الْفِعْلِ فَاعِلًا لِلْمَصْدَرِ، وَتَوْسِيطِ حَرْفِ الاستفهام بينهما، مع اقتضائها الصدارة في سورة البقرة في آية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ [البقرة: 6]، فَتَذَكَّرَ. ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21] تقرير وتأكيد لما يُفهم من سابقه. و(المحيص): يَحْتَمِلُ الْمَصْدَرَ وَالْمَكَانَ، أي: (2) مَا لَنَا مِنْ مَخْلَصٍ وَمَهْرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ. وقيل: قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ من كلام الفريقين، ويؤيده ما روي أنهم يقولون: تَعَالَوْا نَجْرَعْ، فَيَجْرَعُونَ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ، فَلَا يَنْقُضُهُمْ، فيقولون: تَعَالَوْا نَصْبِرْ، فَيَصْبِرُونَ كذلك، ثُمَّ يقولون: سَوَاءٌ عَلَيْنَا. (3) ولا يخفى أن الظاهر أن هذه المكالمة كانت في المحسر، حين (4) ﴿بَرَزُوا لِلَّهِ﴾، كما يُنادي عليه سياق الكلام. والرواية على تقدير (5) صحتها لا تنافي؛ لِجَوَازِ أَنْ يَصْدُرَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: 22] لَمَّا قُطِعَ الْأَمْرُ وَفُرِغَ مِنْهُ، وهو: (6) الْحِسَابُ.

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير (84 / 19)، عن كعب بن مالك عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم وفيه أنس بن القاسم. قال ابن أبي حاتم: هو مجهول. ينظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ، (7 / 2240)، والجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1271 هـ - 1952 م، (2 / 288)، ينظر أيضاً: مقاتل بن سليمان (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (2 / 403)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر - بيروت، (5 / 17)، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1414 هـ، (3 / 126)، و البغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4 / 344).

(4) في نسختي (ض، غ): حتى.

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) في نسخة (غ): وفرغ.

رُوي أَنَّ الشَّيْطَانَ عِنْدَ دُخُولِ أَهْلِ النَّارِ النَّارَ يَقُومُ خَطِيباً فِي (1) الْأَشْقِيَاءِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22] (2) أَي: الوَعْدَ الَّذِي أُنْجَزَ عَلَى التَّحْقِيقِ بِلَا (3) شَائِبَةٍ خُلْفٍ. وَهُوَ الْبُعْثُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ. ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: 22] أَي: وَعَدْتُكُمْ وَعَدَ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا يُنْجِزُ، وَهُوَ: أَنَّ الْأَصْنَامَ يَشْفَعُونَ، عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّةِ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ. جَعَلَ تَحْقِيقَ بُطْلَانِ الْوَعْدِ وَعِلْمَهُ بِبُطْلَانِهِ بِمَنْزِلَةِ الْإِخْلَافِ مِنْهُ. ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: 22] مِنْ تَسْلُطٍ وَجَبَرٍ، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: 22] أَي: إِلَّا هَذَا التَّسْلُطُ الَّذِي مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ بِتَسْلُطٍ؛ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِمْ: تَحِيَّةٌ (4) بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ. (5) وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعاً عَلَى مَعْنَى: لَكِنْ دُعَائِي إِيَّاكُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي صَدَرَ مِنِّي (6) بِلَا قَسْرِ وَإِلْجَاءٍ، فَاسْتَجَبْتُمْ لِي. ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي لَوْمَةً أَنفُسَكُمْ﴾

(1) في نسخة (غ): من.

(2) روى الطبري في تفسيره: حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك عن ذكره قال، سمعت محمد بن كعب القرظي، قال في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22]، قال: قام إبليس يخطبهم فقال: (إن الله وعدهم وعد الحق)، إلى قوله: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]، يقول: بمغنٍ عنكم شيئاً. ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 563)، وابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 489).

(3) في نسخة (غ): لا.

(4) في نسختي (ش، ض): تحيو.

(5) الشعر منسوب إلى عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ الرُّبَيْدِي، وهو أبو ثور عمرو بن معدي كرب الرُّبَيْدِي -بضم الزاي وفتح الباء وسكون الياء- سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَسْلَمَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ مَعَ مَرْتَدِي الْيَمَنِ وَحَارِبِ عَمَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمَنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَشَهِدَ الْفَتْوحَ وَحَسَنَ بِلَاؤَهُ فِيهَا. تَمَامُهُ بَيْتُهُ:

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّغَتْ لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةً بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ.

والمعنى: رُبُّ خَيْلٍ لِلْأَعْدَاءِ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلٍ أُخْرَى، كَانَ التَّحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْباً وَجِيعاً، أَي: كَانَ مَكَانَ التَّحِيَّةِ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الضَّرْبِ. يَنْظُرُ: النِّسَابُورِي، مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَشِيرِي (المتوفى: 261هـ)، الْكُنَى وَالْأَسْمَاءُ، تَحْقِيقُ: عَبْدُ الرَّحِيمِ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ الْقَشْقَرِي، عِمَادَةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1404هـ/1984م، (1/ 168)، وَالْمَرْزُبَانِي، الْإِمَامُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ (المتوفى: 384هـ)، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، تَحْقِيقُ: الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ ف. كَرْنُكُو، مَكْتَبَةُ الْقُدْسِيِّ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتُ -لُبْنَانُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، 1402هـ - 1982م، (ص: 208)، وَالطَّرَائِشِي، مَطَاعٌ، شَعْرُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الرُّبَيْدِي، مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، 1405هـ-1985م، (ص: 149).

(6) في نسخة (غ): بين.

[إبراهيم: 22] بِاخْتِيَارٍ إِطَاعَتِي عَلَى إِطَاعَةِ مَنْ خَلَقَكُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْكُمْ مَنْ يَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ شِدَّةِ عَذَابِي مِنْكُمْ. ⁽¹⁾ قال ⁽²⁾ صاحبُ الكشف: "وهذا دليلٌ على أَنَّ الإنسانَ هو الذي يَخْتَارُ الشَّقَاوَةَ أَوْ السَّعَادَةَ وَيُحْصِلُهَا ⁽³⁾ لِنَفْسِهِ، وليس من الله إِلَّا التَّمَكُّينُ، ولا من الشَّيْطَانِ إِلَّا التَّزْيِينُ. ولو كان الأمرُ كما تَزْعُمُ الْمُجْبِرَةُ لَقَالَ: فلا تَلُومُونِي وَلَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَضَى عَلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَأَجْبَرَكُمْ عَلَيْهِ. ⁽⁴⁾ انتهى. فيه: أَنَّ النِّزَاعَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ليس إِلَّا في خَلْقِ الْعَبْدِ أفعالِهِ؛ قَالَتِ الْأَشَاعِرَةُ: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْتَارُ ⁽⁵⁾ الْفِعْلَ، فَيَخْلُقُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى وَفْقِ اخْتِيَارِهِ، وهو معنى قولهم: «إِنَّ الْعَبْدَ كَاسِبٌ وَالْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ». ⁽⁶⁾ فقوله: "وليس من الله إِلَّا التَّمَكُّينُ" أَوَّلُ بَحْثٍ، ثُمَّ قَوْلُهُ: "ولو كان الأمرُ كما تَزْعُمُ ⁽⁷⁾ الْمُجْبِرَةُ لَقَالَ: فلا تَلُومُونِي وَلَا أَنْفُسَكُمْ" في محلِّ الْمَنْعِ؛ لِأَنَّ اللَّوْمَ كما يَتَرْتَّبُ على خَلْقِ الْفِعْلِ يَتَرْتَّبُ على كَسْبِهِ وَكَسْبِ اسْتِحْقَاقِهِ. وقد تَقَرَّرَ ذلك في موضِعِهِ على وَجْهِ لا يُرَدُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَتَأَمَّلْ. ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ [إبراهيم: 22] الْإِصْرَاخُ: الْإِغَاثَةُ، أَي: لا يُغِيثُ بَعْضُنَا بَعْضًا، ولا يُنْجِيهِ. ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: 22] أَي: إِنِّي كَفَرْتُ الْيَوْمَ بِإِشْرَاكِكُمْ إِنِّي فِي الدُّنْيَا؛ على أَنْ تكون ﴿مَا﴾ مصدرِيَّةً، و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مُتَعَلِّقًا ب﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾. ⁽⁸⁾ وَنَحْوُهُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: 14]. وَالْكَفْرُ هَهُنَا بِمَعْنَى: التَّبَرِّي وَالِاسْتِنْكَارَ. وقيل: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مُتَعَلِّقٌ ب﴿كَفَرْتُ﴾، و﴿مَا﴾ مَوْصُولَةٌ، بِمَعْنَى (مَنْ)، أَي: إِنِّي كَفَرْتُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ حِينَ ⁽⁹⁾ أَبْنَيْتُ السُّجُودَ لِآدَمَ، بِالَّذِي أَشْرَكْتُمُونِيهِ، وهو: اللَّهُ سَبْحَانَهُ؛ على أَنْ يَكُونَ (الْإِشْرَاكُ) مَنْقُولًا مِنْ: شَرَكْتُ زَيْدًا، فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَنَحْوِ (مَا) هَذِهِ (مَا) ⁽¹⁰⁾

(1) في نسختي (ش، ض): معكم.

(2) في نسخة (ش): وقال.

(3) في نسختي (ش، ض): يحصلهما.

(4) الزمخشري، الكشف، (2/ 550).

(5) في نسخة (غ): مختار.

(6) سبق ذكر المسألة في صفحة: 231.

(7) في نسخ (م، ش، ض): زعم.

(8) في نسختي (الأصل، م): ب﴿مَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾.

(9) في نسخ (الأصل، م، غ): حتى.

(10) سقط من نسخ (الأصل، م، ض).

في قولهم: "سُبْحَانَ مَا" ⁽¹⁾ سَحَرَكُنْ لَنَا". ⁽²⁾ والمقصود من ذكر هذه الحكاية: إرشاد العباد لئلا يغتروا بوسوسة الشيطان، ويحذروا من ⁽³⁾ سوء العاقبة، قبل أن يغتريهم الإقناط الكلي نعوذ بالله من ذلك. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22] من تنمة الحكاية، ويحتمل أن يكون ابتداء كلام من الله سبحانه. ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: 23]

أي: أدخلتهم الملائكة بإذن الله وأمره، وهو من قول الله سبحانه، بدليل قراءة من قرأ: ﴿وَأُدْخِلَ﴾ ⁽⁴⁾ على حقيقة ⁽⁵⁾ الحكاية. فيقتضي السياق أن يكون قوله: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ابتداء كلام من الله، كما ⁽⁶⁾ لا يخفى على المتأمل في سياق الكلام؛ حيث جرت ⁽⁷⁾ عادته سبحانه بذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب معاً. وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ﴿أُدْخِلَ﴾، وعلى ⁽⁸⁾ القراءة الأخيرة متعلق بقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23] أي: يحيونهم الملائكة بالسلام بإذن ربهم.

(1) في نسخة (غ): من.

(2) هو من كلام العرب، تمامه: «سُبْحَانَ مَا سَبِحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَسُبْحَانَ مَا سَحَرَكُنْ لَنَا»، ذكره المبرّد شاهداً لبيانه: أن (ما) تستعمل لذوات غير الآدميين ولنوعات الآدميين. ينظر للتفاصيل: المبرّد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس (المتوفى: 285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (2/ 296).

(3) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(4) قراءة شاذة: ﴿وَأُدْخِلَ﴾ برفع اللام، وهي قراءة الحسن وعمر بن عبيد. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 72)، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (1/ 361).

(5) في نسخة (غ): صيغة.

(6) في نسخة (غ): لما.

(7) في جميع النسخ: جرى.

(8) في نسختي (الأصل، م): على (بحذف الواو).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: 24]

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾⁽¹⁾ نصبٌ على المفعول الأول⁽²⁾ لِمُقَدَّرٍ⁽³⁾، تقديرُهُ: جَعَلَ كَلِمَةً طَيِّبَةً [كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ]⁽⁴⁾. والجملةُ تفسِيرُ لقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾. ويجوز أن تكون ﴿كَلِمَةً﴾ مفعولاً أولٌ لـ ﴿ضَرَبَ﴾؛ لأنه مُتَضَمِّنٌ⁽⁵⁾ لِمَعْنَى الْجَعْلِ. وقوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ خبرٌ محذوفٌ، تقديرُهُ: وهي كشجرة. ويجوز أن يكون صفةً لـ ﴿كَلِمَةً﴾. وجوز البيضاوي أن تكون ﴿كَلِمَةً﴾ بدلاً من ﴿مَثَلًا﴾، وهو محلٌّ تأملٍ؛ لأنَّ الضَّرْبَ لا يَتَعَلَّقُ بالكلمة بلا كُلفَةٍ، والبَدَلِيَّةُ تَقْتَضِي صِحَّةَ هذا التَّعليقِ. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24] أي: أصلُها مُسْتَقَرٌّ في الأرض، وأعلاها ورأسها كائنٌ في السماء. ويجوز أن يكونَ المعنى: وَأَغْصَانُهَا فِي السَّمَاءِ؛ على إرادة الاستغراقِ من الإضافة. وقُرئ: (ثَابِتٍ أَصْلُهَا)⁽⁶⁾ على أنه صفةٌ لِشَجَرَةٍ، وهو⁽⁷⁾ غَيْرُ مَنْ [هو لَهَا]؛⁽⁸⁾ لأنَّ الثَّبَاتَ لِلأَصْلِ في الحقيقة. ولذلك حَكَّمَ صاحبُ الكشاف بأنَّ الأولَ أَقْوَى؛⁽⁹⁾ لأنه على الأصل. قال البيضاوي: "وَلَعَلَّ الثَّانِي أُنْبِغُ"⁽¹⁰⁾ وَكَأَنَّ وَجْهَهُ تَكَرُّرُ نِسْبَةِ الثَّبَاتِ؛ فَإِنَّهُ⁽¹¹⁾ نُسِبَ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى الوُصْفِيَّةِ، وَإِلَى الْأَصْلِ بِالْقِيَامِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ لَهُ عَلَى⁽¹²⁾ هذه القراءة. وعلى⁽¹³⁾ القراءة الأولى -وإن كانت جملةٌ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ منسوبةً إلى الشَّجَرَةِ بالوصفيَّةِ، لكنْ - لا تَكَرَّرُ

(1) بين القوسين المزهرين سقط من نسخة (غ).

(2) في نسخة (غ): الأولى.

(3) في نسخ (الأصل، م، ض): المقدر.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(5) في نسختي (الأصل، م): يتضمن.

(6) قراءة شاذة: وهي قراءة أنس بن مالك رضي الله عنه. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 72)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 362).

(7) في نسخة (غ): وهي.

(8) بين المعقوفتين في نسخة (غ): مولها. وقصده أن قراءة (ثابت أصلها) تُغيِّدُ انتقالَ صفةِ الثَّباتِ من الأصلِ إلى الشَّجَرَةِ.

(9) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 553).

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 198).

(11) في نسخة (ض): فإنها.

(12) في نسختي (الأصل، م): وعلى.

(13) في نسختي (ش، ض): على (بحذف الواو).

في نسبة الثَّباتِ كما في هذه القراءة. وَيُعَارِضُ قولَ صاحبِ الكَشَافِ أَنَّ القراءةَ الثانيةَ أيضاً على الأصلِ من وجهٍ آخر؛ لأنَّ الأصلَ في الصِّفَةِ الإفرادُ. والقراءةُ الثانيةُ على الأصلِ من هذا الوجهِ، بخلافِ القراءةِ الأولى؛⁽¹⁾ لوقوعِ الجملةِ وصفاً فيها.

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25]

الأَكْلُ بِضَمَّتَيْنِ: اسمٌ لما يُؤْكَلُ، والمرادُ ههنا الثَّمَرُ. والجملةُ صفةٌ [بعد صفة]⁽²⁾ لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾، أو استئنافٌ لبيانِ نفعِها، أي: تُعْطِي ثَمَرَهَا في كُلِّ وَقْتٍ بإِرادةِ اللَّهِ وتقديرِهِ. قال صاحبُ الكَشَافِ: "في كُلِّ وَقْتٍ وَقْتَهُ اللَّهُ لِإِثْمَارِهَا."⁽³⁾ وَإِنَّمَا احْتِيجَ إلى هذا القَيْدِ؛ لأنَّ العادةَ لم تَجِرْ بِإِثْمَارِ الشَّجَرَةِ دائِمَ الأوقاتِ. و(المَثَلُ) إِنَّمَا يَكُونُ بالأُمُورِ الواقِعَةِ، أو المُمْكِنِ الوُقُوعِ بِحَسَبِ العادةِ. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]؛ لأنَّ الإنسانَ أَشَدُّ ارتباطاً بالمَحْسُوسَاتِ، فلو لم يُمَثَّلِ المعقولُ بالمَحْسُوسِ لَمْ يَتَسَهَّلْ لَهُ تَعَقُّلُهُ⁽⁴⁾ حَقَّ التَّعَقُّلِ.

﴿وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 26]

الاجْتِنَاثُ: الإِسْتِصَالُ، أي: أُخِذَتْ جُنُثُهَا مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ. وفيه: إشارةٌ إلى أَنَّ عُرُوقَهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ لِتَكُونَ ثَابِتَةً فِيهَا، بل قَرِيبَةً مِنْهَا تَنْقَلِعُ⁽⁵⁾ بِأَذْنَى إِشَارَةٍ. ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26] تَقْرِيرٌ وتَوْضِيحٌ لسابقه. قيل في تَفْسِيرِ (الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ): هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وقيل: هِيَ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو مَنقولٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ. و(الكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ) [مَا يُقَابِلُهَا. قال البيضاوي: "ولعلَّ المرادُ بِهِمَا مَا يَعْمُ ذَلِكَ. فَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: مَا أَعْرَبَ عَنْ حَقٍّ أَوْ دَعَا⁽⁶⁾ إِلَى صَلاحٍ، وَالكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ]:⁽⁷⁾ مَا كَانَتْ عَلَى

(1) في نسختي (ش، ض): الأول.

(2) بين المعقوفتين في نسخة (غ): بوصفه.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 553).

(4) في نسخة (ش): بعقله، وفي نسخة (ض): يعقله.

(5) في نسخة (ض): ينقلب.

(6) في جميع النسخ: دعاء، ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 198).

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

خِلَافِ ذَلِكَ.⁽¹⁾ وَقِيلَ فِي الشَّجَرَةِ: هِيَ النَّخْلَةُ، وَهُوَ⁽²⁾ مَرْوِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.⁽³⁾ وَقِيلَ: هِيَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: هِيَ⁽⁴⁾ الْحَنْظَلَةُ وَالْكَشُوثُ.⁽⁵⁾ قَالَ الْبَيْضاوي: "وَلَعَلَّ الْمَرَادُ بِهِمَا أَيْضاً مَا يَعُمُّ ذَلِكَ."⁽¹⁾

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 198).

(2) سقط من نسخة (ش).

(3) أخرج الترمذي في سننه (5/ 295) برقم (3119): حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِنَاعٍ عَلَيْهِ رُطْبٌ، فَقَالَ: «مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» ① تَوَاتَرَتْ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ② [إبراهيم: 24-25]، قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» ③ «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» [إبراهيم: 26] قَالَ: «هِيَ الْحَنْظَلُ» قَالَ: فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا الْعَالِيَةِ، فَقَالَ: صَدَقَ وَأَحْسَنَ. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ وَلَمْ يَرْفَعَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَرَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِثْلَ هَذَا مُوقُوفًا، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَرَوَاهُ مُعَمَّرٌ، وَحَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ وَلَمْ يَرْفَعُوهُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ أَنَسِ، نَحْوَ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ وَلَمْ يَرْفَعَهُ.

وروى النسائي في سننه (10/ 138) برقم: (11198): أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِنَاعٍ مِنْ بُسْرِ، فَقَالَ: «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

وأخرج أبو يعلى في مسنده (7/ 182) برقم (4165)، ورواه ابن حبان في صحيحه (2/ 223) برقم (4165) عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ [ص: 223] أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى بِقِنَاعٍ جَزْءٍ، فَقَالَ: «مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» ① تَوَاتَرَتْ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ② [إبراهيم: 24-25]، فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» ③ «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» [إبراهيم: 26]، قَالَ: «هِيَ الْحَنْظَلَةُ» ④. قَالَ شُعَيْبٌ: فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا الْعَالِيَةِ، فَقَالَ كَذَلِكَ كُنَّا نَسْمَعُ.

وروى الحاكم في المستدرک (2/ 383): أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَيُّوبَ، ثنا أَبُو يَحْيَى بْنُ أَبِي مَسْرَةَ، ثنا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعَطَّارُ، ثنا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَابِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِنَاعٍ مِنْ بُسْرِ، «فَقَرَأَ» "مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ" قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(4) يعني الشجرة الخبيثة.

(5) في نسخة (غ): الكشوف. قال الجوهري: الكشوث نبت يتعلّق بأغصان الشجر، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضْرِبَ بِعِزْقٍ فِي الْأَرْضِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

هُوَ الْكَشُوثُ، فَلَا أَصْلَ، وَلَا وَرَقَ، ... وَلَا نَسِيمَ، وَلَا ظِلَّ، وَلَا ثَمَرَ. ابن منظور (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (2/ 181).

﴿يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]

القول الثابت: ما تمكّن في قلوبهم، وثبت عندهم بالحجة والبراهين. وثباتهم في الحياة الدنيا: عدم تزلزلهم في دينهم إذا افتتنوا، كزكريا، ويحيى، وغيرهما من أرباب الإبتلاء. وثباتهم في الآخرة: أن لا تدهشهم⁽²⁾ أحوال الحشر. وقيل معناه: الثبات عند سؤال القبر⁽³⁾. وعن البراء⁽⁴⁾ ابن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثُمَّ يُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ⁽⁵⁾ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27]». ⁽⁶⁾ ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: 27] الذين ظلموا أنفسهم بعدم⁽⁷⁾ تحصيل الثبات في الدين، ولم يتأملوا في الحجج والبراهين، أو الذين وصّغوا التقليد ومتابعة كبارهم موضع التأمل في أمر الدين وتحصيل اليقين. ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] من الإضلال والتشبيب، وقد سبق⁽⁸⁾ معنى نسبة الإضلال إليه، فتذكر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: 28]

أي: شكر نعمة الله كفرًا، ونحوه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82] أي: شكر رزقكم. ويحتمل أن يكون المراد: تبديل نفس النعمة إلى الكفر، بمعنى: سلب النعمة عنهم بواسطة كفرهم. كما أن أهل مكة أسكنهم الله حرمة، وجعلهم قوام بيته، وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فكفروا ذلك، ففحطوا سبع سنين، وأسرّوا، وقتلوا يوم بدر، وصاروا أذلاء، فحصل لهم الكفر بدل النعمة. قال صاحب الكشاف: "وعن عمر رضي الله عنه: هم الأفجران من قرئش: بنو المغيرة وبنو أمية. فأما بنو المغيرة

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 198).

(2) في جميع النسخ: يدهشهم.

(3) في نسخ (ش، ض، غ): الغير.

(4) في نسخة (ش): البرار.

(5) في نسخة (غ): منادي.

(6) روى الطبري بسنده عن البراء بن عازب مرفوعاً قال: "فيا تيه آت في قبره فيقول: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فينتهره" وفي آخر: "فيقال له: صدقت". الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/ 595).

(7) في نسخة (غ): بعد.

(8) في نسخة (ض): ثبت.

فَكَفَيْتُمُوهُمْ [يَوْمَ بَدْرٍ].⁽¹⁾ وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ فَتَمَتُّوْا⁽²⁾ حَتَّى⁽³⁾ حِينَ. وقيل: هم مُتَنَصِّرَةُ الْعَرَبِ: جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْيَمِ وَأَصْحَابُهُ.⁽⁴⁾ ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ﴾ [إبراهيم: 28-29] بِحَمْلِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَالْبَوَارِ: الْهَلَاكُ. وَ﴿جَهَنَّمَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لِدَارِ الْبَوَارِ. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: 29] أَي: يَدْخُلُونَ فِيهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا. الصَّلِيُّ: الدَّخُولُ فِي النَّارِ، وَالْجَمْلَةُ، حَالٌّ عَنْ فَاعِلٍ ﴿أَحَلُّوا﴾، أَوْ عَنْ ﴿دَارِ الْبَوَارِ﴾، أَوْ عَنِ الْمَجْمُوعِ. وَجَوَزَ الْبِيضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ حَالًّا عَنْ الْقَوْمِ، حَيْثُ قَالَ: "حَالٌّ مِنْهَا، أَوْ مِنَ الْقَوْمِ".⁽⁵⁾ وَلَمْ يَذْكُرِ الْإِحْتِمَالَ الْأَوَّلَ وَالثَّلَاثَ مِمَّا ذَكَرْنَا، مَعَ⁽⁶⁾ أَنَّ الْفَائِدَةَ فِيهِمَا أَتَمُّ وَأَزِيدُ، وَلَا فَائِدَةٌ كَثِيرًا فِي الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي مِمَّا ذَكَرَهُ؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿يَصْلَوْنَ﴾ حِينَئِذٍ يَتَعَيَّنُّ أَنْ يَكُونَ لِلْقَوْمِ، فَيَصِيرُ الْمَالُ: وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ جَهَنَّمَ فِي حَالِهِ يَصْلَوْنَ الْقَوْمَ جَهَنَّمَ، وَهُوَ كَمَا تَرَى⁽⁷⁾ غَيْرُ مَفِيدٍ فَائِدَةً مُعْتَدًّا بِهَا، مَعَ أَنَّهُ لَا إِشْعَارَ فِيهِ بِأَنَّهُمْ أَيْضًا يَدْخُلُونَ النَّارَ بِخِلَافِ مَا ذَكَرْنَاهُ فَتَدَبَّرْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿جَهَنَّمَ﴾ نَصْبًا عَلَى الْإِضْمَارِ بِشَرْطِ التَّفْسِيرِ وَيَكُونُ الْمَجْمُوعُ حَالًّا. ﴿وَبَنَسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: 29] وَبَنَسَ الْمَقَرُّ⁽⁸⁾ جَهَنَّمَ. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: 30] أَي: عَنْ طَرِيقِ التَّوْحِيدِ. وَفُرِئَ (لِيُضِلُّوا) بِفَتْحِ الْيَاءِ.⁽⁹⁾ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَلَيْسَ الضَّلَالُ وَلَا الْإِضْلَالُ غَرَضُهُمْ فِي اتِّخَاذِ الْأُنْدَادِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ نَتِيجَتُهُ جُعِلَ كَالْغَرَضِ".⁽¹⁰⁾ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْإِضْلَالِ دُونَ الضَّلَالِ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا عَيْنُ هَذَا الْجَعْلِ، أَوْ الْجَعْلُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الضَّلَالِ الثَّبَاتُ عَلَى الضَّلَالِ.

(1) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(2) في نسختي (الأصل، م): فبقوا.

(3) في نسخة (ش): على.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 555).

(5) البیضاوی، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 199).

(6) سقط من نسختي (الأصل، م).

(7) في نسختي (الأصل، م): يرى.

(8) في نسخة (ش): المفر.

(9) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (ليُضِلُّوا) بفتح الياء، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر عاصم وحمزة والكسائي وخلف (ليُضِلُّوا) بضم الياء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 267)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 201-202).

(10) البیضاوی، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 199).

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: 30]

يعني: إن دُمتُمْ على الامتثال لأمر الشهوة فإن مصيركم إلى النار بالضرورة. وإنما عبر عنه بصيغة الأمر إشعاراً بأن المخاطب -لأنغماسه في أمر التمتع بالشهوة- لا يمكن له التخلف عنه، فكأنه مأمور به من أمر مطاع. ولذلك أخبر عنهم بأن مصيرهم إلى النار، بطريق الحكم بالوقوع.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [إبراهيم: 31]

﴿يُقِيمُوا﴾ جزم على جواب ﴿قُلْ﴾، ومقولته⁽¹⁾ محذوف، بقرينة الجواب، وكذا الكلام في⁽²⁾ ﴿يُنْفِقُوا﴾، أي: قل لهم: أقيموا الصلاة وأنفقوا، إن نفل، يُقيموا الصلاة ويُنفقوا. وفيه إشعار بكمال إطاعتهم للرسول، أي: لا يتخلف فعلهم عن أمر الرسول، بل يترتب عليه بطريق اللزوم. وجوز بعضهم أن يكون ﴿يُقِيمُوا﴾ مقولاً للقول، على تقدير لام الأمر، وكذا الكلام في ﴿يُنْفِقُوا﴾. وإنما جوز حذف اللام ههنا؛ لأن ﴿قُلْ﴾ يدل عليه. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: 31] نصب على الحال، أو على المصدر، أو على الظرف، متعلق بالفعلين؛ لأن الأفضل في الواجب الإعلان،⁽³⁾ وفي المتطوع به الإخفاء. ويشرك فيه الصلاة والإنفاق. [المفهوم من الكشف أنه متعلق بالإنفاق]⁽⁴⁾ وحده حيث قال: "والمعنى: إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب".⁽⁵⁾ ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ﴾ [إبراهيم: 31] أي: يوم القيامة، فإنه يوم كل أحد مشغول فيه بنفسه؛ لا مبايعة فيه ليحصل المصير ما يمكن أن يتدارك تقصيره به، ولا مخالفة فيه ليأخذ المصير خليلاً يشفعه.⁽⁶⁾ وقيل: أي: من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالفة، وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله. فيه: أن المبايعة والمخالفة أيضاً ينتفع بهما في هذا اليوم إن كانا لوجه الله، مثل الإنفاق بلا تفرقة، فلا وجه لحصر⁽⁷⁾ الانتفاع بالإنفاق لوجه الله. قال البيضاوي:

(1) في نسخة (غ): بقوله.

(2) في نسخة (غ): من.

(3) في نسختي (ش، ض): والإعلان.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(5) الزمخشري، الكشف، (2/ 556).

(6) في نسخ (الأصل، م، ض): يشفعه، وفي نسخة (ش): يشقه، وفي نسخة (غ): بشفعة. وأثبت (يشفعه) لأنه أوفق بالمقام.

(7) في نسختي (ش، ض): بحصر.

"وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النقي العام." (1) فيه: أَنْ ﴿لَا﴾ في قراءة الرُّفْعِ أيضاً هي التي لنقي الجنس، لا المُشَبَّهَة بـ(ليس)؛ لأنَّ عَمَلَهَا شاذٌّ. ووجه الرُّفْعِ: تَكَرُّرُ الاسمِ، كما في (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) بِرُفْعٍ (2) الإِسْمَيْنِ، فقراءة الرُّفْعِ أيضاً على النقي العام، وَلَا وَجْهَ لِحَمَلٍ (3) ﴿لَا﴾ على المُشَبَّهَة بـ(ليس) [مع صحّة حملها على نقي الجنس، خصوصاً في الكلام الذي هو عَمَلٌ بالفصاحة والبلاغة. ولذلك لم يُجَوِّزُوا في (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) احتمال أن يكونَ (لا) هي المُشَبَّهَة بـ(ليس)]، (4) فَتَدَبَّرَ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [إبراهيم:

[32]

﴿اللَّهُ﴾ رَفَعَ على الابتداء، والموصول خبره، والجملة علّة (5) للأمر بإقامة الصلاة والإنفاق ممّا رزقناهم. وقد سبق معنى "إنزال الماء من السماء" و"إخراج الرزق بالماء". (6) و﴿مِنْ﴾ يحتمل البيان والتبعية. و(الرِّزْقُ): اسمٌ لما يُرْزَقُ به، ويحتمل المصدر، على أن يكون نصباً على المفعول له، (7) أو على المفعول المطلق؛ لأنَّ في ﴿أَخْرَجَ﴾ معنى (رَزَقَ). ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ [إبراهيم: 32] بحيث تَنَقِّعُونَ بها بلا صُعُوبَةٍ وَمُمَانَعَةٍ منها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: 33] في سَيْرِهِمَا وَحَرَكَتِهِمَا؛ لانتفاع المَكُونَاتِ. (الدَّابُّ) و(الدَّوُّبُ): قَبُولُ الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ دَائِمًا. (8) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33] للاستراحة وتحصيل المعاش.

(1) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 199).

(2) في نسختي (الأصل، م): ترفع.

(3) في نسختي (الأصل، م): بحمل، وفي نسخة (ش): لمجمل.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(5) في نسخة (غ): عليه.

(6) ينظر: تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: 22]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 27).

(7) سقط من نسخة (ش).

(8) في نسخة (غ): وإنما.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34]

﴿مِنْ﴾ للتَّبَعِيضِ، و(الْكُلُّ): إِفْرَادِيٌّ، بَأَنْ يُرَادَ مِنَ الْإِفْرَادِ الْأَصْنَافُ، أَي: (1) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ - اِخْتَجَنْتُمْ إِلَيْهِ - بَعْضاً مِنْهُ. وَفَائِدَةُ ذِكْرِ الْبَعْضِ: الْإِشْعَارُ بِأَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ النِّعَمِ غَيْرُ مُتَنَاهِي الْأَفْرَادِ، لَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُهُ (2) بِالْكَلِّيَّةِ. وَفَائِدَةُ ذِكْرِ (الْكُلِّ): التَّصْرِيحُ بِأَنَّ إِثْبَاتَهُ (3) مُتَعَلِّقٌ بِكُلِّ صِنْفٍ مِمَّا سَأَلُوهُ، وَلَا يَنْحَصِرُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ. وَضِعَ السُّؤَالُ مَوْضِعَ الْاِحْتِيَاجِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِهِ بِمَقْتَضَى الْعَادَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: السُّؤَالُ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَالِ وَاحِدًا. وَالظَّاهِرُ مِنْ عِبَارَةِ صَاحِبِ الْكَشَافِ: أَنَّهُ جَعَلَ (الْكُلَّ) مَجْمُوعًا، حَيْثُ قَالَ: "أَي: (4) أَتَاكُمْ بَعْضُ جَمِيعِ مَا سَأَلْتُمُوهُ، نَظَرًا فِي مَصَالِحِكُمْ." (5) وَفَائِدَةُ لَفْظِ (مِنْ) وَ(كُلِّ) عَلَى (6) تَوْجِيهِهِ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ عَادَتَهُ لَمْ تَتَعَلَّقْ بِإِثْبَاتِ جَمِيعِ مَا يُسْأَلُ، بَلْ إِنَّمَا يُؤْتِي عَلَى وَفْقِ الْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "أَي: بَعْضُ جَمِيعِ مَا سَأَلْتُمُوهُ، يَعْنِي: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَأَلْتُمُوهُ، شَيْئًا؛ فَإِنَّ الْمَوْجُودَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ بَعْضٌ مَا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى." (7) الظَّاهِرُ مِنْ أَوَّلِ كَلَامِهِ: أَنَّهُ جَعَلَ (الْكُلَّ) مَجْمُوعِيًّا، وَمِنْ آخِرِ كَلَامِهِ أَنَّهُ جَعَلَهُ إِفْرَادِيًّا، ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ الْبَعْضِيَّةَ بِاعْتِبَارِ: أَنَّ الْمَوْجُودَ فِي (8) كُلِّ صِنْفٍ، بَعْضٌ. وَلَيْسَ فِيهِ الْبَيِّنَةُ (9) عَلَى أَنَّ الْإِثْبَاتَ لَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَا يُسْأَلُ، بَلْ (10) إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا فِيهِ حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ، كَمَا فُهِمَ مِنْ ظَاهِرِ عِبَارَةِ الْكَشَافِ. ثُمَّ قَالَ: "و﴿مَا﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَمَوْصُوفَةً، وَمَصْدَرِيَّةً، وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ." (11) وَفِيهِ: أَنَّ الضَّمِيرَ عَلَى تَقْدِيرِ مَصْدَرِيَّةِ

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في نسخة (غ): إثباته. والرسم محتمل (إثباته) و(إثباته).

(3) في نسخة (غ): إثباته.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 557).

(6) سقط من نسخة (ض)، وفي نسخة (غ): من.

(7) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 200).

(8) في نسختي (ش، ض): بعض من، وفي نسخة (غ): من.

(9) في نسختي (ش، ض): التنبيه.

(10) في نسخة (ض): و.

(11) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 200).

﴿مَا﴾ يَصِيرُ لَعْوًا فِي الْكَلَامِ، إِذْ⁽¹⁾ يَصِيرُ: مَالَهُ: "وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَسْئُولِكُمْ"، وَلَا مَعْنَى لِرُجُوعِ الضَّمِيرِ إِلَى (مَا)⁽²⁾ الْمَصْدَرِيَّةِ. وَقَرَأَ (مِنْ كُلِّ) بِالتَّنْوِينِ،⁽³⁾ وَ(مَا) حِينَئِذٍ نَافِيَةٌ وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْجِعِ الْحَالِ، أَيِ: وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ سَائِلِيهِ⁽⁴⁾ فَضْلاً إِذَا كَانَ مَعَ السُّؤَالِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً فِي مَوْجِعِ الْبَدَلِ عَنْ مَفْعُولِ ﴿أَتَاكُمْ﴾، [أَيِ: أَتَاكُمْ]⁽⁵⁾ بَعْضُ كُلِّ شَيْءٍ مَا اخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ. وَفَائِدَتُهُ: الْإِشْعَارُ بِأَنَّ الْإِتْيَانَ لَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، بَلْ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 34] أَيِ: وَإِنْ شَرَعْتُمْ فِي عَدِّهَا لَا تُطِيقُوا عَدَّهَا وَبَلَوْغَ آخِرِهَا، أَوْ إِنْ أَرَدْتُمْ عَدَّهَا وَإِحْصَاءَهَا لَا تَحْصُوهَا. وَالْإِضَافَةُ فِي ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ لِلِاسْتِعْرَاقِ،⁽⁶⁾ وَلِذَلِكَ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَفْرَدَ يُفِيدُ الْإِسْتِعْرَاقَ بِالْإِضَافَةِ".⁽⁷⁾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 34] حَيْثُ لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ، فَيُحَرِّمُ عَنِ الْمَزِيدِ، أَوْ يَضَعُ مَوْضِعَ شُكْرِهَا كُفْرَانَ النِّعْمَةِ،⁽⁸⁾ وَيَسْتُرْهَا. وَقِيلَ: ظَلُمُهُ فِي⁽⁹⁾ الشَّدَّةِ؛ حَيْثُ يَشْكُو⁽¹⁰⁾ وَيَجْزَعُ، وَكُفْرَانُهُ فِي الرِّخَاءِ؛ حَيْثُ يَمْنَعُ وَيَجْمَعُ.

(1) فِي نَسَخِ (الْأَصْلِ، م، غ): أَوْ.

(2) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلِ، م): مَاء.

(3) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: نُسِبَتْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسَلَامِ بْنِ الْمُنْذَرِ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، وَفِي الْمَبْسُوطِ إِلَى زَيْدِ بْنِ يَعْقُوبَ، وَفِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ إِلَى الضَّحَّاكِ، وَزَيْدِ عَلَيْهِمُ فِي الْمَحْتَسَبِ عَمْرُو بْنُ فَائِدٍ. يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مَخْتَصَرٌ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 73)، وَابْنُ جَنِّي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمَحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 363)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ، أَبُو بَكْرٍ (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ، (ص: 257)، وَالتَّبْرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 310هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (17/ 15).

(4) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلِ، م): سَائِلِيهِ، وَفِي نَسَخَةِ (غ): سَائِلَتِهِ.

(5) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

(6) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلِ، م): الْإِسْتِعْرَاقُ.

(7) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 200)، يَنْظُرُ أَيْضًا: الْقَزْوِينِيُّ (الْمُتَوَفَى: 739هـ)، الْإِيضَاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ، (2/ 26)، وَالدَّسُوقِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَرَفَةَ، حَاشِيَةُ الدَّسُوقِيِّ عَلَى مَخْتَصَرِ الْمَعَانِي، (2/ 124).

(8) فِي نَسَخَةِ (غ): النِّعَمِ.

(9) فِي نَسَخَةِ (غ): مِنْ.

(10) فِي نَسَخِ (م، ش، ض): يَشْكُرُ، وَفِي نَسَخَةِ (غ): يَشْكُوا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35]

ذَكَرَ إِنْعَامَهُ الْمُخْتَصَّ (1) بِبَعْضِ عِبَادِهِ بَعْدَ ذِكْرِ إِنْعَامِهِ عَمُومًا، وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي آيَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 126]. وَالتَّفَرُّقَةُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ النِّعْمَةَ هُنَا جَعَلَ الْبَلَدَ ذَا أَمْنٍ، وَهَنَالِكَ جَعَلَ (2) الْمَوْضِعَ بَلَدًا ذَا (3) أَمْنٍ. ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] أَيْ: وَبَعْدْنِي وَإِيَّاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَفُرِئَ (وَأَجْنِبْنِي) (4) مِنَ (الْإِفْعَالِ)، يُقَالُ: جَنَّبَنِي شَرًّا، وَأَجْنَبَنِي بِمَعْنَى. وَالْمَطْلُوبُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْفِعْلِ لَا إِحْدَاثُهُ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاءَهُ مَعْصُومُونَ مِنْ (5) عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. وَقِيلَ: (بَنِيهِ) يَعْمُ أَبْنَاءَهُ وَأَحْفَادَهُ (6)، وَإِلَيْهِ أَشَارَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "وَسُئِلَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَيْفَ عَبَدَتِ الْعَرَبُ الْأَصْنَامَ؟ فَقَالَ: مَا عَبَدَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَنَمًا، وَاحْتَجَّ (7) بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]. إِنَّمَا كَانَتْ أَنْصَابُ حِجَارَةٍ لِكُلِّ قَوْمٍ، قَالُوا: الْبَيْتُ حَجَرٌ، فَحَيْثُ مَا نَصَبْنَا حَجَرًا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْتِ، فَكَانُوا يَدُورُونَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ وَيُسَمُّونَهُ الدُّوَارَ، فَاسْتَحَبَّ أَنْ يُقَالَ: طَافَ بِالْبَيْتِ، وَلَا يُقَالُ: دَارَ بِالْبَيْتِ (8) انتهى. وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْآيَةَ لَوْ دَلَّتْ عَلَى عَدَمِ عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ لَدَلَّتْ عَلَى إِيْمَانِهِمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا: طَلَبُ الْإِيْمَانِ بِلَا شُبْهَةٍ. فَالْحُكْمُ بِدَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى عَدَمِ عِبَادَتِهِمُ لِلْأَصْنَامِ (9) مَعَ تَجْوِيزِ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهِمْ لَا يَخْلُو عَنْ ضَعْفٍ. ثُمَّ اشْتَرَطَ الْعِصْمَةَ عَنِ الْكُفْرِ لِلْأَنْبِيَاءِ لَا يُنَافِي طَلَبَ التَّنْبِيهِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ مَقْتَضَى اشْتَرَاطِ الْعِصْمَةِ عَنِ الْكُفْرِ [لَيْسَ إِلَّا عَدَمُ وَقُوعِ الْكُفْرِ] (10) لَا عَدَمُ إِمْكَانِهِ،

(1) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: الْمُخْتَصَّةُ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): فَعْلٌ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): إِذَا.

(4) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (وَأَجْنِبْنِي) بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ، تُسَبِّتُ إِلَى الْجَحْدَرِيِّ، وَالتَّقْفِي، الْهَجْهَاجِ الْأَعْرَابِيِّ. ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاطِئِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 73)، وَابْنُ جَنِي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَاطِئِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (1/ 363).

(5) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: عَنْ، وَاتَّبَعَ (مَنْ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): أَخْلَاهُ.

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): وَأَصَحُّ.

(8) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 558).

(9) فِي نَسْخَةِ (ض): لِلْأَصْنَامِ لَيْسَ إِلَّا عَدَمُ وَقُوعِ الْكُفْرِ.

(10) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

لِيَلْزَمَ أَنْ يَكُونَ طَلَبُهُ عَبَثًا مَحْضًا. وإليه أشار البيضاوي بقوله: "وفيه دليلٌ على أَنَّ عِصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ إِيَّاهُمْ." (1)

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36]

تعليلٌ لَطَلَبِ الْعِصْمَةِ، وإشارة (2) إلى إمكان الكُفْرِ بِالذَّاتِ. وأُسْنَدُ الْإِضْلَالِ إِلَى الْأَصْنَامِ عَلَى وَضْعِ السَّبَبِ مَوْضِعَ الْفَاعِلِ، تَشْبِيهًا. ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36] أي: بَعْضِي، (3) والمرادُ كَمَالُ الْإِتِّصَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] دليلٌ على جَوَازِ مَغْفَرَةِ الْمَعَاصِي مُطْلَقًا، إِلَّا مَا اسْتَنْتَاهُ الْوَعِيدُ بَعْدَ غُفْرَانِهِ نَحْوُ: ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 48] هذا على رأي الْأَشَاعِرَةِ. (4) وأما على رأي من اشْتَرَطَ التَّوْبَةَ فِي الْمَغْفَرَةِ (5) كَالْمَعْتَزِلَةِ (6) فَمَعْنَاهُ: وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ تَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ عِصْيَانِي (7) إِذَا بَدَأَ لَهُ فِيهِ، وَاسْتَحْدَثَ الطَّاعَةَ لِي. وقيل معناه: وَمَنْ عَصَانِي فِيمَا دُونَ الشَّرْكِ كَذَا فِي الْكُشَافِ. (8) وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْأَوَّلَ تَكْلُفٌ، (9) وَالثَّانِي خِلَافٌ مُّقْتَضَى (10) الْمَقَامِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ (11) التَّرْغِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّرْهِيْبِ عَنِ الشَّرْكِ.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 200).

(2) في نسخة (ش): وأشار.

(3) في نسخة (ش): بعض، وفي نسخة (غ): يقضي.

(4) ينظر: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى: 324هـ)، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، (ص: 158)، والإبانة عن أصول الديانة، (ص: 17)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (9/ 399)، ومعالم أصول الدين، (ص: 131).

(5) عند المعتزلة: إذا كانت معاصي العبد أكثر من طاعاته: فهو صاحب كبيرة وتلزمه التوبة لكي يسقط عنه ما يستحقه من العقوبة. الهمذاني، القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 789).

(6) في نسخ (م، ش، ض): كالمعتزلي، وفي نسخة (غ): كالمعتزل.

(7) في نسخة (ش): من عصاني.

(8) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 558).

(9) في الأصل: يكلف.

(10) في نسخة (ش): يقتضي.

(11) سقط من نسختي (ش، ض).

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]

﴿مِنْ﴾ للتَّبَعِيضِ؛ إمَّا (اسمِيَّةٌ)، بمعنى البَعْضِ في محلِّ النَّصْبِ على المَفْعُولِيَّةِ، أو (حَرْفِيَّةٌ) على تقديرِ المفعولِ، أي: أَسْكَنْتُ ذُرِّيَّةً مِنْ ذُرِّيَّتِي، أو بعضاً مِنْ ذُرِّيَّتِي، و(الوَادِي): وَادِي مَكَّةَ، كما بَيَّنَّهُ⁽¹⁾ بقوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾. فَسُمِّيَ موضعُ البيتِ بيتاً؛ إمَّا باعتبارِ ما كَانَ، أو باعتبارِ مَا يَكُونُ. و(الْمُحَرَّمُ): إمَّا مِنَ الْحَرَامِ، أو مِنَ الْحُرْمَةِ بمعنى: الْعِزَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ التَّعَرُّضَ لَهُ وَالتَّهَافُوتَ بِهِ، وَلَمْ يَزَلْ مُحَرَّمًا عَظِيمَ الْحُرْمَةِ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى الطُّوفَانِ، أي: مُنِعَ مِنْهُ كَمَا سُمِّيَ (عَتِيفًا)؛ لِأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنْهُ، فَلَمْ يُسْتَوَلْ⁽²⁾ عَلَيْهِ. وَرُوي أَنَّهُ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ أَوَّلَ مَا قَدِمَ⁽³⁾ قَبْلَ بِنَاءِ الْبَيْتِ. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: 37] (الْلَامُ) لَامُ كَي، مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿أَسْكَنْتُ﴾، وَتَوَسَّيْتُ النَّدَاءَ؛ لِمَزِيدِ التَّضَرُّعِ. وَقِيلَ: هِيَ لَامُ الْأَمْرِ، كَأَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُمْ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَسَأَلَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوقِفَهُمْ⁽⁴⁾ لَذَلِكَ. ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37] ﴿مِنْ﴾ للتَّبَعِيضِ، عَلَى تَقْدِيرِ: مِنْ أَفْئِدَةِ النَّاسِ. وَيدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوي عَنْ مُجَاهِدٍ: لَوْ قَالَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ لَزَحَمْتَكُمْ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ فَارِسٌ وَالرُّومُ.⁽⁶⁾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْإِبْتِدَاءِ، كَمَا يُقَالُ: الْقَلْبُ مِنْ مَنِي سَقِيمٍ، بِمَعْنَى: قَلْبِي سَقِيمٌ. وَقُرِئَ (أَفْدَةً)⁽⁷⁾ اسْمُ فَاعِلٍ، مِنْ (أَفْدَتِ الرِّحْلَةَ)، إِذَا عَجَلَتْ، وَيَحْتَمِلُ

(1) في نسخة (غ): منه.

(2) في جميع النسخ: يستولى.

(3) في نسخة (ش): تم.

(4) في نسخة (غ): يوقعهم.

(5) في نسخة (ض): لزحمتهم.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 559).

(7) قراءة شاذة: منسوبة إلى ابن كثير في رواية، في مختصر ابن خالويه، وذكر في الكشاف والبحر المحيط بدون نسبة، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 73)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 559)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 447).

الْقَلْبِ مِثْلُ: (1) أَذِرْ وَأَذُورِ. (2) ومعنى ﴿تَهَوَّى إِلَيْهِمْ﴾ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، وَتَطِيرُ نَحْوَهُمْ شَوْقًا. وَفُرِيَ (تَهَوَّى) (3) [مِنْ هَوَى] (4) يَهَوَّى، إِذَا أَحَبَّ. وَإِنَّمَا عُدي (5) بـ(إِلَى) لِتَضْمُنِهِ معنى (النُّزُوع).
رُوي أَنَّ هَاجَرَ كَانَتْ لِسَارَةَ، (6) فَوَهَبَتْهَا لِإِبْرَاهِيمَ (7) عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ إِسْمَاعِيلَ، فَغَارَتْ عَلَيْهِمَا، فَتَأَسَّدَتْهُ أَنْ يُخْرِجَهُمَا مِنْ عِنْدِهَا، فَأَخْرَجَهُمَا إِلَى أَرْضِ مَكَّةَ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ [زَمْزَمَ]، ثُمَّ إِنَّ جِرَّهُمْ رَأَوْا ثَمَّةً طُيُورًا فَقَالُوا: لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى الْمَاءِ، فَقَصَدُوهُ فَرَأَوْهُمَا وَعِنْدَهُمَا عَيْنٌ، (8) فَقَالُوا: أَشْرِكِينَا فِي مَائِكَ نُشْرِكُكَ فِي (9) أَلْبَانِنَا، فَفَعَلْتُ. (10) ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: 37] نِعْمَةً (11) مَا يُرْزَقُونَ مِنَ الثَّمَرَاتِ فِي وَادٍ لَا نَبَاتَ فِيهِ. قَالَ الْبَيْضاوي: "فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، فَجَعَلَهُ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تُوْجَدَ فِيهِ الْفَوَاكِهِ الرَّبِيعِيَّةُ وَالصَّيْفِيَّةُ وَالْخَرِيفِيَّةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ." (12)

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) وهما جمعان للكلمة (دار)، ينظر: الأزهرى، (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، (14 / 108).

(3) قراءة شاذة: (تَهَوَّى) بفتح الواو، منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وأبي جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد، - عليهم السلام - ومجاهد. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 73)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1 / 364).

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) في نسخة (ض): أدي.

(6) أخرج البخاري في صحيحه (6 / 7) في كِتَابِ النِّكَاحِ، بَاب: اتِّخَاذِ السَّرَارِيِّ وَمَنْ أَعْتَقَ جَارِيَّتَهُ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، الحديث رقم: (5084) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: بَيْنَمَا إِبْرَاهِيمُ مَرَّ بِجَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةٌ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَأَعْطَاهَا هَاجَرَ، قَالَتْ: كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْكَافِرِ وَأَخَذَنِي آجَرَ. (آجر) هي هاجر أم إسماعيل عليهما السلام. ينظر أيضا: المصري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، (المتوفى: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415 هـ، (ص: 30).

(7) في جميع النسخ: من إبراهيم.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(9) في نسخ (الأصل، م): من.

(10) ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، (1 / 247)، وابن الأثير، (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، (1 / 91-92)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3 / 201).

(11) في نسختي (ش، ض): نعمه.

(12) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3 / 201).

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: 38] أي: سِرَّنَا وَعَلَّنَا، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 38] من كلام الله عز وجل، تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، أو من كلام إبراهيم على الإظهار موضع الإضمار، أو على قصد الغيبة، بمعنى: وما يخفى على الله الذي (1) هو عالم السر والعلن، وترك ذكر الوصف؛ لأنَّ الألوهية متضمنة له.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: 39]

ترك العاطف بين الحمد وسابقه لكمال (2) الانقطاع بينهما، حيث لا يتصور جامع بينهما. وقيد الهبة بحال الكبر؛ استعطافاً للنعمة. روى أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة. وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة. (3) ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: 39] كان قد دعا ربه وسأل الولد، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100] فشكر الله على ما أكرمه به من إجابته كذا في الكشف. (4) والمراد من السماع: سماع الإجابة، لا مطلق السماع، من قولك: سمع الملك كلام فلان، إذا اعتد به وقبله.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 40]

إقامة الصلاة: تعديلها والمواظبة عليها، و﴿مِنْ﴾ للتبويض، معطوف على مفعول ﴿اجْعَلْنِي﴾. وإنما ذكر البعض؛ لعلمه بأن في (5) ذريته من لا يؤمن، كما ذكر في سورة البقرة في قوله: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124]. قال صاحب الكشف: "وإنما بعض؛ لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار، وذلك قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]." (6) جعل هذا القول من الله إعلاماً منه بأن في ذريته

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في نسخة (غ): كمال.

(3) عزاه الثعلبي، والواحد، والبغوي في تفاسيرهم لابن عباس رضي الله عنهما، وفي تفسير السمرقندي: وهو ابن تسع وتسعين سنة في رواية الكلبي، وفي رواية الضحاك: ابن مائة وعشرين سنة. ينظر: السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، بحر العلوم، (2/ 246)، والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/ 323)، الواحد (المتوفى: 468هـ)، التفسير الوسيط، (3/ 34)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/ 357).

(4) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 561).

(5) في نسخة (غ): فمن.

(6) الزمخشري، الكشف، (2/ 561).

يَكُونُ مَنْ يَكْفُرُ. وفيه: أنه موقوفٌ على أن يكونَ قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124] مُنزَلاً على إبراهيمَ قبل هذه الحكاية. ومع ذلك يُحتاج إلى نكرٍ وجهٍ آخرٍ لِاخْتِيَارِ التَّبَعِيضِ⁽¹⁾ هنالك، حيث قال: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: 124] فالأحسنُ في تَوْجِيهِهِ: أن يُذكرَ ما لا يَحْتَاجُ إلى إثباتٍ تقديم أحدهما على الآخر، وجوابه: أن مقصوده ليس بيان الإعلام، بل إثبات أ في⁽²⁾ ذُرِّيَّتِهِ كُفَّارٌ؟ ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40] دُعَاؤُهُ قَوْلُهُ: ﴿اجْعَلْنِي﴾، و﴿تَقَبَّلْ﴾ عطفٌ عليه. وَسَطُ⁽³⁾ النَّدَاءِ بينهما لإظهارِ الخُضُوعِ. ويجوزُ أن يكونَ الدُّعَاءُ بمعنى العِبَادَةِ؛ لاشتغالها عليه. ولم يُذكرَ صاحبُ الكَشَافِ الاحتمالَ الأول؛⁽⁴⁾ كأنه اكتفى عنه لِظُهُورِهِ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ [إبراهيم: 41]

قيل في⁽⁵⁾ وَجْهٍ استغفاره لأبيه وهو كافر: إن الاستغفارَ للكافر حينَ حياتِهِ غيرُ مُنْهَيٍّ عنه؛ لأنَّه في قوَّةِ طلبِ الإيمانِ له. قال صاحبُ الكَشَافِ في جوابِ هذا الإيرادِ: "قُلْتُ هو"⁽⁶⁾ من مُجَوِّزَاتِ الْعَقْلِ⁽⁷⁾ لا يُعلم امتناعُ جوازِهِ إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ،⁽⁸⁾ انتهى.⁽⁹⁾ يعني أن حُرْمَةَ الاستغفارِ للمُشْرِكِينَ إِنَّمَا تَنْبُتُ⁽¹⁰⁾ بِالنَّهْيِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْحُرْمَةُ قَبْلَ وُجُودِ النَّهْيِ، لَكِنَّ الْمُتَبَادِرَ مِمَّا ذُكِرَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: 113] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ⁽¹¹⁾ أَنَّ النَّبِيَّ -أَيَّ نَبِيٍّ كَانَ- لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لِمَنْ مَاتَ

(1) في نسختي (الأصل، م): البعض.

(2) في نسخ (ش، ض، غ): أن في.

(3) في جميع النسخ: وسطت، وأثبت (وسط) لأنه أصح.

(4) سقط من نسخة (غ).

(5) في نسخة (غ): من.

(6) سقط من نسخة (ش).

(7) في نسختي (م، غ): الفعل.

(8) في نسختي (الأصل، م): بالتوقف.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 562).

(10) في جميع النسخ: يثبت.

(11) وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113]

على الشِّركِ مطلقاً، سواءَ وَرَدَ النَّهْيُ عنه أو لا، فَتَدَبَّرْ. وقيل: أراد بهما آدمَ وَحَوَّي. وُقِرَى: (وَلَا بُوَيَّ)،⁽¹⁾ وُقِرَى⁽²⁾ (وَلَوْلَدَيَّ)⁽³⁾ على لفظِ التَّنْبِيَةِ المُضَافَةِ إلى ياءِ المتكلمِ. وُقِرَى (وَلَوْلَدَيَّ)⁽⁴⁾ على لفظِ الجَمْعِ. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41] أي: يَثْبُثُ الحسابُ. شُبَّهَ الحسابُ بِرَجُلٍ⁽⁵⁾ قَامَ على رِجْلَيْهِ، وَأُثْبِتَ له ما يُلَازِمُ المُشَبَّهَ به، فهي استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ⁽⁶⁾ مع التَّخْيِيلِيةِ⁽⁷⁾ والتَّبَعِيَّةِ. ويجوزُ أن يكونَ على حَذْفِ المضافِ، أي: يَقُومُ أَهْلُ الحسابِ، أو على الإسنادِ المجازي فيه.⁽⁸⁾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42]

خطابٌ للنَّبِيِّ، والمرادُ طلبُ ثبَاتِهِ على ما كان عليه، كقولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصاص: 87]، ونحوهُ في الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: 136]. ويجوزُ أن يكونَ المقصودُ: تهديدُ الظالمينَ، والوعيدُ لهم، أو يكونَ المرادُ من الغافلِ من يُعَامَلُ⁽⁹⁾ معاملةَ الغافلِ، يعني: أَنَّهُ سبحانه يُجَازِي الظَّالِمِينَ على ظُلْمِهِمُ النَّبْتَ، ولا يَتَخَلَّفُ وعيدُهُ على الشِّركِ. ويُحْتَمَلُ: أن يكونَ خِطَاباً لِكُلِّ مَنْ يَجُوزُ فيه هذا الحُسْبَانُ من الجاهلين بِصِفَاتِهِ تعالى. والخطابُ إلى شخصٍ وإرادةٌ غيرِهِ شائعٌ. وعن ابن

(1) قراءة شاذة: منسوبة إلى أبي في مختصر ابن خالويه والكشاف، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 73)، الزمخشري، الكشاف، (2/ 562).

(2) سقط من نسختي (الأصل، م).

(3) قراءة شاذة: منسوبة إلى الحسين بن علي، والزهرري، وإبراهيم النخعي، وأبو جعفر محمد بن علي، ابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 365).

(4) قراءة شاذة: منسوبة إلى يحيى بن يعمر، وقال ابن خالويه: و(الْوُلْدُ) و(الْوُلْدُ) سواء مثل (السُّقْمُ) و(السَّقْمُ)، وقال الآخرون (الْوُلْدُ) جمع (وُلْدٌ). ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 73)، بن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 365).

(5) في جميع النسخ: رجل.

(6) في نسختي (ش، غ): مكية.

(7) في نسختي (الأصل، ش): التَّخْيِيلِيةِ.

(8) سقط من نسخ (ش، ض، غ).

(9) في نسخة (ش): يقابل.

عُيِّنَتْ: تَسْلِيَةٌ لِلْمَظْلُومِ، وَتَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42] توضيحٌ وتقريرٌ لعدمِ غَفْلَتِهِ⁽¹⁾ عن عَمَلِ الظَّالِمِينَ، أو استئنافٌ لبيان وجهِ إِمْهَالِهِ إِيَّاهُمْ. وَفُرِئَ (تُؤَخِّرُهُمْ) بالنَّونِ.⁽²⁾

﴿مُهِطِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: 43]

إشارةٌ إلى كمالِ حَيْرَتِهِمْ ونهايةِ دَهْشَتِهِمْ، أي: تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، لَا تَقَرُّ فِي أَمَاكِنِهَا، مِنْ هَوْلٍ مَا تَرَى، مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِي رَافِعِينَ رُءُوسَهُمْ، لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ تَحْرِيكُ عَيْونِهِمْ، أي: تكون عيُونُهُمْ مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ تَحْرِيكِ الْأَجْفَانِ. وَ(الطَّرْفُ) عَلَى هَذَا مَصْدَرٌ، وَ(الْإِهْطَاغُ): الْإِسْرَاعُ. وَقِيلَ: (الْإِهْطَاغُ): أَنْ تُقْبَلَ بِبَصَرِكَ عَلَى الْمَرِيِّ تَدِيمُ النَّظَرِ إِلَيْهِ لَا تَطْرَفُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (الطَّرْفُ) اسْمًا لِلْعَيْنِ، أي: لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ نَظَرُهُمْ فَيَنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ. ﴿وَأَقْعِدَتْهُمْ لِهَؤُاءِهِمْ﴾ [إبراهيم: 43] أي: خَالِيَةً عَنِ الْفَهْمِ؛ لِقَرْطِ الدَّهْشَةِ. وَ(الِهَؤُاءُ): الْخَلَاءُ، وَصِفَ بِهِ لِلْمَبَالِغَةِ. يُقَالُ: قَلْبٌ فَلَانٍ هَؤُاءً، إِذَا كَانَ جَبَانًا لَا قُوَّةَ فِي قَلْبِهِ وَلَا جَرَأَةً.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: 44]

أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَ(الْيَوْمُ) فِي الْأَصْلِ: طَرْفٌ، وَقَعَ هُنَا مَوْقِعَ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لـ﴿أَنْذِرُ﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مِنَ الْعَذَابِ: الْعَذَابُ الْعَاجِلُ، أي: يَوْمَ مَوْتِهِمْ مُعَذِّبِينَ بِشِدَّةٍ⁽³⁾ السَّكَرَاتِ، أَوْ يَوْمَ هَلَاكِهِمْ بِالْعَذَابِ اللَّائِقِ بِهِمْ⁽⁴⁾ فِي الدُّنْيَا. ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: 44] أي: رُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا، وَأَمْهَلْنَا إِلَى أَمَدٍ وَحِدٍ مِنَ الزَّمَانِ قَرِيبٍ. ﴿نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [إبراهيم: 44] جَزْمٌ لْجَوَابِ⁽⁵⁾ الْأَمْرِ، أي: رُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا نَتَذَارِكُ مَا قَرَّطْنَا فِيهِ مِنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ وَاتِّبَاعِ رُسُلِكَ؛ هَذَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ (بِالْعَذَابِ): الْعَذَابُ الْآجِلُ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَرَادُ بِهِ الْعَذَابُ الْعَاجِلُ⁽⁶⁾ فَمَعْنَاهُ: أَخْرَجْنَا آجَالَنَا وَأَبْقَيْنَا إِلَى

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): عَقْلِيَّةٌ.

(2) قِرَاءَةٌ شَادَّةٌ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَلِيِّ وَالْحَسَنِ وَالسَّلْمِيِّ وَالْعَبَّاسِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، يَنْظُرُ: ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 363)، ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَادِّ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَيْدِيعِ، (ص: 73).

(3) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): لَشِدَّةٌ.

(4) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): لَهُمْ.

(5) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): بِجَوَابِ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): الْآجِلُ.

أَمَدٍ قَرِيبٍ نَتَذَرُكَ مَا قَرَّطْنَا، وَنَحْوُهُ: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
[المنافقون: 10]

﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: 44]
على إرادة القول، أي: قيل لهم: أولم تكونوا. و⁽¹⁾﴿مَا لَكُمْ﴾ جوابُ القسم على طبق: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾
دونَ الحكاية؛ لِيَلْزَمَ أَنْ يُقَالَ: مَا لَنَا مِنْ زَوَالٍ. والمرادُ من (الزَّوَالِ): زوالُ الحياة، وحينئذٍ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ
ذلك قولهم حقيقةً، وإنَّما قالوه بَطَرًا وَغُرُورًا، أَوْ يَكُونُ قولهم بلسانِ حالهم، حيثُ بَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا⁽²⁾ بعيداً.
وقيل: أَقْسَمُوا أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا لَا يَنْتَقِلُونَ إِلَى دَارٍ أُخْرَى⁽³⁾ يُبْعَثُونَ⁽⁴⁾ فيها، على أن يكونَ (الزَّوَالُ) زوال⁽⁵⁾
الاستراحة، وَنَحْوُهُ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: 38]
﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45] كَعَادٍ وَتَمُودَ، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا
بِهِمْ﴾ [إبراهيم: 45] بما تُشَاهِدُونَ مِنْ آثَارِهِمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَمَا تَسْمَعُونَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ. وَفُرِيَ (نُبَيِّنُ)
بِالنُّونِ.⁽⁶⁾ ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: 45] أي: صفات⁽⁷⁾ ما فَعَلُوا، أَوْ مَا فَعَلَ بِهِمْ، وَهِيَ فِي
الغَرَابَةِ⁽⁸⁾ كَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِكُلِّ عَالِمٍ.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [إبراهيم: 46]

أي: مكرهم العظيم الذي استقرغوا إليه جُهْدَهُمْ. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: 46] ثَابِتٌ عِنْدَهُ مَكْرُهُمْ،
فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ الْبَتَّةَ؛ هَذَا إِذَا كَانَ (المَكْرُ) مُضَافاً إِلَى الْفَاعِلِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُضَافاً إِلَى⁽⁹⁾ الْمَفْعُولِ،

(1) في نسختي (الأصل، م): أو ما.

(2) في نسخة (غ): وأبكوا.

(3) في نسختي (الأصل، م): آخر.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): يتبعون، وفي نسخة (ض): يتبعون.

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) قراءة شاذة: منسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو عبد الرحمان السلمي، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 73)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (9/ 379)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 453).

(7) في نسخة (غ): صعاب.

(8) في نسختي (ش، ض): القراءة، وفي نسخة (غ): القرابة.

(9) سقط من نسخة (غ).

فمعناه: وثابتٌ عندهم تَعَذُّبُهُمْ. سَمَاءُ مَكْرًا؛ لَأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَحْتَسِبُونَ. ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46] يعني: وَإِنْ عَظُمَ مَكْرُهُمْ وَتَبَالَّغَ فِي الشَّدَّةِ، فَضُرِبَ زَوَالُ الْجِبَالِ مِنْهُ مَثَلًا لِعِظَمِهِ وَشِدَّتِهِ. وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ (إِنْ) نَافِيَةً، وَاللَّامُ مُؤَكِّدَةً لَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: 33] يعني: وما كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ مَا هُوَ كَالْجِبَالِ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ ⁽¹⁾ الْجِبَالُ مَثَلًا لِآيَاتِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ. وَتُؤَيِّدُهُ ⁽²⁾ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ). ⁽³⁾ وَقُرِئَ (لَتَزُولَ) ⁽⁴⁾ بِفَتْحِ اللَّامِ، وَرَفَعَ الْفِعْلِ عَلَى أَنْ (إِنْ) هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ. وَقُرِئَ (وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ). ⁽⁵⁾

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: 47]

قُدِّمَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِيَكُونَ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ أَصْلًا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ أَلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31]، ثُمَّ قَالَ: ﴿رُسُلَهُ﴾؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُمْ بِالطَّرِيقِ الْأُولَى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: 47] قَادِرٌ عَلَى إِنْجَازِ ⁽⁶⁾ وَعْدِهِ، وَانْتِقَامِ أَعْدَائِهِ.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48]

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ [إبراهيم: 44]، أَوْ عَلَى الظَّرْفِ لِلانْتِقَامِ." ⁽⁷⁾ وَلَمْ يُجَوِّزْ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾؛ لِأَنَّهُ يُلْزَمُ وَقُوعَ (أَنْ) الْمَكْسُورَةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ الْوَاحِدِ، وَهُوَ يُنَافِي صَدَارَتَهَا. وَلَمْ يَذْكَرْ اِحْتِمَالَ كَوْنِهِ مُتَعَلِّقًا بِمَقْدَرٍ، مِنْ نَحْوِ: اذْكُرْ، أَوْ لَا يُخْلِفُ

(1) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يَكُونُ.

(2) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يُؤَيِّدُهُ.

(3) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 73).

(4) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ الْكَسَائِيُّ وَحْدَهُ (لَتَزُولَ) بِفَتْحِ اللَّامِ الْأُولَى وَضَمِ الثَّانِيَةِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (لَتَزُولَ) بِكَسْرِ اللَّامِ الْأُولَى وَفَتْحِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمُتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 363)، وَالنِّسَابُورِيُّ، (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 257).

(5) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي بَنٍ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 74)، وَابْنُ جَنِّي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِبْضَاحِ عَنْهَا، (1/ 365).

(6) فِي نَسْخَةِ (ش): إِيْجَازٌ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): اتِّخَاذٌ.

(7) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 566).

وَعَدَهُ، كما ذَكَرَهُ البِيضَاوِيُّ؛ لِأَنَّهُ خِلَافُ الْأَصْلِ. قال البِيضَاوِيُّ: "وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْصَبَ بِ﴿مُخْلَفٍ﴾؛ لِأَنَّ مَا قَبْلَ (إِنَّ) لَا يَعْمَلُ فِيهَا بَعْدَهُ." (1) كَأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَإِلَّا، فَبِصُورَةِ الْبَدَلِيَّةِ أَيْضاً مَا قَبْلَهُ عَامِلٌ فِيهَا بَعْدَهُ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ هَذَا الْإِحْتِمَالُ وَالْفَاصِلَةُ بَيْنَ الْعَامِلِ وَمَعْمُولِهِ بِالْأَجْنَبِيِّ غَيْرُ جَائِزَةٍ؟ قُلْنَا: هِيَ وَإِنْ كَانَتْ جُمْلَةً مُسْتَقَلَّةً، لَكِنَّهَا وَقَعَتْ عَلَّةً لْجُمْلَةِ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾، وَهِيَ مُتَقَرِّعَةٌ عَلَى مَا عُطِفَ (2) عَلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ الْمُبْدَلُ مِنْهُ، فَكَانَ الْكُلُّ مِنْ تَتِمَّةِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ فَلَا فَضْلَ هَهُنَا بِالْأَجْنَبِيِّ، (3) فَتَدَبَّرْ. وَالْمَعْنَى: يَوْمَ تُبَدَّلُ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا أَرْضاً أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْمَعْرُوفَةِ، (4) وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ. وَالتَّبْدِيلُ أَعْمُ مِنْ تَغْيِيرِ الذَّاتِ وَتَغْيِيرِ الصِّفَاتِ، وَالْآيَةُ تَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ. ذَهَبَ إِلَى كُلِّ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، كَمَا فَصَّلَهُ الْبِيضَاوِيُّ. (5) ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إِبْرَاهِيم: 48] أَي: وَخَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِمُحَاسَبَةِ اللَّهِ وَمَجَازَاتِهِ. وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْوَحْدِ الْقَهَّارِ إِشْعَاراً بِصُعُوبَةِ الْأَمْرِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا كَانَ مُنْخَصِراً فِي وَاحِدٍ قَهَّارٍ، لَمْ يَبْقَ لِعَاصٍ إِحْتِمَالُ نُصْرَةٍ مِنْ مُسْتَجَارٍ.

﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إِبْرَاهِيم: 49]

أَي: قُرِّنَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ أَوْ (6) مَعَ الشَّيَاطِينِ، أَوْ قُرِّنَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَرْجُلِهِمْ. وَ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ ظَرْفٌ مُسْتَقَرٌّ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ، أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿مُقَرَّنِينَ﴾. وَالصَّفْدُ: الْقَيْدُ، وَقِيلَ: الْغُلُّ.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ [إِبْرَاهِيم: 50]

بِفَتْحِ (7) الْقَافِ وَكَسْرِ الطَّاءِ، وَفِيهِ لَغَتَانِ أُخْرَيَانِ؛ فَتَحُ الْقَافِ وَكَسْرُهَا مَعَ سَكُونِ الطَّاءِ، وَهُوَ أَسْوَدُ مُنْتَنٍ تَشْتَعِلُ فِيهِ النَّارُ بِسُرْعَةٍ، يُطْلَى (8) بِهِ جُلُودُ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَكُونَ طَلَاؤُهُ لَهُمْ كَالسَّرَابِيلِ؛ لِيَجْتَمَعَ

(1) البِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 203).

(2) فِي نَسَخِ (الْأَصْلِ، ش، ض، غ): عَطَفَتْ.

(3) فِي نَسَخَةِ (ض): مِنْ أَجْنَبِيٍّ.

(4) فِي نَسَخَةِ (ش): الْمَعْرِفَةُ.

(5) يَنْظُرُ: الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 203).

(6) فِي نَسَخَةِ (م): وَ.

(7) فِي نَسَخَةِ (ش): فَتَحَ.

(8) فِي نَسَخَةِ (غ): يَطْلُ.

عليهم لَذَغُ الْقَطْرَانِ⁽¹⁾ وَوَحْشَةُ لَوْنِهِ وَنَتْنُ رِيحِهِ، مع إسرار النَّارِ في جلودهم، والجملة استئناف لبيان ما لَحِقَهُمْ هنالك. قال البيضاوي: "والجملة حال ثانية⁽²⁾ أو حال من الضمير في ﴿مُقَرَّنِينَ﴾"⁽³⁾ وهو ضعيف؛ لأن الجملة الاسمية في كمال الاستقلال، ولا ترتبط بالضمير وحده إلا على ضعف، فالوجه ما ذكرناه. وقرأ (مِنْ قِطْرِ أَنْ)⁽⁴⁾ والقِطْرُ: النَّحَاسُ أو الصُّفْرُ المَذَابُ، والآني: ⁽⁵⁾ الْمُتَنَاهِي حَرُّهُ. وجوز البيضاوي أَنْ يَكُونَ الكلامُ محمولاً على التَّمَثُّلِ، حيث قال: "ويحتمل أَنْ يَكُونَ تمثيلاً لما يُحِيطُ بِجَوْهَرِ النَّفْسِ مِنَ الْمَلَكَاتِ الرَّدِّيَّةِ،⁽⁶⁾ والهيئاتِ الْوَحْشِيَّةِ، فَيَجْلِبُ إِلَيْهَا أنواعاً مِنَ الْعُمُومِ وَالْآلَامِ."⁽⁷⁾

﴿وَتَعَثَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: 50] إِنَّمَا ذَكَرَ الْوُجُوهَ؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ، حَيْثُ وُضِعَتْ فِيهَا الْمَشَاعِرُ الَّتِي خُلِقَتْ لِأَجْلِ التَّدَبُّرِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: 51]

مُتَعَلِّقٌ بِمَقْدَرٍ،⁽⁸⁾ أَي: يَفْعَلُ بِهِمْ ذَلِكَ لِيَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ مُجْرِمَةٍ،⁽⁹⁾ أَوْ بِ﴿بَرَزُوا﴾، فَالْنَفْسُ عَلَى هَذَا بَاقِيَّةٌ عَلَى إِطْلَاقِهَا. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 51] تَأْكِيدٌ لِلْمَجَازَةِ، أَوْ تَعْلِيلٌ لَهَا.

﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 52] إِشَارَةٌ إِلَى الْإِنْذَارِ الْمَذْكُورِ، أَوْ إِلَى جِنْسِ الْإِنْذَارِ، أَي: هَذَا الْإِنْذَارُ كِفَايَةٌ فِي التَّذْكِيرِ وَالْمَوْعِظَةِ.⁽¹⁰⁾ ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: 52] عَطْفٌ عَلَى عَلَّةٍ مَحْذُوفَةٍ، أَي: لِيُنْتَصَحُوا

(1) في نسخة (ش): قطران.

(2) في نسخة (غ): يأتيه.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 204).

(4) قراءة شاذة: وهي قراءة ابن عباس، وأبي هريرة، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وقتادة، وزيد عن يعقوب، وغيرهم. ينظر: النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 257)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 366).

(5) في جميع النسخ: وإلا في.

(6) في نسخة (ش): الروية.

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 204).

(8) في نسخة (ش): بمقدار.

(9) في نسختي (الأصل، م): محرمة.

(10) في نسخة (غ): والموعظة.

وَلْيُنذِرُوا بِالْبَلَاغِ؛⁽¹⁾ على أن تكون اللام متعلقة بالبلاغ. ويجوز أن تكون جملة مستأنفة؛ على أن تكون اللام متعلقة بمقدّر،⁽²⁾ أي: وَلْيُنذِرُوا بِهِ أَنْزَلَ، أو ثَلِي. وقرئ (وَلْيُنذِرُوا)⁽³⁾ بفتح الياء من نذر به، إذا علم واستعد له. ﴿وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [إبراهيم: 52]؛ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعّتهم⁽⁴⁾ المخافة إلى النظر والتأمل، حتى يتوصلوا إلى التوحيد. ﴿وَلْيَذَكِّرُوا وَلَوْ أَلَّا لَبَّ﴾ [إبراهيم: 52] ذكر ثلاث⁽⁵⁾ فوائد: تكميل الرسل للناس، واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها العلم بالوحدانية، واستكمال القوة العملية التي المقصود منها الاتصاف بصفة التقوى.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ عَبْدَ الْأَصْنَامِ وَعَدَدِ⁽⁶⁾ مَنْ لَمْ يَغْبُدْ»،⁽⁷⁾ كذا في الكشاف والله أعلم بالصواب.⁽⁸⁾

(1) في نسختي (ش، ض): البلاغ.

(2) في نسخة (ش): بمقدار.

(3) قراءة شاذة: (وَلْيُنذِرُوا) بفتح الياء والذال، منسوبة إلى يحيى بن عمر الذارع، وأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 74)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (1/ 367).

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): وعنهم.

(5) في نسختي (الأصل، م): ثالث.

(6) سقط من نسختي (الأصل، م).

(7) حديث موضوع: رواه الثعلبي في تفسيره (5/ 304)، والواحي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (3/ 22)، عن أبي، سبق تخريجه في الصفحة: (102).

(8) سقط من نسخ (ش، ض، غ).

[سورة الحجر]

مكية وهي تسع وتسعون آية⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 1]

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما في السورة من الآيات. والكتاب هو السورة، وكذا القرآن. ومناطق⁽²⁾ إفادة الحكم على مُجَامَعَةٍ وَصَفِ الكمال المفهوم من (لام الجنس)، ووصفِ التَّقَاظُمِ المفهوم من (التنوين)، مع وَصَفِ الإبانة، أي: هذه الآيات آيات كتاب كامل، وقرآن، أي: قرآن مبين. كأنه قيل: آيات الكتاب الجامع للكمال والغرابة⁽³⁾ في البيان.

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2]

(رُب) مخفف (رُبَّ) حرف جرٍّ و(ما) كَافَّةٌ، يجوز دخولها على الفعل. وقد قرئ على الأصل⁽⁴⁾. و﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ حكاية لودادتهم. وإنما جيء على لفظ الغيبة لِقَصْدِ المُوَافَقَةِ مع ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وأصلها: لو كنّا مسلمين. ونحوه: حَلَفَ بالله لَيَفْعَلَنَّ. ومعنى التقليل⁽⁵⁾ المفهوم من ﴿رُبَّ﴾ ههنا: أن هذه الودادة -مع قلتها- تقتضي اختيار الإسلام والمسارة إليه، فكيف إذا كانت كثيرة. ويجوز أن يكون للتكثير، على ما قيل: إنها قد يجيء للتكثير كما قال صاحب الفوائد الضيائية: "وهذا الذي ذُكِرَ من

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) في نسخة (ش): مناة.

(3) في نسختي (ش، ض): القرابة.

(4) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحَمَزَةُ والكسائي (رُبَمَا) مُشَدَّدَةً، وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَنَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ (رُبَمَا) خَفِيفَةً. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 366)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 301)، والقاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 175).

(5) في نسخ (الأصل، م، غ): التعليل.

التقليل،⁽¹⁾ - هو أصلها-، ثم يُستعمل في معنى التَّكْثِيرِ كالحقيقة، وفي التَّقْلِيلِ⁽²⁾ كالمجاز المحتاج إلى القرينة.⁽³⁾ وصاحبُ الكشفِ لم يذكُر هذا الاحتمالَ، كأنه لم يَرَضَ به.

وهذه الودادة إما في محلِّ مُعَايِنَتِهِمْ نُزُولَ النُّصْرَةِ للمؤمنين، أو في محلِّ الموتِ، أو في القيامة⁽⁴⁾. فعلى الأول، تعريضُ لهم⁽⁵⁾ بأنهم مُحْتَرِزُونَ عن الإيمانِ مع وجودِ الباعثِ القويِّ له عندهم. وعلى الثاني، تعريضُ بِأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ شَاهَدَ هذه الودادة منهم حينَ الموتِ. وأمّا على الثالثِ، فإخبارٌ عن حالهم الآتية؛ تَرْغِيباً للموجودين على الإسلام وعلى المسارعة إليه، ويجوز أن يكونَ على الاحتمالِ الثالثِ مستعملاً في معنى التقليل⁽⁶⁾ بلا تَكْلُفٍ كما أشار إليه صاحبُ الكشفِ بقوله: "وقيل: تُدْهِشُهُمْ أَهْوَالُ"⁽⁷⁾ ذلك اليومِ فَيَبْقَوْنَ مُبْهُوتِينَ، فَإِنْ حَانَتْ مِنْهُمْ إِفَاقَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَمَتُّوا ذَلِكَ."⁽⁸⁾ ولَمَّا كَانَتْ أَخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْحَقَّةَ الْوُفُوعِ أَجَزَى الْمَضَارِعَ مِنْهَا مَجَزَى الْمَاضِي. ولذلك قال: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ﴾ مع أَنَّ الشَّرْطَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ مَعَ الْفِعْلِ الْمَاضِي دُونَ الْمَضَارِعِ.

﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَتِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3]

أي: دَعَاهُمْ عَلَى حَالِهِمْ بَعْدَ مَا عَلِمَتْ أَنَّ الْإِنْدَارَ لَا يَنْفَعُهُمْ، وَخَلَّاهُمْ يَأْكُلُوا، وَيَمْتَتِعُوا بِدُنْيَاهُمْ، وَيُشْغِلُهُمْ تَوَقُّعُهُمْ لَطُولِ الْأَعْمَارِ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِلْمَعَادِ،⁽⁹⁾ فَعَن قَرِيبٍ يَعْلَمُونَ سُوءَ صَنِيعِهِمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْعِلْمُ بِهِ. والغرضُ: إقْنَاطُ الرَّسُولِ عَنْ إِيْمَانِهِمْ لِئَلَّا يَشْتَغِلَ بِشِدَّةٍ⁽¹⁰⁾ حِرْصِهِ عَلَى هِدَايَةِ الْأُمَّةِ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ. وفيه: تنبيهٌ عَلَى أَنَّ إِثَارَ التَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ طَوْلُ الْأَمَلِ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ.

(1) في نسخ (الأصل، م، غ): التعليل.

(2) في نسخ (الأصل، م، غ): التعليل.

(3) الجامي، نور الدين عبد الرحمن (المتوفى: 898هـ)، الفوائد الضيائية - المشهور بـ(مُلَا جامي)-، تحقيق: إلياس قبلان، الشفاء للنشر والطباعة، إسطنبول، 2015م، (ص: 545).

(4) في نسخ (م، ش، ض): القيمة.

(5) في نسختي (ش، ض): بهم.

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): التعليل.

(7) في جميع النسخ: أحوال.

(8) الزمخشري، الكشف، (569/2-570).

(9) في نسخ (الأصل، م، ض): أو للمعاد.

(10) في نسختي (ش، ض): لشدة.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4] أَجَلٌ مَعَيَّنٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ. والمستثنى⁽¹⁾ جملة واقعة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾. والأصل: أن لا يَدْخُلَهَا الواو كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: 208] لكن، لَمَّا شَابَهَتْ صورتها صورة الحال أُدْخِلَتْ عليها الواو؛ تأكيداً لِلصُّوقِهَا بالموصوف، كذا قالوا. والظاهر من كلامهم: أن الاستثناء مُفَرَّغٌ⁽²⁾ من أَعَمِّ الصِّفَاتِ، على معنى: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ موصوفة بِصِفَةٍ إِلَّا موصوفة بهذه الصِّفَةِ. ويحتمل أن يكون مما يُختار فيه البَدَلُ على تقدير الموصوف، أي: وما أَهْلَكْنَا من قرية إِلَّا قرية لها كتابٌ معلومٌ. وإنما لم يُجَوِّزُوا أن يكون استثناء من⁽³⁾ أَعَمِّ الأحوال؛ لأنه لا معنى لِإِهْلَاكِهِمْ في حال كتابة الأجل في اللوح. ولم يُجَوِّزُوا أن يكون عطفاً على صفة مقدِّرة؛ لِتَأْدِيَّتِهِ إِلَى حَذْفِ الموصوف والصِّفَةِ معاً، في الاحتمال الثاني، وحذف المستثنى⁽⁴⁾ والمستثنى⁽⁵⁾ منه، في الاحتمال الأول.⁽⁶⁾ وهو زيادة تكلف لا يُحتاجُ إليه بعد تجويز الاحتمال المذكور.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: 5]

تفسيرٌ وتقريرٌ لقوله: ﴿لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4]، أي: ما تَسْبِقُ أُمَّةٌ أَجَلَهَا وما يَسْتَأْخِرُونَ عنه. وتذكيرٌ ضمير الأمة في ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾ وتأنينه في ﴿أَجَلَهَا﴾ بالاعتبارين: رعاية جانب اللفظ، ورعاية جانب المعنى.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر: 6]

خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة لم يَعْتَقِدُوا انصافه بها، بل أنكروها؛ استهزاءً وتهكُّماً به. ونحوه ما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: 27]؛ لأن⁽⁷⁾ نسبة الجنون إليه لا يُجمَعُ مع اعتقاد الرسالة فيه، فلا بُدَّ أن يُحْمَلَ على الاستهزاء. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6] مقول القول، يعني: إِنَّكَ لَنَقُولُ قول المجانين حين تدعي أن الله نَزَّلَ عليك الذِّكْرَ، أي: القرآن.

(1) في نسخة (غ): والمسلمين.

(2) في نسخة (غ): مفرح.

(3) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(4) سقط من نسخة (ش)، وفي نسخة (غ): المستعين.

(5) في نسخة (غ): والمستبين.

(6) سقط من نسختي (الأصل، م).

(7) في نسخة (ش): لأنه.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ [الحجر: 7]

﴿لَوْ مَا﴾ حرف تَحْضِيضٍ،⁽¹⁾ ويجيء للامتناع⁽²⁾ أيضاً، نحو (لَوْلَا) كقوله:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْنُكُمْ ... بَبَعْضٍ مَا فَيْكُمْ إِذْ عِبْنُمَا عَوْرِي.⁽³⁾

واستعملت ههنا بمعنى التخصيص، يعني: هَلَا⁽⁴⁾ تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ يشهدون⁽⁵⁾ بصدقك، كقوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7]، أو هَلَا تَأْتِينَا الْمَلَائِكَةُ⁽⁶⁾ للعقاب على تَكْذِيبِنَا لك، كما كانت الأمم المَكْذِبَةُ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ لِلْعِقَابِ. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: 7] في دَعْوَاكَ.

﴿مَا نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 8]

استثناء مُفَرَّغٌ في موقع المصدر، والمعنى: ما نُزِّلَ⁽⁷⁾ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَنْزِيلاً مُلْتَبِساً بِالْحَقِّ، أي: بالوجه الذي تَقْضِيهِ حُكْمُهُ، ولا حكمة في⁽⁸⁾ أن تَأْتِيَهُمْ بِصُورٍ يَمْتَارُونَ⁽⁹⁾ بها عن غيرهم؛ لأنكم حينئذٍ⁽¹⁰⁾ تصدقون عن اضطراب فيفوت غرض التَّكْلِيفِ. أي: امتياز من له الفضل والمزية في قبول الإيمان عن عَدَاهُمْ. ولا في أن تَأْتِيَكُمْ بصورة البشر؛ لأنه لا يَزِيدُكُمْ إِلَّا لُبْساً. وكذا لا⁽¹¹⁾ حكمة في معاجلتكم⁽¹²⁾ بالعقوبة؛ فإن منكم وفي ذراريكم من يكتب إيمانه في اللوح. وقيل⁽¹³⁾: الحق: الوحي،⁽¹⁴⁾ أو العذاب،

(1) في نسخ (الأصل، ش، غ): تخصيص.

(2) في نسخة (غ): الامتناع.

(3) الشعر لتميم بن مقبل. ابن مقبل، تميم بن أَبِي بن مقبل بن عوف من بني العجلان من عامر بن صعصعة (المتوفى بعد: 70هـ)، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دمشق، مديرية إحياء التراث القديم، 1381هـ-1962م، (ص: 76).

(4) في جميع النسخ: هلا ما، وأثبت (هلا) لأنه أصح.

(5) في نسختي (الأصل، م): ليشهدون.

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): بالملائكة.

(7) في نسختي (الأصل، غ): تنزل.

(8) في نسخة (غ): من.

(9) في نسخة (ش): يمتارون.

(10) في نسخة (غ): في.

(11) في نسخة (ش): إلا.

(12) في نسخة (غ): معاملتكم.

(13) في نسخة (غ): وعلى.

(14) سقط من نسخة (غ).

والجملة استئناف من الله تعالى لرد⁽¹⁾ كلامهم. وقرأ (يُنزِّلُ) بالياء⁽²⁾ [مسنداً إلى ضمير اسم الله. وقرأ (تُنزِّلُ) (3) بالتاء⁽⁴⁾] (5) على البناء للمفعول⁽⁶⁾ مسنداً إلى الملائكة. وقرأ (تُنزِّلُ) (7) على أن أصله: (8) (تَنْزِّلُ). (9) ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر: 8] ﴿إِذَا﴾ جوابٍ وجزاء، جوابٌ لهم وجزاء⁽¹⁰⁾ بشرط⁽¹¹⁾ مقدر، تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا مُنْظَرِينَ وما أُخِرَ عذابهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]

ردٌ لإنكارهم واستهزائهم. ولذلك أكد بـ(إن)، وبالجملة الاسمية، وبذكر (نَحْنُ)، وبتقديمه؛ لأنَّ تقديم المسند إليه في أمثال هذه المواضع مفيدٌ للقصر،⁽¹²⁾ أي: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ تَحْقِيقاً لا⁽¹³⁾ ارتياب فيه، ونزوله ثابتٌ من عندنا، ولا مُنْزَلٌ له غيرنا. وقرَّره بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ لأنَّ حِفْظَهُ بحيث لا يَنْبَدُلُ، ولا يَنْغَيِّرُ، ولا يَزِيدُ، ولا يَنْقُصُ، دليلٌ على أنه من الله؛ لأنَّه لو كان من قولِ البَشَرِ لَجَارَ عليه التَّغْيِيرُ

(1) في نسخ (الأصل، م، غ): أو.

(2) قراءة شاذة: لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات، ذكرها البيضاوي في تفسيره. ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 207).

(3) قراءة متواترة: قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف (مَا تُنْزِّلُ) [الحجر: 8] بالنون وتشديد الزاي، (الْمَلَائِكَةُ) بالنصب. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (مَا تُنْزِّلُ) بضم التاء وفتح الزاي (الْمَلَائِكَةُ) بالرفع. وقرأ الباقر (تُنْزِّلُ) بفتح التاء (الْمَلَائِكَةُ) بالرفع. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 366)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 259).

(4) في نسختي (ش، غ): بالياء.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(6) في نسخة (غ): للمعقول.

(7) في نسختي (الأصل، م): ننزل. قراءة متواترة: قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (مَا تُنْزِّلُ) مَفْتُوحَةً التَّاء وَالنُّونَ مُشَدَّدَةً الزاي، ورفع (الْمَلَائِكَةُ). ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 366).

(8) في نسخة (غ): صلة.

(9) في نسختي (الأصل، م): ننزل، وفي نسختي (ش، ض): يَنْزِلُ.

(10) سقط من نسختي (الأصل، م).

(11) في نسخ (ش، ض، غ): لشرط.

(12) في نسخة (ش): للقصد.

(13) سقط من نسخة (غ).

والتَّبدِيلُ، وَلِهَآنَ وَقَعُهُ⁽¹⁾ بَعْدَ مَدَّةٍ بمرورِ الأزمانِ، وتغييرِ الأكوانِ، كما يُشَاهَدُ⁽²⁾ ما⁽³⁾ لهم من الكُتُبِ والتأليفاتِ الْمُعْتَبَرَةِ⁽⁴⁾ في زمانِهِمْ. ويجوزُ أن يكونَ المرادُ من الأولِ: إثباتُ أَنَّهُ مُنْزَلٌ⁽⁵⁾ من عنده، ومن الثاني: إثباتُ أَنَّهُ ثابتٌ في مَرِّ الدُّهُورِ لا ينقطعُ حُكْمُهُ بِمُنْزَلٍ آخَرَ. وقيل: الضَّميرُ في ﴿لَهُ﴾ لِلنَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: 10]

ولقد بَعَثْنَا من قبلك رِجَالاً لِلرِّسَالَةِ في فِرَقِ الْأَوَّلِينَ. و﴿شَيْعٍ﴾: جمعُ (شَيْعَةٍ)، وهي الفِرْقَةُ الْمُتَفَقَّةُ على طريقٍ ومذهبٍ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: 11]

تسليَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكايةُ حالٍ ماضِيَةٍ؛ لِأَنَّ ﴿مَا﴾ لِنَفْيِ الْحَالِ لَا يَدْخُلُ على مضارعٍ إِلَّا وهو في معنى الحالِ، ولا على ماضٍ إِلَّا وهو قريب من الحالِ.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 12]

يُقَالُ: سَلَكَتُ الْحَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَأَسْلَكْتُهُ إِذَا أَدْخَلْتَهُ فِيهَا. وَقُرِئَ (نُسْلِكُهُ)⁽⁶⁾ من الإِفْعَالِ،⁽⁷⁾ والمعنى واحدٌ، أي: يُدْخِلُ الاستهزاءَ في قلوبِ المجرمينَ. وهو على هذا دليلٌ لِمَا اعتَقَدَهُ الْأَشَاعِرَةُ من أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الْأَفْعَالِ الْعِبَادِ، حَيْثُ نَسَبَ إِدْخَالَ الاستهزاءِ في قلوبِ المجرمينَ إِلَى نَفْسِهِ بِالصُّدُورِ عَنْهُ. وَجَعَلَ صَاحِبُ الْكَشَافِ الضَّميرَ في ﴿نَسْلِكُهُ﴾ لِلذِّكْرِ على معنى: أَنَّهُ يُلْقِيهِ في قلوبِهِمْ مُكَدِّباً مُسْتَهْزِئاً بِهِ⁽⁸⁾ مُسْتَدِلًّا بِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الحجر: 13] إمَّا حالٌ عن هذا الضَّميرِ، أو بيانٌ وتفسيرٌ لقوله:

(1) في نسختي (الأصل، م): وحعه، وفي نسخة (غ): وقته.

(2) في نسخ (الأصل، م): نشاهد.

(3) سقط من نسختي (الأصل، م).

(4) في نسخة (غ): المنزهة.

(5) في نسخة (ض): نزل.

(6) في جميع النسخ: يسلكه، وأثبت (نُسْلِكُهُ) لأنه أصح.

(7) قراءة شاذة: ذكره الكرمانى والزمخشري بدون نسبة إلى أحد، الكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص:

264)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 572).

(8) سقط من نسخ (الأصل، م، غ).

﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ﴾⁽¹⁾ وعلى التقديرين يلزم أن يكون الضمير [الذكر]، ويرد عليه أنه لم لا يجوز أن تكون الجملة حالاً عن ﴿المُجْرِمِينَ﴾، أو عن المُستتر فيه؟ وكون الجملة بياناً، لا يُنافي أن يكون الضمير⁽²⁾ في المبين لشيء آخر. نعم، تطابق⁽³⁾ الضميرين⁽⁴⁾ المتعاقبين في المرجوع إليه أولى لو أمكن بلا كلفة. ومعلوم أن تطابقهما ههنا محتاج إلى تكلفٍ وتقديرٍ في العبارة، ولا مانع من رجوع الضمير إلى الاستهزاء مع ورود قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: 27]، فإن إسناد الإدخال المذكور إليه تعالى⁽⁵⁾ ليس بأبعد من إسناد الإضلال إليه.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: 13]

أي: طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين⁽⁶⁾ كذبوا رسلهم؛ على أن يكون وعيداً⁽⁷⁾ لأهل مكة، أو سنّة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الاستهزاء في قلوبهم، على أن يكون من تيمّة التسلية.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: 14]

فصاروا يصعدون⁽⁸⁾ إليها ويرون عجائبها؛ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: 15] أي: حُيرت؛ إن كان من (السُّكْرِ) بالضم، أو حُبِسَتْ من الإبصار؛ إن كان من (السُّكْرِ) بالفتح. وقرأ (سُكِّرَتْ)⁽⁹⁾ بالتخفيف من (السُّكْرِ) بالفتح. وقرأ (سُكِّرَتْ)⁽¹⁰⁾ على البناء للفاعل من السُّكْرِ بالضم، أي: قالوا هو

(1) في الأصل: لنسلكه.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(3) في جميع النسخ: يطابق.

(4) في نسختي (ش، ض): الضمير.

(5) سقط من نسختي (ش، ض).

(6) في نسخة (غ): حتى.

(7) في نسختي (الأصل، م): وعيد.

(8) في نسخة (غ): يصدون.

(9) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وحده (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ) [الحجر: 15] خفيفة الكاف، وقرأ الباقر (سُكِّرَتْ) مشددة الكاف. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 366)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 259-260).

(10) قراءة شاذة: منسوبة إلى أبي حيوة، والزهري. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 74)، وابن جني، (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2/3).

شيءٌ نَتَخَايَلُهُ لَا حَقِيقَةً لَهُ. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 15] قد سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال صاحبُ الكشاف: "وَذَكَرَ الظُّلُولَ لِيَجْعَلَ عُرُوجَهُم بِالنَّهَارِ لِيَكُونُوا مُسْتَوْضِحِينَ لِمَا يَرَوْنَ." (1) وَإِنَّمَا جَعَلَهُ بِهَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ يَجِيءُ بِمَعْنَى (صَارَ) أَيْضاً؛ لِأَنَّهُ أُنْسِبَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارَنَا﴾. وفيه: أَنَّ مَنْ يَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ مُسْتَوْضِحٌ لِمَا يَرَى؛ لِأَنَّ كُرَّةَ الْأَرْضِ لَيْسَ لَهَا قَدَرٌ مُحْسُوسٌ هَهُنَا لِتُحْجَبَ عَنِ شِعَاعِ الشَّمْسِ، وَيَخْصُ الرُّؤْيَا بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ. فَالْأَوَّلَى أَنْ يُجْعَلَ (ظَلٌّ) بِمَعْنَى (صَارَ)؛ لِئَلَّا يُحْتَاجَ إِلَى تَوْجِيهِهِ هُوَ بِمَعْزَلٍ عَنِ التَّحْقِيقِ.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: 16]

أَي: جَعَلْنَاهَا مَنَشَأً لِانْتِزَاعِ دَوَائِرِ مَوْهُومَةٍ، يُحْصَلُ بِسَبَبِهَا اثْنِي عَشَرَ قِسْماً، كَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ. قال البيضاوي: "اثْنِي عَشَرَ، مُخْتَلَفَةُ الْهَيْئَاتِ وَالْخَوَاصِّ، عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الرَّصْدُ وَالتَّجَرِبَةُ، مَعَ بَسَاطَةِ (2) السَّمَاءِ." (3) وفيه: أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ بِالْبُرُوجِ مَا هُوَ الْمَصْطَلَحُ مِنَ الْأَقْسَامِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، فَهِيَ لَيْسَتْ بِمُخْتَلَفَةِ الْهَيْئَاتِ، بَلْ هِيَ أَقْسَامٌ مُتَسَاوِيَةٌ لَا اخْتِلَافَ فِي هَيْئَاتِهَا. وَعَلَى تَقْدِيرِ التَّسْلِيمِ لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ: "عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الرَّصْدُ وَالتَّجَرِبَةُ"؛ إِذْ (4) لَا دَلَالَةَ لِلرَّصْدِ عَلَيْهِ، وَكَذَا لِلتَّجَرِبَةِ، وَالتَّجَرِبَةُ أَيْضاً لَا تَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ خَوَاصِّهَا؛ لِأَنَّ التَّجَرِبَةَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَثَارِ، وَهُوَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَوَاصِّ الْأَوْضَاعِ؛ فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْفُصُولِ بِوَسْطَةِ قُرْبِ الشَّمْسِ وَبُعْدِهَا مِنْ سَمْتِ (5) الرَّأْسِ، وَكَذَا حَالُ (6) سَائِرِ الْخَوَاصِّ؛ فَإِنَّهَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَنَدَةً إِلَى الْإِتِّصَالَاتِ، وَالْإِنْفِصَالَاتِ لَا إِلَى طَبِيعَةِ الْأَقْسَامِ.

وَأِنْ أَرَادَ بِالْبُرُوجِ: (7) الصُّورَ الْمَوْهُومَةَ مِنَ الْكَوَاكِبِ؛ فَاخْتِلَافُهَا مُحْسُوسٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى اسْتِدْلَالٍ مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ [الحجر: 16] يُنَافِيهِ، كَمَا لَا يَخْفَى. وَأَيْضاً، اخْتِلَافُ خَوَاصِّ تِلْكَ الصُّورِ مَمْنُوعٌ، فَضْلاً أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ التَّجَرِبَةُ. ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: 16] أَي: وَزَيَّنَّاهَا بِالْكَوَاكِبِ الْمُعْتَبَرِينَ.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 573).

(2) في نسخة (غ): بساط.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 208).

(4) في نسخة (غ): أو.

(5) في نسخة (غ): كتب.

(6) في نسختي (ش، غ): قال.

(7) في نسخة (غ): لبروج.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: 17] بِأَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهَا، وَيُؤَسِّسَ أَهْلَهَا.

﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ [الحجر: 18]

عن سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ لِيَطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ الْأَسْرَارِ. وَإِنَّمَا يَنْتَبِهُ⁽¹⁾ لَهُمْ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ مَنَاسِبَةٍ بَيْنَهُمَا فِي الْجَوْهَرِ، أَوْ بِالْإِسْتِدْلَالِ مِنْ أَوْضَاعِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا. فَعَلَى⁽²⁾ هَذَا يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعاً، عَلَى مَعْنَى: وَلَكِنْ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَحَالُهُ كَذَا. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُحْجَبُونَ عَنِ السَّمَاوَاتِ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى مُنْعُوًّا مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْعُوًّا مِنْ كُلِّهَا بِالشُّهْبِ⁽³⁾. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مُنْصِلاً.

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "أَوْ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ بَدَلًا مِنْ ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾"⁽⁴⁾ كَأَنَّهُ جَعَلَ الْكَلَامَ السَّابِقَ غَيْرَ مُوجِبٍ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى، إِذْ⁽⁵⁾ حَاصِلُ مَعْنَاهُ: وَمَنْعَنَا مِنْهَا كُلَّ شَيْطَانٍ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَنْثَى إِنَّمَا يَقَعُ بَدَلًا فِي كَلَامٍ غَيْرٍ مُوجِبٍ، كَمَا⁽⁶⁾ قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ. ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: 18] فَلَحِقَهُ شِهَابٌ ظَاهِرٌ يَرَاهُ كُلُّ بَصِيرٍ. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "وَالشَّهَابُ: شُعْلَةٌ نَارٍ سَاطِعَةٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ لِلْكَوْكَبِ وَالسِّنَانِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْبُرُوقِ"⁽⁷⁾.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الحجر: 19]

أَي: بَسَطْنَاهَا، وَأَلْقَيْنَا فِيهَا جِبَالاً مُسْتَقَرَّةً. ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19] أَي: فِي الْأَرْضِ، أَوْ فِيهَا وَفِي الْجِبَالِ. وَ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِيضِ؛ لِأَنَّ مَا يَنْبُتُ فِيهَا بَعْضٌ مِمَّا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَ(الْمَوْزُونُ): مَا وُزِنَ بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ، أَوْ مَا لَهُ وَزْنٌ وَمِقْدَارٌ. وَقِيلَ: مَا يُوزَنُ، مِنْ نَحْوِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالنَّحَاسِ، وَالْحَدِيدِ، وَغَيْرِهَا.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): يَنْتَقِرُ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): قَبْلَ.

(3) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 208).

(4) لَمْ أَجِدْهُ فِي الْكَشَافِ، وَالْقَائِلُ بِهِ الْبَيْضَاوِيُّ، يَنْظُرُ: الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 208).

(5) فِي نَسْخِ (الْأَصْلِ، م، غ): أَوْ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): لَمَّا.

(7) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 208).

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الحجر: 20]

من المطاعِم والملايس. وقرأ (معايش) ⁽¹⁾ بالهمزة على التشبيه بالشمائِل. وأصله الياء؛ لأنه الأجوف اليائي. ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: 20] مَمَّنْ ⁽²⁾ تَطْنُونُ ⁽³⁾ أَنْكُمْ تُرْزِقُونَهُ من العيال والخدم، عطف على ﴿مَعَايِشَ﴾، أي: وجعلنا لكم فيها مَنْ تَطْنُونُ ⁽⁴⁾ أَنْكُمْ تُرْزِقُونَهُ، وَلَسْتُمْ بِرَازِقِينَ له في الحقيقة. ويجوز أن يكون عطفاً على محلِّ ﴿لَكُمْ﴾، فكأنه ⁽⁵⁾ قال: وَرَزَقْنَاكُمْ فيها وَمَنْ لَسْتُمْ له بِرَازِقِينَ. ولا يجوز أن يكون عطفاً على المجرور؛ لأنه مشروط بإعادة الخافض.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21]

صَرَبَ الخزائن مثلاً لقدرته ⁽⁶⁾ الكاملة، أي: وإن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَنَحْنُ قَادِرُونَ على إيجاده ⁽⁷⁾ أمثاله، أو ⁽⁸⁾ شَبَّهَ الأشياءَ المقدورة بالأشياءَ المخزونة على الاستعارة بالكناية، ⁽⁹⁾ وَأَثْبَتَ لها لازمَ المشبَّه به، على التخييل. ⁽¹⁰⁾ ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21] تقتضيه الحكمة والمصلحة.

(1) قراءة شاذة: منسوبة إلى خارجة، وأبو قرّة عن نافع، والقورسي عن أبي جعفر، والأعمش، وأبي حنيفة في الكامل، وذكرها الزمخشري بدون نسبة، ونسبها ابن عطية إلى الأعمش وخارجة عن نافع، وأبو حيان إلى الأعرج وخارجة عن نافع. وقال فخر الدين الرازي: قال الزجاج: جميع النحويين البصريين يزعمون أن همز (معايش) خطأ، وذكروا أنه إنما يجوز: جعل الياء همزة إذا كانت زائدة، نحو: (صحيفة) و(صائف)، فأما (معايش) فمن العيش والياء أصلية، وقراءة نافع لا أعرف لها وجهاً، إلا أن لفظة هذه الياء -التي هي من نفس الكلمة- أسكن في معيشة فصارت هذه الكلمة مشابهة لقولنا: صحيفة، فجعل قوله: (معايش) شبيهاً لقولنا (صائف)، فكما أدخلوا الهمزة في قولنا: (صائف)، فكذا في قولنا (معايش) على سبيل التشبيه، إلا أن الفرق ما ذكرناه أن الياء في (معيشة) أصلية، وفي (صحيفة) زائدة. ينظر: الهدلي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 382)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 574)، وابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، (3/ 355)، والرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (14/ 205).

(2) في نسخة (غ): فمن.

(3) في نسخ غير (غ): يظنون.

(4) في جميع النسخ: يظنون، وأثبت (تظنون) لأنه أصح.

(5) في نسخة (غ): حكاية.

(6) في نسخة (غ): بقدرته.

(7) في نسخة (غ): اتخاذ.

(8) في نسخة (م): و.

(9) في نسخة (غ): بالكفاية.

(10) في الأصل: تخيل.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22] يُقال: "ريحٌ لَوَاقِحٌ"، إذا جاءت بخيرٍ من إنشاءٍ سحبٍ مَاطِرٍ، كما يُقال لِلَّتِي لَا تَأْتِي بخيرٍ: "ريحٌ عقيمٌ"، فيكون ﴿لَوَاقِحَ﴾ بمعنى حَوَامِلٍ؛ إمَّا على الحقيقة، كما يفهم من "الكشاف"، أو على المجاز كما يفهم من "تفسير البيضاوي". ويجوز أن يكونَ بمعنى: المُلقَحَاتِ؛ لأنها تَلْقَحُ الشَّجَرَ، كما⁽¹⁾ يُقال طَوَائِحَ لِلْمُطِيحَاتِ. وُقِرَّ (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ)⁽²⁾ على إرادة الجنس. ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22] نفى عنهم ما أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21]. ويجوز أن يكونَ المرادُ: نفى ما يَعْتَقِدُونَ من أَنَّهُمْ خَازِنُونَ له في الآبَارِ وَالْقُدُورِ ونحوهما. ونحوه: ﴿وَمَنْ لَسْتُ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: 20]؛ فَإِنَّ وَقُوفَ الْمَاءِ دُونَ حَدٍّ -مع أَنَّهُ يَنْتَضِي الْغُورَ- إِنَّمَا يَكُونُ بسببٍ ينتهي إلى قُدْرَةِ اللَّهِ ومشِيئَتِهِ.

﴿وَأَنَا لَحَنُّنٌ غُحِيٌّ وَنُمِيتٌ﴾ [الحجر: 23]

تكريرُ الصَّمِيرِ لقصدِ القَصْرِ، وزيادة الثَّبَاتِ، والتَّأَكُّدِ. وَوَجْهُ التَّأَكُّدِ -مع أَنَّ الإحياءَ والإماتَةَ معلومٌ استنادُهُما إليه سبحانه-: أَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ⁽³⁾ بمقتضى عِلْمِهِمْ فكأنَّهم جاهِلُونَ لذلك، ومُنْكَرُونَ له. ويجوز أن يكونَ الكلامُ مع القائلين: بَأَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ عنه إِلَّا الْوَاحِدُ، فَإِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ إِسْنَادَ الإحياءِ والإماتَةِ إليه سبحانه. ويحتملُ أن يُرَادَ بِالْحَيَاةِ: ما يَعُمُّ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ، فعلى هذا يَظْهَرُ وجهُ التَّأَكُّدِ بلا تَكْلُفٍ. ﴿وَحَنُّنٌ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23] الباقيون. وَالْمُمْكِنَاتُ بِأَسْرِهَا هَالِكَةٌ، وَالْهَالِكُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ. وقيل لِلْبَاقِي: وَارِثٌ؛ استعارةً من⁽⁴⁾ (وَارِثِ الْمَيِّتِ)؛ لِأَنَّهُ يَبْقَى بعدَ فَنَائِهِ.

(1) في نسخة (غ): لما.

(2) قراءة متواترة: قرأ حمزة وخلف (الرَّيْحَ) بلا ألف بعد الياء على الأفراد، وقرأ الباقون (الرِّيحَ) بالألف بعد الياء على الجمع. ينظر: ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 173)، النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 138).

(3) في نسخة (ض): يعلمون.

(4) سقط من نسخة (ش).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: 24]

جميع مَنْ تَقَدَّمَكُمْ⁽¹⁾ بالوجود، أو بالرُّتْبَةِ وَالشَّرَفِ، وجميع مَنْ⁽²⁾ تَأَخَّرَ مِنْكُمْ كذلك. وهو بيانٌ لكَمَالِ عِلْمِهِ بَعْدَ بَيَانِ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وفيه:⁽³⁾ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ. وَقِيلَ: رَغِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [على⁽⁴⁾ الصِّفَةِ الْأُولَى فَارْزَحَمُوا عَلَيْهِ، فَانْزَلَتْ⁽⁵⁾]. وَقِيلَ: إِنَّ امْرَأَةً⁽⁶⁾ حَسَنَاءَ كَانَتْ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

(1) في نسخ (الأصل، ش، ض): يقدمكم.

(2) في نسخة (غ): ما.

(3) في نسخة (غ): وقيد.

(4) في تفسير البيضاوي: في.

(5) أورده الواحدي في أسباب النزول: قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: حَرَّضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصِّفَةِ الْأُولَى فِي الصَّلَاةِ، فَارْزَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَكَانَ بَنُو عُدْرَةَ دُورَهُمْ قَاصِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَقَالُوا: نَبِيعُ دُورِنَا وَنَشْتَرِي دُورًا قَرِيبَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَأُورِدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَالْأَلُوسِيُّ فِي تَقْسِيرِيهِمَا. يَنْظُرُ: الْوَاحِدِيُّ (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، (ص: 276)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 532)، والألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني، (7/ 278)، العك، خالد عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م، (ص: 195).

(6) في نسخة (ش): المرأة.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾ فَتَقَدَّمَ بَعْضُ الْقَوْمِ؛ لِئَلَّا يَنْظُرَ إِلَيْهَا، وَتَأَخَّرَ [بَعْضُ آخَرٍ]؛⁽²⁾ لِيُبْصِرَهَا⁽³⁾ فَتَزَلَّتْ،⁽⁴⁾ كَذَا فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ.⁽⁵⁾

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الحجر: 25] هُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى حَشْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ بِتَفَاصِيلِ الْأَشْيَاءِ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهَا. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: 25] تَعْلِيلٌ لِسَابِقِهِ.

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(3) في نسخ (ش، ض، غ): لينصرها.

(4) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي في سننه (5/ 296) برقم (3122)، والنسائي في سننه (2/ 118) برقم (870)، ابن ماجه في سننه (2/ 161) برقم (1044) باختلاف يسير عن طريق نُوحِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وقال الترمذي: وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوَّاءِ، نَحْوَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ أَصَحَّ مِنْ حَدِيثِ نُوحٍ. وقال المحقق شعيب الأرنؤوط عمَّا رواه ابن ماجه: "إسناده ضعيف ومتمته منكر، عمرو بن مالك -وهو النُّكْرِي- لا يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، فقد ذكره في "الثقات" وقال: يخطئ ويغرب، وقال الحافظ في "التقريب": صدوق له أوهام، وأخطأ الذهبي في "الميزان" و "الضعفاء" فوثق عمرو ابن مالك مع أنه ذكره في "الكاشف" ولم يوثقه، وإنما اقتصر على قوله: وثق، وهو يُطلق هذه اللفظة عادةً على من انفرد ابن حبان بتوثيقه. قد سبق لنا أن حسننا إسناده هذا الحديث في تعليقنا على "صحيح ابن حبان"، وقد تبين لنا هنا أنه ضعيف لا يستحق التحسين." وذكره ابن كثير في تفسيره وقال: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس. ينظر: ابن حبان، الثقات، (8/ 487)، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايِمَاز (المتوفى: 748هـ)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م، (2/ 87)، وديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، 1387 هـ - 1967 م، (ص: 305)، وابن كثير (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، (4/ 532)، والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ) تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، 1406 - 1986، (ص: 426)، المزياني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي، الدمام، 1426هـ، (ص: 647).

(5) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 209).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]

الصلصال: طين يابس يتصلصل، أي: (1) يَصَوْتُ إذا نُقِرَ، وهو غير مطبوخ، وإذا طُبِخَ فهو: (2) فَخَّارٌ. وقيل: هو تَضْعِيفُ (صَلَّ)، (3) إذا أُنْتَنَ. والحمأ: طين أسود [تَغَيَّرَ رِيحُهُ]، (4) والمَسْنُونُ: (5) المَصُورُ، من سُنَّةٍ (6) الوجه، أو المَصْبُوبُ، كالجواهر المَذَابَةِ [تُصَبُّ عَلَى] (7) القوالب من السِّنِّ. ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 27] الجانُّ: أبو الجنِّ، كَادَمَ أَبُو الْبَشَرِ. وقيل: هو إبليس، وقيل: المراد به الجنس، أي: خلقنا الجانَّ من قبل خلق الإنسان من نارِ الحرِّ الشَّدِيدِ النَّافِذِ في المَسَامِ، كذا في الكشف. (8) ولا يَلَزَمُ من ذلك أن لا يكونَ في خَلْقِهِ جزءٌ (9) آخَرُ، كما في قوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: 5].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر: 28-29] عَدَلْتُ خَلْقَهُ وَأَكْمَلْتُهَا، (10) ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29] قال صاحبُ الكشف: "ومعنى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: أَحْيَيْتُهُ، (11) وليس ثَمَّةُ نَفْخٍ وَلَا مَنُفُوخٍ، وإنما هو تمثيلٌ لِتَحْصِيلِ (12) ما يَحْيَى به فيه." (13) فعلى هذا يكون المراد بـ(الروح): الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ. ويجوز أن يُرَادَ به الرُّوحُ الْإِنْسَانِيُّ، أي: الجوهرُ الْمُجَرَّدُ الثُّورَانِي، وهو الذي يُسَمَّى (روحاً) باعتبارِ تَجَرُّدِهِ، و(نفساً ناطقةً) باعتبارِ تَعَلُّقِهِ بِالْبَدَنِ،

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في جميع النسخ: وهو، وأثبت (فهو) لأنه أصح.

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): صلى.

(4) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): بغير ريحة.

(5) في نسخة (ش): المسنون (بدون الواو).

(6) في نسخ (الأصل، م، ض): سنه. وسُنَّةُ الوجه، أي: صورته. الجوهري (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (5/ 2139).

(7) بين المعقوفتين في نسخ (ش، ض، غ): نصب في.

(8) الزمخشري، الكشف، (2/ 576).

(9) في نسخة (غ): حرز.

(10) في نسخة (ش): كملتها.

(11) في نسخة (غ): أحبيته.

(12) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): ليحصل.

(13) الزمخشري، الكشف، (2/ 577).

وتصرفه فيه. ومعناه: وخلقته فيه وفي جميع أعضائه استعداداً لقبول تدبير الروح وتصرفه فيه، فجعل مملوءاً من آثار الروح كما يملأ المنفوخ فيه بالنفخ. وتؤيده إضافته⁽¹⁾ الروح إلى نفسه؛ لأنه صدر منه بلا واسطة شيء. كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي». ⁽²⁾ [وبعبارة أخرى]: ⁽³⁾ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ» ⁽⁴⁾ إشارة إلى هذا الجوهر النوراني، إلا أن النفخ أنسب بالمعنى الأول، ⁽⁵⁾ والله أعلم. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29] أمر الملائكة بالسجود له. ولما كان البشر -باعتبار كونه مخلوقاً من البدن الظلُماني والروح النوراني- مظهرًا لجميع ⁽⁶⁾ الأسماء الإلهية، كما أشار إليه بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ [البقرة: 31]، وصار بذلك مستحقاً للخلافة، كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وجعل بذلك مستحقاً؛ لأن يسجد له غيره، رتب الأمر بالسجود له على خلقه من صلصال نفخ فيه من روحه، فقال: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 30]
وبعد أمرهم بالسجود له سجدوا كلهم أجمعون.

(1) في نسخة (ض): إضافة.

(2) حديث موضوع: قال علي القاري بعد ذكر هذا القول وأمثاله: وفي الخلاصة قال الشيخ قد صنف كُتُب في الحديث وجميع ما احتوت عليه موضوع. الهروي، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى)، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص: 404).

(3) بين المعقوفتين في نسخة (ش): باعتبار آخر، وفي نسخة (ض): باعتبار أخرى.

(4) حديث موضوع: روى الحديث بأسانيده ابن الجوزي في الموضوعات (1/ 174 - 176)، ثم قال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن قدامة: وسألته عن قول الناس: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ». فقال: هذا موضوع، ليس له أصل. وقال الصغاني: فمن الأحاديث الموضوعة قولهم: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ»، قال: أقبل فأقبل... الحديث بطوله. ينظر: ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي (المتوفى: 620هـ)، المنتخب من علل الخلال، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الراجعية للنشر والتوزيع، (1/ 87)، والصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد القرشي الحنفي (المتوفى: 650هـ)، الموضوعات، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الثانية، 1405 هـ، (ص: 35). ينظر أيضاً: السيوطي، (المتوفى: 911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، (1/ 120).

(5) في نسخة (غ): الأولى.

(6) في نسخة (ش): الجميع.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 31]

استثناءً مُتَّصِلٌ، باعتبار أنه [كان مُنْخَرِطاً في سِلْكِ] ⁽¹⁾ [الملائكة، مأموراً معهم بالسُّجود، فغُلِبَ اسمُ الملائكة، ثم استثنِيَ بعد التَّغْلِيْبِ، أو باعتبار أنه داخلٌ في جنسِ الملائكة] ⁽²⁾ كما قيل. وجوز البيضاوي أن يكون الاستثناء مُنْقَطِعاً، على معنى: ولكنَّ إبليسَ أبى. ⁽³⁾ ولا يخفى أنَّ الإِبَاءَ عن السُّجود إنَّما يكون بعد كونه مأموراً به وبعد كونه داخلًا في المأمورين، يصيرُ الاستثناء مُتَّصِلاً، فلا يجوزُ أن يُجْعَلَ مُنْقَطِعاً إلا بعد تَكْلُفٍ وتقديرٍ ⁽⁴⁾ في العبارة، نحو: إلا إبليسَ أبى بعد ما أمر بالسُّجود، وهو تَكْلُفٌ غيرُ محتاجٍ إليه. ولهذا نَسَبَ صاحبُ الكشاف هذا الاحتمالَ إلى الغير، حيث قال: "وقيل: معناه: وَلَكِنَّ إبليسَ أبى." ⁽⁵⁾ وبعد ما جُعِلَ الاستثناء مُتَّصِلاً تكونُ ⁽⁶⁾ جملةُ ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ﴾ استثناءً مبنياً على السُّؤال، كأنه قيل: هَلَّا ⁽⁷⁾ سَجَدَ؟ فقيل: أبى.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 32]

أي: أيُّ غَرَضٍ لك في أن لا تكون مع السَّاجِدِينَ؟ على حذفِ حرفِ الجرِّ، قِيَاساً، وهو توبيخٌ له على الإِبَاءِ عن السُّجود. ⁽⁸⁾

(1) بين المعقوفتين في نسخة (ض): داخل في جنس.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (210 / 3).

(4) في نسخة (غ): تعذر.

(5) الزمخشري، الكشاف، (2 / 577).

(6) في نسخة (ش): أن يكون.

(7) في نسختي (ش، غ): بلا.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ [الحجر: 33]

لا يصحّ مني أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: 33] أي: لبشرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ أَحْسَنِ⁽¹⁾ العناصر، وأنا مخلوقٌ من أعلاها، والأعلى لا يجوز أن يسجدَ للأدنى، نَظَرَ⁽²⁾ إلى ظاهر خَلَقْتَهُ وَغَفَلَ عَنْ جَامِعِيَّتِهِ التي بها⁽³⁾ يستحقُّ الخِلافةَ والسُّجودَ له؛ بسببِ استكباره لِنَفْسِهِ، وَعَجِبَهُ بها.

﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: 34]

أي: من الذين يُرجمون بالشُّهْب. ويجوز أن يُرادَ من (الرَّجْمِ) لازمٌ معناه، أي: الطَّرْدُ؛ لأنَّ مَنْ يُرْجَمُ بالحجارة، يُطْرَدُ النَّبْتَةُ. ولَمَّا كان سؤاله ناشئاً عن عُجْبِهِ واستكباره، لا عن مُجَرَّدِ غَفْلَةٍ⁽⁴⁾ تَزُولُ⁽⁵⁾ بعدَ التَّنْبِيهِ بِالْجَوَابِ، لم يَتَوَجَّهْ إلى الجوابِ عن شُبْهَتِهِ،⁽⁶⁾ وأجابَ بالطَّرْدِ واللَّعْنِ؛ لأنَّ الْمُعَانِدَ لا يُصْغَى إلى ما يَنْفَعُهُ، فلا يستحقُّ إِلَّا الطَّرْدَ واللَّعْنَ.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: 35]

أي: دائماً، وإِنَّمَا عَبَّرَ عنه بـ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لَأَنَّهُ أَبْعَدُ غَايَةٍ يَضْرِبُهَا النَّاسُ فِي⁽⁷⁾ كلامهم. ونحوه في التَّأْيِيدِ: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: 107]. ويحتملُ أن يكونَ ذلكَ غَايَةَ اللَّعْنِ الْمُجَرَّدِ عن العذابِ، أو إشارةً إلى أَنَّ اللَّعْنَ عِنْدَ لُحُوقِ الْعَذَابِ يُجْعَلُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فكأنَّه يَزُولُ بِالْكَلْيَةِ.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: 36]

الفاءُ فصِيحةٌ، كأنَّه قال: يا رَبِّ إِذَا طَرَدْتَنِي وَحَرَمْتَ عَلَيَّ النَّعِيمَ الْآخِرِيَّ⁽⁸⁾ فَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تُنْظِرَنِي إلى يومِ القيامةِ. أَرَادَ دوامَ حَيَاتِهِ، قَصْداً إلى إغواءِ بني آدَمَ كُلِّهِم.

(1) في نسختي (م، ض): أحسن، وفي نسخة (ش): أخصّ.

(2) في نسختي (الأصل، م): نظراً.

(3) سقط من نسخة (م).

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): غَفْلَتِهِ

(5) في جميع النسخ: نزول؟

(6) في نسخة (ش): شبهة.

(7) في نسخة (غ): من.

(8) في نسخة (غ): الآخرون.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 37-38]

أَجَابَ مَسْئُولُهُ؛ إِذْ لَا لَاسْتِدْرَاجًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يَذُوقَ الْمَوْتَ أَبَدًا؛ لَجَوَازِ أَنْ يَمُوتَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْيَوْمِ ثُمَّ يُحْشَرَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَذَا الْيَوْمِ يَوْمَ انْقِرَاضِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، عَلَى أَنْ تَكُونَ الْإِجَابَةُ إِجَابَةً لِبَعْضِ سُؤَالِهِ.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحجر: 39]

(الْبَاءُ) لِلْقَسَمِ وَ(مَا) مَصْدَرِيَّةٌ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، وَ(الْأَرْضُ): الدُّنْيَا، كَقَوْلِهِ: ⁽¹⁾ ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 176] وَهُوَ قَسَمٌ بِالْفِعْلِ. وَمَنْ لَمْ يُجَوِّزْ انْعِقَادَ الْقَسَمِ بِالْفِعْلِ يَجْعَلُ النَّبَاءَ لِلْسَّبَبِ، وَتَقْدِيرُ الْقَسَمِ أَيُّ: بِسَبَبِ إِغْوَاكَ إِيَّايَ أَقْسَمُ لَأُزَيِّنَنَّ. وَالْإِغْوَاءُ: فِعْلُهُ ⁽²⁾ فِعْلُهُ ⁽³⁾ حَقِيقَةً عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ، وَتَأْوِيلًا عِنْدَ الْمُعْتَزَلَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَوَّلُوا الْإِغْوَاءَ بِالنَّسَبِ لِلْغِيِّ؛ فَإِنَّ أَمْرَهُ إِيَّاهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ جُعِلَ سَبَبًا لِغِيِّهِ، فَكَأَنَّهُ خَلَقَ الْغِيَّ فِيهِ. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39] بِالْوَسْوَسَةِ وَتَزْيِينِ الْمَعَاصِي.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: 40]

الَّذِينَ طَهَّرْتَهُمْ ⁽⁴⁾ مِنَ الشَّوَائِبِ، بَحِيثٌ لَا يُؤَيَّرُ فِيهِمْ كَيْدٌ وَوَسْوَسَةٌ. وَقُرِئَ (مُخْلِصِينَ) ⁽⁵⁾ بِكسْرِ اللَّامِ، أَيُّ: الَّذِينَ أَخْلَصُوا نَفُوسَهُمْ لِلَّهِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): لَقَوْلِهِ.

(2) فِي نَسْخَةِ (الأصل): فِعْلُهُ.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأصل، م، ش، غ).

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): ظَهَرَ بِهِمْ.

(5) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَيَعْقُوبُ، (الْمُخْلِصِينَ) بِكسْرِ اللَّامِ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفُ (الْمُخْلِصِينَ) بَفَتْحِ اللَّامِ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ (الَّذِينَ) أَوْ (بَيْنِي) فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّهُ بِكسْرِ اللَّامِ. النِّيسَابُورِيُّ (الْمُتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 246).

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: 41]

الظرفُ مستقرٌّ في موقعِ الصِّفَةِ. و﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ صفةٌ بعد صفةٍ. و﴿هَذَا﴾ إشارةٌ إلى ما يفهم من الاستثناء من حفظه المخلصين من إغوائه، أي: هذا الحفظُ طريقٌ حقٌّ عليّ رعايته مستقيمٌ لا يتصور الانحرافُ عنه. وقرأ (عليّ)⁽¹⁾ من علو الشأن.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42]

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تصديقاً لإبليس فيما استثناه؛ على أن تكون الإضافة في ﴿عِبَادِي﴾ للعهد، يعني: إِنَّ عِبَادِي المخلصين ليس لك عليهم سلطانٌ لتَقْدِرَ على إغوائهم. ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تكذيباً له فيما أَوْهَمَ أَنَّ له سلطاناً على غير المخلصين؛ على أن تكون الإضافة للاستغراق. لكنه لا يلائم ما في سورة النحل من قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل: 100].

﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]

استثناء منقطع، على معنى: وَلَكِنْ مَنِ اتَّبَعَكَ يَسْتَجِيبُونَ لَكَ فيما دعوتهم إليه وزينته لهم. وجوّز البيضاوي أن يكون الاستثناء - على الاحتمال الأول - متصلاً. وفيه: أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ تصديقاً لإبليس فيما استثناه، إذا أُريدَ من العباد: العبادُ المذكورون في الاستثناء الأول، وهم المخلصون، ولا يصحُّ الاستثناء منه.⁽²⁾ وإذا أُريدَ من العباد مطلق العباد، لا يكون تصديقاً لإبليس فيما استثناه؛ [لأنَّ ما]⁽³⁾ ذُكِرَ في الاستثناء بعضُ العباد، وهم المخلصون دون الجميع. ومثُلُ هذا النَّصِّدِيقِ قولك: "إِنَّ القومَ ما جَاءَنِي"، في مقابل مَنْ⁽⁴⁾ يقول: "جاءك القومُ إلّا زيدا" تصديقاً له فيما استثناه، وهو كما تَرَى تصديقٌ لا يكادُ أَنْ يَرْضَى بصحّته مُتَكَلِّمٌ.

(1) قراءة متواترة: قرأ يعقوب وحده (عليّ) في قوله: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: 41] بالرفع والتنوين. وهي قراءة مجاهد، وابن سيرين، والنخعي، وقتادة، وجماعة. وقرأ الباقر (عليّ) بالنصب من غير تنوين. النيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 260)، وابن الجزري (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (301/2).

(2) في جميع النسخ: عنه، وأثبت (منه) لأنه أصح.

(3) بين المعقوفتين في نسخ (الأصل، م، ش، ض): لأنما، وفي نسخة (غ): لا بما.

(4) في نسخة (غ): ما.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 43]

الضمير للغاوين و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد. وجَوَزَ البيضاوي أن يكون حالاً، حيث قال: "أو حال، والعامل فيها الموعد، على تقدير مضاف".⁽¹⁾ وفيه تأمل؛ لأنَّ تَعْلُقَ الوَعْدَةِ بهم في الدُّنْيَا وهم مُتَقَرِّفُونَ، فلا يصحُّ أن يكون حالاً.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: 44]

يَدْخُلُونَهَا منها. وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها؛ فأعلاها للمُوحِّدِينَ العاصِينَ، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصَّابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وعن ابن عباس: «أنَّ جَهَنَّمَ لِمَنْ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَلَطَى لِعِبَادَةِ النَّارِ، وَالْحُطْمَةَ لِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالسَّعْرَ لليهود، وَالسَّعِيرَ للنَّصَارَى، وَالْجَحِيمَ للصَّابِئِينَ، وَالْهَاقِيَّةَ للمُوحِّدِينَ». كذا في الكشاف،⁽²⁾ ولا يخفى أنَّ هذا التَّخْصِصَ ممَّا لَا يُلَايِمُهُ ما في الكلام المجيد من وَعِيدِ الْكَلِّ بِكُلِّ مِنْهَا. قال البيضاوي: "وقيل: تخصيصُ الْعَدَدِ لِإِنْحِصَارِ مَجَامِعِ⁽³⁾ الْمُهْلَكَاتِ فِي الرُّكُونِ إِلَى الْمَحْسُوسَاتِ، وَمَتَابَعَةِ الْقُوَّةِ الشَّهْوِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، أَوْ لِأَنَّ أَهْلَهَا سَنَعٌ".⁽⁴⁾ ولا يخفى أنَّ الوجة الأول معقول،⁽⁵⁾ لكنَّ الثاني محتاجٌ إلى نَوْعِ تَكْلُفٍ في بيان وجهِ الْحَصْرِ، فَتَأَمَّلْ.

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44]

أي: لكلِّ بابٍ طائفةٌ منهم. و﴿مِنْهُمْ﴾ في موقعِ الحالِ عن ﴿جُزْءٍ﴾، أو عن ضميره المُسْتَتِرِ في الظَّرْفِ.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 212).

(2) لم أجده في كتب الحديث، والأثر منقول من كتب التفسير، والنيسابوري رواه عن ابن جريج، والباقون عن ابن عباس. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 579)، والنيسابوري (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (4/ 222)، وأبو السعود (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (5/ 79).

(3) في نسختي (الأصل، م): جميع.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 212).

(5) في نسخة (غ): مفعول.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: 45]

الْمُتَّقِي: مَنْ يَخْتَرِزُ عَنِ الْمُنْهَيَّاتِ. وعن ابن عباس: «اتَّقُوا الْكُفْرَ وَالْفَوَاحِشَ، وَلَهُمْ ذُنُوبٌ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَغَيْرُهَا».⁽¹⁾ فالْمُتَّقِي على هذا: مَنْ يَجْتَنِبُ عَنِ الْكَبَائِرِ. والكَلَامُ من قَبِيلِ مَقَابِلَةِ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ بِطَرِيقِ التَّوْزِيعِ؛ [بأن يكون لكلِّ فردٍ جَنَّةٌ وَعَيْنٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ من قَبِيلِ الْحُكْمِ على كُلِّ فَرْدٍ]،⁽²⁾ بَأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ فَرْدٍ عِدَّةٌ مِنْهَا.

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: 46]

على إرادة القول. وُقِرَّ (أَدْخُلُوهَا)⁽³⁾ على البناءِ للمجهولِ من (الإفعالِ). والبناءُ للتَّلبِيسِ،⁽⁴⁾ والظرفُ مستقرٌّ في موقعِ الحالِ، أي: مُتَلَبِّسِينَ بِسَلَامَةٍ،⁽⁵⁾ أو بـ(السَّلامِ عليكم).

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: 47]

الْغِلُّ: مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْحَقْدِ. قال صاحبُ الكشاف: "أي: إِنْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا غِلٌّ عَلَى آخَرَ نَزَعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَطَيَّبَ نَفُوسَهُمْ. وعن عليٍّ [كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ]:⁽⁶⁾ «أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنْهُمْ».⁽⁷⁾ وقيل: معناه: طَهَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [مِنْ أَنْ]⁽⁸⁾ يَتَحَاسَدُوا على الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ.

(1) نقله عن الزمخشري ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 579).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(3) قراءة شاذة: قرأ رويس عن يعقوب -في رواية- (وَعُيُونٍ أُدْخِلُوهَا) بضم التتوين، وكسر الخاء، وقرأ الباقر ورويس -في رواية- ﴿وَعُيُونٍ﴾ (أَدْخِلُوهَا) على الأمر، ونُسبت قراءة (وَعُيُونٍ أُدْخِلُوهَا) بضم التتوين وكسر الخاء إلى الحسن في الكشاف، وإلى الْحَسَنِ وَأَيِّ الْعَالِيَةِ في تفسير القرطبي. ينظر: الأزهرى (المتوفى: 370 هـ)، معاني القراءات (2/ 69)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 579)، وابن عطية (المتوفى: 542 هـ)، المحرر الوجيز، (3/ 363)، القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (10/ 32)، وابن الجزري، (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 301).

(4) في نسخ (ش، ض، غ): للتلبس.

(5) في نسخة (غ): بسلام.

(6) بين المعقوفتين في نسختي (ض، غ): رضي الله عنه.

(7) أخرجه الطبري في تفسيره (17/ 108-109) عنه، ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 579).

(8) بين المعقوفتين في نسخة (ض): بأن.

و﴿إِخْوَانًا﴾ نصبٌ على الحال؛ لأنه بمعنى مُتَصَافِينَ، ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47] يحتملُ أن يكونا مع ﴿إِخْوَانًا﴾ من الأحوال المترادفة والمتداخلة،⁽¹⁾ ويجوز أن يكونا⁽²⁾ صفتين لـ﴿إِخْوَانًا﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]

يَحْتَمِلُ الْحَالُ وَالْإِسْتِنَافَ. وَالنَّصَبُ: الْمِحْنَةُ وَالْبَلَاءُ. وَالْخُلُودُ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ.

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾ [الحجر: 49-50] تأكيد لما ذكر من الوعد والوعيد. قال البيضاوي: "وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بـ(المتقين) مَنْ يَتَّقِي الذُّنُوبَ بِأَسْرَها كَبِيرها وصَغِيرها."⁽³⁾

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: 51]

ذكرت هذه القصة ليتحقق بها ما ذكر من أن عذابه هو العذاب الأليم.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ [الحجر: 52]

مفعول مطلق، حُذِفَ فِعْلُهُ، والجملة، مقول القول. ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: 52] قيل: سبب خوفه أنهم دخلوا عليه بغير إذن، وبغير وقت. وقيل: بواسطة أنهم امتنعوا عن الأكل مما أحضر عندهم للصيافة.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: 53]

أي: لا تخف. وقرئ⁽⁴⁾ (لا تُوجَل)⁽⁵⁾ على البناء للمفعول، من (أَوْجَلَهُ)، إذا⁽⁶⁾ أخافه. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: 53] تعليل للنهي؛ فإن المبشر لا يخاف منه.

(1) في نسخ (ش، ض، غ): أو المتداخلة.

(2) في نسختي (الأصل، م): يكون.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (213 / 3).

(4) في نسخة (ض): وقيل.

(5) قراءة شاذة: منسوبة إلى الحسن. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع،

(ص: 75)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2 / 4)، والدمياطي

(المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، (ص: 346).

(6) في نسخ (غ): أو.

﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الحجر: 54]

أي: أ⁽¹⁾ بَشِّرْهُمُونِي بِأَنْ [يُولَدَ لِي]⁽²⁾ على هذه الحالة؟! وهو تَعَجُّبٌ، أو إنْكَارٌ. ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54] "ما" استفهامية إمَّا لِلتَّعَجُّبِ أو لِلإِنْكَارِ. وعلى الأولِ معناه: فَبِأَيِّ أُعْجُوبَةٍ تُبَشِّرُونِي؟⁽³⁾ وعلى الثاني: فَبِأَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ مُمَكِّنٍ بِحَسَبِ الْعَادَةِ تُبَشِّرُونِي؟
وَقَرَأَ (تُبَشِّرُونَ) بِكَسْرِ النُّونِ مُشَدَّدَةً بِإِدْغَامِ نُونِ الْجَمْعِ فِي نُونِ الْوَقَايَةِ. وَقَرَأَ بِكَسْرِ النُّونِ مُخَفَّفَةً عَلَى حَذْفِ نُونِ الْجَمْعِ؛ اسْتِثْقَالًا لِاجْتِمَاعِ الْمُثَلِّينِ.⁽⁴⁾

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 55]

بِمَا هُوَ مُتَحَقِّقٌ. وَجَوَّزَ صَاحِبُ الْكَشَافِ أَنْ لَا تَكُونَ الْبَاءُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ صِلَةً لِلْبِشَارَةِ؛ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ سَوْأَلًا عَنِ الْوَجْهِ وَالطَّرِيقَةِ، عَلَى مَعْنَى: فَبِأَيِّ وَجْهِ وَطَرِيقَةٍ تُبَشِّرُونَ؟ وَيَكُونَ الثَّانِي جَوَابًا لَهُ، عَلَى مَعْنَى: بَشِّرْنَاكَ بِوَجْهِ وَطَرِيقَةٍ هِيَ الْحَقُّ، وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ.
﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِطِينَ﴾ [الحجر: 55]

لَأَنَّ مِنْ خَلْقٍ بَشَرًا مِنْ طِينٍ بَلَا أَبْوَيْنَ، فَلَا اسْتِبْعَادَ فِي أَنْ يَخْلُقَهُ مَعَ تَحْصِيلِ مَادَّتِهِ⁽⁵⁾ مِنْ شَيْخٍ فَاِنْ وَعَجُوزٍ عَاقِرٍ.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56]

﴿مَنْ﴾ استفهامية لِلإِنْكَارِ، وَفِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ جَازَ الرَّفْعُ فِي الْمَسْتَتْنَى عَلَى الْبَدَلِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا يَقْنَطُ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ، أَي: الْمُخْطِئُونَ طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ، فَيَكْفُرُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿لَا

(1) سقط من نسخ (ش).

(2) بين المعقوفتين في نسخة (م): بولدي.

(3) في نسخة (غ): تبشرون.

(4) قراءة متواترة: قرأ نافع وحده (تُبَشِّرُونَ) في قوله تعالى: ﴿أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54]

خفيفة النون مكسورة. وقرأ ابن كثير وحده (فِيمَ تُبَشِّرُونَ) مشددة النون مكسورة. وقرأ الباقر (فِيمَ تُبَشِّرُونَ) مفتوحة النون خفيفة. وروى أبو علي الضرير عن روح وجماعة عن يعقوب (فِيمَ تُبَشِّرُونِي) بإثبات الياء. النيسابوري (المتوفى: 381هـ)،

المبسوط في القراءات العشر، (ص: 260).

(5) في نسخة (ض): مادة.

يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿يوسف: 87﴾ يعني: لم أَسْتَكِرْ ذلك قُتُوطاً من رحمته⁽¹⁾؛ لأنه شِعَارُ الْكَفَرَةِ، بل [استبعاداً له]⁽²⁾ في العادة التي أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى. وَ﴿يَقْنُطُ﴾ بفتح النون من (قَنْط) بالكسر. وَفُرئ (يَقْنُطُ)⁽³⁾ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ من (قَنْط) بالفتح. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 57] استئنافٌ مبنيٌّ على السَّوَالِ، كأنَّه قيل: فما قال بعد ذلك؟ فقيل: قال: فما خَطْبُكُمْ؟ أي: قال بعد ما بَشَّرْتُمُونِي لِإِزَالَةِ الْوَجَلِ مِنِّي فِي⁽⁴⁾ تَضَاعِيفٍ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَخْبَرُونِي مَا خَطْبُكُمْ وشأنكم الذي أُرْسِلْتُمْ لأجله؟ على أن تكونَ (الفاء) لِلتَّعْقِيبِ. ويحتملُ أن تكونَ فصيحَةً، على معنى: إذا كان الأمرُ كذلك فما خَطْبُكُمْ؟ قال البيضاوي: "ولعله غَلِمَ أن كمالَ المقصودِ ليس البشارة؛ لأنَّهم كانوا عدداً،⁽⁵⁾ والبشارة لا تحتاجُ إلى عَدَدٍ،⁽⁶⁾ ولذلك اكتفى⁽⁷⁾ بالواحدِ في بَشَارَةِ زَكَرِيَّا وَمَرْيَمَ."⁽⁸⁾

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 58] يعني قومَ لوطٍ.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 59]

استثناءٌ منقطعٌ من ﴿قَوْمٍ﴾ على معنى: ولكنَّ آلَ لوطٍ إِنَّا مُنَجُّوهم أَجْمَعِينَ ممَّا يُعَذَّبُ به المجرمون الذين أُرسلنا إليهم.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ [الحجر: 60]

استثناءٌ مُتَّصِلٌ عن ضميرِ ﴿آلَ لُوطٍ﴾. ويحتملُ أن يكونَ الاستثناءُ الأوَّلُ أيضاً مُتَّصِلاً، بأن يكونَ المستثنى مُخْرَجاً من ضميرِ ﴿مُجْرِمِينَ﴾، فعلى هذا يكونون دَاخِلِينَ فِي حُكْمِ الْإِرْسَالِ، بخلافِ الأوَّلِ. وحينئذ يكونُ ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ استثناءً غير مُتَّصِلٍ بـ﴿آلَ لُوطٍ﴾، كلاحتمالِ الأوَّلِ. وجوزَ البيضاوي أن

(1) في نسخ (الأصل، م، غ): رحمة.

(2) بين المعقوفتين في نسختي (ش، ض): استبعا دالة.

(3) قراءة متواترة: قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلف (وَمَنْ يَقْنُطُ) بكسر النون، وقرأ الباقون (وَمَنْ يَقْنُطُ) بفتح النون. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 367)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 260).

(4) في نسخة (ش): من.

(5) في نسخة (ش): عدوا.

(6) في نسخة (ش): عدو.

(7) في نسخة (غ): النفي.

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (213/3).

يَكُونُ ﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ استثناءً من ﴿آل لُوطٍ﴾ وَمَنْعَهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ حَيْثُ⁽¹⁾ قَالَ: "وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأنَّ الاستثناء من الاستثناء إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا اتَّحَدَ⁽²⁾ الْحُكْمُ فِيهِ⁽³⁾". ثُمَّ قَالَ: "قَامَا فِي الْآيَةِ فَقَدْ اخْتَلَفَ الْحُكْمَانِ؛ لِأَنَّ ﴿آل لُوطٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو بـ﴿مُجْرِمِينَ﴾⁽⁴⁾. و﴿إِلَّا أَمْرًا﴾ قد تَعَلَّقَ بـ﴿مُنْجُوهُمْ﴾؛ فَأَنَّى يَكُونُ استثناءً من استثناء؟! وهو كلامٌ لا يخفى على المتأملِ فيه تحقيقُهُ.

﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَايِرِينَ﴾ [الحجر: 60]

لَمِنَ الْبَاقِينَ مع الْكَفَرَةِ لِتَهْلِكَ معهم،⁽⁵⁾ وَلَمَّا كَانَ فِي التَّقْدِيرِ [معنى الْعِلْمِ]⁽⁶⁾ أُجْرِيَ عَلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ خَوَاصِّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ مِنْ وَجُوبِ إِبْطَالِ عَمَلِهَا لَفْظًا دُونَ مَعْنَى، وَصَدَّرَ مَا بَعْدَهُ بِـ(إِنَّ)⁽⁷⁾ الْمَكْسُورَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَارِيًا مَجْرَى (قُلْنَا)؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ بِمَعْنَى (الْقَضَاءِ) قَوْلٌ، فَذُكِرَتْ بَعْدَهُ (إِنَّ) الْمَكْسُورَةِ كَمَا يُذَكَّرُ بَعْدَ الْقَوْلِ. وَإِنَّمَا أَسْنَدُوا التَّقْدِيرَ -وهو فعل⁽⁸⁾ الله- إِلَى أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَزِيدِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الحجر: 61-62] تُنْكَرُكُمْ نَفْسِي وَتَنْفُرُ مِنْكُمْ،⁽⁹⁾ مَخَافَةً أَنْ تَطْرُقُونِي بِشَرٍّ.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: 63]

﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عما يُفهم من كلامِهِ، أَي: مَا جِئْنَاكَ بِمَا تُنْكَرُنَا لِأَجْلِهِ، بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا فِيهِ قَرَحُكَ وَسُرُورُكَ، وَهُوَ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَعَّدُهُمْ بِنَزُولِهِ، وَيَمْتَرُونَ فِيهِ وَيَكْذِبُونَكَ.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: 64] فِي الْإِخْبَارِ بِنَزُولِ أَمْرِ مُتَحَقِّقٍ بِهِمْ، وَهُوَ عَذَابُهُمْ.

(1) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): وَحَيْثُ.

(2) فِي نَسْخَةِ (م): اتَّخَذَ.

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (الأصل، م)، وَفِي نَسْخَةِ (غ): خَمْسَةٌ.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 582).

(5) فِي نَسْخَةِ (غ): يَفْهَمُ.

(6) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): يَعْنِي الْقَلَمَ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): يَعْنِي الْعِلْمَ.

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): بَاقٍ.

(8) فِي نَسْخَةِ (م): فَعْلَى.

(9) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: عَنْكُمْ، وَاتَّبَعْتُ (مِنْكُمْ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [الحجر: 65]

الباء الأولى للتغذية، والثاني للظرفية، أي: فاذْهَبْ بأهلك في طائفة من الليل. وقرأ (فاسر) ⁽¹⁾ بوصلِ الهمزة، والمعنى واحد، وقرأ (فسر) من السير. ⁽²⁾ ﴿وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ﴾ [الحجر: 65] أَمَرُوهُ بأن يتبع أذبارهم ويُقدّمهم؛ لئلا يشتغل ⁽³⁾ قلبه بمن خلفه؛ ليكون مطمئناً في سيره، أو يكون مطلعاً ⁽⁴⁾ على أحوالهم جميعاً بغير حاجة إلى الالتفات. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [الحجر: 65] نهى عن الالتفات مبالغة في النهي عن التخلف؛ لئلا يتخلف أحد لغرض فيصيبه ⁽⁵⁾ العذاب، أو يرق قلبه لهم برؤية ⁽⁶⁾ عذابهم. وقيل: نُهوا عن الالتفات ليؤثّنوا نفوسهم على المهجرة. ⁽⁷⁾ ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: 65] أي: إلى حيث تُؤْمَرُونَ به، على ⁽⁸⁾ الحذف والإيصال في الموضعين. وقيل: أَمَرُوا بأن يَمْضُوا إلى مصر، وقيل: إلى الشام.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: 66]

عَدَى ﴿قَضَيْنَا﴾ بـ(إلى) لَتَضْمُنْهُ معنى (أَوْحَيْنَا)، كأنه قيل: وأوحينا إليه مَقْضِيًّا ذلك الأمر، وهو مُبْهِمٌ ⁽⁹⁾ تفسيره: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66] دَابِرُهُم: آخرهم، ⁽¹⁰⁾ يعني: أنهم

(1) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير (فاسر بأهلك) موصولة الألف، وقرأ الباقر (فاسر بأهلك) بقطع الألف. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 338)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 241).

(2) قراءة شاذة: منسوبة إلى اليماني، ورواها صاحب الكشاف عن صاحب الإقليد، الكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 266)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 583).

(3) في نسخة (ض): يشتغل به.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): مطلقاً.

(5) في نسخة (غ): قبضته.

(6) في نسخة (غ): يرونه.

(7) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 214).

(8) في نسخة (ش): فعلى.

(9) في نسخة (غ): فيهم.

(10) في نسخة (م): أجرهم.

يُسْتَأْصَلُونَ عَنْ آخِرِهِمْ⁽¹⁾ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَفُرِيَ (إِنَّ)⁽²⁾ بِالْكَسْرِ عَلَى الْإِسْتِنَافِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَخْبِرْنَا عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، فَقِيلَ: إِنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ، وَ﴿مُصْبِحِينَ﴾ حَالٌ⁽³⁾ عَنْ ﴿هَؤُلَاءِ﴾؛ فَإِنَّهُ أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مَفْعُولٌ مَا لَمْ يُسَمَّ⁽⁴⁾ فاعله معنى؛ لَأَنَّهُ⁽⁵⁾ مَرْجِعٌ لِلْمُسْتَتِرِ فِي ﴿مَقْطُوعٌ﴾، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ يَصَحُّ أَنْ يَقَعَ ذَا حَالٍ⁽⁶⁾ إِذَا كَانَ الْمُضَافُ الْفَاعِلُ أَوْ الْمَفْعُولُ جِزْءً مِنْهُ، كَمَا وَقَعَ هُنَا. وَجَوَزَ الْبِيضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ⁽⁷⁾ ضَمِيرِ ﴿مَقْطُوعٌ﴾، حَيْثُ قَالَ: "أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿مَقْطُوعٌ﴾ وَجَمْعُهُ لِلْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى: فَ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ فِي مَعْنَى مُدْبِرِي⁽⁸⁾ هَؤُلَاءِ⁽⁹⁾."

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: 67]

طَمَعًا فِي الْأُضْيَافِ، وَالْمَدِينَةُ: سَدُومُ. ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ [الحجر: 68] بِفَضِيحَةٍ ضَيْفِي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ [الحجر: 69] وَلَا تُذِلُّونَ، أَوْ وَلَا تُخْجَلُونَ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْخِزْيِ، وَالثَّانِي مِنَ الْخَزَايَةِ، وَهِيَ: الْحَيَاءُ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): أَجْرِهِمْ.

(2) قِرَاءَةُ شَاذَّةٌ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَعْمَشِ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، وَإِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ حَمَزَةَ فِي الْكَامِلِ. يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مَخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 75)، وَالْهُذَلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةَ عَلَيْهَا، (ص: 582).

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): قَالَ.

(4) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(6) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): دَاخِلًا، وَفِي نَسْخَةِ (غ): وَاحِلًا.

(7) فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: عَنْ، وَاتَّبَثَ (مِنْ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(8) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): مُدْبِرِي أَي، وَفِي نَسْخَةِ (غ): مُدْبِرِينَ.

(9) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 215).

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: 70]

أن تُخْبِرَ (1) منهم أحداً وتَمْنَعَ بيننا وبينهم؟ وذلك أنهم كانوا يَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ، وكان لوطٌ يَمْنَعُهُمْ، فَأَوْعَدُوهُ وقالوا: (2) ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167]. وقيل: عن ضيافة النَّاسِ وإنزالهم، وكانوا نَهْوُهُ أَنْ يُضَيِّفَ أحداً.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: 71]

(بناته): إمّا مطلقُ النِّسَوَانِ، أو المولودةُ له، وقد سبق تفصيلُهُ (3) في سورة هُودٍ. (4) ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ شَكٌّ في قبولهم لقوله، كأنه قال: إِنْ فَعَلْتُمْ ما أقولُ لكم، وما أَظُنُّكُمْ تَفْعَلُونَ. وقيل: معناه إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ قِصَاءَ الشَّهْوَةِ.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72]

استتفأت من كلامِ الملائكةِ على إرادةِ القولِ، والمخاطبُ لُوطٌ. وقيل: هو من كلامِ الله، والمخاطبُ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَخْبَرَهُ عَنْ (5) حَالِ قَوْمِ لُوطٍ. وقيل: أَخْبَرَهُ عَنْ حَالِ قُرَيْشٍ، والجملةُ (6) اعتراضٌ. والعَمْرُ والعُمُرُ واحدٌ، إِلَّا أَنَّ المفتوحةَ مُخْتَصٌّ بِالْقَسَمِ؛ إِثَاراً لِلخَفَّةِ، أَي: لَعَمْرُكَ قَسَمِي إِنَّهُمْ لَفِي غَوَايَتِهِمْ الَّتِي أَذْهَبَتْ عَقُولَهُمْ وَتَمَيَّزَهُمْ بَيْنَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ. والعَمَةُ: (7) عَدَمُ البَصِيرَةِ. ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ [الحجر: 73] أَي: صيحةُ جبريلَ، (8) أو جِنْسُ الصَّيْحَةِ. وتعريفُهُ لِقَصْدِ الْقَصْرِ باعتبارِ الكَمَالِ، أَي: صيحةٌ هائلةٌ مُهْلِكَةٌ لَا صِيحَةَ أَكْمَلُ مِنْهَا. (9) ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 73] دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

(1) في نسخة (ش): تحير.

(2) سقط الواو من نسخة (ض).

(3) في نسخة (ض): تفسيره.

(4) سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفِقُونَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78]، ينظر: (ص: 73).

(5) في جميع النسخ: من، وأثبت (عن) لأنه أصح.

(6) في نسخة (غ): وأكملة.

(7) في نسخة (غ): وعمه.

(8) في نسختي (الأصل، م): جبرائيل.

(9) في جميع النسخ (منه) وأثبت (منها) لأنه أصح.

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: 74]

الضَّمِيرُ لمدينة قوم لوطٍ أو لقُرَاهِم، أي: فجعلناها مُنْقَلِبَةً عليهم. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: 74] وهو طِينٌ مُنْحَرَجٌ. وقيل: هو طِينٌ عليه كِتَابٌ، على أن يكون مأخوذاً من (السِّجْلِ) بدليل قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الذاريات: 33-34] أي: مُعَلَّمَةً بكتابٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]

لِلْمُتَوَسِّمِينَ،⁽¹⁾ قال صاحبُ الكشاف: "وَحَقِيقَةُ (الْمُتَوَسِّمِينَ) النَّظَارُ الْمُتَنَبِّهُونَ فِي نَظَرِهِمْ حَتَّى يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ سِمَةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: تَوَسَّمتُ فِي فَلَانٍ كَذَا أَي: عَرَفْتُ وَسَمَهُ فِيهِ."⁽²⁾

﴿وَأَنَّا لَبَسَيْنَا لَهُمْ صُيُوفًا وَمُؤَنًا﴾ [الحجر: 76] ثابتٌ يَسْلُكُهُ النَّاسُ وَيُبْصِرُونَ آثَارَهَا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 77] أي: في إِبْقَاءِ آثَارِهَا لآيَةٌ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ [الحجر: 78]

(إِنْ) هي المَخْفَقَةُ، وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ: قومٌ شَعِيبٍ، كَانُوا يَسْكُنُونَ الْعَيْضَةَ⁽³⁾ فَبَعَثَ اللَّهُ شُعَيْباً إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُ، فَأَهْلَكُوا بِالظُّلْمَةِ.⁽⁴⁾

﴿فَأَنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: 79] بِالْإِهْلَاكِ. ﴿وَأَنَّهُمَا لَبِئَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79] وَإِنْ قُرِيَ قَوْمٌ⁽⁵⁾ لوطٍ والأَيْكَةُ فَبَطْرِيقٍ وَاضِحٍ. وَالْإِمَامُ اسْمٌ⁽⁶⁾ مَا يُؤْتَمُّ بِهِ، فَسُمِّيَ بِهِ الطَّرِيقُ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُؤْتَمُّ بِهِ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْأَيْكَةِ وَمَدِينٍ؛ لِأَنَّ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَبْعوثاً إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا ذَكَرَ (الْأَيْكَةَ) ذَلَّ بِذِكْرِهَا عَلَى مَدِينٍ فَجَاءَ بِضَمِيرٍ (هُمَا).

(1) في نسخة (م): للمتفرسين.

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 586).

(3) في جميع النسخ: الغيضة. و(الْعَيْضَةُ) بِالْفَتْحِ: الْأَجْمَةُ، وَهِيَ مَغِيضُ مَاءٍ يَجْتَمِعُ فَيَنْبُتُ فِيهِ الشَّجَرُ، وَالْجَمْعُ (غِيَاضٌ) وَ(أَغْيَاضٌ). الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، (ص: 232).

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): بالظلمة.

(5) سقط من نسخة (ش).

(6) في نسخة (غ): أنتم.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ [الحجر: 80]

أَصْحَابُ الْحِجْرِ: ثمود، والحِجْر: وادٍ بين المدينة والشَّام، كَذَّبُوا صَالِحاً، فكأنَّهم كَذَّبُوا المرسلين جميعاً. ويجوز أن يُراد بـ﴿الْمُرْسِلِينَ﴾ صالِحاً ومن اعتَقَدَ رسالته.

﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: 81]

الآيات: المعجزات، إذ ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ مُعْجَزَاتٌ، أو ما نَصَبَ لَهُم من الأدلَّةِ العقلية. (1) قال البيضاوي: "يعني آيات الكتاب المنزَّل على نبيِّهم". (2) لا يخفى أنَّ صالِحاً ليس ممَّن نَزَلَ عليه كتابٌ إِلَّا أن يُجْعَلَ الكتابُ الذي أُمِرَ بتبليغِ أحكامِهِ بمنزلةِ المنزلِ عليه.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: 82]

من حوادثِ الدَّهرِ، أو من عذابِ الله، زَعَمَ منهم أنَّ الجبالَ تَحْمِيهِم منه. وما كان ذلك إِلَّا من قَرْطِ جَهْلِهِم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 83] دَاخِلِينَ في وقتِ الصَّباح.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: 84] من البُيُوتِ والأموالِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 85]

الباءُ (3) للالتباسِ، والظَرْفُ مستقرٌّ في موضعِ المصدرِ، على معنى: إِلَّا خَلَقْنَا مُلْتَبِساً بِالْحَقِّ وَالْحَكْمَةِ، لا باطلاً، وهو أن يكونَ عبرةً (4) لِلنَّاطِرِينَ، وَمَرْعَةً لِلْآخِرَةِ. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [الحجر: 85] وعيدٌ، لَهُم ووعدٌ للنَّبِيِّ (5) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالانتقامِ لَهُ مِنْهُمْ. ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85] فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ إِعْرَاضاً جَمِلاً بِحِلْمٍ. وقيل: هو منسوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ. قال صاحبُ الكشاف: "يجوزُ أن يُراد به المخالفةُ فلا يكونُ منسوخاً". (6)

(1) في نسخة (غ): الفعلية.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 216).

(3) في نسخة (غ): الهاء.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): غيره.

(5) في نسخة (ش): المبني.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 587).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: 86]

فَيَعْلَمُ حَالَكُمْ وَحَالَهُمْ، فَلَا تَعْجَلْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَالْجُمْلَةُ عَلَّةٌ لِلْأَمْرِ لَهُ بِالصَّفْحِ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]

أَرَادَ بِالسَّبْعِ الْفَاتِحَةَ؛ لِأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ الطَّوَالَ؛ لِأَنَّهَا سَبْعُ سُورٍ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْحُكْمُ بِمَضْنَى إِيْتَانِهَا بِاعْتِبَارِ تَحَقُّقِ وَفُوعِهِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الطَّوَالَ مَدَنِيَّةً، وَالْآيَةُ مَكِّيَّةٌ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ الْحَوَامِيمُ السَّبْعُ. (1)
وَقِيلَ: أَرَادَ سَبْعَ صَحَائِفَ، وَهِيَ الْأَسْبَاغُ أَي: الْقَصَصُ وَالْمَوَاعِظُ، وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْأَحْكَامُ، وَالتَّوْحِيدُ، وَالْإِعْتِبَارُ.

و(الْمَثَانِي) مِنَ التَّثْنِيَةِ، (2) أَوْ مِنَ التَّنَاءِ؛ فَإِنَّ كُلَّ (3) ذَلِكَ مُثْنًى (4) مُكَرَّرٌ، إِمَّا بِاعْتِبَارِ الْقِرَاءَةِ، أَوْ (5) الْأَلْفَاظِ، أَوْ (6) الْقَصَصِ وَالْمَوَاعِظِ، وَأَيْضاً، مُثْنًى عَلَيْهِ بِالْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ، وَمُثْنًى عَلَى اللَّهِ بِصِفَاتِهِ الْعُظْمَى وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.

و(مِنْ) لِلْبَيَانِ (7) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّبْعِيضِ؛ (8) عَلَى أَنْ يُرَادَ بِ(الْمَثَانِي): الْقُرْآنُ، (9) أَوْ كُتُبُ اللَّهِ. وَعَطَفُ الْقُرْآنِ عَلَى السَّبْعِ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْكَلِّ (10) عَلَى الْبَعْضِ، أَوْ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ. وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يُرَادَ بِالسَّبْعِ: الْأَسْبَاغُ، يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ بِاعْتِبَارِ الْوَصْفَيْنِ، (11) كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مَا يُقَالُ لَهُ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

(1) سقط من نسختي (الأصل، م).

(2) في نسختي (ش، ض): التَّثْنِيَّةُ، وفي نسخة (غ): البقية.

(3) في نسخة (ش): كان.

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): معنى.

(5) في نسختي (الأصل، م): إذ.

(6) في نسختي (الأصل، م): و.

(7) في نسخة (م): البيان.

(8) في نسختي (الأصل، م): للتصيص.

(9) في نسخة (ش): والقرآن.

(10) في نسختي (الأصل، م): الكلِّي.

(11) في نسخة (ش): الصَّفَيْنِ.

﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: 88] لَا تَنْظُرَنَّ نظرة⁽¹⁾ راغبٍ ما⁽²⁾ إلى مَتَّعْنَا بِهِ أَصْنَافًا مِنَ الْكُفَّارِ.

روي أنه عليه الصلاة والسلام وَافَى⁽³⁾ بِأَذْرَعَاتٍ⁽⁴⁾ سَبْعَ قَوَافِلَ لِيَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، فِيهَا أَنْوَاعٌ⁽⁵⁾ الْبَزِّ، وَالطَّيِّبِ، وَالْجَوَاهِرِ، وَسَائِرِ الْأَمْتَعَةِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ لَنَا لَتَقَوَّيْنَا بِهَا، وَأَنْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ أُعْطِيتُمْ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْقَوَافِلِ السَّبْعِ»،⁽⁶⁾ كَذَا فِي تَفْسِيرِ الْبَيْضاوي. وَالْمَقْصُودُ وَجْهُ ارْتِبَاطِ الْآيَةِ بِسَابِقِهَا.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: 88]

أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَا تَتَمَنَّ إِيْمَانَهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ الْمُتَمَتِّعُونَ بِالْأَمْوَالِ. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88] وَتَوَاضَعَ لِمَنْ مَعَكَ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَضَعْفَائِهِمْ.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: 89]

يعني ليس عليك إِلَّا الْإِنْذَارُ، لَا تَقْوِيَةُ الْإِسْلَامِ بِالْأَمْوَالِ لِتَخْفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُتَمَوِّلِينَ طَمَعًا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَتَقْوِيَةُ الْإِسْلَامِ بِأَمْوَالِهِمْ.

(1) في نسختي (ض، غ): نظر.

(2) سقط من نسختي (الأصل، م).

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) في نسخة (غ): ما ذرعات. و(أذرعاً): بالفتح، ثم السكون، وكسر الراء، وعين مهملة، وألف، وتاء. كأنه جمع أذرعة، جمع ذراع جمع قلة: وهو بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر. الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، (1/ 130).

(5) في نسخة (غ): فيها أنواع فيها.

(6) أورده الواحدي في أسباب النزول، وابن الجوزي في زاد المسير. ينظر: الواحدي، (المتوفى: 468هـ)، أسباب النزول، (ص: 277)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 541)، العك، خالد عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، (ص: 197)، الشبلي، حسن عبد المنعم، الجامع في أسباب النزول، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، (ص: 320).

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر : 90]

متعلقٌ بالذِّيرِ ، على أنه وصفٌ لمفعولِهِ⁽¹⁾ وَقَعَ موقعه، أي: مثل العذابِ الذي أنزلنا على الْمُقْتَسِمِينَ؛ وهم الإِثْنَا⁽²⁾ عَشَرَ الذين اقْتَسَمُوا مداخلَ⁽³⁾ مَكَّةَ أَيَّامَ المَوْسِمِ، فَدَخَلُوا فِي كُلِّ مَدْخَلٍ مُتَفَرِّقِينَ لِيُنْفِرُوا النَّاسَ عَنِ الإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَبْلَهُ بَأْفَاتٍ، أَوْ الرَّهْطُ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا عَلَى أَنْ يُبَيِّتُوا⁽⁴⁾ صالِحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ على أَنْ يَكُونَ الإِقْتِسَامُ⁽⁵⁾ بمعنى التَّقَاسُمِ. وقيل: هو متعلقٌ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾، وما بينهما اعتراضٌ، على معنى: ولقد أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم الْمُقْتَسِمُونَ للقرآن حيث قالوا: بعضُهُ حقٌّ موافقٌ للتَّوراةِ والإنجيلِ، وبعضُهُ مخالفٌ لهما باطلٌ، فاقْتَسَمُوهُ إِلَى حَقٍّ وَباطِلٍ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ اقْتِسَامُهُمْ مَا فَعَلُوا بِكُتُبِهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّصْدِيقِ ببعضِ⁽⁶⁾ [والتَّكْذِيبِ ببعضِ]؛⁽⁷⁾ على أَنْ يَكُونَ المرادُ بالقرآنِ المذكورِ بعده [ما يُقْرَأُ بِهِ]⁽⁸⁾ مِنْ كُتُبِهِمْ.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر : 91]

صفةٌ للمُقْتَسِمِينَ، أي: ⁽⁹⁾الذين جَعَلُوا القرآنَ أَجْزَاءً. و﴿عِضِينَ﴾ جمعُ⁽¹⁰⁾ (عِضَةٍ) وَأَصْلُهَا (عُضْوَةٌ)؛ (فُعْلَةٌ) مِنْ: "عَضَى الشَّاةُ"، إِذَا جَعَلَهَا أَغْضَاءً. وقيل: هي (فُعْلَةٌ) مِنْ: "عَضَّهْتُ"،⁽¹¹⁾ إِذَا بَهَتَّهُ.⁽¹²⁾ وعن عِكْرِمَةَ: العِضَةُ: ⁽¹³⁾السِّحْرُ، بِلِسَانِ قَرِيشٍ؛ يَقُولُونَ لِلسَّاحِرِ عَاضِهُةً. وَلَعَنَ⁽¹⁴⁾ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(1) في نسخة (غ): لمقبوله.

(2) في نسختي (الأصل، م): الاتنى.

(3) في نسختي (الأصل، م): بداخل.

(4) في نسختي (الأصل، م): يُبَيِّتُوا.

(5) في نسختي (الأصل، م): الإِنْقِسَامُ.

(6) سقط من نسختي (الأصل، م).

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(8) بين المعقوفتين في نسخة (ش): ما يقاربه.

(9) في نسخة (غ): إن.

(10) في نسخة (م): جميع.

(11) في نسختي (الأصل، م): عضته.

(12) ينظر: بن دريد (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، (2/ 905).

(13) في نسختي (الأصل، م): العضة.

(14) في نسخة (غ): وليس.

وسلم العاضه والمستعضه،⁽¹⁾ كذا في الكشف.⁽²⁾ والمحذوف على الأول واو، وعلى الثاني هاء. قال البيضاوي: "وإنما جمع⁽³⁾ جمع السلامة جبراً؛⁽⁴⁾ لما حذف منه."⁽⁵⁾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93] وعيد لهم على أعمالهم.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]

أي: فأجهز به وأظهره. يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها. أو فافرق به بين الحق والباطل على أن (الصدع) في الأصل: الإبانة والتمييز. و(ما) مصدرية على معنى: فاصدع بأمرك، على المصدر من المبني للمفعول، أو موصولة بحذف العائد. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94] فلا تلتفت إلى كلامهم.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ [الحجر: 95]

بإهلاكهم. قيل: كانوا خمسة من أشرف قريش؛ الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس،⁽⁶⁾ والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، يبالغون⁽⁷⁾ في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم

(1) في نسخة (ض): والمستعضة. أخرجه ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ بلفظ: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن العاضه المستعضه) وقال: رواه سلمة بن وهرام: عن عكرمة، عن ابن عباس. وسلمة: قال أحمد بن حنبل: أخشى أن يكون حديثه ضعيفاً. والبخاري قال: فيه نظر. وابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، قال الحافظ ابن حجر: وفي حديث ابن عباس: زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان. ينظر: ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م، (4/ 367)، وابن القيسراني، (المتوفى: 507هـ)، ذخيرة الحفاظ، (2/ 869)، والعسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ. 1989م، (4/ 111).

وله شاهد عند عبد الرزاق من روايته عن ابن جريج عن علي.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 590)

(3) في نسخة (غ): منع.

(4) في نسخة (ش): خيراً.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 217).

(6) لعنه الحارث بن قيس بن عدي.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش، ض): يبايعون.

والاستهزاء به، فقال جبريلُ لرسولِ الله: أُمِرْتُ بِأَنْ⁽¹⁾ أَكْفِيكَهُمْ، فَأَوْماً إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ فَمَرَّ بِنَبَالٍ⁽²⁾ فَتَعَلَّقَ بِنَوْبِهِ سَهْمٌ، فَلَمْ يَنْعُطْ⁽³⁾ تَعْظُماً⁽⁴⁾ لِأَخْذِهِ، فَأَصَابَ عِرْقاً⁽⁵⁾ فِي⁽⁶⁾ عَقْبِهِ، فَقَطَعَهُ⁽⁷⁾ فَمَاتَ، وَأَوْماً إِلَى أَحْمَصِ الْعَاصِ، فَدَخَلَتْ فِيهِ⁽⁸⁾ شَوْكَةٌ فَانْتَقَحَتْ رِجْلُهُ حَتَّى صَارَتْ كَالرَّحَى⁽⁹⁾ وَمَاتَ، وَأَشَارَ إِلَى أَنْفِ الْحَارِثِ⁽¹⁰⁾ فَاْمْتَحَطَّ قَيْحاً فَمَاتَ، وَإِلَى رَأْسِ الْأَسْوَدِ بْنِ [عَبْدِ يَغُوثٍ]⁽¹¹⁾ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ فَجَعَلَ يَنْطَحُ⁽¹²⁾ رَأْسَهُ بِالشَّجَرَةِ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ بِالشَّوْكِ حَتَّى مَاتَ، وَإِلَى عَيْنِي⁽¹³⁾ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ،⁽¹⁴⁾

(1) في نسختي (الأصل، م): أن.

(2) في نسخة (م): بنبالي، وفي نسخة (ش): بنبال.

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): يتعطف.

(4) في نسختي (الأصل، م): تعظيماً.

(5) في نسخة (م): حرَقاً.

(6) في نسخة (غ): عن.

(7) في نسخة (ض): فعطفه.

(8) في جميع النسخ: فيها.

(9) في نسختي (الأصل، م): كالرجز.

(10) في جميع النسخ: حارث. وفي تفسير البيضاوي: عدي بن قيس. ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (218/3).

(11) بين المعقوفتين في نسخة (ش): عبد يعقوب. وفي نسختي (الأصل، م): قيس عَبدِ يَغُوثٍ.

(12) في نسختي (ش، ض): يقطع.

(13) في نسخ (الأصل، م، ش): عين.

(14) لم أجد في كتب الحديث بهذه الصيغة، أخرج نحوه الطبراني في معجمه الأوسط برقم (4986) وفي الأحاديث الطوال برقم (33). والبيهقي في الدلائل، من طريق جَعْفَرِ بْنِ إِيسَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهِزِينَ﴾ [الحجر: 95]، وَقَالَ: «الْمُسْتَهِزِينَ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ أَبُو زَمْعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ غَيْطِلِ السَّهْمِيِّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ. فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَاهُ أَبَا عَمْرٍو الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْماً جَبْرِيلُ إِلَى أَنْجِلِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: كَفَيْتُكَ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيضُ نَبْلاً لَهُ، فَأَصَابَ أَنْجِلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ كَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِي، لَا تَذْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ هَلَكَتْ أَطْعَنُ بِشَوْكِ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيََتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ غَيْطِلٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خَرُوهُ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا حَتَّى دَخَلَ فِي رِجْلِهِ شِدْرَقَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ» وقال الطبراني: لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي بَشْرِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي وَحْشِيَّةٍ إِلَّا سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ، تَقَرَّدَ بِهِ: مُبَشِّرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

كذا قال البيضاوي. ⁽¹⁾ ولا يخفى أنه ذكر في ⁽²⁾ الإجمال عدي بن قيس وفي التفصيل الحارث ⁽³⁾ فكأنه من غلط الناسخ. ⁽⁴⁾

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 96] صفة للمستهزئين، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [وعيد لهم]. ⁽⁵⁾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 97] تسليّة للرّسول عليه الصّلاة والسّلام ووعد له بالانتقام منهم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: 98] الفاء فصيحة على معنى إذا علمت أنه يعلم حالك وحالهم وينتقم لك منهم فاشتغل بالحمد والشكر له.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] أي: ما دمت حيّاً. واليقين: الموت؛ لأنه متيقن لحوقه كلّ حي.

الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (5/ 174)، والأحاديث الطوال، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة الثانية، 1404 - 1983، (ص: 261)، والبيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني (المتوفى: 458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1405 هـ، (2/ 316).

⁽¹⁾ ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 218).

⁽²⁾ في نسخ (الأصل، م، ش): من.

⁽³⁾ في جميع النسخ: حارث.

⁽⁴⁾ ورد في بعض الروايات اسم عدي بن قيس، ولعلّ عدم تطابق الأسماء في كلام البيضاوي ينجم عن ذلك الاختلاف، ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 157)، والزجاج (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (3/ 187)، والواحي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، (ص: 598).

⁽⁵⁾ بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): وعيدهم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَجْرِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾ كذا في الكشاف⁽²⁾ والله أعلم وأحكم⁽³⁾.



⁽¹⁾ حديث موضوع: رواه العقيلي في الضعفاء الكبير، وابن الجوزي في الموضوعات، وسبق تخريجه في صفحة: (102) من هذه الرسالة، ينظر: العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (المتوفى: 322هـ)، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1984م، (1/156)، ابن الجوزي، (المتوفى: 597هـ)، الموضوعات، (1/240).

⁽²⁾ الزمخشري، الكشاف، (2/592).

⁽³⁾ سقط من نسخ (الأصل، م، ض، غ).

[سُورَةُ النَّحْلِ]

مَكِّيَّةٌ غَيْرُ ثَلَاثِ آيَاتٍ فِي آخِرِهَا وَهِيَ مِائَةٌ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]

الْأَمْرُ مَا أَوْعَدَهُمْ⁽²⁾ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ، وَكَانُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ اسْتِهْزَاءً فَقَالَ لَهُمْ: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ، أَي: هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ لَكُمْ فِيهِ وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ عَنْهُ.

رُوي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: 1] قَالَ الْكَفَّارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ فَأَمْسِكُوا عَنْ بَعْضِ مَا تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا تَأَخَّرَتْ قَالُوا: مَا⁽³⁾ نَرَى شَيْئاً، فَنَزَلَتْ: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: 1] فَأَشْفَقُوا وَانْتَضَرُّوا قُرْبَهَا، فَلَمَّا امْتَدَّتِ الْآيَاتُ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! مَا نَرَى شَيْئاً مِمَّا تُخَوِّفُنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: 1] فَوُثِّبَ⁽⁴⁾ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ، فَنَزَلَتْ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1] فَاطْمَأْنَوْا،⁽⁵⁾ كَذَا فِي الْكَشَافِ. ⁽⁶⁾ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ خُطَاباً لِلْمُؤْمِنِينَ. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 1] (مَا) تَحْتَمِلُ الْمَصْدَرِيَّةُ

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) في نسخة (غ): وعدهم.

(3) في نسخة (غ): إنا.

(4) في هامش نسختي (ش، ض) تعليق نصه: وَثُبٌ وَوُثُوبٌ: بَرَجَسْتَنَ وَنَشَسْتَنَ. (معناه: الْقَفَرُ وَالْجُلُوسُ).

(5) أخرجه الواحدي في أسباب النزول، وذكر نحوه الثعلبي، والبغوي، والقرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الطبري: حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما نزلت هذه الآية، يعني (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنتظروا ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، فقالوا: إن هذا يزعم مثلها أيضاً، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء فنزلت: ﴿وَلَيْنَ آخَرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8]. ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (162/17)، والثعلبي (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (5/6)، والواحدي، (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، (ص: 278)، والبغوي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4/7-8)، القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (10/66).

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (592/2).

والموصول على حذف العائد⁽¹⁾ وقرأ (تُشْرِكُونَ)⁽²⁾ على الخطاب. وعلى ما رواه صاحب الكشاف من سبب النزول: في هذه القراءة التفات من الغيبة إلى الخطاب، كما أن في القراءة الأولى على الأول التفات من الخطاب إلى الغيبة.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: 2]

استئناف لإثبات تحقق ما أخبرهم به من إتيان أمر الله كآته قال: أخبرني الله تعالى بالوحي. (الروح): الوحي، أو القرآن؛ لأنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل، أو لأنه في الدين⁽³⁾ بمنزلة الروح في الجسد. وقرأ (يُنَزِّلُ)⁽⁴⁾ من الإفعال، وقرأ (تَنْزِيلُ)⁽⁵⁾ من (التفعّل)، على حذف إحدى التائين، ورفع الملائكة. وقرأ (تُنَزِّلُ)⁽⁶⁾ على المضارع المبني للمفعول من (التفعّل).

قال البيضاوي في معنى ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: "بِأَمْرِهِ وَمِنْ أَجْلِهِ"⁽⁷⁾، جعله متعلقاً بقوله: ﴿يُنَزِّلُ﴾، وهو صحيح على قراءة رفع الملائكة. وأما على قراءة نصبها فلا كثير فائدة في تقييد الإنزال به، كما لا يخفى.⁸

(1) في نسخة (غ): الغاية.

(2) قراءة متواترة: قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 1] بالتاء، وقرأ الباقر بالياء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 232)، وابن الجزري (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 282).

(3) في نسخة (ض): الدارين، وفي نسخة (غ): الذين.

(4) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب (يُنَزِّلُ) بسكون النون وتخفيف الزاي. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 370)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 262).

(5) قراءة متواترة: قرأ يعقوب في رواية روح وزيد (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ بِالرُّوحِ) [النحل: 2] بفتح التاء والزاي وتشديدها، و(الْمَلَائِكَةُ) بالرفع، وروى هذه القراءة أيضاً الكسائي عن أبي بكر عن عاصم - باختلاف عنه - ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 370)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 262).

(6) قراءة شاذة: (تُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ) بضم التاء وفتح النون والزاي وشدها ورفع (الملائكة) على ما لم يسم فاعله، وهي منسوبة إلى أبي عمرو عن عاصم والأعمش في تفسير ابن عطية، ومنسوبة إلى زيد بن علي، والأعمش، وأبي بكر في البحر المحيط. ينظر: ابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، (3/ 378)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 503).

(7) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 219).

⁸ يعني: قد يُنَزِّلُ الله تعالى الملائكة لأغراض أخرى نحو تعذيب الظالمين فلا داعي لتقييد إنزالهم.

ويمكن أن يُقال إنه ظُرفٌ مستقرٌ في موقعِ الصِّفَةِ عن (الرُّوحِ) المعروفِ بلامِ الجنسِ، الذي نَزَلَ مَنْزِلَةً النِّكَرَةِ من قبيل:

وَلَقَدْ أَمَرَ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُني. (1)

كأنه قال: بالروح الذي هو من أمره كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: 2]

أي: على مَنْ يشاءُ إنزالَ الملائكةِ عليه؛ لاصطفائه بالرسالة. ﴿أَنْ أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: 2] بدلًا من (الروح)، والإنذارُ: الإعلامُ، من نَذَرْتُ بكذا إذا عَلَّمْتُهُ، (2) والمعنى: يُنْزِلُ الملائكةَ على الرُّسُلِ بأنَّ أَعْلَمُوا النَّاسَ؛ هذا المعنى، على أَنَّ (أَنْ) الْمُخَفَّفَةُ، (3) وإليه أشار صاحبُ الكشاف، حيثُ قال: "وتقديرُهُ: بأنَّه أُنْذِرُوا، أي: (4) بأنَّ الشَّأْنَ أَقُولُ لَكُمْ: أُنْذِرُوا". انتهى. (5) ويجوز أن يكونَ الإنذارُ بمعنى: التَّخْوِيفِ، أي: بأنَّ خَوْفُوا أَهْلَ الْكُفْرِ (6) والمَعَاصِي بهذا المعنى، قال البيضاوي: "والآيةُ تدلُّ على أنَّ نزولَ الوحيِّ بواسطةِ الملائكةِ، وأنَّ حاصله: التَّنْبِيهُ على التَّوْحِيدِ الذي هو كمالُ القوَّةِ العِلْمِيَّةِ، والأمرُ بالتَّقْوَى الذي هو أخصُّ كمالَاتِ القوَّةِ العَمَلِيَّةِ، (7) وأنَّ النُّبُوَّةَ عَطَائِيَّةٌ، (8) والآياتُ التي بعدها دليلٌ وحدانيَّةٍ؛

(1) البيت من الكامل، وهو لرجل من سلول، تمامه: ولقد أمرُ على اللَّيْمِ يَسْبُني ... فمضيْتُ ثُمَّتْ قَلْتُ لَا يَغْنِينِي. ينظر: سيبويه (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، (3/ 24)، والأزهري، خالد بن عبد الله (المتوفى: 905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م، (2/ 114)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، شرح شواهد المغني، لجنة التراث العربي، 1386 هـ - 1966 م، (1/ 310).

(2) في نسختي (ش، ض): علمته.

(3) في نسخ (ش، ض، غ): مخففة.

(4) سقط من نسخة (ض).

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 593).

(6) في نسختي (الأصل، م): الكفرة.

(7) في نسخ (الأصل، م، ش): العلمية.

(8) في نسخة (غ): خطائية.

من حيث إنها تدلّ على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه⁽¹⁾ على وفق الحكمة والمصلحة. ولو كان له شريك لَقَدِرَ على ذلك، فَيَلْزَمُ التَّمَانُعُ.⁽²⁾

وفي دلالة الآية على أن نزول الوحي بواسطة الملك تأمل؛ لأن الآية إنما تدلّ على أن الملك قد نزل بالوحي، وهو غير مُسْتَلْزَمٍ لأن يكون نزول الوحي بواسطة الملك، إذ⁽³⁾ يجوز أن يكون بالمنام ونحوه. ثمّ قوله: "إن النبوة عطائية"؛ إن أراد أنها ليست في⁽⁴⁾ مقابلة الاستحقاق والأهلية لذلك؛ فدلالة الآية عليها ممنوعة، بل إنما تدلّ على أنها موقوفة على المشيئة، والمشيئة ليست من لوازمها أن تتعلق بكل شيء. وإن أراد أنها ليست في مقابلة العمل، فهو أمر حقّ ليس لأحد فيه نزاع، فلا حاجة إلى الاستدلال عليه.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: 3]

بالوجه المطابق للحكمة والمصلحة. ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 3] استئناف لبيان ما هو المقصود من سابقه، أو تأكيد لما يفهم منه؛ لأنّ خالق السماوات والأرض لا بدّ أن يكون متعالياً عن الأجسام والأجرام وما يتولّد⁽⁵⁾ منها، بل من مطلق الشريك أي شيء كان؛ لأن وجود الشريك مستلزم لفساد تلك الأمور الراسخة المنتظمة، بدليل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: 4]

تقرير لكمال قدرته الدالة على ترفعه عن احتمال تحقّق شريك له، أي: خلق الإنسان من شيء جماد لا حسّ به ولا حركة. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: 4] في غاية الخصومة وإظهار الحجاج لتقوية الجدال، وهو دليل على كمال قدرته جلّ جلاله، كما لا يخفى. وقيل: خصيم لربه؛ مُكْرَرٌ على⁽⁶⁾ خالقيته⁽⁷⁾

(1) في نسخة (غ): وخروجه.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 219).

(3) في نسختي (الأصل، م): أو.

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في نسخة (غ): له.

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) في نسختي (ش، ض): خالقه، وفي نسخة (غ): لخالقيته.

قائل: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]؛ على ما روي أنها نزلت في (1) أَبِي بِنِ خَلْفٍ (2) أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ رَمِيمٍ وقال: يا مُحَمَّدُ! أَتَرَى اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا رَمَّ؟ (3) والمقصود: وَصَفُ الْإِنْسَانِ بِالْإِفْرَاطِ فِي (4) الْوَقَاحَةِ، وَالنَّمَادِي فِي كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، مع دلالتها على كمالِ الْقُدْرَةِ أَيْضاً. ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]

الأنعام: الأزواج الثمانية، نَصَبٌ على الإضمار بِشَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ، أو بِالْعَطْفِ على الإنسان. فحينئذٍ تكون جملة ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ بياناً لِمَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ، وجملة ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ تفصيلٌ له. و(الدِّفْءُ): مَا يُدْفَأُ بِهِ فَيْقِي الْبَرْدَ. و(المنافع): نَسْلُهَا، وَوَبَرُّهَا، (5) وَظُهُورُهَا. وتقديم ﴿مِنْهَا﴾ للمحافظة على رُؤُوسِ الْآيِ،

(1) في نسخة (غ): من.

(2) هو أَبِي بِنِ خَلْفِ بْنِ وَهْبٍ بنِ حِذَافَةَ بنِ جُمَحٍ، أَخُو أُمِيَّة، كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا قَتْلَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَقْتَلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْبَتَهُ مِنْ يَدِهِ وَيُقَالُ حَرْبَةُ بَعْضِ الْأَنْصَارِ فَقَتَلَهُ بِهَا. ينظر: البغدادي (المتوفى: 245هـ)، المحبر (ص: 108 و 140)، والبلاذري، أحمد بن يحيى (المتوفى: 279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م، (10/ 251).

(3) ذكره الواحدي بدون إسناد ونسبه النحاس إلى مجاهد وقتادة. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ (ص: 61) مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ بِعَظْمٍ نَحْرٍ، فَجَعَلَ يَفْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [يس: 77] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79]. وأخرجه الحارث في مسنده (2/ 727)، برقم (719)، من طريق حصين - هو ابن عبد الرحمن السلمي -، عن أبي مالك - غزوان الغفاري -، به.

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْنٍ ثَنَا هَيْثَمُ أَنَا أَبُو بَشَرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَقَتَلَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيْبَعْتُ اللَّهَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمْتُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ» قَالَ: فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 77] وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ". ينظر: البغدادي، الحارث (المتوفى: 282هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، (2/ 727)، والنحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1409، (5/ 520)، والنيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، (2/ 466)، والواحدي (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، (ص: 278)، والبيهقي (458 هـ)، البعث والنشور، (ص: 61).

(4) في نسخة (غ): من.

(5) في نسختي (ش، ض): وردها.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلْقَصْرِ،⁽¹⁾ باعتبارِ أَنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، كما قال صاحبُ الكشاف: "الأكلُ منها هو الأصلُ الذي يَعْتَمِدُهُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ. وَأَمَّا الْأَكْلُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ، وَصَيْدِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؛ فَكَغَيْرِ⁽²⁾ الْمُعْتَدِّ بِهِ، وَكَالْجَارِي مَجْزَى التَّقْطِيقِ.⁽³⁾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6]

أي: ولكم فيها زينة⁽⁴⁾ حين⁽⁵⁾ تَرُدُّونَهَا مِنَ الْمَرْعَى⁽⁶⁾ إِلَى مُرَاجِحِهَا بِالْعَشِيِّ، وَحِينَ تُخْرِجُونَهَا بِالْعَدَاةِ إِلَى الْمَرْعَى،⁽⁷⁾ وَفُدِّمَ الْإِرَاحَةُ؛ لِأَنَّ الْجَمَالَ⁽⁸⁾ [فِيهَا أَظْهَرَ، كما قال صاحبُ الكشاف: "لأنَّ الجمالَ"⁽⁹⁾ فِي الْإِرَاحَةِ أَظْهَرَ، إِذَا⁽¹⁰⁾ أَقْبَلَتْ مَلَأَى⁽¹¹⁾ الْبُطُونِ، حَافِلَةَ الضُّرُوعِ، ثُمَّ أَوَتْ⁽¹²⁾ إِلَى الْحِطَّائِرِ حَاضِرَةً لِأَهْلِهَا."⁽¹³⁾ كَأَنَّ قَصْدَهُ: أَنَّ إِبْثَابَ الْجَمَالِ يَتِمُّ بِذِكْرِ الْإِرَاحَةِ، وَالتَّسْرِيحِ ذِكْرَ بَعْدِهَا كَأَنَّهُ مِنْ تَتَمَّتِهَا لَا أَنَّهُ

(1) في نسخة (غ): للنصر.

(2) في نسخة (غ): فكون.

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 594).

(4) في نسختي (الأصل، م): رتبة.

(5) في نسختي (ش، ض): حتى.

(6) في نسخ (ش، ض، غ): المراعي.

(7) في نسخة (غ): المراعي.

(8) في نسختي (الأصل، م): الحال.

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(10) في نسختي (الأصل، م): إذ.

(11) في جميع النسخ: ملاء.

(12) في نسختي (الأصل، م): أدت.

(13) الزمخشري، الكشاف، (2/ 594).

وَجَهْ آخَرُ بِرَأْسِهِ، لِيَلْزَمَ التَّرْقِي (1) من الأعلى إلى الأدنى. (2) وُقِرَى (حِيناً)؛ (3) على أَنَّ الْفَعْلَيْنِ وَضَعَانِ لَهُ
بتقدير العائد. (4)

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: 7]

أي: على فَرَضٍ أَنْ لَا (5) يَخْلُقَهَا اللَّهُ. وُقِرَى (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) (6) بَفَتْحِ الشَّيْنِ، وَهَمَّا بِمَعْنَى الْمَشَقَّةِ. قَالَ
صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وبينهما فَرْقٌ: وهو أَنَّ (7) المفتوح مصدر "شَقَّ الأمرُ عليه شَقًّا"، وحقَّقَتْهُ رَاجِعَةً إِلَى
(الشَّقِّ) الذي هو الصَّدْعُ. وَأَمَّا (الشَّقُّ) فَالنِّصْفُ، كَأَنَّهُ يَذْهَبُ نِصْفُ قُوَّتِهِ؛ لِمَا (8) يَنَالُهُ مِنَ الْجَهْدِ. (9)
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 7] تعليلٌ لِخَلْقِ الْأَنْعَامِ.

﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8]

﴿زِينَةً﴾ مصدرٌ لِمَقْدَرٍ هو مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾، تَقْدِيرُهُ: وَلِتَرْكَبُوا بِهَا زِينَةً. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَّةً
مَعْطُوفَةً عَلَى مَحَلِّ ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾. [وذكر اللام في الأول؛ لأنَّ الرُّكُوبَ ليس فِعْلاً لِفَاعِلِ الْفِعْلِ الْمُعْلَلِ،

(1) في نسخة (غ): التراقي.

(2) في نسخة (غ): الأولى.

(3) قراءة شاذة: منسوبة إلى عكرمة والضحاك. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من
كتاب البديع، (ص: 76)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 594).

(4) يعني: أَنَّ ﴿تُرِيحُونَ﴾ و﴿تَسْرَحُونَ﴾ وصفٌ للحين، والعائدُ محذوفٌ، التقدير: تُرِيحُونَ فِيهِ وَتَسْرَحُونَ فِيهِ، ثُمَّ حُذِفَ
الجارُّ والمجرور؛ لِأَنَّ الظَّرْفَ يُتَّسَعُ فِيهَا. الهمداني، المنتجب (المتوفى: 643 هـ)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد،
تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،
1427 هـ - 2006 م، (4/ 99).

(5) سقط من نسخة (م).

(6) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر وحده (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) بفتح الشين، وقرأ الباكون (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) بكسر الشين. النيسابوري،
(المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 262)، الواسطي، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن المقرئ
تاج الدين (المتوفى: 741هـ)، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة،
الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م، (2/ 531).

(7) في نسخ (الأصل، م، ش، غ): بَأَنَّ.

(8) في نسخ (الأصل، م، غ): لا.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 594-595).

بخلاف التَّزْيِينِ⁽¹⁾]. وُقِرَّ بِدُونِ الْوَائِ⁽²⁾ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنْ فَاعِلٍ ﴿لِتَرْكُبُوهَا﴾، أَوْ عَنْ مَفْعُولِهِ، عَلَى مَعْنَى: مُتَزَيِّنِينَ أَوْ مُتَزَيِّنَاتٍ بِهَا. وَجَوَزَ الْبَيْضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ عَلَةً ﴿لِتَرْكُبُوهَا﴾، وَهُوَ إِنَّمَا يَصَحُّ إِذَا⁽³⁾ جُعِلَ⁽⁴⁾ فِعْلاً لِلْمُخَاطَبِينَ؛ لِيَقْبَلَ النَّصَبَ، وَقَدْ جَعَلَهُ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى فِعْلاً لِلخَالِقِ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ فِعْلٌ لِلخَالِقِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مِنَ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ، وَفِعْلٌ لِلْمُخَاطَبِينَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مِنَ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ، فَتَدَبَّرَ.

وَالسُّكُوتُ عَنْ ذِكْرِ أَكْلِ لُحُومِهَا لَا يَدُلُّ عَلَى حُرْمَتِهِ، أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانُ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ مِنْ خَلْقِهَا، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَيْضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ: "إِذْ⁽⁵⁾ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَعْلِيلِ الْفِعْلِ بِمَا يُقْصَدُ غَالِباً أَنْ لَا يُقْصَدَ مِنْهُ غَيْرُهُ أَصْلاً، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَعَامَّةُ الْمَفْسَرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ عَلَى أَنَّ الْحَمِيرَ⁽⁶⁾ الْأَهْلِيَّةَ حُرِّمَتْ عَامَ حَيْبَرٍ."⁽⁷⁾

﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]

تَفْصِيلُهُ: مِنَ الْحَيَوَانَاتِ النَّافِعَةِ لِلْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا أُجْمِلَ إِشْعَاراً بِكَثْرَةِ أَنْوَاعِهِ. وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِأَنَّ لَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ؛ لِيَزِيدَنَا دَلَالَةً عَلَى اقْتِدَارِهِ بِالْإِخْبَارِ بِذَلِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَا خُلِقَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بِأَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ: الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]

(الْقَصْدُ): مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ. يُقَالُ: سَبِيلٌ قَصْدٌ وَقَاصِدٌ، أَي: مُسْتَقِيمٌ، كَأَنَّهُ يُقْصَدُ الْوَجْهَ الَّذِي يَأْمُرُهُ السَّالِكُ لَا يَغْدِلُ عَنْهُ. يَعْنِي: وَعَلَى اللَّهِ بَيَانُ مُسْتَقِيمِ الطَّرِيقِ لَا جَائِرِهِ. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل: 9]

(1) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ كَرَّرَ فِي نَسْخَةِ (ض).

(2) قِرَاءَةُ شَاذَّةٍ: (زَيْنَةً) بِدُونِ وَاوٍ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَبِي عِيَّاضٍ، ابْنِ جَنِيٍّ (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَاذِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (8/2)، وَالْكَرْمَانِيُّ (الْمُتَوَفَى 535هـ)، شَوَاذُ الْقِرَاءَاتِ، (ص: 269).

(3) فِي نَسْخَةِ (ش): إِذْ.

(4) فِي نَسْخَةِ (ض): فَعْلٌ.

(5) فِي نَسْخَتِي (ش، غ): أَوْ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): الْخَمْرُ.

(7) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/220).

تقسيمٍ للسبيل إلى المستقيم وإلى الجائر. وغيّر الأسلوب للإشعار بأنه إنما يَرْضَى⁽¹⁾ بالقسم الأول، دون الثاني. وقرئ (وَمِنْكُمْ جَائِرٌ)⁽²⁾ أي: عن القصد.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 9] إلى⁽³⁾ الطريق المستقيم، ولكن لم يَشَأْ ذلك؛ لِيُظْهَرَ فَضْلُ الْمُهْتَدِي⁽⁴⁾ بكسبه واختياره، على الجائر عن القصد بسوء اختياره.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ [النحل: 10]

(من)⁽⁵⁾ للتبعية، والشَّرَابُ ما يُشْرَبُ. و﴿مِنْهُ﴾ متعلقٌ بالشَّرَابِ إمَّا بالوصفية، أو بالخبرية. وتقديمه للاهتمام؛ لأنَّ الشَّرَابَ منه أَنْفَعُ وَأَغْلَبُ. قال البيضاوي: "وتقديمها يوهم حَصَرَ المَشْرُوبِ فيه، ولا بأس به؛ لأنَّ مياه العيون والآبار منه لقوله: ﴿فَسَلَكَه يَنَابِيعَ﴾ [الزمر: 21] وقوله: ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: 18]"⁽⁶⁾ وفيه تأمل؛ لأنه إنما يدلُّ على أنه يصيرُ يَنَابِيعَ وَمُسْتَكِنًا فيها، ولا دلالة على أنَّ كُلَّ يَنْبُوعٍ ومستكنٍ في الأرضِ منه.⁽⁷⁾ ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10] أي: تَرْعُونَ⁽⁸⁾ الدَّوَابَّ. قال صاحبُ الكشاف: "يعني الشَّجَرُ الذي تَرْعَاهُ المَاشِيَةُ."⁽⁹⁾ وقيل: كُلُّ ما يَنْبُتُ⁽¹⁰⁾ على الأرضِ شَجَرٌ، وإنَّما حَمَلَ الشَّجَرَ على هذا المعنى؛ ليصحَّ وصفه⁽¹¹⁾ بقوله: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

(1) في نسخة (غ): رضي.

(2) قراءة شاذة: منسوبة إلى علي رضي الله عنه في مختصر ابن خالويه، وفي تفسير يحيى بن سلام، والطبري، والزمخشري منسوبة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري، (المتوفى: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شليبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م، (1/ 53)، وابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 76)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 176)، والزمخشري، الكشاف، (2/ 596).

(3) في نسختي (ش، ض): أي.

(4) في نسخة (غ): المهتدين.

(5) يقصد بذلك (من) الثانية.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 221).

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) في نسخة (غ): ترحون.

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 597).

(10) في نسخة (غ): نبت.

(11) في نسختي (ش، ض): وضعه.

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: 11]

إنما قال: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ب(مِنْ) ⁽¹⁾ التَّبْعِيضِيَّة؛ لِأَنَّ كُلَّ الثَّمَرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ. وَقُدِّمَ مَا يُسَامُ ⁽²⁾ فِيهِ عَلَى مَا يُؤْكَلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مُقَدَّمٌ بِحَسَبِ الْوُجُودِ. قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "لَأَنَّهُ سَيَصِيرُ غِذَاءً رُوحَانِيًّا، ⁽³⁾ هُوَ أَشْرَفُ الْأَغْذِيَّةِ، وَمِنْ هَذَا تَقْدِيمُ الزَّرْعِ وَالنَّصْرِیحُ بِالْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ وَتَرْتِيبُهَا. ⁽⁴⁾ يَعْنِي أَنَّهُ يَصِيرُ بِمَحْضِ الرُّؤْيَةِ غِذَاءً رُوحَانِيًّا بِخِلَافِ، الْمَذْكُورَاتِ بَعْدَهُ. ⁽⁵⁾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11] فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ صَانِعٍ، مُوجِدٍ بِالِاخْتِيَارِ، مُنَزَّهٌ ⁽⁶⁾ عَنْ مَجَامِعَةِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: 12]

﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ رَفَعَ عَلَى الْخَبَرِ لِلنَّجْمِ. وَقُرِئَ (مُسَخَّرَاتٍ) ⁽⁷⁾ بِالنَّصْبِ، عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ ثَانٍ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَجَعَلَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ. [وَتُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ] ⁽⁸⁾ مِنْ قَرَأَ: (وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ) بِالرَّفْعِ. ⁽⁹⁾ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْجَمِيعِ ⁽¹⁰⁾ بِلا تَقْدِيرٍ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَى تَسْخِيرِهَا لِلنَّاسِ: تَصْيِيرُهَا نَافِعَةً

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في نسختي (ش، ض): يشام.

(3) في تفسير البضاوي: حيوانياً.

(4) في نسختي (الأصل، م): تزيينها. ينظر أيضاً: البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 221).

(5) فيه أَنَّ الْبِيضَاوِيَّ لَمْ يَذْكُرْ عِبَارَةَ (الروحانية)، وَلَعَلَّ الْمُؤَلِّفَ سَهَا فِي ذَلِكَ فَاسْتَبْطَ مِنْ كَلَامِهِ مَا لَمْ يَقْصُدْهُ، فَإِنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ كَلَامِ الْبِيضَاوِيَّ: أَنَّ الشَّجَرَ تَصِيرُ غِذَاءً حَيَوَانِيًّا عَنْ طَرِيقِ أَكْلِ الْمَوَاشِي إِيَّاهَا فَقَطْ، يَعْنِي الْأَغْذِيَّةَ الْحَيَوَانِيَّةَ، مِنْ نَحْوِ اللَّحُومِ، وَالْدُهُونِ، وَالْحَلِيبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَلَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ الشَّجَرَ تَكُونُ غِذَاءً رُوحَانِيًّا بِمَحْضِ الرُّؤْيَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَكَذَا فِي تَفْسِيرِ الرَّازِيِّ، وَالنَّيْسَابُورِيِّ، وَأَبِي السَّعُودِ، يَنْظُرُ: الرَّازِيُّ (المتوفى: 606هـ)، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، (19/ 181)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ، (المتوفى: 850هـ)، غَرَائِبُ الْقُرْآنِ وَرَغَائِبُ الْفِرْقَانِ، (4/ 247)، وَأَبُو السَّعُودِ (المتوفى: 982هـ)، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، (5/ 101).

(6) في نسختي (الأصل، م): تنزه.

(7) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) [النحل: 12] كُلَّهُ بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) بِالنَّصْبِ (وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ) كُلَّهُ بِالنَّصْبِ. ابْنُ مَجَاهِدٍ (المتوفى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 370)، النَّيْسَابُورِيُّ، (المتوفى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 263).

(8) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَةِ (غ): وَيُؤَيِّدُهُ مَرَادُ.

(9) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ كَمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ آخِثًا.

(10) فِي نَسْخِ (الأصل، م، ش): الْجَمْعُ.

لهم، حيث يستريحون في الليل، ويعيشون في النهار، ويعلمون عدد السنين والحساب، أو على أنه مصدر ميمي جمع لقصد الأنواع. وقرأ (الشمس والقمر)⁽¹⁾ أيضاً بالرفع مثل (النجوم).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 12]

ذكر العقل وذكر الآيات على صيغة الجمع؛ إشعاراً بأن فيها آيات ظاهرة غير محتاجة إلى التفكر، بخلاف ما في النبأ، فإنه إنما يظهر بالتفكر.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: 13] عطف على (الليل)، أي: (2) وسخر لكم ما خلق لكم فيها. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: 13] أي: أصنافه، إنما عبر عنها بالألوان؛ لأن لكل صنف لوناً مخصوصاً.³ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: 13] فصل الآية بالتذكير؛ لأن اختلاف الألوان والأصناف إنما يدل على ما تدل عليه أحداث الأصناف فيكون تذكيراً لما علم أولاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14]

وهو السمك، سمي طرياً؛ لأنه أرطب اللحوم. قيل: ذهب الفقهاء - غير مالك والثوري ومن تبعهم - على أن المرء إذا حلف أن لا يأكل لحماً فأكل⁽⁴⁾ سمكاً لم يخنث، والاية دليل على خلافه. وأجيب بأن مبنى الأيمان على العادة، وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك. كما أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 55] فلو حلف خالف⁽⁵⁾ أن لا يركب دابة، فركب كافراً لم يخنث. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: 14] وهي اللؤلؤ والمرجان تلبسهما النساء. وأسند إلى الذكور؛ لأن النساء إنما يلبسهن⁽⁶⁾ لأجلهم، أو لأنهن من جملتهم.⁽⁷⁾ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ [النحل: 14] جوارى فيه، من (المخر) وهو شق الماء، ويلزمه الجزى. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النحل: 14] ابتغاء الفضل: التجارة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14]

(1) وهي قراءة ابن عامر كما سبق ذكره آنفاً.

(2) سقط من نسخة (غ).

³ في جميع النسخ: لون مخصوص، وأثبت (لوناً مخصوصاً) لأنه أصح.

(4) في نسخة (غ): يأكل.

(5) في نسخة (ش): خالف.

(6) في نسختي (الأصل، م): تلبسهما.

(7) في نسخة (م): حملتهم.

فَصَلَ الْآيَةَ بِالشُّكْرِ؛ إِشْعَاراً بِعَظَمَةِ⁽¹⁾ النِّعْمَةِ⁽²⁾ وظهورها، حَيْثُ جَعَلَ مَا شَأْنُهُ الْإِهْلَاكَ سَبَباً لِمَزِيَّةِ التَّعْيِشِ، وَحَصُولِ التَّرْتِيْنِ.⁽³⁾

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: 15]

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ، بِمَعْنَى: كَرَاهَةً⁽⁴⁾ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَتَضْطَرِبَ. قِيلَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَجَعَلَتْ تَمُورٌ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هِيَ بِمَقَرٍّ أَحَدٍ عَلَى ظَهْرِهَا، فَأَضْبَحَتْ وَقَدْ أُرْسِيَتْ بِالْجِبَالِ، لَمْ تَدْرِ الْمَلَائِكَةُ مِمَّ⁽⁵⁾ خُلِقَتْ،⁽⁶⁾ كَذَا فِي الْكُشَافِ. ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 15] عَطَفَ عَلَى ﴿رَوَاسِيَ﴾، عَلَى مَعْنَى: وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا؛ لِأَنَّ فِي (أَلْقَى) مَعْنَى (جَعَلَ). وَيدَلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: 6-7]

(1) فِي نَسَخِ (ش، ض، غ): بِعَظَمِ.

(2) فِي نَسَخَةِ (غ): النِّعْمِ.

(3) فِي نَسَخَةِ (ش): التَّرْتِيْنِ. يَنْظُرُ: الْبِيضَاوِي، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 222).

(4) فِي نَسَخَةِ (م): كَرَاهِمَةِ.

(5) فِي نَسَخَتِي (ش، ض): ثَمَ.

(6) نَسَبَهُ الْبَغْوِيُّ إِلَى وَهْبِ بْنِ مَنْبَهٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَأَسْنَدَ الطَّبْرِيُّ إِلَى قَيْسِ بْنِ عِبَادٍ، عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ، بَلَفَظَ: (أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمُورٌ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمَقَرَّةٍ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدًا فَأَضْبَحَتْ ضَبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا). يَنْظُرُ: الطَّبْرِيُّ (الْمَتَوَفَى: 310هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، (17/ 183)، وَالْبَغْوِيُّ (الْمَتَوَفَى: 510هـ)، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، (5/ 13).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ (3369) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ، فَقَالَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ. قَالُوا: يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ. [ص: 455] قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ النَّارُ. قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَاءُ. قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ الرِّيحُ. قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ، تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بَيْنَيْنِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ. " وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. " التِّرْمِذِيُّ (الْمَتَوَفَى: 279هـ)، سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ، (5/ 455).

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل: 16] هي: مَعَالِمُ الطَّرِيقِ،⁽¹⁾ ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16] (النَّجْمُ): جِنْسُ النَّجْمِ. وعن السُّدِّيِّ هو⁽²⁾ الثُّرَيَّا والْفَرْقَدَانِ، وَبَنَاتُ النَّعْشِ،⁽³⁾ وَالْجَدْيُ. وَفُرَى (وَبِالنُّجْمِ)⁽⁴⁾ بِالضَّمَّتَيْنِ وهو جمعُ نَجْمٍ كَرَهْنٍ وَرُهْنٍ،⁽⁵⁾ وَبِضْمَةٍ وَسُكُونٍ⁽⁶⁾ لِلتَّخْفِيفِ. وَالضَّمِيرُ لِقُرَيْشٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُمْ اهْتِدَاءٌ بِالنُّجْمِ فِي مَسَايِرِهِمْ. وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ لغيرِهِمْ، وَلِذَلِكَ انْتَفَتْ⁽⁷⁾ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَخَصَّصَ الْحُكْمَ بِهِمْ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ، وَتَوْسِيطِ صِيغَةِ⁽⁸⁾ الْفَصْلِ. وَفَائِدَةُ التَّخْصِيسِ: الْإِشْعَارُ بِأَنَّ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَوْجِبُ عَلَيْهِمْ وَالْزُّمُّ بِهِمْ.⁽⁹⁾

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17]

إِنْكَارٌ لِلْإِشْرَاقِ وَالتَّشْبِيهِ، بَعْدَ بَيَانِ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ⁽¹⁰⁾ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. وَالْمُرَادُ بِ(مَنْ لَا يَخْلُقُ): الْأَصْنَامُ. وَعَدَّهُمْ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ حَيْثُ أُطْلِقَ عَلَيْهَا (مَنْ) الَّذِي هُوَ لِذَوِي الْعُقُولِ؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ سَمَوْهَا آلِهَةً، وَعَبَدُوهَا. وَذَلِكَ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا بَعْدَ اعْتِقَادِهِمْ كَوْنَهَا مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ. وَقِيلَ: هُوَ [عَلَى الْمَبَالِغَةِ]⁽¹¹⁾ عَلَى

(1) في نسخة (غ): الطرف.

(2) في نسخة (غ): هي.

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) قراءة شاذة: منسوبة إلى الحسن، ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 76)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2/ 8)، والهُذَلِي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، (ص: 583).

(5) في نسخة (غ): رهنى. قال ابن سيده: "وَرَوَاهُ قَوْمٌ (النُّجْمُ) عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ (نَجْمٍ) كـ(سَحْلٍ) وَ(سُحْلٍ)". ابن سيده (المتوفى: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، (1/ 510). ينظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، (12/ 287).

(6) قراءة شاذة: (وَبِالنُّجْمِ)، منسوبة إلى يحيى بن وثاب. بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 9)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (3/ 385)، والقرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (10/ 91)، والدمياطي، (المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 350).

(7) سقط من نسخة (غ).

(8) في نسختي (ش، غ): حقيقة.

(9) في نسختي (ض، غ): لهم.

(10) سقط من نسخة (غ).

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش)، وفي نسخة (غ): المبالغة.

معنى: أَنَّ مَنْ يَخْلُقُ لَيْسَ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ، [فَضْلاً عَنْ غَيْرِ ذَوِي الْعُقُولِ]،⁽¹⁾ أَوْ عَلَى الْمُشَاكَلَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَعَمَّ مِنَ الْأَصْنَامِ، فَعُلِبَ وَعَدَّ الْكَلَّ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ. ثُمَّ فِي تَعْكِيْسِ التَّشْبِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ مَالَ التَّشْبِيهِ إِلَى جَعْلٍ⁽²⁾ الْوَاجِبِ مُمْكِنًا؛ لِأَنَّ جَعْلَ الْأَصْنَامِ (وَاجِبًا)؛ مِمَّا لَمْ يَرْضَ بِهِ مَنْ لَهُ أَدْنَى شُعُورٍ. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17] لِيُظْهَرَ عَلَيْكُمْ فِسَادُ مَا يَظْهَرُ فِسَادُهُ، وَبَطْلَانُهُ بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ فِي الْأُمُورِ الْمَعْلُومَةِ، وَتَذَكُّرٍ لَهَا.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: 18]

فَضْلاً أَنْ تَوَدُّوا مَا لَزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، يَعْنِي: إِنَّكُمْ مَقْصِرُونَ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعْمَائِهِ، وَلَا يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ، بَلْ تَرِيدُونَ⁽³⁾ عَلَيْهِ الْإِشْرَاكَ بِهِ، وَجَعَلَ الْأَصْنَامَ مِثْلَهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18] يَتَجَاوَزُ عَنْ⁽⁴⁾ تَقْصِيرِكُمْ فِي أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَلَا يَقْطَعُ النِّعْمَةَ عَنْكُمْ،⁽⁵⁾ وَلَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: 19]

يَعْلَمُ عَقَائِدَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ. وَهُوَ وَعِيدٌ عَلَى الْإِشْرَاكَ، وَكُفْرَانِ النِّعْمَةِ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: 20]

نَفَى عَنْهُمْ الْخَالِقِيَّةَ، وَأَثَبَتْ لَهُمُ الْمَخْلُوقِيَّةَ؛ لِيُذِلَّ عَلَى بُطْلَانِ كَوْنِهِمْ شُرَكَاءَ. وَقُرِئَ (تَدْعُونَ)⁽⁶⁾ بِالنَّاءِ عَلَى وَفْقِ ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾. وَقُرِئَ ثَلَاثُهَا بِالنَّاءِ.⁽⁷⁾

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(2) في نسختي (الأصل، م): فعل.

(3) في نسختي (الأصل، م): تريدون، وفي نسخة (غ): ترتدون.

(4) في جميع النسخ: من، وأثبت (عن) لأنه أصح.

(5) في نسخة (ش): عليكم.

(6) قراءة متواترة: (تَدْعُونَ) قرأ يعقوب وعاصم بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 371)، وابن الجزري، (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 303)، والقاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 178).

(7) في نسخة (غ): بالياء. قراءة متواترة: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وحَمَزَة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)، (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) بِالنَّاءِ كُلُّهُمْ، وَرَوَى الْكَسَائِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ ذَلِكَ كُلَّهُ

والآية حجةً للأشاعرة في أن العبد ليس بخالقٍ لأفعاله -إن جعل الذين يدعون من دون الله أعم من الأصنام-، والمعتزلة يُفسِّرونها بالأصنام بقرينة قوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: 21] [تقرير وتعليلٍ لسابقه، على تقدير: هم أمواتٌ غيرُ أحياءٍ].⁽¹⁾ وجوز البيضاوي التَّعْمِيمَ في الموتِ والتَّخْصِيصَ في الحياة؛ لِشُمْلِ كُلِّ شَرِيكَ، حيثُ قال: "﴿أَمْوَاتٌ﴾ حالاً أو مَلاً، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ بالذَّاتِ؛ لِتَتَنَاوَلَ كُلَّ مَعْبُودٍ، وَالْإِلَهَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاجِبَ الوجودِ"⁽²⁾ انتهى. وظاهرُ⁽³⁾ الآية يدلُّ على خلافٍ ما⁽⁴⁾ هو صحيحٌ عندهم، مِنْ أَنَّ بَيْنَ المَوْتِ والحياةِ تَقَابُلُ العَدَمِ والمَلَكَةِ،⁽⁵⁾ لا تَقَابُلُ التَّضَادِّ كما ذَهَبَ إليه بعضهم؛ لأنَّ الأصنامَ غيرُ داخلَةٍ تحتِ جِنْسِ الأحياءِ. ويمكنُ أَنْ يُقالَ: إِنَّها داخلَةٌ تحتِ جِنْسِ الأحياءِ باعتبارِ أَنَّهُم عُدُّوها إِلَهَةً؛ فَإِنَّ الإلهَ لا يَدَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الأحياءِ. ومعنى ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ بعدَ ذِكْرِ ﴿أَمْوَاتٍ﴾: أَنَّهُم أَمْوَاتٌ لا تَعْنِيهِم الحياةُ أبداً، فَإِنَّ مِنَ الأمواتِ ما يَعْقُبُ موتهُ حياته⁽⁶⁾ كالنُّطْفِ. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 21] أَيَّ وَقْتٍ يُبْعَثُ⁽⁷⁾ عِبَدَتُهُمْ، فكيف يكونُ لهم وَقْتُ جزاءٍ؟ وفيه دلالةٌ على أَنَّ النُّبْعُ من لوازمِ التَّكْلِيفِ والمَعْبُودِيَّةِ.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: 22]

تقريرٌ، أو تأكيدٌ لِمَا يُفهم من الأدلة السابقة المُنتَجَةِ⁽⁸⁾ لِإِبْطَالِ الشَّرْكِ. ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 22] بيانٌ لِموَجِبِ إصرارهم بعدَ وُضُوحِ الحقِّ. ذُكِرَ ثلاثُ مَقَدِّماتٍ يُبَيِّنُ الأَخِيرانِ منها على الأوَّلِ؛ فَإِنَّ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ ولا يَتَيَقَّنُ بِالْحَشْرِ لا يَسْمَعُ قولَ من

بِالتَّاءِ في الثَّلَاثَةِ. ابنُ مَجاهِدٍ (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 371)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 263)، وابنُ الجُزَري، (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 303).
(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(2) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 223).

(3) في نسخة (ش): والظاهر.

(4) في نسخة (ش): و.

(5) في نسخة (ش): والملائكة.

(6) في نسختي (ش، ض): حياة.

(7) في نسختي (الأصل، م): بعث.

(8) في نسخة (ش): والمنتجة.

يُخْبِرُ عَنْهَا، وَلَا يَتَأَمَّلُ فِيهِ، فَبِالضَّرُورَةِ يَكُونُ قَلْبُهُ مُنْكَرًا لِمَا لَيْسَ بِمَأْلُوفٍ لَهُ، وَيَكُونُ مُسْتَكْبِرًا عَنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ وَتَصَدِيقِ كَلَامِهِ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: 23]

أي: يُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ جَمِيعًا، و﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ لـ﴿جَرَمَ﴾؛ لِأَنَّهُ (1) إِمَّا فِعْلٌ، أَوْ مُصَدَّرٌ. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: 23] عَنْ التَّوْحِيدِ، أَوْ مُطْلَقَ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ﴾ [النحل: 24]

هُوَ كَلَامُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَلَى التَّهَكُّمِ، أَوْ قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ. ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: 24] أي: مَا تَدْعُونَ نَزُولَهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - [إِذَا كَانَ] ﴿مَاذَا﴾ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ -، أَوْ الْمُنْزَلُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (2)، - [إِذَا كَانَ] ﴿مَاذَا﴾ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ -، هَذَا حَاصِلُ مَا فِي الْكَشَافِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِمَا ذَكَرَ ابْنُ الْحَاجِبِ بِقَوْلِهِ: "وَفِي (مَاذَا صَنَعْتَ؟) وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا (3) الَّذِي، وَجَوَابُهُ رَفْعٌ، وَالْآخَرُ: أَيُّ (4) شَيْءٍ، وَجَوَابُهُ نَصْبٌ." (5)

وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذِهِ الْمَخَالَفَةِ، وَعَدَمِ لُزُومِ الْمطَابَقَةِ بَيْنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، يَرُدُّ عَلَيْهِ: أَنَّهُ لَمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّوْجِيهَانِ صَحِيحَيْنِ فِي كُلِّ مَنْ أَحْتِمَالِي (6) النَّصْبِ وَالرَّفْعِ بِلَا خُصُوصِيَّةٍ بَعْضٍ بِبَعْضٍ؟

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل: 25]

فَإِنَّ وَزَرَ الضَّلَالِ يَصِيرُ كَامِلًا بَعْدَ الْإِضْلَالِ، ﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [النحل: 25] وَبَعْضُ أَوْزَارِهِمْ: هُوَ وَزَرُ الْإِضْلَالِ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ وَزْرِ الضَّلَالِ وَوَزْرِ الْإِضْلَالِ. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: 25] ظَرَفٌ مُسْتَقَرٌّ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ مَفْعُولٍ ﴿يُضِلُّونَهُمْ﴾. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى: أَنَّ الْجَهْلَ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(3) سقط من نسختي (الأصل، م).

(4) في نسخة (غ): أن.

(5) ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (توفي: 646 هـ)، الكافية في علم النحو، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، 2010 م، (ص: 35).

(6) في نسخ (الأصل، م، غ): احتمال.

المواضع⁽¹⁾ غير مَعْدُورٍ، فلا بُدَّ للمُكَلَّفِ أَنْ يَبْحَثَ عن حقيقة⁽²⁾ الأمر فيما يَجِبُ⁽³⁾ عليه من العقائد، ويُمَيِّزُ⁽⁴⁾ بين الحقِّ والباطل. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: 25] بِنَسْ شَيْءٍ⁽⁵⁾ ما يَزِرُونَهُ، والمَخْصُوصُ بالذمِّ محذوفٌ، أي: فَعَلُوهُمْ.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: 26]

لِإخْفَاءِ الحقِّ وسَدِّ بابِ التَّبْلِيغِ على الرُّسُلِ. ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26] القواعدُ: أساطينُ البناءِ التي تُعَمِّدُ، وقيل: الأساسُ. والمرادُ بـ(إتيانِ الله): إتيانُ أمرِهِ، وهو تمثيلٌ، شَبَّهَ حالَهُم بحالِ⁽⁶⁾ قَوْمٍ بَنَوْا بُنْيَانًا وَعَمَدُوهُ بِالْأَسَاطِينِ، فَأَتَى بُنْيَانَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْأَسَاطِينِ -بأنْ يَتَضَعَّصَ- فَسَقَطَ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ، وَهَلَكُوا. نظيره: "مَنْ حَفَرَ بَنَرًا لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهِ". وقيل: هو إخبارٌ عن حالِ (نَمْرُودَ) حِينَ بَنَى الصَّرْحَ بِبَابِلَ⁽⁷⁾ طُولُهُ خَمْسَةُ آلَافِ ذِرَاعٍ، وقيل: فَرَسَخَانِ، فَأَهَبَ اللَّهُ الرِّيحَ فَحَرَّ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ، فَهَلَكُوا. ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 26] العذابُ: الإِهْلَاكُ، فَإِنَّهُ أَتَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْأَسَاطِينِ، وَهُمْ لَا يَحْسَبُونَ وَلَا يَتَوَقَّعُونَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْأَسَاطِينِ الَّتِي عَلَيْهَا قِوَامُ الْبِنَاءِ.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ [النحل: 27]

بِالْإِذْلَالِ وَالتَّعْذِيبِ بِالنَّارِ. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: 27] أي: تُعَادُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَخَاصِمُونَهُمْ فِي شَأْنِهِمْ. أَصَافَ الشُّرَكَاءَ إِلَى نَفْسِهِ، حِكَايَةً لِإِصَافَتِهِمْ؛ لِيُؤَبِّخَهُمْ بِهَا عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

(1) في نسخة (ش): الموضع.

(2) في نسخة (غ): صيغة.

(3) في نسخة (غ): بحث.

(4) في نسختي (الأصل، م): وتمييز.

(5) في نسخ (ش، ض، غ): شيئاً.

(6) في نسخة (ش): يحلل.

(7) في نسخة (ش): ببابه.

وقرئ [تُشَاقُونَ⁽¹⁾] بكسر التَّوْنِ على معنى: ⁽²⁾ [تُشَاقُونَني؛ لَأَنَّ مُشَاقَّةَ الْمُؤْمِنِينَ كَمُشَاقَّةِ اللَّهِ تَعَالَى. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: 27] استئناف؛ لبيان ما يَقُولُ المؤمنون في هذا اليوم، شَمَاتَةً بِهِمْ. وَحَكَى اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ لُطْفًا لِمَنْ ⁽³⁾ سَمِعَهُ، وَذَكَرَهُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِنَحَقِّقِ وَفُوعِهِ.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: 28]

صفةٌ للكافرين. وَقُرِئَ بِإِذْغَامِ التَّاءِ فِي التَّاءِ، ⁽⁴⁾ وَقُرِئَ بِالْيَاءِ. ⁽⁵⁾ ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: 28] حالٌّ عن مفعولٍ ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾، وَإِضَافَتُهُ ⁽⁶⁾ لَفْظِيَّةٌ لَا تُعِيدُ تَعْرِيفًا، فَلَا يُنَافِي حَالِيَّتَهُ. وَ(ظَلُمُهم أَنفُسَهُم): أَنَّهُمْ عَرَّضُوهَا ⁽⁷⁾ لِلْعَذَابِ الْمُخَلَّدِ. ﴿فَالْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 28] حكايةٌ عن حالهم يومَ القيامة، أَي: فَالْقُوا السَّلَامَ لِلَّذِينَ كَانُوا يُشَاقُّونَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَانْقَادُوا لَهُمْ قَانِلِينَ: مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أُولُوا الْعِلْمِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الشَّمَاتَةِ. وَقِيلَ: هُوَ حكايةٌ عن حالهم يومَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ. فعلى هذا يكون ﴿بَلَى﴾ ⁽⁸⁾ من كلامِ الْمَلَائِكَةِ، رَدًّا عَلَيْهِمْ.

(1) في جميع النسخ: (يشاقون). قراءة متواترة: قرأ نافع وحده (أَيَنْ شَرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) [النحل: 27] بكسر النون. وقرأ الباقون (تُشَاقُّونَ) بفتح النون. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 371-372)، والنيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 263)، والقاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، (ص: 178).

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(3) في نسختي (ش، ض): بمن.

(4) قراءة شاذة: منسوبة إلى ابن مسعود، وقال أبو حيان: "فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بِتَاءٍ وَاحِدَةٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ". الكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 271)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 523).

(5) قراءة متواترة: قرأ حمزة وخلف ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: 28] بالياء. وقرأ الباقون ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالتاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 372)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 263).

(6) في نسختي (الأصل، م): وإِضَافَتُهُ، في نسخة (ش): إضافية.

(7) في نسختي (الأصل، م): أَعْرَضُوهَا.

(8) في نسختي (الأصل، م): في.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النحل: 29] الأبواب: الدَرَكَاتُ. قيل: المرادُ أصنافُ عذابِها.
﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: 29] جهنم.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ [النحل: 30]

سؤالٌ عن المؤمنين في مُقَابَلَةِ مَا سَأَلَ عَنْ الْكَافِرِينَ. ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: 30] أي: أنزلَ خيرًا، وَتَغْيِيرُ⁽¹⁾ الأسلوبِ في الجواب -حيث كان جوابُهم بالرفعِ وجوابُ المؤمنين بالنصبِ- لِإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ مُعْتَرِفِينَ بِالْإِنْزَالِ، بخلافِ المؤمنين حيثُ قالوا: ﴿خَيْرًا﴾ فإنه إقرارٌ بِالْإِنْزَالِ، كما لا يخفى.
وروي أَنَّ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ كَانُوا يَبْعَثُونَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ مَنْ يَأْتِيهِمْ بِخَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا جَاءَ الْوَافِدُ كَفَّهَ الْمُقْسِمُونَ، وَأَمَرُوهُ بِالْإِنْصِرَافِ، وقالوا: إِنْ لَمْ تَلْقَهُ كَانَ خَيْرًا لَكَ، فيقول: أَنَا شَرٌّ وَإِذْ إِنْ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي دُونَ أَنْ أَسْتَطْلِعَ⁽²⁾ أَمَرَ مُحَمَّدٍ وَرَأَاهُ، فَيَلْقَى⁽³⁾ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ [رسولِ الله]⁽⁴⁾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُخْبِرُونَهُ، بِصَدَقِهِ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، فَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا ﴿خَيْرًا﴾، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁵⁾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30]

بَدَلٌ مِنْ ﴿خَيْرًا﴾، عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ تَتَمَّةِ كَلَامِهِمْ، عَلَى مَعْنَى: قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا مِنَ اللَّهِ، وَعَدًّا لَهُمْ بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ. وَالْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ دَارُ الْآخِرَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ قَوْلُهُ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [النحل: 31]، وَعَلَى الْأَوَّلِ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ⁽⁶⁾ مَحْذُوفٌ، عَلَى تَقْدِيرٍ: هِيَ جَنَّاتُ عَدْنٍ، وَالْجُمْلَةُ بَيَانٌ لـ ﴿دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾. ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: 31] مِنْ أَنْوَاعِ الْمُشْتَهَاتِ. وَفِي تَقْدِيمِ الظَّرْفِ إِشْعَارٌ⁽⁷⁾ بِأَنَّ

(1) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): وَتَغْيِيرُ.

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): اسْتَطَاعَ.

(3) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: فَتَلْقَى.

(4) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(5) يَنْظُرُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 603).

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): مَقِيدٌ.

(7) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): إِشْعَارًا.

الإنسان لا يجد جميع ما يُريده إلا في الجنة. ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 31] مثل⁽¹⁾ ذلك الجزاء يجزي المتقين.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: 32]

طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي بقرينة مقابلة لظالمي أنفسهم. ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32] قيل: إذا أشرَف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت، فقال: (2) السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشّره⁽³⁾ بالجنة، كذا في الكشف⁽⁴⁾. فعلى هذا يكون المراد من الأمر بالدخول: البشارة به. وقيد البيضاوي الدخول بالوقت المعين⁽⁵⁾، حيث قال: "حين تبتعثون فإنها معدة لكم على أعمالكم."⁽⁶⁾ ويمكن أن يقال: إن الدخول في القبر دخول للمؤمنين⁽⁷⁾ في الجنة، على أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: 33]

لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: 33] هو العذاب المتأصل، أو القيامة. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: 33] من قبل مشركي مكة، حيث أشركوا بالله، وكذبوا رسله، فأصابهم ما أصابهم. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ [النحل: 33] بتدميرهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 33] بكسب ما يوجب تدميرهم.⁽⁸⁾

(1) في نسخة (غ): بمثل.

(2) سقط من نسخة (ش).

(3) في نسختي (الأصل، م): ويُسبّر، وفي نسخ (ش، ض، غ): وبشر.

(4) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 603).

(5) في نسخة (غ): المعنى.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 225).

(7) في نسخة (ش): للمؤمنين دخول.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [النحل: 34]

أي: جزاء ما عملوا. سُمِّيَ (الجزاء) سَيِّئَةً؛ لأنَّ جزاءَ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةٌ. أو على حَذْفِ مُضَافٍ، أي: جزاء سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النحل: 34] وَأَحَاطَ بِهِمْ جَزَاءٌ⁽¹⁾ استهزأ بهم. "وَالْحَقِيقُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الشَّرِّ" كذا قال البيضاوي.⁽²⁾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ

شَيْءٍ﴾ [النحل: 35]

مقصودهم من هذا الكلام: نَفْيُ الْبِغْثَةِ وَالتَّكْلِيفِ، يعني: إِنَّ [مَا شَاءَ]⁽³⁾ اللَّهُ يَجِبُ، وما⁽⁴⁾ لم يَشَأْ يَمْتَنِعُ، فَمَا الْفَائِدَةُ فِيهِمَا؟ أو نَفْيُ إِنْكَارٍ مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشِّرْكِ وَتَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، وَغَيْرِهِمَا، يعني: أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ قَبِيحَةً لَمَّا⁽⁵⁾ شَاءَ اللَّهُ صُدُّورُهَا عَنَّا. والجوابُ يُفْهَمُ مِمَّا يُذَكَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: 35] أي: أَشْرَكُوا وَحَرَّمُوا الْحَالَ،⁽⁶⁾ وَنَسَبُوهَا إِلَى الْمَشْيِئَةِ. ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35] إِلَّا الْإِبْلَاجُ الْمُظْهَرُ لِلْحَقِّ؛ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عِنَادِ الْقَوْمِ وَضَلَالِهِمْ. كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ هُدَاهُمْ لِيَتَأَلَّمُوا مِنْ ضَلَالِهِمْ، وكذا قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل:

36]

أي: كُلُّ أُمَّةٍ يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ، بَعْضُهُمْ مُهْتَدُونَ⁽⁷⁾ وَبَعْضُهُمْ ضَالُّونَ.⁽⁸⁾ وليس ذلك مخصوصاً بِأُمَّتِكَ وَخَدَهَا. وفيه جوابٌ عن الشُّبْهَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ؛ أَمَّا عَلَى رَأْيِ الْمَعْتَزَلَةِ فَحَاصِلُهُ رَدُّ كَلَامِهِمْ بِأَنَّ مَشْيِئَتَهُ سَبْحَانَهُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ بَعَثَ رَسُولًا لِيُطْلِعَهُمْ عَلَى بَطْلَانِ الشِّرْكِ أَوْ قُبْحِهِ، وَيَأْمُرَهُمْ

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 226).

(3) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): يشاء.

(4) في نسختي (الأصل، م): وإن.

(5) في نسخة (غ): لو.

(6) في نسخة (م): الحال.

(7) في نسختي (الأصل، م): يهتدون.

(8) في نسختي (الأصل، م): ظالمون.

بعبادة الله، وَيَمْنَعُهُمْ عَنِ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، فمنهم⁽¹⁾ من يُطِيعُ وَيَهْتَدِي، ومنهم من يُصِرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَيَضِلُّ بِفِعْلِهِ. فلا تكون البعثة والتكليف عبثاً وفُجِحَ أعمالهم ممنوعاً.

وأما على رأي الأشاعرة فالجواب: أَنَّ أفعال العباد وإن كانت بمشيئة الله تعالى لَكِنَّ المشيئة إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى وَفْقِ كَسْبِهِمْ واختيارهم تلك⁽²⁾ الأفعال، فَيَهْدِي الْمُطِيعِينَ، وَيُضِلُّ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ. ولا يَلْزَمُ من ذلك أَنَّ يَكُونَ التَّكْلِيفُ عَبْثاً؛ لِأَنَّهُ لِإِثْمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ تَعَلُّقِ الْجَزَاءِ بِهِمْ بِسَبَبِ كَسْبِهِمْ، أَوْ⁽³⁾ لِتَعْلِيمِهِمْ طَرِيقَ الْكَسْبِ النَّافِعِ لَهُمْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ اخْتِياراً جَزئياً، بِهِ يَتَيَسَّرُ لَهُمْ تَعَلُّمُ الْكَسْبِ. وأيضاً، لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ الْبِعْثَةَ وَالتَّكْلِيفَ سَبَبٌ لِهُدَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ اهْتِدَاءَهُ،⁽⁴⁾ وَلِزِيَادَةِ ضَلَالِ مَنْ أَرَادَ ضَلَالَهُ. وَلَا يَلْزَمُ أَنَّ يَكُونَ تَعَلُّقُ مَشِيئَتِهِ بِدُونِ سَبَبٍ وَشَرْطٍ. فَإِذَا⁽⁵⁾ تَعَلَّقَ مَشِيئَتُهُ بِضَلَالِهِمْ بِوَاسِطَةِ مَخَالَفَةِ الرَّسُولِ لَا يَكُونُ التَّكْلِيفُ وَالْبِعْثَةُ عَبْثاً، وَيُفْهَمُ مِنْهُ جَوَابُ الشُّبْهَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّ شِرْكَهُمْ وَأَعْمَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ بِوَاسِطَةِ كَسْبِهِمْ، وَيَكْفِي ذَلِكَ سَبَباً لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: 36].

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36]

مَنْ عَادٍ، وَثُمُودَ، وَغَيْرِهِمْ. خُطَابٌ لِقُرَيْشٍ فَهُوَ إِمَّا وَعِيدٌ لَهُمْ، أَوْ إِرْشَادٌ لَهُمْ بِالْإِعْتِبَارِ مِنْ⁽⁶⁾ حَالِ السَّابِقِينَ، لَكِنَّ الْأَوَّلَ أَوْفَقُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَحَرَّضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: 37] لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ لِلْهُدَايَةِ، بَلْ مُسْتَحَقٌّ لِلضَّلَالَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: 36]. فَلِذَلِكَ يُرِيدُ

(1) في الأصل: فيهم.

(2) في جميع النسخ: ذلك.

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) في نسخة (غ): ابتداءه.

(5) في نسخة (غ): ما.

(6) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

ضلالته دون هدايته، هذا عند الأشاعرة.⁽¹⁾ وأما عند المعتزلة فمعناه: أن الله لا يهدي من يخذله ويترك على ضلالته؛ على تأويل الإضلال بالخذلان.⁽²⁾

وَقُرئ (لَا يُهْدَى)⁽³⁾ على البناء للمفعول، على معنى: لا يَقْدِرُ على هداية مَنْ يُضِلُّهُ اللهُ أَحَدٌ، لا أنت ولا غيرك، فلا فائدة في جَرِصِكَ على هُداهم. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: 37] لِيَنْدَفَعَ عنهم العذاب الْمُتَرَتَّبَ على ضلالهم. قال صاحبُ الكشاف: "وهو دليلٌ على أَنَّ المرادَ بالإضلال: الخِذْلَانُ الذي هو نَقِيضُ النُّصْرَةِ".⁽⁴⁾ [وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ وَقْعَ النُّصْرَةِ]⁽⁵⁾ في مقابلةِ التَّعْذِيبِ أَوْقَعُ⁽⁶⁾ في التَّهْدِيدِ من وقوعه في مقابلةِ الخِذْلَانِ. ووقوعُ النُّصْرَةِ بمعنى "مَنْعِ العذابِ" في الكلامِ المجيدِ غيرِ نادرٍ، فَتَدَبَّرْ.⁽⁷⁾

(1) عند الأشاعرة الهداية والضلالة بيد الله تعالى، فيكون الإضلال والهداية من فعله سبحانه تعالى والعبد يكون الضال أو المهتدي بكسبه، قال الباقلاني: "بيده الخير، والشر، والنفع، والضرر، وأنه مقدر جميع الأفعال، لا يكون حادث إلا بإرادته، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. كما قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ [الأعراف: 178] و﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: 186]. وأنه موفق أهل محبته وولايته لطاعته، وخاذل لأهل معصيته، فدل ذلك كله على تدبيره وحكمته. وأنه فعال لما يريد، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا هادي لمن أضله ولا مضل لمن هداه. الباقلاني، أبو بكر بن الطيب البصري القاضي المالكي (المتوفى: 403 هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (المتوفى: 1371 هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، 1421 هـ = 2000 م، (ص: 27).

(2) قال أكثر المعتزلة في هذه المسألة: معنى الضلال من الله يحتمل أن يكون التسمية لهم، والحكم بأنهم ضالون، ويحتمل أن يكون لما ضلوا عن أمر الله - سبحانه - أخبر أنه أضلَّهُمْ، أي: أَنَّهُمْ ضَلُّوا عن دينه، ويحتمل أن يكون الإضلال هو تَرْكُ إحداثِ اللُّطْفِ والتَّسْدِيدِ والتَّأْيِيدِ الذي يفعله الله بالمؤمنين، فيكون ترك ذلك إضلالاً ويكون الإضلالُ فعلاً حادثاً، ويحتمل أن يكون لما وجدهم ضلالاً أخبر أنه أضلَّهُمْ، كما يقال: "أجبن فلانٌ فلاناً" إذا وجده جباناً. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى: 324 هـ)، مقالات الإسلاميين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (1/ 208).

(3) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب (فإنَّ الله لا يُهْدِي مَنْ يُضِلُّ) بضم الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (فإنَّ الله لا يُهْدِي) بفتح الياء وكسر الدال. ابن مجاهد (المتوفى: 324 هـ)، السبعة في القراءات (ص: 372)، والنيسابوري (المتوفى: 381 هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 263).

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 605).

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(6) في نسخة (غ): أُدْفَع.

(7) في نسخة (غ): منذر.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: 38]

عطف على: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [النحل: 35]، إنكارٌ للبعث والمعاد بعد إنكار التوحيد، وأكدوه⁽¹⁾ بالقسم؛⁽²⁾ مبالغة في إنكاره. ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: 38] أي: بلى يبعثهم، وعداً لازماً،⁽³⁾ عليه الوفاء به؛ لأنَّ الخلف في وعده محال، أو وعداً لازماً عليه؛ لأنه مقتضى الحكمة والمصلحة. و﴿وَعْدًا﴾⁽⁴⁾ مصدرٌ مؤكدٌ لنفسه؛ لأنَّ (يَبْعَثُ)⁽⁵⁾ موعداً⁽⁶⁾ من الله. و﴿حَقًّا﴾ صفةٌ أخرى للوعد، أي: وعداً لازماً محققاً؛ أكد الرد في مقابلة تأكيدهم الإنكار. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 38] أنَّ البعث والجزاء من مقتضيات الحكمة اللازمة على الحكيم القادر مراعاته.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل: 39]

متعلق بما دلَّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾، أي: يبعثهم ليبيِّن لهم الحقَّ الذي يَخْتَلِفُونَ فيه؛⁽⁷⁾ فيميِّز⁽⁸⁾ الحقَّ من الباطل. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَهُمُ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: 39] فيما كانوا يقولون في تكذيب الرُّسل، فيميِّز⁽⁹⁾ المحقَّ من المُنْطَلِ.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]

تعليلٌ لصحة وقوع الحشر، وبيانٌ لإمكانه في مقابلة إنكارهم ذلك إنكاراً مؤكداً بالقسم. فكانهم يدعون عدم إمكانه،⁽¹⁰⁾ فأنَّبت إمكانه بأنَّ الكائنات تُوجد من كنم العدم بمحض الأمر، [وإعادتها بالأمر]⁽¹¹⁾ -

(1) في نسختي (الأصل، م): وأكدوا، وفي نسختي (ش، ض): وأكده.

(2) في نسخة (غ): ما يقسم.

(3) في نسخة (م): لأن ما.

(4) في نسخة (ض): وعدا (بدون واو العطف).

(5) في الأصل: نبعث.

(6) في نسخة (غ): بوعد.

(7) سقط من نسخة (ض).

(8) في نسختي (ش، ض): فتميِّز.

(9) في نسختي (ش، ض): فتميِّز.

(10) في نسخة (غ): إنكار.

(11) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

مع تَحَقُّقِ مادَّتِها - ليس بِأَبْعَدَ⁽¹⁾ من إيجادها من كُتْمِ الْعَدَمِ، فلا امتناع في الإعادة، كما لا امتناع في أَصْلِ الْإِيجَادِ.

﴿قَوْلَنَا﴾ مبتدأ و﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ﴾ خبر، و﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ مِنْ (كان) التامة. وقرأ (فَيَكُونُ)⁽²⁾ بالنصب عطفاً على ﴿نَقُولَ﴾، أو جواباً للأمر.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [النحل: 41]

هم رسول [الله صلى الله عليه وسلم]⁽³⁾ وأصحابه. ظَلَمَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فَقَرُّوا بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ. منهم مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَمَعَ بَيْنَ الْهَاجِرَتَيْنِ، ومنهم مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ. وقيل: هم الذين كانوا مَحْبُوسِينَ مُعَذِّبِينَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وَكُلَّمَا خَرَجُوا تَبِعُوهُمْ فَرَدُّوهُمْ، منهم: بِلَالٌ، وَصُهَيْبٌ، وَخُبَابٌ، وَعَمَّارٌ. وعن صُهَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَنَا رَجُلٌ كَبِيرٌ، إِنْ كُنْتُ مَعَكُمْ لَمْ⁽⁴⁾ أَنْفَعَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمْ أَضُرَّكُمْ،⁽⁵⁾ فَأَفْتَدَى مِنْهُمْ بِمَالِهِ وَهَاجَرَ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁶⁾ وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بعد⁽⁷⁾ الهجرة، والمشهور أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ غَيْرُ ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، كما قال البيضاوي، فَتَأَمَّلْ.

﴿هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: فِي حَقِّهِ وَلَوْجْهِهِ.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: 41]

أي: تَبَوُّؤَةً⁽⁸⁾ حسنة، وقيل معناه: لَنُنَزِّلَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنْزِلَةً حَسَنَةً؛ وَهِيَ الْعَلَبَةُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ. وقيل: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مُبَاءَةً حَسَنَةً، وَهِيَ الْمَدِينَةُ. ﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 41] أي: لو عَلِمَ

(1) في نسخ (م، ش، ض، غ): ما بعد.

(2) قراءة متواترة: قرأ ابن عامر والكسائي (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [النحل: 40] بالنصب وفي يس [آية: 82] مثله. وقرأ الباقر (فَيَكُونُ) بالرفع. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 373)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 264).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(4) في نسختي (الأصل، م): لا.

(5) في نسخة (غ): أخبركم.

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 607).

(7) في نسخة (غ): معه.

(8) في نسختي (الأصل، م): نبؤنه.

الكَفَّارُ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ لِهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لَرَّغُبُوا فِي دِينِهِمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْمُهَاجِرِينَ،
أَي: لَوْ عَلِمَ الْمُهَاجِرُونَ ذَلِكَ لَزَادُوا فِي اجْتِهَادِهِمْ وَصَبْرِهِمْ.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [النحل: 42]

فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَوْ النَّصْبِ - عَلَى الْمَذْحِ - عَلَى [مَعْنَى]:⁽¹⁾ هُمُ الَّذِينَ أَوْ أَغْنَى الَّذِينَ. ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 42] فِي مُصَابِرَتِهِمْ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، دُونَ غَيْرِهِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 43] قَالَتْ⁽²⁾ قَرِيشُ: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ
رَسُولُهُ بَشَرًا، فَقَالَ رَدًّا لَهُمْ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَلَائِكَةِ. ﴿فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أَهْلُ الْكِتَابِ، أَي: إِنْ كُنْتُمْ تَشْكُونَ فِي ذَلِكَ
فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ يُعَلِّمُوكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ إِلَّا بَشَرًا.

وَفِي⁽³⁾ تِكْرِ الرِّجَالِ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْمَرْأَةَ⁽⁴⁾ لَمْ تُرْسَلْ،⁽⁵⁾ وَكَذَا الْمَلَائِكَةُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ
رُسُلًا﴾ [فاطر: 1] لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ [لِلدَّعْوَةِ الْعَامَّةِ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ]⁽⁶⁾ رُسُلٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ.
وَقِيلَ: لَمْ يُرْسَلُوا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا مُمَثِّلِينَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ. وَهُوَ مُرَدُّدٌ بِمَا رُوي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى
جَبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ.⁽⁷⁾ وَقِيلَ: فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى وَجُوبِ الْمُرَاجَعَةِ إِلَى الْعُلَمَاءِ
فِيمَا لَا يُعْلَمُ.

(1) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ جَمِيعِ النُّسخِ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): قَالَ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): وَمِنْ.

(4) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): الْمَرَادُ.

(5) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يَرْسَلُ، وَأُثْبِتَ (تَرْسَلُ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (م).

(7) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (1/ 159) فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَابَ: مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13] بِرَقْمِ (177) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ
عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خُلُقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (6/ 141) فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَابَ: قَوْلُهُ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلِ الْعُرُوبِ﴾ [لق: 39] بِرَقْمِ (4855) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ
مَرَّتَيْنِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ (5/ 395) فِي أَبْوَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَابَ: وَمِنْ سُورَةِ النَّجْمِ بِرَقْمِ (3278) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل: 44]

بالمعجزات والكتب؛ هو ظَرْفٌ لَغَوٍ متعلقٌ بمحذوفٍ على الاستئناف، كأنه قيل: بِمِ أُرْسِلُوا؟ فقيل: أُرْسِلُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ متعلقاً بـ﴿مَا أُرْسَلْنَا﴾ داخلاً تحت حُكْمِ الاستثناء مع ﴿رِجَالًا﴾، أي: وما أُرْسَلْنَا إِلَّا رِجَالًا بِالْبَيِّنَاتِ، أو ⁽¹⁾ بـ﴿نُوحِي﴾ أي: نوحى إليهم بالبينات، أو بـ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ ⁽²⁾ على أَنَّ الشَّرْطَ لِلتَّبْكِيتِ وَالْإِلْزَامِ، كقول الأجير: ⁽³⁾ إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ ⁽⁴⁾ لَكَ فَأَعْطِنِي حَقِّي. وعلى الوجهين الأولين يكون: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اعتراضاً. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا في موقع ⁽⁵⁾ الصِّفَةِ لـ﴿رِجَالًا﴾، أي: رجالاً مُتَّبِعِينَ بِالْبَيِّنَاتِ، [أو في] ⁽⁶⁾ موقع الحال من القائم ⁽⁷⁾ مَقَامَ فاعِلِ ﴿نُوحِي﴾، ⁽⁸⁾ وهو إليهم؛ على قراءة من قرأ (يُوحَى) ⁽⁹⁾ على البناء للمجهول. وعلى هذين الاحتمالين أيضاً تكونُ جملة ﴿فَاسْأَلُوا﴾ اعتراضاً، كذا قالوا. والاعتراض كما يكون بين الكلامين، يكون بين أجزاء كلام واحد. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] الذِّكْرُ: القرآن، والمرادُ بـ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: ما أُمِرُوا به، ونُهِوا عنه، ووَعِدُوا، وأُوعِدُوا. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44] في حقائقه ومكنوناته.

الله عنها أنها قالت: «رَأَى جِبْرِيلَ، لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ». وأحمد بن حنبل في مسنده (40/ 275) نحوه عن عائشة رضي الله عنها.

(1) في نسخة (ض): و.

(2) في الأصل: يعلمون.

(3) في نسختي (الأصل، م): أخير.

(4) في نسختي (الأصل، م): حملت.

(5) في نسختي (ش، ض): موضع.

(6) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): أول، وفي نسخة (غ): أولى.

(7) في نسخة (غ): العالم.

(8) في جميع نسخ: يوحى.

(9) قراءة متواترة: قرأ حفص عن عاصم ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: 109] بالنون وكسر الحاء حيث كان. وقرأ

الباقون (يُوحَى) بالياء وفتح الحاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 373)، والنيسابوري،

(المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 248).

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 45]

تَعَجَّبُ عَنْ غَفْلَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَمْنِهِمْ عَنْ خَسْفِ الْأَرْضِ بِهِمْ، كَمَا خُسِفَ بِ(قَارُونَ)، أَوْ إِتْيَانِ الْعَذَابِ بِهِمْ بَعْتَهُ كَمَا أُوتِيَ بِقَوْمِ لُوطٍ. و(مَكْرُهُمْ): مَا فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحْتَالُوا فِي صَدِّ أَصْحَابِهِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: 46] ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ ظَرَفٌ مُسْتَقَرٌّ فِي مَوْجِعِ الْحَالِ، عَلَى مَعْنَى: مُتَقَلِّبِينَ فِي مَسَايِرِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ. ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]

أَي: مُتَخَوِّفِينَ، وَمُتَوَقِّعِينَ بِوَاسِطَةِ لُحُوقِهِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ. وَهُوَ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: 45]. وَقِيلَ: التَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ، أَي: يَأْخُذْهُمْ عَلَى أَنْ يَنْقُصَهُمْ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ⁽¹⁾ حَتَّى يَهْلِكُوا. قَالَ ⁽²⁾ زُهَيْرٌ يَصِفُ نَاقَتَهُ:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودُ النَّبْعَةِ السَّفْنُ. ⁽³⁾

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): أحوالهم.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): قاله.

(3) وَرَدَ الْبَيْتُ فِي (اللسان)، وَ(تَهْذِيبِ اللُّغَةِ) وَ(الْمَحْكَمِ وَالْمَحِيطِ الْأَعْظَمِ) مَنْسُوباً إِلَى ابْنِ مَقْبَلٍ، وَفِي الصَّاحِ، وَالتَّاجِ مَنْسُوباً إِلَى ذِي الرُّمَّةِ. وَنَسَبَهُ الْهَرَوِيُّ (الْمُتَوَفَى 401 هـ) فِي كِتَابِهِ (الْغَرِيبِينَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ) إِلَى ابْنِ مَقْبَلٍ، وَنَسَبَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى زُهَيْرٍ، وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ: "فِي نَسْخِ الصَّاحِ لِذِي الرُّمَّةِ، وَقِيلَ: لِابْنِ مَقْبَلٍ، وَأُورِدَهُ أَبُو عُدْنَانَ فِي كِتَابِ النُّبْلِ لِابْنِ الْمَزَاحِمِ الثَّمَالِيِّ، وَقَالَ: لَمْ أَجِدْهُ فِي شَعْرِ ذِي الرُّمَّةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ النَّهْدِيِّ جَاهِلِيٍّ، كَمَا وَجِدَ بَخْطَ أَبِي زَكْرِيَا."

شرح البيت: (تَخَوَّفَ) أَي: تَنَقَّصَ، (مِنْهَا) أَي: مِنَ النَّاقَةِ، وَ(التَّامِكُ): السَّنامُ، وَ(الْقَرْدُ): الَّذِي قَدْ تَجَعَّدَ وَبَرَّهَ وَانْعَقَدَتْ أَطْرَافُهُ. وَ(عُودُ النَّبْعَةِ): السَّهْمُ الْمَتَّخَذُ مِنْ سَجَرِ النَّبْعِ، وَ(السَّفْنُ): مِبْرَأَةُ الْحَدِيدِ الَّتِي تَبْرَى بِهَا السَّهَامُ، يَصِفُ الشَّاعِرُ نَاقَةً أَنْصَاها السَّفْرَ. ابْنُ مَقْبَلٍ (الْمُتَوَفَى بَعْدَ: 70 هـ)، دِيوانُ ابْنِ مَقْبَلٍ، (ص: 405)، وَذِي الرُّمَّةِ، غِيْلَانُ بْنُ عُقْبَةَ الْعَدَوِيِّ (الْمُتَوَفَى: 117 هـ)، دِيوانُ ذِي الرُّمَّةِ، تَحْقِيقُ: عَبْدُ الْقُدُّوسِ أَبُو صَالِحٍ، مُؤَسَّسَةُ الْإِيمَانِ بَيْرُوت-لُبْنَانِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، 1982 م - 1402 هـ، (3/ 1917)، وَالْأَزْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 370 هـ)، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (7/ 242)، وَالْجَوْهَرِيُّ (الْمُتَوَفَى: 393 هـ)، الصَّاحِاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَاحِاحُ الْعَرَبِيَّةِ، (4/ 1359)، وَابْنُ سَيِّدِهِ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَرْسِيِّ (الْمُتَوَفَى: 458 هـ)، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، تَحْقِيقُ: عَبْدُ الْحَمِيدِ هَنْدَاوِيُّ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، (5/ 308). وَالزَّمَخْشَرِيُّ، جَارُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ (الْمُتَوَفَى: 538 هـ)، أَساسُ الْبَلَاغَةِ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ بَاسِلُ عِيَّونُ السُّودَ، دَارُ الْكُتُبِ

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 47] حَيْثُ لَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَيُخَبِّرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: 48]

[48]

(ما) موصولة، و(من) للبيان، والهمزة للإنكار، أي: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْزَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ مُتَفَيِّئَةٌ عَنْ أَيْمَانِهَا وَشَمَائِلِهَا. جُعِلَ الْيَمِينُ مُنْقَرِدًا نَظَرًا إِلَى لَفْظِ الشَّيْءِ، وَالشَّمَائِلُ جَمْعًا⁽¹⁾ نَظَرًا إِلَى مَعْنَاهُ. وَكَذَا الْكَلَامُ فِي الضَّمِيرَيْنِ. وَ﴿سُجَّدًا﴾ حَالٌ مِنْ⁽²⁾ الظَّلَالِ. وَسُجُودُهَا انْقِيَادُهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿ظِلَالُهُ﴾؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ. وَ(الدُّخُورُ): الصَّغَارُ وَالْانْقِيَادُ، وَجَمْعُ جَمْعِ الْعُقُلَاءِ عَلَى التَّغْلِيْبِ، أَوْ لِأَنَّ (الدُّخُورَ) فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ مِنْ أَوْصَافِ الْعُقُلَاءِ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: 49]

(ما) يعمُّ العقلاء وغيرها؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ لِلْعُقُلَاءِ كَمَا يُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِهَا. وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: (وَمَنْ⁽³⁾) فِي السَّمَاوَاتِ؛ لِئَلَّا يُحْتَاجَ إِلَى تَكْلُفِ التَّغْلِيْبِ. وَالسُّجُودُ إِنْ كَانَ يُطْلَقُ لِأَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ الْمُتَبَايِنِينَ نَوْعًا، إِلَّا أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ هَهُنَا فِي مُطْلَقِ الْانْقِيَادِ عَلَى عُمُومِ الْمَجَازِ. ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 49] بَيَانٌ لـ﴿مَا﴾. وَيُنْفَعُ مِنْ كَلَامِ الْبِيضَاوِيِّ أَنَّ إِطْلَاقَ الدَّابَّةِ عَلَى (مَا فِي السَّمَاوَاتِ) عَلَى الْحَقِيقَةِ، حَيْثُ قَالَ: "لَأَنَّ الدَّيْبَ هُوَ الْحَرَكَةُ الْجِسْمَانِيَّةُ، سِوَاءَ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي سَمَاءٍ".⁽⁴⁾ لَكِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الدَّابَّةَ إِنَّمَا تُطْلَقُ بِحَسَبِ اللَّغَةِ عَلَى مَا⁽⁵⁾ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ. ﴿وَالْمَلَايِكَةُ﴾ [النحل: 49] عَطْفٌ عَلَى⁽⁶⁾ ﴿مَا﴾ الْمَوْصُولِ⁽⁷⁾؛ عَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلتَّعْظِيمِ، كَعَطْفِ جَبْرِيلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ عَلَى رَأْيٍ مَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ جِسْمَانِيَّةً.

العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م، (1/ 270)، وابن منظور (المتوفى: 711 هـ)، لسان العرب، (9/ 101)، والرِّيْدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى (المتوفى: 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (35/ 194).

(1) في نسخة (غ): بها.

(2) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(3) في نسخة (غ): من (بدون الواو).

(4) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 229).

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) سقط من نسختي (الأصل، م).

وَمَنْ جَعَلَهَا مُجَرَّدَةً، فَالْعَطْفُ عَلَى ظَاهِرِهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "وَبِهِ اخْتِجَّ⁽¹⁾ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَزْوَاجَ مُجَرَّدَةٍ."⁽²⁾ ثُمَّ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾⁽³⁾ بَيَانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ [حَيْثُ قَالَ: "أَوْ بَيَانٌ لِمَا فِي الْأَرْضِ"]⁽⁴⁾ وَالْمَلَائِكَةُ تَكْرِيرٌ لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ [وَتَعْيِينٌ].⁽⁵⁾ وَفِيهِ: أَنَّ (مَا فِي السَّمَاوَاتِ)]⁽⁶⁾ أَعْمٌ مِنَ (الْمَلَائِكَةِ)؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْكَوَاكِبِ وَالتَّذْوِيرَاتِ وَالْأَفْلَاقِ الْجُزْئِيَّةِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْمَلَائِكَةُ تَكْرِيرًا وَتَعْيِينًا لَهُ؟ بَلْ يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَالْاحْتِمَالِ الْأَوَّلِ. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 49] عَنْ عِبَادَتِهِ.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]

اسْتِثْنَاءٌ؛ لِبَيَانِ عَدَمِ اسْتِكْبَارِهِمْ، أَوْ حَالٍ عَنْ فَاعِلٍ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. وَ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ مَتَعَلِّقٌ بِ﴿يَخَافُونَ﴾ أَي: [7] يَخَافُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِهِمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا فِي مَوْقِعِ الْحَالِ عَنْ ﴿رَبَّهُمْ﴾، أَي: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَهُوَ فَوْقَهُمْ بِالْقَهْرِ، [وَهُوَ]⁽⁸⁾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 61].

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50]

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَكْلُفُونَ مُدَارُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، كَسَائِرِ الْمُكْلَفِينَ، وَأَنْتَهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ."⁽⁹⁾ وَفِيهِ تَأْمُلٌ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثُبُوتُ هَذِهِ الْحَالَةِ لَهُمْ مِنْ عِلْمِهِمْ بِعَجْزِهِمِ اللَّازِمِ لِإِمْكَانِهِمْ، مَعَ مَشَاهِدَتِهِمْ قُدْرَةَ الْوَاجِبِ وَاسْتِحْقَاقَهُ لِأَنْ يُعْبَدَ. وَنَحْوُهُ:

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): أَصَح.

(2) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 229).

(3) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(4) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(5) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 229).

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(7) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (الأصل، م).

(8) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخِ (الأصل، م، ش، غ).

(9) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 610).

«نَعَمْ الْعَبْدُ صُهِيبٌ»⁽¹⁾ لو لم يَخَفِ اللهُ لم يَعِصِهِ⁽²⁾». ⁽³⁾ ولا يَلَزِمُ من كونهم مأمورين أن يتعلّق بهم وعدّ ووعيد كسائر المكلفين، والله أعلم.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: 51]

قيل عليه: إنَّ ذِكْرَ الْعَدَدِ مع المعدود إنّما يُحتاج فيما فوق الإِثْنَيْنِ؛ لأنَّ المعدود هنا لا يدلُّ على الْعَدَدِ الْخَاصِّ، بخلاف الواحد والاثني، فإنَّهما لدلالتهما على الْعَدَدِ الْخَاصِّ لا يُحتاج⁽⁴⁾ فيهما إلى ذِكْرِ الْعَدَدِ. وأُجِيبَ عنه بأنَّ الإِسْمَ الْحَامِلَ لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ⁽⁵⁾ على الشَّيْئَيْنِ، على الْجِنْسِيَّةِ وَالْعَدَدِ

(1) هو الصحابي الجليل صهيب بن سنان المعروف بـ(صهيب الرومي) من السابقين الأولين إلى الإسلام، توفي سنة ثمان وثلاثين، ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1992 م، (1/ 264)، وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م، (2/ 726)، والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ، (3/ 364).

(2) في نسخة (غ): يقضه.

(3) **حديث موضوع:** قال السيوطي في تدريب الراوي: وَمِثَالُ الْمَشْهُورِ عِنْدَ النَّحَاةِ: «نَعَمْ الْعَبْدُ صُهِيبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللهُ لَمْ يَعِصِهِ». قَالَ الْعِرَاقِيُّ وَغَيْرُهُ: لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَا يُوجَدُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ. وقال القاري في المصنوع: لَا أَصْلَ لَهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْحَقَّاطُ. وقال ابن كثير: فأما قول عمر رضي الله عنه في صهيب بن سنان الرومي: "نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه" فهو مشهور عنه، ولم أره إلى الآن بإسناد عنه. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: 774هـ)، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: عبد المعطي قلججي، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م، (2/ 681) والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، (2/ 624)، والقاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (المتوفى: 1014هـ)، المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1398 هـ، (ص: 202)، ينظر أيضا: العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: 1162هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (2/ 391).

والمراد من هذا الكلام: أن عدم العصيان ثابت على كل حال؛ لأنه على تقدير عدم الخوف ثابت، فعلى تقدير الخوف أولى. ينظر: النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (1/ 178).

(4) في جميع النسخ: احتياج، وأثبت (يُحتاج) لأنه أصح.

(5) في نسخة (غ): وإلى.

المخصوص، فإذا أُريدت الدلالة على أَنَّ المقصود به⁽¹⁾ هو العَدَدُ شُفِعَ بما يُؤكِّدُهُ، فدلَّ به على القَصْدِ إليه. ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: 51] لِيَدُلَّ على أَنَّ المقصودَ إثباتُ الوَحْدَانِيَّةِ، دونَ جِنْسِ الإِلَهِيَّةِ. وفيه فائدةٌ أُخرى هي: الإشعارُ بأنَّ الوَحْدَةَ من لوازمِ الإِلَهِيَّةِ. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: 51] انْتَفَتْ إلى الحكاية؛ لأنَّه أبلغُ في الترهيبِ، أو لِيَكُونَ تصريحاً بالمقصودِ، كأنَّه⁽²⁾ قال: فأنا⁽³⁾ ذلك الإلهُ الواحدُ، فَإِيَّايَ فارهبونَ دونَ غيري. وقد سَبَقَ تحقيقُ هذا التَّرْكِيبِ وإفادتهِ الاختصاصَ في سورة البقرة في قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]، فَتَذَكَّرْ.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: 52]

الدِّينُ: الطَّاعَةُ، و﴿وَاصِبًا﴾ نَصَبٌ على التَّمْيِيزِ، أي: وله الطَّاعَةُ لازماً وواجباً. ويجوزُ أن يكونَ نَصَباً على الحالِ من (الوَاصِبِ) بمعنى: الكُفَّةِ، أي: وله الطَّاعَةُ ذا كُفَّةٍ وَمَشَقَّةٍ. ولذلك سُمِّيَ تَكْلِيفاً. ويجوزُ أن يكونَ الدِّينُ بمعنى الجزاءِ أي: وله الجزاءُ لازماً بمقتضى الوَعْدِ. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: 52] ولا إلهَ غيره.

﴿وَمَا يَكُفُّ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّكَ إِلَهُ﴾ [النحل: 53]

(الباءُ) لِلإِلْصَاقِ، أي: وأيُّ شيءٍ انْصَلَّ⁽⁴⁾ بكم فَمِنْ اللَّهِ، و(الفاءُ) جَزَائِيَّةٌ؛ لأنَّ (ما) شرطِيَّةٌ، أو موصولةٌ فيها معنى الشَّرْطِ والسَّبَبِيَّةِ، باعتبارِ⁽⁵⁾ الإخبارِ لا باعتبارِ الحصولِ؛ لأنَّ اتِّصَالَ النِّعْمَةِ بهم ليس سَبَباً لِحُصُولِهَا⁽⁶⁾ من الله، بل هي عِلَّةٌ مُصَحِّحَةٌ لِلإِخْبَارِ⁽⁷⁾ بأنَّها من الله. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ [النحل: 53] دونَ غيره. والجَوَّارُ: رَفَعُ الصَّوْتِ في الدُّعَاءِ والاستغاثةِ.

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) في نسخ (ش): فَإِنَّهُ.

(3) في نسخة (ش): فأما.

(4) في نسخة (غ): أَفْضَلَ.

(5) في نسختي (الأصل، م): بمعنى.

(6) في نسختي (الأصل، م): بحصولها.

(7) في نسخة (غ): لإخبار.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 54]

(إذا) الثَّانِيَةُ لِلْمُفَاجَأَةِ، قائمة مقام الفاء اللازمة للجزاء إذا كانت جملة اسمية. و﴿مِنْكُمْ﴾ للتَّبَعِيضِ⁽¹⁾ إذا كان الخطاب عاماً، وللتَّبَيُّينِ إذا كان الخطاب للمشركين. كأنه قال: إذا فريق -وهو أنتم- برَّبِّهم يُشْرِكُونَ. ويجوز أن يكون للتَّبَعِيضِ على الاحتمال الثاني أيضاً؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ مَنْ اعْتَبَرَ بِجَوَارِهِ⁽²⁾ إليه وَتَرَكَ الشِّرْكَ. وتقديم ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ ليس لِقَصْدِ الْقَصْرِ، بل للمحافظة على رؤوس الآي.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [النحل: 55] من نعمة الكشف عنهم، ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 55] تهديدٌ ووعيدٌ، والأمر⁽³⁾ أمرٌ تهديدٌ، أو تَخْلِيَةٌ وَخِذْلَانٍ. وَقُرِئَ (فَتَمَتَّعُوا) على البناء للمفعول⁽⁴⁾ عَطْفًا على ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، أو جوابٌ له، على أَنَّ (اللام) لامُ الأمر؛ للتهديد والتخليّة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: 56]

أي: ويجعلون لآلهتهم نصيباً مما رزقناهم من الأنعام والزروع. وضمير ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لـ(مَا)⁽⁵⁾ باعتبار المعنى، أي: (6) لآلهتهم التي لا علم لها، أو لـ(هُمْ) على حذف العائد، أي: لما لا يعلمونها، فإنهم يعتقدون فيها أنها تضر وتنفع. وحققتها أنها لا تضر ولا تنفع، فلا يعلمون حقيقتها. ﴿تَاللَّهِ لَنُؤَسِّلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تُفْتَرُونَ﴾ [النحل: 56] من إسناد الإلهية إليها، وهو وعيدٌ لهم.

(1) في نسختي (الأصل، م): للتبيين.

(2) في الأصل: بجواره.

(3) في نسخة (غ): الأمر (بدون الواو).

(4) قراءة شاذة: (يُمَتَّعُوا) بضم الياء، منسوبة إلى أبي العالية، ومروية عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم في مختصر ابن خالويه، وفي المحتسب: مكحول عن أبي رافع، قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَيَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 77)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2/ 11).

(5) في نسختي (الأصل، م): لا.

(6) في نسخة (ض): أو.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57]

من البنين. و﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ في محلِّ الرِّفْعِ على الابتداء، أو⁽¹⁾ في محلِّ النَّصْبِ بالعطفِ على البناتِ، أي: يَجْعَلُونَ⁽²⁾ لله البناتِ حيثُ يقولون: ⁽³⁾ الملائكةُ بناتُ الله، ويجعلون لأنفسِهِم البنينَ غيرَ راضينَ بالبناتِ؛ على أَنَّ الجَعْلَ بمعنى الاختيارِ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: 58]

من الكآبة والحياءِ من الناسِ. و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى صَارَ. وجَوَّزَ صاحبُ الكشافِ أن يكونَ (ظَلَّ) على أصلِ معناه، حيث قال: "يجوزُ أن يجيءَ ظَلَّ؛ لأنَّ أكثرَ الوُضْعِ يَتَّقُ بِاللَّيْلِ، فَيَظُلُّ نَهَارُهُ مُرَبِّدًا الْوَجْهَ من الكآبة والحياءِ." ⁽⁴⁾ والتَّرَبُّدُ تَغَيُّرُ لَوْنٍ ⁽⁵⁾ الْوَجْهِ بِلَوْنٍ ⁽⁶⁾ مُكَدِّرٍ. و(اسْوَدَّادُ الْوَجْهِ): كنايةٌ عن الاغتمام والتَّشْوِيرِ. ⁽⁷⁾ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: 58] مملوءٌ غَيْظًا.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ [النحل: 59]

التَّوَارِي: الاسْتِحْقَاءُ. ﴿أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59] يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بين الأمرينِ، أي: في أن يتركه على هُونٍ وَذُلٍّ، أو يَدُسُّهُ وَيُخْفِيهِ فِي التُّرَابِ. وتذكيرُ الضَّميرِ باعتبارِ لفظِ (ما). وقرئ بالتَّأْنِيثِ فيهما ⁽⁸⁾ نَظَرًا إِلَى المعنى. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 59] حيثُ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الْمُتَعَالِ وَيَخْتَارُونَ لَهُ مَا لَا يَخْتَارُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ.

(1) في نسخة (غ): و.

(2) في الأصل: تجعلون.

(3) في الأصل: تقولون.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 612).

(5) في نسختي (الأصل، م): اللون.

(6) في نسخة (غ): يكون.

(7) والتَّشْوِيرُ: التَّخْجِيلُ، شُورْتُ بفلان، وتشوَّر فلان. والتَّشْوِيرُ: الدابة، كيف مشوارها، أي: كيف سيرتها. الفراهيدي (المتوفى: 170هـ)، العين، (6/ 281).

(8) قراءة شاذة: (أَيْمُسِكُهَا عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهَا) منسوبة إلى الجحدري في مختصر ابن خالويه، وتفسر ابن عطية، وتفسير أبي حيان. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 77)، وابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، (3/ 402)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 549).

﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60]

تقرير وتأكيد لما يفهم من قوله: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة السوء، وهي الحاجة⁽¹⁾ إلى الأولاد الذكور [وكرهه الإناث]⁽²⁾ وسائر الصفات الإمكانية المبنية على الاحتياج. و﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الواجب الذاتي وما يترتب عليه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60] الغالب الذي تنحصر⁽³⁾ فيه الحكمة الكاملة والقدرة الشاملة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: 61]

ما بقي⁽⁴⁾ على وجه الأرض دابة؛ لشؤم كفرهم ومعاصيهم. والصمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض المفهوم من الكلام؛ لأن الناس والدابة يدلان عليها. و(الدابة): مطلق الدابة على ما روي عن ابن مسعود⁽⁵⁾ رضي الله عنه أنه قال: كَادَ الْجَعْلُ⁽⁶⁾ أَنْ يَهْلِكَ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ⁽⁷⁾ ابْنِ آدَمَ. ⁽⁸⁾ وقيل: المراد دابة ظالمة. وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء. ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: 61] لحكمة ومصلحة كالتوالد⁽⁹⁾ ونحوه. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61] بَلْ هَلَكُوا.

(1) في نسختي (الأصل، م): إلحافه.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض)، وفي نسخة (غ): ذكر آية الإناث.

(3) في جميع النسخ (ينحصر) وأثبت (تنحصر) لأنه أصح.

(4) في نسخة (غ): نفى.

(5) في نسخة (غ): سعيد.

(6) الجعل: دويبة سوداء من هوام الأرض، تكون في المواضع النديّة. الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، العين (1/

229)، والزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، (28/ 210).

(7) في نسخة (غ): يترتب.

(8) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات والطبري في تفسيره من طريق أبي معاوية به. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي (المتوفى: 281هـ)، العقوبات، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م، (ص: 180)، والطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 231).

(9) في نسخة (غ): كالتولد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: 62]

لأنفسهم، كالبَنَاتِ والشُّرَكَاءِ فِي الرَّئَاسَةِ. وَ(جَعَلَهُمْ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ): أَنْ يَجْعَلُوهُ لِأَصْنَامِهِمْ مِنْ (1) أَرَادِلِ أَمْوَالِهِمْ. (2) ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: 62] وهو: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [النحل: 62] أي: عِنْدَ اللَّهِ، [أي: مَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى عِنْدَ اللَّهِ.] (3) ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ [النحل: 62] لِكُفْرِهِمْ وَكَذِبِهِمْ، لَا الْحُسْنَى الَّتِي هُيِّنَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ. ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: 62] مُقَدَّمُونَ (4) إِلَى النَّارِ، مِنْ (الْإِفْرَاطِ) بِمَعْنَى: التَّقْدِيمِ. يُقَالُ: أَفْرَطْتُهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، بِمَعْنَى: قَدَّمْتُهُ. وَقُرِئَ (مُفْرَطُونَ) (5) بِكَسْرِ الرَّاءِ مِنْ الْإِفْرَاطِ فِي الطَّاعَةِ. وَقُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ مَفْتُوحاً وَمَكْسوراً مِنَ التَّقْرِيطِ، بِمَعْنَى: التَّقْدِيمِ وَالتَّقْرِيطِ فِي الطَّاعَةِ. وَقِيلَ: مَنْسِيُونَ مَثْرُوكُونَ، مِنْ: أَفْرَطْتُ فَلَاناً خَلْفِي، إِذَا خَلَفْتُهُ وَنَسِيتُهُ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. (6)

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النحل: 63]

فَأَصْرُوا فِي الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي. ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ [النحل: 63] حِكَايَةُ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي كَانَ الشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ زَمَانُ الدُّنْيَا، كَأَنَّهُ قَالَ: فَهُوَ وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةُ الْحَالِ الْآتِيَةِ وَهِيَ: حَالُ كَوْنِهِمْ مُعَذِّبِينَ فِي النَّارِ، عَلَى مَعْنَى فَهُوَ نَاصِرُهُمُ الْيَوْمَ لَا نَاصِرَ (7) لَهُمْ غَيْرُهُ. وَالْمَرَادُ نَفْيُ مُطْلَقِ النَّاصِرِ (8) لَهُمْ.

(1) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): فِي.

(2) يَعْنِي: يَجْعَلُونَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِلْأَصْنَامِ مَعَ ظَنِّهِمْ أَنَّ الْأَصْنَامَ آلِهَةٌ.

(3) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (غ).

(4) فِي نَسَخَةِ (غ): مُعَذِّبُونَ.

(5) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: 62] (مُفْرَطُونَ) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَقَتِيْبَةُ عَنِ الْكَسَائِيِّ، (وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) سَاكِنَةً الْفَاءَ خَفِيفَةً الرَّاءَ مَكْسُورَةً. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (مُفْرَطُونَ) مَفْتُوحَةً الرَّاءَ خَفِيفَةً. ابْنُ مَجَاهِدٍ (الْمَتَوَفَى: 324هـ)، السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 374)، وَالنِّيسَابُورِيُّ، (الْمَتَوَفَى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَ، (ص: 264)، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ (الْمَتَوَفَى: 833هـ)، النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَ، (2/ 304).

(6) يَنْظُرُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 614).

(7) فِي نَسَخَةِ (غ): تَأْخِيرُ.

(8) فِي نَسَخَةِ (غ): تَأْخِيرُ.

وجوز البيضاوي أن يكون ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة، حيث قال: "أو يوم القيامة على أنه حكاية حال آتية".⁽¹⁾ وفيه: أنه إذا كان (اليوم) يوم القيامة، فأى حاجة إلى أن يجعل حكاية [حال آتية؟]⁽²⁾ لم لا يجوز أن يكون المراد نفي مطلق الناصر⁽³⁾ لهم يوم القيامة؟ كما قيل: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48] قال صاحب الكشاف: "ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم، فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم"⁽⁴⁾.⁽⁵⁾

ولا يخفى ما فيه من تفكيك الضمير، إلا أن يجعل نكر (اليوم) قرينة عليه. ويجوز أن يكون على تقدير مضاف، أي: فهو ولي أمثالهم، فعلى هذا يكون ﴿الْيَوْمَ﴾ على⁽⁶⁾ ظاهره بلا تكلف وتفكيك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 63] في الآخرة. أثبت مقارنة الشيطان في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، أو أثبت لهم في الآخرة عدم النصرة والعذاب الأليم معاً.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 64]

من التوحيد وأحوال الحشر. والبيضاوي عمم في الموصول، بحيث يشمل أحكام الأفعال، وهو محل تأمل؛ لأن (الكتاب) لو كان يبين⁽⁷⁾ به الذي اختلف فيه من الأعمال لما كان الاختلاف في الاجتهادات صحيحاً، ولما كان اختلاف الأمة رحمة. كيف والقرآن نزل لرفع الاختلاف المطلق على تفسيره! ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64] عطف على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، والفرق أن (التبيين) ليس فعلاً لفاعل الفعل المعلل ليقبل النصب بتقدير اللام، بخلاف (هدى) و(رحمة).

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 231).

(2) بين المعقوفتين في نسخة (غ): قال الله.

(3) في نسخة (غ): التأخير.

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) الزمخشري، الكشاف، (2/ 614).

(6) سقط من نسخة (غ).

(7) في نسخة (غ): تبين.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [النحل: 65]

نوع تفصيل لما أُجْمِلَ في قوله: ﴿إِلَّا لِنُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، وفيه: دلالة على صحة الحشر، وإليه أشار بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: 65] أي: سماع تدبّر وإنصاف، كأن غير المنصف المدبّر أصم لا يسمع.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: 66]

دليل آخر على صحة الحشر، وعلى قدرته التامة اللازمة⁽¹⁾ للأنهية. ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: 66] استئناف؛ لبيان العبرة. وأُفْرِدَ ضمير الأنعام؛ لأنه مفرد اسم جمع، على ما ذكره سيبويه في الأسماء المفردة الواردة على "أفعال".⁽²⁾ وأما تَأْنِيثُ ضميرها ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: 21] في سورة المؤمنين، فباعتبار المعنى. قال صاحب الكشاف: "يجوز أن يقال: في الأنعام وجهان؛ أحدهما: أن يكون تَكْسِيرِ⁽³⁾ (نَعَم)، كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع ك(نَعَم)."⁽⁴⁾ وهو تجويز⁽⁵⁾ لكونه جمعاً ومفرداً. قال البيضاوي: "ومن قال: إِنَّهُ جَمْعٌ (نَعَم) جَعَلَ الضمير للبعض؛ فإن اللبن لبعضها دون جميعها، أو⁽⁶⁾ لواحد،⁽⁷⁾ أو له على المعنى، فإن المراد به الجنس."⁽⁸⁾ ولا يخفى أن هذه التكلفات إنما احتيج إليها عند [من لم]⁽⁹⁾ يجوز مجيئها مفرداً. والظاهر: أنه لم يذهب إليه أحد، وإنما جَوَزُوا مجيئها جمعاً ومفرداً. فعلى هذا لا حاجة إلى ارتكاب تكلف، كما لا يخفى.

(1) في نسخة (ش): لازمة.

(2) ينظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، (3/ 230).

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): بكسر.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 615).

(5) في نسختي (الأصل، م): تحديداً، وفي نسخة (غ): يجوز.

(6) في نسخة (غ): إذا.

(7) في نسختي (الأصل، م): الواحدة.

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 232).

(9) في نسخة (غ): في ما.

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: 66] تحقيقه: أَنَّ لكلِّ واحدٍ من الفَرْثِ والدَّمِ واللَّبَنِ مَوْضِعٌ؛ والفَرْثُ في الكَرْشِ، والدَّمُ في العُرُوقِ، واللَّبَنُ في الضَّرُوعِ. وفي تلك المواضعِ مَنَافِذُ تَتَّصِلُ⁽¹⁾ بعضها ببعضٍ. وفي اللَّبَنِ مَائِيَّةٌ تَقْتَضِي النُّزُولَ إلى ما تَحْتَهُ بالطَّبْعِ، وكذا في الدَّمِ، فَيَلْزَمُ أَنْ تكونَ الثلاثةُ المذكورةُ مختلطةً في الجَوْفِ مُتَّصِلَةً بعضها ببعضٍ، فخروجُ اللَّبَنِ من بَيْنِ الفَرْثِ والدَّمِ خَالِصاً⁽²⁾ إِنَّمَا⁽³⁾ يكونُ بتقديرِ⁽⁴⁾ العليمِ الحكيمِ؛ بَأَنْ يَمْنَعَ الدَّمُ واللَّبَنُ من النُّزُولِ والخروجِ من⁽⁵⁾ المنافذِ مُتَّصِلًا بعضها ببعضٍ بالاحتضاءِ الطَّبِيعِيِّ. وإليه يُؤَوَّلُ ما رُوِيَ عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قال: "إِنَّ البَهِيمَةَ إِذَا⁽⁶⁾ اعْتَلاَّتْ وَابْتَلَعَ العَلْفُ في كَرْشِهَا كانَ أَسْفَلُهُ فَرْثًا، وَأَوْسَطُهُ لَبَنًا، وَأَعْلَاهُ دَمًا".⁽⁷⁾ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ من (الكَرْشِ) مطلقُ الجَوْفِ بحيثُ يَشْمَلُ الكَرْشَ وما يَتَّصِلُ به يَتَحَقَّقُ⁽⁸⁾ المنافذِ بَيْنَهُمَا.

(1) في نسخة (ش): متصل.

(2) سقط من نسخة (ض).

(3) في نسختي (الأصل، م): وإِنَّمَا.

(4) في نسخ (الأصل، م، ش): تقديره، وفي نسخة (غ): يقدره.

(5) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(6) في نسختي (الأصل، م): إن.

(7) الأثر في تفسير السمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي عن ابن عباس في رواية أبي صالح: «إن الدابة تأكل العلف... ينظر: السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، بحر العلوم، (2/ 280)، والواحدي (المتوفى: 468هـ)، التفسير البسيط، (13/ 113)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 568)، وقال الألوسي: "وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن البهيمَةَ إِذَا اعتَلَتْ وأنضج العلف في كرشها كان أسفلها فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً". الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني، (7/ 416).

والذي تبين أن هذا الأثر برواية الكلبي عن أبي صالح، وهو متهَم بالكذب، وثابت قول أبي صالح للكلبي فيما أخبره البخاري حيث قال الكلبي: فَقَالَ لي أَبُو صَالِحٍ: كل شيء حدثك فهو كذب، وفيما أسنده ابن حبان وابن عدي إلى سفيان الثوري أنه قال: قال لي الكلبي ما سمعته مني عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب. ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (المتوفى: 256هـ)، التاريخ الأوسط، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397 - 1977، (2/ 55)، وابن عدي (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، (2/ 255)، وابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى، 1396هـ، (2/ 254).

(8) في نسختي (الأصل، م): يتحقق.

قال البيضاوي في توجيه قول ابن عباس: "ولعله إن صحَّ فالمراد أن أوسطه يكون⁽¹⁾ مادة اللبن، وأعلاه مادة الدَّم الذي يُعَذِّي البدن؛ لأنَّهما لا يتكوَّنان في الكرش".
وفيه: أنه على هذا التوجيه لا يبقى للآية كثير دلالة على قدرته الكاملة، والمقصود ذلك، كما لا يخفى.

ثم قال في تفسير القرطبي: "وهو الأشياء المأكولة المنهضة بعض الانهضام في الكرش".⁽²⁾ وفيه أن مراتب الهضم أربع: أولها: في المعدة، وثانيها: في الكبد، وثالثها: في العروق، ورابعها: في الأعضاء. وليس في الكرش هضم أصلاً، كما حقق في موضعه. وإن أراد بـ(الكرش) ما يشمل المعدة، فما المانع من حمل عبارة ابن عباس عليه لئلا يلزم عليه ما لزم؟ فتدبر.

(من) الثانية ابتدائية متعلقة بـ(نسي)، أو بمقدّر في موضع الحال من ﴿لَبَنًا﴾، فُدمت عليه لتكثيره، والأولى تبعيضية. ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66] سهل المرور في حلقهم. وقرأ (سَيَّغًا) بالتشديد⁽³⁾ والتخفيف⁽⁴⁾ كـ(هَيِّن) و(هَيِّنِ) و(لَيِّن) و(لَيِّنِ).

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: 67]

أي: ﴿مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ ظرف لغو متعلق بمحذوف تقديره: ونُسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرهما،⁽⁵⁾ ولا يجوز أن يكون معطوفاً [على قوله]:⁽⁶⁾ ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾؛ لأنه يلزم حينئذ أن يكون داخلاً في حكم الإسقاء المذكور، أي:⁽⁷⁾ تعلقه باللبن الخالص، وليس كذلك.

(1) في الأصل تكون.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 232).

(3) قراءة شاذة: (سَيَّغًا) بتشديد الياء منسوبة إلى فرقة في البحر المحيط، والمحمر الوجيز، ابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحمر الوجيز، (3/ 405)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 557).

(4) قراءة شاذة: (سَيَّغًا) بالتخفيف، منسوبة إلى عيسى الثقفي في المحتسب، وإلى عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه والبحر المحيط. ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 77)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (6/ 557).

(5) في نسخة (ض): عصيرها، وفي نسخة (غ): عنصرهما.

(6) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): بقوله.

(7) في نسخة (غ): إن.

و﴿تَتَّخِذُونَ﴾ استئناف لبيان الإسقاء. و(السَّكْرُ) في الأصل مصدر، يُقال: سَكَرَ سُكْرًا وَسَكَرًا نَحْوُ: (1)
رَشَدَ رُشْدًا وَرَشَدًا، سُمِّيَ بِهِ الْخَمْرُ. وَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْهُ﴾ (لِلْعَصْرِ) الْمَحذُوفِ، أَوْ (لِلثَّمَرَاتِ) عَلَى إِرَادَةِ
الْجِنْسِ.

وَجُوزُوا أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ متعلقًا بقوله: [﴿تَتَّخِذُونَ﴾ وَيَكُونَ ﴿مِنْهُ﴾ تَكْرِيرًا لِلتَّكْثِيرِ،
نَحْوُ قَوْلِكَ: "زَيْدٌ فِي الدَّارِ فِيهَا". وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا مُسْتَقَرًّا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ عَنْ مَحذُوفٍ صِفَتُهُ: (2)
﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ عَلَى تَقْدِيرٍ: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ثَمَرٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا. ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾
[النحل: 67] كَالذَّبْسِ وَالْخَلِّ، عَلَى الْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ. أَوْ كَالثَّمَرِ وَالزَّبِيبِ، عَلَى الْإِحْتِمَالَيْنِ الْآخِرَيْنِ. وَالْآيَةُ
مَنْسُوخَةٌ، أَوْ جَامِعَةٌ بَيْنَ الْعِتَابِ وَالْمِنَّةِ. وَقِيلَ: السَّكْرُ النَّبِيدُ وَهُوَ عَصِيرُ الْعِنَبِ وَالزَّبِيبِ وَالثَّمَرِ؛ إِذَا طُبِخَ
يَذْهَبُ ثُلُثَاهُ، ثُمَّ يُتْرَكُ (3) حَتَّى يَشْتَدَّ. وَهُوَ حَلَالٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى حَدِّ السَّكْرِ، (4) وَيَحْتَجُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ، كَذَا
فِي الْكَشَافِ. (5)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 67] فَإِنَّ مَنْ يَسْتَعْمَلُ عَقْلَهُ وَيَتَأَمَّلُ فِي مَضْمُونِ الْآيَةِ يَظْهَرُ
عَلَيْهِ: صَحَّةُ الْحَشْرِ، وَقَدْرَتُهُ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَحُكْمَتُهُ الْكَامِلَةُ لِلْإِزْمَةِ لِلْجُوبِ الدَّائِي الَّذِي يَقْتَضِي (6)
الْوَحْدَانِيَّةَ.

(1) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): وَنَحْوِ.

(2) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (ض).

(3) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: يَدْرِكُ.

(4) قَالَ ابْنُ رَشْدٍ الْحَفِيدُ فِي بَدَايَةِ الْمَجْتَهِدِ: وَأَمَّا الْأُنْبُدَةُ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقَلِيلِ مِنْهَا الَّذِي لَا يُسَكَّرُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ
الْمُسَكَّرَ مِنْهَا حَرَامٌ، فَقَالَ جُمْهُورُ فَقَهَاءِ الْحِجَازِ وَجُمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ: قَلِيلُ الْأُنْبُدَةِ وَكَثِيرُهَا الْمُسَكَّرُ حَرَامٌ. وَقَالَ الْعِرَاقِيُّونَ
إِبْرَاهِيمُ النَّحْعِيُّ مِنَ التَّابِعِينَ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَشَرِيكٌ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَأَبُو حَنِيفَةَ وَسَائِرُ فَقَهَاءِ الْكُوفِيِّينَ وَأَكْثَرُ
عُلَمَاءِ الْبَصَرِيِّينَ: إِنَّ الْمَحَرَّمَ مِنْ سَائِرِ الْأُنْبُدَةِ الْمُسَكَّرَةِ هُوَ السَّكْرُ نَفْسُهُ لَا الْعَيْنُ. ابْنُ رَشْدٍ الْحَفِيدِ، أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَشْدٍ الْقُرْطُبِيِّ (الْمُتَوَفَى: 595هـ)، بَدَايَةُ الْمَجْتَهِدِ وَنَهَايَةُ الْمَقْتَصِدِ، دَارُ الْحَدِيثِ - الْقَاهِرَةُ،
1425هـ - 2004 م، (3/ 23).

(5) يَنْظُرُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 617).

(6) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): تَقْتَضِي.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي﴾ [النحل: 68]

(النَّحْلُ) مذكَّرٌ أُريدَ به الجنس¹ بشهادة تأنيث ضميره في ﴿اتَّخِذِي﴾. و(أَنَّ) مفسرة؛ لأنَّ في الإيحاء⁽²⁾ معنى القول، أو مصدريةً، على تقدير: بِأَنَّ اتَّخِذِي. وفيه دلالة على أَنَّ (الوحي) لا يُعتبر في مفهومه "وَسَاطَةُ الْمَلِكِ".³ ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68] (مِنْ) للتبعيض، أي: اتَّخِذِي بعضَ الجبال، وبعضَ الشَّجرِ، وبعضَ ما يَعْرِشُهُ الإنسانُ من السُّقْفِ وَالكَرْمِ بُيُوتًا. وشُبَّهَ ما يَبْنِيهِ لِيُعَسِّلَ فِيهِ بما يَبْنِيهِ الإنسانُ لِيَبِيتَ فِيهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حُسْنِ الصَّنْعَةِ، وَصِحَّةِ الْقِسْمَةِ الَّتِي يَتَحَيَّرُ فِيهَا الْمُهَنْدِسُونَ، أَوْ بِمَا يَبْنِيهِ لِحِفْظِ الْحَوَائِجِ وَضَبْطِهَا. وَقُرِئَ (بُيُوتًا) بكسر الباء للياء،⁽⁴⁾ وَقُرِئَ (يَعْرِشُونَ) بضمِّ الرَّاءِ.⁽⁵⁾

¹ النَّحْلُ: اسمُ جنسٍ جَمْعِيٍّ واحدُه: النَّحْلَةُ، ينظر: الفراهيدي (المتوفى: 170هـ)، العين (3/ 231)، وابن دريد (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، (1/ 569)، والأزهري (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، (5/ 42).

⁽²⁾ في نسخ (الأصل، م، ض): الاتخاذ.

³ يعني أَنَّ الوحي هنا ليس بمعناه الاصطلاحي المعروف بإعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. سعيد، محمد رأفت، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء - المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002 م، (ص: 11).

⁽⁴⁾ أي: لأجل الياء. قراءة متواترة: قرأ نافع في رواية قالون، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وحمزة، والكسائي، وخلف (بُيُوتًا) بالكسر كل القرآن، وورش، وحفص، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بالضم. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 144)، وابن الجزري، (المتوفى: 833هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، (ص: 302)، الدمياطي (المتوفى: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، (ص: 200).

⁽⁵⁾ قراءة متواترة: قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، (يَعْرِشُونَ) بضمِّ الرَّاءِ وفي الأعراف مثله. وقرأ الباقر (يَعْرِشُونَ) بكسر الرَّاءِ. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 374)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 214).

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: 69]

ما تَشْتَهِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُرَبَّيْنِ وَخُلُقَيْنِ. ﴿فَاسْأَلِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: 69] أي: فاسألِي الطُّرُقَ⁽¹⁾ التي أَلْهَمَكَ فِي عَمَلِ الْعَسَلِ، أو⁽²⁾ فاسألِي رَاجِعَةً إِلَى بُيُوتِكَ سُبُلَ⁽³⁾ رَبِّكِ التي لَا تَتَوَعَّرُ عَلَيْكَ، وَلَا تَضِلَّيْنِ⁽⁴⁾ فِيهَا.

قال صاحبُ الكَشَافِ: "أو فاسألِي ما أَكَلْتَ فِي⁽⁵⁾ سُبُلِ⁽⁶⁾ رَبِّكِ، أي: مَسَالِكِهِ التي يُحِيلُ فِيهَا بِقُدْرَتِهِ النُّورَ الْمُرَّ عَسَلًا مِنْ أَجْوَافِكَ وَمَنَافِذِ مَآكِلِكَ."⁽⁷⁾ الظَّاهِرُ أَنَّهُ جَعَلَ (السُّبُلَ)⁽⁸⁾ مَفْعُولًا فِيهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَكَانَ الْمُعَيَّنَ لَا يَقْبَلُ النَّصَبَ بِتَقْدِيرِ (فِي)، فَلَا⁽⁹⁾ يَصِحُّ جَعْلُهُ مَفْعُولًا فِيهِ، وَتَقْدِيرُ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلْفِعْلِ؛ لِمَنْعِ⁽¹⁰⁾ اعْتِبَارِهِ مَفْعُولًا [فِيهِ].⁽¹¹⁾

و ﴿ذُلُلًا﴾ حَالٌ عَنِ السُّبُلِ⁽¹²⁾ جَمْعُ ذُلُولٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: ⁽¹³⁾ مُذَلَّلَةً وَمُسَهَّلَةً لَكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا عَنْ فَاعِلٍ ﴿فَاسْأَلِي﴾، وَجَمْعِيَّتُهُ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [النحل: 69] يَعْنِي: الْعَسَلُ. انْتَقَتْ إِلَى الْغَيْبَةِ خِطَابًا⁽¹⁴⁾ لِلْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ الْإِمْتِنَانِ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَنْكَرَ حَصُولَ الْعَسَلِ [فِي قِيءٍ]⁽¹⁵⁾ النَّحْلِ فَسَرَّ الْبُطُونَ بِالْأَفْوَاهِ. وَيَقُولُ:

(1) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): الطَّرَف.

(2) فِي نَسَخَةِ (ض): أَي.

(3) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): سَبِيل.

(4) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): تَضَلِّي.

(5) فِي نَسَخَةِ (غ): مِنْ.

(6) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): سَبِيل.

(7) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 618).

(8) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): السَّبِيل.

(9) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (ش).

(10) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (م)، وَفِي نَسَخَتِي (الأصل، غ): بِمَنْعٍ.

(11) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: (بِه)، وَأُثْبِتَ (فِيهِ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(12) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): السَّبِيل.

(13) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): حَال.

(14) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): عِظَامًا.

(15) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): فِي قِسْرٍ، وَفِي نَسَخَةِ (ش): مِنْ فِي. وَسَقَطَ "قِيءٍ" مِنْ نَسَخَةِ (غ).

إِنَّمَا تَلْتَقِطُ بِأَفْوَاهِهَا أَجْزَاءَ حُلْوَةٍ وَمُتَقَرِّقَةٍ⁽¹⁾ عَلَى الْأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ، وَتَضَعُهَا فِي بَيْوتِهَا إِدْخَارًا لِلشَّتَاءِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ فِي بَيْوتِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْهَا كَانَ الْعَسَلُ. ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: 69] مِنْهُ أَبْيَضٌ، وَأَصْفَرٌ، وَأَحْمَرٌ، وَأَسْوَدٌ. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69] اسْتِنَافٌ؛ لِبَيَانِ مَنْفَعَتِهِ. عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ: «اسْقِهِ الْعَسَلَ»، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَمَا نَفَعَ فَقَالَ: «إِذْهَبْ وَاسْقِهِ عَسَلًا فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»، فَسَقَاهُ فَشَفَاهُ اللَّهُ،⁽²⁾ فَبَرَأَ،⁽³⁾ كَانُمَا⁽⁴⁾ أَنْشِطَ مِنْ عَقَالٍ.⁽⁵⁾

وقيل: الضَّمِيرُ فِي ﴿فِيهِ﴾ لِلْقُرْآنِ. وَعَنْ ابْنِ [مسعود: "العسل"]⁽⁶⁾ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، فَعَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: ⁽⁷⁾ الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69] فَإِنَّ مَنْ تَفَكَّرَ فِي إِعَادَةِ مَا أَكَلَ النُّحْلُ عَسَلًا يَحْكُمُ بَصَحَّةِ⁽⁸⁾ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، وَبُجُودِ⁽⁹⁾ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ، وَالْفَاعِلِ بِالِاخْتِيَارِ بِلَا مُخَالَفَةٍ ضِدٍّ، وَمِشَارَكَةِ مِثْلِ،⁽¹⁰⁾ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ فِي الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ. وَلِذَلِكَ فَصَلَ الْآيَةَ بِالتَّفَكُّرِ، فَتَأَمَّلْ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): مُتَفَرِّقَةٌ (بِدُونِ الْوَاوِ).

(2) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(3) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): خَيْرًا.

(4) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): كَانَ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): كَمَا.

(5) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (7/ 123) فِي كِتَابِ الطِّبِّ بَابَ: الدَّوَاءِ بِالْعَسَلِ بِرَقْمِ (5684) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ نَحْوَهُ فِي صَحِيحِهِ (7/ 128) فِي كِتَابِ الطِّبِّ بَابَ: دَوَاءِ الْمَبْطُونِ بِرَقْمِ (5716).

وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (4/ 1736) فِي كِتَابِ السَّلَامِ بَابَ: النَّدَاوِيِّ بِسُقْيِ الْعَسَلِ بِرَقْمِ (2217)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ (4/ 409) فِي أَبْوَابِ الطِّبِّ بَابَ: مَا جَاءَ فِي النَّدَاوِيِّ بِالْعَسَلِ بِرَقْمِ (2082)، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي جَمِيعِ النُّسخِ: سَعِدَ وَالْعَسَلُ.

(7) فِي نَسْخَتِي (ش، غ): بِالشِّفَاءِ بَيْنَ.

(8) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): صَحَّةٌ.

(9) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): وَلَوْجُودٌ.

(10) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل: 70] إِلَى أَحْسَنِهِ،⁽¹⁾ وَهُوَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً. وَقِيلَ: خَمْسٌ وَسَبْعُونَ. وَبِالْجُمْلَةِ إِلَى الْهَرَمِ الَّذِي يَنْتَقِصُ الْعَقْلُ وَالْقُوَّةُ فِيهِ. وَهُوَ شِبْهُ حَالِ الطُّفُولِيَّةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ ﴿يُرَدُّ﴾، وَيُفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّ الْبَعْضَ⁽²⁾ لَا يُرَدُّ إِلَى ذَلِكَ، بَلْ يُتَوَفَّى؛ إِمَّا فِي زَمَانِ الشَّبَابِ، أَوْ فِي الطُّفُولِيَّةِ، كَمَا نُشَاهِدُ بَيْنَ النَّاسِ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ الْقَادِرِ، وَإِلَّا لَمَا اخْتَلَفَ مُقْتَضَى⁽³⁾ الطَّبْعِ. ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: 70] لِيَنْتَهِيَ أَمْرُهُ إِلَى النَّسْيَانِ الْمَطْلُوقِ، حَتَّى إِذَا عَلِمَ شَيْئًا نَسِيَهُ فِي الْفَوْرِ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ وَسُوءِ الْفَهْمِ، بَحِيثٌ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا أَصْلًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 70] عِلَّةٌ لِتَوَفِّيهِمْ⁽⁴⁾ بِأَجَالٍ مُخْتَلِفَةٍ.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: 71]

دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ الْقَادِرِ؛ فَإِنَّ تَفْضِيلَ الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ عَلَى بَعْضٍ، مَعَ الْمُسَاوَاةِ فِي السَّعْيِ وَالطَّلَبِ [بل مع زيادة السَّعْيِ وَالطَّلَبِ]⁽⁵⁾ فِي الْبَعْضِ الْمَفْضَّلِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِهِمَا⁽⁶⁾ فِي الْمَفْضَّلِ - إِنْمَا يَكُونُ بِصُنْعِ الْقَادِرِ الْمُخْتَارِ وَتَقْدِيرِهِ. وَمَنْ نَسَبَ⁽⁷⁾ هَذَا الْاِخْتِلَافَ إِلَى الْأَوْضَاعِ الْفَلَكَيَّةِ لَزِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَنِّدَ⁽⁸⁾ هَذِهِ الْأَوْضَاعَ فِي⁽⁹⁾ التَّأْثِيرِ إِلَى الْقَادِرِ الْمُخْتَارِ بِالضَّرُورَةِ، عَلَى مَا هُوَ حَقُّ الْإِنْصَافِ.

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [النحل: 71] فَإِنَّ الْمَمَالِيكَ أَيْضًا قَدَّرَ اللَّهُ رِزْقَهُمْ كَمَا قَدَّرَ رِزْقَ الْمَوَالِي، كَمَا قَالَ: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [النحل: 71]، إِلَّا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ رِزْقَ الْمَمَالِيكِ وَمَا قَدَّرَ لَهُمْ فِي أَيْدِي الْمَوَالِي. وَهُمْ لَيْسُوا بِرَازِقِيهِمْ وَرَادِّي رِزْقِهِمْ⁽¹⁰⁾ عَلَيْهِمْ، بَلِ الْمُعْطِيُّ هُوَ اللَّهُ الرَّزَّاقُ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): آخِر.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): النِّقْصُ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): مَقْبُضٌ.

(4) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): لِيُوفِّيَهُمْ.

(5) بَيْنَ الْمَعْقُوقَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَتِي (الأصل، م).

(6) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): وَعَدَمُهَا.

(7) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): لَسْتُ.

(8) فِي نَسْخَةِ (ش): نَسْبَةٌ.

(9) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): إِلَى.

(10) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): بِرِزْقِهِمْ.

قال صاحبُ الكشاف: "هو مَثَلٌ صَرَبَهُ اللهُ للذين جَعَلُوا له شركاء، فقال لهم: أنتم لا تَسْؤُونَ بينكم وبين عبيدكم فيما أَنْعَمْتُ به⁽¹⁾ عليكم، ولا تَجْعَلُونَهُمْ⁽²⁾ فيه شُرَكَاءَ، ولا تَرْضَوْنَ ذلك لِأَنْفُسِكُمْ، فكيف رَضِيتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا عبيدي لي⁽³⁾ شركاء؟"⁽⁴⁾ كَأَنَّهُ جَعَلَ قَوْلَهُ: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ بمنزلةِ الجوابِ للنَّفْيِ كما أَشَارَ إليه البيضاوي بقوله: "ويجوزُ أَنْ تكونَ واقعةً موقعَ الجوابِ، كَأَنَّهُ قيل: فما الذين فَضَّلُوا برادِي رزقهم على ما مَلَكَتْ أيمانُهُمْ فَيَسْتَوُوا⁽⁵⁾ في الرِّزْقِ، على أَنَّهُ رُدُّ وإنكارٌ على المشركين."⁽⁶⁾

ولا يخفى أَنَّ صحَّةَ كلامِهِ⁽⁷⁾ مُبْتَنِيٌّ على السَّبَبِيَّةِ [ولا سَبَبِيَّةَ]⁽⁸⁾ ههنا؛ لأنَّ كونَهُم (برادِي رزقهم) ليس سبباً للتَّسْوِيَةِ. فكيف يصحُّ أَنْ تكونَ التَّسْوِيَةُ جواباً للنَّفْيِ؟ ويمكنُ توجيهُ عبارةِ الكشافِ بحيثُ لا يُحتَاجُ إلى جَعْلِ الجملةِ جواباً، فَتَدَبَّرْ. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: 71] بِجَعْلِ⁽⁹⁾ غيرِهِ رَازِقاً، بنسبةِ رِزْقِهِ تعالى إليه. ويجوزُ أَنْ يُرَادَ بـ(النِّعْمَةِ) نِعْمَةُ الإِبْلَاحِ، وإقامةُ الحُجَجِ على التَّوْحِيدِ. وَفُرِئ (تَجْحَدُونَ) بالتَّاءِ⁽¹⁰⁾ رعايةً لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ و﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ﴾.

(1) سقط من نسخة (غ).

(2) في نسختي (الأصل): تجعلوهم.

(3) في نسختي (الأصل، م): في.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 620).

(5) في جميع النسخ: فتسوا. ينظر أيضاً: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 234).

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 233-234).

(7) في نسختي (الأصل، م): كلاه.

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(9) في نسخة (ض): يجعل.

(10) قراءة متواترة: قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: 71] بالتاء. وقرأ الباقر (يَجْحَدُونَ) بالياء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 374)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 265).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: 72]

دليل آخر على القدرة والاختيار؛ فإنَّ خُلُقَ الإناث⁽¹⁾ من حقيقة الذكور إنما يكون بالقصد والاختيار. وقيل: هو خُلُقُ حواء من آدم. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ [النحل: 72] هي جَمْعُ (خَافِدٍ)، وهو الذي يَخْفِدُ، أي: يُسْرِعُ في الطاعة والخدمة. ومنه قولُ القانتِ: «وإليك نَسْعَى وَنَخْفِدُ». واختلف فيهم،⁽²⁾ فقيل: هم الأختان على البنات. وقيل: أولاد الأولاد. وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأول. وقيل: المراد: مطلق الخدم. وجوز البيضاوي أن يكون المراد بها: البنات؛ لأنهن يخدمن في البيوت أتم خدمة. ويجوز أن يراد منها: البنون، على أن يكون العطف لتغاير الوصفين. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: 72] من اللذائذ، عند من يجعل (الرزق) أعم من الحلال، أو من الحلال عند من يخص الرزق بالحلال.⁽³⁾ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 72] ذلك أنهم اعتقدوا أن الأصنام تنفعهم وتعينهم في الدنيا، [وتشفع لهم]⁽⁴⁾ في الآخرة، أو أنهم اعتقدوا أن بعض الحلال حرام بلا دليل على ذلك، كالبخائر والسوائب. ﴿وَبِعِصْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72] حيث يجعلون نفعهم في الدنيا من بركة⁽⁵⁾ الأصنام، وهو من الله تعالى، أو حيث يحرمون ما أحل الله لهم. وتقديم الصلة للمحافظة على رؤوس الآي.

(1) في نسختي (الأصل، م): الآيات.

(2) في نسخة (غ): فمنهم.

(3) ينظر للتفاصيل عن مسألة الرزق بين الأشاعرة والمعتزلة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾

[الرعد: 22] (ص: 296) من هذه الرسالة.

(4) بين المعقوفتين في جميع النسخ: وتشفعهم، وأثبت: (وتشفع لهم) لأنه أصح.

(5) في نسخة (غ): تركه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ [النحل: 73]
 الرِّزْقُ - إن كان مصدرًا - يتعلّق به (مِنْ)، ويُنصبُ به ﴿شَيْئًا﴾. وإن كان اسمًا لما يُرزقُ به؛ يكونُ
 ﴿مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ ظرفًا مستقرًّا في موقعِ الصِّفَةِ له، و﴿شَيْئًا﴾ بدلًا منه،⁽¹⁾ أي: شيئًا لا يُعْبَأُ به.⁽²⁾
 ويجوزُ أن يكونَ نَصْبًا على المصدرِ على معنى: لا تَمْلِكُ⁽³⁾ لهم شيئًا من المَلِكِ.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: 73] الضميرُ فيه لـ(مَا) باعتبارِ المعنى، كما أنَّ الضميرَ في ﴿لَا يَمْلِكُ﴾
 له باعتبارِ اللَّفْظِ. والمرادُ: نَفْيُ مطلقِ الاستطاعةِ عنهم بعدَ نَفْيِ "تَمْلِكُ الرِّزْقَ" عنهم. وإن قُدِّرَ
 لـ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ مفعولًا⁽⁴⁾ بقرينةِ المقامِ يكونُ ذكره بعدَ ﴿لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ لمجردِ التَّكْيِيدِ، أو يكونُ الأوَّلُ
 بمعنى⁽⁵⁾ نَفْيِ⁽⁶⁾ الفِعْلِ، والثَّانِي نَفْيِ الإمكانِ.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: 74]

بالنَّسْبِيةِ والإِشْرَاقِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 74] إِنَّ اللَّهَ هو العالمُ وأنتم الجاهلون،
 فلا يصحُّ لكم أن تَضْرِبُوا له مَثَلًا؛ على تَنْزِيلِ الْمُتَعَدِّيِ منزلةَ اللَّازِمِ، أو إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُنْهَ الْأَشْيَاءِ، فَيَنْتَقِمُ
 منكم وأنتم لا تَعْلَمُونَ ذلك، فلا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَتَجَاوَزُ عنكم ولا يَنْتَقِمُ منكم، فلا تَضْرِبُوا له الأمثالَ، واحذروا
 من⁽⁷⁾ انتقامِهِ. والجملةُ تعليلٌ للنَّهْيِ.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا

هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل: 75]

استئنافٌ؛ لبيانِ أَنَّهُ يصحُّ أن يَضْرِبَ له مَثَلًا بهذا الوَجْهِ لا بِالْوَجْهِ، الذي يَضْرِبُوهُ عن جَهْلِهِمْ. مَثَلٌ
 نَفْسُهُ بِالْحَرِّ المَالِكِ الذي رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا كثيرًا، ومَثَلٌ ما يُشْرِكُ به بالعَبْدِ المَمْلُوكِ العاجِزِ عن التَّصَرُّفِ

(1) في جميع النسخ: عنه، وأثبت (منه) لأنه أصح.

(2) سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخ (ش، ض، غ): يملك.

(4) في نسخة (غ): مفعول.

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) سقط من نسخة (الأصل).

(7) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

رأساً؛ على معنى أَنَّ الْعَبْدَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ مع اشتراكهما في الإمكان لا يجوزُ التَّسْوِيَةُ بينهما، فكيف يجوزُ بين الواجبِ الخالقِ لكلِّ شيءٍ، وبين الأصنامِ التي هي أَعْجَزُ المخلوقاتِ؟ ويجوزُ أَنْ يَكُونَ تمثيلاً للكافرِ المَخْذُولِ، والمؤمنِ الْمُؤَقَّقِ؛ على معنى أَنَّ ضَرْبَ المَثَلِ إِنَّمَا يجوزُ بين المُمْكِنَاتِ -مِثْلُ ما ذَكَرَ- لا بَيْنَ الواجبِ والمُمْكِنِ، كما فَعَلْنَاهُ.

قال صاحبُ الكشاف: "واخْتَلَفُوا في الْعَبْدِ: هل يصحُّ له (1) مُلْكٌ؟ المذهبُ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لا يصحُّ." (2) قال البيضاوي: "وَجَعَلَهُ قَسِيماً (3) لِلْمَالِكِ الْمُتَصَرِّفِ (4) يَدُلُّ على أَنَّ المملوكَ لا يَمْلِكُ." (5) وهو محلُّ تأمُّلٍ؛ لأنَّ المقابلةَ (6) ليس بين (7) المَمْلُوكِ الْمُطْلَقِ وبين المَالِكِ (8) الْمُتَصَرِّفِ، بل بين المملوكِ المقيَّدِ [بعدم القُدْرَةِ على شيءٍ، وبين المالكِ المتصرفِ. ولا يَلْزَمُ من ذلك نَقْيُ المُلْكِ لِمُطْلَقِ الْعَبْدِ]. (9) والعبدُ لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ للتَّوْضِيحِ، كيف وُوصِفُ النِّكَرَةِ إِنَّمَا يُفِيدُ تَخْصِيصاً لا تَوْضِيحاً؟ والضَّمِيرُ في ﴿يَسْتَوُونَ﴾ للعبدِ، والموصولِ باعتبارِ المعنى، فكأنَّه قال: هل (10) يَسْتَوِي الْعَبْدُ والأَحْرَارُ؟

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النحل: 75] استئناف؛ لبيان أَنَّ الشُّرَكَاءَ لا يَسْتَحِقُّونَ للعبادةِ، أي: كُلُّ حَمْدٍ مُخْتَصٌّ به؛ لأنَّه مَوْلَى النِّعَمِ كُلِّهَا، فلا يَسْتَحِقُّ غيرُهُ لأنَّ يُحْمَدَ، فَضْلاً مِنْ أَنْ يُعْبَدَ. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 75] ذلك، فَيَحْمَدُونَ غيرَهُ وَيَعْبُدُونَهُ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ متعلِّقاً بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ (11) [النحل: 75] على معنى؛ بل أَكْثَرُهُمْ جاهلون فَيَسْوُونَ (12) بَيْنَهُ وبين الشُّرَكَاءِ، وما بينهما اعتراضٌ.

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) الزمخشري، الكشاف، (2/ 623).

(3) في نسختي (الأصل، م): فسيحاً، وفي نسخة (ش): قسماً.

(4) في نسخة (غ): التصرف.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 235).

(6) في نسختي (الأصل، م): المعاملة.

(7) في نسخة (ش): أن.

(8) في نسختي (الأصل، م): الملك.

(9) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(10) في الأصل: بل.

(11) في الأصل: هل يستويان.

(12) في جميع النسخ: فَيَسْوُونَ، وأثبت (فَيَسْوُونَ) لأنه أصح.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76]

تمثيلٌ بعد تمثيلٍ. و(الْأَبْكَمُ): الذي وَلِدَ أَحْرَسَ لَا يَفْهَمُ [وَلَا يَفْهَمُ].⁽¹⁾ وجملته ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ وَصَفَ لَهُ، وجملته ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ في موقع الحالِ عن ضميره المُسْتَتِرِ في ﴿لَا يَقْدِرُ﴾. [وَصَفَهُ بَعْدَ] ⁽²⁾ الْقُدْرَةِ وَبِكَوْنِهِ كَلًّا وَثِقَلًا ⁽³⁾ عَلَى مَنْ تَوَلَّى ⁽⁴⁾ أَمْرَهُ. وجملته ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾ استئنافٌ؛ لبيان كونه (كَلًّا)، أي: (كَلٌّ) على مَوْلَاهُ بواسطةِ أَنَّهُ حَيْثُمَا يُوَجِّهُهُ وَيُرْسِلُهُ فِي أَمْرٍ ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، وكفايةٍ مُهِمَّةٍ. أَثْبَتَ لَهُ عَدَمَ النَّفْعِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، [كما أَثْبَتَ لِلْآخِرِ النَّفْعَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ] ⁽⁵⁾ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76] ﴿وَهُوَ﴾ ظرفٌ مُستَقَرٌّ في موقع الحالِ من ⁽⁶⁾ فاعِلِ ﴿يَأْمُرُ﴾، أي: يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْعَدْلِ وَيَحْتُثُّهُمْ عَلَيْهِ، وهو في نَفْسِهِ كَائِنٌ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: 77]

لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، فَلَا يَكُونُ غَيْرُهُ مِثْلَهُ. و(الْغَيْبُ): مَا يَنْحَصِرُ طَرِيقُ عِلْمِهِ فِي إِخْبَارِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُخْبَرْ عَنْهُ لَا ⁽⁷⁾ يُعْلَمُ لِأَحَدٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (م).

(2) بين المعقوفتين في نسخة (غ): وصمه تقدم.

(3) في نسختي (الأصل، م): فعلاً، وفي نسخة (غ): نقلاً.

(4) في نسختي (ش، غ): يول، وفي نسخة (ض): يؤل، وفي نسختي (الأصل، م): يولى، وأثبتت (تولى) لأنه أصح.

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(6) في جميع النسخ: عن، وأثبتت (من) لأنه أصح.

(7) في نسخ (الأصل، م، غ): لم.

قال البيضاوي: "وهو ما غَابَ فيهما عن (1) العِبَادِ، بأنَّ لم يَكُنْ مَحْسُوساً ولم يُدَلَّ عليه مَحْسُوسٌ" (2) وفيه: أَنَّهُ يَصْدُقُ (3) على العُلُومِ الكُلِّيَّةِ الحاصِلَةِ في الذَّهْنِ بلا وَسَاطَةٍ (4) حَاسَّةٍ، (5) وليستْ بَغِيْبٍ؛ لأنَّ عِلْمَ الغَيْبِ يَنْحَصِرُ فِيهِ سُبْحَانَهُ.

وقيل: أَرَادَ به يَوْمَ القِيَامَةِ، على أَنَّ عِلْمَهُ غَائِبٌ عن أَهْلِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، لم (6) يَطَّلِعْ عليه أَحَدٌ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ نَفْسَ اليومِ؛ لأنَّه غَائِبٌ عن أَهْلِهِمَا (7). ومعنى اختصاصِهِ به: أَنَّهُ مُلْكٌ له، كما قال: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4].

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: 77]

أي: هو أَقْرَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ تَرَاخَى، كما نَقُولُونَ (8) أَنْتُمْ فِي الشَّيْءِ الَّذِي تَسْتَقْرِبُونَهُ: هو (9) كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هو أَقْرَبُ، إِذَا بَالَعْتُمْ فِي اسْتِقْرَابِهِ. "كذا في الكشاف. (10)

قال البيضاوي: "وما أَمْرُ قِيَامِ القِيَامَةِ فِي سُرْعَتِهِ وَسُهُولَتِهِ ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾: إِلَّا (11) كَرَجْعِ الطَّرَفِ مِنْ أَعْلَى الْحَدَقَةِ إِلَى أَسْفَلِهَا، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بأنَّ يَكُونَ فِي زَمَانٍ [نِصْفُ زَمَانٍ] (12) تِلْكَ الْحَرَكَةِ، بَلْ فِي الْآنِ الَّذِي يَبْتَدِئُ فِيهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُحْيِي الْخَلَائِقَ دَفْعَةً، (13) وما يُوجَدُ دَفْعَةً كَانَ فِي (14) آنٍ. (15)

(1) في نسختي (الأصل، م): من.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 235).

(3) في نسختي (ش، ض): تصدق.

(4) في نسخة (ض): واسطة.

(5) في نسخة (ش): حاسته.

(6) في نسخة (ش): ولم.

(7) في نسختي (الأصل، م): أهلها.

(8) في الأصل: يقولون.

(9) في نسخة (غ): إلا.

(10) الزمخشري، الكشاف، (2/ 623).

(11) سقط من نسخة (غ).

(12) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(13) في نسخة (غ): وفيه.

(14) سقط من نسخة (ش).

(15) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 235).

وفيه أَنَّ الحَشَرَ ليس مَحْضُ الإِحياءِ، بل هو عبارةٌ عن إخراجِ الأمواتِ من القُبُورِ أحياءً، كما قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7] وهو لا يُتَصَوَّرُ بدونِ الحَرَكَةِ، والحَرَكَةُ زَمَانِيَّةٌ. وَيَلْزَمُ أَيْضاً أَنْ يُتَكَلَّفَ فِي (أَوْ) بِجَعْلِهَا⁽¹⁾ بمعنى (بل)؛ لِأَنَّ التَّرْدِيدَ فِي إخبارِ اللَّهِ تعالى غيرُ صحيحٍ. وجَوَزَ البِيضَاوِي كونَهَا لِلتَّخْيِيرِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ التَّخْيِيرَ أَيْضاً فِي هَذَا الْمَقَامِ لَا تَظْهَرُ صَحَّتُهُ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ وَتَكْلُفٍ، فَالْأَحْسَنُ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشَافِ. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 77] تَعْلِيلٌ لِسَابِقِهِ.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل: 78]

بعضُ تفصيلٍ للقدرةِ. والأُمَّهَاتُ: الأمَّاتُ والهَاءُ مَزِيدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي (أَرَأَيْتَ)، فَقِيلَ: أَهْرَاقَ.⁽²⁾ وَفُرِئَ (إِمَّهَاتِكُمْ)⁽³⁾ بِكَسْرِ الهمزةِ وهي لغةٌ فِيهِ. ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [النحل: 78] حَالٌ عَنِ مَفْعُولِ ﴿أَخْرَجَكُمْ﴾.

(1) فِي نَسْخَةِ (ش): يَجْعَلُهَا، وَفِي نَسْخَتِي (الأصل، م): نَجْعَلُهَا.

(2) لِأَنَّ (أَفْعَلَ يُفْعَلُ) فِي الْأَصْلِ كَانَ (يُؤْفَعَلُ)، فَحَقَّبُوا الهمزةَ الَّتِي فِي (يُؤْرِيقُ) هَاءً، فَقِيلَ: (يُهْرِيقُ)، فَلِذَا تَحَرَّكَتِ الهَاءُ. الرَّبِيدِي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس، (27/ 14).

(3) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ الْكَسَائِي (إِمَّهَاتِكُمْ) بِكَسْرِ الهمزةِ وَحَذَّاهَا، وَقَرَأَ حَمْزَةً (إِمَّهَاتِكُمْ) بِكَسْرِ الهمزةِ وَالْمِيمِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بَضْمَ الهمزةِ وَفَتَحَ الْمِيمِ فِيهِنَّ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْإِثْبَاءِ فِيهِنَّ كَذَلِكَ. يَنْظُرُ: ابْنُ مَجَاهِدٍ (المتوفى: 324هـ)، السبعة فِي الْقِرَاءَاتِ، (ص: 228)، وَالنَّيْسَابُورِيُّ، (المتوفى: 381هـ)، الْمَبْسُوطُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (ص: 176)، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ (المتوفى: 833هـ)، النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، (2/ 248).

وَالْعِلْمُ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْعِلْمُ الْحُصُولِيُّ⁽¹⁾ لِمَا حَقَّقَ فِي مَحَلِّهِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ⁽²⁾ عَالِمَةٌ⁽³⁾ بِذَاتِهَا دَائِمًا⁽⁴⁾ بِالْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ⁽⁵⁾. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: 78] لِيَحْصُلَ لَكُمْ الْعِلْمُ بِالْجَزْئِيَّاتِ وَالْكَلِّيَّاتِ. وقد سبق وَجْهُ إِفْرَادِ السَّمْعِ وَجَمْعِ الْإِبْصَارِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَتَذَكَّرُ⁽⁶⁾. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78] لَهُ عَلَى إِنْعَامِهِ عَلَيْكُمْ.

(1) في نسختي (الأصل، م): الحصول.

(2) عَرَفَ الْجَرْجَانِي النَّفْسَ النَّاطِقَةَ بِأَنَّهَا: هِيَ الْجَوْهَرُ الْمَجْرَدُ عَنِ الْمَادَّةِ فِي ذَوَاتِهَا مَقَارَنَةً لَهَا فِي أَفْعَالِهَا. وَقَالَ فِي أَنْوَاعِهَا: فَإِذَا سَكَنَتِ النَّفْسُ تَحْتَ الْأَمْرِ وَزَالِيهَا الْاضْطِرَابُ بِسَبَبِ مَعَارِضَةِ الشَّهَوَاتِ سَمِيَتْ مَطْمَئِنَّةً، وَإِذَا لَمْ يَتِمَّ سَكُونُهَا، وَلَكِنِهَا صَارَتْ مُوَافِقَةً لِلنَّفْسِ الشَّهَوَانِيَّةِ وَمُعْتَزِضَةً لَهَا، سَمِيَتْ: لَوَامَةً؛ لِأَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبَهَا عَنْ تَقْصِيرِهَا فِي عِبَادَةِ مَوْلَاهَا، وَإِنْ تَرَكْتَ الْإِعْتِرَاضَ وَأَذْنَعْتَ وَأَطَاعْتَ لِمُقْتَضَى الشَّهَوَاتِ وَدَوَاعِي الشَّيْطَانِ، سَمِيَتْ: أَمَارَةً.

وَأَمَّا عِنْدَ أَفْلَاطُونٍ -شَيْخِ الْفَلَسَفَةِ وَعَظِيمِهَا- فَهُوَ يَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ ثَلَاثَ أَنْفُسٍ يَسْمَى إِحْدَاهَا النَّفْسَ النَّاطِقَةَ وَالْإِلَهِيَّةَ، وَالْأُخْرَى يَسْمِيهَا النَّفْسَ الْغَضَبِيَّةَ وَالْحَيَوَانِيَّةَ، وَالْأُخْرَى النَّفْسَ النَّبَاتِيَّةَ وَالنَّامِيَّةَ وَالشَّهَوَانِيَّةَ. وَمِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ: الرُّوبِيَّةُ، وَالْفَكْرُ، وَمُحِبَّةُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَلِهَا الْهَيَاكِلُ الْمُنْتَصِبَةُ وَالْعَمَلُ بِالْيَدَيْنِ. وَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ تَتَنَاقَضُ النَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا تَرْغَبُ فِي كَسْبِ الْفَضَائِلِ وَإِطْرَاحِ الرِّذَائِلِ، وَتَزْهَدُ فِي اللَّذَاتِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَرْغَبُ فِي اللَّذَاتِ الْعُقْلِيَّةِ. وَالنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ بَضْدَ ذَلِكَ وَلَذَلِكَ سَمِيَتْ بِهَيْمِيَّةٍ. يَنْظُرُ: أَبُو بَكْرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَا الرَّازِي (المتوفى: 313هـ)، رِسَالَتِ فِلَسْفِيَّةٍ، تَحْقِيقُ: لَجَنَةُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ فِي دَارِ الْأَفَاقِ الْجَدِيدَةِ، دَارِ الْأَفَاقِ الْجَدِيدَةِ، بَيْرُوتَ، الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ، 1402 هـ - 1982 م، (ص: 27)، وَالبَطْلِيُوسِي، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّيِّدِ (المتوفى: 521هـ)، الْحَدَائِقُ فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ الْفِلَسْفِيَّةِ الْعَوِيصَةِ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ رِضْوَانُ الدَّابَّةِ، دَارُ الْفِكْرِ - دِمَشْقُ - سُورِيَّةَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، 1408 هـ - 1988 م، (ص: 49 و 131)، وَالْجَرْجَانِي، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الزَّيْنِ الشَّرِيفِ (المتوفى: 816هـ)، التَّعْرِيفَاتُ، تَحْقِيقُ: جَمَاعَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتٍ -لُبْنَانِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى 1403 هـ - 1983 م، (ص: 244).

(3) في نسختي (ش، ض): عاله.

(4) في نسختي (الأصل، م): وإنما.

(5) الْعِلْمُ يَنْقَسِمُ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْحُضُورِيِّ وَالْحُصُولِيِّ، وَالْمَقْصُودُ بِالْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ: هُوَ حُصُولُ صُورَةِ الْمَعْلُومِ لَدَى الْعَالِمِ، أَيْ: الَّذِي يَتِمُّ حُصُولُهُ لِلْعَالِمِ بَارْتِسَامِ صُورَةِ الْمَعْلُومِ فِي نَفْسِهِ. أَمَّا الْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ: فَهُوَ حُضُورُ نَفْسِ الْمَعْلُومِ بِوُجُودِهِ الْخَارِجِيِّ الْعَيْنِيِّ لِلْعَالِمِ. فَإِنَّ الْوَاحِدَ مَنَّا يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَشُؤْنِهَا وَيَدْرِكُهَا حَقَّ الْإِدْرَاكِ، وَلَكِنْ لَا بَانْتِقَاشَ صُورِهَا وَإِنَّمَا الشَّيْءُ الْمَوْجُودُ هُوَ حَاضِرٌ لِدَاثِهِ دَائِمًا بِنَفْسِهِ وَوُجُودِهِ. يَنْظُرُ: الْمُظْفَرُ، مُحَمَّدُ رِضَا، الْمَنْطِقُ، مَطْبَعَةُ النِّعْمَانِ، النَّجْفِ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، 1388 هـ - 1968 م، (2/ 12).

(6) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشًوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7] يَنْظُرُ: عَبْدُ الْبَاقِي التَّبْرِيزِي، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، نَسْخَةُ مَصْرُورَةٍ (لَوْحٌ رَقْمٌ 17).

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: 79]

الجَوُّ: الهواء المُتَبَاعِدُ من الأرض. ولذلك أضافه إلى السَّمَاءِ. و﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ حالٌ من ﴿الطَّيْرِ﴾. وقرئ (أَلَمْ تَرَوْا)⁽¹⁾ بالتاء على الخطاب. ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل: 79]؛ لَأَنَّ وُقُوفَهُنَّ فيه بلا عِلَاقَةٍ ودِعَامَةٍ -مع اقتضاء ثَقَلِ جَسَدِهِنَّ السُّقُوطَ- يقتضي أَنْ يَكُونَ بِإِمْسَاكِ قَادِرٍ حَكِيمٍ فاعِلٍ بالإرادة، وهو الله تعالى. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79]؛ لَأَنَّهُمْ هم المتفكرون في⁽²⁾ أحوالِ المَبْدَأِ، ويطلبون أَنْ يَعْرِفُوهُ حَقَّ المعرفة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: 80]

السَّكَنُ (فَعْلٌ) بمعنى (مفعولٍ)، أي: ما تَسْكُنُونَهُ. [قال البيضاوي: "مَوْضِعاً تَسْكُنُونَ"]⁽³⁾ فيه.⁽⁴⁾ كَأَنَّهُ بيانٌ لحاصلِ المعنى [لا أَنَّهُ]⁽⁵⁾ اسمُ مكانٍ، كيف وقد صَرَّحَ بِأَنَّهُ (فَعْلٌ) بمعنى (مفعولٍ)؟⁽⁶⁾ و(مِنْ) للبيانِ متعلِّقٌ بمَقْدَرٍ في موقعِ الحالِ عن ﴿سَكَنًا﴾، قُدِّمَتْ عليه؛ لَأَنَّهُ نَكْرَةٌ. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ [النحل: 80] هي القَبَابُ الْمُتَّخَذَةُ مِنَ الْأَدَمِ. و(مِنْ) للبيانِ كسابقه، أو للابتداء، أي: مُتَّخَذَةً مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: 80] صفةٌ لـ﴿بُيُوتًا﴾، أي: تَجِدُونَهَا خَفِيفَةً وَقَتَ السَّفَرِ ووقتَ الحَضَرِ، أو وقتَ التَّرحالِ ووقتَ النُّزُولِ. وقرئ (ظَعْنِكُمْ) بفتح العين.⁽⁷⁾ ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: 80] الصُّوفُ لِلضَّائِنَةِ، وَالْوَبَرُ لِلإِبِلِ، وَالشَّعْرُ

(1) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل: 79] بالياء، وقرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف (أَلَمْ تَرَوْا) بالتاء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 265)، وابن الجزي، (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 304).
(2) في نسخة (غ): من.

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 236).

(5) بين المعقوفتين في نسختي (ش، ض): لأنه.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 236).

(7) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) [النحل: 80] بفتح العين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) ساكنة العين. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 375)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 265).

للمعز، كذا قال البيضاوي.⁽¹⁾ والأثاث: ما يُلبس ويُفرش، والمتاع: ما يُنتفع به ﴿إِلَى حِينٍ﴾: إلى أن تقضوا منه أوطاركم، أو إلى أن يئلى ويفنى، أو إلى أن تموتوا، كذا في الكشف.⁽²⁾

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ [النحل: 81]

تتقون به حرَّ الشمس، و(مَا خَلَقَ) يعم⁽³⁾ الشجر والأبنية وكل ما له ظل. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَانًا﴾ [النحل: 81] (الكن: ما يُستكن به، من البيوت المنحوتة⁽⁴⁾ في الجبال، والكهوف، والغيران. ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: 81] السرابيل: ما يُلبس، وخصَّ الحرَّ بالذكر -مع أنه يقي البرد أيضاً- لأن ما يقي الحرَّ يقي البرد، فاكثفَ بذكره، أو لأن الوقاية من الحرِّ أهمُّ عندهم، كذا في الكشف.⁽⁵⁾ كأنَّ⁽⁶⁾ وجهه: أن الحرَّ في بلادهم أشدُّ تأثيراً من البرد. [وكرر ذكر "السرابيل"؛ إشعاراً باختلاف جنسهما،⁽⁸⁾ فإنَّ الأول لباس متعارف يلبسه كلُّ أحد، بخلاف الثاني؛ فإنه لا يلبس إلا عند الضرورة؛ حين⁽⁹⁾ الخوف كالدرع والجواشين. ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: 81] أي: تؤمنون، أو تتقادون. وقرئ (تسلمون)⁽¹⁰⁾ من السلامة، أي: لعلكم تسلمون من العذاب، أو من الشرك بواسطة الشكر على إتمام النعمة. وقيل: تسلمون من الجراح بلبس الدروع.

(1) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 236).

(2) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 625).

(3) في نسخة (ش): نعم.

(4) في نسختي (الأصل، م): المتخذة.

(5) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 625).

(6) في نسختي (الأصل، م): كأنه.

(7) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(8) في نسختي (الأصل، م): جنسها.

(9) في نسخة (غ): حتى.

(10) قراءة شاذة: في مختصر ابن خالويه، وتفسير الطبري والرازي منسوبة إلى ابن عباس، وفي زاد المسير منسوبة إلى ابن عباس، وسعيد بن جببر، وعكرمة، وأبو رجاء، وفي تفسير القرطبي منسوبة إلى ابن عباس وعكرمة. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 77)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 270)، وابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 576)، الرازي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (20/ 254)، القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (10/ 161).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 82]

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَلَا يَضُرُّكَ؛⁽¹⁾ لَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَقَدْ بَلَغْتَ بَلَاغًا ظَاهِرًا. وَضَعَ الْعِلَّةُ⁽²⁾ مَوْضِعَ الْجَزَاءِ؛ إِشْعَارًا بِقُوَّةِ عَلَيَّتِهَا،⁽³⁾ وَاسْتِلْزَامِهَا لِلْجَزَاءِ [فَكَأَنَّهَا هِيَ]⁽⁴⁾ الْجَزَاءُ.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83]

اسْتِثْنَاءٌ؛ لِبَيَانِ أَنَّ⁽⁵⁾ إِعْرَاضَهُمْ لَيْسَ لِنَقْصِيرِكَ فِي⁽⁶⁾ الْإِبْلَاحِ، بَلْ لَأَنَّهُمْ مُعَانِدُونَ حَيْثُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ وَيُنْكِرُونَهَا. وَ(ثُمَّ) لِلِاسْتِبْعَادِ، لَا لِلتَّرَاخِي فِي الزَّمَانِ. وَمَعْرِفَتُهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ؛ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَإِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا؛ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَ الْمُنْعَمِ بِهَا، أَوْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ بِشَفَاعَةِ⁽⁷⁾ آلِهَتِنَا، أَوْ أَنَّهُمْ [لَا يَعْمَلُونَ]⁽⁸⁾ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِمْ،⁽⁹⁾ وَلَا يَشْكُرُونَ لَهُ.

وَقِيلَ: "نِعْمَةُ اللَّهِ": نَبُوءَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَعْرِفُونَهَا بِالْمُعْجَزَاتِ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا عِنَادًا. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: 83] أَي: الْجَاحِدُونَ⁽¹⁰⁾ عِنَادًا؛ تَذْيِيلٌ فِيهِ تَقْرِيرٌ وَتَوْضِيحٌ، حَيْثُ بَيَّنَّ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْأَكْثَرِ لَا عَلَى الْكُلِّ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ⁽¹¹⁾ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللَّهِ.

(1) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): يَضُرُّكَ.

(2) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): الْقَلَّةُ.

(3) فِي نَسْخِ (الْأَصْلُ، م، غ): غَلِبَتْهَا.

(4) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَةِ (غ): مَكَانَهَا بَيْنَ.

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (م).

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): مِنْ.

(7) فِي نَسْخَةِ (غ): شَفَاعَةٌ.

(8) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(9) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): لَا يَعْلَمُونَ عَلَى وَفْقِ عَمَلِهِمْ.

(10) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): الْحَامِدُونَ.

(11) فِي نَسْخِ (الْأَصْلُ، م، غ): فِيهِمْ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: 84]

نَبِيًّا يَشْهَدُ لَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النحل: 84] في الاعتذار، وقيل: في الرجوع إلى الدنيا. قال صاحب الكشاف: "والمعنى: لا حُجَّةَ لَهُمْ، فدلَّ بِتَرْكِ الْإِذْنِ عَلَى أَنَّ لَا حُجَّةَ لَهُمْ وَلَا عُذْرَ".⁽¹⁾

ومعنى (ثُمَّ)؛ زيادةٌ عدمِ الإذنِ في الاعتذارِ على شهادةِ الأنبياءِ عليهم، فَإِنَّ الزَّائِدَ عَلَى الشَّيْءِ يَكُونُ بَعْدَهُ. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: 84] من (الْعُتْبَى)، بمعنى: الرِّضَا، أي: لَا يُسْتَرْضَوْنَ، أي: لَا يُقَالُ لَهُمْ: أَرْضُوا رَبَّكُمْ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بَدَارِ عَمَلٍ،⁽²⁾ كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽³⁾ وَ﴿يَوْمَ﴾ نَصَبٌ بِمَقْدَرٍ مِنْ نَحْوِ: اذْكُرْ.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [النحل: 85]

﴿إِذَا﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿يَوْمَ﴾؛ عَطْفُ زَمَانٍ عَلَى زَمَانٍ. وَالْعَذَابُ: عَذَابُ جَهَنَّمَ، وَالْإِنْظَارُ: الْإِمْهَالُ. ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾ [النحل: 86] الشُّرَكَاءُ: الْأَوْثَانُ أَوْ الشَّيَاطِينُ. وَ﴿نَدْعُو﴾⁽⁴⁾ بِمَعْنَى: نَعْبُدُ أَوْ نُطِيعُ. وَهُوَ اعْتِرَافٌ بِخَطِيئِهِمْ أَوْ طَلَبٌ لِمَزِيدٍ⁽⁵⁾ عَذَابِهِمْ. ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 86] أي: قَالَ الشُّرَكَاءُ فِي جَوَابِهِمْ: إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ فِي⁽⁶⁾ قَوْلِكُمْ "هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا". وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ؛ لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ رَاضِينَ بِشُرَكَائِهِمْ،⁽⁷⁾ أَوْ فِي قَوْلِهِمْ⁽⁸⁾ "تَدْعُو مِنْ دُونِكَ" يَعْنِي: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ وَتُطِيعُونَهَا، وَلَيْسَ عِبَادَتُكُمْ لَنَا فِي الْحَقِيقَةِ. وَتَكَلَّمَ الْأَصْنَامُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ بِإِنطَاقِ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مُمْتَنِعٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِلِسَانِ الْحَالِ.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 626).

(2) في نسخة (غ): حمل.

(3) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 626).

(4) في نسختي (الأصل، م): نعبد.

(5) في نسختي (الأصل، م): بمزيد.

(6) في نسخة (غ): من.

(7) في نسخة (غ): لشركهم.

(8) في نسخة (غ): قولكم.

﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: 87] عطفٌ على ﴿قَالُوا﴾، و(السَّلَمُ): الاستِسْلَامُ لِحُكْمِهِ.⁽¹⁾
 ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: 87] مِنْ أَنَّ الشَّرْكَاءَ [يَشْفَعُونَ لَهُمْ]⁽²⁾ وَيُعِينُونَهُمْ. وضلالُ الشَّرْكَاءِ
 عنهم أَنَّهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَتَبَرَّؤُوا عنهم.⁽³⁾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: 88]

استئنافٌ مبنيٌّ على السؤالِ، كأنَّه قيل: إذا كان حالُ المشركين ذلك، فكيف يكونُ حالُ الذين جَمَعُوا
 بين الشِّرْكِ وَصَدِّ النَّاسِ عن طريقِ الإسلامِ؟ فقيل: الذين أَشْرَكُوا وَصَدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ [زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
 فوقَ العذابِ، كما أَنَّهُمْ رَادُّوا الصَّدَّ عن سبيلِ اللَّهِ]⁽⁴⁾ فوقَ الشِّرْكِ. وقيل: "زيادةُ عذابهم": أَنَّهُمْ يُخْرَجُونَ
 مِنَ النَّارِ إِلَى الزَّمْهِرِيرِ، فَيَتَبَادَرُونَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ إِلَى النَّارِ. ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: 88] بسببِ
 إفسادِهِمْ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: 89]

وهو نبيُّهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: 89] خطابٌ لمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 و﴿هَؤُلَاءِ﴾ إشارةٌ إِلَى أُمَّتِهِ. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النحل: 89] جملةٌ مستقلةٌ،⁽⁵⁾ معطوفةٌ على الجملةِ
 السابقة. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ حالاً على تقديرِ (قد)، كأنَّه قيل: وَجِئْنَا بِكَ حالَ كَوْنِكَ تَحَقَّقَ⁽⁶⁾ فيكَ نزولُ
 الكتابِ عَلَيْكَ. والإنزالُ وَإِنْ كَانَ مقدِّماً، إِلَّا أَنَّ حُكْمَ تَحْقِيقِهِ مستمرٌّ غيرُ منقطعٍ. ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾
 [النحل: 89] نصبٌ على الحال، أي: مُبَيَّنَّا⁽⁷⁾ لِكُلِّ شَيْءٍ. و(التَّبَيَّنَّا):⁽⁸⁾ البَيَانُ البليغُ. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ
 مفعولاً له، إذا جُعِلَ فِعْلاً لِلَّهِ لِيَقْبَلَ النَّصْبَ. ومعنى كونه ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ على بعضِ
 الأحكامِ تفصيلاً وعلى بعضها إجمالاً، حيثُ أَمَرَ بِإِطَاعَةِ قولِ النبيِّ، والرُّجُوعِ إِلَى العلماءِ فِي الأمورِ،

(1) في نسختي (الأصل، م): بحكمه.

(2) بين المعقوفتين في جميع النسخ: يَشْفَعُونَ لَهُمْ، وأثبت (يَشْفَعُونَ لَهُمْ) لأنه أصح.

(3) في نسختي (الأصل، م): عليهم.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(5) في نسخة (ش): مستقلة صفة.

(6) في نسختي (الأصل، م): نحقق.

(7) في نسختي (الأصل، م): تبيَّنَّا.

(8) في نسخة (ش): البيان.

وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى التَّفَكُّرِ الْمُظْهِرِ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، مَعَ أَنَّ التَّحْقِيقَ: أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةَ⁽¹⁾ لَا شَيْءَ مِنْهَا إِلَّا وَهُوَ مَعْلُومٌ فِيهِ بِوَجْهِهِ، وَدَاخِلٌ تَحْتَ أَصْلِ كُلِّيٍّ⁽²⁾ يُمْكِنُ أَنْ يُعْلَمَ حُكْمُهُ مِنَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْأَصْلِ، إِذِ الْكَائِنَاتُ مُرْتَبِطَةٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ دَاخِلَةٌ تَحْتَ سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَلَهُ زِيَادَةُ تَحْقِيقٍ، يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ بَسْطٍ وَتَفْصِيلٍ لَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ فِي كَلَامِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَالْحُكَمَاءِ الْمُتَأَلِّهِينَ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: كُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ فَهُوَ فِي الْقُرْآنِ. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89] لَا لِغَيْرِهِمْ، وَهُوَ عَطْفٌ عَلَى ﴿تَبَيَّنَّا﴾ عَلَى مَعْنَى: وَهَادِيًا وَذَا رَحْمَةٍ وَذَا بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ؛ عَلَى أَنْ يَكُونَ ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ قَيْدًا لِلْمَجْمُوعِ. وَالْبَيْضَاوِيُّ جَعَلَهُ قَيْدًا لِلْآخِرِ، حَيْثُ قَالَ: "وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْجَمِيعِ، وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً."⁽³⁾ وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ عَلَى تَقْدِيرِ الْحَالِيَّةِ؛ لِأَنَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَيْسَ فِي حَالٍ تَعْلُقُ هِدَايَتَهُ بِالْجَمِيعِ. وَعَلَى تَقْدِيرِ الْعَلِيَّةِ يُحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ وَتَكْلُفٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: "لِلْجَمِيعِ، وَإِنَّمَا حِرْمَانُ الْمَحْرُومِ مِنْ تَقْرِيطِهِ."⁽⁴⁾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "الْعَدْلُ: هُوَ الْوَاجِبُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَدَلَ فِيهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَجَعَلَ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ وَقَاعًا تَحْتَ طَاقَتِهِمْ. وَالْإِحْسَانُ: النَّدْبُ، وَإِنَّمَا عُلِقَ أَمْرُهُ بِهِمَا جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْفَرَضَ لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ تَقْرِيطٌ فَيَجْبُرُهُ⁽⁵⁾ النَّدْبُ. وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ عَلَّمَهُ الْفَرَائِضَ -فَقَالَ: "وَاللَّهِ لَا زِدْتُ فِيهَا وَلَا نَقَصْتُ" -: «أَفْلَحَ الرَّجُلُ إِنْ صَدَقَ»،⁽⁶⁾ فَقَيَّدَ⁽⁷⁾ الْفَلَاحَ بِشَرْطِ الصِّدْقِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ التَّقْرِيطِ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): الْخَارِجَةُ.

(2) فِي نَسْخِ (الأصل، م، غ): كُل.

(3) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 237).

(4) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 237).

(5) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): لِيَجْبُرَهُ.

(6) حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ: الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (1/ 18)، فِي بَابِ الزَّكَاةِ مِنَ الْإِسْلَامِ، بِرَقْمِ (46)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ

(1/ 40) فِي بَابِ بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، بِرَقْمِ (11)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (1/ 106) بِرَقْمِ (391)

كُلُّهُمْ بِلَفْظِ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

(7) فِي الْكَشَافِ: فَعَقَدَ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا»،⁽¹⁾ فما⁽²⁾ يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ مَا يَجْبُرُ كَسَرَ التَّعْرِيطِ من النَّوَافِلِ.⁽³⁾

قال البيضاوي: «بِالْعَدْلِ»؛ بِالتَّوَسُّطِ فِي الْأُمُورِ "اعتقاداً"؛ كالتَّوَجِيدِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ⁽⁴⁾ التَّعْطِيلِ والتَّشْرِيكِ، و"القول بالكسب" الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ مَحْضِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، و"عملاً"؛ كالتَّعَبُّدِ⁽⁵⁾ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَوَسِّطَةِ بَيْنَ الْبِطَالَةِ وَالتَّرَهُبِ، و"خُلُقاً"؛ كالجودِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالتَّبَذِيرِ. ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾: إِحْسَانِ

⁽¹⁾ حديث صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه (184 / 1) برقم (276)، وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط وآخرون): حديث صحيح، وهذا سند فيه انقطاع بين سالم بن أبي الجعد وبين ثوبان، نبه على ذلك غير واحد من الأئمة، لكن له طريق أخرى متصلة. وأخرجه الطيالسي في مسنده (337 / 2) برقم (1089)، وابن أبي شيبة في مصنفه (14 / 1) برقم (35) بلفظ «لَا يُخَافُظُ عَلَى الطُّهُورِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، والدارمي في سننه (519 / 1) برقم (681)، والحاكم في المستدرک (221 / 1)، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُجَرِّجَاهُ"، والبيهقي في السنن الكبرى (670 / 1) برقم (2150)، والبعوي في شرح السنة (327 / 1)، وغيرهم من طريق سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، رفعه. وهو من هذه الطريق في مسند أحمد (60 / 37)، برقم (22378). قال البغوي: هَذَا مُنْقَطِعٌ، وَيُرْوَى مُتَّصِلًا عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ. قال محقق سنن ابن ماجه: وهذه الطريق المتصلة أخرجها الدارمي (681)، ومحمد بن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (204 / 1) برقم (170)، والطبراني في "الكبير" (101 / 2) برقم (1444) من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا ابن ثوبان، حدثني حسان بن عطية، أن أبا كبشة السلولي حدثه، أنه سمع ثوبان... وهذا سند حسن، وصححه ابن حبان (1037) وهو في "مسند أحمد" (22433). ينظر: الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود البصري (المتوفى: 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999 م، (337 / 2)، وابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1409، (14 / 1) والمروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر (المتوفى: 294هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1406هـ، (204 / 1)، وابن حبان (المتوفى: 354هـ)، صحيح ابن حبان، (311 / 3)، والبعوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود الشافعي (المتوفى: 516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ - 1983 م، (327 / 1).

⁽²⁾ في نسخة (غ): مما.

⁽³⁾ الزمخشري، الكشاف، (628-629).

⁽⁴⁾ سقط من نسخة (غ).

⁽⁵⁾ في نسخة (غ): كالنقيد.

الطَّاعَاتِ، وَهُوَ إِمَّا بِحَسَبِ "الْكَمِّيَّةِ" كَالنَّطْوَعِ بِالنَّوْافِلِ، أَوْ بِحَسَبِ "الْكَيفِيَّةِ" كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽¹⁾.

﴿وَإِيْتَاءَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90]

(ذِي الْقُرْبَىٰ): الْأَقَارِبُ، وَ(الْفَحْشَاءُ): مَا تَجَاوَزَ عَنْ⁽²⁾ الْحَدِّ، وَ(الْمُنْكَرُ): مَا تُتَكْرَهُ الْعُقُولُ، وَ(الْبَغْيُ): طَلَبُ النَّطَاوِلِ بِالظُّلْمِ وَالتَّجَبُّرِ عَلَى النَّاسِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "حِينَ أُسْقِطَتْ مِنَ الْخُطْبِ لَعْنَةُ⁽³⁾ الْمَلَاعِينِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ -كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ-،⁽⁴⁾ أُقِيمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَقَامَهَا.⁽⁵⁾ وَلَعَمْرِي إِنَّهَا كَانَتْ فَاحِشَةً وَمُنْكَرًا وَبَغْيًا، وَضَاعَفَ اللَّهُ لِمَنْ سَنَّهَا غَضَبًا وَنَكَالًا وَخِزْيًا، إِبَاجَةً لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»⁽⁶⁾ وَكَانَتْ سَبَبَ إِسْلَامِ عِثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ.⁽⁷⁾ انْتَهَى. وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ مُنَافٍ لِمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ عَدَمِ جَوَازِ سَبِّ⁽⁸⁾ مُعَاوِيَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: "هِيَ أَجْمَعُ آيَةٍ"⁽⁹⁾ فِي الْقُرْآنِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ. قَالَ الْبَيْضاوي: "وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ هَذِهِ الْآيَةِ لَصَدَّقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَلَعَلَّ إِبْرَادَهَا عَقِيبَ

(1) **حديث صحيح:** أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 115) في كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَاب: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] برقم (4777)، ومسلم في صحيحه (1/ 39) في كِتَابِ الْإِيمَانِ بَاب: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، برقم (9)، وابن ماجه (1/ 25) في بَابِ فِي الْإِيمَانِ برقم (64).

(2) في نسختي (الأصل، م): من.

(3) في نسخة (غ): لعند.

(4) بين الشريطين في نسخ (ش، ض، غ): رضي الله عنه.

(5) في نسختي (ش، ض): مقامهما.

(6) **حديث صحيح:** هذا طرف من حديث غدير خم الوارد في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد أخرجه النسائي في السنن الكبرى (7/ 439) برقم (8419)، وابن حبان (15/ 376) برقم (6931)، والحاكم في المستدرک (3/ 419) وفيه هذا اللفظ. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِطَوِيلِهِ، شَاهِدُهُ حَدِيثُ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ أَيْضًا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا. ينظر: النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين (3/ 118).

وأخرج الترمذي في كتاب المناقب (5/ 633) باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بلفظ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ» وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(7) الزمخشري، الكشاف، (2/ 629-630).

(8) في نسخة (غ): سبه.

(9) في نسخة (غ): أنه.

قوله: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا﴾ [النحل: 89] للتَّيَانِ عَلَيْهِ. ⁽¹⁾ ﴿يَعْظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90] تقرير لقوله: ﴿يَأْمُرُ﴾، ⁽²⁾ أو خبر [بعد خبر]، ⁽³⁾ أو حال عن فاعل ﴿يَأْمُرُ﴾، ⁽⁴⁾ أي: يَعْظُكُم بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّمْيِيزِ ⁽⁵⁾ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لَعَلَّكُمْ تَتَّعِظُونَ.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: 91]

هُوَ بَيْعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِنَّمَا سَمَّاهُ "عَهْدَ اللَّهِ"؛ لِأَنَّ بَيْعَتَهُ بَيْعَةُ اللَّهِ، بِدَلِيلِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10]. وقيل: هُوَ النَّذْرُ، ⁽⁶⁾ وقيل: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ.

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91]

أي: لَا تَنْقُضُوا أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ بَعْدَ تَوْثِيقِهَا بِاسْمِ اللَّهِ. وَ(أَكَّدَ) وَ(وَكَّدَ) لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، وَالْأَصْلُ الْوَأُو وَالْهَمْزَةُ بَدَلٌ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. ⁽⁷⁾ ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: 91] شَاهِدًا رَقِيبًا، فَإِنَّ الْكَفِيلَ مُرَاعٍ لِحَالِ الْمَكْفُولِ بِهِ، رَقِيبٌ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ⁽⁸⁾ الْكَفَالََةَ وَأَرَادَ لَازِمَهُ. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91] تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ. ⁽⁹⁾

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [النحل: 92]

(الْغَزْلُ): مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَي: لَا تَكُنْ فِي نَقْصِ ⁽¹⁰⁾ الْعَهْدِ كَالْمَرْأَةِ ⁽¹¹⁾ الَّتِي نَقَصَتْ مَا غَزَلَتْهُ مِنْ بَعْدِ الْإِبْرَامِ. ﴿أَنْكَاثًا﴾ [النحل: 92] جَمْعُ (نَكْثٍ)، وَهُوَ: مَا يُنْكَثُ فَتُلَهُ. نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ

(1) الببضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 238).

(2) في جميع النسخ: يأمركم.

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(4) في جميع النسخ: يأمركم.

(5) في نسختي (الأصل، م): تمييز، وفي نسخ (ش، ض، غ): والميز، وأثبت (التمييز) لأنه أصح.

(6) في نسخة (م): السدر.

(7) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 630).

(8) في نسخة (ض): ونكر.

(9) في نسخة (م): المنتهي.

(10) في نسخة (غ): بعض.

(11) في نسخة (غ): كالمراد.

﴿عَزَلَهَا﴾ أو مفعول ثانٍ لـ ﴿نَقَضَتْ﴾، فإنه بمعنى: صَيَّرَتْ. قيل: هي رِيْطَةٌ⁽¹⁾ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ الْقُرَشِيَّةِ،⁽²⁾ فإنَّهَا كَانَتْ تَغْزِلُ هِيَ وَجَوَارِيهَا مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الظُّهْرِ، ثُمَّ تَأْمُرُهُنَّ بِنَقْضِ⁽³⁾ مَا غَزَلْنَ.⁽⁴⁾ ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: 92] حَالٌّ عَنْ فَاعِلٍ ﴿لَا تَكُونُوا﴾، أو عَنْ فَاعِلِ الظَّرْفِ الَّذِي وَقَعَ مَوْقِعَ الْخَبَرِ لـ ﴿لَا تَكُونُوا﴾.⁽⁵⁾ والدَّخَلُ: الْمَفْسَدَةُ والدَّغْلُ، وَأَصْلُهُ مَا يَدْخُلُ الشَّيْءَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ. ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: 92] (أَنْ) مُصَدَّرِيَّةٌ بِحَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَ(كَانَ) تَامَّةٌ، وَ﴿هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿أُمَّةٍ﴾. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ (كَانَ) النَّاقِصَةِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ خَبَرًا لَهُ، وَالْمَالُ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ [يَلْزَمُ حِينَئِذٍ مِنْ]⁽⁶⁾ بَيَانِ نُكْتَةٍ لِيَزِيدَ الصَّمِيرُ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْخَبَرِ، وَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ الْقَصْرِ⁽⁷⁾ لِيَكُونَ ذِكْرُهُ لِإِقَادَةِ الْقَصْرِ. يَعْنِي: ⁽⁸⁾ بِسَبَبِ كَوْنِ أُمَّةٍ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ، أَي: هِيَ أَزِيدُ عَدَدًا، وَأَوْفَرُ مَالًا مِنْ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي جَمَاعَةَ قُرَيْشٍ. وَحَاصِلُهُ؛ لَا تَجْعَلُوا مَزِيَّةَ⁽⁹⁾ جَمَاعَةِ

(1) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): وَبِطَّةٌ، وَفِي نَسَخِ (ش، ض، غ): رِبْطَةٌ.

(2) هِيَ: (رِيْطَةٌ) بِنْتُ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَهِيَ الَّتِي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [النحل: 92]. يَنْظُرُ: الْبَغْدَادِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَمْرِو الْهَاشِمِيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ (الْمُتَوَفَى: 245هـ)، الْمَحْبَرُ، تَحْقِيقُ: إِبِلَزَةُ لَيْخْتِنِ شْتِيْتَرٍ، دَارُ الْأَفَاقِ الْجَدِيدَةِ، بَيْرُوتَ، (ص: 381).

(3) فِي نَسَخَةِ (غ): تَنْقُضُ.

(4) قَالَ مِقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: "امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ حَمَقَاءُ مَصَاحِبَةٍ أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ تَسْمَى رِبْطَةً بِنْتُ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةَ، وَاسْمُهَا جَعْرَانَةُ لِحَمَاقَتِهَا، وَكَانَتْ إِذَا غَزَلَتْ الشَّعْرَ أَوْ الْكَتَانَ نَقَضَتْهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا كَمَا نَقَضَتِ الْمَرْأَةُ الْحَمَقَاءَ غَزْلَهَا."

وَوُرِدَ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ وَلِبَابِ النُّقُولِ لِلْسَيُوطِيِّ أَنَّهُ: أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خُفْصٍ قَالَ: كَانَتْ سَعِيدَةُ الْأَسَدِيَّةُ مَجْنُونَةً تَجْمَعُ الشَّعْرَ وَاللِّيفَ فَتَنْزِلُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: 92] الْآيَةَ. يَنْظُرُ: مِقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ (الْمُتَوَفَى: 150هـ)، تَفْسِيرُ مِقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ (2/ 484)، وَالسَّيُوطِيُّ (الْمُتَوَفَى: 911هـ)، الدَّرُّ الْمَنْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ (5/ 162)، وَلِبَابِ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، تَحْقِيقُ: الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ عَبْدِ الشَّافِيِّ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتٍ - لُبْنَانِ، (ص: 120)، الشُّبْلِيُّ، حَسَنُ عَبْدِ الْمُنْعَمِ، الْجَامِعُ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، (ص: 324)، وَالْعَكَّ، خَالِدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، تَسْهِيلُ الْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، (ص: 201).

(5) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): عِبَارَةٌ "لَا تَكُونُوا" جَاءَتْ فِي الْمَوْضِعَيْنِ عَلَى الْغَيْبَةِ.

(6) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): يَلْزَمُهَا وَمِنْ.

(7) فِي نَسَخَةِ (غ): الْبَصَرُ.

(8) فِي نَسَخِ (ش، ض، غ): وَالْمَعْنَى.

(9) فِي نَسَخَتِي (الْأَصْلُ، م): قَرْيَةٍ.

قُرَيْشٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - مَالاً وَعَدَدًا - سَبَباً لِفَسَادِ أَيْمَانِكُمْ. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ [النحل: 92] الضَّمِيرُ لـ ﴿أَنْ تَكُونُ﴾؛⁽¹⁾ لَأَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، أَوْ لِلرُّبُوبِ،⁽²⁾ وَقِيلَ: لِلأَمْرِ بِالْوَفَاءِ. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 92] إِذْأَرَّ وَتَخْوِيفٌ، وَفِيهِ: وَعْدٌ وَوَعِيدٌ لِلْفَرِيقَيْنِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل: 93]

لَأَجْبِرَكُمْ⁽³⁾ عَلَى قَبُولِ الْإِسْلَامِ. ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: 93] وَلَكِنْ تَعَلَّقَتْ⁽⁴⁾ مَشِيتُهُ بِأَنْ يَخْذُلَ مُسْتَحِقَّ الْخِذْلَانِ، وَيُؤَفِّقَ مُسْتَحِقَّ الْهِدَايَةِ لِلْهِدَايَةِ بِلا قَسْرٍ وَإِجْبَارٍ. ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93]؛ لِأَنَّ أَمْرَ الْعِبَادَةِ عَلَى الْكَسْبِ وَالِاخْتِيَارِ⁽⁵⁾ لَا عَلَى الْقَسْرِ وَالِإِجْبَارِ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: 94]

تَصْرِيحٌ بِالْمَقْصُودِ بَعْدَ ذِكْرِهِ ضِمْنًا؛ لِلتَّكْيِيدِ وَالِاهْتِمَامِ بِشَأْنِهِ. ﴿فَتَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: 94] جَوَابُ النَّهْيِ، يَعْنِي: أَنَّ زَلَلَ⁽⁶⁾ قَدَمٌ وَاحِدَةً أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَكَيْفَ بِأَقْدَامٍ كَثِيرَةٍ؟ ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النحل: 94] (السُّوءُ): عَذَابُ الدُّنْيَا، وَالْبَاءُ فِي ﴿بِمَا﴾ لِلْسَّبَبِيَّةِ. وَ﴿صَدَدْتُمْ﴾ مِنْ "الصُّدُودِ"، أَوْ مِنْ "صَدَّ الْغَيْرِ"؛ فَإِنَّهُ يَجِيءُ لَازِمًا وَمَتَعَدِيًا. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 94] أَي: فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: 95]

وَهُوَ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ يَعِدُونَ لِضِعَافِ الْمُسْلِمِينَ؛ طَمَعًا فِي نَقْضِهِمْ بَيْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَارْتِدَادِهِمْ. ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 95] تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ.

(1) فِي الْأَصْلِ: أَنْ يَكُونَ.

(2) فِي الْأَصْلِ: لِلرُّبُوبَا.

(3) فِي نَسْخَةِ (ش): لِأَخْبَرَكُمْ.

(4) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: تَعْلُقُ.

(5) فِي نَسْخَةِ (م): الْإِخْتِبَارُ.

(6) فِي نَسْخَةِ (غ): رَجُلٌ.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96]

تقرير، وإثبات للتغلغل. ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ﴾ [النحل: 96] أَجَرَ صَبَرِهِمْ على أذى المشركين ومَشَاقِّ الإسلام. وفُرى (وَلَيَجْزِيَنَ)⁽¹⁾ بالياء على الغيبة. ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 96] بجزاء أَحْسَنَ من أعمالهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]

تعليل للحكم السابق على وجه التعميم، و(مَنْ)⁽²⁾ وإن كان متناولاً للذكور والأنثى لكنه يؤهم⁽³⁾ اختصاصه بالذكور،⁽⁴⁾ فدفعه بالتعميم. وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الكافر لا يُجْزَى بخير الدارين معاً، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون له خير الدنيا، كما قيل: ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 145]. فالمؤمن مخصوص بمجموع الجزاءين. قال صاحب الكشاف: "وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح -مؤسراً كان أو مُعْسِراً- يعيش عيشاً طيباً؛ إن كان مؤسراً، فلا مقال فيه. وإن كان مُعْسِراً فَمَعَهُ ما يُطِيبُ عَيْشَهُ، وهو القناعة والرضا بقسمة ربه. وأما الفاجر، فأمره على العكس؛ إن كان مُعْسِراً فلا إشكال في أمره،⁽⁵⁾ وإن كان مؤسراً، فالحرص لا يدعه أن يتهاون بعيشه." ⁽⁶⁾ فعلى هذا يكون المؤمن مخصوصاً بكل من الجزاءين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: 55] فإتيان⁽⁷⁾ الدنيا ليس بمسئلزم لطيب الحياة فيها.⁽⁸⁾ وعن ابن

(1) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وعاصم، (وَلَنَجْزِيَنَ) بالنون. وقرأ الباقر (وَلَيَجْزِيَنَ) بالياء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 375)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 265).

(2) سقط الواو من نسختي (الأصل، م).

(3) في نسخة (ش): توهم.

(4) في جميع النسخ: بالذكر.

(5) في نسخة (غ): أعاد كلامه فقال: إن كان مُعْسِراً فلا إشكال في أمره وإن كان مُعْسِراً فلا إشكال من أمره وإن كان مؤسراً...

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 633).

(7) في نسختي (ش، ض): وإتيان.

(8) سقط من نسخة (غ).

عبّاس رضي الله عنه: (الحياة الطيبة): الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني في الجنة، كذا في الكشاف.⁽¹⁾

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]

الفاء للتعقيب، أي: بعدما علمت أن ثناء⁽²⁾ الجزاء الحسن على العمل الصالح فاستعد حين إرادة القراءة من الشيطان الرجيم. وهو دليل على أن الاستعاذة من الأعمال الصالحة التي يترتب عليها الجزاء الحسن. والجمهور على أن الأمر به للاستحباب. قال البيضاوي: "وفيه دليل على أن المصلي يستعيد في كل ركعة؛ لأن الحكم⁽³⁾ المترتب على الشرط يتكرر بتكرره قياساً⁽⁴⁾".⁽⁵⁾ وفيه تأمل؛ لأن الشرط⁽⁶⁾ إرادة القراءة، ولا تكرير⁽⁷⁾ في الإرادة في الصلاة، بل إرادة واحدة تعلقت⁽⁸⁾ بمجموع أفعال الصلاة، يستمر حكمها إلى آخر الصلاة، كما يُنادي عليه اشتراط النية.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99]

استئناف؛ لبيان أن وساوسه تُدفع عن المؤمنين بالاستعاذة، إذ⁽⁹⁾ ليس له تسلط عليهم حتى يلزمهم الوسوس ويُجبرهم عليها.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 100]

أي: على الذين يطيعونه،⁽¹⁰⁾ والذين يُشركون بالله؛ على أن (الباء) صلة للإشراك. ويجوز أن تكون سببية، بإرجاع الضمير إلى الشيطان.

(1) الزمخشري، الكشاف، (2/ 633).

(2) في نسخة (غ): بناء.

(3) في نسخة (ش): الحكمة.

(4) سقط من نسختي (الأصل، م).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 240).

(6) في نسختي (ش، ض): الشرطية.

(7) في نسخة (غ): تكرر.

(8) في جميع النسخ: تعلق.

(9) في نسخة (غ): أو.

(10) في نسخة (غ): يطيقونه.

فإن قيل: كيف يُوافق ذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ﴾ [إبراهيم: 22]؟ قلنا: المنفي: السلطنة الحقيقية، والمثبت: السلطنة⁽¹⁾ الظاهرة التي تستصحبها الإطاعة، فلا منافاة.

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: 101] بالنسخ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾ [النحل: 101] ما يُنْزِلُ إِلَّا ما فيه مصلحة الوقت. والجملة معترضة،⁽²⁾ أو حالية؛ على الإظهار موضع الإضمار. وقرأ (يُنْزِلُ)⁽³⁾ من (الإفعال). ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: 101] جواب الشرط، أي: قالوا: إنما أنت مُفْتَرٍ مُتَقَوِّلٍ على الله بما تُريد؛ تأمر بشيء ثم يبذو لك فتتهى عنه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 101] حكمة⁽⁴⁾ الإحكام. وإنما قال ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لجواز أن يكون فيهم⁽⁵⁾ من يعلم ويعاند. ويجوز أن يراد الكل، واستعمال (الأكثر) في (الكل) شائع. ويجوز أن لا يُقدَّر للعلم مفعول؛ على تنزيله منزلة اللازم، فكأنه قيل: بل أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: 102]

تعليم للجواب والرد عليهم. والضمير في ﴿نَزَّلَهُ﴾ للقرآن. وروح القدس: جبريل. وقرأ (القدس) بإسكان الدال.⁽⁶⁾ و﴿بِالْحَقِّ﴾ ظرف مستقر في موقع الحال من مفعول ﴿نَزَّلَهُ﴾، والباء⁽⁷⁾ للالتباس. ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النحل: 102] علة لـ ﴿نَزَّلَهُ﴾، أي: نَزَّلَهُ ملتبساً بالحكمة، يعني: أن النسخ من جملة الحق؛ ليثبت

(1) في نسخة (ض): أعاد قوله فقال: المنفي السلطنة الحقيقية والمثبت السلطنة الظاهرة التي...

(2) في نسخة (غ): مفترضة.

(3) قراءة متواترة: قرأ أبو عمرو وحده (أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ) بالتخفيف هنا، وقرأ الباقر (يُنْزِلُ) بالتشديد. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 132)، والواسطي (المتوفى: 741هـ)، الكنز في القراءات العشر، (2/ 413)، وابن الجزري، (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 219).

(4) في نسخة (غ): حكم.

(5) في نسخة (غ): منهم.

(6) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وحده (بِرُوحِ الْقُدُسِ) بإسكان الدال في جميع القرآن. وقرأ الباقر (القدس) برفع الدال في كل القرآن. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 375)، والأزهري (المتوفى: 370هـ)، معاني القراءات، (1/ 164)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 132)، والداني (المتوفى: 444هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 74).

(7) في نسخة (ض): والبناء.

الذين آمنوا، أي: لِيَبْلُوهُمْ بالنسخ حتى إذا قالوا فيه: هو⁽¹⁾ الحق من ربنا، والحكمة منه: حُكِمَ لهم بثبات القدم، وصحة اليقين، وطُمَأْنِينَةُ القلوب على أنه تعالى حكيمٌ، فلا يفعل إلا ما هو حكمةٌ وصوابٌ، كذا في الكشف.⁽²⁾

وفي⁽³⁾ جَعَلِهِ عِلَّةً لِلتَّنْزِيلِ تأمل، إلا أن يُقال: إنَّ المراد به⁽⁴⁾ عِلَّةٌ أُخْرَى، أو بجعل الفائدة في حُكْمِ العِلَّةِ.

﴿وَهَدَىٰ وَبُشِّرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102]

معطوفان على محلٍ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ على تقدير: تَثْبِيثًا⁽⁵⁾ وهدايةً وبشارةً، لكن لا بدَّ من نُكْتَةٍ في تغيير الأسلوب، مع أن الكلَّ فعلٌ لفاعلِ الفعلِ المَعْلَلِ. وكأنَّ النُّكْتَةَ فيه: المبالغة في التَثْبِيثِ⁽⁶⁾ حيثُ ذُكِرَ بصيغة المضارع الدالِّ على التَّجَدُّدِ الاستمراري، على معنى: [تَثْبِيثًا بعد تَثْبِيثٍ]،⁽⁷⁾ دائماً. قال صاحب الكشف: "وفيه تعريضٌ لِحُصُولِ⁽⁸⁾ أَضْدَادِ هذه الخِصَالِ لغيرهم."⁽⁹⁾

(1) سقط من نسخة (ش).

(2) ينظر: الزمخشري، الكشف، (2/ 635).

(3) في نسخة (غ): ومن.

(4) في نسختي (ش، غ): أنه.

(5) في نسخ (الأصل، م، غ): تَثْبِيثًا.

(6) في نسختي (الأصل، م): التَثْبِيث.

(7) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م، غ): تَثْبِيثًا بعد تَثْبِيثٍ، وفي نسخة (ض): تَثْبِيثًا مع تَثْبِيث.

(8) في نسخ (ش، ض، غ): بحصول.

(9) الزمخشري، الكشف، (2/ 635).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: 103]

قيل: هو غلام⁽¹⁾ حُوَيْطِب⁽²⁾ بن عَبْدِ الْغُزَّى⁽³⁾ قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه عائش أو يعيش⁽⁴⁾، وكان [صاحب كُتُب]. وقيل: هو جَبْر؛ غلام⁽⁵⁾ رُومِي⁽⁶⁾ كان لعامر بن الحَضْرَمِيِّ⁽⁷⁾. وقيل: جَبْر⁽⁸⁾ ويسار، كانا يصنعان⁽⁹⁾ السُّيُوفَ بمكة ويقرآن التَّوْرَةَ والإنجيل، وكان⁽¹⁰⁾ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرُّ عليهما ويسمع⁽¹¹⁾ ما يقرآنه. وقيل: هو سلمان الفارسي⁽¹²⁾. وقيل: هو سلمان الفارسي⁽¹³⁾.

(1) في نسخ (ش، ض، غ): علام.

(2) في نسختي (الأصل، م): حويطت.

(3) في نسخة (م): القرى، وفي نسخة (غ): القرى. وهو حويطب بن عبد الغزى، من بني عامر بن لؤي بن غالب القرشي، من مسلمة الفتح، الصحابي المعمر، عاش في الجاهلية سبتيين سنة وفي الإسلام سبتيين سنة، وكانت كنيته أبا محمّد مات بالمدينة سنة أربع وخمسين في ولاية معاوية، ابن حبان (المتوفى: 354هـ)، الثقات، (3/ 96)، والذهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، (2/ 540)، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ، (2/ 124).

(4) في نسخ (الأصل، م، غ): لعيش.

(5) في نسخة (ش): علام.

(6) في نسخة (ش): روي، وفي نسخة (غ): أو من.

(7) هو أخو العلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور، كان سيّدًا لجبر، وكان قد أسلم، فأكرهه عامر على الكفر، ثم أسلم عامر بعد ذلك وهاجر هو ومولاه جميعاً. ينظر: العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، (3/ 469).

(8) في نسختي (الأصل، م): خير.

(9) في نسخة (غ): يضيفان.

(10) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(11) سقط من نسخة (غ).

(12) ورد الحديث عند الطبري، الثعلبي، والبغوي وابن الجوزي، ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 300)، والثعلبي، الكشف والبيان، (6/ 44)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (5/ 44)، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/ 585).

(13) أخرجه الطبري عن الضحاك، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 300)، ينظر أيضاً: الزمخشري، الكشاف، (2/ 635).

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]

استئناف لبيان بطلان كلامهم. و(اللسان): اللغة، يُقال: أَلَحَدَ (1) الْقَبْرَ وَلَحَدَهُ، إِذَا أَمَالَ (2) حَفَرُهُ عَنْ الاستقامة، فَحَفَرَ فِي شَقٍّ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ (3) لِكُلِّ إِمَالَةٍ عَنْ الاستقامة، يعني: لسان الرجل الذي يُمِيلُونَ قولهم عن الاستقامة إليه لسانٌ أعجميٌّ غيرُ بَيِّنٍ، (4) وهذا القرآن لسانٌ عربيٌّ ذو بَيَانٍ وفصاحةٍ. وحاصله: (5) أَنَّ لِمَثَلِ (6) هذا القرآن العربيّ الفصيح في مرتبة الإعجاز، كيف يُمكنُ أَنْ يَأْخُذَهُ (7) من لسانٍ أعجميٍّ مَنْ لَا يَعْرِفُ لُغَةَ الْعَجَمِ أَصْلًا؟ وعلى تقديرِ عِلْمِهِ بِهَا: كيف يَأْخُذُ مِنْهَا الفصاحةَ والبلاغةَ اللَّتَيْنِ (8) في القرآن؟ فَإِنَّهُمَا متعلقتان (9) باللفظ العربيّ مخصوصتان به، ولا مناسبةٌ بين اللفظ العربيّ وبين اللفظِ الأعجميِّ لِيُمْكِنَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنَ الفصاحةِ المتعلّقةِ [بأحدهما] (10) والفصاحةِ (11) المتعلّقةِ (12) بِالْآخَرِ، وكذا حالُ البلاغةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 104]

استئناف مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا بَالُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ [بمثل هذه] (13) الكلماتِ الرُّكِيكَةِ الباطلةِ التي يَظْهَرُ بطلانُها (14) عَلَى الْعَقْلَاءِ؟ فَقِيلَ: (15) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ الْحَقُّ وَلَا يُوَفِّقُهُم

(1) في نسخة (ض): لحد.

(2) في نسخ (الأصل، م، غ): مال.

(3) في نسخة (غ): استقبر.

(4) في نسخة (غ): تبين.

(5) سقط من نسخة (غ).

(6) في نسخ (ش، ض، غ): مثل.

(7) في نسختي (الأصل، م): تأخذه.

(8) في نسخة (ش): اللغتين.

(9) في نسختي (الأصل، م): متعلقان.

(10) في نسختي (ش، ض): لأحدهما.

(11) سقط الواو من نسختي (ش، ض).

(12) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(13) بين المعقوفتين في نسخة (غ): بمشاهدة.

(14) في جميع النسخ: بطلانه، وأثبت (بطلانها) لأنه أصح.

(15) في نسخة (ش): فيقبل.

إلى سبيل النجاة، وهم مستحقون للعذاب الأليم، فبالضرورة لا يُميزون بين الحق والباطل، فيَتَوَطَّنُونَ في مَضِيقِ الجَهَالَةِ والضَّلَالَةِ ويقولون أمثال تلك⁽¹⁾ الكلمات الركيكة.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: 105]

تقرير لقوله: ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ ورد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: 101]، يعني: أن الافتراء على الله إنما يتصور ممن⁽²⁾ لا يؤمن بآيات الله ولا يخاف عقابه. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105] في قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، أو⁽³⁾ هم الكاذبون في الحقيقة والكاملون في الكذب، لا غيرهم.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ [النحل: 106]

بدل من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وما بينهما اعتراض، أو⁽⁴⁾ بدل من ﴿أُولَئِكَ﴾ على [معنى]:⁽⁵⁾ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ هم الكاذبون، أو مَنْ هم الكاذبون؟ على [معنى]:⁽⁶⁾ أولئك⁽⁷⁾ هُمْ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾، أو نَصَبٌ على الذم. ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النحل: 106] استثناء منقطع على؛ ولكن مَنْ أَكْرَهَ على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فهو غير داخل في حكمهم. قال البيضاوي: "استثناء متصل؛ لأنَّ الكُفْرَ لُغَةً⁽⁸⁾ يَعُمُّ الْقَوْلَ وَالْعَقْدَ كَالْإِيْمَانِ. وفيه دليل على أنَّ الإِيْمَانَ هُوَ التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ"⁽⁹⁾ وفيه تأمل؛ لأنه لما جَوَزَ أَنْ يَكُونَ ["الكُفْرُ" محمولاً على المعنى اللُّغَوِيِّ، لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ "الإِيْمَانُ" على المعنى اللُّغَوِيِّ؟]⁽¹⁰⁾ فلا يُلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ⁽¹¹⁾ الإِيْمَانُ الْعُرْفِيُّ

(1) في جميع النسخ: ذلك.

(2) في جميع النسخ: (عَمَّنْ) وأُثْبِتَ (مِمَّنْ) لأنه أصح.

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): و.

(4) في نسخة (غ): و.

(5) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ.

(6) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ.

(7) في نسخ (ش، ض، غ): وأولئك.

(8) في نسختي (الأصل، م): لقد.

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 241).

(10) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(11) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

منحصرًا⁽¹⁾ في فعل القلب. ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: 106] وَرَضِيَ بِهِ بِلَا إِكْرَاهٍ؛ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106] لِعِظَمِ جُرْمِهِمْ. قال صاحب الكشاف: "رُوي أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قُتِلُوا، فَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ أَكْرَهَ فَأَجْرَى كَلِمَةَ الْكُفْرِ عَلَى لِسَانِهِ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لِلْإِيمَانِ، مِنْهُمْ: عَمَّارٌ، وَأَبَوَاهُ⁽²⁾ -يَاسِرٌ وَسُمَيَّةٌ-. وَصُهِيبٌ وَبِلَالٌ وَحَبَّابٌ وَسَلَامٌ؛ عَذَّبُوا. فَأَمَّا سُمَيَّةٌ فَقَدْ رُبِّطَتْ [بَيْنَ بَعِيرَيْنِ]⁽³⁾ وَوُجِئَ⁽⁴⁾ فِي⁽⁵⁾ قُبُلِهَا بِحَرْبَةٍ، وَقَالُوا: إِنَّكَ أَسْلَمْتَ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ، فَقُتِلَتْ، وَقُتِلَ يَاسِرٌ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا عَمَّارٌ فَقَدْ أَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مُكْرَهًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ [عَمَّارًا كَفَرَ]،⁽⁶⁾ فَقَالَ: «كَلَّا، إِنَّ عَمَّارًا مَلِئَ إِيْمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيْمَانُ بِدَمِهِ⁽⁷⁾ وَلَحِمِهِ». فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَسْحُ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «مَا لَكَ؟ إِنَّ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ». ⁽⁸⁾ وَمِنْهُمْ جَبْرٌ ⁽⁹⁾ مَوْلَى الْحَضْرَمِيِّ، أَكْرَهَهُ سَيِّدُهُ فَكَفَرَ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَأَسْلَمَ مَوْلَاهُ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا، وَهَاجَرَا. ⁽¹⁰⁾»⁽¹¹⁾

(1) في الأصل: منحصر.

(2) في نسخة (ض): أبوه.

(3) بين المعقوفتين في نسخة (م): بغير بغيرين.

(4) في نسخة (غ): ووحى.

(5) في نسخة (غ): من.

(6) بين المعقوفتين في نسخة (ض): عمار قد كفر.

(7) في نسختي (م، ض): بدنه.

(8) أورده الواحدي في أسباب النزول، وقال المحقق (عصام بن عبد المحسن الحميدان): لم تصح الرواية عن ابن عباس في هذا، فإنها من طريق العوفي وهو ضعيف، لكن صحت عن أبي مالك وقتادة مرسله، وهو مذهب جمهور المفسرين. وأخرج نحوه الطبري في تفسيره (304 / 17)، وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء بلفظ «إِنَّ عَمَّارًا مَلِئَ إِيْمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ» ينظر: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (304 / 17)، والأصبهاني، أبو نعيم (المتوفى: 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (1 / 139-140)، والواحدي، (المتوفى: 468هـ)، أسباب النزول، (ص: 281).

(9) في نسختي (الأصل، م): خير.

(10) في الأصل: ماجرا.

(11) الزمخشري، الكشاف، (2 / 636-637).

كأن قصده أنهم داخلون في حكم الآية، إلا أن الآية نازلة بعد وقوع الواقعة عليهم؛ لأن السورة مكية كما (1) قالوا، والواقعة إنما هي (2) بعد الهجرة إلى المدينة.

قال البيضاوي: "وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه، وإن كان الأفضل أن (3) يتجنب عنه؛ إعزازاً للدين." (4)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: 107]

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد المذكور، أو إلى الكفر بعد الإيمان. [وفيه دليل] (5) على أن من يستحب الحياة الدنيا على الآخرة يدخل في حكم الوعيد، أعادنا الله من ذلك. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: 107] لا يوفقهم للإيمان؛ لأنهم غير مستحقين له؛ لإصرارهم على الكفر. [وإنما غير المصير على الكفر] (6) فيجوز أن تتعلق (7) به الهداية. ويجوز أن يراد من ﴿الْكَافِرِينَ﴾: الكافرون في علمه، فالكافر الذي يدخل في الإيمان خارج عن الكافرين، فيصح أنه لا يهدي القوم الكافرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [النحل: 108]

تعليل للنفي. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: 108] الكاملون في الغفلة، فيصح الحصر.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل: 109] لعدم تعلق الهداية بهم، بواسطة استحبابهم الدنيا على الآخرة.

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) في نسخة (ض): هو.

(3) سقط من نسخة (ش).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 241).

(5) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(7) في جميع النسخ: يتعلق.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: 110]

من بعد ما ضُربُوا كَعَمَارٍ. ومعنى كَوْنِهِ سبحانه لهم؛ كَوْنُ⁽¹⁾ نُصْرَتِهِمْ مخصوصةً بهم. ومنه يُقال: فلانٌ لفلانٍ لا عليه. و(ثُمَّ) لَتَبَاعُدِ حالٍ⁽²⁾ هؤلاء عن أولئك. وقرئ (فَتَنُوا)⁽³⁾ بالفتح على معنى: من بعد ما عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ. ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ [النحل: 110] على المَشَاقِّ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 110] من⁽⁴⁾ بعدِ الهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرِ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ. قيل: وَيَرْحَمُ عَلَيْهِمْ بِالضَّرُورَةِ، بِوَاسِطَةِ إِطَاعَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولو كانتِ الْآيَةُ مَكِّيَّةً يَكُونُ إِخْبَاراً عن الآتي بصيغة الماضي، فيكون نوعاً من الإعجاز.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: 111]

﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ بـ﴿رَحِيمٌ﴾ أو بـ(أُنْكَزْ).⁽⁵⁾ وإضافةُ النَّفْسِ إِلَى النَّفْسِ باعتبارِ أَنَّ الْأُولَى⁽⁶⁾ بمعنى الشَّخْصِ، وَالثَّانِيَّةُ⁽⁷⁾ بمعنى الدَّاتِ، على معنى: يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ شَخْصٍ يُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهِ⁽⁸⁾ وَيَسْعَى فِي خَلَاصِهَا فيقول: نَفْسِي! نَفْسِي!⁽⁹⁾ أو يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ دَاتِهَا. ﴿وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: 111] بِنُقْصَانِ⁽¹⁰⁾ ثَوَابِهِمْ، وَزِيَادَةِ عِقَابِهِمْ.

(1) في نسختي (ش، ض): كونه.

(2) في نسخة (غ): قال.

(3) قراءة متواترة: قرأ ابن عامر وحده (من بعد ما فُتِنُوا) [النحل: 110] بفتح الفاء والتاء. وقرأ الباقيون (فُتِنُوا) بضم الفاء وكسر التاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 376)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 266).

(4) سقط من نسخة (ض).

(5) في نسخ (الأصل، م، ض): ما ذكروا.

(6) في نسختي (الأصل، م): الأول.

(7) في نسخة (ش): أو الثانية.

(8) في جميع النسخ: نفسها، وأثبت (نفسه) لأنه أصح.

(9) سقط من نسخة (غ).

(10) سقط من نسختي (ش، ض).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾

[النحل: 112]

جَعَلَ هذه القرية المَفْرُوضَةَ مثلاً لكلِّ قومٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عليهم فَأَبْطَرْتَهُمُ النِّعْمَةَ، فَكَفَرُوا، أو لِمَكَّةَ؛ إِنْذَاراً مِنْ مِثْلِ عَاقِبَتِهَا. ومعنى⁽¹⁾ "اطْمَئِنَّانَهَا": أَنَّهَا لَا يُزَعِجُهَا خَوْفٌ، وَيَأْتِيهَا⁽²⁾ رِزْقُهَا رَغَدًا، أَي: وَاسِعًا. ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أَي: مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ مِنْ تَوَاحِيْهَا. و"أَنْعَمَ": جَمْعُ نِعْمَةٍ، عَلَى عَدَمِ الْإِعْتِدَادِ بِالنَّاءِ، كَدِرْعٍ وَأَذْرَعٍ،⁽³⁾ أو جَمْعُ (نُعْمٍ) [كَبُؤْسٍ وَأَبُؤْسٍ].⁽⁴⁾ وفي الْحَدِيثِ: نَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمَوْسِمِ⁽⁵⁾ بِالمِنَى: «إِنَّهَا أَيَّامٌ طُعْمٍ وَنُعْمٍ فَلَا تَصُومُوا». ⁽⁶⁾ كَذَا فِي الْكُشَافِ. ⁽⁷⁾

﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: 112] الإِذَاقَةُ وَاللِّبَاسُ اسْتِعَارَتَانِ [وَلَا إِشْكَالَ]⁽⁸⁾ فِيهِمَا. ⁽⁹⁾ أَمَّا الْأَوَّلَى، فَعَلَى تَشْبِيهِهِ مَا يُذَرِّكُ مِنْ أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ بِمَا يُذَرِّكُ مِنْ طَعْمِ الْمُرِّ وَالتَّبَشُّعِ. وَأَمَّا الثَّانِي فَعَلَى تَشْبِيهِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِاللِّبَاسِ فِي الْإِحَاطَةِ وَالِاسْتِمَالِ عَلَيْهِمْ. بَقِيَ الْكَلَامُ فِي إِيقَاعِ الْإِذَاقَةِ عَلَى اللَّبَاسِ، فَأَشَارَ إِلَى تَحْقِيقِهِ صَاحِبُ الْكُشَافِ بِقَوْلِهِ: "وَأَمَّا إِيقَاعُ الْإِذَاقَةِ عَلَى لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، فَلِأَنَّهُ"⁽¹⁰⁾ لِمَا وَقَعَ عِبَارَةً عَمَّا يُعَشَّى⁽¹¹⁾ مِنْهُمَا وَيُلَابَسُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَذَاقَهُمْ مَا غَشِيَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَلَهُمْ فِي

(1) فِي نَسْخَةِ (م): أَوْ مَعْنَى.

(2) فِي نَسْخَتِي (الأَصْل، م): بِأَنَّهَا، وَفِي نَسْخَةِ (غ): ثَانِيهَا.

(3) فِي نَسْخَةِ (م): أَدْرُوع.

(4) بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَةِ (م): كَنُوسٍ وَأَنُوسٍ.

(5) فِي نَسْخِ (ش، ض، غ): المَوْسِمِ.

(6) لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمَعْتَبَرَةِ، قَالَ عَنْهُ الزَّيْلَعِيُّ: غَرِيبٌ جَدًّا. الزَّيْلَعِيُّ (الْمُتَوَفَى: 762هـ)، تَخْرِيجُ أَحَادِيثِ الْكُشَافِ،

(2/ 248). يَنْظُرُ: السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ (الْمُتَوَفَى: 756هـ)، الدَّرُ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، (7/ 296).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (2/ 800) عَنِ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدَثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، فَقَادَى «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَأَيَّامٌ مِئِي أَيَّامٍ أَكَلٍ وَشُرْبٍ».

(7) يَنْظُرُ: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكُشَافُ، (2/ 638).

(8) بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَةِ (غ): وَالِإِشْكَالِ.

(9) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: فِيهَا، وَاتَّبَعْتُ (فِيهِمَا) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(10) فِي نَسْخَتِي (الأَصْل، م): فَلَا بَدَّ.

(11) فِي نَسْخِ (الأَصْل، م، غ): نَقَشَ.

نحو هذا طريقان لا بدّ من الإحاطة بهما،⁽¹⁾ فإنّ الاستتكار لا يقع إلّا لمن فقدَهُما. أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له، كما نظّر⁽²⁾ إليه هاهنا. ونحوه قول كثير:

غَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... غَلَقَتْ لِضِحْكَتِهِ⁽³⁾ رِقَابُ الْمَالِ.⁽⁴⁾

استعارة⁽⁵⁾ الرِّدَاءِ للمَعْرُوفِ؛ لأنّه يَصُونُ عِرْضَ صاحبه صَوْنَ الرِّدَاءِ لما⁽⁶⁾ يُلقَى عليه. ووَصَفُهُ بِالْغَمْرِ الذي هو وَصَفُ المَعْرُوفِ والنَّوَالِ، لا صفة الرِّدَاءِ، نظراً⁽⁷⁾ إلى المستعار له. والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار، كقوله:

يُنَارِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بْنَ بَكْرٍ

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) في نسختي (الأصل، م): نظروا فيه.

(3) في نسختي (الأصل، م): بضحكته.

(4) البيت في تهذيب اللغة، واللسان، والصاحح منسوب إلى كُثَيْر عَزَّة، وهو في ديوانه، وقال أبو علي القالي عن (الرداء) في هذا البيت: "يريد ب(الرداء) هاهنا البدن، والعرب تقول: فِدَى لك رِدَائِي، وفِدَى لك ثَوْبِي، يريدون البدن". وقال البكري (المتوفى: 487هـ): "ويروى: (جَزَلُ العطاء إذا تَبَسَّمَ)، و(الرداء) في هذا البيت: العطاء وله مواضع، منها: أن الرداء الحُسْن والنَّضارة، والرداء: الدين، والرداء: السيف". (غلقت): حصلت للموهوب له ويُس من رَدَّها وارتجاعها، (رقاب الأموال): نفس المال من إبل وماشية وغيرها، يريد: أنّه لا وجود مثلاً بالبلن وحده، وإنّما وجود برقاب المال نفسها. وقال الشربيني (المتوفى: 977هـ): ومعنى البيت: إذا ضحك المسؤول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسم استرقاق رقاب ماله وأنه يعطي بلا خلاف. ينظر: كُثَيْر عَزَّة بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة، ديوان كُثَيْر عَزَّة (المتوفى: 105 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1391هـ-1971م، (ص: 288)، والقالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم (المتوفى: 356هـ)، الأمالي، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1344 هـ - 1926م، (2/ 289)، والأزهري (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، (8/ 127)، والجوهري (المتوفى: 393هـ)، الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، (2/ 772)، والبكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1/ 935)، وابن منظور (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (5/ 29)، والشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285 هـ، (2/ 265).

(5) في نسخ (ش، ض، غ): استعار.

(6) في نسختي (الأصل، م): بما.

(7) في نسختي (ش، م): نظر.

لِي⁽¹⁾ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي⁽²⁾ ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ.⁽³⁾

أراد بِرْدَائِهِ سَيْفَهُ،⁽⁴⁾ ثم قال: فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ فِي لَفْظِ الْإِعْتِجَارِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁵⁾ ﴿يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] بِصُنْعِهِمْ وَعَمَلِهِمْ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ [النحل: 113]

يعني محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: 113] فِي حَالِ التَّبَاسُهِمِ بِالظُّلْمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَهَلَكُوا كَافِرِينَ بِلا إِيمَانٍ بِسَبَبِ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَالْفَاءُ لِلْسَبَبِيَّةِ، وَالْأُولَى لِلتَّعْقِيبِ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [النحل: 114]

الْفَاءُ فَصِيحَةٌ، عَلَى مَعْنَى: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا سَمِعْتُمْ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ حَلَالًا، وَلَا تَجْعَلُوا الْحَلَالَ حَرَامًا عَلَيْكُمْ بِرَأْيِكُمْ. ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114] إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ أَنَّكُمْ تَقْضُدُونَ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ عِبَادَتَهُ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَابِدِ أَنْ يُطِيعَ مَعْبُودَهُ بِلا مَخَالَفَةٍ، وَيَشْكُرَ نِعْمَةً⁽⁶⁾ بِلا كُفْرَانٍ.

(1) سقط من نسخة (ض).

(2) في نسختي (الأصل، م): بمعنى.

(3) في نسخة (ض): بشطري. البيت في لسان العرب غير منسوب لأحد. و(الاعتجار): لف العمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك، ورويدك: أمهل، يقول: يجاذبني سيفي عبد عمرو، يريد أن يأخذه مني، فقلت: رويدك! فلي النصف الأعلى منه الذي هو في يميني، وخُذْ أَنْتِ النِّصْفَ الْآخِرَ مِنْهُ، فَلَفَ عَلَى رَاسِكَ. ينظر: الجوهري (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (2/479، 737)، وابن منظور (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (14/317)، والبكري (المتوفى: 487هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، (1/905)، والعباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (المتوفى: 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، (2/150)، والطبيي (المتوفى: 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (9/211-212)، والصعدي، عبد المتعال (المتوفى: 1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، 1426هـ-2005م، (3/508).

(4) في نسخة (م): صيغة.

(5) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/639-640).

(6) في نسختي (ش، ض): نعمته.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 115]

حَصَرَ المحرّمات في المذكورات بالنسبة إلى ما حَرَّمُوا على أَنْفُسِهِمْ. وقد سَبَقَ تفسيرُ ذلك في سورة البقرة. (1)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: 116]

نَهَى عَمَّا فَعَلُوا من التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ بِرَأْيِهِمْ، أي: لَا تَقُولُوا الْكَذِبَ مِمَّا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ من الْبَهَائِمِ. وذلك قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: 139]. فَالْكَذِبُ (2) نَصَبٌ عَلَى ﴿لَا تَقُولُوا﴾. وَ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [بدلٌ منه. ويجوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْكَذِبُ﴾ نَصَباً بِ﴿تَصِفُ﴾، وَيَكُونُ ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ مَقُولُ الْقَوْلِ، عَلَى مَعْنَى: وَلَا تَقُولُوا "هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ" (3) لَوْصَفِ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ؛ عَلَى أَنْ تَكُونَ (مَا) (4) مُصَدِّقَةً، أي: لَا تُحَرِّمُوا وَلَا تُحَلِّلُوا لِأَجْلِ قَوْلٍ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُكُمْ، أي: بِمَحْضِ قَوْلِكُمْ بِلَا سَنَدٍ شَرْعِيٍّ مُسْتَنَدٍ (5) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(1) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 173]، ينظر: عبد الباقي التبريزي، تفسير القرآن المجيد، نسخة مصورة (لوح رقم 71).

(2) في نسختي (ش، ض): الكذب (بدون الفاء).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(4) سقط من نسخة (ش).

(5) في نسخة (غ): مسند.

ومعنى "وَصَفُ الْأَلْسِنَةِ الْكَذِبَ": إظهارها إِيَّاهُ، كقولهم: وَجْهٌهَا يَصِفُ الْجَمَالَ وَعَيْنُهَا تَصِفُ السِّحْرَ. وَفُرِيَ (الْكَذِبُ) ⁽¹⁾ بِالْجَرِّ بَدَلًا مِنْ «مَا». وَفُرِيَ (الْكَذِبُ) ⁽²⁾ جَمْعُ كَذُوبٍ بِالرَّفْعِ، صِفَةً لِلْأَلْسِنَةِ، وَبِالنَّصْبِ ⁽³⁾ عَلَى الدَّمِّ، أَوْ بِمَعْنَى: (الْكَلِمِ) ⁽⁴⁾ الْكَوَاذِبِ. «لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» [النحل: 116] تَعْلِيلٌ مُجَرَّدٌ عَنِ الْمَعْنَى الْغَرَضِ. «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» [النحل: 116] عِلَّةٌ لِلنَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْإِفْتِرَاءِ، فَكَأَنَّهُمْ نُهُوا عَنِ الْإِفْتِرَاءِ، وَعَلَّلَ النَّهْيُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الَّذِينَ» وَنَفَى عَنْهُمْ مُطْلَقَ الْفَلَاحِ؛ لِأَنَّ الْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ سَبَبٌ لَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ عَدَمِ الْإِيمَانِ. قَالَ الْبَيْضاوي: "لَمَّا كَانَ الْمُفْتَرِي يُفْتَرِي لِتَحْصِيلِ مَطْلُوبٍ نَفَى عَنْهُمْ الْفَلَاحَ". ⁽⁵⁾ كَأَنَّهُ قَيَّدَ الْفَلَاحَ بِالْوَصُولِ إِلَى مَطْلُوبٍ ⁽⁶⁾ خَاصٍّ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى هَذَا التَّقْيِيدِ ⁽⁷⁾ كَمَا عَرَفْتَ.

(1) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْبَعْضِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ وَالْأَخْفَشِ، وَفِي الْمَحْتَسَبِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَعْرَجِ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَالْحَسَنُ -خِلَافَ- وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَعَمْرُو، وَنَعِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةٍ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَعْرَجِ وَأَبُو طَلْحَةَ وَأَبُو مَعْمَرٍ وَالْحَسَنُ. يَنْظُرُ: الْفَرَاءُ (الْمُتَوَفَى: 207هـ)، مَعَانِي الْقُرْآنِ، (2/ 107)، الْأَخْفَشُ (الْمُتَوَفَى: 215هـ)، مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ، (2/ 419)، وَابْنُ جَنِي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمَحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَاحِدُ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (2/ 12)، ابْنُ عَطِيَّةٍ (الْمُتَوَفَى: 542هـ)، الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ، (3/ 429).

(2) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: (الْكَذِبُ) بِضَمِّ الْكَافِ وَالذَّالِ وَالْبَاءِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى مُسْلِمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، وَمُعَاذُ وَمُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ فِي الْمَحْتَسَبِ، وَفِي الْكَامِلِ إِلَى ابْنِ أَبِي عُبَلَةَ، وَالزَّعْفَرَانِيِّ، وَفِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْبَعْضِ، يَنْظُرُ: الْأَخْفَشُ (الْمُتَوَفَى: 215هـ)، مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ، (2/ 419)، وَابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مَخْتَصَرُ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 77)، وَابْنُ جَنِي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمَحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَاحِدُ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (2/ 11-12)، وَالْهُذَلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 585).

(3) قِرَاءَةُ مُتَوَاتِرَةٍ: وَهِيَ قِرَاءَةُ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ الْبَاقِينَ، يَنْظُرُ: الْهُذَلِيُّ (الْمُتَوَفَى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 585).

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): التَّكَلُّمُ.

(5) الْبَيْضاوي، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 243).

(6) فِي الْأَصْلِ: الْمَطْلُوبُ.

(7) فِي نَسْخِ (الأصل، م، غ): التَّقْيِيدُ.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 117]

تعليلٌ للنفي، كأنه قال: لا يُفْلَحُونَ؛ لأنَّ تَمَتُّعَهُمْ فِي الدُّنْيَا تَمَتُّعٌ قَلِيلٌ يَنْقُطِعُ عَنْ قَرِيبٍ،⁽¹⁾ وَثَبَّتَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ. فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ⁽²⁾ الْفَلَاحُ لِمَنْ هَذَا شَأْنُهُ؟!

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النحل: 118]

يعني في⁽³⁾ سورة الأنعام وهو قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: 146]

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 118]

حَيْثُ فَعَلُوا مَا عُوقِبُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّحْرِيمِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّحْرِيمَ قَدْ يَكُونُ لِلْعُقُوبَةِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النحل: 119]

بِسَبَبِ جَهَالَةٍ، كَمَا قِيلَ: مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَاءُ لِلالتباسِ. وَالظَّرْفُ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِقَوْلِهِ: "أَي: عَمِلُوا الشُّوءَ جَاهِلِينَ غَيْرَ عَارِفِينَ بِاللَّهِ وَبِعِقَابِهِ،⁽⁴⁾ أَوْ غَيْرَ مُتَدَبِّرِينَ لِلْعَاقِبَةِ؛ لَغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِمْ."⁽⁵⁾ ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 119] وَعَدُّ بِالنُّصْرَةِ لِلتَّائِبِينَ، وَبِالْمَغْفَرَةِ لَهُمْ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ عَدَمُ جَوَازِ الْمَغْفَرَةِ لِغَيْرِ التَّائِبِ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ عَدَمُ لَزُومِ الْعُقْرَانِ لَهُمْ، حَيْثُ قُيِّدَ "الْوَعْدُ" بِ(الْعُقْرَانِ بِالتَّوْبَةِ).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] اسْتِثْنَاةٌ لِبَيَانِ بُطْلَانِ مَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ وَهُوَ فَرْدٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَجْمِعٌ لِفَضَائِلَ وَكَمَالَاتٍ لَا تَكَادُ تَوْجَدُ إِلَّا فِي أَشْخَاصٍ كَثِيرَةٍ، أَوْ⁽⁶⁾ لِأَنَّهُ فَعَلَ وَحْدَهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْ كَسْرِ أَصْنَافِهِمْ وَإِبْطَالِ مَذَاهِبِهِمْ، فَكَأَنَّهُ وَحْدَهُ⁽⁷⁾ أُمَّةً، أَوْ لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَمَّنًا وَحْدَهُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ

(1) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): قَلِيلٌ.

(2) فِي نَسْخَةِ (غ): يَتَصَوَّرُ.

(3) فِي نَسْخَةِ (ش): مِنْ.

(4) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): بِعِقَابِهِ (بِدُونِ وَاو).

(5) الزَمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 641).

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ش).

(7) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): وَجْدَهُ.

كُفَّارٌ، كَذَا نُقِلَ⁽¹⁾ عن مجاهدٍ. وقيل: هي (فُعْلَةٌ) بمعنى (مَفْعُولٍ) من (أَمَّهُ) إِذَا قَصَدَهُ، أو إِذَا اقْتَدَى بِهِ. و(القَانِتُ): القَانِمُ بما أَمَرَ به. و(الْحَنِيفُ):⁽²⁾ المَائِلُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ الزَّائِلِ عَنْهُ.

﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: 121] قليلاً وكثيراً. وللإشعار⁽³⁾ إلى هذا المعنى اخْتَارَ جَمَعَ الْقِلَّةِ،⁽⁴⁾ فَإِنَّ مَنْ يَشْكُرُ الْقَلِيلَ فَبِالطَّرِيقِ الْأَوَّلَى يَشْكُرُ الْكَثِيرَ.

رُوي أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَغَدَّى⁽⁵⁾ إِلَّا مَعَ ضَيْفٍ، فَلَمْ يَجِدْ ذَاتَ يَوْمٍ ضَيْفًا فَأَخَّرَ غَدَاءَهُ،⁽⁶⁾ فَإِذَا هُوَ بِفَوْجٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّعَامِ فَخَلُّوا لَهُ أَنَّ بِهِمْ جُدَامًا، وَقَالَ: الْآنَ وَجِبَتْ مُؤَاكَلَتُكُمْ؛ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ عَافَانِي وَابْتَلَاكُمْ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁷⁾ ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121] اصطفاه لِلنُّبُوَّةِ وَهَدَاهُ إِلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ. فِيهِ تَرْغِيبٌ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَيْثُ مَدَحَ إِبْرَاهِيمَ بِهِ. قَالَ الْبَيْضاوِي: "إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ."⁽⁸⁾ وَإِنَّمَا فَسَّرَهُ بِهِ بِوَسْطَةِ ذِكْرِهِ بَعْدَ الْاجْتِبَاءِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْوَاوَ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ، لَا لِلتَّرْتِيبِ، فَلَا يُحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ التَّفْسِيرِ.

﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: 122]

كَمَا سَأَلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: 83]. وَالْحَسَنَةُ: [مَا رَزَقَهُ]:⁽⁹⁾ أَوْلَادًا طَيِّبَةً، وَعُمْرًا طَوِيلًا فِي السَّعَةِ وَالطَّاعَةِ. وَقِيلَ: مَا حَبَّبَهُ⁽¹⁰⁾ إِلَى النَّاسِ، حَتَّى إِنَّهُ [أَحَدٌ لَيْسَ]⁽¹¹⁾ مِنْ أَهْلِ دِينٍ إِلَّا وَهُوَ يَتَوَلَّاهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ. وَقِيلَ: قَوْلُ الْمُصَلِّي مَنَّا: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ.

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): فَعَلَ.

(2) فِي نَسْخَةِ (م): وَالْخَفِيفُ.

(3) فِي نَسْخَةِ (غ): وَالْإِشْعَارُ.

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): الْعِلَّةُ.

(5) فِي نَسْخَتِي (ش، ض): يَتَغَدَّى، وَفِي نَسْخَةِ (غ): يَتَعَدَّى.

(6) فِي نَسْخَةِ (ض): غَدَاءَهُ.

(7) لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَالْأَثَرُ مَنْقُولٌ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ. يَنْظُرُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 643)، وَالرَّازِيُّ (الْمُتَوَفَى: 606 هـ)، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ، (20/ 284)، وَالنَّسْفِيُّ (الْمُتَوَفَى: 710 هـ)، مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ، (2/ 240)، أَبُو حَيَّانٍ (الْمُتَوَفَى: 745 هـ)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، (6/ 610).

(8) الْبَيْضاوِي، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 244).

(9) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَتِي (ش، ض): فَأَرْزَقَهُ.

(10) فِي نَسْخَةِ (ش): حَيَّه.

(11) بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسْخَتِي (م، غ): لَيْسَ أَحَدٌ.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123]

(ثُمَّ) للتفاوتِ المُشعرِ بتَعْظِيمِ المذكورِ بعده، يعني: أن⁽¹⁾ أَجَلَ ما أُوتِيَ إبراهيم عليه السلام إِتِّبَاعُ الرُّسُولِ مِلَّتُهُ. وهو تعظيمُ للرُّسُولِ في الحقيقة، كما لا يخفى. و(أَنْ) مفسرةٌ لِمَا في (الإيحاء) معنى (القول)، أو مصدريةً، على تقدير: بَأَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم، يعني في التَّوْحِيدِ، والدَّعوةِ إليه بالرفق، وإيرادِ الدلائل بعد أخرى، والمجادلة مع كلِّ أَحَدٍ على حسبِ فُهمِهِ، كذا قال البيضاوي.⁽²⁾ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123] كأنه قيل: كُنْ مَوْحِدًا - غيرَ مُشْرِكٍ - مثله.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: 124]

تحذير⁽³⁾ من⁽⁴⁾ المخالفةِ بِذِكْرِ ما لِحَقِّ المخالفين المتقدمين، أي: إِنَّمَا جُعِلَ [وَبَالَ السَّبْتُ]⁽⁵⁾ وهو "المَسْخُ" ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾، واختلافُهم فيه: أَنَّهُمْ أَحَلُّوا الصَّيْدَ فيه تَارَةً، وَحَرَّمُوا تَارَةً، وكان الواجبُ عليهم أَنْ يَتَّقُوا على تحريمِهِ على كلمةٍ واحدةٍ. قال البيضاوي: "يعني تعظيمُ السَّبْتِ، ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي على نَبِيِّهِمْ، وهم اليَهُودُ، أَمَرَهُم موسى عليه السلام أَنْ يَتَقَرَّعُوا للعبادةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَبَوْا، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وقالوا: نُريدُ يَوْمَ السَّبْتِ؛ لأنَّه تعالى فَرَعَ من خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فيه]،⁽⁶⁾ فَالزَّمَهُمُ اللهُ يَوْمَ السَّبْتِ،⁽⁷⁾ وَشَدَّدَ الأَمْرَ عليهم."⁽⁸⁾ ولا يخفى أَنَّهُ إِنَّمَا يُنَاسِبُ المَقَامَ⁽⁹⁾ باعتبارِ العِقَابِ الذي يَتَرْتَّبُ على اختلافِهِمْ. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 124] في أَمْرِ السَّبْتِ وَحُكْمِهِ.⁽¹⁰⁾

(1) سقط من نسختي (الأصل، م).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 244).

(3) في نسختي (الأصل، م): تجويز.

(4) في جميع النسخ: عن، وأثبت (من) لأنه أصح.

(5) بين المعقوفتين في نسخة (غ): وبالسبت.

(6) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ.

(7) سقط من نسختي (الأصل، م).

(8) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 245).

(9) في جميع النسخ: بالمقام، وأثبت (المقام) لأنه أصح.

(10) في نسخة (غ): وحكم.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] تقرير وتفسير لقوله: ﴿اتَّبِعْ﴾ [النحل: 123]، وما بينهما اعتراض. و(الحكمة):⁽¹⁾ الدليل الموضح للحق واليقين. و(الموعظة الحسنة): المقدمات الخطابية المُنْعِية،⁽²⁾ فالأولى⁽³⁾ للخواص، والثانية للعوام. ويجوز أن يراد بهما القرآن فإنه مُشْتَمِلٌ⁽⁴⁾ عليهما، فيكون العطف لتغاير الوصفين. ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽⁵⁾ أي: بالطريقة⁽⁶⁾ التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق واللين، من غير فظاظَةٍ ولا تغنيفٍ، كذا في الكشاف.⁽⁷⁾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125] علة للأمر بالمذكورات، أي: إن ربك أعلم بالمستحقين [للضلالة والمستحقين]⁽⁸⁾ للهداية، فهو يضل ويهدي ويُجازي كلاً بعمله، وليس عليك إلا الإبلاغ والدعوة، وذلك يكفي للمُهْتَدِي. والضال لا يكفيه شيء بوجه من الوجوه، بل هو مُسْتَحِقٌّ للعقوبة والانتقام. والله هو المُنْتَقِمُ في محله.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: 126] تجويز⁽⁹⁾ للعقوبة في مقابل العقوبة بمثلها، أي: إِنْ صَنَعُوا بِكُمْ [صُنْعَ سُوءٍ]⁽¹⁰⁾ -من قتلٍ أو نحوه- فَقَابِلُوهُ⁽¹¹⁾ بِمِثْلِهِ، ولا تَزِيدُوا عليه. رُوي أَنَّ الْمَشْرِكِينَ مَثَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ: بَقَرُوا بُطُونَهُمْ وَقَطَعُوا مَذَاكِيرَهُمْ، مَا تَرَكَوا أَحَدًا غَيْرَ مَمْتُولٍ بِهِ إِلَّا حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَمْرَةٍ وَقَدْ مُتِّلَ بِهِ. وَرُوي:

(1) في نسخة (غ): والحكم.

(2) في نسخ (الأصل، م، ش): المُنْعِية.

(3) في نسختي (الأصل، م): فالأول.

(4) في نسخة (ش): يشتمل.

(5) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ.

(6) في جميع النسخ: بالطريق.

(7) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 644).

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(9) في نسخة (غ): يجوز.

(10) بين المعقوفتين في نسخة (غ): سوء صنع.

(11) في نسختي (الأصل، م): فقاتلوه.

فَرَأَهُ مَبْثُورَ الْبَطْنِ فَقَالَ: «أَمَّا وَالَّذِي أَخْلَفُ بِهِ، لئنَ أَظْفَرَنِي اللهُ بِهِمْ لَأَمْتِلَنَّ بِسَبْعِينَ مَكَانَكَ» فَنَزَلَتْ. (1)
فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَكَفَّ عَمَّا أَرَادَهُ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. (2) وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ مَدْنِيَّةٌ، كَمَا قَالَ الْبِيضَاوِيُّ
فِي عَنَوَانِ السُّورَةِ: "وَهِيَ مَكِّيَّةٌ غَيْرُ ثَلَاثِ آيَاتٍ فِي آخِرِهَا." (3) ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126]
تَرْجِيحُ الصَّبْرِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ. وَاللَّامُ مُوْطِئَةُ الْقَسَمِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُوَ خَيْرٌ﴾ جَوَابٌ لِلْقَسَمِ قَائِمٌ مَقَامَ جَوَابِ
الشَّرْطِ. وَلِذَلِكَ صَحَّ عَدَمُ ذِكْرِ الْفَاءِ فِيهِ. وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الصَّبْرِ الْمَفْهُومِ مِنْ ﴿صَبَرْتُمْ﴾، أَيِ: الصَّبْرِ
لِلصَّابِرِينَ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْتِقَامِ لِلْمُنْتَقِمِينَ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ فَصَبْرُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ، فَوُضِعَ

(1) وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ (3/ 143) بِرَقْمِ (2937)، وَالْبَزَّازُ فِي مُسْنَدِهِ (17/ 21) بِرَقْمِ (9530) مِنْ حَدِيثِ صَالِحِ
الْمُرِّيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرَ إِلَى حَمْرَةٍ
وَقَدْ قُتِلَ وَمِثْلُ بِهٍ، فَرَأَى مِنْظَرًا لَمْ يَرَ مِنْظَرًا قَطُّ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ وَلَا أَوْجَلَ، فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّجَمِ،
فَعُولًا لِلْخَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّيْتُ أَنْ أَدْعَكَ حَتَّى تَجِيءَ مِنْ أَقْوَاجِ شَتَّى». ثُمَّ حَلَفَ وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ:
«وَاللَّهِ لَأَمْتِلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ». فَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَزِرْخْ بَعْدُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ
بِهِ وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126] حَتَّى تَخْتَمَ السُّورَةُ، فَكَفَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْسَكَ عَمَّا
أَرَادَ.

ورواه الحاكم في المستدرک (3/ 218) برقم (4894)، والبيهقي في شعب الإيمان (12/ 186) برقم (9253)، وأبو
بكر في الغيلانيات (1/ 196)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (5/ 98)، والواحدي في أسباب النزول (ص:
283). جميعهم من طريق صالح بن بشير المرِّي، به نحوه، إلا أن لفظ ابن عدي والواحدى مختصر. وقال ابن عدي:
لا أعلم يرويه عن سليمان غير صالح، والصالح المرِّي ضعيف، قال الذهبي عنه: فيه صالح المرِّي وهو واه. ينظر:
البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي (المتوفى: 292هـ)، مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين
الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، (17/ 21)،
والبزَّاز، أبو بكر محمد بن عبد الله البغدادي (المتوفى: 354هـ)، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي كامل أسعد
عبد الهادي، دار ابن الجوزي - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م، (1/ 196-197)، وابن
عدي (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، (5/ 98)، والواحدى، (المتوفى: 468هـ)، أسباب النزول، (ص:
283)، والزليعي (المتوفى: 762هـ)، تخریج أحاديث الكشاف، (2/ 251).

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 644-645).

(3) البیضاوی، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 219).

الصَّابِرُونَ⁽¹⁾ [موضع الضمير ثناء من الله بأنهم صابرون]⁽²⁾ على الشدائد، أو⁽³⁾ وَصَفَهُم بِالصِّفَةِ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُمْ.⁽⁴⁾

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 127] إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَتَأْيِيدِهِ، أَمَرَهُ بِالصَّبْرِ بَعْدَ بَيَانِ أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْإِنْتِقَامِ؛ لِلتَّكْيِيدِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: 127] أي: على الكافرين كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68]، أو على المؤمنين وما فَعَلَ بِهِمُ الْكَافِرُونَ.⁽⁵⁾ ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127] أي: لَا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ مِنْ مَكْرِهِمْ. وَالضَّيْقُ: تَخْفِيفُ الضَّيْقِ، أي: فِي أَمْرِ ضَيْقٍ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽⁶⁾ قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: "فِي ضَيْقٍ صَدْرٍ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَقَرَأَ⁽⁷⁾ ابْنُ كَثِيرٍ (فِي ضَيْقٍ) بِالْكَسْرِ⁽⁸⁾ هُنَا وَفِي النَّمْلِ⁽⁹⁾ وَهُمَا لُغَتَانِ كَالْقَوْلِ وَالْقِيلِ.⁽¹⁰⁾ وَإِنَّمَا رَجَّحَ هَذَا الْإِحْتِمَالَ [عَلَى الْإِحْتِمَالِ]⁽¹¹⁾ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ قِرَاءَةَ ابْنِ كَثِيرٍ تُؤَيِّدُهُ. وَأَمَّا تَرْجِيحُ صَاحِبِ الْكَشَافِ الْأَوَّلَ فَوَجْهُهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ، مَعَ أَنَّ الثَّانِيَّ مُرَجَّحٌ بِالسَّلَامَةِ عَنِ التَّقْدِيرِ.⁽¹²⁾ وَالضَّيْقُ كَمَا يَجِيءُ صِفَةً مُشَبَّهَةً يَجِيءُ مَصْدَرًا أَيْضًا.

(1) في نسخة (ض): الصابرين.

(2) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(3) في نسخة (ض): و.

(4) الزمخشري، الكشاف، (2/ 645).

(5) بين المعقوفتين تكرر في نسخة (ش).

(6) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 645).

(7) في نسختي (ش، غ): وقرأ.

(8) قراءة متواترة: قرأ ابن كثير وحده ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127] وفي النمل ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: 70] (ضيق) بكسر الضاد في الحرفين جميعاً. وقرأ الباقر (ضيق) بفتح الضاد في السورتين. ينظر: ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات، (ص: 376)، والنيسابوري (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 266)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 305).

(9) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: 70].

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 245).

(11) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(12) في نسختي (الأصل، م): التَعْدُّرُ، وفي نسخة (غ): التقدر.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128] تعليلٌ للنَّهْيِ، و(التَّقْوَى): هو الاجْتِنَابُ عن المَعَاصِي والنَّوَاهِي. والإِحْسَانُ: قَبُولُ الأوامرِ وفِعْلُهَا على وجهٍ يُحَسِّنُهُ⁽¹⁾ الشَّرْعُ. عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمٍ تَلَاهَا أَوْ لَيْلَتَهُ،⁽²⁾ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَالَّذِي مَاتَ وَأَحْسَنَ الْوَصِيَّةَ». ⁽³⁾ كذا في الكَشَافِ وتفسيرِ البيضاوي [والله أعلم]⁽⁴⁾ [بالصَّواب وإليه المرجعُ والمآل].⁽⁵⁾



(1) في نسخة (غ): تحسنه.

(2) في نسختي (الأصل، م): ليله، وفي نسخ (ش، ض، غ): قبله.

(3) حديث موضوع: رواه العقيلي في الضعفاء الكبير، وابن الجوزي في الموضوعات، وسبق تخريجه في صفحة: (102)، ينظر: العقيلي (المتوفى: 322هـ)، الضعفاء الكبير، (1/ 156)، ابن الجوزي، (المتوفى: 597هـ)، الموضوعات، (1/ 240)، ينظر أيضاً: المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (المتوفى: 1031هـ)، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض، (2/ 761).

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(5) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ إلا نسخة (غ).

[سورة بني إسرائيل]

مكية وقيل: إلا قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: 73] إلى آخر ثمان آيات،

وهي (1) مائة وعشُر (2) آيات. (3)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1] ﴿سُبْحَانَ﴾ نصب على المصدر أقيم مقام فعله، ولذلك يجب حذف فعله. اضطرب كلام البيضاوي فيه؛ قال في تفسير آية: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: 32] في سورة البقرة: "وسُبْحَانَ: مصدر كغفران، ولا يكاد يُستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، كمعاذ الله. وقد أُجْزِيَ علماً للتسبيح بمعنى: التنزيه على الشدود في قوله: سُبْحَانَ مِنْ عِلْمَةِ الْفَاخِرِ. (4)

(1) سقط من نسخة (م).

(2) وهي مئة وإحدى عشرة آية في الكوفي، وعشراً في عدد الباقيين. اختلافها آية ﴿لَلَّذِيقَانِ سَجْدًا﴾ [الإسراء: 107] عدها الكوفي ولم يعدها النباؤون. الداني (المتوفى: 444هـ)، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م، (ص: 177).

(3) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ض).

(4) البيت للأعشى (ميمون بن قيس)، وتمام نصه:

أقول لما جاءني فخره ... سُبْحَانَ مِنْ عِلْمَةِ الْفَاخِرِ.

ونذكره ابن الشجري في أماليه وقال: إنه لما صار علماً للتسبيح، وانضم إلى العلمية الألف والنون الزائدتان، تنزل منزلة (عثمان)، فوجب ترك صرفه. وقال أبو علي الفارسي: (سبحان) فتحت؛ لأن تأويله الإضافة عند الفراء وهو تنزيه وضع موضع المصدر، في الأصل: سبحت تسبيحاً وسبحاناً. وقال سيبويه: معنى قوله: (سبحان من علقمة) أي: عجباً له إذ يفخر. ينظر: أعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، (ص: 143)، وابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (المتوفى: 542هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1991 م، (2/ 107)، ينظر أيضاً: المبرد (المتوفى: 285هـ)، المقتضب، (3/ 218)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (1/ 474)، وأبو علي الفارسي (ت 377 هـ)، المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر، مطبعة المدني، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 هـ، (1/ 410)، والحميري، نشوان بن سعيد اليميني (المتوفى: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، (5/ 2952).

وقال هُهنا: "اسمٌ بمعنى: التَّسْبِيح الذي هو التَّنْزِيهُ."⁽¹⁾ فَجَعَلَهُ اسماً مصدرٍ. قال صاحبُ الكشاف: "سُبْحَانَ عَلَمٌ للتَّسْبِيح، كـ(عثمان) للرَّجُل."⁽²⁾ والظاهرُ أَنَّهُ لم يُجَوِّزْ كَوْنَهُ مصدرًا، حيثُ حَكَمَ بَأَنَّهُ عَلَمٌ للتَّسْبِيح، فكأنَّ البيضاوي بَدَأَ له فَتَبَعَ صاحبُ الكشافِ.

(أَسْرَى) و(سَرَى) لغتان، والباءُ للتَّعْدِيَةِ. و﴿لَيْلًا﴾ نصبٌ على المفعولِ فيه. وَذَكَرَهُ بعد الإِسْرَاءِ على التَّجْرِيدِ؛³ لَأَنَّ الإِسْرَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ. قال صاحبُ الكشافِ في فائدةِ هذا التَّجْرِيدِ: "أَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿لَيْلًا﴾ بَلْفِظِ التَّنْكِيرِ؛ تَقْلِيلٌ (4) مُدَّةٍ (5) الإِسْرَاءِ، وَأَنَّهُ (6) أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَذَلِكَ: أَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ (7) عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ. وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَحْدِيَّةً: (مِنْ اللَّيْلِ)، (8) أَي: بَعْضُ اللَّيْلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً﴾ [الإِسْرَاءُ: 79]

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (247 / 3).

(2) الزمخشري، الكشاف، (646 / 2).

³ التجريد في اللغة: قَشُرُ الشَّيْءِ، كَقَشُرِ اللَّحَاءِ عَنِ الشَّجَرَةِ حَتَّى تَكُونَ مَجْرَدَةً مِنْ لِحَائِهَا، وَإِزَالَةُ مَا عَلَى الشَّيْءِ مِنْ ثَوْبٍ وَنَحْوِهِ، وَتَغْرِيبُهُ، وَإِزَالَةُ مَا عَلَى الْجُلْدِ مِنْ شَعَرٍ وَنَحْوِهِ. وَأَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ فَمَعْنَاهُ: أَنْ يَنْتَزِعَ الْمُتَكَلِّمُ الْأَدِيبُ مِنْ أَمْرٍ مَا ذِي وَصْفٍ فَأَكْثَرُ أَمْرًا آخَرَ فَأَكْثَرُ مِثْلُهُ فِي الصِّفَةِ أَوْ الصِّفَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ. وَيُظْهِرُ لَنَا مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ حِينَمَا نَلَاظِ أَنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَى ادِّعَاءِ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يُنْتَزَعُ مِنْهُ مِثْلُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّجْرِيدِ هُوَ بِمِثَابَةِ الَّذِي يَفِيضُ بِأَمْثَالِ مَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ دَوَامًا. فَمَنْ قَالَ: "لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ" فَكَأَنَّمَا جَرَّدَ فُلَانًا مِنْ كُلِّ ظَوَاهِرِهِ وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ صَدِيقًا حَمِيمًا. الْمِيدَانِي، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ حَبَنَكَةَ الدَّمَشَقِيِّ (المتوفى: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (2/ 431).

(4) في جميع النسخ: تعليل.

(5) في نسخة (ض): ليلة، وفي نسخة (غ): هذه.

(6) في نسخة (ش): أو أنه.

(7) في نسخة (ض): دخل.

(8) قراءة شاذة: منسوبة إلى عبد الله بن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما. ينظر: الكرمانى (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، (ص: 276)، والزمخشري، الكشاف، (647 / 2)، وابن عطية (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز، (3 / 435).

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1] المسجد الحرام على ظاهره، كما روي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَجْرِ عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ⁽¹⁾ أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْبُرَاقِ». ⁽²⁾

وقيل: المراد من المسجد الحرام: ⁽³⁾ الحَرَمُ ⁽⁴⁾ كله. وروي عن ابن عباس: الحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ. وذلك لما روي: أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَأُسْرِيَ بِهِ. وَرَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَقَصَّ الْقِصَّةَ عَلَى أُمِّ هَانِيٍّ، وَقَالَ: مِثْلُ لِي النَّبِيُّونَ فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، وَقَامَ لِيَخْرُجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَتَشَبَّهْتُ أُمَّ هَانِيٍّ بِتَوْبِهِ، فَقَالَ لَهَا: ⁽⁵⁾ مَا لَكَ؟ قَالَتْ: أَخَشَى أَنْ يُكَذِّبُوكَ قَوْمُكَ إِنْ أَخْبَرْتَهُمْ، ⁽⁶⁾ قَالَ: وَإِنْ كَذَّبُونِي، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِذَلِكَ. ⁽⁷⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، كَأَنَّهُمْ لَذَلِكَ

(1) في نسختي (الأصل، م): إذا.

(2) حديث صحيح: ثبت حديث الإسراء والمعراج بعدة روايات: مختصرة ومطولة، وفي بعض الروايات زيادات لا تصح، فرواه أنس بن مالك ومالك بن صعصعة رضي الله عنهما برواية: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَظِيمِ، -وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجْرِ- مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي...» أخرجه البخاري في صحيحه (52 / 5) في كتاب مناقب الأنصار باب المعراج برقم (3887)، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم (3207)، وأحمد بن حنبل في مسنده (29 / 374) برقم (17835)، ووراه مسلم في صحيحه (1 / 150) في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفُرُضَ الصَّلَاةِ برقم (164)، ورواه الترمذي مختصراً في سننه (5 / 443) في باب: ومن سورة ألم نشرح، برقم (3346)، وقال: وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن حبان في صحيحه (1 / 236) برقم (48)، والبيهقي في السنن الصغير (1 / 104) برقم (253).

(3) سقط من نسخة (غ).

(4) سقط من نسخة (ض).

(5) في نسخ (ش، ض، غ): له.

(6) في نسخة (م): خبرتهم.

(7) حديث ضعيف: أخرج ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (1 / 83) برقم (39)، والطبراني في المعجم الكبير (24 / 432) برقم (1059)، من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور، قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ، يَقُولُ: "أَخْبَرْتَنِي أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدِي لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ، فَذَكَرَ أَمْرَهُ وَكَيْفَ أُسْرِيَ بِهِ..." وقال الذهبي عن عبد الأعلى بن أبي المساور الكوفي: ضَعَّفَهُ الْكُلُّ. وقال البخاري عنه: منكر الحديث، وقال الهيثمي: متروك كذاب، ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، (6 / 74)، وكتاب الضعفاء، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى 1426هـ/2005م، (ص: 91)، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانماز (المتوفى: 748هـ)، تاريخ الإسلام

أَنكَرُوهُ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ. وَلَيْسَ فِي إِسْرَائِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَثِيرٌ اسْتَبْعَادٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ أَمْرُ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِرْتِدَادِ. رُوي أَنَّ طَائِفَةً مِمَّنْ⁽¹⁾ سَافَرُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ اسْتَنْعَتَهُ فُجْلِي⁽²⁾ لَهُ فَطَفِقَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْعَتُهُ لَهُمْ فَقَالُوا: أَمَّا النَّعْتُ فَقَدْ أَصَابَ، فَقَالُوا: أَخْبَرْنَا عَنْ عِيرِنَا،⁽³⁾ فَأَخْبَرَهُمْ بِعَدَدِ جِمَالِهَا، وَقَالَ: تَقْدَمُ يَوْمَ كَذَا مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ، فَخَرَجُوا يَشْتَدُونَ إِلَى النَّبِيَّةِ، فَصَادَفُوا الْعِيرَ⁽⁴⁾ كَمَا⁽⁵⁾ أَخْبَرَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.⁽⁶⁾

وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، تَحْقِيقٌ: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م، (4/ 428)، والهيثمي (المتوفى: 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (1/ 450).

وَقَالَ الْخَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَذَكَرَهُ الثُّعْلُبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَكَأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ مِنْ رِوَايَةِ جُوَيْرٍ، عَنْ الصَّحَّاحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْإِكْلِيلِ وَالنَّبِيهَقِيِّ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْقِ لَفْظَهُ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِإِخْتِصَارٍ عَنْ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ عَوْفٍ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأُورِدَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو يَغْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ مَطُولًا. وَالْعَسْقَلَانِيُّ (المتوفى: 852هـ)، الْكَافِي الشَّافِي فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْكُشَافِ، (ص: 97). يَنْظُرُ أَيْضًا: ابْنُ كَثِيرٍ (المتوفى: 774هـ)، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (5/ 40)، وَالسِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ، تَحْقِيقٌ: مُصْطَفَى عَبْدِ الْوَاحِدِ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ بِبَيْرُوتٍ - لُبْنَانٍ، 1395 هـ - 1976 م، (2/ 96)، وَالسِّيَوطِيُّ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، جَلَالُ الدِّينِ (المتوفى: 911هـ)، الْخَصَائِصُ الْكُبْرَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتٍ، (1/ 292).

وَيَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْمُرَوِّياتِ فِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ: الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (4/ 135) فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ بَابُ: كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ؟ بِرَقْمٍ (3342)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (1/ 148) بِرَقْمٍ (163)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي...»

(1) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: لِمَنْ، وَأُثْبِتَ (مِمَّنْ) لِأَنَّهُ أَصَحُّ.

(2) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): فَخَلِي، وَفِي نَسْخَةِ (غ): فَحَل.

(3) فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): خَبَرْنَا، وَفِي نَسَخَتِي (ش، ض): غَيْرِنَا.

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): الْغَيْرِ.

(5) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (غ).

(6) أَخْرَجَ نَحْوَهُ بِنَقْصٍ مِنْ آخِرِهِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (6/ 312) بِرَقْمٍ (31700)، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مُسْنَدُهُ (5/ 28) بِرَقْمٍ (2819)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (12/ 167) بِرَقْمٍ (12782)، وَالْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ (3/ 52) بِرَقْمٍ (2447)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (2/ 363): عَنْ عَوْفٍ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي...» وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ: لَا يُرَوَّى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَقَرَّرَ بِهِ عَوْفٌ. وَذَكَرَهُ السِّيَوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ وَقَالَ: وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْبَزَّازُ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْذُوقٍ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ، وَالضَّيَاءُ فِي الْمُخْتَارَةِ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والظَّاهِرُ أَنَّ البَاعِثَ عَلَى إنكَارِهِمْ مَعَ رُؤْيَيْهِمْ عَنْهُ صِدْقَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ؛ أَنَّهُمْ سَمِعُوا مِنْهُ عُرُوجَهُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَا كَانَ فِي وَسْعِهِمْ أَنْ يَعْتَقِدُوا مِثْلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْنَى عَلَى عُرُوجِ الْجِسْمِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبَعِيدَةَ فِي جُزْءٍ مِنَ الزَّمَانِ الْقَلِيلِ، فَاخْتَارُوا الْإِزْتِدَادَ عَلَى قَبُولِ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْمُتَمَتِّعِ عِنْدَهُمْ، نَظَرًا إِلَى عُقُولِهِمْ، وَعَقَلُوا عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَخَرَقُ⁽¹⁾ الْأَفْلاكِ لَيْسَ بِمُتَمَتِّعٍ بِالذَّاتِ لِتَعَجُّزِ عَنْهُ قُدْرَتُهُ⁽²⁾ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ الْإِسْرَاءِ؛ فَقِيلَ: كَانَ قَبْلَ الْهَجَرَةِ بِسَنَةٍ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ: أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْبَغْتِ، كَذَا فِي الْكَشَافِ.⁽³⁾

ثُمَّ اخْتَلَفَ⁽⁴⁾ فِي أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَنَامِ⁽⁵⁾ أَوْ فِي الْيَقَظَةِ، وَبَعْدَ مَا كَانَ فِي الْيَقَظَةِ؛ أَمْ بَرُوحِهِ كَانَ ذَلِكَ⁽⁶⁾ أَمْ بِجَسَدِهِ؟ وَالْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِهِ. وَهُوَ مِنَ الْمُتَمَتِّعَاتِ الْعَادِيَّةِ⁽⁷⁾ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ⁽⁸⁾ الْمَعْجَزَةِ، لَا مِنَ الْمُتَمَتِّعَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَمْتَنِعُ الْعَقْلُ⁽⁹⁾ عَنْ قَبُولِهَا بِالْبُرْهَانِ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (5/ 52) فِي بَابِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ بِرَقْمِ (3886)، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (1/ 156) بِرَقْمِ (170)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ (5/ 301) بِرَقْمِ (3133)، وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى (10/ 146): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي فُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحَجْرِ، فَجَلَّ اللَّهُ لِي بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): أَوْ خَرَقَ.

(2) فِي نَسْخَةِ (ش): قُدْرَةٌ.

(3) يَنْظُرُ: الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 647).

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): اخْتَلَفَتْ.

(5) فِي نَسْخَةِ (ش): الْمَقَامُ.

(6) سَقَطَ مِنْ نَسْخَةِ (ض).

(7) لَعَلَّ الصَّوَابَ: الْمُتَمَتِّعَاتِ الْعَادِيَّةِ، وَالْمَمْتَنِعُ عَادَةً: هُوَ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ وَقَعُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ اِحْتِمَالٌ عَقْلِيٌّ بَعِيدٌ. صَدَقِي، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ آلِ بُوْرْنُو أَبُو الْحَارِثِ الْغَزِي، الْوَجِيزُ فِي إِیْضَاحِ قَوَاعِدِ الْفَقْهِ الْكَلِيَّةِ، مَوْسُةُ الرِّسَالَةِ، بَیْرُوت - لُبْنَان، الطَّبْعَةُ: الرَّابِعَةُ، 1416 هـ - 1996 م، (ص: 213).

(8) فِي نَسْخَةِ (غ): يَدَارُ.

(9) فِي نَسْخَةِ (غ): الْفَعْلُ.

و(المسجد الأقصى): بيت المقدس، وإنما قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾؛ لأنه كان مُتَعَبِّدَ الأنبياء في (1) وقت موسى عليه السلام، ومَهْبِطَ الوحي. وكان مَخْضُوفاً بالأنهار الجارية والأشجار (2) المثمرة. فكان فيها بركات الدين والدنيا. و﴿لُزِيَهُ﴾ عِلَّةٌ لـ﴿أَسْرَى﴾، (3) وَالتَّقَتْ (4) في قوله ﴿بَارَكْنَا﴾ من الغيبة إلى الحكاية تعظيماً للبركات والآيات. وقرئ (لُزِيَهُ) (5) على الغيبة، على الالتفات أولاً من الغيبة إلى الحكاية، ثم إلى الغيبة، ثم إلى الحكاية في قوله: ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾، ثم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] يَسْمَعُ الأقوالَ وَيُبْصِرُ الأعمالَ، ولا يخفى عليه شيءٌ، وهو تعليلٌ للحكم المذكور.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: 2] ﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة، والضمير في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ له. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2] (أَنْ) في ﴿أَلَّا﴾ مفسرة؛ لأنَّ في جعل الكتاب هادياً معنى القول، كأنه قيل: قلنا لا تتخذوا. وقرئ (أَلَّا يَتَّخِذُوا) (6) بالياء، على تقدير: لئلا يتخذوا؛ على أن (أَنْ) مصدرية و(لا) في الأول (7) ناهية، وفي الثاني نافية. و﴿مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ مفعولاً ﴿تَتَّخِذُوا﴾، أي: لا تتخذوا رباً تكلون إليه أموركم غيري.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 3] نصبٌ على الاختصاص، ويجوز أن يكون نصباً على النداء في مَنْ قَرَأَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ بالتاء. ويجوز أن يكون أحد مفعولي (8) ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ ومفعوله الآخر: ﴿وَكِيلًا﴾، و﴿مِنْ دُونِي﴾ حالاً عنه، مقدماً عليه، أي: لا تجعلوهم أزبأباً، كما قال: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ

(1) في نسخة (غ): من.

(2) في نسختي (الأصل، م): الآثار.

(3) في نسختي (الأصل، م): الإسراء.

(4) في نسخة (غ): النعت.

(5) قراءة شاذة: منسوبة إلى الحسن في الكشاف، والبحر المحيط، والدر المصون. ينظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 648)، أبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (7/ 10)، السمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (7/ 307).

(6) قراءة متواترة: قرأ أبو عمرو وحده (أَلَّا يَتَّخِذُوا) [الإسراء: 2] بالياء، وقرأ الباقر بالتاء. ابن مجاهد (المتوفى: 324هـ)، السبعة في القراءات (ص: 378)، والأزهري (المتوفى: 370هـ)، معاني القراءات للأزهري، (2/ 87)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 306).

(7) في نسخة (غ): الأولى.

(8) في نسخة (غ): مفعول.

تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴿٨٠﴾ [آل عمران: 80] و(من ذرية المحمولين مع نوح): عيسى^(١) وعُزَيْرٌ. وقُرئ^(٢) (ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا) بِالرَّفْعِ^(٣) على أَنَّهُ خَبِرُ مَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَوْ بَدَلٌ مِّنْ وَاوٍ ﴿تَتَّخِذُوا﴾. وقُرئ (ذُرِّيَّةٌ) بِكسْرِ الدَّالِ^(٤) وفي الكلام تذكيرُ الإِنْعَامِ عَلَيْهِم بِإِنجَاءِ آبَائِهِم مِّنَ^(٥) الْعَرَقِ. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] تَعْلِيلٌ لِّحَمَلِ^(٦) آبَائِهِم مَعَ نُوحٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: حَمَلْنَاهُمْ مَعَ نُوحٍ بِبَرَكَهٍ كَوْنِهِ شَكُورًا،^(٧) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ تَبِعَهُ وَاقْتَدَى بِهِ. وفيه: حُثٌّ لِلذُّرِّيَّةِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِالْأَنْبِيَاءِ. وقيل: الضَّمِيرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِّقَوْلِهِ: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: 2] فَيَكُونُ حُثًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْإِطَاعَةِ وَالْإِقْتِدَاءِ.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: 4] وَأَوْحَيْنَا^(٨) إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَةِ، عَبَّرَ^(٩) عَنِ "الْإِيحَاءِ" بِالْقَضَاءِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ أَمْرٌ مَّبْنُوتٌ مَقْطُوعٌ، وَشُبَّهَ^(١٠) بِأَمْرِ مُؤَكَّدٍ بِالْقَسَمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 4] عَلَى الْجَوَابِ لِلْقَسَمِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَقْسَمْنَا لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ. ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4] نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبِيضَاوِيُّ بِقَوْلِهِ: "إِفْسَادَتَيْنِ".^(١١) قَالَ صَاحِبُ

(١) فِي نَسَخَتِي (ش، ض): وَعِيسَى.

(٢) فِي نَسَخَةِ (غ): قُرِئَ.

(٣) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى مُجَاهِدٍ فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، وَفِي الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ وَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى فِرْقَةٍ، ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 78)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ (الْمُتَوَفَى: 542هـ)، الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ، (3/ 437)، وَأَبُو حَيَّانٍ (الْمُتَوَفَى: 745هـ)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، (7/ 11).

(٤) قِرَاءَةُ شَادَّةٍ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ، وَالْمَحْتَسَبِ، وَالْكَشَافِ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (الْمُتَوَفَى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 78)، وَابْنُ جَنِّي (الْمُتَوَفَى: 392هـ)، الْمَحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَازِ الْقُرْآنِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا (1/ 156)، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 648).

(٥) فِي نَسَخَتِي (أَصْلُ، م): عَنْ.

(٦) فِي نَسَخَةِ (ش): لِمَحْمَلٍ، وَفِي نَسَخَةِ (غ): بِحَمَلٍ.

(٧) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: مُشْكُورًا.

(٨) فِي نَسَخَتِي (أَصْلُ، م): وَأَوْضَيْنَا.

(٩) فِي نَسَخَتِي (ش، غ): غَيْرَ.

(١٠) سَقَطَ مِنْ نَسَخَةِ (ش).

(١١) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (3/ 248).

الكشاف: " أُولَاهُمَا: قَتْلُ زَكَرِيَّا [عليه السلام]⁽¹⁾ وَحَبْسُ إِرْمِيَا⁽²⁾ حِينَ⁽³⁾ أَنْذَرَهُمُ بَسَخِطِ اللَّهِ تَعَالَى،⁽⁴⁾ والأخرى: قَتْلُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَقَصْدُ⁽⁵⁾ قَتْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام. "⁽⁶⁾
قال البيضاوي: "أُولَاهُمَا: مخالفةُ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ وَقَتْلُ شُعْيَاءَ.⁽⁷⁾ وَثَانِيَهُمَا: قَتْلُ زَكَرِيَّا [ويحيى]⁽⁸⁾"⁽⁹⁾ ولا⁽¹⁰⁾ يخفى أَنَّ جَعَلَ مخالفةَ التَّوْرَةِ مِنَ الْإِفْسَادِ الْأَوَّلِ⁽¹¹⁾ محلٌّ تَأَمَّلٍ، بَأَنَّهُ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ لَا خُصُوصِيَّةَ

(1) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(2) قال ابن عساكر: إِرْمِيَا بْنُ حَلَقِيَّا مِنْ سِبْطِ لَؤْيِ بْنِ يَعْقُوبَ: مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُقَالُ إِنَّهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ: أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَمَشَقٍ وَهُوَ يَفُورُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الدَّمُ دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فَتَنَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَالنَّاسُ فِيكَ، فَسَكَنَ الدَّمُ وَرَسَبَ حَتَّى غَابَ. وَأَمَّا قِصَّةُ حَبْسِهِ: فَلَمَّا بَلَغَهُمْ (إِرْمِيَا) رِسَالَةَ رَبِّهِمْ وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْوَعِيدِ عَصَوْهُ وَكَذَّبُوهُ، وَقَالُوا: أَعْظَمْتَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَتَزَعَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعْطَلٌ أَرْضُهُ وَمَسَاجِدُهُ مِنْ كِتَابِهِ وَعِبَادِهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَمَنْ يَعْْبُدُهُ حِينَ لَا يَبْقَى لَهُ فِي الْأَرْضِ عَابِدٌ وَلَا مَسْجِدٌ وَلَا كِتَابٌ، لَقَدْ أَعْظَمْتَ الْفِرْيَةَ، وَاعْتَرَاكَ الْجَنُونُ. فَأَخَذُوهُ وَقِيدُوهُ وَسَجَنُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ نَصْرًا. الدِّينُورِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قَتَيْبَةَ (المتوفى: 276هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992 م، (1/ 47)، وابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م، (8/ 28)، وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م، (1/ 406).

(3) في نسخ (الأصل، م، غ): حتى.

(4) سقط من نسخ (ش، ض، غ).

(5) في نسختي (الأصل، م): قصة.

(6) الزمخشري، الكشاف، (2/ 649).

(7) في نسخة (م): لشُعْيَاءَ، وفي نسخة (ش): شعبيًا. وهو: شُعْيَا بْنُ أُمِّصِيَا، مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - عَلَى مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ - وَكَانَ قَبْلَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَقِصَّةُ مَوْتِهِ: أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ مَاتَ (حَزَقِيَّا) - أَحَدُ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مَنْشَا بْنُ حَزَقِيَّا)، وَلَهُ ثَلَاثَا عَشْرَةَ سَنَةً، فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ مُلْكِهِ أَظْهَرَ الْكُفْرَ، وَبَنَى بَيْوتَ الْأَوْثَانِ، وَأَظْهَرَ عِبَادَتَهَا، وَجَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وَقَتَلَ شُعْيَا النَّبِيَّ. يَنْظُرُ: ابْنُ كَثِيرٍ (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، (2/ 39)، وابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1987، (2/ 214).

(8) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 248).

(10) في نسخة (ش): لا.

(11) في نسخة (غ): الأولى.

له بمرتبة دون مرتبة. ثم إذا جعل⁽¹⁾ قتل⁽²⁾ كل نبي إفساداً، لا ينحصر الإفساد في مرتبتين، بل هم قتلوا أنبياء كثيرين. وليس قتل زكرياً ويحيى إفساداً واحداً، بل كل منهما إفساد عظيم، أعظم من سائر ما فعلوا من الإفساد. ولهذا جاز الاكتفاء بهما، خصوصاً إذا⁽³⁾ كانا مشفوعين بفسادين آخرين كما فعل صاحب الكشاف، حيث⁽⁴⁾ جعل قتل زكرياً مشفوعاً بحبس إرميا، وقتل يحيى مشفوعاً بقصد قتل عيسى. ﴿وَلَعَلَّنْ غُلُوءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4] وهو الاستكبار عن طاعة الله تعالى،⁽⁵⁾ أو الظلم على⁽⁶⁾ الناس، أو البغي في الكتاب،⁽⁷⁾ أي: تحريف التوراة.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5] أي: فإذا تحقق الإفساد الأول⁽⁸⁾ من الإفسادين الموعودين. قال البيضاوي: "وَعْدُ عِقَابٍ أُولَاهُمَا"،⁽⁹⁾ ولا يخفى أن الوعد لا يتعلق في الكلام بعقابها ليصح هذا التقدير، إلا أن يقال: إن ذكر الإفساد وذكر العلو في قوة ذكر الوعد عليهما.

(1) في نسخة (غ): فعل.

(2) في نسخة (غ): قبل.

(3) في نسخة (ش): دا.

(4) في نسختي (الأصل، م): وحيث.

(5) سقط من نسختي (ش، ض).

(6) في نسخة (ض): عن.

(7) في نسخة (م): الكشاف.

(8) في نسخة (غ): الأولى.

(9) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 248).

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: 5] يعني بُحْتُ نَصَرَ⁽¹⁾ وجنوده كان عاملاً لهراسف⁽²⁾ على بابل. ⁽³⁾ وقيل: سَنَجَارِيْبُ⁽⁴⁾ وجنوده وهو كان من أهل نِيْنُوْى. وقالوا: ⁽⁵⁾ جالوت وجنوده.

(1) بخت نصر (605-562 ق. م): وفي كتب العهد: نبوخذ نصر، هو مؤسس الإمبراطورية الكلدانية (البابلية الجديدة) وأعظم ملوك الكلدانيين. أسقط الإمبراطورية الآشورية، وهزم القوات المصرية في معركة قرقرميش عام 605 ق. م. فقد أسقط القدس ودُمِّرَ الهيكل وأسر عدداً من اليهود ساقهم إلى بابل، وعيّن (جداليا) حاكماً لفلسطين. وكان نبوختنصر من كبار البناة، فهو الذي زَيَّنَ بابل بالحدائق المعلقة. وهو الذي غَزَا بني إسرائيلَ عِنْدَ قَتْلِهِمْ نَبِيَّهُمْ شَعْيَا فِي عَهْدِ إِرْمِيَا بْنِ حَلْقِيَا. ينظر: الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (المتوفى: 282هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م، (ص: 41)، الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، (1/ 589). ومصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران-إيران، الطبعة الأولى 1385هـ، (8/ 134). والسهيلى، عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: 581هـ)، التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الاسماء والأعلام، تحقيق: محمود ربيع، مكتبة الأزهر الكبرى، الطبعة الأولى، 1356هـ-1938م، (ص: 68)، والمسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (4/ 95).

(2) في نسخ (الأصل، م، غ): بهراست. ولهراسف: هو ابن أخي كيكاس، ملك بعد كيكاسرو حفيد كيكاس، بُنيت له بخراسان مدينة (بُلُخ)، وملك بعده ابنه كشتاسف، وبني مدينة (فسا) وظهر في زمانه زرادشت. وفي الأخبار الطوال: وإن لهراسف عقد لابن عمه بخت نصر بن كانجار بن كيانبند بن كيقباد في اثني عشر ألف رجل من خيله. الدينوري (المتوفى: 282هـ) الأخبار الطوال، (ص: 23)، وابن الوردي عمر بن مظفر زين الدين المعري الكندي (المتوفى: 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، (1/ 36)، ومصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، (8/ 134).

(3) كلمة (بَابِلُ) من العبارة الأكادية: (باب إيلي) أي: (بوابة الإله). وتُطْلَقُ كلمة (بابل) على عاصمة إمبراطورية بابل القديمة. وتقع أنقاضها على مقربة من مدينة الحلة في وسط العراق، على بعد خمسة وخمسين كيلو متراً من بغداد، وعلى نهر الفرات حيث تقترب من نهر دجلة. وقد كان لموقعها أثر كبير في تحكُّمها في التجارة. وقد بلغت بابل ذروة مجدها في عهد حمورابي، ثم دُمِّرَت في عهد سناخريب، لكن أُعيد بناؤها في الدولة البابلية الجديدة. واشتهرت بابل بمبانيها وقصورها وحدائقها المعلقة التي تُعَدُّ إحدى عجائب العالم القديم. المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (4/ 94).

(4) في نسختي (ش، ض): سنجارب. وسناخريب أو سنحاريب (Sennacherib) (705-688 ق. م.) هو ملك آشور، ابن سرجون الثاني (721-705 ق. م.) قضى أيام ملكه محاولاً تثبيت دعائم الإمبراطورية، كما قام بنشاط معماري، فأعاد بناء نينوى وابتنى قصراً فيها. ويُعَدُّ سناخريب من أكثر الأباطرة الآشوريين شهرة بسبب القصص التي وردت عنه في العهد القديم. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م، (4/ 93).

(5) في نسخ (ش، ض، غ): وقيل.

و﴿أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ صفة لـ﴿عِبَادًا﴾، أي: عباداً لنا ذوي⁽¹⁾ قُوَّةٍ وَبَطْشٍ شَدِيدٍ فِي الْحَرْبِ؛⁽²⁾ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا علماءهم، وَأَخْرَفُوا التَّوْرَةَ، وَخَرَّبُوا الْمَسْجِدَ، وَسَبَّوْا مِنْهُمْ سَبْعِينَ⁽³⁾ أَلْفًا. وَهَذَا الْبَغْتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ، وَبِمَعْنَى التَّخْلِيَةِ وَعَدَمِ الْمَنْعِ عِنْدَ الْمُعْتَزَلَةِ. ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: 5] فَتَرَدَّدُوا لِطَلَبِكُمْ وَسَطَ الدِّيَارِ لِلْقَتْلِ وَالْغَارَةِ. وَ(الْجَوْسُ):⁽⁴⁾ التَّرَدُّدُ. وَقُرِئَ (وَحَاسُوا)⁽⁵⁾ بِالْحَاءِ، وَالْمَعْنَى وَاحِدًا. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5] أَي: وَعْدًا لَا بُدَّ أَنْ يُفْعَلَ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6] أَي: الدُّوْلَةَ⁽⁶⁾ وَالْغَلْبَةَ عَلَى الَّذِينَ بُعِثُوا عَلَيْكُمْ. قِيلَ: هُوَ قَتْلُ بُحْتِ نَصَرَ، وَاسْتِرْدَادُ أُسْرَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَرَجُوعُ الْمَلِكِ إِلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ قَتْلُ دَاوُدَ جَالُوتَ. ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6] (النَّفِيرُ): مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ⁽⁷⁾ مِنْ قَوْمِهِ. وَقِيلَ: جَمْعُ (نَفَرٍ) كـ(الْعَبِيدِ). وَهُمْ الْمُجْتَمِعُونَ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعُدُوِّ.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7] أَي: الْإِحْسَانُ وَالْإِسَاءَةُ كِلَاهُمَا مُخْتَصَّصٌ بِأَنْفُسِكُمْ؛ لَا يَتَعَدَّى النِّفْعُ وَالضَّرُّ إِلَى غَيْرِكُمْ. وَعَنْ عَلِيٍّ [كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ]:⁽⁸⁾ «مَا أَحْسَنْتُ إِلَّا إِلَى أَحَدٍ»⁽⁹⁾ وَلَا أَسَأْتُ إِلَيْهِ، وَتَلَاهَا كَذَا فِي الْكَشَافِ. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ اللَّامُ فِي كِلَيْهِمَا⁽¹⁰⁾ عَلَى التَّحْقِيقِ⁽¹¹⁾

(1) في نسختي (الأصل، م): ذو.

(2) في نسخة (م): الجواب.

(3) في نسختي (الأصل، م): سبعون.

(4) في نسخة (ش): الحوس.

(5) قراءة شاذة: (فَحَاسُوا) بِالْحَاءِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَبِي السَّمَالِ فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ وَالْمُحْتَسَبِ، وَإِلَى طَلْحَةَ فِي الْكَامِلِ وَالْكَشَافِ، يَنْظُرُ: ابْنُ خَالَوَيْهِ (المتوفى: 370هـ)، مُخْتَصَرٌ فِي شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ، (ص: 78)، وَابْنُ جَنِي (المتوفى: 392هـ) الْمُحْتَسَبِ فِي تَبْيِينِ وَجْهِ شَوَاحِدِ الْقُرْآنِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، (2/ 15)، وَالْهُذَلِيُّ (المتوفى: 465هـ)، الْكَامِلُ فِي الْقُرْآنِ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا، (ص: 586)، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 649).

(6) والدُّوْلَةُ: بَرَفْعُ الدَّالِ فِي الْمَلِكِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تُغَيَّرُ وَتُبَدَّلُ عَنْ الدَّهْرِ. الْأَزْهَرِيُّ (المتوفى: 370هـ)، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، (14/ 124).

(7) في نسختي (ش، ض) هَامِشٌ يَوْضَحُ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِالْفَارْسِيَّةِ، نَصَّهُ: الرَّجُلُ: بَيَّادُكَانُ، مَعْنَاهُ: الرَّجُلُ: الْمَشَاءُ.

(8) بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسَخَتِي (ض، غ): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(9) بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ فِي نَسَخَتِي (الأصل، م): لِأَحَدٍ.

(10) في نسخة (غ): كِلَاهُمَا.

(11) في نسخ (ش، ض، غ): الْحَقِيقَةُ.

بلا⁽¹⁾ ارتكاب تكلف الازدواج، كما ارتكبه البيضاوي حيث قال: "فإن وبأله⁽²⁾ عليها، وإنما ذكرها باللام ازدواجاً."⁽³⁾ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7] الفاء للتعقيب، و﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: وعد المرة الآخرة. ﴿لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7] علة للجزاء المحذوف، بقرينة السابق، أي: بعثناهم ليسوا وجوهكم، أي: ليجعلوها باردة، آثار المساء والكآبة فيها. وقرأ (ليسوا)⁽⁴⁾ على الأفراد؛ والضمير لله، أو للوعد، أو للبعث. وقرأ (لنساء)⁽⁵⁾ [بالنون، وقرأ (لنساء)]⁽⁶⁾ بالنون الثقيلة والخفيفة،⁽⁷⁾ مع حكاية الفعل وغيبته. وقرأ (لنساء)⁽⁸⁾ بفتح اللام، على الأوجه الأربعة على أنه هو الجزاء. فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ [الإسراء: 7] جملة مستقلة، على تقدير: وبعثناهم ليدخلوا المسجد. ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7] (المسجد): مسجد بيت المقدس. و﴿مَا عَلَوْا﴾ إما موصولة على حذف العائد، على معنى: ليهلكوا ما غلبوه واستولوا عليه، أو مصدرية، بتقدير المدّة، أي: مدّة علوهم، وذلك أن الله سلط عليهم الفرس، فعزاهم ملك بابل. قيل: دخل صاحب الجيش مدبج قرايينهم،

(1) في نسختي (الأصل، م): في.

(2) في جميع النسخ: وبأله.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 249).

(4) قراءة متواترة: قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم، (لنساء) بالياء وضم الهمزة وإشباعها، وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة وخلف (لنساء) بالياء وفتح الهمزة. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 267)، وابن الجزري، (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 306).

(5) قراءة متواترة: وقرأ الكسائي وحده (لنساء) بالنون وفتح الهمزة. ينظر، المرجع السابق.

(6) بين المعقوفتين سقط من نسخة (غ).

(7) قراءة شاذة: (لنساء) -بلام الأمر والنون التي للتعظيم ونون التوكيد الخفيفة آخرًا- منسوبة إلى أبي بن كعب، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 78)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (7/ 16).

(8) قراءة شاذة: (لنساء) بفتح اللام وياء بعدها وضم الهمزة ونون مشددة، منسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مختصر ابن خالويه والبحر المحيط. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 79)، والعكبري (المتوفى 616هـ)، إعراب القراءات الشواذ، (1/ 777)، وأبو حيان (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (7/ 16).

فَوَجَدَ فِيهَا دِمًا⁽¹⁾ يَغْلِي،⁽²⁾ فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ،⁽³⁾ فَقَالُوا: دَمُ قَرْبَانٍ لَمْ يُعْبَلْ مِنَّا، فَقَالَ: مَا صَدَّقُونِي⁽⁴⁾ [فَقَتَلَ عَلَيْهِ أُلُوفًا]⁽⁵⁾ مِنْهُمْ، [فَلَمْ يَهْدَأْ]⁽⁶⁾ الدَّمُ،⁽⁷⁾ ثُمَّ قَالَ: إِنْ لَمْ تَصْدُقُونِي⁽⁸⁾ مَا تَرَكْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالُوا: إِنَّهُ دَمُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لِمِثْلِ هَذَا يَنْتَقِمُ رَبُّكُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا يَحْيَى قَدْ عَلِمَ رَبِّي وَرَبُّكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مِنْ أَجْلِكَ، فَاهْدَأْ بِإِذْنِ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ لَا أُنْقِي أَحَدًا مِنْهُمْ [فَهْدَأَ، كَذَا]⁽⁹⁾ قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ.⁽¹⁰⁾

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: 8] بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُخْرَى. ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] وَإِنْ عُدْتُمْ مَرَّةً ثَلَاثَةً عُدْنَا إِلَى عَقُوبَتِكُمْ. قَالَ صَاحِبُ الْكُشَافِ: "وَقَدْ عَادُوا، فَأَعَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النِّقْمَةَ⁽¹¹⁾ بِتَسْلِيلِ الْأَكَاوِصِ، وَضَرْبِ⁽¹²⁾ الْإِتَاوَةِ⁽¹³⁾ عَلَيْهِمْ. وَعَنِ الْحَسَنِ: عَادُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُمْ يُعْطُونَ الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وَعَنِ قَتَادَةَ: ثُمَّ كَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ⁽¹⁴⁾ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ، فَهُمْ مِنْهُمْ فِي عَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ."⁽¹⁵⁾ ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8] مَحْبَسًا، يُقَالُ: لِلْحَبْسِ مَحْصَرٌ وَحَصِيرٌ، كَذَا فِي الْكُشَافِ. وَقِيلَ: بِسَاطًا كَمَا يُبْسَطُ الْحَصِيرُ.⁽¹⁶⁾

(1) في نسختي (م، غ): وما.

(2) في نسختي (الأصل، م): يقلي، وفي نسخة (غ): يقل.

(3) في نسخة (ض): عنهم.

(4) في نسخة (ش): صدقوني (بالتشديد).

(5) بين المعقوفتين في نسختي (الأصل، م): فقل عليه الوفاء.

(6) بين المعقوفتين في نسخة (غ): علم بهذا.

(7) في نسختي (الأصل، م): الدم يهدأ (مقلوباً).

(8) في نسخ (ش، ض، غ): تصدقوني (بالتشديد).

(9) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(10) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 249).

(11) في نسختي (الأصل، م): النعم، وفي نسخ (ش، ض، غ): النقم.

(12) سقط من نسختي (الأصل، م).

(13) في نسخة (ض) هامش بالفارسية يوضح معنى كلمة (الإتاوة) نصه: (إتاوة: خراج داندن)، أي: إعطاء خراج.

(14) سقط من نسخة (ض).

(15) الزمخشري، الكشاف، (2/ 650).

(16) الزمخشري، الكشاف، (2/ 650).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها،⁽¹⁾ أو للطريقة التي هي أقوم الطرق، وهي: ملة الإسلام. والجملة: تقرير وبيان لما هو المقصود من تكرار سابقها. ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9] أي: بأن لهم؛ على حذف حرف الجر قياساً.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: 10] أي: وبأن الذين لا يؤمنون. بشر المؤمنين ببشارتين: ثوابهم وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: 11] على نفسه وأهله وماله عند غضبه. قال البيضاوي: "أو⁽²⁾ يدعوه بما يحسبه خيراً،⁽³⁾ وهو شر".⁽⁴⁾ ولا يخفى أنه⁽⁵⁾ لا يلائم سبب النزول ولا وصفه بكونه عجولاً، كما لا يخفى. ﴿دُعَاؤُهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء: 11] مثل دعائه بالخير. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] يتسرع إلى طلب كل ما يخطر بباله، ولا يتأنى⁽⁶⁾ فيه. روي: أنه عليه الصلاة والسلام دفع أسيراً إلى سودة بنت زمعة، فرجمته لأبينه، فأرخت كتافه،⁽⁷⁾ فهزب، فدعا عليها بقطع اليد، ثم ندم، فقال:

(1) في نسخة (غ): أشدها.

(2) في نسخة (ش): إن.

(3) في نسخة (غ): ضراً

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 249).

(5) في نسختي (الأصل، م): أن.

(6) في نسختي (ش، ض): يتأقّى.

(7) في نسختي (ش، ض) هامش بالفارسية يوضح معنى كلمة (الكتاف) نصّه: (كتاف: ريسمان). و(ريسمان) في الفارسية يعني الحبل.

«اللَّهُمَّ أَنَا بَشَرٌ، فَمَنْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَأَجْعَلْ دُعَائِي رَحْمَةً لَهُ.»⁽¹⁾ فَتَزَلَّتْ، كَذَا فِي تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ.⁽²⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَيَجُوزُ"⁽³⁾ أَنْ يُرِيدَ بِ(الْإِنْسَانِ) الْكَافِرَ، وَأَنَّهُ يَدْعُو بِالْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً، وَيَسْتَعْجِلُ بِهِ، كَمَا يَدْعُو بِالْخَيْرِ إِذَا مَسَّتْهُ⁽⁴⁾ الشَّدَّةُ. «وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا»: يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْعَذَابَ آتِيهِ⁽⁵⁾ لَا مُحَالَةً، فَمَا هَذَا الاسْتَعْجَالُ؟ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ النَّضْرُ⁽⁶⁾ بِنُ الْحَارِثِ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» [الأنفال: 32] الْآيَةُ،⁽⁷⁾ فَأَجِيبْ لَهُ، فَضْرِبْ عُنُقَهُ يَوْمَ بَدْرٍ صَبْرًا⁽⁸⁾.⁽⁹⁾

«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» [الإسراء: 12] إِنْ جُعِلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ آيَتَيْنِ فِي أَنْفُسِهِمَا، تَكُونُ الْإِضَافَةُ فِي «آيَةِ اللَّيْلِ» وَ«آيَةِ النَّهَارِ» لِلتَّبْيِينِ. وَإِنْ جُعِلَ الْإِضَافَةُ فِيهِمَا عَلَى ظَاهِرِهَا أُريدَ مِنْ "جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ": جَعَلَ نِيرَانَهُمَا آيَتَيْنِ، أَيِ: الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

(1) قال ابن حجر: لم أجده من هذه الجهة. وقال الزيلعي: غريب من حديث سودة. ينظر: الزيلعي (المتوفى: 762هـ) تخريج أحاديث الكشاف، (2/ 260)، والعسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، (ص: 97).

وجدته عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَعْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنَهُمَا وَسَبَبْتُهُمَا، قَالَ: "أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَأَجْعَلْ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا" أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2007) برقم (2600)، أحمد بن حنبل في مسنده (40/ 304) برقم (24259)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 98) برقم (13383)، إسحاق بن راهويه في مسنده برقم (1461) ينظر: ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (المتوفى: 238هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، (3/ 819).

(2) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 249).

(3) في نسخة (غ): تجويز.

(4) في نسخة (غ): لمسته.

(5) في نسختي (ش، ض): آتية.

(6) في نسخة (غ): النظر.

(7) هو قوله تعالى: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَةً» [الأنفال: 32]

(8) في نسخة (غ): صبر. و(ضرب عنقه صبراً) يعني: في حالة حصره والإحاطة به. ينظر: الأزهرى (المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة (12/ 121)، وابن منظور (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (4/ 438).

(9) الزمخشري، الكشاف، (2/ 652).

فَمَحُوْ آيَةِ اللَّيْلِ عَلَى هَذَا: عبارة عن عَدَمِ خَلْقِ الشَّعَاعِ لِلْقَمَرِ كَمَا خُلِقَ لِلشَّمْسِ. وعلى الأول: (1) مَحُوْ [آية] (2) اللَّيْلِ عبارة عن إزالته بالإشراق. وجعل آية النهار مبصرة عبارة عن جعلها مُبْصِرَةً؛ إذ (3) أُسْنِدَ إليها الإبصار وهو لأهلها، على التَّجْوِيزِ. (4) ويجوز أن يكون من (أَبْصَرَهُ)، على معنى مُبْصِرَةً لِلنَّاسِ. ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الإسراء: 12] لِنَتَوَصَّلُوا بِضَوْءِ النَّهَارِ إِلَى اسْتِبَانَةِ أَعْمَالِكُمْ، وَالتَّصَرُّفِ فِي مَعَايِشِكُمْ. ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: 12] وَلِتَعْلَمُوا بِاخْتِلَافِهَا وَتَعَاقِبِهَا عَدَدَ السِّنِينَ، وَجِنْسِ الْحِسَابِ. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12] وَكُلَّ شَيْءٍ مِمَّا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا غَيْرَ مُلْتَبِسٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَأَرْحَنَّا (5) عَلَيْكُمْ، وَمَا تَرَكْنَا لَكُمْ (6) حُجَّةً عَلَيْنَا.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13] أَي: عَمَلُهُ (7) فِي عُنُقِهِ لُزُومَ الطَّوْقِ فِي الْعُنُقِ. وَعَبَّرَ (8) عَنِ الْعَمَلِ بِ(الطَّائِرِ)، كَأَنَّهُ طَيْرٌ يُطِيرُ إِلَيْهِ مِنْ عَشِّ الْغَيْبِ وَوَكُرٍ (9) الْقَدْرِ. (10) وَعَنِ الْحَسَنِ: يَا ابْنَ آدَمَ! بَسَطْتُ لَكَ صَحِيفَةً، إِذَا بُعِثْتَ قُلِدَّتْهَا فِي عُنُقِكَ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. (11) ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: 13] الْكِتَابُ: صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَفْعُولِ الْمَحذُوفِ

(1) في نسخة (غ): الأولى.

(2) بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ.

(3) في نسخة (ش): لو، وفي نسختي (ض، غ): أو.

(4) في نسخة (غ): التجوز.

(5) في نسخة (م): أرحنا.

(6) في نسخة (غ): لكم عليكم.

(7) في نسخة (م): عله.

(8) في نسختي (ش، غ): وغير.

(9) في نسخة (غ): وذكر.

(10) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 250).

(11) الزمخشري، الكشاف، (2/ 652).

تقديره: ونُخْرِجُهُ لَهُ كِتَابًا. وَجَوَزَ البِيضَاوِي أَنْ يَكُونَ هُوَ مَفْعُولًا. وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ ⁽¹⁾ قراءة من قَرَأَ (وَيَخْرُجُ) ⁽²⁾ من خَرَجَ. وَفُرِيَ (وَيَخْرُجُ) ⁽³⁾ على أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ اللَّهُ، وَ﴿يَلْقَاهُ﴾ صِفَةٌ لِلْكِتَابِ، أَي: كِتَابًا يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ، وَ﴿مَنْشُورًا﴾ صِفَةٌ بَعْدَ صِفَةٍ، أَوْ حَالٌ مِنْ مَفْعُولِهَا. وَمَعْنَى كَوْنِهِ مَنْشُورًا: أَنَّهُ مَكْشُوفٌ مُبَيَّنٌ غَيْرُ مُسْتَوْرٍ. ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: 14] على إِرَادَةِ الْقَوْلِ، وَعَنْ قِتَادَةَ: يَقْرَأُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا. ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14] الْبَاءُ زَائِدَةٌ وَ﴿حَسِيبًا﴾ تَمْيِيزٌ، وَ﴿عَلَيْكَ﴾ صَلَتهُ، أَي: كَفَىٰ نَفْسُكَ ⁽⁴⁾ الْيَوْمَ حَاسِبًا عَلَيْكَ، أَوْ شَاهِدًا عَلَيْكَ، عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى: "الْكَافِي"، فَوُضِعَ مَوْضِعَ الشَّهِيدِ؛ لِأَنَّ "الشَّاهِدَ" يَكْفِي الْمُدْعَى مَا أَهَمَّهُ. وَوَجْهَ تَذْكِيرِهِ -مَعَ كَوْنِهِ مُشْتَقًّا وَالْمُنْتَصِبُ عَنْهُ مُؤَنَّثًا- أَنَّ النَّفْسَ مُؤَوَّلَ ⁽⁵⁾ بِالشَّخْصِ. قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "لَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ وَالْقَاضِي وَالْأَمِيرِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ يَتَوَلَّاهَا الرَّجُلُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ رَجُلًا حَسِيبًا." ⁽⁶⁾ كَأَنَّ قَصْدَهُ تَأْوِيلَ الْمُشْتَقِّ بِالْجَامِدِ؛ لِئَلَّا يَلْزَمَ الْمُطَابَقَةُ.

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: 15] تَقْرِيرٌ وَتَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: 13] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: 15] تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ ⁽⁷⁾ فِي الْمَقَامِ، يَعْنِي: وَلَا تَحْمِلُ نَفْسٌ وَازِرَةً وَزَرَ نَفْسٍ أُخْرَى، بَلْ إِنَّمَا تَحْمِلُ وَزْرَهَا فَلَا يَضُرُّ الْعَاصِي بِعِصْيَانِهِ إِلَّا نَفْسَهُ. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): الْأَوَّلَى.

(2) قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ: قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ (وَيَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الإسراء: 13] بضم الياء وفتح الراء، وَقَرَأَ يَعْقُوبُ (وَيَخْرُجُ لَهُ) بفتح الياء وضم الراء. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَيَخْرُجُ لَهُ) بِالنُّونِ وَكسر الراء. النيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 267).

(3) قِرَاءَةٌ شَادَّةٌ: ذُكِرَ فِي الْكَشَافِ بِدُونِ نَسْبَةٍ، وَفِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ مَنْسُوبَةٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، وَفِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى فِرْقَةٍ. يَنْظُرُ: الزَمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 652)، الْقُرْطُبِيُّ (المتوفى: 671هـ)، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، (10/ 229)، وَأَبُو حَيَّانٍ أَثِيرُ الدِّينِ الْأَنْدَلُسِيُّ (المتوفى: 745هـ)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ، (7/ 22).

(4) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): بِنَفْسِكَ.

(5) فِي نَسْخِ (الْأَصْلُ، م، غ): مَأُولٌ، وَفِي نَسْخَتِي (ش، ض): مَا دَلَّ.

(6) الزَمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، (2/ 653).

(7) فِي نَسْخَتِي (الْأَصْلُ، م): الْأَصْلُ.

إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ بَعْدَ بَعْثَةِ⁽¹⁾ الرُّسُلِ. قال البيضاوي: "وفيه دليلٌ على أن لا وُجُوبَ قَبْلَ⁽²⁾ الشَّرْعِ."⁽³⁾ وهو ردُّ على المعتزلة [حيثُ يَحْكُمُونَ بِوُجُوبِ الْمَعْرِفَةِ]⁽⁴⁾ بِمَحْضِ الْعَقْلِ⁽⁵⁾ لِنَمَكْنِهِ⁽⁶⁾ على إقامة الدلائل المُتَبَجِّة لمعرفة الواجبِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.⁽⁷⁾ ولذلك قال صاحبُ الكشاف: "بَعْثَةُ⁽⁸⁾ الرُّسُلِ من جملةِ التَّنْبِيهِ⁽⁹⁾ على النَّظَرِ، والإيقاظِ من رَقْدَةِ الْعَقْلَةِ؛ لئلاً يقولوا: كنا غافلينَ فَلَوْلَا بَعْثَتُ إلينا رسولاً يُنَبِّهُنَا⁽¹⁰⁾ على النَّظَرِ في أدلَّةِ الْعَقْلِ.⁽¹¹⁾"⁽¹²⁾ يعني: أن المعرفة تَجِبُ بِالْعَقْلِ،⁽¹³⁾ لَكِنَّ تَعَلُّقَ إِرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ بِأَنْ لَا يُعَذِّبَ⁽¹⁴⁾ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ بَعْثَةِ الرُّسُولِ عليه؛ لئلاً تكونَ له حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولا يَلْزَمُ من ذلك عدمُ وجوبِ شيءٍ قبل الشَّرْعِ، لجواز⁽¹⁵⁾ أن يَجِبَ⁽¹⁶⁾ ويستحقَّ الشَّخْصُ⁽¹⁷⁾ بِتَرْكِهِ الْعَذَابَ، ولا يُعَذِّبُ بواسطة أمرٍ من نحوِ وَعْدٍ، مَثَلًا. وَيُؤَيِّدُهُ قولُ إبراهيم عليه السَّلام: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: 77]. ويمكنُ

(1) في نسخة (غ): بعثته.

(2) في نسخة (م): فتاب.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 250).

(4) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

(5) في نسخة (غ): الفعل.

(6) في نسختي (الأصل، م): فيمكنه.

(7) في نسخة (ش): بوحْدَانِيَّة. والأصل في معرفة الله تعالى عند المعتزلة: أن النظر في طريق معرفة الله واجبٌ، ولكنَّ النظر في طريق معرفة الله ليس مقصوداً لذاته وإنما المقصود منه المعرفة. ينظر: الهمداني، القاضي عبد الجبار، (ت: 415هـ)، شرح الأصول الخمسة، (ص: 67).

(8) في نسخة (غ): بعثته.

(9) في نسخة (غ): البينة.

(10) في جميع النسخ: تنبيهاً.

(11) في نسخة (غ): الفعل.

(12) الزمخشري، الكشاف، (2/ 653).

(13) في نسخة (غ): بالفعل.

(14) في نسخة (غ): يقدر.

(15) في نسختي (الأصل، م): يجوز.

(16) في نسخة (ض): يجيب.

(17) سقط من نسخة (غ).

أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعَقْلَ⁽¹⁾ أَيْضاً رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، فَيُعَذَّبُ الْمَكْلَفُ بِمُخَالَفَتِهِ، وَهُوَ مَعْنَى صَحِيحٌ، لَكِنْ فِي إِطْلَاقِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ مُنَاقَشَةٌ وَخَفَاءٌ، لَا يُؤَافِقُهُ ظَاهِرُ الْعُرْفِ.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: 16] إرادة إهلاكهم: عبارة عن دُنُو وقت إهلاكهم، أي: إذا دنا⁽²⁾ وقت إهلاك⁽³⁾ قرية؛ أَمَرْنَا مُتَتَعِمِّيَهَا⁽⁴⁾ بالفِسْقِ، فَفَسَقُوا فيها. وَإِنَّمَا حَذَفَ الصِّلَةَ لدلالة ﴿فَفَسَقُوا﴾ عليها، كما يُقال: أَمَرْتُهُ فَعَامَ وَأَمَرْتُهُ فَفَرَأَ؛ فَإِنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ لَيْسَ إِلَّا الْقِيَامُ وَالْقِرَاءَةُ. و(الْأَمْرُ): مجازٌ عن صَبِّ النَّعْمَةِ عَلَيْهِمْ، بَحِيثٌ أَبْطَرَهُمْ⁽⁵⁾ مُنْغَمِسِينَ⁽⁶⁾ فِي الْمَعَاصِي وَمُتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ. وَجَوَزَ الْبِيضَاوِيُّ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ وَالْإِرَادَةُ عَلَى ظَاهِرِهِمَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَأْمُورُ بِهِ هِيَ الطَّاعَةُ دُونَ الْفِسْقِ، بِقَرِينَةِ السَّابِقِ وَالْآخِرِ؛ لِأَنَّ الْفِسْقَ يَدُلُّ عَلَيْهِ حَيْثُ قَالَ: "وَإِذَا تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُنَا بِإِهْلَاكِ قَوْمٍ لِإِنْفَازِ⁽⁷⁾ قَضَائِنَا السَّابِقِ، أَمَرْنَا مُتَتَعِمِّيَهَا⁽⁸⁾ بِالطَّاعَةِ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ بَعَثْنَاهُ إِلَيْهِمْ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ؛ فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالتَّمَرُّدُ فِي الْعَصْيَانِ، فَيَدُلُّ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ طَرِيقِ الْمُقَابَلَةِ." ⁽⁹⁾ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَمَرْنَا﴾ مَثْرُوكَ الْمَفْعُولِ، مِنْ قَبِيلِ قَوْلِكَ: أَمَرْتُهُ فَعَصَى. ⁽¹⁰⁾ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: "وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ ﴿أَمَرْنَا﴾ بِ(كَثَرْنَا)، وَجَعَلَ⁽¹¹⁾ أَمَرْتُهُ قَامَرَ مِنْ بَابِ (فَعَلْتُهُ)⁽¹²⁾ (فَفَعَلَ) كَ(تَبَرَّأْتُ فَنَبَّرَ). وَفِي الْحَدِيثِ: «خَيْرُ الْمَالِ سَكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ»⁽¹³⁾ أَي: كَثِيرَةُ النَّتَاجِ. وَرُوي أَنَّ رَجُلًا مِنْ

(1) فِي نَسْخَةِ (غ): الْقَتْلُ.

(2) فِي نَسْخَةِ (ض): أَرَدْنَا.

(3) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): هَلَكَ.

(4) فِي نَسْخَةِ (غ): مُنْتَقِمِيهَا.

(5) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): أَنْظَرَهُمْ.

(6) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): مُنْقَسِمِينَ.

(7) فِي نَسْخِ (الأصل، م، ش، ض): لِإِنْفَادٍ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): لِإِنْفَادٍ.

(8) فِي نَسْخَةِ (غ): مُنْتَقِمِيهَا.

(9) الْبِيضَاوِيُّ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ، (250/3-251).

(10) فِي جَمِيعِ النُّسخِ: فَعَصَا.

(11) فِي نَسْخَةِ (م): جَعَلَهُ.

(12) فِي نَسْخَتِي (الأصل، م): فَعَلِيَّةٌ، وَفِي نَسْخَةِ (غ): فَعْلِيَّةٌ.

(13) أَخْرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ (25/173) بِرَقْمِ (15845)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (7/91) بِرَقْمِ (6470)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي السِّنَنِ الْكَبْرَى (10/109) بِرَقْمِ (20029)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (3/1400) بِرَقْمِ (3538):

المشركين قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: إني أرى أمرك هذا حقيراً، فقال⁽¹⁾ عليه الصلاة والسلام: «إنه سيأمر». (2) أي: سيكثر وسيكبر. (3)

وَقُرِئَ (أَمَرْنَا)⁽⁴⁾ وَقُرِئَ (أَمَرْنَا)⁽⁵⁾ [بمعنى آمَرْنَا]،⁽⁶⁾ أو منقولاً من (أَمَرَ) بالضم على معنى: جَعَلْنَاهُمْ أَمْرَاءَ، سَلَطْنَاهُمْ. ﴿فَحَقَّقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الإسراء: 16] يعني: كلمة العذاب. ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16] تَدْمِيرُهَا: إِهْلَاكُ أَهْلِهَا.

عَنْ مُسْلِمٍ بْنِ بُدَيْلٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ هُبَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ مَالٍ الْمَرْءُ لَهُ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ، أَوْ سَكَّةٌ مَأْمُورَةٌ». وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ، وَرَجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ. الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (5/ 258). ينظر أيضاً: الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، (17/ 403).

(1) كَرَّرَ (فقال) في نسخة (ض).

(2) لم أجده في كتب الحديث المعتمدة، وقال الزيلعي: غريب جداً، وقال ابن حجر: لم أجده. ينظر: الزيلعي (المتوفى: 762هـ)، تخريج أحاديث الكشاف (2/ 262)، والعسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، (ص: 97).

(3) الزمخشري، الكشاف، (2/ 654-655).

(4) قراءة متواترة: قرأ يعقوب (أَمَرْنَا مُتَرَفِّهًا) [الإسراء: 16] ممدودة الألف، مثل قراءة ابن عباس وابن أبي إسحاق وغيرهم، وقرأ الباقر (أَمَرْنَا) غير ممدودة. الميم خفيفة في القراءتين، وقرأ خارجة عن نافع وعلي بن أبي طالب أيضاً مثل يعقوب (أَمَرْنَا) بالمد. ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 79)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2/ 15)، والنيسابوري، (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 268)، وابن الجزري (المتوفى: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، (2/ 306).

(5) قراءة شاذة: منسوبة إلى أبي عثمان النهدي، وليث عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم في مختصر ابن خالويه، وفي المحتسب منسوبة إلى ابن عباس -بخلاف-، وأبو عثمان النهدي، وأبو العالية -بخلاف-، وأبو جعفر محمد بن علي -بخلاف- والحسن -بخلاف- وأبو عمرو -بخلاف-، والسدي، وعاصم -بخلاف-، ينظر: ابن خالويه (المتوفى: 370هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، (ص: 79)، وابن جني (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (2/ 16).

(6) بين المعقوفتين سقط من نسختي (الأصل، م).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 17] (كَمْ) خبرية⁽¹⁾ في محلِّ النَّصْبِ على المفعولية⁽²⁾ لـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾. [وَمِنَ الْقُرُونِ] مُمَيَّزٌ لَهُ، أي: (3) كثيراً أَهْلَكْنَا⁽⁴⁾ من القُرُونِ من بعدِ نُوحٍ، كعادٍ وثمود. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17] يَعْلَمُ جميعَ ذُنُوبِ أَذْنُبُوهَا⁽⁵⁾ سِرًّا⁽⁶⁾ وَجَهْرًا فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. قال البيضاوي: "وتقديم (الخَبِيرِ)⁽⁷⁾ لِتَقْدِيمِ مُتَعَلِّقِهِ".⁽⁸⁾ وفيه: أَنَّ المتعلِّقَ أي: ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ لا خصوصية له بالخَبِيرِ، فكما أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ(الخَبِيرِ)، يجوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ(البصيرِ) أيضاً، كقولهِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265]. فدَعَوَى اختصاصه بالخَبِيرِ دَعَوَى بلا بَيِّنَةٍ.⁽⁹⁾

(1) في نسخة (ش): ضريبة.

(2) في نسخة (ش): مفعولية.

(3) في نسخة (غ): ابن.

(4) بين المعقوفتين سقط من نسخة (ش).

(5) في جميع النسخ: أَذْنُبُوهُ، وأُثْبِتَ (أَذْنُبُوهُ) لأنه أصَحُّ.

(6) في نسخة (م): سر.

(7) في نسخة (غ): الحَقِير.

(8) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (3/ 251).

(9) في نسختي (الأصل، م): منه.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين على نعمة التوفيق، والهداية، والإعانة على إتمام هذه الرسالة، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛
فبعد أن منّ الله عليّ بإتمام هذه الدراسة، وبعد الطواف والعيش في ظلال هذا التفسير القيم، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: النتائج:

- يعدُّ الإمام التبريزي من علماء التفسير المبرزين في عصره، وظهر ذلك في تمكّنه الواضح في فنون وعلوم مختلفة متعدّدة في تفسيره، وبخاصّة علوم اللغة، والبلاغة، والعقيدة.
- إن لهذا التفسير قيمةً علميّةً كبيرةً كما تبيّن في قسم الدراسة، عند الحديث حول منهج المؤلف ومصادره في التفسير، حيث اعتمد في تفسيره أحسن طرق التفسير، كتفسير القرآن بالقرآن وبالسنة، وبأقوال الصحابة، ثمّ توظيف اللغة، والبلاغة.
- إن لهذا التفسير خصائص ومزايا جديدة، لم تكن معهودة من قبل في التراث التفسيري، حيث ألفه التبريزي بطريقة مختلفة؛ تعتمد على المقارنة بين أقوال أعلام المفسرين، ثمّ تحليلها، وتأصيلها، ونقدها، مع التمسك بالإنصاف والحيادية، والبعد عن التعصب بين المذاهب والآراء.
- اهتمّ التبريزي بتوجيه القراءات القرآنية؛ المتواترة منها والشاذّة، ووظفها في التفسير، فتجلّى أثر القراءات في التفسير.
- ناقش التبريزي الزمخشري في اعتزالياته نقاشاً علمياً عميقاً، واستدرك على الزمخشري في إطار تخصّصه الدقيق، وهو اللغة والبيان، وأورد كذلك استدراكات قيّمة على البيضاوي في قضايا مختلفة، وهذا يدلّ على علوّ كعب التبريزي في اللغة، والبيان، وعقيدة الأشاعرة والمعتزلة، وبُعْدُ التبريزي عن التعصّب المذموم، زاد من قيمة هذه الاستدراكات.
- تميز التبريزي في عرضه، وشرحه، وبيانه لمفردات القرآن الكريم وألفاظه.
- تجنّب التبريزي الإطالة المملّة في ذكر أقوال العلماء والمرويات، حيث قدّم لبّ الموضوعات غالباً، كما وتجنّب ذكر الإسرائيليات، ولم يعتمد عليها في التفسير اعتماداً تاماً، وهذا مما يقوّي تفسيره، ويرفع من قيمته.

أمّا بعض المآخذ على تفسير التبريزي، فهي كالآتي:

- عدم التمييز بين القراءات المتواترة والشاذة، وهذا مما يصعب الأمر على القارئ.
- عدم الإشارة إلى صحة المرويات، والاكتفاء بالتعبير عنها بـ: (رُوي).
- ذكر المؤلف الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولو كان أكثرها في فضائل السور.
- عدم بيان أسماء بعض مراجعه، رغم أنه بيّن الكثير منها.
- اعتماد المؤلف على الكشف وتفسير البيضاوي في نقل الأحاديث والمرويات الضعيفة والموضوعة.

ثانياً: التوصيات:

- بعد دراسة وتحقيق تفسير التبريزي يوصي الباحث بما يأتي:
- دعوة المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن إلى القيام بدراسات علمية مقارنة بين التفسير القيمة، في قضايا علمية خلافية تستحق الدراسة، وفق منهج علمي منضبط يقوم على مراعاة أحسن طرق التفسير، وأصوله، وقواعده.
 - تشجيع طلبة التفسير وعلوم القرآن على دخول ميدان التحقيق، لإخراج مخطوطات التراث الإسلامي إلى النور، فكم من كتب قيمة مخفية تحتاج إلى جهود وعناية حثيثة من قبل الباحثين المتخصصين.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يتقبل منا جهودنا وينفعنا بما علمنا، وأن يغفر لنا تقصيرنا، فإن كان من خير فمن فضل الله تعالى، وإن كان من خطاً فمن أنفسنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس الفنيّة

فهرس الآيات

الصفحة	السور
74	سورة يونس (من الآية 50 إلى النهاية).
103	(11) سورة هود
171	(12) سورة يوسف
271	(13) سورة الرعد
311	(14) سورة إبراهيم
352	(15) سورة الحجر
389	(16) سورة النحل
475	(17) سورة الإسراء (إلى نهاية الآية 17).

فهرس الأحاديث

طرف الحديث

الصفحة

174	إِذَا قِيلَ: مَنْ الْكَرِيمُ؟ فَقُولُوا: الْكَرِيمُ
432	اِذْهَبْ وَاسْقِهِ عَسَلًا
448	اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا
432	اسْقِهِ الْعَسَلَ
447	أَفْلَحَ الرَّجُلُ إِنْ صَدَقَ
449	الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ
31	الذي لا شكوى فيه
250	الْقَلْبُ يَجْرَعُ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ،
287	اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا
489	اللَّهُمَّ أَنَا بَشَرٌ، فَمَنْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ
235	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ
472	أما وَالَّذِي أَحْبَبْتُ بِهِ، لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ
164	إِنَّ الصَّلَاةَ إِلَى الصَّلَاةِ كَقَارَةٌ
460	إِنْ عَادُوا لَكَ فَعَذْلُهُمْ
180	أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ
222	أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ
189	أنه الذي لا شكوى فيه

- 494 إِنَّهُ سَيَأْمُرُ
- 366 أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ
- 366 أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي
- 477 بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
- 198 تَكَلَّمَ أَرْبَعَةً صِغَارًا
- 333 ثُمَّ يُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ
- 493 خَيْرُ الْمَالِ سَكَّةٌ مَأْبُورَةٌ
- 141 رَحِمَ اللَّهُ أَخِي لُوطًا، كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
- 212 رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ
- 224 رَحِمَ اللَّهُ أَخِي يُوسُفَ لَوْ لَمْ يَقُلْ اجْعَلْنِي
- 159 شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ
- 270 عَلِّمُوا أَرْقَاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ،
- 289 فَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ
- 383 قَدْ أُعْطِيتُمْ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْقَوَافِلِ السَّبْعِ
- 460 كَلَّا، إِنَّ عَمَارًا مَلِئَ إِيمَانًا
- 249 لَمْ يُعْطِ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ
- 279 لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ
- 285 مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ
- 161 مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ

- 351 مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ
- 388 مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَجْرِ
- 310 مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّعْدِ
- 474 مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ
- 170 مَنْ قَرَأَ سُورَةَ هُودٍ
- 219 مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَفْقَنَ مَوَاقِفَ التُّهَمِ
- 419 نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ
- 253 هَذِهِ صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ،
- 435 وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْفِدُ
- 449 وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُ
- 288 وَلَا تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاحِلًا
- 239 يَا خَلِيلَ اللَّهِ ارْكَبِي

فهرس الأشعار

الرقم	بيت الشعر	القائل	الصفحة
1	تَعَشَّ فَإِنْ وَانْقَتَتِي لَا تَخُونِي * * نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ	الفرزدق	283
2	فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى * * يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ	المتنبّي	284
3	لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بَبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي	ابن مقبل	355
4	تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّقْنُ	منسوب إلى ابن مقبل، وذو الرُّمَّة، وزهير.	416
5	عَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... غَلَقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ.	كُنْزِ عَزَّة	464
6	يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بِنِ بَكْرٍ لِي الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشْطَرٍ.	غير منسوب	464
7	ولقد أمرُ على اللّئيم يسُبُّني ... فمضيتُ ثُمَّتَ قَلْتُ لَا يَغْنِينِي	رجل من سلول	391
8	أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عَلَقَمَةِ الْفَاخِرِ.	الأعشى (ميمون بن قيس)	475
9	خَفِ اللَّهُ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِرُقْعٍ ... فَإِنْ لُحِتَ حَاصَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ.	المتنبّي	204

المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943 هـ)، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
2. ابن العربي، أبو بكر، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
3. ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
4. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (المتوفى: 630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر - بيروت.
5. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ / 1997 م.
6. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م.
7. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، معاني القرآن للأخفش، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
8. الأزهرى، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: 905هـ)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م.

9. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1991 م.
10. الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد (المتوفى: 415هـ)، الأصول الخمسة، تحقيق: فيصل بدير عون، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، الطبعة الأولى، 1998م.
11. الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن (المتوفى: 582 هـ)، الجمع بين الصحيحين، اعتنى به حمد بن محمد الغماس، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999 م.
12. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى: 324هـ)، مقالات الإسلاميين، المحقق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005م.
13. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى (المتوفى: 324هـ)، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيد، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.
14. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، أبي موسى (المتوفى: 324هـ)، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى، 1397.
15. الأصبهاني، الميرزا عبد الله أفندي، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، اهتمام: السيد محمود المرعشي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، (من منشورات مكتبة آية الله العظمى - إيران، 1403هـ).
16. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
17. أعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.

18. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
19. الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (المتوفى: 370هـ)، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، تحقيق: ف. كُرْكُو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م.
20. الأندلسي، ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم (المتوفى: 328هـ)، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ.
21. الباقلاني، أبو بكر بن الطيب البصري القاضي المالكي (المتوفى: 403 هـ)، **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري (المتوفى: 1371 هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، 1421 هـ = 2000 م.
22. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
23. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، **التاريخ الكبير**، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.
24. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، **كتاب الضعفاء**، تحقيق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى 1426هـ/2005م.
25. البزاز، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزاز (المتوفى: 292هـ)، **مسند البزاز المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

26. البزّاز، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي (المتوفى: 354هـ)، كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
27. البغدادي، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، (المتوفى: 233هـ)، سؤالات ابن الجنيّد، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م.
28. البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، أبو جعفر (المتوفى: 245هـ)، المحبر، تحقيق: إيّلزة ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
29. البغوي (المتوفى: 510هـ) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
30. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.
31. البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: 516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
32. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، سمط اللّالي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
33. البَلّاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (المتوفى: 279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

34. البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، أبو الحسن (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
35. بيدابيش، حبيب أفندي (المتوفى: 1894م)، الخط والخطاطان، ترجمة: سامية محمد جلال، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، 2010.
36. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
37. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (458 هـ)، البعث والنشور، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1436 هـ.
38. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1993 م.
39. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1405 هـ.
40. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1405 هـ.
41. التبريزي، عبد الباقي الملقب بـ(دانشمند) (المتوفى: 1039هـ)، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة (بالفارسية)، تحقيق: حبيب الله عظيمي، تهران، نشر آينه ميراث، الطبعة الأولى، 1378هـ.
42. تبريزي، ميرزا محمد علي مدرس، ریحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية)، انتشارات خيام، 1374هـ.

43. تربيت، محمد علي، **دانشمندان آذربيجان (بالفارسية)**، اهتمام: غلام رضا طباطبائي مجد، سازمان للنشر والتوزيع، تهران، الطبعة الأولى، 1378 هـ.
44. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279 هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
45. النفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين (المتوفى: 791 هـ)، **شرح العقائد النسفية**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة مورافتي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م.
46. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: 728 هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، 1416 هـ / 1995 م.
47. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 427 هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: عدد من الباحثين، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م.
48. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (المتوفى: 427 هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م.
49. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 1999 م.
50. ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية).
51. ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، **شرح طيبة النشر في القراءات**، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 2000 م.

52. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (المتوفى: 597هـ)، **الموضوعات**، تحقيق محمد عبد المحسن، الطبعة الأولى، 1386 هـ - 1966 م.
53. الجامي، نور الدين عبد الرحمن (المتوفى: 898هـ)، **الفوائد الضيائية - المشهور بـ (مُلّا جامي) -**، تحقيق: إلياس قبلان، الشفاء للنشر والطباعة، إسطنبول، 2015م.
54. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)، **التعريفات**، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983م.
55. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ - 1999م.
56. ابن الجوزي، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ.
57. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
58. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ)، **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
59. الجويني، عبد الملك بن عبد الله، (ت: 478هـ)، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ / 1950م.
60. ابن الحاجب، عثمان بن عمر، (المتوفى: 646هـ)، **أمالي ابن الحاجب**، تحقيق: فخر قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، 1409هـ / 1989م.
61. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ.

62. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى: 327هـ)، **الجرح والتعديل**، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952 م.
63. ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسكندراني (توفي: 646 هـ)، **الكافية في علم النحو**، تحقيق الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، 2010 م.
64. الحارث، ابن أبي أسامة، أبو محمد بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب (المتوفى: 282هـ)، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 - 1992.
65. الحازمي، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني، زين الدين (المتوفى: 584هـ)، **الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار**، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الثانية، 1359 هـ.
66. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 - 1990.
67. ابن حبان (المتوفى: 354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
68. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، **الثقات**، اعتناء: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م.
69. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، ترتيب: ابن بلبان (المتوفى: 739 هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

70. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354 هـ)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى، 1396 هـ.

71. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456 هـ)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.

72. الحلّي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مُطَهَّر (المتوفى 726 هـ)، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، تحقيق وتعليق: حسن حسن زاده الأملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1407 هـ.

73. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (المتوفى: 900 هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، 1980 م.

74. الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (المتوفى: 573 هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

75. أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745 هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

76. ابن خالويه، الحسين بن أحمد (المتوفى: 370 هـ)، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، مكتبة المتنبّي، القاهرة.

77. خالدي، صلاح عبد الفتاح، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429 هـ، 2008 م.

78. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م.

79. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)،
عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي، دار صادر - بيروت.
80. خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني (المتوفى: 1067هـ)، كشف
الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد، 1941م.
81. الداني (المتوفى: 444هـ)، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو، البيان في عد
آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة الأولى،
1414هـ - 1994م.
82. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ)، التيسير في
القراءات السبع، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ / 1984م.
83. الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان
في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
84. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (المتوفى: 444هـ)، المقنع في
رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
85. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة،
تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
86. الدميّطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى:
1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب
العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، 2006م - 1427هـ.
87. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي
القرشي (المتوفى: 281هـ)، العقوبات، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم،
بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
88. الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني
(المتوفى: 509هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب
العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986م.

89. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (المتوفى: 282هـ)، **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م.
90. الذهبي (المتوفى: 748هـ)، **شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز**، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1963 م.
91. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م.
92. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، **ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين**، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، 1387 هـ - 1967 م.
93. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
94. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عوادة معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م.
95. الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: 1398هـ)، **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، وهبة، القاهرة.
96. الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: 1398هـ)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة.
97. ذو الرُّمَّة، غِيْلَانُ بن عُقْبَةَ العَدَوِي (المتوفى: 117هـ)، **ديوان ذي الرُّمَّة**، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1982 م - 1402 هـ.

98. الرازي، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، الطبعة الثالثة - 1419 هـ.
99. الرازي، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: وليد بن حسن العاني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1439 هـ.
100. الرازي، أبو بكر زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، 1420 هـ-1999 م.
101. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
102. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، معالم أصول الدين، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي - لبنان.
103. رازي، أمين أحمد، تذكرة هفت اقليم (بالفارسية)، تصحيح وتعليق: يسد محمد رضا طاهري، طهران: كتابخانه ملا إيران، 1378 هـ.
104. ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (المتوفى: 238هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991.
105. رزق، أحمد يوسف، تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي دراسة وتحقيق (من أول الكتاب إلى الآية 74 من سورة البقرة)، رسالة غير منشورة، إشراف: د. جهاد نصيرات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2020-2021 م.
106. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

107. الزجاج (المتوفى: 311هـ)، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.
108. الزرقاني، محمد عبد العظيم (المتوفى: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
109. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
110. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
111. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.
112. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
113. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ.
114. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (المتوفى: 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
115. ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ)، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
116. الزيات، أحمد وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الطبعة الرابعة، 1425هـ-2004م.

117. الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (المتوفى: 762هـ)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ.
118. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (المتوفى: 275هـ)، **سنن أبي داود**، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
119. سعيد، محمد رأفت، **تاريخ نزول القرآن**، دار الوفاء - المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
120. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ)، **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1407 هـ - 1987 م.
121. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 375هـ)، **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.
122. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
123. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: 756 هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
124. السندي (المتوفى 1138هـ)، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي المِنْدِي، **حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق وتعليق: طارق عوض الله، دار المأثور للنشر والتوزيع، رياض-السعودية، 1431هـ.

125. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (المتوفى: 581هـ)، التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الاسماء والأعلام، تحقيق: محمود ربيع، مكتبة الأزهر الكبرى، الطبعة الأولى، 1356هـ-1938م.
126. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
127. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (المتوفى: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت.
128. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
129. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996م.
130. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ/ 1974 م.
131. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت.
132. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر - بيروت.
133. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م.

134. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
135. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
136. الشبلي، حسن عبد المنعم، الجامع في أسباب النزول، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.
137. الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285 هـ.
138. الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، 1285 هـ.
139. شكري، أحمد خالد وآخرون، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
140. الشنقيطي، عبد الرحمن محمود مختار، الصدارة في النحو العربي، (رسالة جامعية) جامعة أمّ القرى، المكة المكرمة، 1417هـ.
141. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1414 هـ.
142. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
143. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1409.

144. ابن أبي شيبة، أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1409.
145. صدقي، محمد بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، **الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية**، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، 1416 هـ - 1996 م.
146. الصعدي، عبد المتعال (المتوفى: 1391هـ)، **بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، 1426هـ-2005م.
147. الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الحنفي (المتوفى: 650هـ)، **الموضوعات**، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الثانية، 1405 هـ.
148. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: 643هـ)، **معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
149. الصنعاني، أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري، **تفسير القرآن للصنعاني**، تحقيق: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1989م.
150. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
151. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، **الأحاديث الطوال**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة الثانية، 1404 - 1983.
152. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن أمين الدين الطبرسي (المتوفى 548هـ)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تعليق وتخريج: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.

153. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
154. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (المتوفى: 310هـ)، **تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، دار التراث - بيروت، الطبعة الثانية - 1387 هـ.
155. الطبري (المتوفى 310 هـ)، أبو جعفر بن جرير، **صحيح وضعيف تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد بن طاهر البرزنجي، إشراف: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
156. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: 321 هـ)، **متن العقيدة الطحاوية**، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1416هـ-1995م.
157. الطرابيشي، مطاع، **شعر عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيّ**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، 1405هـ-1985م.
158. الطهراني، محمد محسن بن علي رضا الشهير بـ(آغا بُزْرُك)، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، دار الأضواء بيروت، الطبعة الثانية.
159. الطهراني، محمد محسن بن علي رضا الشهير بـ(آغا بُزْرُك)، **طبقات أعلام الشيعة: الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة**، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، 2009م.
160. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **التحرير في أصول التفسير**، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، 1438هـ-2017م.
161. الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (المتوفى: 204هـ)، **مسند أبي داود الطيالسي**، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1999 م.

162. الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله (المتوفى: 743 هـ)، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب**، تحقيق: د. جميل بني عطا وآخرون، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434 هـ - 2013 م.
163. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542 هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
164. أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (المتوفى: 377 هـ)، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، 1413 هـ - 1993 م.
165. العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح (المتوفى: 963 هـ)، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت.
166. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463 هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
167. العبويني، حنان، **تفسير القرآن المجيد للإمام عبد الباقي التبريزي البغدادي (1039 هـ) دراسة وتحقيق من الآية (56) من سورة الأنعام، إلى نهاية الآية (49) من سورة يونس**، رسالة الدكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، آب 2022.
168. عتر، نور الدين محمد الحلبي، **علوم القرآن الكريم**، مطبعة الصباح - دمشق، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
169. العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: 1162 هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواي، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

170. ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م.
171. ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م.
172. ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1997م.
173. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م.
174. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، الكافي الشاف في تخریج أحاديث الكشاف، دون مدينة، دون طبعة.
175. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، المطالب العالیة بزوائد المسانید الثمانيّة، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
176. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ) تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، 1406 - 1986،
177. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1415 هـ.

178. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)،
الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار
الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ.
179. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:
852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى،
1326هـ.
180. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى: 852هـ)، التلخيص
الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ.
1989م.
181. العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (المتوفى: 322هـ)، الضعفاء
الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلججي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى،
1404هـ - 1984م.
182. العك، خالد عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.
183. العُكْبَرِي، أبو البقاء (المتوفى 616هـ)، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق: محمد السَّيِّد أحمد
عَزَّوز، عالم الكتب، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م، (681/1).
184. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم
إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
185. الفارسي، أبو علي (ت 377 هـ)، المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر، مطبعة
المدني، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 هـ.
186. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ)،
كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
187. الفرزدق (المتوفى 110هـ)، أبي فراس همَّام بن غالب بن صعصعة ابن ناجية بن عقال
بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م.

188. الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
189. القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (المتوفى: 1014هـ)، **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1398 هـ.
190. القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة.
191. القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد (ت: 1403هـ)، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
192. القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: 356هـ)، **الأمالي**، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1344 هـ - 1926 م.
193. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992 م.
194. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: 276هـ)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1992 م.
195. ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي (المتوفى: 620هـ)، **المنتخب من علل الخلال**، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الراجعية للنشر والتوزيع.
196. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، **المنتخب من علل الخلال**، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار الراجعية للنشر والتوزيع.
197. القرطبي، ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (المتوفى: 595هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار الحديث - القاهرة، 1425 هـ - 2004 م.

198. القرني، عبد الرحمن بن محمد بن عايض، **قاعدة مقابلة الجمع بالجمع: دراسة أصولية تطبيقية**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج 22، ع 70، 2007م، (ص: 345-421).
199. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة.
200. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: 465هـ)، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة الثالثة.
201. القطان، مناع بن خليل (المتوفى: 1420هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م.
202. القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي (المتوفى: 200هـ)، **تفسير يحيى بن سلام**، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
203. ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الشيباني (المتوفى: 507هـ)، **ذخيرة الحفاظ**، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996م.
204. ابن القيسراني، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (المتوفى: 507هـ)، **ذخيرة الحفاظ**، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996م.
205. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408، هـ - 1988 م.
206. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م.

207. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1976 م.
208. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
209. كُتِبَ عَزَّ بن عبد الرحمن بن الأسود بن مريح من خزاعة، ديوان كُتِبَ عَزَّ (المتوفى: 105 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1391هـ-1971م.
210. كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: 1408هـ)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1414 هـ - 1994 م.
211. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
212. الكرمانى، رضي الدين شمس القراء أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (المتوفى 535هـ)، شواذ القراءات، تحقيق: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت-لبنان.
213. الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.
214. الكلوزاني، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن الحنبلي (510 هـ)، شرح القصيدة الدالية، شرح: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، عناية: ياسر بن سعد بن بدر العسكر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
215. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

216. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
217. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
218. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس (المتوفى: 285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
219. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (المتوفى 354هـ) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ-1983م.
220. ابن مجاهد، أحمد بن موسى البغدادي (ت: 324هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.
221. مجموعة من المؤلفين، موسوعة وقف الديانة التركي الإسلامية، مطبعة الفنون الجميلة لعللي رضا باسكان، إسطنبول، 1988م، المجلد الأول.
222. مختار، أحمد عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
223. المخزومي، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (المتوفى: 104هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م.
224. ابن مَرْدَوَيْهِ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى بْنِ مَرْدَوَيْهِ بْنِ فُورِكَ بْنِ مُوسَى الْأَضْبَهَانِيِّ (المتوفى: 498هـ)، جزء فيه أحاديث ابن حيان، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، 1414.
225. المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران (المتوفى: 384 هـ)، معجم الشعراء، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1402 هـ - 1982 م.

226. المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: 294هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1406هـ.

227. المَرْوَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج (المتوفى: 294هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1406هـ.

228. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (المتوفى: 742هـ)، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيمة، الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م.

229. المزيني، خالد بن سليمان، المحرر في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي، الدمام، 1426هـ.

230. مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م.

231. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م.

232. المصري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، (المتوفى: 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415 هـ.

233. مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران-إيران، الطبعة الأولى 1385هـ.

234. المظفر، محمد رضا، المنطق، مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الثالثة، 1388هـ-1968م. المعتق، عواد بن عبد الله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 1416هـ - 1995م.

235. ابن مقبل، تميم بن أبي بن مقبل بن عوف من بني العجلان من عامر بن صعصعة (المتوفى بعد: 70هـ)، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دمشق، مديرية إحياء التراث القديم، 1381هـ-1962م.

236. مكي بن أبي طالب أبو محمد حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

237. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم، تحقيق عبد الله بن حمد اللحيدان وآخرون، دارُ العاصِمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1411 هـ.

238. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (المتوفى: 1031هـ)، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البياضوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة - الرياض.

239. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

240. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

241. النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.

242. النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1409.

243. النسائي في السنن الكبرى، النسائي (المتوفى: 303هـ) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

244. نصر آبادي، ميرزا محمد طاهر أصفهاني، تذكره نصر آبادي (بالفارسية)، أرمغان للطباعة والتوزيع، طهران، 1317.

245. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

246. النيسابوري، أحمد بن الحسين بن مهران، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981 م.

247. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ)، الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.

248. النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (المتوفى: 518هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

249. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

250. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.

251. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ.

252. الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهذلي الشكري المغربي (المتوفى: 465هـ)، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

253. الهروي، علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن (المتوفى: 611هـ)، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
254. الهروي، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى)**، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت.
255. الهمداني، القاضي عبد الجبار بن أحمد، (ت: 415هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ/1996م.
256. الهمداني، المنتجب (المتوفى: 643 هـ)، **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
257. الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث.
258. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، **شرح الواحدي لديوان المتنبي**، تحقيق وتعليق: د. ياسين الأيوبي، وقصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م.
259. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
260. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، **التفسير البسيط**، تحقيق: مجموعة من طلبة الدكتوراة، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430 هـ.
261. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

262. الواسطي، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: 741هـ)، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م.

263. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

264. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (المتوفى: 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.

265. ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م.

266. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م.

267. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، 1404 - 1984.

(Tafseer Al-Qur'an Al-Majeed) of Imam Abd Al-Baqi Al-Tabreezi Al-Baghdadi (1039 AH); Studying and Editing: from verse (50) of Surat Yunus, to verse (17) from Surat Al-Isra

By

MEHMET KARLI

Supervisor

Dr. MOHAMMAD MJALLI RABABAH

ABSTRACT

This study examines Abdelbaqi Altabrizi Albaghdadi's Tafsir "Exegesis" of the Holy Qur'an through the study and investigation of the Quranic verses starting from verse (50) in Surah Yūnus to verse (17) in Surah Al-Isrā' in order to explain the textual narrative of the verses examined in this paper and present the narrative as intended by the author (Altabrizi). The study sheds light on Altabrizi's biography, his Tafsir of the Holy Qur'an, and his methodology in interpreting the Quran. It also studies the scientific value of this Tafsir and highlights its new findings.

The researcher follows different research methods in this study, including inductive, analytical, descriptive, and investigative methods.

The study is divided into an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. The paper concludes that Altabrizi's Tafsir is a subjective interpretation of the Holy Quran which was authored in the eleventh century AD. It is considered a comprehensive Tafsir due to the author's excellence in different areas such as linguistic and rhetorical aspects, doctrinal aspects- especially the doctrines of Al-Ashaira and Mu'tazila-, Quranic Sciences, and Quranic Readings. In addition to transmitting Tafsir heritage, Altabrizi also provided criticism and analysis according to the Principles of Tafsir. He also discussed previous interpretations of the Quran.